فهرست الجزء السابع من البحر المحيط لأبي حيان رحمه الله

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

﴿ تمت الفهرست ﴾

الجزء السابع

﴿ من التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ﴾

تأليف أوحد البلغاء المحققين وعمدة النحاة والمفسرين أثير الدين أبي عبد الله
محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي
الجياني الشهير بأبي حيان المولود سنة ٦٥٤ المتوفى
بالقاهرة سنة ٧٤٥ رحمه الله وبوأه دار رضاه آمين

وبهامشه تفسيران جليلان * أحدهما النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضا * وثانيهما
كتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذ أبي حيان الامام تاج الدين أبي محمد أحمد بن عبد
القادر بن أحمد بن مكتوم القيسي الحنفي النحوي المولود سنة ٦٨٢ المتوفى سنة ٧٤٩
نور الله ضريحه * مجعولا النهر بصدر الصحيفة مفصولا بينه وبين الدر اللقيط بجدول

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى جلالة أمير المؤمنين وحامي حوزة الدين
فرع الشجرة النبويه وخلاصة السلالة الطاهرة العلويه سيدنا ومولانا عبد الحفيظ
ابن السلطان مولاي الحسن ابن السلطان سيدي محمد خلد الله ملكه

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالي بالله الآن شعر طنجة
ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر على يد نجله الحاج عبد السلام بن شقرون

وخدمة لكتاب الله وأداء لبعض ما يجب قد بذلنا وسع الطاقة وأحضرنا أصولا معتمدة معوّلا
عليها مأثورة عن فحول علماء الغرب والشرق مقابلة على نسخ موثوق بها بالكتبخانة
الخديوية المصرية وعلى الله سبحانه التوكل وبه الاعانة

(الطبعة الاولى سنة ١٣٢٨ هـ)

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

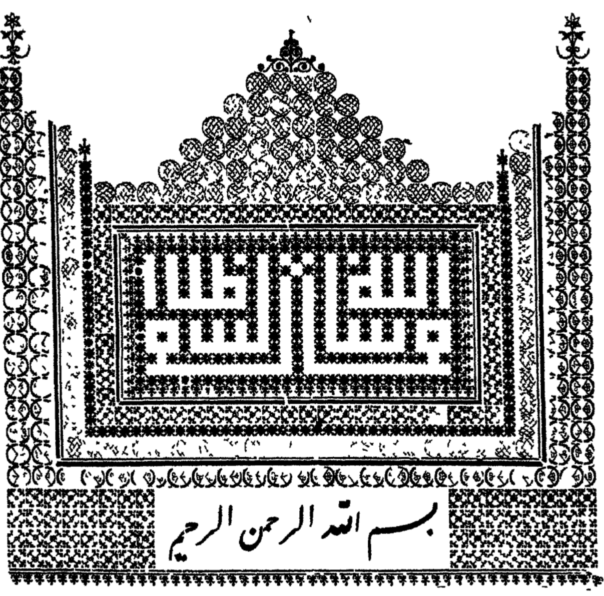

سورة الشعراء مائتان وسبع وعشرون آيه مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين ـ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آيه فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه
معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من
كل زوج كريم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ
نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن
يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون
قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل
معنا بنى اسرائيل قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت
وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى
حكما وجعلنى من المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل قال فرعون وما رب
العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون
قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق

والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت الهاغيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين قال فائت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذاهى ثعبان مبين ونزع يده فاذاهى بيضاء للناظرين قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فاذاهى تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ❊ الشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شئ بقيته الخسيسة وأنشد أبو عبيدة ❊ فى شراذم النعال ❊ وقال آخر جاء الشتاء وقميصى أخلاق شراذم يضحك منه ❊ وقال الجوهرى الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشئ وثوب شراذم أى قطع انتهى ❊ وقيل السفلة من الناس ❊ كبكبه قلب بعضه على بعض وحروفه كلها أصول عند جمهور البصريين ❊ وقال الزمخشرى الكبكبة تكرير الكب جعل التكرير فى اللفظ دليلا على التكرير فى المعنى ❊ وقال ابن عطية كبكب مضاعف من كب هذا قول الجمهور وهو الصحيح لان معناهما واحد والتضعيف فى الفعل نحو صر وصرصر انتهى وقول الزمخشرى وابن عطية هو قول الزجاج وهو انه زعم ان نحو كبكبة مما يفهم المعنى بسقوط ثالثه هو مما ضوعف فيه الباء وذهب

﴿سورة الشعراء﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ هذه السورة مكية كلها في قول الجمهور الأربع آيات من والشعراء الى آخر السورة * ومناسبة أولها لآخر ماقبلها أنه لما قال تعالى فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ذكر تلهف رسول الله صلى الله عليه وسلم على كونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم ولما أوعدهم في آخر السورة بقوله فسوف يكون لزاما أوعدهم في أول هذه فقال اثر اخباره بتكذيبهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن وتلك اشارة الى آيات السورة وآيات القرآن المبين هو القرآن وتقدم تفسير باخع نفسك في أول الكهف ﴿أن لا يكونوا مؤمنين﴾ أي لئلا يؤمنوا أو خيفة ان لا يؤمنوا ﴿ان نشأ ننزل﴾ دخلت ان على نشأ وان للممكن أو المحقق المنبهم زمانه ومعنى آية أي ملجئة الى الايمان تقهر عليه ﴿أعناقهم﴾ أعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤس والصدور ﴿خاضعين﴾ أي متذللين ﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ تقدم تفسيره في الأنبياء ﴿الا كانوا﴾ جملة حالية أي لا يكونون ﴿معرضين﴾ عنها وكان تدل على أن ديدنهم وعادتهم الاعراض عن ذكر الله تعالى ولما كان اعراضهم عن النظر في صانع الوجود نبه تعالى على قدرته وانه الخالق المنشئ الذي يستحق العبادة بقوله ﴿أولم يروا الى الارض﴾ والزوج النوع والكريم الحسن ﴿لآية وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ تسجيل على أكثرهم بالكفر ﴿وان ربك لهو العزيز﴾ أي الغالب القاهر ولما كان الموضع موضع بيان القدرة قدم صفة العزة على صفة الرحمة فالرحمة اذا كانت عن قدرة كانت أعظم وقعا والمعنى انه عز في نقمته من الكفار ورحم مؤمني كل أمة ولما ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق واعراضهم (٤) عنه ذكر قصة موسى عليه السلام وما قاسى مع فرعون وقومه ليكون ذلك مسلاة لما يقاسي عليه السلام من كفار قريش واذا كانت قريش قد اتخذت آلهة من دون الله تعالى وكان قوم فرعون قد اتخذوه إلها وكان أتباع ملة موسى عليه السلام هم المجاورون من آمن بالرسول عليه الصلاة والسلام بدأ بقصة موسى عليه السلام ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي ذكره من القصص والعامل في اذ اتل مضمرة أي اتل هذه القصة فيما تتلو ومعنى نادى دعا * وأن يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون تفسيرية وسجل عليهم بالظلم لظلم أنفسهم بالكفر وظلم بني اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد وقوم فرعون قيل بدل من القوم الظالمين والأجود أن يكون عطف بيان لانهما عبارتان يعتقبان على مدلول واحد اذ كل واحد من عطف البيان ومتبوعه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بازالته اذ هو أشهر وقرئ ألا يتقون بالياء على الغيبة وبتاء الخطاب على طريق الالتفات اليهم انكارا وغضبا عليهم وان لم يكونوا حاضرين لانه مبلغهم ذلك ومكافحهم والظاهر أن ألا للعرض المضمن الحض على التقوى قال الزمخشري ويحتمل أن يكون ألا يتقون حالا من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال انتهى هذا الاحتمال الذي أورده خطأ فاحش لأنه جعله حالا من الضمير في الظالمين وقد أعرب هو قوم فرعون عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي منهما لأن قوم فرعون معمول لقوله ائت والذي زعم أنه حال معمول لقوله الظالمين وذلك لا يجوز وأيضا لو لم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون لم يجز أن تكون الجملة حالا لان ما بعد الهمزة يمتنع أن يكون معمولا لما قبلها وقولك جئت أمسرعا على أن يكون أمسرعا حالا من الضمير في جئت لا يجوز فلو أضمرت عاملا بعد الهمزة جاز ولما كان فرعون عظيم النخوة حتى ادعى الالوهية كثير المهابة قد أشربت القلوب الخوف منه خصوصا من كان من بني اسرائيل قال موسى عليه السلام ﴿اني أخاف أن يكذبون﴾ وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالرفع فيهما عطفا على أخاف والمعنى أنه يفيد ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان وقرئ بالنصب فيهما عطفا على يكذبون فيكون التكذيب وما بعده

الكوفيون الى أن الثالث بدل من مثل الثاني فكان أصله كبب فأبدل من الباء الثانية كاف * الحميم الولي القريب وحامة الرجل خاصته * وقال الزمخشري الحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما أهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخالص ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن أولم يروا الى الارض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري

متعلقا بالخوف وفى الخبران الله أرسل موسى الى هارون وكان هارون بمصر حين بعث الله موسى نبيا بالشام قيل سار باهله الى
مصر فالتقى بهارون وهو لايعرفه فقال أنا موسى فتعارفا وأمرهما أن ينطلقا الى فرعون لاداء الرسالة فصاحت أمهما
لخوفها عليهما فذهبا إليه ﴿ولهم على ذنب﴾ أى قبلى قود ذنب أو عقوبة ذنب وهو قتله القبطى الكافر خباز فرعون بالوكزة
التى وكزها و ﴿كلا﴾ ردلقوله انى أخاف أى لاتخف ذلك وقوله فاذهبا أمر لهما بخطاب موسى فقط لان
هارون ليس بمكلم باجماع
ولكنه قال لموسى اذهب
أنت وأخوك و ﴿معكم﴾
قيل من وضع الجمع موضع
المثنى أى معكما وقيل هو
على ظاهره من الجمع والمراد
موسى وهارون ومن
أرسلا اليه وكان شيخنا
الأستاذ أبو جعفر بن
الزبير يرجح أن يكون
أريد بصورة الجمع
الخطاب لموسى وهارون
فقط قال لأن لفظة مع تباين
من يكون كافرا فانه
لايقال الله معه وعلى أنه
أريد بالجمع التثنية حمله
سيبويه وكأنهما لشرفهما
عند الله عاملهما فى الخطاب
معاملة الجمع اذ كان ذلك
جائزا أن يعامل به الواحد
لشرفه وعظمته عنده
وأفرد رسول هنا ولم يثن
كما فى قوله انا رسولا ربك
اما لانه مصدر بمعنى الرسالة
فجاز أن يقع مفردا خبرا
لمفرد فما فوقه واما لكونهما ذوى شريعة واحدة فكأنهما رسول واحد وأريد بقوله انا ان كل واحد منا رسول ورسول رب
العالمين فيه رد عليه وانه مربوب لله تعالى باداه بنقض ما كان أبرمه من ادعاء الالوهية ولذلك أنكر فقال ومارب العالمين
والمعنى اليك * وان أرسل يجوز أن تكون تفسيرية لما فى رسول من معنى القول وأن تكون مصدرية وأرسل بمعنى أطلق
وسرح كما تقول أرسلت الحجر من يدى وأرسلت الصقر وكان موسى عليه السلام مبعوثا الى فرعون فى أمرين ارسال
بنى اسرائيل ليزول عنهم العبودية والايمان بالله وبعث بالعبادات والشرع الى بنى اسرائيل وارسالهم معهما كان الى
فلسطين وكانت مسكن موسى وهارون

ولاينطلق لسانى فأرسل الى هرون ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا بآياتنا انا
معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل ﴾ هذه
السورة كلها مكية فى قول الجمهور الا أربع آيات من والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر السورة
وقاله ابن عباس وعطاء وقتادة * وقال مقاتل أولم يكن لهم آية الآية مدنية * ومناسبة أولها الآخر
ماقبلها انه قال تعالى فقد كذبتم فسوف يكون لزاما ذكر تلهف رسول الله صلى الله عليه وسلم على
كونهم لم يؤمنوا وكونهم كذبوا بالحق لما جاءهم ولما أوعدهم فى آخر السورة بقوله فسوف يكون
لزاما أوعدهم فى أول هذه فقال فى اثر اخباره بتكذيبهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن
وتلك اشارة الى آيات السورة أو آيات القرآن وامال فتحة الطاء حمزة والكسائى وأبو بكر وباقى
السبعة بالفتح وحمزة باظهار نون سين وباقى السبعة بادغامها وعيسى بكسر الميم من طسم هنا وفى
القصص وجاء كذلك عن نافع وفى مصحف عبد الله ط س م مقطوع وهى قراءة أبى جعفر
وتكلموا على هذه الحروف بما يشبه اللغز والاحاجى فتركت نقله اذ لادليل على شىء مما قالوه
* والكتاب المبين هو القرآن هو بين فى نفسه ومبين غيره من الأحكام والشرائع وسائر ما اشتمل
عليه أو مبين اعجازه وصحة أنه من عند الله وتقدم تفسير باخع نفسك فى أول الكهف * ألا يكونوا أى
لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لايؤمنوا * وقرأ قتادة وزيد بن على باخع نفسك على الاضافة * ان نشأ ننزل
دخلت ان على نشأ وان للممكن أو المحقق المنبهم زمانه * قال ابن عطية مافى الشرط من الابهام هو فى
هذه الآية فى حيزنا واما الله تعالى فقد علم انه لاينزل عليهم آية اضطرار وانما جعل الله آيات الانبياء
والآيات الدالة عليه معرضة للنظر والفكر ليهتدى من سبق فى علمه هداه ويضل من سبق ضلاله
وليكون للنظرة كسب به يتعلق الثواب والعقاب وآية الاضطرار تدفع جميع هذا ان لو كانت
انتهى ومعنى آية أى ملجئة الى الايمان يقهر عليه * وقرأ أبو عمرو فى رواية هرون عنه ان يشأ ينزل
على الغيبة أى ان يشأ الله ينزل وفى بعض المصاحف لو شئنا لأنزلنا * وقرأ الجمهور فظلت ماضيا
بمعنى المستقبل لانه معطوف على ينزل * وقرأ طلحة فتظلل * وأعناقهم * قال الزمخشرى (فان قلت)
كيف صح مجىء خاضعين خبرا عن الاعناق * قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخشوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهبت أهل اليمامة كان الاهل غير
مذكور انتهى * وقال مجاهد وابن زيد والأخفش جماعاتهم يقال جاءنى عنق من الناس أى جماعة
ومنه قول الشاعر * ان العراق وأهله عنق اليك فهيت هيتا * وقيل أعناق الناس رؤساؤهم

ومقدموهم شبهوا بالأعناق كما قيل * لهم الرؤس والنواصي والصدور * قال الشاعر
* في محفل من نواصي الخيل مشهود * وقيل أريد الجارحة * فقال ابن عيسى هو على حذف
مضاف أي أصحاب الأعناق ورجح هذا المحذوف في قوله خاضعين حيث جاء جمع المذكر العاقل
أولا حذف ولكنه اكتسى من اضافته للمذكر العاقل وصفه فأخبر عنه اخباره كما يكتسي المذكر
التأنيث من اضافته الى المؤنث في نحو * كما شرقت صدر القناة من الدم * أولا حذف ولكنه لما
وضعت لفعل لا يكون الا مقصودا للعاقل وهو الخضوع جمعت جمعه كما جاء اتينا طائعين * وقرأ عيسى
وابن أبي عبلة خاضعة * وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية ستكون لنا عليهم الدولة
فتذل أعناقهم بعد معاوية ويلحقهم هوان بعد عز * وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث تقدم
تفسيره في الأنبياء * الا كانوا جملة حالية أي الا يكونوا عنها وكان بدل ذلك أن ديدنهم وعادتهم
الاعراض عن ذكر الله * قال الزمخشري (فان قلت) كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد
وهو الاعراض (قلت) كان قبل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف
عليهم قدره وصار عرضة الاستهزاء بالسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة
ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له انتهى * فسيأتيهم وعيد بعذاب الدنيا كيوم
بدر وعذاب الآخرة ولما كان اعراضهم عن النظر في صانع الوجود وتكذيب ما جاءهم به رسله
من أعظم الكفر وكانوا يجعلون الاصنام آلهة مع تعالى على قدرته وانه الخالق المنشئ الذي يستحق
العبادة بقوله أولم يروا الى الارض وازوج السوع * وقيل النوع وشكله * وقيل أبيض وأسود
وأحمر وأصفر وحلو وحامض * وقال الفراء الزوج اللون والكريم الحسن قاله مجاهد وقتادة
* وقيل ما أكل الناس والبهائم * وقيل الكثير المنفعة * وقيل الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد
وجه كريم مرضي في حسنه وجاله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق
الصفوف من كرمه أي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه ويراد الأشياء التي بها قوام الأمور
والأغذية والنباتات ويدخل في ذلك الحيوان لانه عن اثنين قال تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا
* قال الشعبي الناس من نبات الارض فمن صار الى الجنة فهو كريم ومن صار الى النار فضد ذلك
* قال الزمخشري (فان قلت) ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل أنبتنا فيها من كل زوج كريم (قلت)
دل كل على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط
الكثرة فهذا معنى الجمع وبه نبه على كمال قدرته انتهى وأفرد لآية وان كان قد سبق ما دل على الكثرة
في الأزواج وهو كم وعلى الاحاطة بالعموم في الأزواج لان المشار اليه واحد وهو الانبات وان
اختلفت متعلقاته أو أريد ان في كل واحد من تلك الأزواج لآية * وما كان أكثرهم مؤمنين تسجيل
على أكثرهم بالكفر * وان ربك لهو العزيز الرحيم أي الغالب القاهر ولما كان الموضع موضع
بيان القدرة قدم صفة العزة على صفة الرحمة فالرحمة اذا كانت عن قدرة كانت أعظم وقعا والمعنى انه
عزيز في نقمته من الكفار رحيم مؤمني كل أمة ولما ذكر تكذيب قريش بما جاءهم من الحق
واعراضهم ذكر قصة موسى عليه السلام وما قاسى مع فرعون وقومه ليكون ذلك تسلية لمن
كان يلقاه عليه الصلاة والسلام من كفار قريش واذ كانت قريش قد اتخذت آلهة من دون الله
وكان قوم فرعون قد اتخذوه لها وكان أتباع موسى عليه السلام هم المجاورون من آمن بالرسول
صلى الله عليه وسلم [illegible] قصة موسى ثم ذكر بعد ذلك ما يأتي ذكره من القصص والعامل في اذ قال

الزجاج اتل مضمرة أى اتل هذه القصة فيما يتلو اذ نادى ودليل ذلك واتل عليهم نبأ ابراهيم إذ * وقيل العامل اذكر وهو مثل واتل ومعنى نادى دعا * وقيل أمر * وأن يجوز أن تكون مصدرية وأن تكون تفسيرية وسجل عليهم بالظلم لظلم أنفسهم بالكفر وظلم بنى اسرائيل بالاستعباد وذبح الأولاد *وقوم فرعون * قيل بدل من القوم الظالمين والأجود أن يكون عطف بيان لانهما عبارتان يعتقبان على مدلول واحد اذ كل واحد عطف البيان وسوغه مستقل بالاسناد ولما كان القوم الظالمين يوهم الاشتراك أتى عطف البيان بازالته إذ هو أشهر * وقرأ الجمهور ألا يتقون بالياء على الغيبة * وقرأ عبدالله بن مسلم بن يسار وشقيق بن سلمة وحماد بن سلمة وأبو قلابة بتاء الخطاب على طريقة الالتفات اليهم انكارا وغضبا عليهم وان لم يكونوا حاضرين لانه مبلغهم ذلك ومكافحهم *قال ابن عطية معناه قل لهم فجمع فى هذه العبارة من المعانى نفى التقوى عنهم وأمرهم بالتقوى * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم تعلق قوله ألا يتقون (قلت) هو كلام مستأنف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التى سعت فى الظلم والعسف ومن أمنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من أيام الله و يحتمل أن يكون ألا يتقون حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الانكار على الحال انتهى وهذا الاحتمال الذى أورده خطأ فاحش لانه جعله حالا من الضمير فى الظالمين وقد أعرب هو قوم فرعون عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبى بينهما لان قوم فرعون معمول لقوله ائت والذى زعم انه حال معمول لقوله الظالمين وذلك لايجوز أيضا ولو لم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون لم يجز أن تكون الجملة حالا لان مابعد الهمزة يمتنع أن يكون معمولا لما قبلها وقولك جئت أمسرعا على أن يكون أمسرعا حالا من الضمير فى جئت لايجوز فلو أضمرت عاملا بعد الهمزة جاز *وقرئ بفتح النون وكسرها التقدير أفلا يتقوننى فحذفت نون الرفع لالتقاء الساكنين وياء المتكلم اكتفاء بالكسرة * وقال الزمخشرى فى ألا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو أن يكون المعنى ألا ياناس اتقون كقوله ألا يسجدوا انتهى يعنى وحذف ألف ياخطا ونطقا لالتقاء الساكنين وهذا تخريج بعيد والظاهر ان ألا للعرض المضمن الحض على التقوى وقول من قال انها للتنبيه لايصح وكذلك قول الزمخشرى انها للنفى دخلت عليها همزة الانكار ولما كان فرعون عظيم النخوة حتى ادعى الالهية كثير المهابة قد أشربت القلوب الخوف منه خصوصا من كان من بنى اسرائيل قال موسى عليه السلام انى أخاف أن يكذبون * وقرأ الجمهور ويضيق ولا ينطلق بالرفع فيهما عطفا على أخاف فالمعنى انه يفيد ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر وامتناع انطلاق اللسان * وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى وزيد بن علىّ وأبو حيوة وزائدة عن الأعمش ويعقوب بالنصب فيهما عطفا على يكذبون فيكون التكذيب ومابعده يتعلق بالخوف * وحكى أبو عمرو الدانى عن الأعرج انه قرأ بنصب ويضيق ورفع ولا ينطلق وعدم انطلاق اللسان هو بما يحصل من الخوف وضيق الصدر لان اللسان إذ ذاك يتلجلج ولا يكاد يبين عن مقصود الانسان * وقال ابن عطية وقد يكون عدم انطلاق اللسان بالقول لغموض المعانى التى تطلب لها ألفاظ محررة فاذا كان هذا فى وقت ضيق الصدر لم ينطلق اللسان *فأرسل الى هارون معناه يعيننى ويوازرنى وكان هارون عليه السلام فصيحا واسع الصدر فحذف بعض المراد من القول إذ باقيه دال عليه انتهى * وقال الزمخشرى ومعنى فأرسل الى هارون أرسل اليه جبريل عليه السلام واجعله نبيا وأزرنى به

(الدر)

﴿سورة الشعراء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(ش) ويحتمل أن يكون ألا يتقون حالا من الضمير فى الظالمين أى يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال (ح) هذا الاحتمال الذى أورده خطأ فاحش لانه جعله حالا من الضمير فى الظالمين وقد أعرب هو قوم فرعون عطف بيان فصار فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبى منهما لان قوم فرعون معمول لقوله أئت والذى زعم أنه حال معمول لقوله الظالمين وذلك لايجوز وأيضا لو لم يفصل بينهما بقوله قوم فرعون لم يجز أن تكون الجملة حالا لان مابعد الهمزة يمتنع أن يكون معمولا لما قبلها وقولك جئت أمسرعا على أن يكون أمسرعا حالا من الضمير فى جئت لايجوز فلو أضمرت عاملا بعد الهمزة جاز

واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد أحسن في الاختصار حيث قال فأرسل الى هارون فجاء بما يتضمن معنى الاستثناء وقوله اني أخاف الى آخره بعد ان أمره الله بان يأتي القوم الظالمين ليس توقفا في أمره الله تعالى به ولكنه طلب من الله أن يعضده بأخيه حتى يتعاونا على انفاذ أمره تعالى وتبليغ رسالته مهد قبل طلب ذلك عذره ثم طلب وطلب العون دليل على القبول لا على التوقف والتعلل ومفعول أرسل محذوف * فقيل جبريل كما تقدم ذكره وفي الخبر ان الله أرسل موسى الى هارون وكان هارون بمصر حين بعث الله موسى نبيا بالشام * قال السدي سار بأهله الى مصر فالتقى بهارون وهو لا يعرفه فقال أنا موسى فتعارفا وأمرهما أن ينطلقا الى فرعون لأداء الرسالة فصاحت أمهما لخوفها عليهما فذهبا اليه * ولهم علي ذنب أي قبلي قود ذنب أو عقوبة وهو قتله القبطي الكافر خباز فرعون بالوكزة التي وكزها أو سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء السيئة سيئة وليس قول موسى ذلك تلكأ في أداء الرسالة بل قال ذلك استدفاعا لما يتوقعه منهم من القتل وخاف أن يقتل قبل أداء الرسالة ويدل على ذلك قوله كلا وهي كلمة الردع ثم وعده تعالى بالكلاءة والدفع وكلا رد لقوله اني أخاف أي لا تخف ذلك فاني قضيت بنصرك وظهورك * وقوله فاذهبا أمر لهما بخطاب لموسى فقط لان هارون ليس بمكلم باجماع ولكنه قال لموسى اذهب أنت وأخوك * قال الزمخشري جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس الموازرة بأخيه فأجابه بقوله اذهب أي اذهب أنت والذي طلبته هارون (فان قلت) علام عطف قوله اذهبا (قلت) على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع ياموسى عما تظن فاذهب أنت وهارون بآياتنا بجميع ما بعثهما الله به وأعظم ذلك العصا وبها وقع العجز * قال ابن عطية ولا خلاف ان موسى هو الذي حمله الله أمر النبوة وكلفها وان هارون كان نبيا رسولا معينا له ووزيرا انتهى * ومعكم قيل من وضع الجمع موضع المثنى أي معكما * وقيل هو على ظاهره من الجمع والمراد موسى وهارون ومن أرسلا اليه وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير يرجح أن يكون أريد بصورة الجمع المثنى والخطاب لموسى وهارون فقط قال لان لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه لا يقال الله معه وعلى انه أريد بالجمع التثنية حمله سيبويه رحمه الله وكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع إذ كان ذلك جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته * قال ابن عطية مستمعون اهتبالا ليس في صيغة سامعون والا فليس يوصف الله تعالى بطلب الاستماع وانما القصد اظهار التهمم ليعظم أنس موسى أو يكون الملائكة بأمر الله اياها تستمع * وقال الزمخشري معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع ما يجري بينكما وبينه فأظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه انتهى ويجوز أن يكون معه متعلقا بمستمعون وأن يكون خبرا ومستمعون خبر ثان والمعية هنا مجاز وكذلك الاستماع لانه بمعنى الاصغاء ولا يلزم من الاستماع السماع تقول أسمع اليه فاسمع واستمع اليه فسمع كما قال استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا وأفرد رسول هنا ولم يثن كما في قوله انا رسولا ربك امالانه مصدر بمعنى الرسالة فجاز أن يقع مفردا خبرا لمفرد فافوقه وامالكونهما ذوي شريعة واحدة فكأنهما رسول واحد أو أريد بقوله أنا أو كل واحد منا رسول * ورسول رب العالمين فيه رد عليه وانه مربوب لله تعالى باده بنقض ما كان أبرمه من ادعاء الألوهية ولذلك أنكر فقال وما رب العالمين والمعنى اليك وان أرسل يجوز أن تكون تفسيرية لما في رسول من معنى القول وأن تكون مصدرية وأرسل بمعنى

(الدر)

(ح) معكم قيل من موضع الجمع موضع المثنى أي معكما وقيل هو على ظاهره من الجمع والمراد موسى وهرون ومن أرسلا اليه وكان شيخنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير يرجح ان يكون أريد بصورة الجمع المثنى والخطاب لموسى وهارون فقط قال لأن لفظة مع تباين من يكون كافرا فانه لا يقال الله معه وعلى انه أريد بالجمع التثنية حمله سيبويه رحمه الله وكأنهما لشرفهما عند الله عاملهما في الخطاب معاملة الجمع اذ كان ذلك جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه وعظمته

﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ الآية يروى أنهما انطلقا الى فرعون وأديا الرسالة فعرف موسى فقال له ألم نربك فينا وليدا وفي الكلام حذف يدل عليه المعنى تقديره فأتيا فرعون فقالا له ذلك ولما بادهه موسى بأنه رسول رب العالمين وأمره بارسال بني اسرائيل معه أخذ يستحقره ويضرب عن المرسل وما جاء به من عنده ويذكره بحالة الصغر والمن عليه بالتربية ﴿والوليد الصبي وهو فعيل بمعنى مفعول أطلق ذلك عليه لقربه من الولادة وقرئ ﴿فعلتك﴾ بفتح الفاء اذ كانت وكزة واحدة وقرأ الشعبي فعلتك بكسر الفاء يريد الهيئة لأن الوكزة نوع من القتل عدد عليه نعمة التربية ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراءه من بني اسرائيل وذكره ما جرى على يده من قتل القبطي وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت لأن في هذا الابهام بكونه لم يصرح انها القتل تهويل للواقعة وتعظيم شأنها ﴿وأنت من الكافرين﴾ بالنعمة التي لي عليك من التربية والاحسان ﴿قال فعلتها اذا﴾ أجابه موسى عليه السلام عن كلامه الأخير المتضمن للقتل اذ كان الاعتذار فيه أهم من الجواب في ذكر النعمة بالتربية لأن فيه ازهاق النفس ﴿وأنا من الضالين﴾ معناه من الجاهلين بان وكزتي اياه تأتي على نفسه ﴿ففررت منكم﴾ الفرار لم يكن منه وحده وانما هو منه ومن ملائه المذكورين قبل ﴿وتلك﴾ اشارة الى المصدر المفهوم من قوله ألم نربك فينا وليدا ذكر هذا أخيرا على ما بدأ به فرعون في قوله ألم نربك فينا والظاهر ان هذا الكلام اقرار من موسى عليه السلام بالنعمة يقول وتربيتك لي نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني واتخذتني ولدا ولكن لا يدفع ذلك رسالتي قال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه ان تكون

ثم نعمة كأنه يقول أو يصح لك ان تعتد على نعمة ترك قتلي من أجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم أي ليست بنعمة لان الواجب كان أن لا تقتلني وان لا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك ولما أخبر موسى فرعون بانه رسول رب العالمين لم يسئل اذ ذاك فيقول وما

أطلق وسرح كما تقول أرسلت الحجر من يدي وأرسلت الصقر وكان موسى مبعوثا الى فرعون في أمرين ارسال بني اسرائيل ليزول عنهم العبودية والايمان بالله وبعث بالعبادات والشرع الى بني اسرائيل وارسالهم معهما كان الى فلسطين وكانت مسكن موسى وهارون ﴿ قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين قال فعلتها اذا وأنا من الضالين ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني اسرائيل قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين قال إن رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون

رب العالمين بل أخذ في المداهاة وتذكار التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي فلما أجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية والقتل وكان في قوله رسول رب العالمين دعاء الى الاقرار بربوبية الله تعالى والى طاعة رب العالمين فأخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى انه رسول من عنده والظاهر أن سؤاله بما كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادة وكان عالما بالله تعالى ويدل عليه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر ولكنه تعامى عن ذلك طلبا للرياسة ودعوى الالهية فاستفهم بما استفهاما عن مجهول من الأشياء فمن ربكما يا موسى لما سأله فرعون وكان السؤال بما التي هي سؤال عن الماهية ولم يمكن الجواب بالماهية أجاب بالصفات التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض وما بينهما ﴿ان كنتم موقنين﴾ بشئ قط فهذا أولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله وهذه المحاورة من فرعون تدل على أن موسى عليه السلام دعاه الى التوحيد ﴿ قال لمن حوله ﴾ هم اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة ﴿ الا تستمعون ﴾ أي ألا تصغون الى هذه المقالة اغراء به وتعجبا اذ كانت عقيدتهم ان فرعون ربهم ومعبودهم ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ نبههم على منشئهم ومنشئ آبائهم وجاء في قوله الأولين دلالة على اماتتهم بعد ايجادهم وانتقل من الاستدلال بالعام الى ما يخصهم ليكون أوضح لهم في بيان بطلان دعوى فرعون الالهية اذ كان آباؤهم الاولون تقدموا فرعون في الوجود فمحال ان يكون وهو في العدم الصرف الهاهم ﴿قال إن رسولكم ﴾ أي هذا الذي يدعي الرسالة لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فقال موسى عليه السلام

﴿ رب المشرق والمغرب ومابينهما ﴾ فعدل الى طريق أوضح من الثانى وذلك انه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وهذا التقدير المستمر على الوجه العجيب لايتم الابتدبير مدبر يدبره ولما انقطع فرعون فى باب الاحتجاج رجع الى الاستعلاء والغلب وهذا أبين علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين أعياه خطابه ﴿ قال لئن اتخذت إلها غيرى ﴾ الآية ولما كان عند موسى عليه السلام من أمر الله تعالى مالايروعه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع فى ايمانه ﴿ أولو جئتك بشئ مبين ﴾ أى يوضح لك صدقى أفكنت تسجننى حتى فى هذه الحالة التى لايناسب أن أسجن وأنا متلبس بها ولما سمع فرعون هذا من موسى طمع ان يجد موضع معارضة فقال له ﴿ فائت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه ﴾ أى رماها من يده وتقدم الكلام على عصى موسى عليه السلام * والثعبان أعظم مايكون من الحيات ومعنى مبين ظاهر الثعبانية ليست من الأشياء التى تزور بالشعبذة والسحر ﴿ ونزع يده ﴾ من جيبه ﴿ فاذا هى ﴾ تتلألأ كأنها قطعة من الشمس ومعنى للناظرين أى بياضها يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا روى انه لما أبصر أمر العصى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال ماهذه قال يدك فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الأفق

قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشئ مبين قال فائت به ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ﴾ ويروى أنهما انطلقا الى باب فرعون ولم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب ان هنا انسانا يزعم أنه رسول رب العالمين فقال له ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له ألم نربك فينا وليدا وفى الكلام حذف يدل عليه المعنى تقديره فأتيا فرعون فقالا له ذلك ولما بادهه موسى بأنه رسول رب العالمين وأمره بارسال بنى اسرائيل معه أخذ يستحقره ويضرب عن المرسل وعما جاء به من عنده ويذكره بحالة الصغر والمن عليه بالتربية والوليد الصبى وهو فعيل بمعنى مفعول أطلق ذلك عليه لقربه من الولادة * وقرأ أبو عمرو فى رواية من عمرك باسكان الميم وتقدم ذكر الخلاف فى كمية هذه السنين فى طه * وقرأ الجمهور فعلتك بفتح الفاء اذ كانت وكزة واحدة والشعبى بكسر الفاء يريد الهيئة لأن الوكزة نوع من القتل عدد عليه نعمة التربية ومبلغه عنده مبلغ الرجال حيث كان يقتل نظراءه من بنى اسرائيل وذكره ماجرى على يده من قتل القبطى وعظم ذلك بقوله وفعلت فعلتك التى فعلت لأن هذا الابهام بكونه لم يصرح أنها القتل تهويل للواقعة وتعظيم شأن * وأنت من الكافرين يجوز أن يكون حالا أى قتلته وأنت اذذاك من الكافرين فافترى فرعون بنسبة هذه الحال اليه اذذاك والأنبياء عليهم السلام معصومون ويجوز أن يكون اخبارا مستأنفا من فرعون حكم عليه بأنه من الكافرين بالنعمة التى لى عليك من التربية والاحسان قاله ابن زيد أو من الكافرين بى فى أنى الهك قاله الحسن أو من الكافرين بالله لأنك كنت معنا على ديننا هذا الذى نعيبه الآن قاله السدى * قال فعلتها اذا اجابه موسى عن كلامه الأخير المتضمن للقتل اذ كان الاعتذار فيه أهم من الجواب فى ذكر النعمة بالتربية لأنه فيه ازهاق النفس * قال ابن عطية اذن صلة فى الكلام وكأنها بمعنى حينئذ انتهى وليس بصلة بل هى حرف معنى وقوله وكأنها بمعنى حينئذ ينبغى أن يجعل قوله تفسير معنى اذ لا يذهب أحد الى أن اذن ترادف من حيث الاعراب حينئذ * وقال الزمخشرى (فان قلت) اذا جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء (قلت) قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بمافعلت فقال له موسى نعم فعلتها

(الدر)

(ع) اذن صلة فى الكلام وكأنها بمعنى حينئذ (ح) ليست بصلة بل هى حرف معنى وقوله وكأنها بمعنى حينئذ ينبغى ان يجعل قوله تفسير معنى اذ لا يذهب أحد الى ان اذن ترادف من حيث الاعراب حينئذ (ش) فان قلت اذن جواب وجزاء معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع خبرا * قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتى بمافعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده جديرة بان يجازى بمثل ذلك الجزاء (ح) هذا الذى ذكره من ان اذن جواب وجزاء معا هو قول سيبويه لكن الشراح فهموا أنها قد تكون جوابا وجزاء معا وقد تكون جوابا فقط دون جزاء فالمعنى اللازم لها هو الجواب وقد تكون مع ذلك جزاء وجعلوا قوله فعلتها اذن من المواضع التى جاءت فيها جوابا لا جزاء على أن بعض أئمتنا تكلف هنا كونها جزاء وجوابا وهذا كله

مجازيا لك تسليما لقوله كان نعمته كانت عنده جديرة بأن تجازى بنحو ذلك الجزاء انتهى وهذا الذى ذكره من أن اذا جواب وجزاء معا هو قول سيبويه لكن الشراح فهموا أنها قد تكون جوابا وجزاء معا وقد تكون جوابا فقط دون جزاء فالمعنى اللازم لها هو الجواب وقد يكون مع ذلك جزاء وحملوا قوله فعلتها اذا من المواضع التى جاءت فيها جوابا لآخر على أن بعض أئمتنا تكلف هنا كونها جزاء وجوابا وهذا كله محرر فيما كتبناه فى اذن فى شرح التسهيل وانما أردنا أن نذكر أن ماقاله الزمخشرى ليس هو الصحيح ولا قول الاكثرين * وأنا من الضالين * قال ابن زيد معناه من الجاهلين بأن وكزتى اياه تأتى على نفسه * وقال أبو عبيدة من الناسين ونزع لقوله أن تضل احداهما وفى قراءة عبد الله وابن عباس وأنا من الجاهلين ويظهر أنه تفسير للضالين لا قراءة مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم * وقال الزمخشرى من الفاعلين فعل أولى الجهل كما قال يوسف لاخوته اذ أنتم جاهلون أو المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل أو الذاهبين عن تلك الصفة انتهى * وقيل من الضالين يعنى عن النبوة ولم يأتنى عن الله فيه شئ فليس على فيما فعلته فى تلك الحالة توبيخ * ومن غريب ماشرح به ان معنى وأنا من الضالين أى من المحبين لله وماقتلت القبطى الا غيرة لله * قيل والضلال يطلق ويراد به المحبة كما فى قوله انك لفى ضلالك القديم أى فى محبتك القديمة وجمع ضمير الخطاب فى منكم وخفتكم بأن كان قد أفرد فى تمنها وعبدت لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده وانما منه ومن ملئه المذكورين قبل أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون وهم كانوا قوما يأتمرون بقتله ألا ترى الى قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج * وقرأ الجمهور لما حرف وجوب لوجوب على قول سيبويه وظرفا بمعنى حين على مذهب الفارسى * وقرأ حمزة فى رواية لما بكسر اللام وتخفيف الميم أى بخوفكم * وقرأ عيسى حكما بضم الكاف والجمهور بالاسكان والحكم النبوة * وجعلنى من المرسلين درجة ثانية للنبوة فرب نبى ليس برسول * وقيل الحكم العلم والفهم * وتلك نعمة تمنها على وتلك اشارة الى المصدر المفهوم من قوله ألم نربك فينا وليدا وذكر بهذا آخرا على مابدأ به فرعون فى قوله ألم نربك والظاهر ان هذا الكلام اقرار من موسى عليه السلام بالنعمة كانه يقول وتربيتك لى نعمة على من حيث عبدت غيرى وتركتنى واتخذتنى ولدا ولكن لا يدفع ذلك رسالتى والى هذا التأويل ذهب السدى والطبرى * وقال قتادة هذا منه على جهة الانكار عليه أن تكون نعمة كانه يقول أو يصح لك أن تعتد على نعمة ترك قتلى من أجل أنك ظلمت بنى اسرائيل وقتلتهم أى ليست بنعمة لأن الواجب كان أن لا تقتلنى ولا تقتلهم ولا تستعبدهم بالقتل والخدمة وغير ذلك * وقرأ الضحاك وتلك نعمة مالك أن تمنها وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل وهذا التأويل فيه مخالفة لفرعون ونقض كلامه كله والقول الاول فيه انصاف واعتراف * وقال الاخفش والفراء قبل الواو همزة استفهام يراد به الانكار وحذفت لدلالة المعنى عليها ورده النحاس بأنها لا تحذف لانها حرف يحدث معنى الا ان كان فى الكلام أم لا خلاف فى ذلك الا شيأ قاله الفراء من أنه يجوز حذفها مع أفعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا بمعنى ألا ترى وكان الاخفش الاصغر يقول أخذه من ألفاظ العامة * وقال الضحاك الكلام اذا خرج مخرج التبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام والمعنى لو لم يقتل بنى اسرائيل لرباني أبواى فأى نعمة لك على فأنت تمن على بما لا يجب أن تمن به * وقيل اتخاذك بنى اسرائيل عبيدا أحبط نعمتك التى تمن بها * وقال الزمخشرى وأبى يعنى موسى عليه السلام أن يسمى نعمته أن

(الدر)

محرر فيما كتبناه فى اذن فى شرح التسهيل وانما أردنا أن نذكر أن ماقاله (ش) ليس هو الصحيح ولا قول الاكثرين

لا نعمة حيث بين ان حقيقة انعامه تعبد بني اسرائيل لان تعبدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكأنه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل وأعبدته اذا اتخذته عبدا قال الشاعر

علام يعبدني قومي وقد كثرت * فيهم أباعر ماشاؤا وعبدان

(فان قلت) وتلك اشارة الى ماذا وأن عبدت مامحلها من الاعراب (قلت) تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ماهي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي * وقال الزجاج يجوز أن يكون في موضع نصب المعنى انها صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل أي لو لم تفعل لكفلني أهلي ولم يلقوني في اليم انتهى * وقال الحوفي أن عبدت بني اسرائيل في موضع نصب مفعول من أجله * وقال أبو البقاء بدل ولما أخبر موسى فرعون بانه رسول رب العالمين لم يسأل اذ ذاك فيقول ومارب العالمين بل أخذ في المداهاة وتذكار التربية والتقبيح لما فعله من قتل القبطي فلما أجابه عن ذلك انقطعت حجته في التربية والقتل وكان في قوله رسول رب العالمين دعاء الى الاقرار بربوبية الله والى طاعة رب العالم فأخذ فرعون يستفهم عن الذي ذكر موسى انه رسول من عنده والظاهر ان سؤاله انما كان على سبيل المباهتة والمكابرة والمرادة وكان عالما بالله ويدل عليه لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر ولكنه تعامى عن ذلك طلبا للرياسة ودعوى الالهية واستفهم بما استفهاما عن مجهول من الأشياء * قال مكي كما يستفهم عن الاجناس وقد ورد له استفهام بمن في موضع آخر ويشبه انهما مواطن انتهى والموضع الآخر قوله فمن ربكما ياموسى ولما سأله فرعون وكان السؤال بما التي هي سؤال عن الماهية ولم يمكن الجواب بالماهية أجاب بالصفات التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها وهي ربوبية السموات والارض وما بينهما * وقال الزمخشري وهذا السؤال لا يخلو أن يريد به أي شيء من الأشياء التي شوهدت وعرفت أجناسها فأجاب بما يستدل عليه من أفعاله الخاصة ليعرفه انه ليس مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الأشياء ليس كمثله شيء واما أن يريد انه شيء على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ماهي فأجاب بان الذي سألت عنه ليس اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة بيانه بصفاته استدلالا بأفعاله الخاصة على ذلك وأما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان كون سؤاله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه ألا ترى انه يعلم حدوثه بعد العدم وانه محل للحوادث وانه لم يدع الالهية الا في محل ملكه مصر وانه لم يكن ملك الارض بل كان فيها ملوك غيره وأنبياء في ذلك الزمان يدعون الى الله كشعيب عليه السلام وانه كان مقرا بالله تعالى في باطن أمره وجاء قوله ومابينهما على التثنية والعائد عليه الضمير مجموع اعتبارا للجنسين جنس السماء وجنس الارض كاثني المظهر في قوله * بين رماحي مالك ونهشل * اعتبارا للجنسين * وقال أبو عبد الله الرازي يحتمل أن يقال كان عالما بالله ولكنه قال ماقال طلبا للملك والرياسة وقد ذكر تعالى في كتابه مايدل على انه كان عارفا بالله وهو قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الآية ويحتمل انه كان على مذهب الدهرية من ان الافلاك واجبة الوجود لذواتها وان حركاتها أسباب لحصول الحوادث بالفاعل المختار ثم اعتقد انه بمنزلة الإله لأهل اقليمه من حيث استعبدهم وملك

(الدر)

(ش) والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام أن يكون سؤاله انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية (ح) ولا يظهر أن فرعون كان سؤاله انكار الان يكون للعالمين رب سواه ألا ترى أنه يعلم حدوثه بعد العدم وانه محل للحوادث ويعلم أنه لم يدع الالهية الا في محل ملكه مصر وانه لم يكن ملك الارض بل كان فيها ملوك غيره وأنبياء في ذلك الزمان يدعون الى الله تعالى كشعيب عليه السلام وانه كان مقرا بالله تعالى في باطن أمره

زمام أمرهم ويحتمل أن يقال كان على مذهب الحلولية القائلين بأن ذات الاله تقرر بجسد انسان معين حتى يكون الاله سبحانه بمنزلة روح كل انسان بالنسبة الى جسده وبهذه التقديرات كان يسمى نفسه الها انتهى ومعنى ان كنتم موقنين ان كان يرجى منكم الايقان الذى يؤدى الى النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والالم ينفعكم أوان كنتم موقنين بشئ قط فهذا أولى ماتوقنون به لظهوره وانارة دليله وهذه المحاورة من فرعون تدل على ان موسى عليه السلام دعاه الى التوحيد * قال لمن حوله هم أشراف قومه * قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة * ألا تستمعون أى ألا تصغون الى هذه المقالة اغراء به وتعجبا اذ كانت عقيدتهم ان فرعون ربهم ومعبودهم * قال ابن عطية والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها فى مصر وديارنا الى اليوم بقية انتهى يشير الى ماأدركه فى عصره من ملوك العبيديين الذين كان أتباعهم تدعى فيهم الالهية وأقاموا ملوكا بمصر من زمان المعز الى زمان العاضد الى ان محى الله دولتهم بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شارى رضى الله عنه فلقد كانت له مآثر فى الاسلام منها فتح بيت المقدس وبلاد كثيرة من سواحل الشام كان النصارى مستولين عليها فاستنقذها منهم * قال ربكم ورب آبائكم الأولين نبههم على منشئهم ومنشئ آبائهم وجاء فى قوله الاولين دلالة على اماتتهم بعد ايجادهم وانتقل من الاستدلال بالعام الى مايخصهم ليكون أوضح لهم فى بيان بطل دعوى فرعون الالهية اذ كان آباؤهم الاولون تقدموا فرعون فى الوجود فمحال ان يكون وهو فى العدم الهالهم * قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون * قال أبو عبد الله الرازى التعريف بهذا الأثر أظهر فلهذا عدل موسى عليه السلام من الكلام الاول اليه اذ كان لايمكن أن يعتقد العاقل فى نفسه وفى آبائه كونهم واجبى الوجود لذواتهم لان المشاهدة دلت على وجودهم بعد عدمهم وعدمهم بعد وجودهم فعند ذلك قال فرعون ماقال يعنى أن المقصود من سؤال ماطلبت الماهية وخصوصية الحقيقة والتعريف بهذه الآثار الخارجية لاتفيد تلك الخصوصية فهذا الذى يدعى الرسالة مجنون لايفهم السؤال فضلا عن أن يجيب عنه فقال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق أوضح من الثانى وذلك انه أراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وأراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وهذا التقدير المستمر على الوجه العجيب لايتم الابتدبير مدبر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه السلام مع نمروذ فانه استدل أولا بالاحياء والاماتة وهو الذى ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله ربكم ورب آبائكم الأولين فأجابه نمروذ بقوله أنا أحيى وأميت فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب فبهت الذى كفر وهو الذى ذكره موسى عليه السلام هنا بقوله رب المشرق والمغرب ومابينهما ان كنتم تعقلون أى ان كنتم من العقلاء عرفتم انه لاجواب عن السؤال الاماذكرت انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال ابن عطية زاده موسى عليه السلام فى بيان الصفات التى تظهر نقص فرعون وتبين انه فى غاية البعد عن القدرة عليها وهى ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الاملك مصر من البحر الى اسوان وأرض الاسكندرية * وقرأ مجاهد وحميد والأعرج أرسل اليكم على بناء الفاعل أى أرسله ربه اليكم * وقرأ عبد الله وأصحابه والاعمش رب المشارق والمغارب على الجمع فيهما ولما انقطع فرعون فى باب الاحتجاج رجع الى الاستعلاء والغلب وهذا أبين علامات الانقطاع فتوعد موسى بالسجن حين أعياه خطابه * قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين * وقال الزمخشرى لما

(الدر)

(ع) والفراعنة قبله كذلك وهذه ضلالة منها فى مصر وديارنا الى اليوم بقية (ح) يشير الى ماأدركه فى عصره من ملوك العبيديين الذين كان اتباعهم يدعى فيهم الالهية وأقاموا ملوكا بمصر من زمان المعز الى زمان العاضد الى أن محا الله دولتهم بظهور الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شارى رضى الله عنه فلقد كانت له مآثر فى الاسلام منها فتح بيت المقدس وبلاد كثيرة من سواحل الشام كان النصارى مستولين عليها فاستنقذها منهم

أجاب موسى بما أجاب عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنن به حيث سماه رسولهم فلما ثلث احتد واحتدم وقال لئن اتخذت إلها غيري (فان قلت) كيف قال أولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون (قلت) لاين أولا فلما رأى شدة الشكيمة فى العناد وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون (فان قلت) ألم يكن لأسجننك أخصر من لأجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه (قلت) أما أخصر فنعم وأما مؤديا مؤداه فلا لان معناه لأجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم فى سجونى وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه فى هوة ذاهبة فى الأرض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك أشد من القتل انتهى ولما كان عند موسى عليه السلام من أمر فرعون بالاير وعه معه توعد فرعون قال له على جهة اللطف به والطمع فى ايمانه أو لو جئتك بشئ مبين أي يوضح لك صدقى أفكنت تسجننى * قال الزمخشرى أولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين انتهى وتقدم لنا الكلام على هذه الوا والداخلة على لو فى مثل هذا السياق فى قوله أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون فأغنى عن اعادته * وقال الحوفى واو العطف دخلت عليها همزة الاستفهام للتقرير والمعنى أتسجننى حتى فى هذه الحالة التى لا تناسب أن أسجن وأنا متلبس بها ولما سمع فرعون هذا من موسى طمع أن يجد موضع معارضة فقال له فائت به ان كنت من الصادقين ان لك ربا بعثك رسولا الينا * قال الزمخشرى وفى قوله ان كنت من الصادقين دليل على انه لا يأتى بالمعجزة إلا الصادق فى دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعى النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه مثل هذا وخفى على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات انتهى وتقديره ان كنت من الصادقين فائت به حذف الجزاء لان الأمر بالاتيان يدل عليه وقدره الزمخشرى ان كنت من الصادقين فى دعواك أتيت به جعل الجواب المحذوف فعلا ماضيا ولا يقدر إلا من جنس الدليل بقولهم أنت ظالم ان فعلت تقديره أنت ظالم ان فعلت فأنت ظالم * وقال الحوفى ان حرف شرط يجوز أن يكون ما تقدم جوابه وجاز تقديم الجواب لان حذف الشرط لم يعمل فى اللفظ شيأ ويجوز أن يكون الجواب محذوفا تقديره فائت به وقول الزمخشرى حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات اشارة الى انكار الكرامات التى ذهب أهل السنة الى اثباتها والمعجز عندهم هو ما كان خارقا للعادة ولا يكون إلا لنبى أو فى زمان نبى ان جرى على يد غيره فتكون معجزة لذلك النبى أو على سبيل الارهاص لنبى * فألقى عصاه أى رماها من يده وتقدم الكلام على عصا موسى عليه السلام * والثعبان أعظم ما يكون من الحيات * ومعنى مبين ظاهر الثعبانية ليست من الأشياء التى تزور بالشعبذة والسحر ونزع يده من جيبه فاذا هى تتلألأ كأنها قطعة من الشمس ومعنى للناظرين أى بياضها يجمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نورانيا * روى انه لما أبصر أمر العصا قال فهل غيرها فأخرج يده فقال ما هذه قال يدك فأدخلها فى إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الأبصار ويسد الأفق ﴿ قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم فجمع السحرة لميقات يوم معلوم وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم

﴿ قال للملأ حوله ﴾ الآية تقدم الكلام عليها ﴿ لميقات يوم معلوم ﴾ وهو يوم الزينة ﴿ قالوا لا ضير ﴾ أى لا ضرر علينا فى وقوع ما توعدتنا به من قطع الأيدى والأرجل والتصليب بل لنا المنفعة التامة بالصبر عليه يقال ضاره يضيره ضيرا وضاره يضوره ضورا ﴿ انا الى ربنا ﴾ أى الى عظيم ثوابه أو لا ضير علينا اذ انقلابنا الى الله تعالى بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه

(الدر)

(س) أو لو جيئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه أتفعل بى ذلك ولو جئتك بشئ مبين (ح) تقدم لنا الكلام على هذه الواو الداخله على لو فى مثل هذا السياق فى قوله أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون فاغنى عن اعادته

الغالبين فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا الى ربنا منقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين * قال ابن عطية وانتصب حوله على الظرف وهو في موضع الحال أي كائنين حوله فالعامل فيه محذوف والعامل فيه هو الحال حقيقة والناصب له قال لانه هو العامل في ذي الحال بواسطة لام الجر نحو مررت بهند ضاحكة والكوفيون يجعلون الملأ موصولا فكأنه قيل قال للذي حوله فلا موضع للعامل في الظرف لانه وقع صلة * وقال الزمخشري (فان قلت) ما العامل في حوله (قلت) هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وذلك استقروا حوله وهذا يقدر في جميع الظروف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال انتهى وهو تكثير وشقشقة كلام في أمر واضح من أوائل علم العربية ولما رأى فرعون أمر العصا واليد وما ظهر فيهما من الآيات هاله ذلك ولم يكن له فيه مدفع فزع الى رميه بالسحر وطمع لغلبة علم السحر في ذلك الزمان أن يكون ثم من يقاومه أو كان علم صحة المعجزة وعمى تلك الحجة على قومه برميه بالسحر وبانه يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره ليقوى تنفيرهم عنه وابتغاؤهم الغوائل له وأن لا يقبلوا قوله اذ من أصعب الأشياء على النفوس مفارقة الوطن الذي نشؤا فيه ثم استأمرهم فيما يفعل معه وذلك لما حل به من التحير والدهش وانحطاطه عن مرتبة ألوهيته الى ان صار يستشيرهم في أمره فيأمرونه بما يظهر لهم فيه فصار مأمورا بعد ان كان آمرا وتقدم الكلام في ماذا تأمرون وفي الالفاظ التي وافقت ما في سورة الاعراف فأغنى عن اعادته ولما قال ان هذا لساحر عليم عارضوا بقوله بكل سحار فجاؤا بكلمة الاستغراق والبناء الذي للمبالغة لينفسوا عنه بعض ما لحقه من الكرب * وقرأ الاعمش وعاصم في رواية بكل ساحر * واليوم المعلوم يوم الزينة وتقدم الكلام عليه في سورة طه وقوله هل أنتم مجتمعون استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كما يخيل اليه ان الناس قد انطلقوا وهو واقف * ومنه قول تأبط شرا

هل أنت باعث دينارا لحاجتنا * أو عبد رب أخا عون بن مخراق

يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به وترجوا اتباع السحرة أي في دينهم ان غلبوا موسى عليه السلام ولا يتبعون موسى في دينه وساقوا الكلام سياق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى عليه السلام ودخلت اذا هنا بين اسم ان وخبرها وهي جواب وجزاء * وبعزة فرعون الظاهر ان الباء للقسم والذي تتعلق به الباء محذوف وعدلوا عن الخطاب الى اسم الغيبة تعظيما كما يقال للملوك أمروا رضي الله عنهم بكذا فيخبر عنه اخبار الغائب وهذا من نوع ايمان الجاهلية وقد سلك كثير من المسلمين في الايمان ما هو أشنع من ايمان الجاهلية لا يرضون بالقسم بالله ولا يعتدون به حتى يحلف أحدهم بنعمة السلطان وبرأس المحلف فحينئذ يستوثق منه * وقال ابن عطية بعد أن ذكر انه قسم قال والأجر أن يكون على جهة التعظيم والتبرك باسمه اذ كانوا يعبدونه كما تقول اذا ابتدأت بعمل شئ

(الدر)

(ش) فان قلت ما العامل في حوله قلت هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وذلك استقروا حوله وهذا يقدر في جميع الظروف والعامل في النصب المحلي هو النصب على الحال (ح) هذا تكثير وشقشقة كلام في أمر واضح من أوائل علم العربية

بسم الله وعلى بركة الله ونحوهـذا وبين قوله قال لهم موسى وقوله لمن المقربين كلام محذوف وهو ماثبت فى الاعراف من تخييرهم إياه فى البداءة من يلقى * قال الزمخشرى (فان قلت) فاعل الالقاء ماهو لوصرح به (قلت) هو الله عزوجل بماخولهم من التوفيق وايمانهم أو بماعاينوا من المعجزة الباهرة ولك أن لاتقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا انتهى وهذا القول الآخر ليس بشئ لا يمكن أن يبنى الفعل للمفعول الذى لم يسم فاعله الاوقدحذف الفاعل فناب ذلك عنه أما انه لايقدر فاعل فقول ذاهب عن الصواب * وقال ابن عطية * قرأ البزى وابن فليح عن ابن كثير بشد التاء وفتح اللام وشد القاف و يلزم على هذه القراءة اذا ابتدأ أن يحذف همزة الوصل وهمزة الوصل لاتدخل على الأفعال المضارعة كمالاتدخل على أسماء الفاعلين انتهى كأنه يخيل انه لا يمكن الابتداء بالكلمة الاباجتلاب همزة الوصل وليس ذلك بلازم كثيراما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن فى القرا آت عرف ذلك * قالوا الاضير أى لاضرر علينا فى وقوع ماوعدتنابه من قطع الأيدى والأرجل والتصليب بل لنافيه المنفعة التامة بالصبر عليه يقال ضاره يضيره ضيرا وضاره يضوره ضورا * انا الى ربنا أى الى عظيم ثوابه أولاضير علينا اذا انقلابنا الى الله بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه * وقال أبو عبدالله الرازى لما آمنوا بأجمعهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه لم تؤمن السحرة على كثرتهم الاعن معرفة بصحة أمر موسى فيؤمنون فبالغ فى التنفير من جهة قوله أآمنتم له قبل أن آذن لكم موهما ان مسارعتهم للايمان دليل على ميلهم اليه قبل و بقوله انه لكبيركم صرح بما رمزه أولا من مواطأتهم وتقصيرهم ليظهر أمر كبيرهم و بقوله فلسوف تعلمون حيث أوعدهم وعيدا مطلقا و بتصريحه بماهددهم به من العذاب فأجابوا بأن ذلك ان وقع لن يضير وفى قولهم انا الى ربنا منقلبون نكتة شريفة وهو انهم آمنوا الارغبة ولارهبة انما قصدوا محض الوصول الى مرضاة الله والاستغراق فى أنوار معرفته انتهى ملخصا ويدفع هذا الأخير قولهم انا نطمع الى آخره ولا يكون ذلك الامن خوف تبعات الخطايا والظاهر بقاء الطمع على بابه كقوله ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * وقيل يحتمل اليقين * قيل كقول ابراهيم عليه السلام والذى أطمع * وقرأ الجمهور أن كنا بفتح الهمزة وفيه الجزم بايمانهم * وقرأ أبان بن تغلب وأبو معاذ ان كنا بكسر الهمزة * قال صاحب اللوامح على الشرط وجاز حذف الفاء من الجواب لأنه متقدم وتقديره ان كنا أول المؤمنين فانا نطمع وحسن الشرط لأنهم لم يتحققوا مالهم عندالله من قبول الايمان انتهى وهذا التخريج على مذهب الكوفيين وأبى زيد والمبرد حيث يجيزون تقديم جواب الشرط عليه ومذهب جمهور البصريين أن ذلك لايجوز وجواب مثل هذا الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه * وقال الزمخشرى هو من الشرط الذى يجىء به المدلول بأمره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم أول المؤمنين ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت فوفنى حقى ومنه قوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى مع علمه انهم لم يخرجوا الالذلك * وقال ابن عطية بمعنى أن طمعهم انما هو بهذا الشرط انتهى و يحتمل أن تكون ان هى المخففة من الثقيلة وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على انهم مؤمنون فلايحتمل النفى والتقدير ان كنا لأول المؤمنين وجاء فى الحديث ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب العسل أى ليحب * وقال الشاعر

ونحن أباة الضيم من آل مالك * وان مالك كانت كرام المعادن

(الدر)

(ش) ولك ان لاتقدر فاعلا لان ألقوا بمعنى خروا وسقطوا انتهى (ح) هذا القول ليس بشئ لايمكن أن يبنى الفعل للمفعول الذى لم يسم فاعله الا وقد حذف الفاعل فناب ذلك عنه اما أنه لايقدر فاعل فقول ذاهب عن الصواب (ع) قرأ البزى وابن فليح عن ابن كثير بشد التاء وفتح اللام وشد القاف و يلزم على هذه القراءة اذا ابتدأ أن تحذف همزة الوصل وهمزة الوصل لاتدخل على الافعال المضارعة كما لاتدخل على أسماء الفاعلين (ح) كأنه تخيل أنه لايمكن الابتداء بالكلمة الاباجتلاب همزة الوصل وليس ذلك بلازم كثيرا ما يكون الوصل مخالفا للوقف والوقف مخالفا للوصل ومن له تمرن فى القرا آت عرف ذلك

﴿وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون﴾ الآية أمر تعالى موسى عليه السلام أن يخرج بنى اسرائيل ليلا من مصر الى تجاه البحر وأخبرانهم سيتبعون فخرج سحرا جاعلا طريق الشام على يساره وتوجه البحر فيقال له فى ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح علم فرعون بسرى موسى ببنى اسرائيل فخرج فى أثرهم وبعث الى مدائن مصر لتلحقه العسا كر وذكروا أعدادا فى أتباع فرعون وفى بنى اسرائيل الله أعلم بصحة ذلك ﴿ان هؤلاء لشرذمة﴾ أى قال ان هؤلاء وصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب قليلا جمع السلامة الذى هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل والظاهر تقليل العدد والشرذمة الجمع القليل المحتقر وشرذمة كل شئ بقيته الخسيسة وقال الجوهرى الشرذمة الطائفة من الناس والقطعة من الشئ وثوب شراذم أى قطع ومعنى حذرون خائفون متحرزون منهم ﴿فأخرجناهم﴾ الضمير عائد على القبط ﴿من جنات وعيون﴾ بحافتى النيل من أسوان الى رشيد ﴿وكنوز﴾ هى الأموال التى خزنوها ﴿ومقام كريم﴾ قال ابن لهيعة هو الفيوم قال الزمخشرى كذلك يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والجر على انه وصف لمقام أى ومقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أى الأمر كذلك انتهى الوجه الأول لايسوغ لانه يؤول الى تشبيه الشئ بنفسه وكذلك الوجه الثانى لان المقام الذى كان لهم هو المقام الكريم ولا يشبه الشئ بنفسه والظاهر ان مشرقين حال من الفاعل أى وقت اشراق الشمس ﴿فلما تراءى الجمعان﴾ أى رأى أحدهما الآخر ﴿قال أصحاب موسى انا لمدركون﴾ أى ملحقون

قالوا ذلك حين رأوا العدو القوى وراءهم والبحر أمامهم وساءت ظنونهم والكاف فى كذلك للتشبيه وذلك اسم اشارة قال الزمخشرى يحتمل ان يكون المعنى أخرجناهم مثل ذلك الاخراج انتهى وهذا لايصح لانه يؤول الى تشبيه الشئ بنفسه والذى يظهر أنه اشارة الى مايفهم من قوله تعالى أن أسر بعبادى

فمعناه أخرجهم من ديار مصر أى مثل ذلك الاخراج لهم كان هذا الاخراج لفرعون وقومه ﴿قال كلا ان معى ربى﴾ زجرهم وردعهم بحرف الردع وهو كلا والمعنى لن يدركوكم لان الله تعالى وعدكم النصر والخلاص منهم ﴿سيهدين﴾ عن قريب الى طريق النجاة ويعرفنيه وسيكفينى أمرهم ولما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدى موسى عليه السلام أين أمرت وهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدرى مايصنع فأوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر وثم محذوف تقديره فضرب فانفلق فضرب موسى بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وأراد تعالى أن يجعل هذه الآية متصلة بموسى عليه السلام ومتعلقة بفعل فعله ولكنه بقدرة الله تعالى اذ ضرب البحر بالعصا لايوجب انفلاق البحر بذاته ولو شاء تعالى لفلقه دون ضربه بالعصا وتقدم الخلاف فى مكان هذا البحر والفرق الجزء المنفصل والطود الجبل العظيم المنطاد فى السماء ﴿وأزلفنا﴾ أى قربنا ﴿ثم﴾ أى هنالك وثم ظرف مكان للبعيد ﴿الآخرين﴾ أى قوم فرعون أى قربناهم ولم يذكر من قربوا منه فاحتمل أن يكون المعنى قربناهم حيث انفلق البحر من بنى اسرائيل أو قربنا بعضهم من بعض حتى لاينجو أحد أو قربناهم من البحر والآخرين فرعون وقومه ﴿ان فى ذلك لآية﴾ لعلامة واضحة عاينها الناس وشاع أمرها والذى يظهر ان قوله ﴿وما كان أكثرهم﴾ أى أكثر قوم فرعون وهم القبط اذ قد آمن من السحرة ناس وآمنت آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وعجوز اسمها مريم

أى وان مالك لكانت كرام المعادن وأول يعنى أول المؤمنين من القبط أو أول المؤمنين من حاضرى ذلك الجمع * وقال الزمخشرى وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم وهذا لايصح لأن بنى اسرائيل كانوا مؤمنين قبل ايمان السحرة ﴿ وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى اسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ تقدم الخلاف فى أسر وانه قرئ بوصل الهمزة وبقطعها فى سورة هود * وقرأ اليمانى ان سر أمر من سار يسير أمر الله موسى عليه السلام أن يخرج بنى اسرائيل ليلا من مصر الى تجاه البحر وأخبره أنهم سيتبعون فخرج سحرا جاعلا طريق الشام

(ع) وقيل هي أي الكنوز كنوز المقطم ومطالبه وهي باقية الى اليوم (ح) وأهل مصر في زماننا

على يساره وتوجه نحو البحر فيقال له في ترك الطريق فيقول هكذا أمرت فلما أصبح علم فرعون بسرى موسى بني اسرائيل فخرج في أثرهم وبعث الى مدائن مصر ليلحقه العساكر وذكروا أعدادا في أتباع فرعون وفي بني اسرائيل الله أعلم بصحة ذلك * ان هؤلاء لشرذمة أي قال ان هؤلاء ووصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب قليلا جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على أقلة وقلل والظاهر تقليل العدد * قال الزمخشري ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى بهم ولا تتوقع غلبتهم ولكنهم يفعلون أفعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم يساره وهذه معاذير اعتذر بها الى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه انتهى * قال أبو حاتم * وقرأ من لا يؤخذ عنه لشرذمة قليلون وليست هذه موقوفة انتهى يعني ان هذه القراءة ليست موقوفة على أحد رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل لغائظون أي بخلافهم وأخذهم الأموال حين استعاروها ولم يردوها وخرجوا هاربين * وقرأ الكوفيون وابن ذكوان وزيد بن علي حاذرون بالألف وهو الذي قد أخذ يحذر ويجدد حذره وحذر متعد قال تعالى يحذر الآخرة * وقال العباس بن مرداس

واني حاذر أنمى سلاحي * الى أوصال ذيال صنيع

* وقرأ باقي السبعة بغير ألف وهو المتيقظ * وقال الزجاج مؤدون أي ذوو أدوات وسلاح أي متسلحين * وقيل حذرون في الحال وحاذرون في المآل * وقال الفراء الحاذر الخائف مارى والحذر المخلوق حذرا * وقال أبو عبيدة رجل حذر وحذر وحاذر بمعنى واحد * وذهب سيبويه الى أن حذرا يكون للمبالغة وانه يعمل كما يعمل حاذر فينصب المفعول به * وأنشد

حذر أمورا لا تضير وآمن * ما ليس منجيه من الأقدار

وقد نوزع في ذلك بما هو مذكور في كتب النحو * وعن الفراء أيضا والكسائي رجل حذر اذا كان الحذر في خلقته فهو متيقظ منتبه * وقرأ سميط بن عجلان وابن أبي عمار وابن السميفع حادرون بالدال المهملة من قولهم عين حدرة أي عظيمة والحادر المتورم * قال ابن عطية فالمعنى ممتلئون غيظا وأنفة * وقال ابن خالويه الحادر السمين القوي الشديد يقال غلام حدر بدر * وقال صاحب اللوامح حدر الرجل قوي بأسه يقال منه رجل حدر بدر اذا كان شديد البأس في الحرب ويقال رجل حدر بضم الدال للمبالغة مثل يقظ * وقال الشاعر

أحب الصبي السوء من أجل أمه * وأبغضه من بغضها وهو حادر

أي سمين قوي * وقيل مدججون في السلاح * فأخرجناهم الضمير عائد على القبط * من جنات وعيون بحافتي النيل من أسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والجمهور على انها عيون الماء * وقال ابن جبير المراد عيون الذهب * وكنوز هي الاموال التي خربوها * قال مجاهد سماها كنوزا لأنه لم ينفق في طاعة الله قط * وقال الضحاك الكنوز الانهار * قال صاحب التحبير وهذا فيه نظر لأن العيون تشملها * وقيل هي كنوز المقطم ومطالبه * قال ابن عطية هي باقية الى اليوم انتهى وأهل مصر في زماننا في غاية الطلب لهذه الكنوز التي زعموا انها مدفونة في المقطم فينفقون على

في غاية الطلب لهذه الكنوز التي زعموا انها مدفونة في المقطم فينفقون على حفر المواضع في المقطم الاموال الجزيلة ويبغون في العمق الى أقصى غاية ولا يظهر لهم الا التراب أو حجر الكذان الذي المقطم مخلوق منه وأي يرد عليهم سألوه عن علم المطالب فكثير منهم يضع في ذلك أوراقا ليأكلوا أموال المصريين بالباطل ولا يزال الرجل منهم يذهب ماله في ذلك حتى يفتقر وهو لا يزداد الا طلبا لذلك حتى يموت وقد أقمت بين ظهرانيهم الى حين كتابة هذه الاسطر نحوا من خمسة وأربعين سنة فلا أعلم أن أحدا منهم حصل على شئ غير الفقر وكذلك رأيهم في تغوير الماء يزعمون أن ثم آبارا أو أنه يكتب اسماء في شقفة فتلقى في البئر فيغور الماء وينزل الى باب في البئر يدخل منه الى قاعة مملوءة ذهبا وفضة وجوهرا وياقوتا فهم دائما يسألون من يرد من المغاربة عمن يحفظ تلك الاسماء التي تكتب في الشقف فيأخذ شياطين المغاربة منهم مالا جزيلا ويستأكلونهم ولا يحصلون على شئ غير ذهاب أموالهم ولهم أشياء من نحو هذه الخرافات يركنون اليها ويقولون بها وانما أطلت في هذا على سبيل التحذير لمن يعقل

حفر هذه المواضع فى المقطم الاموال الجزيلة ويبلغون فى العمق الى أقصى غاية ولا يظهر لهم الا
التراب أو حجر الكذان الذى المقطم مخلوق منه وأى مغربى يرد عليهم سألوه عن علم المطالب
فكثير منهم يضع فى ذلك أوراقا يأكلوا أموال المصريين بالباطل ولا يزال الرجل منهم يذهب ماله
فى ذلك حتى يفتقر وهو لا يزداد الا طلبا لذلك حتى يموت وقد أقمت بين ظهرانيهم الى حين كتابة هذه
الاسطر نحوا من خمسة وأربعين عاما فلم أعلم أن أحدا منهم حصل على شئ غير الفقر وكذلك رأيتهم فى
نغوير الماء يزعمون أن ثم آبارا وانه يكتب أسماء فى شقفة فتلقى فى البئر فيغور الماء وينزل الى باب فى
البئر يدخل منه الى قاعة مملوءة ذهبا وفضة وجوهرا وياقوتا فهم دائما يسألون من يرد من المغاربة
عمن يحفظ تلك الاسماء التى تكتب فى الشقفة فيأخذ شياطين المغاربة منهم مالا جزيلا
ويستأكلونهم ولا يحصلون على شئ غير ذهاب أموالهم ولهم أشياء من نحو هذه الخرافات يركنون
اليها ويقولون بها وانما أطلت فى هذا على سبيل التحذير لمن يعقل * وقوله تعالى ومقام كريم * قال
ابن لهيعة هو الفيوم * وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك هو المنابر للخطباء * وقيل الاسرة فى
الكلل * وقيل مجالس الأمراء والاشراف والحكام * وقال النقاش المساكن الحسان * وقيل
مرابط الخيل حكاه الماوردى * وقرأ قتادة والاعرج ومقام بضم الميم من أقام كذلك * قال
الزمخشرى يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والجر على
انه وصف لمقام أى ومقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف أى
الامر كذلك انتهى فالوجه الأول لا يسوغ لأنه يؤول الى تشبيه الشئ بنفسه وكذلك الوجه الثانى لأن
المقام الذى كان لهم هو المقام الكريم ولا يشبه الشئ بنفسه والظاهر ان قوله وأورثناها بنى
اسرائيل انهم ملكوا ديار مصر بعد غرق فرعون وقومه لأنه اعتقب قوله وأورثناها قوله
وأخرجناهم وقال الحسن قال كما عبروا النهر رجعوا وورثوا ديارهم وأموالهم * وقيل ذهبوا الى
الشام وملكوا مصر زمن سليمان * وقرأ الجمهور فاتبعوهم أى فلحقوهم * وقرأ الحسن والذمارى
فاتبعوهم بوصل الالف وشد التاء * مشرقين داخلين فى وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا
اذا طلعت كأصبح دخل فى وقت الصباح وأمسى دخل فى وقت المساء * وقال أبو عبيدة فاتبعوهم
نحو الشرق كأنجد اذا قصد نحو نجد والظاهر أن مشرقين حال من الفاعل * وقيل مشرقين أى
فى ضياء وكان فرعون وقومه فى ضباب وظلمة تحيروا فيها حتى جاوز بنوا اسرائيل البحر فعلى هذا
يكون مشرقين حالا من المفعول * فلما تراءى الجمعان أى رأى أحدهما الآخر قال أصحاب موسى انا
لمدركون أى ملحقون قالوا ذلك حين رأوا العدو القوى وراءهم والبحر أمامهم وساءت ظنونهم
* وقرأ الاعمش وابن وثاب تراى الجمعان بغير همز على مذهب التخفيف بين بين ولا يصح القلب
لوقوع الهمزة بين ألفين احداهما ألف تفاعل الزائدة بعد الفاء والثانية اللام المعتلة من الفعل
فلو خففت بالقلب لاجتمع ثلاث ألفات متسقة وذلك مما لا يكون أبدا قاله أبو الفضل الرازى * وقال
ابن عطية * وقرأ حمزة ترى بكسر الراء ويمد ثم يهمز وروى مثله عن عاصم وروى عنه أيضا مفتوحا
ممدودا والجمهور يقرؤنه مثل تراعى وهذا هو الصواب لأنه تفاعل * وقال أبو حاتم وقراءة حمزة هذا
الحرف محال وحمل عليه قال وما روى عن ابن وثاب والاعمش خطأ انتهى * وقال الاستاذ أبو جعفر
أحمد ابن الاستاذ أبى الحسن على بن احمد بن خلف الانصارى هو ابن الباذش فى كتاب الاقناع من
تأليفه تراءى الجمعان فى الشعراء اذا وقف عليها حمزة والكسائى أمالا الألف المنقلبة عن لام الفعل

(الدر)

(ش) يحتمل ثلاثة أوجه النصب على أخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذى وصفناه والجر على أنه وصف لمقام أى ومقام كريم مثل ذلك المقام الذى كان لهم والرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك (ح) الوجه الاول لا يسوغ لانه يؤول الى تشبيه الشئ بنفسه وكذلك الوجه الثانى لان المقام الذى كان لهم هو المقام الكريم ولا يشبه الشئ بنفسه

وحمزة يميل ألف تفاعل وصلا ووقفا الامالة الألف المنقلبة ففي قراءته امالة الامالة وفي هذا الفعل وفي راءى اذا استقبله ألف وصل لمن أمال للامالة حذف السبب وابقاء المسبب كما قالوا صعقي في النسب الى الصعق * وقرأ الجمهور لمدركون باسكان الدال والاعرج وعبيد بن عمير بفتح الدال مشددة وكسر الراء على وزن مفتعلون وهو لازم بمعنى الفناء والاضمحلال يقال منه ادّرك الشئ بنفسه اذا فني تتابعا ولذلك كسرت الراء على هذه القراءة نص على كسرها أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح والزمخشري في كشافه وغيرهما * وقال أبو الفضل الرازي وقد يكون ادّرك على افتعل بمعنى أفعل متعديا فلو كانت القراءة من ذلك لوجب فتح الراء ولم يبلغني ذلك عنهما يعني عن الاعرج وعبيد بن عمير * قال الزمخشري المعنى انا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقى منا أحد * ومنه بيت الحماسة

أبعد بني أمي الذين تتابعوا * أرجي الحياة أم من الموت أجزع

* قال كلا ان معي ربي سيهدين زجرهم وردعهم بحرف الردع وهو كلا والمعنى لن يدركوكم لأن الله وعدكم بالنصر والخلاص منهم ان معي ربي سيهدين عن قريب الى طريق النجاة ويعرفنيه * وقيل سيكفيني أمرهم ولما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن آل فرعون وكان بين يدي موسى أين أمرت وهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع وروبت هذه المقالة عن يوشع قالها لموسى عليه السلام فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق أراد تعالى أن يجعل هذه الآية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل فعله ولكنه بقدرة الله إذ ضرب البحر بالعصا لا يوجب انفلاق البحر بذاته ولو شاء تعالى لفلقه دون ضربه بالعصا وتقدم الخلاف في مكان هذا البحر * فانفلق ثم محذوف تقديره فضرب فانفلق وزعم ابن عصفور في مثل هذا التركيب ان المحذوف هو ضرب وفاء انفلق والفاء في انفلق هي فاء ضرب فأبقى من كل مايدل على المحذوف أبقيت الفاء من فضرب واتصلت بانفلق ليدل على ضرب المحذوفه وأبقي انفلق ليدل على الفاء المحذوفة منه وهذا قول شبيه بقول صاحب البرسام ويحتاج الى وحي يسفر عن هذا القول واذا نظرت القرآن وجدت جملا كثيرة محذوفة وفيها الفاء نحو قوله فأرسلون يوسف أيها الصديق أي فأرسلوه فقال يوسف أيها الصديق والفرق الجزء المنفصل والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء * وحكى يعقوب عن بعض القراء أنه قرأ كل فلق باللام عوض الراء * وأزلفنا أي قربنا ثم أي هنالك وثم ظرف مكان للبعد * الآخرين أي قوم فرعون أي قربناهم ولم يذكر من قربوا منه فاحتمل أن يكون المعنى قربناهم حيث انفلق البحر من بني اسرائيل أو قربنا بعضهم من بعض حتى لا ينجو أحد أو قربناهم من البحر * وقرأ الحسن وأبو حيوة وزلفنا بغير ألف * وقرأ أبي وابن عباس وعبد الله بن الحرث وأزلقنا بالقاف عوض الفاء أي أزللنا قاله صاحب اللوامح * قيل من قرأ بالقاف صار الآخر بن فرعون وقومه ومن قرأ بالعامه يعني بالقراءة العامة فالآخرون هم موسى وأصحابه أي جمعنا شملهم وقربناهم بالنجاة انتهى وفي الكلام حذف تقديره ودخل موسى وبنو اسرائيل البحر وأنجينا * قيل دخلوا البحر بالطول وخرجوا في الصفة التي دخلوا منها بعد مسافة وكان بين موضع الدخول وموضع الخروج أوعار وجبال لا تسلك * ان في ذلك لآية أي لعلامة واضحة عاينها الناس وشاع أمرها * قال الزمخشري وما كان أكثرهم مؤمنين أي ما تنبه أكثرهم عليها ولا

﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم﴾ الآية لما كانت العرب لها خصوصية بابراهيم عليه السلام أمر الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه ولم يأت في قصة من قصص هذه السورة أمره عليه الصلاة والسلام بتلاوة سورة الا في هذه والعامل في اذ نبأ والظاهر ان الضمير في قومه عائد على ابراهيم وقيل على أبيه أي وقوم أبيه كما قال اني أراك وقومك في ضلال مبين وما استفهام بمعنى التحقير والتقرير وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة أصنام ولكن سألهم ليريهم ان ما كانوا يعبدونه ليس مستحقا للعبادة لما يترتب على جوابهم من أوصاف معبوداتهم التي هي منافية للعبادة ولما سألهم عن الذي يعبدونه لم يقتصروا على ذكره فقط بل أجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطف عليه من تمام صفتهم مع معبودهم فقالوا ﴿نعبد أصناما﴾ على سبيل الابتهاج والافتخار فأتوا بقصتهم معهم كاملة ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم أصناما ولما أجابوا ابراهيم عليه السلام أخذ يوقفهم على قلة عقولهم باستفهامه على أوصاف مسلوبة عنهم لا يكون ثبوتها الا لله تعالى ومعنى يسمعونكم اذ تدعون أي يجيبونكم كقوله سمع الله لمن حمده والعامل في اذ يسمعونكم قال ابن عطية ويجوز فيه قياس مدكر ولم يقرأ به أحد والقياس أن يكون اللفظ به اذدعون والذي منع من هذا اللفظ كثرة المتماثلات انتهى هذا الذي ذكره من أنه يجوز فيه قياس مدكر لا يجوز لان ذلك الابدال هو ابدال التاء دالا لا يكون الا في افتعل مما فاؤه ذال أو زاي أو دال نحو اذكر وازدجر وادهن أصله اذتكر وازتجر وادتهن أو جيم شذوذا قالوا اجدمع في اجتمع ومن تاء الضمير بعد الزاي والدال ومثلوا بتاء الضمير للمتكلم فقالوا في فزت فزد وفي جلدت جلد ومن تاء تولج شذوذا قالوا دولج وتاء المضارعة ليس شيئا مما ذكرنا فلا تبدل تاؤه دالا وقول ابن عطية والذي منع من هذا اللفظ الخ يدل على أنه لولا ذلك لجاز ابدال تاء المضارعة ذالا وادغام الذال فيها فكنت تقول في اذ تخرج اذدخرج وذلك لا يقوله أحد بل اذا أدغم مثل هذا أبدل من الذال تاء وأدغم في التاء فتقول اتخرج ﴿أو ينفعونكم﴾ بقربكم اليهم ودعائكم اياهم ﴿أو يضرون﴾ بترك عبادتكم اياهم فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها ﴿قالوا بل وجدنا﴾ هذه حيدة عن جواب الاستفهام لأنهم لو قالوا يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضروننا فضحوا أنفسهم بالكذب الذي لا يمترى فيه ولو قالوا ما يسمعوننا ولا ينفعوننا ولا يضروننا أسجلوا على أنفسهم بالخطأ المحض فعدلوا الى التقليد البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهان ولا حجة والكاف في موضع نصب بيفعلون أي يفعلون في عبادتهم تلك الأصنام مثل ذلك الفعل الذي نفعله وهو عبادتهم والحيدة عن الجواب من علامات انقطاع الحجة وبل هنا اضراب عن جوابه لما سأل وأخذ في شئ آخر لم يسألهم عنه انقطاعا واقرارا بالعجز ﴿وآباؤكم الأقدمون﴾ وصفهم بالأقدمين دلالة على تقادم عبادة الأصنام فيهم اذ كانوا قد عبدوها في زمان نوح عليه السلام وزمان من بعده ﴿الذي خلقني﴾ بقدرته ﴿فهو يهدين﴾ الى طاعته والظاهر ان قوله ﴿يطعمني ويسقين﴾ الطعام المعهود والسقي المعهود وفيه تعديد نعمة الرزق ولما كان الخلق لا يمكن ان يدعيه أحد لم يؤكد فيه بهو فلم يكن التركيب الذي هو خلقني ولما كانت الهداية قد يمكن ادعاؤها والاطعام والسقي كذلك أكد بهو في قوله فهو يهدين والذي هو يطعمني وذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما يدوم به الحياة ويستمر نظام الخلق وهو الغذاء والشرب ولما كان ذلك سببا لغلبة احدى الكيفيات على الأخرى بزيادة الغذاء أو نقصانه فيحدث بعد ذلك مرض ذكر نعمته بازالة ما حدث من السقم وأضاف المرض الى نفسه ولم يأت التركيب واذا أمرضني لا ينبغي ان يسند ما فيه نقد اليه تعالى وذلك على سبيل الأدب وان كان تعالى هو الفاعل لذلك وابراهيم عليه السلام عدد نعم الله تعالى والشفاء محبوب والمرض مكروه ولما لم يكن المرض منها لم يضفه الى الله تعالى ولما كانت الاماتة ثم البعث لا يمكن اسناده

آمنوا وبنو اسرائيل الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة انتهى والذي يظهر ان قوله وما كان أكثرهم مؤمنين أي أكثر قوم فرعون وهم القبط اذ قد آمن السحرة وآمنت آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ويجوز اسم امرأة ... دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام واستخرجوه وحملوه معهم حين خرجوا من مصر ﴿واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم

الا الى الله تعالى لم يحتج الى توكيد ودعوى نمروذ الاماتة والاحياء هى منه على سبيل المخرقة وكذلك لم يحتج الى تأكيد فى والذى أطمع وقدم ابراهيم عليه السلام الثناء على الله تعالى وذكره بالاوصاف الحسنة بين يدى طلبته ومسألته ثم سأله تعالى ﴿ فقال رب هب لى حكما ﴾ فدل أن تقديم الثناء على المسئلة من المهمات والظاهر ان الحكم هو الفصل بين الناس بالحق و ﴿ لسان صدق ﴾ هو الثناء وتخليد المكانة وأعظم ذلك ما فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم * ولما فرع من مطالب الدنيا والآخرة لنفسه طلب لأشد الناس التصاقا به وهو أصله الذى كان ناشئا عنه وهو أبوه فقال ﴿ واغفر لابى ﴾ ولا تخزنى ﴾ اما من الخزى وهو الهوان واما من الخزاية وهى الحياء والضمير فى ﴿ يبعثون ﴾ ضمير العباد ﴿ يوم لا ينفع ﴾ بدل من يوم يبعثون ﴿ مال ولا بنون ﴾ أى كما ينفع فى الدنيا يفديه ماله ويذب عنه بنوه قال ابن عطية وهذه الآيات فى قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون عندى منقطعة من كلام ابراهيم عليه السلام وهى اخبار من الله عز وجل بصفة ذلك اليوم الذى وقف ابراهيم عليه السلام عنده فى دعائه ان لا يخزى فيه انتهى كان ابن عطية قد أعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى هذا لا يتأتى هذا الذى ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من بعض كلام ابراهيم وبعضه من كلام الله تعالى لان العامل فى البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الاول أو الاول وعلى كلا التقديرين لا يصح أن يكون من كلام الله اذ يصير التقدير ولا تخزنى يوم لا ينفع مال ولا بنون والظاهر أن الاستثناء منقطع أى لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه ﴿ وأزلفت الجنة ﴾ قربت لينظروا اليها ويغتبطوا بحشرهم اليها ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ أظهرت وكشفت بحيث كانت بمرأى منهم وجىء ذلك كله بلفظ الماضى فى أتى وأزلفت وبرزت لتحقق وقوع ذلك وان كان لم يقع والضمير فى فكبكبوا عائد على الاصنام أجريت مجرى من يعقل من حيث ذكرت بعبادة وأسند اليها فعل من يعقل * والغاوون هم الكفرة الذين شملتهم الغواية ﴿ وجنود ابليس ﴾ قبيله وكل من تبعه فهو جند له وعون والخطاب فى اذ نسويكم للاصنام على جهة الاعتراف والاقرار بالحق ﴿ وما أضلنا الا المجرمون ﴾ أى أصحاب الجرائم والمعاصى العظام والكبراء وهم سادتهم وذو المكانة فى الدنيا والاستتباع كقولهم أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والظاهر ان لو أشربت معنى التمنى ولذا كون الجواب كأنه قيل باليت لنا كرة فنكون وقيل هى الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره فيكون قوله فنكون معطوفا على كرة أى فكون من المؤمنين وجواب لو محذوف أى لكان لنا شفعاء وأصدقاء أو لخلصنا من العذاب والاشارة بقوله ان فى ذلك الى قصة ابراهيم ومحاورته لقومه ﴿ وما كان أكثرهم ﴾ أى أكثر قوم ابراهيم بين تعالى ان أكثر قومه لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التى استدل بها ابراهيم عليه السلام وفى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تكذيب قومه له عليه الصلاة والسلام

بحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى انه كان من الضالين ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس أجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ لما كانت العرب لها خصوصية بابراهيم عليه السلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو عليهم قصصه وما جرى له مع قومه ولم يأت فى قصة من قصص هذه السورة أمره عليه السلام بتلاوة قصة الا فى هذه واذ العامل فيه * قال الحوفى أتل ولا يتصور ما قال الا باخراجه عن الظرفية وجعله بدلا من نبأ واعتقاد ان العامل فى البدل والمبدل منه واحد * وقال أبو البقاء العامل فى اذ نبأ والظاهر ان الضمير فى وقومه عائد على ابراهيم * وقيل على أبيه أى وقوم أبيه كما قال انى أراك وقومك فى ضلال مبين وما استفهام بمعنى التحقير والتقرير وقد كان ابراهيم عليه السلام يعلم أنهم عبدة أصنام ولكن سألهم ليريهم ان ما كانوا يعبدونه ليس مستحقا للعبادة لما ترتب على جوابهم من أوصاف معبوداتهم التى هى منافية للعبادة ولما سألهم عن الذى يعبدونه ولم يقتصروا على ذكره فقط بل أجابوا بالفعل ومتعلقه وما عطف عليه من تمام صفتهم مع معبودهم فقالوا نعبد أصناما فنظل لها

عاكفين على سبيل الابتهاج والافتخار فأتوا بقصتهم معهم كاملة ولم يقتصروا على أن يجيبوا بقولهم
أصناما كما جاء ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ولذلك عطفوا على
ذلك الفعل قولهم فنظل قال كما تقول لرئيس ماتلبس فقال ألبس مطرف الخز فاجر ذوله يريد
الجواب وحاله مع ملبوسه وقالوا فنظل لأنهم كانوا يعبدونهم بالنهار دون الليل ولما أجابوا ابراهيم أخذ
يوقفهم على قلة عقولهم باستفهامه عن أوصاف مساوبة عنهم لا يكون ثبوتها الا لله تعالى * وقرأ
الجمهور يسمعونكم من سمع وسمع ان دخلت على مسموع تعدت الى واحد نحو سمعت كلام زيد
وان دخلت على غير مسموع فمذهب الفارسي أنها تتعدى الى اثنين وشرط الثاني منهما أن يكون
مما يسمع نحو سمعت زيدا يقرأ والصحيح أنها تتعدى الى واحد وذلك الفعل في موضع الحال والترجيح
بين المذهبين مذكور في النحو وهنا لم تدخل الا على واحد ولكنه ليس بمسموع فتأولوه على حذف
مضاف تقديره هل يسمعونكم تدعون * وقيل هل يسمعونكم بمعنى يجيبونكم * وقرأ قتادة
ويحيى بن يعمر بضم الياء وكسر الميم من أسمع والمفعول الثاني محذوف تقديره الجواب أو الكلام
واذ ظرف للماضي فاما أن يتجاوز فيه فيكون بمعنى اذا واما أن يتجاوز في المضارع فيكون قد وقع
موقع الماضي فيكون التقدير هل سمعوكم اذ دعوتم وقد ذكر أصحابنا أن من قرائن صرف المضارع
الى الماضي اضافة اذ الى جملة مصدرة بالمضارع ومثلوا بقوله واذ تقول للذي أنعم الله عليه أي واذ قلت
* وقال الزمخشري وجاء مضارعا مع ايقاعه في اذ على حكاية الحال الماضية التي كنتم تدعونها فيها
وقولوا هل سمعوا أو أسمعوا قط وهذا أبلغ في التبكيت انتهى * وقرئ باظهار ذال اذ وبادغامها
في تاء تدعون * قال ابن عطية ويجوز فيه قياس مذكر ولم يقرأ به أحد والقياس أن يكون اللفظ به
اذدعون والذي منع من هذا اللفظ اتصال الدال الأصلية في الفعل فكثرة المتماثلات انتهى وهذا
الذي ذكر أنه يجوز فيه قياس مذكر لا يجوز لأن ذلك الابدال وهو ابدال التاء دالا لا يكون الا
في افتعل مما فاؤه ذال أو زاي أو دال نحو اذدكر وازدجر وادهن أصله اذتكر وازتجر وادتهن أو
جيم شذوذا قالوا اجدمع في اجتمع ومن تاء الضمير بعد الزاي والدال ومثلوا بتاء الضمير للمتكلم
فقالوا في فزت فزد وفي جلدت جلدّ ومن تاء تولج شذوذا قالوا دولج وتاء المضارعة ليست شيأ مما
ذكرنا فلا تبدل تاؤه وقول ابن عطية والذي منع من هذا اللفظ الى آخره يدل على أنه لولا ذلك لجاز
ابدال تاء المضارعة دالا وادغام الذال فيها فكنت تقول اذ تخرج اذّخرج وذلك لا يقوله أحد بل
اذا أدغم مثل هذا أبدل من الذال تاء وأدغم في التاء فتقول اتّخرج * أو ينفعونكم بتقربكم اليهم
ودعائكم اياهم * أو يضرون بترك عبادتكم اياهم فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها * قالوا
بل وجدنا هذه حيدة عن جواب الاستفهام لأنهم لو قالوا يسمعوننا وينفعوننا ويضروننا لفضحوا
أنفسهم بالكذب الذي لا يمترى فيه ولو قالوا يسمعوننا ولا يضروننا أسجلوا على أنفسهم بالخطا المحض
فعدلوا الى التقليد البحت لآبائهم في عبادتها من غير برهان ولا حجة والكاف في موضع نصب
بيفعلون أي يفعلون في عبادتهم تلك الاصنام مثل ذلك الفعل الذي يفعله وهو عبادتهم والحيدة عن
الجواب من علامات انقطاع الحجة وبل هنا اضراب عن جوابه لما سأل وأخذ في شئ آخر لم يسألهم
عنه انقطاعا واقرارا بالعجز * وآباؤكم الاقدمون وصفهم بالاقدمين دلالة على تقادم عبادة الاصنام
فيهم واذ كانوا قد عبدوها في زمان نوح عليه السلام فزمان من بعده * وعدو يكون للمفرد
والجمع كما قال هم العدو فاحذرهم قيل شبه بالمصدر كالقبول والولوع * قال الزمخشري وانما قال

(ع) ويجوز فيه قياس
مذكر ولم يقرأ به أحد
والقياس أن يكون اللفظ
به اذدعون والذي منع
من هذا اللفظ اتصال الدال
الأصلية بالفعل فكثرت
المماثلات (ح) هذا
الذي ذكر من أنه يجوز
فيه قياس مذكر لا يجوز
لأن ذلك الابدال وهو ابدال
التاء دالا لا يكون الا في
افتعل مما فاؤه ذال أو زاي
أو دال نحو اذدكر
وازدجر وادهن أصله
اذتكر وازتجر وادتهن أو
جيم شذوذا قالوا اجدمع
في اجتمع ومن تاء الضمير
بعد الزاي والدال ومثلوا
بتاء الضمير للمتكلم فقالوا
في فزت فزد وفي جلدت جلد
من تاء تولج شذوذا فقالوا
دولج وتاء المضارعة
ليس شيأ مما ذكرنا فلا
تبدل تاؤه وقول (ع)
والذي منع من هذا اللفظ
الى آخره يدل على أنه لولا
ذلك لجاز ابدال تاء
المضارعة دالا وادغام الذال
فيها فكنت تقول في اذ
تخرج اذّخرج وذلك
لا يقوله أحد بل اذا أدغم
مثل هذا ابدل من الذال
تاء وأدغم في التاء فتقول
اتخرج

عـدولي تصور المسئلة في نفسه على معنى أي فكرت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه وأراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه أولا و بنى عليها تدبير أمره لينظروا و يقولوا ما نصحنا ابراهيم الا بما نصح به نفسه وما أراد لنا الا ما أراد لروحه ليكون أدنى لهم الى القبول وأبعث على الاستماع منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للنصوح مالا يبلغ التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشئ فقال لو كنت بحيث أنت لاحتجت الى أدب وسمع رجل ناسا يتحدثون عن الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم انتهى وهو كلام فيه تكثير على عادته وذهاب من ذهب الى أن قوله فانهم عدولي من المقلوب والاصل فاني عدولهم لان الاصنام لا تعادي لكونها جمادا وانما هو عاداها ليس بشئ ولا ضرورة تدعو الى ذلك ألا ترى الى قوله كلا سيكفرون بعبادتهم و يكونون عليهم ضدا فهذا معنى العداوة ولان المغري على عداوتها عدو الانسان وهو الشيطان * وقيل لانه تعالى يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يتبرؤا من عبدتهم و يوبخوهم * وقيل هو على حذف أي فان عبادهم عدولي والظاهر اقرار الاستثناء في موضعه من غير تقديم ولا تأخير * وقال الجرجاني تقديره أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون الارب العالمين فانهم عدولي والا بمعنى دون وسوى انتهى فجعله مستثنى مما بعد كنتم تعبدون ولا حاجة الى هذا التقدير لصحة ان يكون مستثنى من قوله فانهم عدولي وجعله جماعة منهم الفراء واتبعه الزمخشري استثناء منقطعا أي لكن رب العالمين لانهم فهموا من قوله ما كنتم تعبدون أنهم الأصنام وأجاز الزجاج أن يكون استثناء متصلا على انهم كانوا يعبدون الله و يعبدون معه الأصنام فاعلمهم انه تبرأ مما يعبدون الا الله وأجازوا في الذي خلقني النصب على الصفة لرب العالمين أو باضمار أعني والرفع خبر مبتدا محذوف أي هو الذي * وقال الحوفي و يجوز أن يكون الذي خلقني رفعا بالابتداء فهو يهدين ابتداء وخبر في موضع الخبر عن الذي ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط انتهى وليس الذي هنا فيه معنى اسم الشرط لانه خاص ولا يتخيل فيه العموم فليس نظير الذي يأتيني فله درهم وأيضا ليس الفعل الذي هو خلق لا يمكن فيه تجدد بالنسبة الى ابراهيم وتابع أبو البقاء الحوفي في اعرابه هذا لكنه لم يقل ودخلت الفاء لما في الكلام من معنى الشرط فان كان أراد ذلك فليس بجيد لما ذكرناه وان لم يرده فلا يجوز ذلك الا على زيادة الفاء على مذهب الأخفش في نحو زيد فاضرب به الذي خلقني بقدرته فهو يهدين الى طاعته * وقيل الى جنته * وقال الزمخشري فهو يهدين يريد انه حين أتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب هدايته المتصلة التي لا تنقطع الى ما يصلحه و يعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد انتهى والظاهر ان قوله يطعمني و يسقين الطعام المعروف المعهود والسقي المعهود وفيه تعديد نعمة الرزق * وقال أبو بكر الوراق يطعمني بلا طعام و يسقيني بلا شراب كما جاء اني أبيت يطعمني ربي و يسقيني ولما كان الخلق لا يمكن أن يدعيه أحد لم يؤكد فيه بهو فلم يكن التركيب الذي هو خلقني ولما كانت الهداية قد يمكن ادعاؤها والاطعام والسقي كذلك أكد بهو في قوله فهو يهدين والذي هو يطعمني وذكر بعد نعمة الخلق والهداية ما تدوم به الحياة و يستمر به نظام الخلق وهو الغذاء والشرب ولما كان ذلك سببا لغلبة احدى الكيفيات على الاخرى بزيادة الغذاء أو

نقصانه فيحدث بذلك مرض ذكر نعمته بازالة ما حدث من السقم وأضاف المرض الى نفسه ولم يأب التركيب واذا أمرضني وان كان تعالى هو الفاعل لذلك وابراهيم عليه السلام عدد نعم الله تعالى عليه والشفاء محبوب والمرض مكروه ولما لم يكن المرض منها لم يضفه الى الله وعن جعفر الصادق ولعله لا يصح واذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة * وقال الزمخشري وانما قال مرضت دون أمرضني لان كثيرا من أسباب المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم ولما كان الشفاء قد يعزى الى الطبيب والى الدواء على سبيل المجاز كما قال فيه شفاء للناس أكد بقوله فهو يشفين أي الذي هو يهدين ويطعمني ويسقين هو الله لا غيره ولما كانت الاماتة بعد البعث لا يمكن اسنادها الا الى الله لم يحتج الى توكيد ودعوى نمروذ الاماتة والاحياء هي منه على سبيل المخرقة والقحة وكذلك لم يحتج الى تأكيد في والذي أطمع وأثبت ابن أبي اسحق ياء المتكلم في يهديني وما بعده وهي رواية عن نافع * والطمع عبارة عن الرجاء وابراهيم عليه السلام كان جازما بالمغفرة * فقال الزمخشري لم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لأممهم وليكون لطفا بهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم انتهى ورده الرازي * قال لان حاصله يرجع الى انه ونطق بكلمة لا أذكرها وبعدها على نفسه لأجل تعليم الأمة وهو باطل قطعا * وقال الجبائي أراد به سائر المؤمنين لانهم الذين يطمعون ولا يقطعون ورده الرازي بان جعل كلام الواحد من كلام غيره مما يبطل نظم الكلام * وقال الحسن المراد بالطمع اليقين * وقال الرازي لا يستقيم هذا الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب على الله شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه في فعله * وقال ابن عطية أوقف عليه الصلاة والسلام نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة خوفه مع منزلته وخلته * وقرأ الجمهور خطيئتي على الافراد والحسن خطاياي على الجمع وذهب الأكثرون الى انها قوله اني سقيم وبل فعله كبيرهم وهي أختي في سارة * وقالت فرقة أراد بالخطيئة اسم الجنس قدرها في كل أمره من غير تعيين * قال ابن عطية وهذا أظهر عندي لان تلك الثلاث قد خرجها كثير من العلماء على المعاريض * وقال الزمخشري المراد ما يندر منه في بعض الصغائر لان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون مختارون على العالمين وهي قوله وذكر الثلاثة ثم قال وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار (فان قلت) اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له أثبت لنفسه خطيئة أو خطايا وطمع أن يغفر له (قلت الجواب) ما سبق ان استغفار الأنبياء تواضع منهم لربهم وهضم لأنفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول انتهى * ويوم الدين ظرف والعامل فيه يغفر والغفران وان كان في الدنيا فأثره لا يتبين الا يوم الجزاء وهو في الدنيا لا يعلم الا باعلام الله تعالى وضعف أبو عبد الله الرازي حمل الخطيئة على تلك الثلاث لان نسبة ما لا يطابق الى ابراهيم غير جائز وحمله على سبيل التواضع قال لانه ان طابق في هذا الموضع زال الاشكال وان لم يطابق رجع حاصل الجواب الى الحاق المعصية به لأجل تنزيهه عن المعصية * قال والجواب الصحيح أن يحمل ذلك على ترك الأولى وقد يسمى خطأ فان من باع جوهرة تساوي ألفا بدينار قيل أخطأ وترك الاولى على الأنبياء جائز انتهى وفيه بعض تلخيص وتبديل ألفاظ للادب بما يناسب مقام النبوة وقدم ابراهيم عليه السلام الثناء على الله تعالى وذكره بالأوصاف الحسنة بين يدي طلبته ومسألته ثم سأله تعالى فقال رب هب لي حكما فدل على ان تقديم الثناء على المسألة من المهمات

والظاهر ان الحكم هو الفصل بين الناس بالحق * وقيل الحكم الحكمة والنبوة لانها حاصلة تلو طلب النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين الناس * وقال أبو عبد الله الرازي لا يجوز تفسير الحكم بالنبوة لانها حاصلة فلو طلب النبوة لكانت مطلوبة اما عين الحاصلة أو غيرها والأول محال لان تحصيل الحاصل محال والثاني محال لانه يمنع أن يكون الشخص الواحد نبيا مرتين بل المراد من الحكم ما هو كمال النبوة العملية وذلك بأن يكون عالما بالخير لأجل العمل به انتهى * وقال ابن عطية وقد فسر الحكم بالحكمة والنبوة قال ودعاؤه عليه السلام في مثل هذا هو في التثبت والدوام والحاقه بالصالحين توفيقه لعمل ينتظمه في جملتهم أو يجمع بينه و بينهم في الجنة وقد أجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين * قال أبو عبد الله الرازي وانما قدم قوله هب لي حكما على قوله وألحقني بالصالحين لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية لأنه يمكنه أن يعلم الحق وان لم يعمل به وعكسه غير ممكن لان العلم صفة الروح والعمل صفة البدن وكما أن الروح أشرف من البدن كذلك العلم أفضل من الاصلاح انتهى * ولسان الصدق * قال ابن عطية هو الثناء وتخليد المكانة باجماع من المفسرين وكذلك أجاب الله دعوته فكل ملة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم * قال مكي وقيل معنى سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيبت الدعوة في محمد عليه السلام وهذا معنى حسن الا ان لفظ الآية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ انتهى ولما طلب سعادة الدنيا طلب سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث لأنه الذي يقسم في الدنيا شبه غنيمة الدنيا بغنيمة الآخرة وقال تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا ولما فرغ من مطالب الدنيا والآخرة لنفسه طلب لأشد الناس التصاقا به وهو أصله الذي كان ناشئا عنه وهو أبوه فقال واغفر لأبي وطلبه المغفرة مشروط بالاسلام وطلب المشروط يتضمن طلب الشرط فحاصله انه دعا بالاسلام وكان وعده ذلك يوضحه قوله وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله أي الموافاة على الكفر تبرأ منه * وقيل كان قال له انه على دينه باطنا وعلى دين نمروذ ظاهرا تقية وخوفا فدعا له لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه واغفر لأبي انه كان من الضالين فلولا اعتقاده انه في الحال ليس بضال ما قال ذلك * ولا تخزني امام الخزي وهو الهوان وامام الخزاية وهي الحياء والضمير في يبعثون ضمير العباد لأنه معلوم أو ضمير الضالين ويكون من جملة الاستغفار لانه يكون المعنى يوم يبعث الضالون وأبي فيهم يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون * مال ولا بنون أي كما ينفع في الدنيا يفديه ماله ويذب عنه بنوه * وقيل المراد بالبنين جميع الاعوان * وقيل المعنى يوم لا ينفع اعلاق بالدنيا ومحاسنها فقصد من ذلك الذكر العظيم والاكثر لان المال والبنين هي زينة الحياة الدنيا والظاهر ان الاستثناء منقطع أي لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه سلامة قلبه * قال الزمخشري ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال المراد بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى انتهى ولا ضرورة تدعو الى حذف مضاف كما ذكر اذ قدرناه لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك وقد جعله الزمخشري في أول توجيهه متصلا بتأويل قال * الا من أتى الله الا حال من أتى الله بقلب سليم وهو من قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وما ثوابه الا السيف ومثاله أن يقال هل لزيد

(الدر)

(ش) ولك أن تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال المراد بها السلامة وليست من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى أن المال والبنين لا ينفعان وانما تنفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى (ح) لا ضرورة تدعو الى حذف مضاف كما ذكر اذ قدرناه لكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه ذلك

مال و بنون فيقول ماله و بنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل يوم لا ينفع غنى الاغنى من أتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله و بنيه انتهى وجعله بعضهم استثناء مفرغا من مفعول والتقدير لا ينفع مال ولا بنون أحدا الا من أتى الله بقلب سليم فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر و بنوه الصلحاء اذ كان أنفقه في طاعة الله وأرشد بنيه الى الدين وعلمهم الشرائع وسلامة القلب خلوصه من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت مباحة كالمال والبنين * وقال سفيان هو الذي يلقى ربه وليس في قلبه شئ غيره وهذا يقتضي عمومه اللفظ ولكن السليم من الشرك هو الاعم * وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ * وقال الزمخشري هو من بدع التفاسير وصدق * وأزلفت الجنة قربت لينظروا اليها و يغتبطوا بحشرهم اليها * و برزت الجحيم أظهرت وكشفت بحيث كانت بمرأى منهم كقوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله وذلك على سبيل التوبيخ هل ينفعونكم بنصرهم اياكم أو ينتصرون هم فينفعون أنفسهم بحمايتها اذهم وأنتم وقود النار * وقرأ الاعمش فبرزت بالفاء جعل تبريز الجحيم بعد تقريب الجنة يعقبه وذلك لان الواو للجمع فيمكن أن يكون كل واحد منهما ظهوره قبل الآخر وهو من تقديم الرحمة على العذاب وهو حسن لولا ان رسم المصحف بالواو * وقرأ مالك بن دينار و برزت بالفتح والتخفيف الجحيم بالرفع باسناد الفعل اليها اتساعا ولما واجهم وقرعهم أخبر عن حال يوم القيامة وجيء في ذلك كله بلفظ الماضي في أي وأزلفت و برزت * وقيل فكبكبوا لتحقق وقوع ذلك وان كان لم يقع والضمير في فكبكبوا عائد على الاصنام أجريت مجرى من يعقل * قال الكرماني فكبكبوا اقذفوا فيها * وقيل جمعوا * وقيل هدروا * وقيل نكسوا على رؤوسهم بعوج بعضهم في بعض * وقيل ألقوا في جهنم ينكبون مرة بعد مرة حتى يستقروا في قعرها والغاوون هم الكفرة الذين شملتهم الغواية * وقيل الضمير يعود على الكفار والغاوون الشياطين وجنود ابليس قبيله وكل من تبعه فهو جنده وعون * وقال السدي هم مشركو العرب والغاوون سائر المشركين * وقيل هم القادة والسفلة قالوا أي عباد الاصنام والجملة بعده حال والمقول جملة القسم ومتعلقه والخطاب في نسويكم للأصنام على جهة الاقرار والاعتراف بالحق * قال ابن عطية أقسموا بالله ان كنا الاضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم انتهى وقوله ان كنا الاضالين ان أراد تفسير المعنى فهو صحيح وان أراد ان ان هنا نافية واللام في لفي بمعنى الا فليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في مثل هذا ان ان هي المخففة من الثقيلة وان اللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية وان التي هي لتأكيد مضمون الجملة وما أضلنا الا المجرمون أي أصحاب الجرائم والمعاصي العظام والجرأة وهم ساداتهم ذوو المكانة في الدنيا والاستتباع كقولهم أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * وقال السدي هم الأولون الذين اقتدوا بهم * وقيل المجرمون الشياطين وقيل من دعاهم الى عبادة الاصنام من الجن والانس * وقال ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي وحين رأوا شفاعة الملائكة والانبياء والعلماء نافعة في أهل الايمان وشفاعة الصديق في صديقه خاصة قالوا على جهة التلهف والتأسف فمالنا من شافعين ولا صديق حميم * وقال ابن جريج شافعين من

(الدر)

(ع) أقسموا بالله ان كنا الاضالين في أن نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله تعالى الذي هو رب العالمين وخالقهم ومالكهم (ح) ان أراد تفسير المعنى فهو صحيح وان أراد أن ان هنا نافية واللام في لفي بمعنى لا فليس مذهب البصريين وانما هو مذهب الكوفيين ومذهب البصريين في مثل هذا ان ان هي المخففة من الثقيلة وان اللام هي الداخلة للفرق بين ان النافية و بين ان التي هي لتأكيد مضمون الجملة

الملائكة وصديق من الناس ولفظة الشفيع تقتضي رفعة مكانة عند المشفوع عنده ولفظة الصديق تقتضي شدة مساهمة ونصرة وهو فعيل من صدق الود من ابنية المبالغة ونفي الشفعاء والصديق يحتمل أن يكون نفيا لوجودهم إذ ذاك وهم موجودون للمؤمنين إذ تشفع الملائكة وتتصادق المؤمنون كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين أو ذلك على حسب اعتقادهم في معبوداتهم انهم شفعاؤهم عند الله وان لهم أصدقاء من الانس والشياطين فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم فصار المعنى فالنا من نفع من كنا نعتقد انهم شفعاء وأصدقاء وجمع الشفعاء لكثرتهم في العادة ألا ترى انه يشفع فيمن وقع في ورطة من لا يعرفه وأفرد الصديق لقلته وأريد به الجمع إذ يقال هم صديق أي أصدقاء كما يقال هم عدو أي أعداء والظاهر أن لو هنا أشربت معنى التمني وفنكون الجواب كأنه قيل ياليت لنا كرة فنكون * وقيل هي الخالصة للدلالة لما كان سيقع لوقوع غيره فيكون قوله فنكون معطوفا على كرة أي فكونا من المؤمنين وجواب لو محذوف أي لكان لنا شفعاء وأصدقاء أو لخلصنا من العذاب والظاهر أن هذه الجمل كلها متعلقة بقول ابراهيم أخبر بما أعلمه الله من أحوال يوم القيامة وما يكون فيها من حال قومه * وقال ابن عطية وهذه الآيات من قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي منقطعة من كلام ابراهيم عليه السلام وهي اخبار من الله عز وجل تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف ابراهيم عليه السلام عنده في دعائه أن لا يخزي فيه انتهى وكان ابن عطيه قد أعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى هذا الايتأتى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام ابراهيم وبعضه من كلام الله لأن العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الأول أو الأول وعلى كلا التقديرين لا يصح أن يكون من كلام الله إذ يصير التقدير ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون * والاشارة بقوله ان في ذلك لآية الى قصة ابراهيم عليه السلام ومحاورته لقومه * وما كان أكثرهم أي أكثر قوم ابراهيم بين تعالى ان أكثر قومه لم يؤمنوا مع ظهور هذه الدلائل التي استدل بها ابراهيم عليه السلام وفي ذلك مسلاة للرسول صلى الله عليه وسلم في تكذيب قومه إياه عليه السلام ﴿ كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمي بما كانوا يعملون ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا الا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الا خلق الأولين وما نحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون انى لكم رسول أمين

(الدر)

(ع) وهذه الآيات من قوله يوم لا ينفع مال ولا بنون هي عندي منقطعة من كلام ابراهيم عليه السلام وهي اخبار من الله تعالى تعلق بصفة ذلك اليوم الذي وقف ابراهيم صلوات الله عليه عنده في دعائه أن لا يخزى فيه (ح) كان (ع) قد أعرب يوم لا ينفع بدلا من يوم يبعثون وعلى هذا لا يتأتى هذا الذي ذكره من تفكيك الكلام وجعل بعضه من كلام ابراهيم وبعضه من كلام الله تعالى لأن العامل في البدل على مذهب الجمهور فعل آخر من لفظ الاول أو الاول وعلى كلا التقديرين لا يصح أن يكون من كلام الله اذ يصير التقدير ولا تخزني يوم لا ينفع مال ولا بنون

فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتتركون فى ما ههنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فائت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب أصحاب الأيكة المرسلين اذ قال لهم شعيب ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأولين قالوا انما أنت من المسحرين وما أنت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون * المشحون المملوء بما ينبغى له من قدر ما يحمل يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا * الريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع * قال ذو الرمة

طراق الخوافى مشرق فوق ريعه * ندى ليله فى ريشه يترقرق

* وقال أبو عبيدة الريع الطريق * قال ابن المسيب بن علس يصف ظعنا

﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ الآية تقدم الكلام على قوم نوح ﴿ ألا تتقون ﴾ لما عرض عليهم تقوى الله برفق انتقل من العرض الى الامر فقال ﴿ فاتقوا الله وأطيعون ﴾ فى نصحى لكم وفيما دعوتكم اليه من توحيد الله واقراره بالعبادة فشرع اشرافهم فى تنقيص متبعيه وان الحامل على انتفاء ايمانهم (٣٠) له كونه اتبعه الارذلون وقوله ﴿ اتبعك الارذلون ﴾ جملة حالية أى كيف نؤمن وقد اتبعك أراذلنا فنتساوى معهم فى اتباعك وكذا فعلت قريش فى شأن عمار وصهيب والضعفاء أكثر استجابة من الرؤساء لان أذهانهم ليست مملوءة بزخارف الدنيا فهم أدرك للحق وأقبل لهم من الرؤساء وقرىء واتباعك جمع تابع كصاحب وأصحاب ﴿ وما أنا بطارد المؤمنين ﴾ هذا مشعر بأنهم طلبوا منه ذلك فاجابهم بذلك كما طلب رؤساء قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد من آمن من الضعفاء فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم أى لأطردهم عنى لاتباع شهواتكم والطمع فى ايمانكم ولما اعتلوا فى ترك ايمانهم بايمان من هو دونهم دل ذلك على انه لم تثلج صدورهم للايمان اذ اتباع الحق لا يأنف منه أحد لوجود الشركة فيه أخذوا فى التهديد والوعيد ﴿ قالوا لئن لم تنته ﴾ عن تقبيح ما نحن عليه وادعائك الرسالة من الله تعالى ﴿ لتكونن من المرجومين ﴾ أى بالحجارة وقيل بالشتم وأيس اد ذلك من فلاحهم فنادى ربه وهو أعلم بحاله ﴿ ان قومى كذبون ﴾ فدعائى ليس لاجل أنهم آذونى ولكن لاجل دينك ﴿ فافتح ﴾ أى فاحكم ودعا لنفسه ولمن آمن به بالنجاة وفى ذلك اشعار بحلول العذاب بقومه أى ونجنى مما يحل بهم والمشحون المملوء بما ينبغى له من قدر ما يحمل يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا ﴿ ثم أغرقنا بعد ﴾ أى بعد نجاة نوح والمؤمنين

فى الآل يخفضها ويرفعها * ريع يلوح كأنه سحل

* الطلع الكفرى وهو عنقود التمر قبل أن يخرج من الكم فى أول نباته * وقال الزمخشرى الطلعة هى التى تطلع من النخلة كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه * الفراهة جودة منظر الشئ وقوته وكماله فى نوعه * وقيل الكيس والنشاط * القالى المبغض قلى يقلى ويقلى ومجيئه على يفعل بفتح العين شاذ * الجبلة الخلق المتجسد الغليظ مأخوذ من الجبل * قال الشاعر

والموت أعظم حادث * مما يمر على الجبله

ويقال بسكون الباء مثلث الجيم * وقال الهروى الجبل والجبل والجبل لغات وهو الجمع الكثير العدد من الناس انتهى * هام ذهب على وجهه قاله الكسائى * وقال أبو عبيدة حاد عن القصد

﴿ كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين فاتقوا الله وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعك الارذلون قال وما علمى بما كانوا يعملون ان حسابهم إلا على ربى لو تشعرون وما أنا بطارد المؤمنين ان أنا إلا نذير مبين قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومى كذبون فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين فأنجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ القوم مؤنث مجازى التأنيث ويصغر قويمة فلذلك جاء كذبت قوم نوح ولما كان مدلوله أفرادا ذكورا عقلاء عاد الضمير عليه كما يعود على جمع المذكر العاقل * وقيل قوم مذكر وأنث لانه فى معنى الأمة والجماعة وتقدم معنى تكذيب قوم نوح المرسلين وان كان المرسل اليهم واحدا فى الفرقان فى قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم واخوة نوح قيل فى النسب * وقيل فى المجانسة كقوله يا أخا تميم تريد يا واحدا منه * وقال الشاعر

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

ومتعلق التقوى محذوف * فقيل ألا تتقون عذاب الله وعقابه على شرككم * وقيل ألا تتقون مخالفة أمر الله فتتركوا عبادتكم للأصنام وأمانته كونه مشهورا فى قومه بذلك أو مؤتمنا على أداء رسالة الله ولما عرض عليهم برفق تقوى الله فقال ألا تتقون انتقل من العرض الى الامر فقال فاتقوا الله وأطيعون فى نصحى لكم وفيما دعوتكم اليه من توحيد الله وافراده بالعبادة وما أسئلكم عليه أى على دعائى الى الله والامر بتقواه وقيل الضمير فى عليه يعود على النصح أو على التبليغ والمعنى لا أسئلكم عليه شيأ من أموالكم وقدم الأمر بتقوى الله على الأمر بطاعته لأن تقوى الله سبب لطاعة نوح عليه السلام ثم كرر الامر بالتقوى والطاعة ليؤكد عليهم ويقرر ذلك فى نفوسهم وان اختلف

التغليل جعل الاول معلولا لأمانته والثانى لانتفاء أخذ الاجر ثم لم ينظروا فى أمر رسالته ولا تفكروا فيما أمرهم به لما جبلوا عليه ونشؤا من حب الرئاسة وهى التى تطبع على قلوبهم فشرع أشرافهم فى تنقيص متبعيه وأن الحامل على انتفاء ايمانهم له كونه اتبعه الارذلون وقوله واتبعك الارذلون جملة حالية أى كيف نؤمن وقد اتبعك أراذلنا فنتساوى معهم فى اتباعك وكذا فعلت قريش فى شأن عمار وصهيب والضعفاء أكثر استجابة من الرؤساء لأن أذهانهم ليست مملوءة بزخارف الدنيا فهم أدرك للحق وأقبل له من الرؤساء * وقرأ الجمهور واتبعك فعلا ماضيا * وقرأ عبد الله وابن عباس والاعمش وأبو حيوة والضحاك وابن السميفع وسعيد بن أبى سعد الانصارى وطلحة ويعقوب واتباعك جمع تابع كصاحب وأصحاب * وقيل جمع تبيع كشريف وأشراف * وقيل جمع تبع كبرم وابرام والواو فى هذه القراءة للحال * وقيل للعطف على الضمير الذى فى قوله أنؤمن لك وحسن ذلك الفصل بلك قاله أبو الفضل الرازى وابن عطية وأبو البقاء * وعن اليمانى واتباعك بالجر عطفا على الضمير فى لك وهو قليل وقاسه الكوفيون * والارذلون رفع باضمارهم * قيل والذين آمنوا به بنوه ونساؤه وكناته وبنو بنيه فعلى هذا لا تكون الرذالة دناءة المكاسب وتقدم الكلام فى الرذالة فى هود فى قوله الا الذين هم أراذلنا وأرادوا بذلك تنقيص نوح عليه السلام إذلم يعلموا أن ضعفاء الناس هم أتباع الرسل كما ورد فى حديث هرقل وهذا الذى أجابوا به فى غاية السخافة إذهو مبعوث الى الخلق كافة فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى ولا شرف المكاسب ودناءتها * وقال ابن عطية ويظهر من الآية ان مراد قوم نوح نسبة الرذيلة الى المؤمنين بتهجين أفعالهم لا النظر الى صنائعهم يدل على ذلك قول نوح وما علمى الآية لأن معنى كلامه ليس فى نظرى وعلمى بأعمالهم ومعتقداتهم فائدة فانما أقنع بظاهرهم وأجتزئ به ثم حسابهم على الله تعالى وهذا نحو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الحديث بجملته انتهى * وقال الكرمانى لا أطلب العلم بما عملوه انما على أن أدعوهم * وقال الزمخشرى وما علمى وأى شئ علمى والمراد انتفاء علمه باخلاص أعمالهم واطلاعه على سرائرهم وانما قال هذا لأنهم قد طعنوا فى استرذالهم فى ايمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أراذلنا بادئ الرأى ويجوز أن يتعالى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ماهو الرذالة عندهم ثم بنى جوابه على ذلك فيقول ما على الا اعتبار الظواهر دون التفتيش على أسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم شئ فالله محاسبهم ومجازيهم وما أنا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادكم وانكار أن يسمى المؤمن رذلا وان كان أفقر الناس وأوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى انتهى وهو تكثير * وقال الحوفى وما علمى ما نافية والباء متعلقة بعلمى انتهى وهذا التخريج يحتاج فيه الى اضمار خبر حتى تصير جملة ولما كانوا لا يصدقون بالحساب ولا بالبعث أردفه بقوله لو تشعرون أى بأن المعاد حق والحساب حق * وقرأ الجمهور تشعرون بتاء الخطاب * وقرأ الاعرج وأبو زرعة وعيسى بن عمر الهمدانى بياء الغيبة * وما أنا بطارد المؤمنين هذا مشعر بأنهم طلبوا منه ذلك فأجابهم بذلك كما طلب رؤساء قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد من آمن من الضعفاء فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآيه أى لا أطردهم عنى لاتباع شهواتكم والطمع فى ايمانكم ان أنا الا نذير مبين ما

جئت به بالبرهان الصحيح الذى يميز به الحق من الباطل ولما اعتاوا فى ترك ايمانهم بايمان من هو دونهم دل ذلك على أنهم لم تتلج صدورهم للايمان اذ اتباع الحق لا يأنف منه أحد لوجود الشركة فيه أخذوا فى التهديد والوعيد * قالوا لئن لم تنته يانوح عن تقبيح ماتحن عليه وادعائك الرسالة من الله لتكونن من المرجومين أى بالحجارة * وقيل بالشتم وأيس اذ ذاك من فلاحهم فنادى ربه وهو أعلم بحاله ان قومى كذبون فدعائى ليس لأجل أنهم آذونى ولكن لأجل دينك * فافتح أى فاحكم ودعا لنفسه ولمن آمن به بالنجاة وفى ذلك اشعار بحلول العذاب بقومه أى ونجنى مما يحل بهم * وقيل ونجنى من عملهم لأنه سبب العقوبة والفلك واحد وجمع وغالب استعماله جمعا لقوله وترى الفلك مواخر فيه والفلك التى تجرى فى البحر فحيث أتى فى غير فاصلة استعمل جمعا وحيث كان فاصلة استعمل مفردا لمراعاة الفواصل كهذا الموضع والذى فى سورة يس وتقدم الخلاف اذا كان مدلوله جمعا أهو جمع تكسير أم اسم جمع * والمشحون * قال ابن عباس الموقر * وقال عطاء المثقل * ثم أغرقنا بعد أى بعد نجاة نوح والمؤمنين ﴿ كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسئلكم عليه من أجران أجرى الا على رب العالمين أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين ان هذا الاخلق الأولين ومانحن بمعذبين فكذبوه فأهلكناهم ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ كان أخاهم من النسب وكان تاجرا جيلا أشبه الخلق بآدم عليه السلام عاش أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة وبينه وبين ثمود مائة سنة وكانت منازل عاد مابين عمان الى حضرموت أمرع البلاد فجعلها الله مفاوز ورمالا أمرهم أولا بما أمر به نوح قومه ثم نعى عليهم من سوء أعمالهم مع كفرهم فقال أتبنون بكل ريع * قال ابن عباس هو رأس الزقاق * وقال مجاهد فج بين جبلين * وقال عطاء عيون فيها الماء * وقال ابن بحر جبل * وقيل الثنية الصغيرة * وقرأ الجمهور ريع بكسر الراء وابن أبى عبلة بفتحها * قال ابن عباس آية علما * وقال مجاهد أبراج الحمام * وقال النقاش وغيره القصور الطوال * وقيل بيت عشار * وقيل ناديا للتصلف * وقيل أعلاما طوالا ليهتدوا بها فى أسفارهم عبثوا بها لأنهم كانوا يهتدون بالنجوم * وقيل علامة يجتمع اليها من يعبث بالمار فى الطريق وفى قوله انكار للبناء على صورة العبث كما يفعله المترفون فى الدنيا * والمصانع جمع مصنعه * قيل وهى البناء على الماء * وقيل القصور المشيدة المحكمة * وقيل الحصون * وقال قتادة برك الماء * وقيل بروج الحمام * وقيل المنازل واتخذ هنا بمعنى عمل أى ويعملون مصانع أى تبنون وقال لبيد * وتبقى جبال بعدنا ومصانع * لعلكم تخلدون الظاهر ان لعل على بابها من الرجاء وكأنه تعليل للبناء والاتخاذ أى الحامل لكم على ذلك هو الرجاء للخلود ولا خلود وفى قراءة عبد الله كى تخلدون أو يكون المعنى يشبه حالكم حال من يخلد فلذلك بنيتم واتخذتم * وقال ابن زيد معناه الاستفهام على سبيل التوبيخ والهزء بهم أى هل أنتم تخلدون وكون لعل للاستفهام مذهب كوفى * وقال ابن عباس المعنى كأنكم خالدون وفى حرف أبى كأنكم تخلدون * وقرئ كأنكم خالدون * وقرأ الجمهور تخلدون مبنيا للفاعل وقتادة مبنيا للمفعول ويقال خلد الشئ وأخلده غيره * وقرأ أبى وعلقمه وأبو العاليه مبنيا للمفعول مشددا كما قال الشاعر

﴿ كذبت عاد المرسلين ﴾ الآية وكان أخاهم من النسب وكان تاجرا جيلا أشبه الخلق بآدم عليه السلام عاش أربعمائة سنة وأربعا وستين سنة وبينه و بين ثمود مائة سنة وكانت منازل عاد مابين عمان الى حضرموت أمرع البلاد فجعلها الله جبالا ورمالا أمرهم أولا بما أمر به نوح قومه ثم نعى عليهم من سوء أعمالهم مع كفرهم فقال ﴿ أتبنون بكل ريع ﴾ والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو المكان المرتفع وقال أبو عبيدة الريع أيضا الطريق * والمصانع جمع مصنعة قيل وهى البناء على الماء ولما خوفهم عذاب الله وعقابه كان من جوابهم ان قالوا ﴿ سواء علينا ﴾ وعظك وعدمه وجعلوا قوله وعظا اذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به وانه كاذب فيما ادعاه وقولهم ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به

وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

* واذا بطشتم أى أردتم البطش وحمل على الارادة لئلا يتحد الشرط وجوابه * كقوله * متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * أى متى أردتم بعثها * قال الحسن بادروا تعذيب الناس من غير تثبت ولا فكر فى العواقب * وقيل المعنى انكم كفار الغضب لكم السطوات المفرطة والبوادر فبناء الأبنية العالية تدل على حب العلو واتخاذ المصانع رجاء الخلود يدل على البقاء والجبارية تدل على التفرد بالعلو وهذه صفات الالهية وهى ممتنعة الحصول للعبد ودل ذلك على استيلاء حب الدنيا عليهم بحيث خرجوا عن حد العبودية وحب الدنيا رأس كل خطيئة ولما نبههم ووبخهم على أفعالهم القبيحة أمرهم ثانيا بتقوى الله وطاعة نبيه ثم أمرهم ثالثا بالتقوى تنبيها لهم على احسانه تعالى اليهم وسبوغ نعمته عليهم وأبرز صلة الذى متعلقة بعلمهم تنبيها لهم وتحريضا على الطاعة والتقوى اذ شكر المحسن واجب وطاعته متعينة ومشيرا اليهم بأن من أمد بالاحسان هو قادر على سلبه وعلى تعذيب من لم يتقه اذ هذا الامداد ليس من جهتكم وانما هو من تفضله تعالى عليكم بحيث اتبعكم احسانه شيأ بعد شئ ولما أتى بذكر ما أمدهم به مجملا محالا على علمهم أتى به مفصلا فبدأ بالانعام وهى التى تحصل بها الرئاسة فى الدنيا والقوة على من عاداهم والغنى هو السبب فى حصول الذرية غالبا وبوجوده وبحصول القوة أيضا بالبنين فلذلك قرنهم بالانعام ولانهم يستعينون بهم فى حفظها والقيام عليها واتبع ذلك بالبساتين والمياه المطردة اذ الامداد بذلك من اتمام النعمة * وبأنعام ذهب بعض النحويين الى أنه بدل من قوله بما تعلمون وأعيد العامل كقوله اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم والاكثرون لا يجعلون مثل هذا بدلا وانما هو عندهم من تكرار الجمل وان كان المعنى واحدا ويسمى التتبيع وانما يجوز أن يعاد عندهم العامل اذا كان حرف جر دون ما يتعلق به نحو مررت بزيد بأخيك ثم حذرهم عذاب الله وأبرز ذلك فى صورة الخوف لا على سبيل الجزم اذ كان راجيا لايمانهم فكان من جوابهم أن قالوا سواء علينا أوعظت وعدمه وجعلوا قوله وعظا اذ لم يعتقدوا صحة ما جاء به وأنه كاذب فيما ادعاه وقولهم ذلك على سبيل الاستخفاف وعدم المبالاة بما خوفهم به * وقرأ الجمهور وعظت باظهار الظاء وروى عن أبى عمرو والكسائى وعاصم ادغام الظاء فى التاء وبالادغام قرأ ابن محيصن والاعمش الا أن الاعمش زاد ضمير المفعول فقرأ أوعظتنا وينبغى أن يكون اخفاء لان الظاء مجهورة مطبقة والتاء مهموسة منفتحة فالظاء أقوى من التاء والادغام انما يحسن فى المتماثلين أو فى المتقاربين اذا كان الأول أنقص من الثانى وأما ادغام الأقوى فى الأضعف فلا يحسن على أنه قد جاء من ذلك أشياء فى القرآن بنقل الثقات فوجب قبولها وان كان غيرها هو أفصح وأقيس وعادل أوعظت بقوله أم لم تكن من الواعظين وان كان قد يعادله أم لم تعظ كما قال سواء علينا أجزعنا أم صبرنا لأجل الفاصلة كما عادلت فى قوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون ولم يأت التركيب أم صمتم وكثيرا ما يحسن مع الفواصل ما لا يحسن دونه * وقال الزمخشرى بينهما فرق يعنى بين ما جاء فى الآية وهى أم لم تعظ قال لأن المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذى هو الوعظ أم لم تكن أصلا من أهله ومباشرته فهو أبلغ فى قلة اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ ولما لم يبالوا بما أمرهم به وبما ذكرهم من نعم الله وتخويفه الانتقام منهم أجابوه بأن قالوا ان هذا الا خلق الأولين * وقرأ عبد الله وعلقمة والحسن وأبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير والكسائى خلق بفتح الخاء وسكون اللام فهو يحتمل أن يكون المعنى ان هذا الذى تقوله وتدعيه

الا اختلاق الأولين من الكذبة قبلك فأنت على مناهجهم وروى علقمة عن عبد الله ان هذا الا اختلاق الأولين ويحتمل أن يكون المعنى ما هذه البنية التي نحن عليها الا البنية التي عليها الأولون حياة وموت ولا بعث ولا تعذيب * وقرأ باقي السبعة خلق بضمتين وأبو قلابة والاصمعي عن نافع بضم الخاء وسكون اللام وتحتمل هذه القراءة تينك الاحتمالين اللذين في خلق ﴿كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا انما أنت من المسحرين ما أنت الا بشر مثلنا فائت بآية ان كنت من الصادقين قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أتتركون يجوز أن يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم لا يزولون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير ذلك مع الأمن والدعة قاله الزمخشري * وقال ابن عطية تخويف لهم بمعنى أتطمعون ان كفرتم في النعم على معاصيكم * وقيل أتتركون استفهام في معنى التوبيخ أي أيترككم ربكم فيما ههنا أي فيما أنتم عليه في الدنيا آمنين لا تخافون بطشه انتهى وما موصولة وههنا اشارة الى المكان الحاضر القريب أي في الذي استقر في مكانكم هذا من النعيم وفي جنات بدل من ما ههنا أجمل ثم فصل كما أجمل هود عليه السلام في قوله أمدكم بما تعلمون ثم فصل في قوله أمدكم بانعام وبنين وكانت أرض ثمود كثيرة البساتين والماء والنخل * والهضيم * قال ابن عباس اذا أينع وبلغ * وقال الزهري الرخص اللطيف أول ما يخرج * وقال الزجاج الذي رطبه بغير نوى * وقال الضحاك المنضد بعضه على بعض * وقيل الرطب المذنب * وقيل النضيج من الرطب * وقيل الرطب المتفتت * وقيل الحاض الطلع ويقارب قشرته من الجانبين من قولهم خصر هضيم * وقيل العذق المتدلي * وقيل الجمار الرخو وجاء قوله ونخل بعد قوله في جنات وان كانت الجنة تتناول النخل أول شئ ويطلقون الجنة ولا يريدون بها الا النخل كما قال الشاعر

كأن عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقي جنة سحقا

أراد هنا النخل والسحق جمع سحوق وهي التي ذهبت بجردتها صعدا فطالت فافرد ونخل بالذكر بعد اندراجه في لفظ جنات تنبيها على انفراده عن شجر الجنة بفضله أو أراد بجنات غير النخل من الشجر لان اللفظ صالح لهذه الارادة ثم عطف عليه ونخل ذكرهم تعالى نعمه في أن وهب لهم أجود النخل وأينعه لان الاناث ولادة التمر وطلعها فيه لطف والهضيم اللطيف الضامر والبرني ألطف من طلع اللون ويحتمل اللطف في الطلع أن يكون بسبب كثرة الحمل فانه متى كثر لطف فكان هضيما واذا

﴿كذبت ثمود المرسلين﴾ الآية ﴿أتتركون﴾ يجوز أن يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيم لا يزولون عنه وأن يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتبعون فيه من الجنات وغير ذلك مع الامن والدعة والنخل والهضيم قال ابن عباس اذا أينع وبلغ ﴿من الجبال﴾ أي مغارات ليحفظوا أموالهم فيها ﴿فرهين﴾ (٣٤) قال قتادة آمنين وقيل غير ذلك ﴿ومثلنا﴾ أي في الاكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر فلا اختصاص لك بالرياسة ﴿فائت بآية﴾ أي بعلامة على صحة دعواك وفي الكلام حذف تقديره قال آتي بها قالوا ما هي قال هذه ناقة * روى انهم اقترحوا عليه ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وتقدم في الاعراف طرف من قصة ثمود والناقة والشرب النصيب المشروب من الماء نحو السقي وظاهر هذا العذاب انه في الدنيا وكان وقع ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه ونسب العقر الى جميعهم لكونهم راضين بذلك حتى روى انهم استرضوا المرأة في خدرها والصبيان فرضوا جميعا ﴿فأصبحوا نادمين﴾ لا ندم توبة بل ندم خوف ان يحل بهم العذاب عاجلا وذلك عند معاينة العذاب وذلك في غير وقت التوبة أصبحوا وقد تغيرت ألوانهم حسبما كان أخبرهم به صالح عليه السلام وكان العذاب صيحة خمدت لها أبدانهم وانشقت قلوبهم وماتوا عن آخرهم وصب عليهم حجارة خلال ذلك وأل في أخذهم العذاب للعهد في العذاب السابق أي عذاب ذلك اليوم العظيم

قل الحمل جاء الثمر فاخرا ولما كانت منابت النخل جيدة وكان السقي لها كثيرا وسلمت من العاهة كبر الحمل بلطف الحب * وقرأ الجمهور وتنحتون بالتاء للخطاب وكسر الحاء وأبو حيوة وعيسى والحسن بفتحها وتقدم ذكره وعنه بألف بعد الحاء اشباعا * وعن عبد الرحمن بن محمد عن أبيه بالياء من أسفل وكسر الحاء * وعن أبي حيوة والحسن أيضا بالياء من أسفل وفتح الحاء * وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن علي والكوفيون وابن عامر فارهين بألف وباقي السبعة بغير ألف ومجاهد متفرهين اسم فاعل من تفره والمعنى نشطين مهتمين قاله ابن عباس * وقال مجاهد شرهين * وقال ابن زيد أقوياء * وقال ابن عباس أيضا وأبو عمرو بن العلاء أشرين بطرين * وقال عبد الله بن شداد بمعنى مستفرهين أي مبالغين في استجادة المغارات ليحفظوا أموالهم فيها * وقال قتادة آمنين * وقال الكلبي متجبرين * وقال خصيف معجبين * وقال عكرمة ناعمين * وقال الضحاك كيسين * وقال أبو صالح حاذقين * وقال ابن بحر قادرين * وقال أبو عبيدة مرحين وظاهر هذه الآيات ان الغالب على قوم هود اللذات الخيالية من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر وعلى قوم صالح اللذات الحسية من المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة * ولا تطيعوا خطاب لجمهور قومه * والمسرفون هم كبراؤهم وأعلامهم في الكفر والاضلال وكانوا تسعة رهط يفسدون في الارض أي أرض ثمود * وقيل في الارض كلها لان بمعاصيهم امتناع الغيث ولما كانوا يفسدون دلالته دلالة المطلق أتى بقوله ولا يصلحون فنفى عنهم الصلاح وهو نفي لمطلق الصلاح فيلزم منه نفي الصلاح كائنا ما كان فلا يحصل منهم صلاح ألبتة والمسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله * وقيل من السحر وهو الرئة أي أنت بشر لا تصلح للرسالة ويضعف هذا القول قولهم بعد ما أنت الا بشر مثلنا اذ تكون هذه الجملة توكيدا لما قبلها والاصل التأسيس * ومثلنا أي في الأكل والشرب وغير ذلك من صفات البشر فلا اختصاص لك بالرسالة فائت بآية أي بعلامة على صحة دعواك وفي الكلام حذف تقديره قال آتي بها قالوا ما هي قال هذه ناقة روي انهم اقترحوا عليه ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة تلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين أيديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وتقدم في الاعراف طرف من قصة ثمود والناقة والشرب النصيب المشروب من الماء نحو السقي * وقرأ ابن أبي عبلة شرب بضم الشين فيهما وظاهر هذا العذاب أنه في الدنيا وكذا وقع ووصف بالعظم لحلول العذاب فيه ووصفه به أبلغ من وصف العذاب به لان الوقت اذا عظم بسبب العذاب كان موقع العذاب من العظم أشد ونسب العقر الى جميعهم لكونهم راضين بذلك حتى روي انهم استرضوا المرأة في خدرها والصبيان فرضوا جميعا * فأصبحوا نادمين لا ندم توبة بل ندم خوف أن يحل بهم العذاب عاجلا وذلك عند معاينة العذاب في غير وقت التوبة أصبحوا وقد تغيرت ألوانهم حسبما كان أخبرهم به صالح عليه السلام وكان العذاب صيحة خمدت لها أبدانهم وانشقت قلوبهم وماتوا عن آخرهم وصب عليهم حجارة خلال ذلك * وقيل كانت ندامتهم على ترك عقر الولد وهو قول بعيد وأل في فأخذهم العذاب للعهد في العذاب السابق عذاب ذلك اليوم العظيم * كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون قالوا لئن لم تنته

﴿ كذبت قوم لوط المرسلين ﴾ الآية ﴿ أتأتون ﴾ استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والذكران جمع ذكر مقابل الأنثى والاتيان كناية عن وطء الرجال وقد سماه تعالى بالفاحشة ﴿ من العالمين ﴾ وهو مخصوص بذكران بني آدم وقيل مخصوص بالغرباء ﴿ وتذرون ما خلق لكم ﴾ ظاهر في كونهم لا يأتون النساء اما ألبتة واما غالبة ﴿ ما خلق لكم ربكم ﴾ يدل على الاباحة بشرطها ﴿ من أزواجكم ﴾ أي من الاناث ﴿ بل أنتم قوم عادون ﴾ أي متجاوزون الحد في الظلم وهو اضراب بمعنى الانتقال من شيء الى شيء ولما نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعدوه بالاخراج وهو النفي من بلده الذي نشأ فيه أي لئن لم تنته عن دعواك النبوة وعن الانكار علينا فيما نأتيه من الذكران لننفينك كما نفينا من نهانا قبلك

يالوط لتكونن من المخرجين قال انى لعملكم من القالين رب نجنى وأهلى مما يعملون فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ أتأتون استفهام انكار وتقريع وتوبيخ والذكران جمع ذكر مقابل الأنثى والاتيان كناية عن وطء الرجال وقد سماه تعالى بالفاحشة فقال أتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من أحد من العالمين هو مخصوص بذكران بنى آدم * وقيل مخصوص بالغرباء * وتذرون ماخلق ظاهر فى كونهم لايأتون النساء اما البتة واما غالبة * ماخلق لكم ربكم يدل على الاباحة بشرطها * من أزواجكم أى من الاناث ومن اما للتبيين لقوله ماخلق واما للتبعيض أى العضو المخلوق للوطء وهو الفرج وهو على حذف مضاف أى وتذرون اتيان فان كان ماخلق لايراد به العضو فلابد من تقدير مضاف آخر أى وتذرون اتيان فروج ماخلق * بل أنتم قوم عادون أى متجاوزون الحد فى الظلم وهو اضراب بمعنى الانتقال من شئ الى شئ لانه ابطال لما سبق من الانكار عليهم وتقبيح أفعالهم واعتدائهم اما فى المعاصى التى هذه المعصية من جملتها أو من حيث ارتكاب هذه الفعلة الشنيعة وجاء تصدير الجملة بضمير الخطاب تعظيما لقبح فعلهم وتنبيها على أنهم هم مختصون بذلك كما تقول أنت فعلت كذا أى لاغيرك ولما نهاهم عن هذا الفعل القبيح توعدوه بالاخراج وهو النفى من بلده الذى نشأ فيه أى لئن لم تنته عن دعواك النبوة وعن الانكار علينا فيما نأتيه من الذكران لننفينك كما نفينا من نهانا قبلك * ودل قوله من المخرجين على انه سبق من نهاهم عن ذلك فنفوه بسبب النهى أو من المخرجين بسبب غير هذا السبب كأنه من خالفهم فى شئ نفوه سواء كان الخلاف فى هذا الفعل الخاص أم فى غيره *قال انى لعملكم أى للفاحشة التى أنتم تعملونها ولعملكم يتعلق اما بالقالين وان كان فيه أل لانه يسوغ فى المجرور والظروف مالايسوغ فى غيرها لاتساع العرب فى تقديمها حيث لايتقدم غيرها واما بمحذوف دل عليه القالين تقديره انى قال لعملكم واما أن تكون للتبيين أى لعملكم أعنى من القالين وكونه بعض القالين يدل على انه يبغض هذا الفعل ناس غيره هو بعضهم وبه دل على أن هذا الفعل موجب للبغض حتى يبغضه الناس ومن القالين أبلغ من قال لما ذكرنا من ان الناس يبغضونه ولتضمنه انه معدود ممن يبغضه ألاترى ان قولك زيد من العلماء أبلغ من زيد عالم لان فى ذلك شهادة بانه معدود فى زمرتهم * وقال أبو عبد الله الرازى القلى البغض الشديد كأنه بغض فقلى الفؤاد والكبد انتهى ولا يكون قلى بمعنى أبغض وقلا من الطبخ والشى من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلا من الشى من ذوات الواو وتقول قلوت اللحم فهو مقلو ومادة قلى من البغض من ذوات الياء قليت الرجل فهو مقلى *قال الشاعر

* ولست بمقلى الخلال ولاقال *

ولما توعدوه بالاخراج أخبرهم ببغض عملهم ثم دعا ربه فقال رب نجنى وأهلى مما يعملون أى من عقوبة مايعملون من المعاصى ويحتمل أن يكون دعاء لأهله بالعصمة من أن يقع واحد منهم فى مثل فعل قومه ودل دعاؤه بالتنجية لأهله على انهم كانوا مؤمنين ولما كانت زوجته مندرجة فى الأهل وكان ظاهر دعائه دخولها فى التنجية وكانت كافرة استثنيت فى قوله فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ودل قوله عجوزا على انها قد عسيت فى الكفر ودامت فيه الى ان صارت عجوزا * ومن الغابرين صفة أى من الباقين من لداتها وأهل بيتها قاله أبو عبيدة

البغض الشديد كأنه بغض فقلى الفؤاد والكبد انتهى ولا يكون قلى بمعنى أبغض وقلى من الشى والطبخ من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلى من الشى من ذوات الواو وتقول قلوت اللحم فهو مقلو ومادة قلى من البغض من ذوات الياء قليت الرجل فهو مقلى ولست بمقلى الخلال ولاقال ولما توعدوه بالاخراج أخبرهم ببغض عملهم ثم دعا ربه فقال ﴿رب نجنى وأهلى﴾ أى من عقوبة مايعملون من المعاصى * ولما كانت زوجته مندرجة فى الأهل وكان ظاهر دعائه دخولها فى التنجية وكانت كافرة استثنيت فى قوله ﴿فنجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين﴾ وفى الغابرين

(الدر)

(ح) قال أبو عبد الله الرازى القلى البغض الشديد كأنه بغض فقلى الفؤاد والكبد انتهى ولا يكون قلى بمعنى أبغض وقلى من الطبخ والشى من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلى من الشى من ذوات الواو تقول قلوت اللحم فهو مقلو ومادة قلى من البغض من ذوات الياء تقول قليت الرجل فهو مقلى قال * ولست بمقلى الخلال ولاقال *

* وقال قتادة من الباقين في العذاب النازل بهم وتقدم القول في غبر وانه يستعمل بمعنى بقي وهو المشهور وبمعنى مضى ونجاته عليه السلام ان أمره تعالى بالرحلة ليلا وكانت امرأته كافرة تعين عليه قومه فأصابها حجر فهلكت فيمن هلك * قال قتادة أمطر الله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم * وقال قتادة أتبع الائتفاك مطرا من الحجارة وساء بمعنى بئس والمخصوص بالذم محذوف أي مطرهم * وقال مقاتل خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة الى من كان خارجا من القرية ولم يكن فيها مؤمن إلا بيت لوط * ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ قرأ الحرميان وابن عامر ليكة هنا وفي ص بغير لام ممنوع الصرف * وقرأ باقي السبعة الأيكة بلام التعريف فأما قراءة الفتح * فقال أبو عبيد وجدنا في بعض التفسير ان ليكة اسم للقرية والأيكة البلاد كلها كمكة وبكة ورأيتها في الامام مصحف عثمان في الحجر وق الأيكة وفي الشعراء وص ليكة واجتمعت مصاحف الأمصار كلها بعد على ذلك ولم تختلف انتهى وقد طعن في هذه القراءة المبرد وابن قتيبة والزجاج وأبو علي الفارسي والنحاس وتبعهم الزمخشري ووهموا القراء وقالوا حملهم على ذلك كون الذي كتب في هذين الموضعين على اللفظ في من نقل حركة الهمزة الى اللام وأسقط الهمزة فتوهم ان اللام من بنية الكلمة ففتح الياء وكان الصواب أن يجر ثم مادة ل ي ك لم يوجد منها تركيب فهي مادة مهملة كما أهملوا مادة خ ذ ج منقوطا وهذه نزغة اعتزالية يعتقدون ان بعض القراءة بالرأي لا بالرواية وهذه قراءة متواترة لا يمكن الطعن فيها ويقرب انكارها من الردة والعياذ بالله أما نافع فقرأ على سبعين من التابعين وهم عرب فصحاء ثم هي قراءة أهل المدينة قاطبة وأما ابن كثير فقرأ على سادة التابعين ممن كان بمكة كمجاهد وغيره وقد قرأ عليه امام البصرة أبو عمرو بن العلاء وسأله بعض العلماء أقرأت على ابن كثير قال نعم ختمت على ابن كثير بعدما ختمت على مجاهد وكان ابن كثير أعلم من مجاهد باللغة * قال أبو عمرو ولم يكن بين القراءتين كبير يعني خلافا * وأما ابن عامر فهو امام أهل الشام وهو عربي قح قد سبق اللحن أخذ عن عثمان وعن أبي الدرداء وغيرهما فهذه أمصار ثلاثة اجتمعت على

صفة أي من الباقين من لداتها وأهل بيتها ونجاته عليه السلام ان أمره بالرحلة ليلا وكانت امرأته كافرة تعين عليه قومه فأصابها حجر فهلكت فيمن هلك قال قتادة أمطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة من السماء فهلكوا وقال مقاتل خسف الله بقوم لوط وأرسل الحجارة على من كان خارجا من القرية ولم يكن فيها مؤمن الا بيت لوط عليه السلام ﴿ كذب أصحاب الأيكة المرسلين ﴾ روي في الحديث ان شعيبا أخا مدين أرسل

اليهم والى أصحاب الأيكة أمرهم بايفاء الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف ولم يذكر الزيادة على الواجب لان النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد أحسن ومن تركه فلا حرج وتقدم تفسير القسطاس في سورة الاسراء ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ تقدم الكلام عليها ولما تقدم أمره عليه السلام بتقوى الله اياهم أمرهم ثانيا بتقوى من أوجدهم وأوجد من قبلهم تنبيها على أن من أوجدهم قادر أن يعدمهم ويهلكهم وعطف عليهم ﴿ والجبلة ﴾ إيذانا بذلك فكأنه قيل مصيركم الى ما صار إليه أولوكم فاتقوا الله الذي تصيرون إليه والجبلة الخلق وقيل الخلق المتجمد الغليظ مأخوذ من الجبل ثم طلبوا منه اسقاط كسف من السماء عليهم وليس له ذلك فالمعنى ان كنت صادقا فادع الذي أرسلك أن يسقط علينا كسفا أي قطعة ودل طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب ولما طلبوا منه ما طلبوا أحال علم ذلك الى الله تعالى وانه هو العالم بأعمالكم وما تستوجبون عليها من العقاب فهو يعاقبكم بما شاء ﴿ فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴾ وهو نحو مما اقترحوا ولم يذكر الله تعالى كيفية عذاب الظلة وروي في حديثها اختلاف كثير فروي انه حبس عنهم الريح سبعا فابتلوا بحر عظيم تأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا

هذه القراءة الحرمان مكة والمدينة والشام وأما كون هذه المادة مفقودة فى لسان العرب فان صح ذلك كانت الكلمة عجمية ومواد كلام العجم مخالفة فى كثير مواد كلام العرب فيكون قد اجتمع على منع صرفها العلمية والعجمة والتأنيث وتقدم مدلول الأيكة فى الحجر وكان شعيب عليه السلام من أهل مدين فلذلك جاء والى مدين أخاهم شعيبا ولم يكن من أهل الأيكة فلذلك قال هنا اذ قال لهم شعيب * ومن غريب النقل ما روى عن ابن عباس ان أصحاب الأيكة هم أصحاب مدين وعن غيره ان أصحاب الأيكة هم أهل البادية وأصحاب مدين هم الحاضرة * وروى فى الحديث أن شعيبا أخا مدين أرسل اليهم والى أصحاب الأيكة أمرهم بايفاء الكيل وهو الواجب ونهاهم عن الاخسار وهو التطفيف ولم يذكر الزيادة على الواجب لان النفوس قد تشح بذلك فمن فعله فقد أحسن ومن تركه فلا حرج وتقدم تفسير القسطاس فى سورة الاسراء * وقال الزمخشرى ان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاء والا فهو رباعى انتهى ولو تكرر ما يماثل العين فى النطق لم يكن عند البصريين إلا رباعيا * وقال ابن عطية هو مبالغة من القسط انتهى والظاهر ان قوله وزنوا هو امر بالوزن اذ عادل قوله أوفوا الكيل فشمل ما يكال وما يوزن مما هو معتاد فيه ذلك * وقال ابن عباس ومجاهد معناه عدلوا أموركم كلها بميزان العدل الذى جعله الله لعباده * ولا تبخسوا الناس أشياءهم الجملة والتى تليها تقدم الكلام عليهما ولما تقدم أمره عليه السلام اياهم بتقوى الله أمرهم ثانيا بتقوى من أوجدهم وأوجد من قبلهم تنبيها على ان من أوجدهم قادر على أن يعذبهم ويهلكهم وعطف عليهم والجبلة ايذانا بذلك فكأنه قيل يصيركم الى ما صار اليه أولوكم فاتقوا الله الذى تصيرون اليه * وقرأ الجمهور والجبلة بكسر الجيم والباء وشد اللام * وقرأ أبو حصين والأعمش والحسن بخلاف عنه بضمها والشد للام * وقرأ السلمى والجبلة بكسر الجيم وسكون الباء وفى نسخة عنه فتح الجيم وسكون الباء وهى من جبلوا على كذا أى خلقوا * قيل وتشديد اللام فى القراءتين فى بناء ين للمبالغة * وعن ابن عباس الجبلة عشرة آلاف * وما أنت جاء هنا بالواو وفى قصة هود ما أنت بغير واو * فقال الزمخشرى اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مخالف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز أن يكون مسحرا ولا يجوز أن يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا انتهى * وان نظنك لمن الكاذبين ان هى المخففة من الثقيلة واللام فى لمن هى الفارقة خلافا للكوفيين فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وتقدم الخلاف فى نحو ذلك فى قوله وان كانت لكبيرة فى البقرة * ثم طلبوا منه اسقاط كسف من السماء عليهم وليس له ذلك فالمعنى ان كنت صادقا فادع الذى أرسلك أن يسقط علينا كسفا أى قطعة أو قطعا على حسب التسكين والتحريك * وقال الزمخشرى وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وشذر * وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى القطعة وكسفة قطعه والسماء السحاب أو المظلة ودل طلبهم ذلك على التصميم على الجحود والتكذيب ولما طلبوا منه ما طلبوا أحال علم ذلك الى الله تعالى وانه هو العالم بأعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فهو يعاقبكم بما شاء فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة وهو نحو مما اقترحوا ولم يذكر الله كيفية عذاب يوم الظلة حتى ان ابن عباس قال من حدثك ما عذاب يوم الظلة فقد كذب وذكر فى حديثها تطويلا فروى انه حبس عنهم الريح سبعا فابتلوا بحر عظيم يأخذ بأنفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء فاضطروا الى أن خرجوا الى البرية فأظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فأمطرت

لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحرقتهم وكررما كرر فى أوائل هذه القصص تنبيها على ان طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها وهى الدعاء الى توحيد الله تعالى وعبادته ورفض ماسواه وانهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشتركون فى ذلك وان ماجاء به صلى الله عليه وسلم هو ماجاءت به الرسل عليهم السلام قبله وتلك عادة الانبياء

﴿وانه لتنزيل رب العالمين﴾ الآية الضمير فى وانه عائد على القرآن أى انه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من عند الله تعالى وكانه عاد أيضا الى ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم * والروح هنا جبريل عليه السلام وتقدم فى سورة مريم لم أطلق عليه الروح والظاهر تعلق ﴿على قلبك﴾ ولتكون بنزل وخص القلب والمعنى عليك لانه محل الوعى والتثبيت وليعلم ان المنزل على قلبه عليه الصلاة والسلام محفوظ لا يجوز عليه التبديل والتغيير وليكون عليه فى التنزيل أو النزول اقتصر عليه الا ان ذلك أزجر للسامع وان كان القرآن نزله للانذار والتبشير والظاهر تعلق بلسان بنزل فكان يسمع من جبريل عليه السلام حروفا عربية ﴿وانه﴾ أى القرآن ﴿لفى زبر الأولين﴾ أى مذكور فى الكتب المنزلة القديمة منبه عليه مشار اليه ﴿أولم يكن لهم آية﴾ أى علامة على صحته علم بنى اسرائيل اذ كانت قريش ترجع فى كثير من الامور الثقيلة الى بنى اسرائيل ويسألونهم عنها ويقولون هم أصحاب الكتب الالهية وقد تهود كثير من العرب وتنصر كثير لاعتقادهم فى صحة دينهم وذكر الثعلبى عن ابن عباس ان أهل مكة بعثوا الى أحبار يثرب يسألونهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا زمانه ووصفوا نعته وخلطوا فى أمر محمد عليه الصلاة والسلام فنزلت الآية فى ذلك ويؤيد هذا كون الآية مكية وقرئ يكن بالياء آية بالنصب خبر يكن وأن يعلمه أن مع الفعل بتأويل المصدر تقديره علم بنى اسرائيل وهو اسم يكن وقرئ تكن بالتاء آية بالرفع وخرجه الزمخشرى على ان آية اسم تكن وان يعلمه الخبر فجعل النكرة اسم تكن وأن يعلمه المعرفة الخبر وهو عكس الاعراب أعنى جعل الاسم نكرة والخبر معرفة وهو لا يجوز الا فى الشعر كقول الشاعر

كان سبيئة من بيت راس ... يكون مزاجها عسل وماء

عليهم نارا فأحرقتهم وكرر ما كرر فى أوائل هذه القصص تنبيها على ان طريقة الأنبياء واحدة لا اختلاف فيها وهى الدعاء الى توحيد الله وعبادته ورفض ما سواه وانهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مشتركون فى ذلك وان ما جاء به صلى الله عليه وسلم هو ما جاءت به الرسل قبله وتلك عادة الأنبياء * قال ابن عطية وجاءت الالفاظ فى دعاء كل واحد من هؤلاء الأنبياء واحدة بعينها اذ كان الايمان المدعو اليه معنى واحدا بعينه * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف كرر فى هذه السورة فى أول كل قصة وآخرها ما كرر (قلت) كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما فى غيرها فكانت كل واحدة منها تدلى بحق الى أن يفتتح بمثل ما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بمثل ذلك مما اختتمت به ولأن التكرير تقرير للمعانى فى النفوس وتثبيت لها فى الصدور ولان هذه القصص طرقت بهذا آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فأوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير ﴿وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين وانه لفى زبر الأولين أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون

والأحسن فى هذه القراءة أن يكون فى تكن ضمير القصة اسمها وآية وان يعلمه جملة فى موضع خبر تكن ﴿ولو نزلناه﴾ بلغة العجم على رجل أعجمى فقرأه على العرب لم يؤمنوا به من حيث لم يفهموه واستنكفوا اتباعه وقال الفراء الأعجمين جمع أعجم أو أعجمى على حذف ياء النسب كما قالوا الأشعرين واحدهم أشعرى ﴿فقرأه عليهم﴾ أى على العرب بلسان العجم والضمير فى سلكناه عائد على ما عادت عليه الضمائر قبل وهو القرآن والمعنى مثل ذلك المثل وهو الادخال والتمكين والتفهيم لمعانيه ﴿سلكناه﴾ أدخلناه ومكناه فى قلوب المجرمين والمعنى ما ترتب على ذلك السلك من كونهم فهموه وأدركوه فلم يزدهم ذلك الاعنادا أو جحودا أو كفروا به ورؤيتهم للعذاب قيل فى الدنيا وقيل يوم القيامة ﴿فيقولوا﴾ أى كل أمة معذبة ﴿هل نحن منظرون﴾ مؤخرون وهذا على جهة التمنى منهم والرغبة حيث لا تنفع الرغبة ثم رجع لفظ الآية الى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله فى طلبهم سقوط السماء كسفا وغير ذلك وقولهم للرسول أين الذى تعدنا به ﴿أفرأيت ان متعناهم سنين﴾ خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة عليهم فى أن مدة الارجاء والامهال والاملاء لا تغنى اذا نزل العذاب بعدها ثم أخبر تعالى أنه لم يهلك قرية من القرى الا وقد أرسل إليها من ينذرها عذاب الله ان هى عصت ولم تؤمن كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجمع منذرون لان

من قرية عام فى القرى الظالمة كأنه قيل وما أهلكنا القرى الظالمة والجملة من قوله لها منذرون فى موضع الحال من قرية قال الزمخشرى * فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم * قلت الاصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهى الاعراب أن يكون لها فى موضع الحال وارتفع منذرون بالمجرور أى الا كائنا لها منذرون فتكون من مجىء الحال مفردا لا جملة ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز أن تجىء صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجىء الصفة بعد الا معتمدة على أداة الاستثناء نحو ماجاءنى أحد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه

على البدل أى الا رجل راكب ويدعى على صحة هذا المذهب ان العرب تقول ما مررت باحد الا قائما ولا يحفظ من كلامها مررت باحد الا قائم بالجر فلو كانت الجملة فى موضع الصفة للنكرة لورد المفرد بعد الا صفة لها فان كانت الصفة غير معتمدة على الاداة جاءت الصفة بعد الا نحو ماجاءنى أحد الا زيد خير من عمرو والتقدير ماجاءنى أحد خير من عمرو الا زيد وأما كون الواو تزاد لتأكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود فى كلام النحويين لو قلت جاءنى رجل وعاقل على أن يكون وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما تدخل الواو فى الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر وأما ثامنهم كلبهم فقد تقدم الكلام عليه فى موضعه ﴿وذكرى﴾ منصوب على المصدر والعامل فيه منذرون لأنه فى معنى مذكرون وقال الزمخشرى و وجه آخر وهو أن تكون ذكرى متعلقة باهلكنا مفعولا له معنى والتقدير وما أهلكنا من أهل قرية ظالمة الا بعد ما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم ﴿وما كنا ظالمين﴾ فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول انتهى هذا لا معول عليه لأن مذهب الجمهور ان ماقبل الا لا يعمل فيما بعدها الا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه أو تابعا له غير معتمد على الاداة نحو مامررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة فلا يجوز أن يتعلق باهلكنا ويتخرج جواز ذلك على مذهب الكسائى والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته

ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون ✻ وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ✻ ذكرى وما كنا ظالمين ✻ الضمير فى وانه عائد على القرآن أى انه ليس بكهانة ولا سحر بل هو من عند الله وكأنه عاد أيضا الى ما افتتح به السورة من اعراض المشركين عما يأتيهم من الذكر ليتناسب المفتتح والمختتم * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وحفص نزل مخففا والروح الامين مرفوعان وباقى السبعة بالتشديد ونصبهما والروح هنا جبريل عليه السلام وقد تقدم فى سورة مريم لم أطلق عليه الروح وبه قال ابن عطية فى موضع الحال كقوله وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به انتهى والظاهر تعلق على قلبك ولتكون بنزل وخص القلب والمعنى عليك لانه محل الوعى والتثبيت وليعلم ان المنزل على قلبه عليه السلام محفوظ لا يجوز عليه التبديل ولا التغيير وليكون علة فى التنزيل أو النزول اقتصر عليها لان ذلك أزجر للسامع وان كان القرآن نزل للانذار والتبشير والظاهر تعلق بلسان بنزل فكان يسمع من جبريل حروفا عربية * قال ابن عطية وهو القول الصحيح وتكون صلصلة الجرس صفة لشدة الصوت وتداخل حروفه وعجلة مورده واغلاظه ويمكن أن يتعلق بقوله لتكون وتمسك بهذا من رأى النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمع أحيانا مثل صلصلة الجرس يتفهم له منه القرآن وهو مردود انتهى * وقال الزمخشرى بلسان اما أن يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم واما أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربى المبين لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمى لتجافوا عنه أصلا وقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفى هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لانك تفهمه ويفهمه قومك ولو كان أعجميا لكان نازلا على سمعك دون قلبك لانك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فاذا كلم بلغتها التى لقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معانى الكلم يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين انتهى وفيه تطويل * وانه أى القرآن لفى زبر الاولين أى مذكور فى الكتب المنزلة القديمة منبه عليه مشار اليه * وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابى حنيفة فى جواز القراءة بالفارسية فى الصلاة على

أن القرآن قرآن اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر الاولين لكون معانيه فيها * وقيل الضمير عائد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ان ذكره ورسالته في الكتب الالهية المتقدمة يكون التفاتا اذ خرج من ضمير الخطاب في قوله على قلبك لتكون الى ضمير الغيبة وكذلك قيل في أن يعلمه أي ان يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم وتناسق الضمائر لشئ واحد أوضح * وقرأ الاعمش لفي زبر بسكون الباء والاصل الضم ثم احتج عليهم بأنهم كان ينبغي أن يصح عندهم أمره كون علماء بني اسرائيل يعلمونه أي أولم يكن لهم علامة على صحته علم بني اسرائيل به اذ كانت قريش ترجع في كثير من الأمور النقلية الى بني اسرائيل ويسألونهم عنها ويقولون هم أصحاب الكتب الالهية وقد تهود كثير من العرب وتنصر كثير لاعتقادهم في صحة دينهم * وذكر الثعلبي عن ابن عباس ان أهل مكة بعثوا الى أحبار يثرب يسألونهم عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا زمانه ووصفوا نعته وخلطوا في أمر محمد عليه السلام فنزلت الآية في ذلك ويؤيد هذا كون الآية مكية * وقال مقاتل هي مدنية * وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد وذلك أن جماعة منهم أسلموا ونصوا على مواضع من التوراة والانجيل ذكر فيها الرسول عليه السلام قال تعالى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا الآية * وقيل علماؤهم من أسلم منهم ومن لم يسلم * وقيل أنبياؤهم حيث نبهوا عليه وأخبروا بصفته وزمانه ومكانه * وقرأ الجمهور أولم يكن بالياء من تحت آية بالنصب وهي قراءة واضحة الاعراب توسط خبر يكن وان يعلمه هو الاسم * وقرأ ابن عامر والجحدري تكن بالتاء من فوق آية بالرفع * قال الزمخشري جعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وليست كالاولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية جملة الشأن وان يعلمه بدلا من آية انتهى * وقرأ ابن عباس تكن بالتاء من فوق آية بالنصب كقراءة من قرأ ثم لم تكن بتاء التأنيث فتنتهم بالنصب الا أن قالوا * وكقول لبيد

فمضى وقدمها وكانت عادة * منه اذا هي عردت أقدامها

ودل ذلك اما على تأنيث الاسم لتأنيث الخبر واما التأويل أن يعلمه بالمعرفة وتأويل الا أن قالوا بالمقالة وتأويل الاقدام بالاقدامة * وقرأ الجحدري أن تعلمه بتاء التأنيث * كما قال الشاعر

قالت بنو عامر خالوا بني أسد * يابؤس للجهل ضرارا لاقوام

وكتب في المصحف علموا بواو بين الميم والألف * قيل على لغة من يميل ألف علموا الى الواو كما كتبوا الصلوة والزكوة والربوا على تلك اللغة * قال الزمخشري الاعجمي الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا أن فيه لزيادة ياء النسبة زيادة توكيد * وقال ابن عطية الاعجمون جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له أعجم وذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار وأسند الطبري عن عبد الله بن مطيع انه قال حين قرأ هذه الآية وهو واقف بعرفة جملي هذا أعجم فلو أنزل عليه ما كانوا يؤمنون والعجمي هو الذي نسبته في العجم وان كان أفصح الناس انتهى وفي التحرير الاعجمين جمع أعجم على التخفيف ولولا هذا التقدير لم يجز أن يجمع جمع سلامة * قيل والمعنى ولو نزلناه بلغة العجم على رجل أعجمي فقرأه على العرب لم يؤمنوا به حيث لم يفهموه واستنكفوا من اتباعه * وقيل ولو نزلنا القرآن

على بعض العجم من الدواب فقرأه عليهم لم يؤمنوا العنادهم لقوله تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وجمع جمع السلامة لأنه وصف بالانزال عليه والقراءة وهو فعل العقلاء * وقيل ولو نزل على بعض البهائم فقرأه عليهم محمد صلى الله عليه وسلم لم تؤمن البهائم كذلك هؤلاء لأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا انتهى ولما بين بما تقدم من أن هذا القرآن فى كتب الأولين وان علماء بنى اسرائيل يعلمون ذلك وكان فى ذلك دليلين على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن هؤلاء الكفار لا تجدى فيهم الدلائل ألا ترى نزوله على رجل عربى بلسان عربى وسمعوه وفهموه وأدركوا اعجازه وتصديق كتب الله القديمة له ومع ذلك جحدوا وسموه تارة شعرا وتارة سحرا ولو نزل على بعض الاعاجم الذى لا يحسن العربية لكفروا به وتمحلوا بجحوده * وقال الفراء الاعجمين جمع أعجم أو أعجمى على حذف ياء النسب كما قالوا الاشعرين وواحدهم أشعرى وقال ابن الجهم قال الكميت ولو جهزت قافية شرودا * لقد دخلت بيوت الاشعرينا

انتهى * وقرأ الحسن وابن مقسم الاعجميين بياء النسب جمع أعجمى * والضمير فى سلكناه الظاهر انه عائد على ما عادت عليه الضمائر * قيل وهو القرآن وقاله الرمانى والمعنى مثل ذلك السلك وهو الادخال والتمكين والتفهيم لمعانيه سلكناه أدخلناه ومكناه فى قلوب المجرمين والمعنى ما ترتب على ذلك السلك من كونهم فهموه وأدركوه ولم يزدهم ذلك الاعنادا وجحودا وكفرا به أى على مثل هذه الحالة وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له كما وضعناه فيها فكيف ما يرام ايمانهم به لم يتغير واعماهم عليه من الانكار والجحود كما قال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس الآية * وقال الكرمانى أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يؤمنوا به * وقال يحيى بن سلام الضمير فى سلكناه يعود على التكذيب فذلك الذى منعهم من الايمان انتهى ويقويه قوله فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين * وقال الحسن الضمير يعود على الكفر الذى يتضمنه قوله ما كانوا به مؤمنين انتهى وهو قريب من القول الذى قبله * وقال عكرمة سلكناه أى القسوة وأسند السلك تعالى اليه لأنه هو موجد الاشياء حقيقة وهو الهادى وخالق الضلال * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف أسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته (قلت) أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا فى قلوبهم أشد التمكين وأثبته فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه ألا ترى الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه انه أسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يؤمنون به انتهى وهو على طريقة الاعتزال والتشبيه بين السلكين يقتضى تغاير من حل به والمعنى مثل ذلك السلك فى قلوب قريش سلكناه فى قلوب من أجرم لاشترا كهما فى علة السلك وهو الاجرام * قال ابن عطية أراد بهم مجرمى كل أمة أى ان هذه عادة الله فيهم أنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب فلا ينفعهم الايمان بعد تلبس العذاب بهم وهذا على جهة المثال لقريش أى هؤلاء كذلك وكشف الغيب بما تضمنته الآية يوم بدر * قال الزمخشرى (فان قلت) ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه فى قلوب المجرمين (قلت) موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا فى قلوبهم فاتبع بما يقرر هذا المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز أن يكون حالا أى سلكناه فيها غير مؤمن به انتهى * ورؤيتهم العذاب * قيل فى الدنيا * وقيل يوم القيامة * وقرأ الجمهور فيأتيهم بياء أى العذاب * وقرأ الحسن وعيسى بتاء التأنيث أنث على معنى العذاب لأنه العقوبة أى فتأتيهم العقوبة يوم القيامة كما قال أتته

كتابى فلما سئل قال أوليس بصحيفة * قال الزمخشرى فتأتيهم بالتاء يعنى الساعة * وقال أبو الفضل الرازى أنث العذاب لاشتماله على الساعة فاكتسى منها التأنيث وذلك لأنهم كانوا يسئلون عذاب القيامة تكذيبا بها فلذلك أنث ولا يكتسى المذكر من المؤنث تأنيثا الا ان كان مضافا اليه نحو اجتمعت أهل اليمامة وقطعت بعض أصابعه وشرقت صدر القناة وليس كذلك * وقرأ الحسن بغتة بفتح الغين فتأتيهم بالتاء من فوق يعنى الساعة * وقال الزمخشرى (فان قلت) مامعنى التعقيب فى قوله فتأتيهم بغتة (قلت) ليس المعنى يراد برؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه الوجود وانما المعنى ترتبها فى الشدة كأنه قيل لايؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب مماهو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة مماهو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثل ذلك أن تقول ان أسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لاتقصد بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسىء وانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فماهو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع هذا فى هذا الاسلوب فيحل موقعه انتهى * فيقولوا أى كل أمة معذبة هل نحن منظرون أى مؤخرون وهذا على جهة التمنى منهم والرغبة حيث لاتنفع الرغبة ثم رجع لفظ الآية الى توبيخ قريش على استعجالهم عذاب الله فى طلبهم سقوط السماء كسفا وغير ذلك وقولهم للرسول أين ماتعدنا به * وقال الزمخشرى أفبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكاره وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسئل فيه من جنس ماهو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة عين فلايجاب اليها ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ ويستعجلون هذا على الوجه حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بمابعده وذلك ان استعجالهم بالعذاب اما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولالاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال فى سلامة وأمن فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشرا او بطرا او استهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم قال وهب ان الامر كما يعتقدون من تمتعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ماينفعهم حينئذ مامضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم انتهى * وقيل اتبع قوله فتأتيهم بغتة بما يكون منهم عند ذلك على وجه الحسرة * فيقولوا هل نحن منظرون كما يستغيث اليه المرء عند تعذر الخلاص لأنهم يعلمون فى الآخرة أن لاملجأ لكنهم يقولون ذلك استرواحا * وقيل يطلبون الرجعة حين يبغتهم عذاب الساعة فلايجابون اليها أفرأيت ان متعناهم سنين خطاب للرسول عليه السلام باقامة الحجة عليهم فى أن مدة الارجاء والامهال والاملاء لاتغنى اذا نزل العذاب بعدها * وقال عكرمة سنين عمر الدنيا انتهى وتقرر فى علم العربية أن أرأيت اذا كانت بمعنى أخبرنى تعدت الى مفعولين أحدهما منصوب والآخر جملة استفهامية فى الغالب تقول العرب أرأيت زيدا ماصنع وماجاء مماظاهره خلاف ذلك أول وتقدم الكلام على ذلك مشبعا فى أوائل سورة الانعام وتقول هنا مفعول أرأيت محذوف لأنه تنازع على مايوعدون أرأيت وجاءهم فأعمل الثانى فهو مرفوع بجاءهم ويجوز أن يكون منصوبا بأرأيت على اعمال الاول وأضمر الفاعل فى جاءهم والمفعول الثانى هو قوله ماأغنى عنهم وما استفهامية أى أى شئ أغنى عنهم تمتعهم فى تلك السنين التى متعوها وفى الكلام محذوف يتضمن الضمير العائد على المفعول الاول أى أى شئ أغنى عنهم تمتعهم حين حل أى الموعود به وهو العذاب وظاهر مافسر به المفسرون ماأغنى أن تكون ما نافية والاستفهام قد يأتى مضمنا معنى النفى كقوله هل يهلك الا القوم الظالمون بعد قوله أرأيتكم فى سورة الانعام أى مايهلك الا القوم الظالمون وجوز أبو البقاء

(الدر) (ش) فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم قلت الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهى (ح) الاعراب أن يكون لها فى موضع الحال وارتفع منذرون بالمجرور أى الا كائنا لها منذرون فيكون من مجىء الحال مفردا لا جملة ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز أن تجىء صفة بعد الا ومذهب الجمهور أنه لا تجىء الصفة بعد الا معتمدة على أداة الاستثناء نحو ماجاءنى أحد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل أى الا رجل (٤٤) راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول مامررت بأحد الا قائما ولا يحفظ من كلامها مامررت بأحد الا قائم فلو كانت الجملة فى موضع الصفة للنكرة لورد المفرد بعد الا صفة لها فان كانت الصفة غير معتمدة على الاداة جاءت الصفة بعد الا نحو ماجاءنى أحد الا زيد خير من عمرو التقدير ماجاءنى أحد خير من عمرو الا زيد وأما كون الواو تزاد لتأكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود فى كلام النحويين لو قلت جاءنى رجل وعاقل على أن يكون وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما تدخل الواو فى الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر وأما وثامنهم كلبهم فقد تقدم الكلام عليه فى موضعه (ش) ووجه آخر وهو أن تكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من أهل قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم ليكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا تعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه عليه المعول (ح) هذا لا معول عليه لأن مذهب الجمهور ان ماقبل الا لا يعمل فيما بعدها الا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه أو تابعا له غير معتمد على الاداة نحو مامررت باحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة فلا يجوز أن يتعلق بأهلكنا ويتخرج جواز ذلك على مذهب الكسائى والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته

في ما أن تكون استفهاما ونافية * وقرئ يمتعون باسكان الميم وتخفيف التاء ثم أخبر تعالى انه لم يهلك قرية من القرى الا وقد أرسل اليها من ينذرها عذاب الله ان هى عصت ولم تؤمن كما قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وجمع منذرون لأن من قرية عام فى القرى الظالمة كأنه قيل وما أهلكنا القرى الظالمة والجملة من قوله لها منذرون فى موضع الحال من قرية والاعراب أن تكون لها فى موضع الحال وارتفع منذرون بالمجرور الا كائنا لها منذرون فيكون من مجىء الحال مفردا لا جملة ومجىء الحال من المنفى كقولك مامررت بأحد الا قائما فصيح * وقال الزمخشرى فان قلت كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم تعزل عنها فى قوله وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم (قلت) الاصل عزل الواو لأن الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله سبعة وثامنهم كلبهم انتهى ولو قدرنا لها منذرون جملة لم يجز أن تجىء صفة بعد الا ومذهب الجمهور انه لا تجىء الصفة بعد الا معتمدة على اداة الاستثناء نحو ماجاءنى أحد الا راكب واذا سمع مثل هذا خرجوه على البدل أى الا رجل راكب ويدل على صحة هذا المذهب ان العرب تقول مامررت بأحد الا قائما ولا يحفظ من كلامها مامررت بأحد الا قائم فلو كانت الجملة فى موضع الصفة للنكرة لورد المفرد بعد الا صفة لها فان كانت الصفة غير معتمدة على اداة جاءت الصفة بعد الا نحو ماجاءنى أحد الا زيد خير من عمرو والتقدير ماجاءنى أحد خير من عمرو الا زيد وأمّا كون الواو تزاد لتأكيد وصل الصفة بالموصوف فغير معهود فى كلام النحويين لو قلت جاءنى رجل وعاقل على أن يكون وعاقل صفة لرجل لم يجز وانما تدخل الواو فى الصفات جوازا اذا عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو مررت بزيد الكريم والشجاع والشاعر وأما وثامنهم كلبهم فتقدم الكلام عليه فى موضعه وذكرى منصوب على الحال عند الكسائى وعلى المصدر عند الزجاج فعلى الحال اما أن يقدر ذوى ذكرى أو مذكرين وعلى المصدر فالعامل منذرون لأنه فى معنى مذكرون ذكرى أى تذكرة * وأجاز الزمخشرى فى ذكرى أن يكون مفعولا له قال على معنى انهم ينذرون لأجل الموعظة والتذكرة وان تكون مرفوعة صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لامعانهم فى التذكرة واطنابهم فيها وأجاز هو وابن عطية أن تكون مرفوعة على خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية * قال الزمخشرى ووجه آخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من قرية ظالمين الا بعدما ألزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم لتكون تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير ظالمين وهذا الوجه

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ الآية كان مشركو قريش يقولون ان لمحمد تابعا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة فنزلت والضمير في به يعود على القرآن بل نزل به الروح الامين وما أحسن ما ترتب نفي هذه الجمل نفي أولا تنزل الشياطين به والنفي في الغالب يكون في الممكن وان كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقرآن ثم نفي انبغاء ذلك والصلاحية أي ولو فرض الامكان لم يكونوا أهلا له ثم نفي قدرتهم على ذلك وانه مستحيل في حقهم التنزل به فارتقى في نفي الامكان الى نفي الصلاحية الى نفي القدرة والاستطاعة وذلك مبالغة مرتبة في نفي تنزيلهم به ثم علل انتفاء ذلك على استماع كلام أهل السماء مرجومون بالشهب ثم قال تعالى ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر﴾ والخطاب في الحقيقة للسامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول عليه الصلاة والسلام ولذلك قال المفسرون المعنى قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله إلها آخر ثم أمره تعالى بانذار عشيرته والعشيرة تحت الفخذ وفوق الفصيلة ونبه على العشيرة وان كان مأمورا بانذار الناس كافة لان في انذارهم وهم عشيرته سد محاباة ولطف بهم وانهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والانذار ﴿واخفض جناحك﴾ تقدم الكلام على هذه الجملة في آخر الحجر وهو كناية عن التواضع نهاه عن التكبر بعد التواضع و﴿من المؤمنين﴾ عام في عشيرته وغيرهم ﴿وتوكل﴾ قرئ بالفاء والواو ﴿وحين تقوم﴾ في التهجد والصلاة والقيام بالليل ﴿وتقلبك﴾ معطوف على مفعول يراك أي ويرى تقلبك ﴿قل هل أنبئكم﴾ أي قل يا محمد هل أخبركم وهذا استفهام توقيف وتقرير ﴿وعلى من﴾ متعلق بتنزل والجملة المتضمنة معنى الاستفهام في موضع نصب لانبئكم لانه بمعنى أعلمكم فان قدرتها متعدية

لاثنين كانت سادة مسد المفعول الثاني وان قدرتها متعدية لثلاثة كانت سادة مسد الاثنين ﴿على كل أفاك﴾ وهو الكثير الافك وهو الكذب ﴿وأثيم﴾ كثير الاثم فأفاك وأثيم صيغتا مبالغة والمراد الكهنة والضمير في ﴿يلقون﴾ يحتمل أن يكون عائدا على الشياطين أي ينصتون ويصغون باسماعهم ليسترقوا شيئا مما تتكلم به الملائكة حتى ينزلوا بها الى الكهنة أو يلقون السمع أي المسموع الى من يتنزلون عليه ﴿وأكثرهم﴾ أي وأكثر الشياطين الملقين ﴿كاذبون﴾ فعلى معنى الانصات يكون استئناف اخبار وعلى القاء المسموع الى الكهنة احتمل الاستئناف واحتمل ان يكون حالا من الشياطين أي تنزل على كل أفاك أثيم ملقين ما سمعوا ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ قيل هي في أمية بن أبي الصلت وابي عزة ومسافع الجمحي وهبيرة بن أبي وهب وأبي سفيان بن الحرث وابن الزبعرى وقد أسلم ابن الزبعرى وأبو سفيان والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر والمذموم من يمدح ويهجو شهوة محرمة ويقذف المحصنات ويقول الزور وما لا يسوغ شرعا والغاوون قال ابن عباس الرواة وقال أيضا المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم ﴿ألم تر انهم في كل واد يهيمون﴾ تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة الحد في القصد حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم ويبهتوا البريء ويفسقوا التقي ﴿وانهم يقولون ما لا يفعلون﴾ وذلك لغلوهم في أفانين الكلام ولهجهم في الفصاحة والمعاني اللطيفة قد ينسبون لأنفسهم ما لا يقع منهم وقد درأ الحد في الخمر عمر بن الخطاب عن النعمان بن عدي في شعر قاله لزوجته حين احتج عليه بهذه الآية وقد كان ولاه ميسان فعزله وأراد ان يحده والفرزدق أنشد سليمان بن عبد الملك فبتن كأنهن مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام * فقال له سليمان لقد وجب عليك الحد فقال لقد درأ الله عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التي تخالف أمر النبوة اذ أمرهم كما ذكر والمراد بالمستثنين حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

عليه المعول انتهى وهذا لا معول عليه لأن مذهب الجمهور ان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا أن يكون مستثنى أو مستثنى منه أو تابعا له غير معتمد على الاداة نحو ما مررت بأحد الا زيد خير من عمرو والمفعول له ليس واحدا من هذه الثلاثة فلا يجوز أن يتعلق بأهلكنا ويتخرج جواز ذلك على مذهب الكسائي والاخفش وان كانا لم ينصا على المفعول له بخصوصيته ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون

الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ كان مشركو قريش يقولون ان لمحمد تابعا من الجن يخبره كما يخبر الكهنة فنزلت والضمير في به يعود على القرآن بل نزل به الروح الأمين * وقرأ الحسن الشياطون وتقدمت في البقرة وقد ردها أبو حاتم والفراء قال أبو حاتم هي غلط منه أو عليه * وقال النحاس هو غلط عند جميع النحويين * وقال المهدوي هو غير جائز في العربية * وقال الفراء غلط الشيخ ظن أنها النون التي على هجائن * فقال النضر بن سميل ان جاز أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع مع أنا نعلم انهما لم يقرآ بها الا وقد سمعا فيه * وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلت بساتين من ورائها بساتون فقلت ما أشبه هذا بقراءة الحسن انتهى ووجهت هذه القراءة بأنه لما كان آخره كآخر يبرين وفلسطين فكما أجرى اعراب هذا على النون تارة وعلى ماقبله تارة فقالوا يبرين ويبرون وفلسطين وفلسطون أجرى ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا الشياطين والشياطون * وقال أبو فيد مؤرج السدوسي ان كان اشتقاقه من شاط أي احترق يشيط شوطة كان لقراءتهما وجه * قيل ووجهها ان بناء المبالغة منه شياط وجمعه الشياطون فخففا الياء وقد روى عنهما التشديد وقرأ به غيرهما انتهى * وقرأ الاعمش الشياطون كما قرأه الحسن وابن السميفع فهؤلاء الثلاثة من نقلة القرآن قرؤا ذلك ولا يمكن أن يقال غلطوا لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان وما أحسن ما ترتب نفي هذه الجمل نفى أولا تنزيل الشياطين به والنفي في الغالب يكون في الممكن وان كان هنا لا يمكن من الشياطين التنزل بالقرآن ثم نفى انبغاء ذلك والصلاحية أي ولو فرض الامكان لم يكونوا أهلا له ثم نفى قدرتهم على ذلك وانه مستحيل في حقهم التنزل به فارتقى من نفي الامكان الى نفي الصلاحية الى نفي القدرة والاستطاعة وذلك مبالغة مترتبة في نفي تنزيلهم به ثم علل انتفاء ذلك عن استماع كلام أهل السماء مرجومون بالشهب ثم قال تعالى فلا تدع مع الله الها آخر والخطاب في الحقيقة للسامع لأنه تعالى قد علم أن ذلك لا يمكن أن يكون من الرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك قال المفسرون المعنى قل يا محمد لمن كفر لا تدع مع الله الها آخر ثم أمره تعالى بانذار عشيرته والعشيرة تحت الفخذ وفوق الفصيلة ونبه على العشيرة وان كان مأمورا بانذار الناس كافة كما قال أن أنذر الناس لان في انذارهم وهم عشيرته عدم محاباة ولطف بهم وانهم والناس في ذلك شرع واحد في التخويف والانذار فاذا كانت القرابة قد خوفوا وأنذروا مع ما يلحق الانسان في حقهم من الرأفة كان غيرهم في ذلك أوكد وأدخل أو لان البداءة تكون بمن يليه ثم من بعده كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال عليه الصلاة والسلام حين دخل مكة كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين فأول ما أضعه ربا العباس اذ العشيرة مظنة الطواعية ويمكنه من الغلظة عليهم مالا يمكنه مع غيرهم وهم له أشد احتمالا وامتثل صلى الله عليه وسلم ما أمره به ربه من انذار عشيرته فنادى الأقرب فالأقرب فخذا وروى عنه في ذلك أحاديث * واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين تقدم الكلام على هذه الجمل في آخر الحجر وهو كناية عن التواضع * وقال بعض الشعراء

وأنت الشهير بخفض الجناح * فلا تك في رفعه أجدلا

نهاه عن التكبر بعد التواضع والاجدل الصقر ومن المؤمنين عام في عشيرته وغيرهم ولما كان الانذار يترتب عليه اما الطاعة واما العصيان جاء التقسيم عليهما فكان المعنى ان من اتبعك مؤمنا

عليه الصلاة والسلام لكعب بن مالك أهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل وقال لحسان قل وروح القدس معك ﴿ولما ذكر ﴿ وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ توعد الظالمين هذا التوعد العظيم الهائل الصادع للاكباد وأبهم في قوله ﴿ أى منقلب ينقلبون ﴾ وكان السلف الصالح يتواعظون بها والمفهوم من الشريعة أن الذين ظلموا هم الكفار وقرأ ابن عباس وابن أرقم عن الحسن أى منفلت ينفلتون بفاء ين وتاءين ومعناه إن الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة وسيعلم هنا معلقة وأى منقلب استفهام والناصب له ينقلبون وهو مصدر والجملة في موضع المعمول لسيعلم

فتواضع له فلذلك جاء قسيمه فان عصوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم وفى هذا موادعة نسختها آية السيف والظاهر عود الضمير المرفوع فى عصوك على أن من أمر بانذارهم وهم العشيرة والذى برىء منه هو عبادتهم الاصنام واتخاذهم الها آخر * وقيل الضمير يعود على من اتبعه من المؤمنين أى فان عصوك يا محمد فى الأحكام وفروع الاسلام بعد تصديقك والايمان بك فقل انى برىء مما تعملون لامنكم أى أظهر عدم رضاك بعملهم وانكارك عليهم ولو أمره بالبراءة منهم مابقى بعد هذا شفيعا للعصاة ثم أمره تعالى بالتوكل * وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشيبة فتوكل بالفاء وباقى السبعة بالواو وناسب الوصف بالعزيز وهو الذى لايغالب وبالرحيم وهو الذى يرحمك وهاتان الصفتان هما اللتان جاءتا فى أواخر قصص هذه السورة فالتوكل على من هو بهذين الوصفين كافية شر من بعضه من هؤلاء وغيرهم فهو يقهر أعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته والتوكل هو تفويض الأمر الى من يملك الأمر ويقدر عليه ثم وصف بانه الذى أنت منه بمرأى وذلك من رحمته بك أن أهلك لعبادته وماتفعله من تهجدك وأكثر المفسرين منهم ابن عباس على ان المعنى حين تقوم الى الصلاة * وقرأ الجمهور وتقلبك مصدر تقلب وعطف على الكاف فى يراك * وقرأ جناح بن حبيش وتقلبك مضارع قلب مشددا عطفا على يراك * وقال مجاهد وقتادة فى الساجدين فى المصلين * وقال ابن عباس فى أصلاب آدم ونوح وابراهيم حتى خرجت * وقال عكرمة يراك قائما وساجدا * وقيل معنى تقوم تخلو بنفسك * وعن مجاهد أيضا المراد تقلب بصره فمين يصلى خلفه كما قال أتموا الركوع والسجود فوالله انى لأراكم من خلفى وفى الوجيز لابن عطية ظاهر الآية أنه يريد قيام الصلاة ويحتمل أن يريد سائر التصرفات وهو تأويل مجاهد وقتادة وفى الساجدين أى صلاتك مع المصلين قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما * وقال ابن عباس أيضا وقتادة أراد وتقلبك فى المؤمنين فعبر عنهم بالساجدين * وقال ابن جبير أراد الأنبياء أى تقلبك كما تقلب غيرك من الأنبياء * وقال الزمخشرى ذكر ما كان يفعله فى جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه فى تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ليطلع عليهم من حيث لايشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر مايصنعون بحرصه عليهم وعلى مايوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون * وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه فى الساجدين تصرفه فيما بينهم لقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا أمهم وعن مقاتل انه سأل أبا حنيفة رضى الله عنه هل تجد الصلاة فى الجماعة فى القرآن فتلا هذه الآية ويحتمل أن لايخفى على حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين فى كفاية أمور الدين انتهى * انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنوبه وتعمله وذهبت الرافضة الى ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين واستدلوا بقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قالوا فاحتمل الوجوه التى ذكرت واحتمل أن يكون المراد انه تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن فاذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة لانه لامنافاة ولارجحان وبقوله عليه الصلاة والسلام لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس فاما قوله تعالى واذ قال ابراهيم لأبيه آزر فلفظ الأب قد يطلق على العم كما قالوا أبناء يعقوب له نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق سموا اسمعيل أبا مع أنه كان عماله * قل هل أنبئكم أى قل

يا محمد هل أخبركم وهذا استفهام توقيف وتقرير * وعلى من متعلق بتنزل والجملة المتضمنة معنى الاستفهام في موضع نصب لأنبئكم لانه معلق لانه بمعنى أعلمكم فان قدرتها متعدية لاثنين كانت سادة مسد المفعول الثاني وان قدرتها متعدية لثلاثة كانت سادة مسد الاثنين والاستفهام اذا علق عنه العامل لا يبقى على حقيقة الاستفهام وهو الاستعلام بل يؤول معناه الى الخبر ألا ترى أن قولك علمت أزيد في الدار أم عمرو كان المعنى علمت أحدهما في الدار فليس المعنى انه صدر منه علم ثم استعلم المخاطب عن تعيين من في الدار من زيد وعمرو فالمعنى هنا هل أعلمكم من تنزل الشياطين عليه لأنه استعلم المخاطبين عن الشخص الذي تنزل الشياطين عليه ولما كان المعنى هذا جاء الاخبار بعده بقوله تنزل على كل أفاك أثيم كأنه لما قال هل أخبركم بكذا قيل له أخبر فقال تنزل على كل أفاك وهو الكثير الافك وهو الكذب أثيم كثير الاثم فأفاك أثيم صيغتا مبالغة والمراد الكهنة والضمير في يلقون يحتمل أن يعود الى الشياطين أي ينصتون و يصغون باسماعهم ليسترقوا شيأ مما يتكلم به الملائكة حتى ينزلوا بها الى الكهنة أو يلقون السمع أي المسموع الى من يتنزلون عليه * وأكثرهم أي وأكثر الشياطين الملقين كاذبون فعلى معنى الانصات يكون استئناف اخبار وعلى القاء المسموع الى الكهنة احتمل الاستئناف واحتمل ان يكون حالا من الشياطين أي تنزل على كل أفاك أثيم ملقين ما سمعوا او يحتمل أن يعود الضمير في يلقون على كل أفاك أثيم وجمع الضمير لان كل أفاك فيه عموم وتحته أفراد واحتمل أن يكون المعنى يلقون سمعهم الى الشياطين ليتقلوا عنهم ما يقررونه في أسماعهم وأن يكون يلقون السمع أي المسموع من الشياطين الى الناس وأكثرهم أي أكثر الكهنة كاذبون كما جاء انهم يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التي سمعت من السماء فيخلطون معها مائة كذبة فاذا صدقت تلك الكلمة كانت سبب ضلالة لمن سمعها وعلى كون الضمير عائدا على كل أفاك احتمل أن يكون يلقون استئناف اخبار عن الافاكين واحتمل أن يكون صفة لكل أفاك ولا تعارض بين قوله كل أفاك و بين قوله وأكثرهم كاذبون لان الافاك هو الذي يكثر الكذب ولا يدل ذلك على انه لا ينطق الا بالافك فالمعنى ان الافاكين من صدق منهم فيما يحكى عن الجني فاكثرهم مفتر * قال الزمخشري (فان قلت) وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين هل أنبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن و بين اخوان (قلت) أريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن ويطريه ذكر ما فيهن كرة بعد كرة فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لها ومثاله أن يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه انتهى ولما ذكر الكهنة بافكهم الكثير وحالهم المقتضية نفي كلام القرآن اذ كان بعض الكفار قال في القرآن انه شعر كما قالوا في الرسول انه كاهن وان ما أتى به هو من باب الكهانة كما قال تعالى وما هو بقول كاهن وقال وما هو بقول شاعر فقال والشعراء يتبعهم الغاوون * قيل هي في أمية بن أبي الصلت وأبي عزة ومسافع الجمحي وهبيرة بن أبي وهب وأبي سفيان بن الحرث وابن الزبعرى وقد أسلم ابن الزبعرى وأبو سفيان والشعراء عام يدخل فيه كل شاعر والمذموم من يهجو و يمدح شهوة محرمة و يقذف المحصنات و يقول الزور وما لا يسوغ شرعا * وقرأ عيسى والشعراء نصبا على الاشتغال والجمهور رفعا على الابتداء والخبر * وقرأ السلمي والحسن بخلاف عنه ونافع يتبعهم مخففا وباقي السبعة مشددا وسكن العين الحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو وروى هارون نصبها

عن بعضهم وهو مشكل* والغاوون * قال ابن عباس الرواة وقال أيضا المستحسنون لأشعارهم المصاحبون لهم * وقال عكرمة الرعاع الذين يتبعون الشاعر * وقال مجاهد وقتادة الشياطين *وقال عطية السفهاء المشركون يتبعون شعراءهم *ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون تمثيل لذهابهم فى كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو فى المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم ويبهتوا البرىء ويفسقوا التقى * وقال ابن عباس هو تقبيحهم الحسن وتحسينهم القبيح * وانهم يقولون مالا يفعلون وذلك لغلوهم فى أفانين الكلام ولهجهم بالفصاحة والمعانى اللطيفة قد ينسبون لأنفسهم مالا يقع منهم وقد درأ الحد فى الخمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النعمان بن عدى فى شعر قاله لزوجته حين احتج عليه بهذه الآية وكان قد ولاه بيسان فعزله وأراد أن يحده والفرزدق سليمان بن عبد الملك

فبتن كأنهن مصرعات * وبت أفض أغلاق الختام

فقال له سليمان لقد وجب عليك الحد فقال لقد درأ الله عنى الحد بقوله وانهم يقولون مالا يفعلون أخبر تعالى عن الشعراء بالأحوال التى تخالف حال النبوة اذ أمرهم كما ذكر من اتباع الغواة لهم وسلوكهم أفانين الكلام من مدح الشىء وذمه ونسبة مالا يقع منهم اليهم وذلك بخلاف حال النبوة فانها طريقة واحدة لا يتبعها الا الراشدون ودعوة الأنبياء واحدة وهى الدعاء الى توحيد الله وعبادته والترغيب فى الآخرة والصدق هذا مع ان ماجاؤا به لا يمكن أن يجىء به غيرهم من ظهور المعجز ولما كان ماسبق ذما للشعراء واستثنى منهم من اتصف بالايمان والعمل الصالح والاكثار من ذكر الله وكان ذلك أغلب عليهم من الشعر واذا نظموا شعرا كان فى توحيد الله والثناء عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم وصحبه والموعظة والزهد والآداب الحسنة وتسهيل علم وكل مايسوغ القول فيه شرعا فلا يتلطخون فى قوله بذنب ولا منقصة والشعر باب من الكلام حسنه حسن وقبيحه قبيح *وقال رجل علوى لعمرو بن عبيد ان صدرى ليجيش بالشعر فقال مايمنعك منه فيما لا بأس به *وقيل المراد بالمستثنين حسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير ومن كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عليه السلام لكعب بن مالك اهجهم فوالذى نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل * وقال لحسان قل وروح القدس معك وهذا معنى قوله وانتصروا أى بالقول فيمن ظلمهم *وقال عطاء بن يسار وغيره لما ذم الشعراء بقوله والشعراء الآية شق ذلك على حسان وابن رواحة وكعب بن مالك وذكروا ذلك للرسول عليه الصلاة والسلام فنزلت آية الاستثناء بالمدينة وخص ابن زيد قوله وذكروا الله كثيرا فقال أى فى شعرهم * وقال ابن عباس صار خلقا لهم وعادة كما قال لبيد حين طلب منه شعره ان الله أبدلنى بالشعر القرآن خيرا منه ولما ذكر وانتصروا من بعد ماظلموا توعد الظالمين هذا التوعد العظيم الهائل الصادع للأكباد وأبهم فى قوله أى منقلب ينقلبون ولما عهد أبو بكر لعمر رضى الله عنهما تلا عليه وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وكان السلف الصالح يتواعظون بها والمفهوم من الشريعة ان الذين ظلموا هم الكفار * وقال الزمخشرى وتفسير الظلم بالكفر تعليل وكان ذكر قبل ان الذين ظلموا مطلق وهذا منه على طريق الاعتزال * وقرأ ابن عباس وابن أرقم عن الحسن أى منفلت ينفلتون بفاء وتاء ين معناه ان الذين ظلموا يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة وسيعلم هنا معلقة وأى منقلب استفهام والناصب له ينقلبون وهو مصدر

والجملة في موضع المفعول لسيعلم * وقال أبو البقاء أي منقلب مصدر نعت لمصدر محذوف والعامل ينقلبون انقلابا أي منقلب ولا يعمل فيه يعلم لان الاستفهام لا يعمل فيه ماقبله انتهى وهذا تخليط لان أيا اذا وصف بها لم تكن استفهاما بل أي الموصوف بها قسم لأي المستفهم بها الاقسم فأي تكون شرطية واستفهامية وموصولة و وصفا على مذهب الاخفش موصوفة بنكرة نحو مررت بأي معجب لك وتكون مناداة وصلة لنداء مافيه الالف واللام نحو يا أيها الرجل والاخفش يزعم ان التي في النداء موصولة ومذهب الجمهور انها قسم برأسه والصفة تقع حالا من المعرفة فهذه أقسام أي فاذا قلت قد علمت أي ضرب تضرب فهي استفهامية لا صفة لمصدر محذوف

﴿ تفسير سورة النمل وهي خمس وتسعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم إذ قال موسى لاهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين ياموسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخف اني لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبا بنبأ يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ماتخفون وماتعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون قالت يا أيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتوني مسلمين قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة

* ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة لانه قال وما تنزلت به الشياطين وقبله وانه لتنزيل رب

أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى أمين قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ الوزع أصله الكف والمنع يقال وزعه يزعه ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن وقول الحسن لابد للقاضى من وزعة * وقول الشاعر

ومن لم يزعه لبه وحياؤه * فليس له من شيب فوديه وازع

* النمل جنس واحده نملة ويقال بضم الميم فيهما وبضم النون مع ضم الميم وسمى بذلك لكثرة تمله وهو حركته * الحطم الكسر قاله النحاس * التبسم ابتداء الضحك وتفعل فيه بمعنى المجرد وهو بسم * قال الشاعر

وتبسم عن ألمى كأن منورا * تخلل حر الرمل دعص له ند

* وقال آخر * أبدى نواجذه لغير تبسم * التفقد طلب ما فقدته وغاب عنك * الهدهد طائر معروف وتصغيره على القياس هديهد وزعم بعضهم أن ياءه أبدلت ألفا فى التصغير * فقيل هداهد * قال الشاعر * كهداهد كسر الرماة جناحه * كما قالوا دوابة وشوابة يريدون دويبة وشويبة * سبا هو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو يصرف ولا يصرف اذا صار اسما للحى والقبيلة أو البقعة التى تسمى مأرب بمسيت باسم الرجل * الخبء الشئ المخبوء من خبأت الشئ خبأسترته وسمى المفعول بالمصدر * الهدية ما سيق الى الانسان مما يتحف به على سبيل التكرمة * العفريت والعفر والعفرية والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذى يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد * قال الشاعر

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مصوب فى سواد الليل منقضب

* الصرح القصر أو صحن الدار أو ساحتها أو البركة أو البلاط المتخذ من القوارير أقوال أتى فى التفسير * الساق معروف يجمع على أسوق فى القلة وعلى سووق وسوق فى الكثرة وهمزه لغة * الممرد المملس ومنه الأمرد وشجرة مرداء لا ورق عليها * القوارير جمع قارورة ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم

العالمين وقال هنا طس تلك آيات القرآن أى الذى هو تنزيل رب العالمين وأضاف الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف الى العظيم عظيم والمبين تقدم الكلام عليه ﴿هدى﴾ قيل الى الجنة ﴿ وبشرى ﴾ بالثواب ولما كان الايقان بالآخرة مما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة جاءت الجملة اسمية وأكد المسند اليه فيها بتكراره فقيل ﴿هم يوقنون﴾ وجاء خبر المبتدأ فعلا ليدل على الديمومة واحتمل ان تكون تلك الجملة استئناف اخبار * قال ابن عطية * والأخسرون جمع أخسر لان أفعل صفة لا يجمع الا ان يضاف فيقوى ويثبت فى الأسماء وفى هذا نظر انتهى لانظر فى كونه يجمع جمع سلامة أو جمع تكسير اذا كان بال بل لا يجوز فيه الا ذلك اذا كان قبله ما يطابقه فى الجمعية فتقول الزيدون هم الافضلون والافاضل والهندات هن الفضليات

والفضل وأما قوله لا يجمع الا ان يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا أضيف الى نكرة فلا يجوز جمعه وان أضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد على ما قرر ذلك فى كتب النحو

﴿وانك لتلقى القرآن﴾ لما تقدم تلك آيات القرآن خاطب نبيه عليه الصلاة والسلام بقوله وانك أى هذا القرآن الذى تلقيته هو من عند الله وهو الحكيم العليم لا كما ادعاه المشركون من انه افك وأساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقولاتهم وبنى الفعل للمفعول وحذف الفاعل وهو جبريل عليه السلام للدلالة عليه فى قوله نزل به الروح الأمين ولقى مخففا يتعدى الى واحد والتضعيف فيه للتعدية فيتعدى به الى اثنين وكأنه كان غائبا عنه فلقيه فتلقاه ﴿واذ قال موسى﴾ تقدم الكلام عليه ﴿آتيكم بشهاب قبس﴾ على الاضافة وبشهاب منونا وقبس بدلا منه والظاهر ان الضمير فى جاءها عائد على النار ونودى المفعول الذى لم يسم فاعله ضمير عائد على موسى عليه السلام وان على هذا يجوز أن تكون مفسرة لوجود شرطها ويجوز أن تكون مصدرية إما الثنائية التى تنصب المضارع وبورك صلة لها والاصل حرف الجر أى بأن بورك وبورك الخبر وإما المخففة من الثقيلة وأصلها بحرف الجر * ومن مفعول لم يسم فاعله قال الزمخشرى * فان قلت هل يجوز أن تكون يعنى ان فى قوله ان بورك المخففة من الثقيلة وتقديره انه بورك والضمير ضمير الشأن والقصة * قلت لا لأنه لا بد من قد * فان قلت فعلى اضمارها قلت لا يصح لانها علامة ولا تحذف انتهى يجوز أن تكون المخففة

من الثقيلة وبورك فعل دعاء كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى والخامسة ان غضب الله عليها فى قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب اما ان جزاك الله خيرا واما أن يغفر الله لك وكان الزمخشرى بنى ذلك على أن بورك خبر لا دعاء فلذلك لم يجز أن تكون المخففة من الثقيلة ﴿ومن فى النار﴾ موسى عليه السلام ومن حولها هم الملائكة وجعلت النار ظرفا له عليه السلام لما كان طالبا لها وجائيا إليها

سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اذ قال موسى لأهله انى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴿ هذه السورة مكية بلا خلاف * ومناسبة أول السورة لآخر ما قبلها واضحة لأنه قال وما تنزلت به الشياطين وقبله وانه لتنزيل رب العالمين وقال هنا طس تلك آيات القرآن أى الذى هو تنزيل رب العالمين وأضاف الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لأن المضاف الى العظيم عظيم والكتاب المبين اما اللوح وابانته أن قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين واما السورة واما القرآن وابانتهما أنهما يبينان ما أودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر مكشوف ونكر وكتاب مبين ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله فى مقعد صدق واذا أريد به القرآن فعطفه من عطف احدى الصفتين على الأخرى لتغايرهما فى المدلول عليه بالصفة من حيث ان مدلول القرآن الاجتماع ومدلول كتاب الكتابة * وقيل القرآن والكتاب اسمان علمان على المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء

والظاهر ان الضمير فى انه ضمير الشأن و﴿أنا الله﴾ جملة فى موضع الخبر و﴿العزيز الحكيم﴾ صفتان قال الزمخشرى يجوز أن يكون الضمير فى انه راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعنى مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للبيان انتهى اذا حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم على أن لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافى ذلك اذ يصير معتنى به مقصودا ﴿والق عصاك﴾ تقدم الكلام عليه وهنا شبهها حالة اهتزازها بالجان وهو صغار الحيات شبهها بها فى سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها * ولما رأى موسى عليه السلام هذا الأمر الهائل ﴿ولى مدبرا ولم يعقب﴾ أى لم يرجع ﴿الا من ظلم﴾ استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم من غيرهم ﴿وأدخل يدك فى جيبك﴾ تقدم الكلام عليه ﴿فى تسع آيات﴾ أى فى جملة تسع آيات وتقدم الكلام على الآيات فى الاعراف ﴿الى فرعون﴾ أى ذاهبا الى فرعون ﴿وجحدوا بها﴾ ضمن جحدوا معنى كفروا فلذلك عداه بالباء وانتصب ﴿ظلما﴾ على أنه مفعول من أجله والعامل فيه جحدوا

بوصف النكرة فهو الوصف * وقيل هما يجريان مجرى العباس وعباس فهو في الحالين اسم العلم انتهى وهذا خطأ اذ لو كان حاله نزع منه علما لما جاز أن يوصف بالنكرة ألا ترى الى قوله وكتاب مبين وقرآن مبين وأنت لا تقول مررت بعباس قائم تريد به الوصف * وقرأ ابن أبي عبلة وكتاب مبين برفعهما التقدير وآيات كتاب فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فأعرب باعرابه وهنا تقدم القرآن على الكتاب وفي الحجر عكسه ولا يظهر فرق وهذا كالمتعاطفين في نحو ما جاء زيد وعمرو فتارة يظهر ترجيح كقوله شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم وتارة لا يظهر كقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا * قال يحيى بن سلام هدى الى الجنة وبشرى بالثواب * وقال الشعبي هدى من الضلال وبشرى بالجنة وهدى وبشرى مقصوران فاحتمل أن يكونا منصوبين على الحال أي هادية ومبشرة * قيل والعامل في الحال ما في تلك من معنى الاشارة واحتمل أن يكونا مصدرين واحتملا الرفع على اضمار مبتدا أي هي هدى وبشرى أو على البدل من آيات أو على خبر بعد خبر أي جمعت بين كونها آيات وهدى وبشرى ومعنى كونها هدى للمؤمنين زيادة هداهم قال تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون * وقيل هدى لجميع الخلق ويكون الهدى بمعنى الدلالة والارشاد والتبيين لا بمعنى تحصيل الهدى الذي هو مقابل الضلال وبشرى للمؤمنين خاصة وقيل هدى للمؤمنين وبشرى للمؤمنين وخصهم بالذكر لانتفاعهم به * وهم بالآخرة هم يوقنون تحتمل هذه الجملة أن تكون معطوفة على صلة الذين ولما كان يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة مما يتجدد ولا يستغرق الازمان جاءت الصلة فعلا ولما كان الايمان بالآخرة بما هو ثابت عندهم مستقر الديمومة جاءت الجملة اسمية وأكد المسند اليه فيها بتكراره * فقيل هم يوقنون وجاء خبر المبتدا فعلا ليدل على الديمومة واحتمل أن تكون الجملة استئناف إخبار * قال الزمخشري ويحتمل أن تتم الصلة عنده أي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقام الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدا الذي هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق انتهى وقوله وتكون الجملة اعتراضية هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع الا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة وموصول وبين جزأي اسناد وبين شرط وجزائه وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه وهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر وقوله الخ حتى صار معناها فيه دسيسة الاعتزال * وقال ابن عطية والزكاة هنا يحتمل أن تكون غير المفروضة لان السورة مكية قديمة ويحتمل أن تكون المفروضة من غير تفسير * وقيل الزكاة هنا بمعنى الطهارة من النقائص وملازمة مكارم الأخلاق انتهى * ولما ذكر تعالى المؤمنين الموقنين بالبعث ذكر المنكرين والاشارة الى قريش ومن جرى مجراهم في انكار البعث * والأعمال إما أن تكون أعمال الخير والتوحيد التي كان الواجب عليهم أن تكون أعمالهم فعموا عنها وترددوا وتحيروا ويسب هذا القول الى الحسن البصري أو أعمال الكفر والضلال فيكون تعالى قد حبب ذلك اليهم وزينه بأن خلقه في نفوسهم فرأوا تلك الأعمال القبيحة حسنة * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف أسند تزيين أعمالهم الى ذاته وأسنده الى الشيطان في قوله وزين لهم الشيطان أعمالهم (قلت) بين الاسنادين فرق وذلك أن اسناده الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله

(الدر)

﴿ سورة النمل ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(ش) ويحتمل أن يتم الصلة عنده أي عند قوله وهم قال وتكون الجملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقام الصلاة وايتاء الزكاة هم الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناه وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق (ح) وقوله وتكون الجملة اعتراضية هو على غير اصطلاح النحاة في الجملة الاعتراضية من كونها لا تقع الا بين شيئين متعلق بعضهما ببعض كوقوعها بين صلة وموصول وبين جزأي اسناد وبين شرط وجزائه وبين نعت ومنعوت وبين قسم ومقسم عليه وهاهنا ليست واقعة بين شيئين مما ذكر وقوله حتى صار معناها الخ فيه دسيسة الاعتزال

تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان * أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة * والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا انعام الله عليهم بذلك واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم واليه اشارة الملائكة بقولهم بل متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر * والطريق الثاني أن امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند اليه لانه المختار المحكي ببعض الملابسات انتهى وهو تأويل على طريق الاعتزال * أولئك اشارة الى منكري البعث * وسوء العذاب الظاهر انه ليس مقيدا بالدنيا بل لهم ذلك في الدنيا والآخرة * وقيل المعنى في الدنيا وفسر بما نالهم يوم بدر من القتل والأسر والنهب * وقيل ماينالونه عند الموت ومابعده من عذاب القبر وسوء العذاب شدته وعظمه والظاهر أن الأخسرون أفعل التفضيل وذلك ان الكافر خسر الدنيا والآخرة كما أخبر عنه تعالى وهو في الآخرة أكثر خسرانا إذ مآله الى عقاب دائم وأما في الدنيا فاذا أصابه بلاء فقد يزول عنه وينكشف فكثرة الخسران وزيادته انما ذلك له في الآخرة وقد ترتب الأكثرية وان كان المسند اليه واحدا بالنسبة الى الزمان والمكان أو الهيئة أوغير ذلك مما يقبل الزيادة * وقال الكرماني أفعل هنا للمبالغة لا للشركة كأنه يقول ليس للمؤمن خسران ألبتة حتى يشركه فيه الكافر ويزيد عليه وقد بينا كيفية الاشتراك بالنسبة الى الدنيا والآخرة * وقال ابن عطية والأخسرون جمع أخسر لان أفعل صفة لايجمع الا أن يضاف فتقوى رتبته في الأسماء وفي هذا نظر انتهى ولا نظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير اذا كان بأل بل لايجوز فيه الا ذلك اذا كان قبله مايطابقه في الجمعية فيقول الزيدون هم الأفضلون والأفاضل والهندات هن الفضليات والفضل وأما قوله لايجمع الا أن يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا أضيف الى نكرة فلا يجوز جمعه وان أضيف الى معرفة جاز فيه الجمع والافراد على ماقرر ذلك في كتب النحو * ولما تقدم تلك آيات القرآن خاطب نبيه بقوله وانك أي هذا القرآن الذي تلقيته هو من عند الله تعالى وهو الحكيم العليم لا كما ادعاه المشركون من انه افك وأساطير وكهانة وشعر وغير ذلك من تقولاتهم وبني الفعل للمفعول وحذف الفاعل وهو جبريل عليه السلام للدلالة عليه في قوله نزل به الروح الأمين ولقي يتعدى الى واحد والتضعيف فيه للتعدية فيعدى به الى اثنين وكأنه كان غائبا عنه فلقيه فتلقاه * قال ابن عطية ومعناه يعطي كما قال وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وقال الحسن المعنى وانك لتقبل القرآن * وقيل معناه تلقن والحكمة العلم بالأمور العملية والعلم أعم منه لانه يكون عمليا ونظريا وكمال العلم تعلقه بكل المعلومات وبقاؤه مصونا عن كل التغيرات ولا يكون ذلك الا لله تعالى وهذه الآية تمهيد لما يخبر به من المغيبات وبيان قصص الأمم الخالية مما يدل على تلقيه ذلك من جهة الله واعلامه بلطيف حكمته دقيق علمه تعالى * قيل وانتصب إذ باذكر مضمرة أو بعليم وليس انتصابه بعليم واضحا اذ يصير الوصف مقيدا بالمعمول وقدتقدم طرف من قصة موسى عليه السلام في رحلته بأهله من مدين في سورة طه وظاهر أهله جمع لقوله سآتيكم ونصطلون وروى انه لم يكن معه غير امرأته * وقيل كانت ولد له وهو عند شعيب ولدا فكان مع أمه فان صح هذا النقل كان من باب خطاب الجمع على سبيل الاكرام والتعظيم وكان الطريق قد اشتبه عليه والوقت بارد والسير في ليل فتسوقت نفسه اذ رأى النار الى زوال ما لحق من اضلال الطريق وشدة البرد فقال سآتيكم منها بخبر أي من موقدها بخبر يدل على الطريق أو

(الدر)

(ع) والأخسرون جمع أخسر لأن أفعل صفة لايجمع الا أن يضاف فتقوى رتبته في الاسماء وفي هذا نظر (ح) لانظر في كونه يجمع جمع سلامة وجمع تكسير اذا كان بال بل لايجوز فيه الا ذلك اذا كان قبله مايطابقه في الجمعية فتقول الزيدون هم الأفضلون والأفاضل والهندات هن الفضليات والفضل وأما قوله لايجمع الا أن يضاف فلا يتعين اذ ذاك جمعه بل اذا أضيف الى نكرة فلا يجوز جمعه وان أضيف الى جمع جاز فيه الجمع والافراد على ماقرر ذلك في كتب النحو

آتيكم بشهاب قبس أي ان لم يكن هناك من يخبر فاني أستصحب ماتدفؤن به منها وهذا الترديد بأو ظاهر لانه كان مطاوبه أولا أن يلقى على النار من يخبره بالطريق فانه مسافر ليس بمقيم فان لم يكن أحد فهو مقيم فيحتاجون لدفع ضرر البرد وهو أن يأتيهم بما يصطلون فليس محتاجا للشيئين معا بل لأحدهما الخبر ان وجد من يخبره فيرحل أو الاصطلاء ان لم يجد وأقام فقصوده اما هداية الطريق واما اقتباس النار وهو معنى قوله لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وجاء هنا سا آتيكم منها بخبر وهو خبر وفي طه لعلي آتيكم منها بقبس وفي القصص لعلي آتيكم منها بخبر وهو ترج ومعنى الترجي مخالف لمعنى الخبر ولكن الرجاء اذا قوي جاز للراجي أن يخبر بذلك وان كانت الخيبة يجوز أن تقع وأتى بسين الاستقبال اما لان المسافة كانت بعيدة واما لانه قد يمكن أن يبطئ لما قدر انه قد يعرض له ما يبطئه * والشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة فعل بمعنى مفعول وهو القطعة من النار في عود أو غيره وتقدم ذلك في طه * وقرأ الكوفيون بشهاب منونا فقبس بدل أو صفة لانه بمعنى المقبوس * وقرأ باقي السبعة بالاضافة وهي قراءة الحسن * قال الزمخشري أضاف الشهاب الى القبس لانه يكون قبسا وغير قبس واتبع في ذلك أبا الحسن * قال أبو الحسن الاضافة أجود وأكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب والظاهر أن الضمير في جاءها عائد على النار * وقيل على الشجرة وكان قد رآها في شجرة سمر خضراء * وقيل عليق وهي لاتحرقها كلما قرب منها بعدت ونودي المفعول الذي لم يسم فاعله الظاهر انه ضمير عائد على موسى عليه السلام وان على هذا يجوز أن تكون مفسرة لوجود شرط المفسرة فيها ويجوز أن تكون مصدرية اما الثنائية التي تنصب المضارع وبورك صلة لها والأصل حرف الجر أي بأن بورك وبورك خبر واما المخففة من الثقيلة فأصلها حرف الجر * وقال الزمخشري (فان قلت) هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره بأنه بورك والضمير ضمير الشأن والقصة (قلت) لا لأنه لا بد من قد (فان قلت) فعلى اضمارها (قلت) لايصح لأنها علامة ولاتحذف انتهى ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وبورك فعل دعاء كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى * والخامسة ان غضب الله عليها في قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب اما ان جزاك الله خيرا واما أن يغفر الله لك وكان الزمخشري بنى ذلك على ان بورك خبر لا دعاء فلذلك لم يجز أن تكون مخففة من الثقيلة وأجاز الزجاج أن تكون ان بورك في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله وهو على اسقاط الخافض أي نودي بأن بورك كما تقول نودي بالرخص ويجوز أن تكون ان الثنائية أو المخففة من الثقيلة فيكون بورك دعاء * وقيل المفعول الذي لم يسم فاعله هو ضمير النداء أي نودي هو أي النداء ثم فسر بما بعده وبورك معناه قدس وطهر وزيد خيره ويقال باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك * وقال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا * وبوركت عند الشيب اذ أنت أشيب

﴿ وقال آخر ﴾

بورك الميت الغريب كما * بورك نبع الرمان والزيتون

﴿ وقال عبد الله بن الزبير ﴾

فبورك في بنيك وفي بنيهم * اذا ذكروا ونحن لك الفداء

ومن المشهور انها لمن يعلم * فقال ابن عباس وابن جبير والحسن وغيرهم أراد تعالى بمن في النار ذاته

(الدر)

(ش) فان قلت هل يجوز أن يكون معنى ان من قوله أن بورك المخففة من الثقيلة وتقديره بانه بورك والضمير ضمير الشأن والقصة قلت لا لانه لا بد من قد * فان قلت فعلى اضمارها قلت لايصح لانها علامة ولا تحذف (ح) يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وبورك فعل دعاء كما تقول بارك الله فيك واذا كان دعاء لم يجز دخول قد عليه فيكون كقوله تعالى والخامسة أن غضب الله عليها في قراءة من جعله فعلا ماضيا وكقول العرب اما ان جزاك الله خيرا واما أن يغفر الله لك وكان الزمخشري بنى ذلك على أن بورك خبر لا دعاء فلذلك لم يجز أن تكون مخففة من الثقيلة

وعبر بعضهم بعبارات شنيعة مردودة بالنسبة الى الله تعالى واذا ثبت ذلك عن ابن عباس ومن ذكر أول على حذف أي بورك من قدرته وسلطانه في النار * وقيل لموسى عليه السلام أي بورك من في المكان أو الجهة التي لاح له فيها النار * وقال السدي من للملائكة الموكلين بها * وقيل من تقع هنا على مالا يعقل * فقال ابن عباس أراد النور * وقيل الشجرة التي تتقد فيها النار * وقيل والظاهر في ومن حولها انه لمن يعلم تفسير ياموسى وفسر بالملائكة ويدل عليه قراءة أبي فيما نقل أبو عمرو الداني وابن عباس ومجاهد وعكرمة ومن حولها من الملائكة وتحمل هذه القراءة على التفسير لأنها مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه وفسر أيضا بموسى والملائكة عليهم السلام معا * وقيل تكون لما لا يعقل وفسر بالأمكنة التي حول النار وجدير أن يبارك من فيها ومن حواليها اذ احدث أمر عظيم وهو تكليم الله لموسى عليه السلام وتنبيهه وبدؤه بالنداء بالبركة تبشير لموسى وتأنيس له ومقدمة لمناجاته والظاهر ان قوله وسبحان الله رب العالمين داخل تحت قوله نودي لما نودي ببركة من ذكر نودي أيضا بما يدل على التنزيه والبراءة من صفات المحدثين مما عسى أن يخطر ببال ولاسيما ان حمل من في النار على تفسير ابن عباس ان من أريد به الله تعالى فان ذلك دال على الحيز فأتى بما يقتضي التنزيه * وقال السدي هو من كلام موسى لما سمع النداء قال وسبحان الله رب العالمين تنزيها لله تعالى عن سمات المحدثين * وقال ابن شجرة هو من كلام الله ومعناه وبورك من سبح الله وهذا بعيد من دلالة اللفظ * وقيل وسبحان الله رب العالمين خطاب لمحمد عليه الصلاة والسلام وهو اعتراض بين الكلامين والمقصود به التنزيه ولما آنسه تعالى ناداه وأقبل عليه فقال ياموسى انه انا الله العزيز الحكيم والظاهر ان الضمير في انه ضمير الشأن وأنا الله جملة في موضع الخبر والعزيز الحكيم صفتان وأجاز الزمخشري أن يكون الضمير في انه راجعا الى مادل عليه ماقبله يعني ان مكلمك أنا والله بيان لأنا والعزيز الحكيم صفتان للبيان انتهى واذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم على أن لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير مقصودا معتنى به وهذا النداء والاقبال والمخاطبة تمهيد لما أراد الله تعالى أن يظهره على يده من المعجز أي أنا القوي القادر على ما يبعد في الاوهام الفاعل ما أفعله بالحكمة * وقال الزمخشري (فان قلت) علام عطف قوله وألق عصاك (قلت) على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار * وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى اني أنا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه أن حج واعتمر وان شئت أن حج وأن اعتمر انتهى وقوله انه معطوف على بورك مناف لتقديره * وقيل له ألق عصاك لأن هذه جملة معطوفة على بورك وليس جزؤها الذي هو * وقيل معطوفا على بورك وانما احتيج الى تقدير وقيل له ألق عصاك لتكون الجملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كأنه يرى في العطف تناسب المتعاطفين والصحيح انه لا يشترط ذلك بل قوله وألق عصاك معطوف على قوله انه أنا الله العزيز الحكيم عطف جملة الامر على جملة الخبر وقد أجاز سيبويه جاء زيد ومن عمرو * فلما رآها تهتز ثم محذوف تقديره فألقاها من يده * وقرأ الحسن والزهري وعمرو بن عبيد جأن بهمزة مكان الألف كأنه فر من التقاء الساكنين وقد تقدم الكلام

(ش) يجوز أن يكون الضمير في انه راجعا الى مادل عليه ماقبله يعني ان مكلمك أنا والله بيان لان والعزيز الحكيم صفتان للبيان (ح) اذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير على ذلك المحذوف اذ قد غير الفعل عن بنائه له وعزم على أن لا يكون محدثا عنه فعود الضمير اليه مما ينافي ذلك اذ يصير مقصودا معتنى به (ش) فان قلت علام عطف قوله وألق عصاك قلت على بورك لأن المعنى نودي أن بورك من في النار وقيل له ألق عصاك والدليل على ذلك قوله وأن ألق عصاك بعد قوله أن ياموسى اني أنا الله تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه أن حج واعتمر وان شئت أن حج وأن اعتمر (ح) قوله انه معطوف على بورك مناف لتقديره وقيل له ألق عصاك لان هذه جلة معطوفة على بورك وليس جزؤها الذي هو وقيل معطوفا على بورك وانما احتاج الى تقدير وقيل له ألق عصاك لتكون الجملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كأنه يرى في العطف تناسب المتعاطفين والصحيح أنه لا يشترط ذلك بل قوله وألق عصاك معطوف على قوله انه أنا الله العزيز الحكيم عطف جملة الامر على جملة الخبر وقد أجاز سيبويه جاء زيد ومن عمرو

فى نحو ذلك فى قوله ولا الضألين بالهمز فى قراءة عمرو بن عبيد وجاء فاذاهى حية فاذاهى ثعبان مبين وهذا اخبار من الله بانقلابها وتغيير أوصافها واعراضها وليس اعداما للذاتها وخلقها الحية وثعبان بل ذلك من تغيير الصفات لا تغيير الذات وهنا شبهها حالة اهتزازها بالجان * فقيل وهو صغار الحيات شبهها بها فى سرعة اضطرابها وحركتها مع عظم جثتها ولما رأى موسى هذا الأمر الهائل ولى مدبرا ولم يعقب * قال مجاهد ولم يرجع * وقال السدّى لم يمكث * وقال قتادة ولم يلتفت يقال عقب الرجل توجه الى شئ كان ولى عنه كأنه انصرف على عقبيه ومنه عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار * قال الشاعر

فاعقبوا اذ قيل هل من معقب * ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

ولحقه ما لحق طبع البشرية اذا رأى الانسان أمرا هائلا جدا وهو رؤية انقلاب العصا حية تسعى ولم يتقدمه فى ذلك تطمين اليه عند رؤيتها * قال الزمخشرى وانما رغب لظنه ان ذلك لأمر أريد به ويدل عليه انى لا يخاف لدىّ المرسلون انتهى * وقال ابن عطية وناداه الله تعالى مؤنسا ومقويا على الأمر ياموسى لا تخف فان رسلى الذين اصطفيتهم للنبوة لا يخافون غيرى فأخذ موسى عليه السلام الحية فرجعت عصا ثم صارت له عادة انتهى * وقيل المعنى لا يخاف المرسلون فى الموضع الذى يوحى اليه فيه وهم أخوف الناس من الله * وقيل اذا أمرتهم باظهار معجز فينبغى أن لا يخافوا فيما يتعلق باظهار ذلك فالمرسل يخاف الله لا محاله انتهى والأظهر ان قوله الا من ظلم استثناء منقطع والمعنى لكن من ظلم غيرهم قاله الفراء وجماعة إذ الانبياء معصومون من وقوع الظلم الواقع من غيرهم * وعن الفراء انه استثناء متصل من جمل محذوفة والتقدير وانما يخاف غيرهم الا من ظلم ورده النحاس وقال الاستثناء من محذوف محال لو جاز هذا الجاز أن لا يضرب القوم الا زيدا بمعنى وانما أضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجىء بما لا يعرف معناه انتهى * وقالت فرقة الا بمعنى الواو والتقدير ولا من ظلم وهذا ليس بشئ لأن معنى الا مباين لمعنى الواو مباينة كثيرة إذ الواو للادخال والا للاخراج فلا يمكن وقوع أحدهما موقع الآخر وروى عن الحسن ومقاتل وابن جريج والضحاك ما يقتضى أنه استثناء متصل * قال ابن عطية وأجمع العلماء على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الكبائر ومن الصغائر التى هى رذائل واختلف فيما عداها فعسى أن يشير الحسن وابن جريج الى ما عدا ذلك انتهى * وقال الزمخشرى والا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفى الخوف عن المرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم أى فرطت منهم صغيرة مما لا يجوز على الأنبياء كالذى فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى بوكزة القبطى ويوشك أن يقصد بهذا التعريض ما وجد من موسى وهو من التعريضات التى يلطف مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى انتهى * وقرأ أبو جعفر وزيد بن أسلم ألا من ظلم بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومن شرطية والحسن حسن التوبة والسوء الظلم الذى ارتكبه * وقرأ الجمهور حسنا بضم الحاء واسكان السين منونا * وقرأ محمد بن عيسى الاصبهانى كذلك الا أنه لم ينون جعله فعلى فامتنع الصرف وابن مقسم بضم الحاء والسين منونا * ومجاهد وأبو حيوة وابن أبى ليلى والاعمش وأبو عمرو فى رواية الجعفى وأبو زيد وعصمة وعبد الوارث وهارون وعياش بفتحهما منونا * وادخل أمر بما يترتب عليه من ظهور المعجز العظيم لما أظهر له معجزا فى غيره وهو العصا أظهر له معجزا فى نفسه وهو تلألؤ يده كأنها قطعة

نوراذافعل ماأمر به وجواب الامر الظاهر انه تخرج لأن خروجها مترتب على ادخالها * وقيل فى الكلام حذف تقديره وأدخل يدك فى جيبك تدخل وأخرجها تخرج فحذف من الاول ماأثبت مقابله فى الثانى ومن الثانى ما أثبت مقابله فى الاول * قال قتادة فى جيبك فى قميصك كانت له مدرعة من صوف لا كمين لها * وقال ابن عباس ومجاهد كان كمها الى بعض يده * وقال السدى فى جيبك أى تحت ابطك * والظاهر أن قوله فى تسع آيات الى فرعون متعلق بمحذوف تقديره اذهب بهاتين الآيتين فى تسع آيات الى فرعون ويدل عليه قوله بعد فلما جاءتهم آياتنا مبصرة وهذا الحذف مثل قوله

أتوا نارى فقلت منون أنتم * فقالوا الجن قلت عموا ظلاما
وقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

التقدير هلموا الى الطعام * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون المعنى وألق عصاك وادخل يدك فى تسع آيات أى فى جملة تسع آيات ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان من مزارعهم انتهى فعلى الأول يكون العصا واليد داخلتين فى التسع وعلى الثانى تكون فى بمعنى مع أى مع تسع آيات * وقال ابن عطية فى تسع آيات متصل بقوله ألق وادخل وفيه اقتضاب وحذف تقديره تمهد ذلك وتيسر لك فى جملة تسع آيات وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والحجر وفى هذين الأخيرين اختلاف والمعنى يجىء بهن الى فرعون وقومه * وقال الزجاج فى تسع آيات أى من تسع آيات كما تقول خذ لى عشرا من الابل فيها فحلان أى منها الى فرعون أى مرسلا الى فرعون انتهى وانتصب مبصرة على الحال أى بينة واضحة ونسب الابصار اليها على سبيل المجاز لما كان يبصر بها جعلت مبصرة أو لما كان معها الابصار والوضوح * وقيل لجعلهم بصراء من قولك أبصرته المتعدية بهمزة النقل من بصر * وقيل فاعل بمعنى مفعول كماء دافق * وقرأ قتادة وعلى بن الحسين مبصرة بفتح الميم والصاد وهو مصدر كما تقول الولد مجبنة وأقيم مقام الاسم وانتصب أيضا على الحال وكثر هذا الوزن فى صفات الاماكن نحو أرض مسبعة ومكان مضبة * قال الزمخشرى أى مكانا يكثر فيه التبصر انتهى * والابلغ فى واستيقنتها أن تكون الواو واو الحال أى كفروا بها وأنكروها فى الظاهر وقد استيقنت أنفسهم فى الباطن انها آيات من عند الله وكابروا وسموها سحرا وقال تعالى حكاية عن موسى فى محاورته لفرعون قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر * ظلما مجاوزة الحد وعلوا ارتفاعا وتكبرا عن الايمان وانتصبا على انهما مصدران فى موضع الحال أى ظالمين عالين أو مفعولان من أجلهما أى لظلمهم وعلوهم أى الحامل لهم على الانكار والجحود مع استيقان انها آيات من عند الله هو الظلم والعلو واستفعل هنا بمعنى تفعل نحو استكبر فى معنى تكبر * وقرأ عبد الله وابن وثاب والاعمش وطلحة وأبان بن تغلب وعليا بقلب الواو ياء وكسر العين واللام وأصله فعول لكنهم كسروا العين اتباعا وروى ضمها عن ابن وثاب والاعمش وطلحة وتقدم الخلاف فى كفر العناد هل يجوز أن يقع أم لا والعاقبة ما آل اليه قوم فرعون من سوء المنقلب وما أعد لهم فى الآخرة أشد وفى هذا تمثيل لكفار قريش إذ كانوا مفسدين مستعلين وتحذير لهم أن يحل بهم مثل ما حل بمن كان قبلهم ﴿ ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين *

﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾ هذا ابتداء قصص واخبار بمغيبات وعبر ونكر علما لانه طائفة من العلم * ومنطق الطير استعارة لما يسمع منها من الأصوات وهو حقيقة فى بنى آدم لما كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بنى آدم كما يفهم بعض الطير من بعض أطلق عليه منطق

﴿ وأوتينامن كل شئ ﴾ ظاهره العموم والمراد الخصوص أى من كل شئ يصلح لناونمناه وأريد به كثرة ماأوتى فكأنه مستغرق لجميع الأشياء ﴿فهم يوزعون﴾ يحشر أولهم على آخرهم أى يوقفوا متقدموا العسكر حتى يأتى آخرهم فيجتمعون لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة ﴿حتى اذا أتوا﴾ هذه غاية لشئ مقدر أى وساروا حتى اذا أتوا أو يضمن يوزعون معنى فعل يقتضى أن تكون حتى غاية له أى فهم يسيرون مكنوفا بعضهم من مفارقة بعض وعدى أتوا بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق واما أن يراد قطع الوادى وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشئ اذا أتى على اخره وأنفذه وذكروا اختلافا كثيرا فى صغر هذه النملة وكبرها وفى اسمها العلم مالفظه وليت شعرى من الذى وضع لفظا يخصها أبنو آدم أم النمل وقالوا كانت نملة عرجاء ولحوق التاء فى قالت لا يدل على أن النملة مؤنثة بل يصح ان يقال فى المذكر قالت نملة لان نملة وان كانت بالتاء وهو مما لا يميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك كالنملة والقملة مما بينه فى الجمع وبين واحده من الحيوان تاء التأنيث فانه يخبر عنه اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على انه ذكر أو أنثى لان التاء دخلت فيه للفرق لا داله على التأنيث الحقيقى بل دالة على الواحد من هذا الجنس والضمير فى ادخلوا ضمير جمع من يعقل وكذلك ضمير الخطاب فى مساكنكم لما كان النمل مقابلا لفعل ما آمر وابه نزلوا منزله جمع من يعقل ووادى النمل قيل بالشام وقيل باقصى اليمن وفى الكلام حذف تقديره فسمع سليمان قولها ﴿فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى﴾ أى اجعلنى أزع شكر نعمتك وارتبطه حتى لا ينفلت منى حتى لا أنفك شاكرا لك

وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ هذا ابتداء قصص واخبار بمغيبات وعبر ونكر علما لأنه طائفة من العلم * وقال قتادة علما فهما * وقال مقاتل علما بالقضاء * وقال ابن عطاء علما بالله تعالى * وقال الزمخشرى أو علما سنيا عزيزا وقالا قال (فان قلت) أليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك أعطيته فشكر ومنعته فصبر (قلت) بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بأن ماقالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشئ من مواجبه فأضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كأنه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما أو من لم يؤت مثل علمهما وفى الآية دليل على شرف العلم انتهى والموروث الملك والنبوة بمعنى صار ذلك اليه بعد موت أبيه فسمى ميراثا تجوزا كما قيل العلماء ورثة الانبياء وحقيقة الميراث فى المال والانبياء لا تورث مالا وكان لداود تسعة عشر ولدا ذكرا فنبئ سليمان من بينهم وملك * وقيل ولاه على بنى اسرائيل فى حياته من بين سائر أولاده فكانت الولاية فى معنى الوراثة * وقال الحسن ورث المال لان النبوة عطية مبتدأة لا تورث * وقيل الملك والسياسه * وقيل النبوة فقط والاظهر القول الاول ويؤيده قوله علمنا منطق الطير فهذا يدل على النبوة وأوتينا من كل شئ يدل على الملك وكان هذا شرحا للميراث * وقوله ان هذا لهو الفضل المبين يقوى ذلك ولا يناسب شئ من هذا وراثة المال * وقوله يا أيها الناس تشهير لنعمة الله وتنويه بها واعتراف بمكانها ودعاء الناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك مما أوتيه من عظائم الأمور ومنطق الطير استعارة لما يسمع منها من الأصوات وهو حقيقة فى بنى آدم لما كان سليمان يفهم منه ما يفهم من كلام بنى آدم كما يفهم بعض الطير من بعض أطلق عليه منطق * وقيل كانت الطير تكلمه معجزة له كقصة الهدهد والظاهر انه علم منطق الطير وعموم الطير * وقيل علم منطق الحيوان * قيل والنبات حتى كان يمر على الشجرة فتذكر له منافعها ومضارها وانما نص على الطير لانه كان جندا من جنوده يحتاج اليه فى التظليل من الشمس وفى البعث فى الأمور * وقال قتادة والشعبى وكذلك كانت هذه النملة القائلة ذات جناحين * وأورد المفسرون مما ذكروا ان سليمان عليه السلام أخبر عن كثير من الطير بأنواع من الكلام تقديس لله تعالى وعظات وعبر ما الله أعلم بصحته * وأوتينا من كل شئ ظاهره العموم والمراد الخصوص أى من كل شئ يصلح لنا ونتمناه وأريد به كثرة ما أوتى فكأنه مستغرق لجميع الأشياء كما تقول فلان يقصده كل أحد يريد كثرة قصاده وهذا كقوله تعالى فى قصة بلقيس وأوتيت من كل شئ وبنى علمنا وأوتينا للمفعول وحذف الفاعل للعلم به

(ش) وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فافحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذاكرا لقال قال نملة قال (ش) وذلك أن النملة مثل الحمامة

والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي (ح) وكان قتادة ابن دعامة السدوسي بصيرا بالعربية وكونه أفحم يدل على معرفته باللسان اذ علم أن النملة يخبر عنها اخبار المؤنث وان كانت تنطلق على الانثى والذكر اذ هو مما لا يتميز فيه أحد هذين فتذكيره وتأنيثه لا يعلم ذلك من الحاق العلامة للفعل فتوقف اذ لا يعلم ذلك الا بوحي من الله وأما استنباط تأنيثه من كتاب الله من قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وكلام النحاة على خلافه وأنه لا يخبر عنه الا اخبار المؤنث سواء كان ذكرا أم أنثى وأما تشبيه (س) النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك وهو اطلاقهما على المذكر والمؤنث وبينهما فرق وهو أن الحمامة والشاة يميز فيهما المذكر من المؤنث فيمكن أن تقول حمامة ذكر وحمامة أنثى فتميز بالصفة وأما تمييزه بهو وهي فانه لا يجوز لا تقول هو الحمامة ولا هو الشاة وأما النملة والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المؤنث فلا يجوز فيه في الاخبار الا التأنيث وحكمه حكم المؤنث بالتاء من الحيوان العاقل نحو المرأة أو غير العاقل نحو الدابة الا ان وقع فصل بين الفعل وبين ما أسند اليه من ذلك فيجوز أن تلحق العلامة الفعل ويجوز أن لا تلحق على ما قرر ذلك في باب الاخبار عن المؤنث في علم العربية

وهو الله تعالى وكانا مسندين لنون العظمة لا لتاء المتكلم لانه اما ان أراد نفسه وأباه أولما كان ملكا مطاعا خاطب أهل طاعته ومملكته بحاله التي هو عليها لا على سبيل التعاظم والتكبر * ان هذا لهو الفضل المبين اقرار بالنعمة وشكر لها وتحميدة روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن ومثلها للانس ومثلها للطير ومثلها للوحش وألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ ومنبره في وسطه من ذهب فيصعد عليه وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة تقعد الأنبياء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر وتفصيل هذه الأشياء يحتاج الى صحة نقل وكان ملكه عظيما ملأ الارض وانقاد له أهل المعمور منها وتقدم لنا أنه ملك الارض بأسرها أربعة مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران بختنصر ونمروذ * وحشر الجنود يقتضي سفرا وفسر الجنود انهم الجن والانس والطير وذكر المفسرون الوحش رابعا * فهم يوزعون يحشر أولهم على آخرهم أي يوقف متقدمو العسكر حتى يأتي آخرهم فيجتمعون لا يتخلف منهم أحد وذلك للكثرة العظيمة أو يكفون عن المسير حتى يجتمعوا * وقيل يجتمعون من كل جهة * وقيل يساقون * وقيل يدفعون * وقيل يحبسون كانت الجيوش تسير معه اذا سار وينزل اذا نزل * حتى اذا أتوا هذه غاية لشيء مقدر أي وسار واحتى اذا أتوا أو يضمن يوزعون معنى فعل يقتضي أن تكون حتى غاية له أي فهم يسيرون مكفوفا بعضهم من مفارقة بعض وعدي أتوا بعلى اما لان اتيانهم كان من فوق واما أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء اذا أتى على آخره وأنفذه كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم قاله الزمخشري * وقال ابن عطية والظاهر ان سليمان وجنوده كانوا مشاة في الارض ولذلك يتهيأ حطم النمل بهم ولهم في وادي النمل ويحتمل انهم كانوا في الكرسي المحمول بالريح فأحست النمل بهم ولهم في وادي النمل ووادي النمل قيل بالشام * وقيل بأقصى اليمن وهو معروف عند العرب مذكور في اشعارها * وقال كعب وادي السدير من الطائف والظاهر صدور القول من النملة وفهم سليمان كلامها كما فهم منطق الطير * قال مقاتل من ثلاثة أميال * وقال الضحاك بلغته الريح كلامها * وقال ابن بحر نطقت بالصوت معجزة لسليمان ككلام الضب والذراع للرسول * وقيل فهمه الهاما من الله كما فهمه جنس النمل لانه سمع قولا * وقال الكلبي أخبره ملك بذلك * قال الشاعر

لو كنت أوتيت كلام الحكل * علم سليمان كلام النمل

والحسكل ما لا يسمع صوته وذكروا اختلافا فى صغر النملة وكبرها وفى اسمها العلم ما لفظه وليت شعرى من الذى وضع لها لفظا يخصها أبنو آدم أم النمل وقالوا كانت نملة عرجاء ولحوق التاء فى قالت لا يدل على أن النملة مؤنث بل يصح أن يقال فى المذكر قالت نملة لان نملة وان كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك كالنملة والقملة مما بينه فى الجمع و بين واحده من الحيوان تاء التأنيث فانه يخبر عنه اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على انه ذكر أو أنثى لان التاء دخلت فيه للفرق لا دالة على التأنيث الحقيقى بل دالة على الواحد من هذا الجنس * وقال الزمخشرى وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان أبو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة * قال الزمخشرى وذلك أن النملة مثل الحمامة والشاة فى وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى انتهى وكان قتادة بن دعامة السدوسى بصيرا بالعربية وكونه أفحم يدل على معرفته باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المؤنث وان كانت تنطلق على الأنثى والذكر اذ هو مما لا يميز فيه أحد هذين فتذكيره وتأنيثه لا يعلم ذلك من الحاق العلامة للفعل فتوقف اذ لا يعلم ذلك الا بوحى من الله وأما استنباط تأنيثه من كتاب الله من قوله قالت نملة ولو كان ذكرا لقال قال نملة وكلام النحاة على خلافه وأنه لا يخبر عنه الا اخبار المؤنث سواء كان ذكرا أم أنثى وأما تشبيه الزمخشرى النملة بالحمامة والشاة فبينهما قدر مشترك وهو اطلاقهما على المذكر والمؤنث و بينهما فرق وهو ان الحمامة والشاة تميز فيهما المذكر من المؤنث فيمكن أن تقول حمامة ذكر وحمامة أنثى فتميز بالصفة واما تمييزه بهو وهى فانه لا يجوز لا تقول هو الحمامة ولا هو الشاة واما النملة والقملة فلا يتميز فيه المذكر من المؤنث فلا يجوز فيه فى الاخبار الا التأنيث وحكمه حكم المؤنث بالتاء من الحيوان العاقل نحو المرأة أوغير العاقل كالدابة الا ان وقع فصل بين الفعل و بين ما أسند اليه من ذلك فيجوز أن تلحق العلامة الفعل و يجوز أن لا تلحق على ما قرر ذلك فى باب الاخبار عن المؤنث فى علم العربية * وقرأ الحسن وطلحة ومعتمر بن سليمان وأبو سليمان التيمى نملة بضم الميم كسمرة وكذلك النمل كالرجلة والرجل لغتان * وعن سليمان التيمى نمل ونمل بضم النون والميم وجاء الخطاب بالأمر كخطاب من يعقل فى قوله ادخلوا وما بعده لانها أمرت النمل كأمر من يعقل وصدر من النمل الامتثال لامرها * وقرأ شهر بن حوشب مسكنكم على الافراد * وعن أبى أدخلن مساكنكن * لا يحطمنكم مخففة النون التى قبل الكاف * وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وعيسى بن عمر الهمدانى الكوفى ونوح القاضى بضم الياء وفتح الحاء وشد الطاء والنون مضارع حطم مشددا * وعن الحسن بفتح الياء واسكان الحاء وشد الطاء وعنه كذلك مع كسر الحاء وأصله لا يحتطمنكم من الاحتطام * وقرأ ابن أبى اسحق وطلحة و يعقوب وأبو عمرو فى رواية عبيد كقراءة الجمهور الا انهم سكنوا نون التوكيد * وقرأ الاعمش بحذف النون وجزم الميم والظاهر ان قوله لا يحطمنكم بالنون خفيفة أو شديدة نهى مستأنف وهو من باب لا أرينك ههنا نهت غير النمل والمراد النمل أى لا تظهروا بأرض الوادى فيحطمكم ولا تكن هنا فأراك * وقال الزمخشرى (فان قلت) لا يحطمنكم ما هو (قلت) يحتمل أن يكون جوابا للأمر وأن يكون

من الامر والذى يجوز أن يكون بدلا منه لأنه فى معنى لا تكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقة لا أرينك هاهنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسى ومن اشفاقها * (ح) أما تخريجه على أنه أمر فلا يكون ذلك الا على قراءة الاعمش اذ هو مجزوم مع انه يحتمل أن يكون استئناف نهى وأما مع وجود نون التوكيد فانه لا يجوز ذلك الا ان كان فى الشعر واذا لم يجز ذلك فى جواب الشرط الا فى الشعر فاحرى أن لا يجوز فى جواب الأمر لا فى الشعر وكونه جواب لأمر متنازع فيه على ما قرر فى النحو ومثال مجئ نون التوكيد فى جواب الشرط قول الشاعر

نبتم نبات الخيزرانة فى الثرى
حديثا متى يأتك الخير ينفعا

وقول الآخر

مهما تشأ منه فزارة تعطه
ومهما تشأ منه فزارة تمنعا

قال سيبويه وذلك قليل فى الشعر شبهوه بالنهى حيث كان مجزوما غير واجب انتهى وقد تنبه أبو البقاء لشئ من هذا قال وقيل هو جواب الامر وهو ضعيف لان جواب الشرط لا يؤكد بالنون فى الاختيار وأما تخريجه

هنا بدلا من الأمر والذي جوز أن يكون بدلا منه لأنه في معنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم على طريقة لاأرينك ههنا أرادت لايحطمنكم جنود سليمان فجاءت بما هو أبلغ ونحوه * عجبت من نفسي ومن اشفاقها * انتهى وأما تخريجه على أنه أمر فلا يكون ذلك الا على قراءة الأعمش اذ هو مجزوم مع أنه يحتمل أن يكون استئناف نهي وأما مع وجود نون التوكيد فانه لايجوز ذلك الا ان كان في الشعر واذا لم يجز ذلك في جواب الشرط الا في الشعر فأحرى أن لايجوز في جواب الأمر الا في الشعر وكونه جواب الأمر متنازع فيه على ماقرر في النحو ومثال مجيء نون التوكيد في جواب الشرط * قول الشاعر

نبتم نبات الخيزرانة في الثرى * حديثا متى يأتك الخير ينفعا

(وقول الآخر)

فمهما تشأ منه فزارة يعطه * ومهما تشأ منه فزارة تمنعا

*قال سيبويه وذلك قليل في الشعر شبهوه بالنهي حيث كان مجزوما غير واجب انتهى وقد تنبه أبو البقاء لشيء من هذا فقال وقيل هو جواب الأمر وهو ضعيف لأن جواب الشرط لايؤكد بالنون في الاختيار * وأما تخريجه على البدل فلا يجوز لأن مدلول لايحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا وأما قوله لأنه في معنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم فهذا تفسير معنى لاتفسير اعراب والبدل من صفة الألفاظ نعم لو كان اللفظ القرآني لاتكونوا حيث أنتم لايحطمنكم لتخيل فيه البدل لأن الامر بدخول المساكن نهي عن كونهم في ظاهر الارض وأما قوله انه أراد لايحطمنكم جنود سليمان الى آخره فيسوغ زيادة الأسماء وهو لايجوز بل الظاهر اسناد الحطم اليه والى جنوده وهو على حذف مضاف أي خيل سليمان وجنوده أو نحو ذلك مما يصح تقديره * وهم لايشعرون جملة حالية أي ان وقع حطم فليس ذلك بتعمد منهم انما يقع وهم لايعلمون بحطمنا كقوله فتصيبكم منهم معرة بغير علم وهذا التفات حسن أي من عدل سليمان وأتباعه ورحمته ورفقه أن لايحطم نملة فما فوقها الا بأن لا يكون لهم شعور بذلك وما أحسن ماأتت به هذه النملة في قولها وأغربه وأفصحه وأجمعه للمعاني أدركت خامسة ملك سليمان فنادت وأمرت وأنذرت وذكروا أنه جرى بينها وبين سليمان محاورات وأهدت له بيضة وأنشدوا أبياتا في حقارة مايهدى الى العظيم والاستعذار من ذلك ودعاء سليمان للنمل بالبركة والله أعلم بصحة ذلك أو افتعاله والنمل حيوان قوي الحس شمام جدا يدخر القوت ويشق الحبة قطعتين لئلا تنبت والكزبرة بأربع لأنها اذا قطعت قطعتين أنبتت وتأكل في عامها بعض ماتجمع وتدخر الباقي عدة وفي الحديث النهي عن قتل أربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه أبو داود عن ابن عباس * وروي من حديث أبي هريرة فتبسم سليمان عليه السلام اما للعجب بما دل عليه قولها وهم لايشعرون وهو ادراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره واما للسرور بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا وهو ادراكه قول ماهمس به الذي هو مثل في الصغر ولذلك دعا أن يوزعه الله شكر ماأنعم به عليه وانتصب ضاحكا على الحال أي شارعا في الضحك ومتجاوزا حد التبسم الى الضحك ولما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب كما يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئ وكان الضحك انما يكون للسرور والفرح أتى بقوله ضاحكا * وقرأ ابن السميفع ضحكا جعله مصدرا لأن تبسم في معنى ضحك فانتصابه على المصدرية أو على أنه مصدر في موضع الحال كقراءة ضاحكا. وقال رب أوزعني أي اجعلني أزع شكر نعمتك وأكفه وأرتبطه حتى لاينفلت عني

(الدر)

على البدل فلايجوز لأن مدلول لايحطمنكم مخالف لمدلول ادخلوا وأما قوله لانه في معنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم فهذا تفسير معنى لاتفسير اعراب والبدل من صفة الالفاظ نعم لو كان اللفظ القرآني لاتكونوا حيث أنتم لايحطمنكم لتخيل فيه البدل لان الامر بدخول المساكن نهي عن كونهم في ظاهر الارض وأما قوله انها أرادت لايحطمنكم جنود سليمان الى آخره فيسوغ زيادة الاسماء وهو لايجوز بل الظاهر اسناد الحطم اليه والى جنوده وهو على حذف مضاف اى خيل سليمان وجنوده أو نحو ذلك مما يصح تقديره

﴿ وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد ﴾ الآية الظاهر انه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ماتقتضيه العناية بامور الملك والاهتمام
بالرعايا قيل وكان يأتيه من كل صنف واحد وفى الكلام حذف تقديره ففقد الهدهد حين تفقد الطير ﴿ أم ﴾ هنا هى المنقطعة تتقدر
ببل والهمزة ودل قوله من الغائبين أنه كان فى عسكر سليمان من كان يغيب عنه ﴿ لاعذبنه عذابا شديدا ﴾ أبهم العذاب الشديد
وفى تعيينه أقوال مضطربة فنها انه يحشره مع غير جنسه والسلطان المبين الحجة والعذر وفيه دليل على الاغلاظ على العاصين وعقابهم
وبدأ أولا باخف العقابين وهو التعذيب ثم أتبعه بالأشد وهو اذهاب المهجة بالذبح وأقسم على هذين لانهما من فعله وأقسم على
الاتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة فى الحكم باو كانه قال ليكونن أحد هذه الثلاثة والمعنى ان أتى بالسلطان لم يكن
تعذيب ولا ذبح والا كان أحدهما ❊ والظاهر ان الضمير فى فمكث عائد على الهدهد أى غير زمن بعيد أى عن قرب ووصف مكثه
بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته
وعلى قدرة الله تعالى وكان فيما روى قد أعلم بما أقسم به سليمان فبادر الى جوابه بما يسكن غيظه عليه وهو ان غيبته كانت لأمر عظيم
عرض له ﴿ فقال أحطت بما لم تحط به ﴾ وفى هذا جسارة من لديه علم لم يكن عند غيره وتبجحه بذلك وابهام حتى تتشوف النفس
الى معرفة ذلك المبهم ماهو ومعنى الاحاطة هنا انه علم علما ليس عند (٦٣) نبى الله سليمان عليه السلام قال الزمخشرى ألهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على ان فى أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويصغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والاحاطة بالشئ علما أن يعلم من جميع جهاته
لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه أحد أعلم منه انتهى ولما أبهم
فى قوله بما لم تحط به انتقل الى ما هو أقل منه ابهاما وهو قوله ﴿ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾ اذ فيه اخبار بالمكان الذى جاء منه وانه
له علم بخبر مستيقن له وقرئ فمكث بضم الكاف وفتحها وذكر ان مثل سبأ بنبأ يسمى تجنيس التصريف قال وهو ان تنفرد كل
كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف ومنه قول ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ولفظ نبأ
لا يكون الا الخبر الذى له شأن ولفظ الخبر مطلق ينطلق على ماله شأن وماليس له شأن ولما أبهم الهدهد أولا ثم أبهم ثانيا دون ذلك الابهام
صرح بما كان ابهمه فقال ﴿ انى وجدت امرأة تملكهم ﴾ ومعنى وجدت هنا أصبت والضمير فى تملكهم عائد على سبأ ان كان أريد
به القبيلة وان أريد الموضع فهو على حذف مضاف أى وجئتك من أهل سبأ والمرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك اليمن كلها
وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس ﴿ من كل شئ ﴾ هذا على
سبيل المبالغة والمعنى من كل شئ احتاجت اليه أو من كل شئ فى أرضها ﴿ ولها عرش عظيم ﴾ قيل كرسيها وكان مرصعا بالجواهر وما
أحسن انتظام هذه الاخبار بعد تهدد الهدهد وعلمه بذلك أخبر أولا باطلاعه على مالم يطلع عليه سليمان تحصنا من العقوبة برتبة
العلم الذى حصلت له فتشوف السامع الى ذلك ثم أخبر ثانيا بمتعلق ذلك العلم وهو انه من سبأ وانه أمر متيقن لا يشك فيه فزاد تشوف
السامع الى سماع ذلك النبأ ثم أخبر ثالثا عن الملك الذى أوتيته امرأة وكان سليمان قد سأل الله تعالى ان يؤتيه ملكا لا ينبغى لاحد من

حتى لا أنفك شاكرا لك ❊ وقال ابن عباس أوزعنى اجعلنى أشكر ❊ وقال ابن زيد حرضنى ❊ وقال
أبو عبيدة أولعنى ❊ وقال الزجاج امنعنى عن الكفران ❊ وقيل ألهمنى الشكر وأدرج ذكر نعمة
الله على والديه فى أن يشكرهما كما يشكر نعمة الله على نفسه لما يجب للوالد على الولد من الدعاء لهما
والبر بهما ولا سيما اذا كان الولد تقيا لله صالحا فان والديه ينتفعان بدعائه وبدعاء المؤمنين لهما بسببه
كقولهم رحم الله من خلفك رضى الله عنك وعن والديك ولما سأل ربه شيأ خاصا وهو شكر النعمة
سأل شيأ عاما وهو أن يعمل عملا يرضاه الله تعالى فاندرج فيه شكر النعمة فكأنه سأل ايزاع الشكر
مرتين ثم دعا أن يلحق بالصالحين ❊ قال ابن زيد هم الانبياء والمؤمنون وكذا عادة الانبياء أن يطلبوا
جعلهم من الصالحين كما قال يوسف عليه السلام توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ❊ وقال تعالى عن
ابراهيم عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين ❊ قيل لان كمال الصلاح أن لا يعصى الله تعالى ولا يهم
بمعصية وهذه درجة عالية ﴿ وتفقد الطير فقال مالى لاأرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه
عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به
وجئتك من سبا بنبا يقين انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم

بعده ثم أخبر رابعا ما ظاهره الاشتراك و بين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا من شأن النساء ان تملك فحول الرجال وهو قوله وأوتيت من كل شيء وقوله ولها عرش عظيم وكان لسليمان له بساط قد صنع له وكان عظيما ولم يتأثر سليمان للاخبار بهذا كله اذ هو أمر دنياوي أخبره خامسا بما يهزه لطلب هذه المملكة ودعائها الى الايمان بالله تعالى وافراده بالعبادة فقال ﴿ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ﴾ وقرئ الا بالتخفيف وهو حرف استفتاح ويا للتنبيه واسجدوا فعل أمر وقرئ ألا بالتشديد وهي ان أدغمت نونها في لا التي للنفي و يسجدوا فعل مضارع منصوب بان والمعنى فهم لا يهتدون لنفي سجودهم لله تعالى أي الحامل لهم على انتفاء الهداية انتفاء سجودهم لله تعالى لان الذنب يجر الذنب فلما انتفى عنهم السجود انتفت الهداية وفي البحر اعراب يوقف عليه فيه * والخبء مصدر أطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه الله تعالى من غيوبه * والظاهر ان في السموات متعلق بالخبء أي المخبوء في السموات * والظاهر ان قوله الا يسجدوا الى العظيم من كلام الهدهد ولما فرغ الهدهد من كلامه وأبدى عذره في غيبته أخر سليمان أمره الى ان يتبين له صدقه فقال ﴿ سننظر أصدقت ﴾

والنظر هنا التأمل والتصفح وأصدقت جملة معلق عنها سننظر وهي في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لأن نظر بمعنى التأمل والتفكر انما يتعدى بحرف الجر الذي هو في وعادل بين الجملتين بأم ولم يكن التركيب أم كذبت لأنه كان ثم كذابون وفي الكلام حذف تقديره وأمر بكتابة كتاب اليهم و بذهاب الهدهد رسولا اليهم بالكتاب فقال اذهب بكتابي هذا أي الحاضر المكتوب الآن فألقه اليهم ثم تول عنهم أي تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تسمع ما يصدر منهم وما يرجع به بعضهم الى بعض من القول وفي قوله اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم دليل على ارسال الكتب للمشركين من الامام يبلغهم الدعوة ويدعوهم الى الاسلام وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وغيرهما من ملوك العرب وقال وهب أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسبما يتأدب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا بحيث تسمع مراجعتهم * ومعنى فانظر * ماذا يرجعون أي تأمل واستحضره في ذهنك وقيل معناه فانتظر وماذا ان كان معنى فانظر معنى التأمل بالفكر كان انظر معلقا * وماذا اما كله استفهام في موضع نصب واما ان تكون ما استفهاما وذا موصول بمعنى الذي فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثاني يكون ذا هو الخبر * و يرجعون صلة ذا واذا كان بمعنى فانظر فانتظر فليس فعل قلب فيعلق بل يكون ماذا كله موصولا بمعنى الذي أي فانتظر الذي يرجعون والمعنى فانظر ماذا يرجعون حتى ترد الى ما يرجعون من القول وفي الكلام حذف تقديره فذهب وألقى الكتاب وتفكر فيما يرجع به اليه

وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض و يعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴾ الظاهر أنه تفقد جميع الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والاهتمام بالرعايا * قيل وكان يأتيه من كل صنف واحد فلم ير الهدهد * وقيل كانت الطير تظله من الشمس وكان الهدهد يسير مكانه الايمن فمسته الشمس فنظر الى مكان الهدهد فلم يره * وعن عبد الله بن سلام أن سليمان عليه السلام نزل بمفازة لا ماء فيها وكان الهدهد يرى ظاهر الارض وباطنها وكان يخبر سليمان بذلك فكانت الجن تخرجه في ساعة تسلخ الارض كما تسلخ الشاة وسأل عنه حين حلوا تلك المفازة لاحتياجهم الى الماء * وفي قوله وتفقد الطير دلالة على تفقد الامام أحوال رعيته والمحافظة عليهم * وقال عمر رضي الله عنه لو أن سخلة على شاطئ الفرات أخذها الذئب ليسئل عنها عمر وفي الكلام محذوف أي فقد الهدهد حين تفقد الطير * قال ابن عطية وقوله مالي لا أرى الهدهد مقصد الكلام الهدهد غاب ولكنه أخذ اللازم عن مغيبه وهو أن لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف عن اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب الالف التي تحتاجها أم انتهى فظاهر هذا الكلام ان أم متصلة وأن الاستفهام الذي في قوله مالي ناب مناب ألف الاستفهام فمعناه عنده أغاب عني الآن فلم أره حالة التفقد أم كان ممن غاب قبل ولم أشعر بغيبته * وقال الزمخشري أم هي المنقطعة نظر الى مكان

(الدر) (ش) أم هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال مالي لا أرى الهدهد على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول أهو غائب كانه يسأل عن صحة ما لاح له ونحوه

الهدهد فلم يبصره فقال مالى لا أرى الهدهد على معنى أنه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره أوغير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كانه سأل صحة مالاح له ونحوه قولهم انها لابل أم شاء انتهى والصحيح ان أم فى هذا هى المنقطعة لان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام فلو تقدمها أداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة وهنا تقدم مافغات سرط المتصلة * وقيل يحتمل أن تكون من المقلوب وتقديره مالهدهد لا أراه ولاضرورة الى ادعاء القلب وفى الكشاف أن سليمان لما تم له بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ماشاء ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلى فلم يجد الماء وكان الهدهد يأتيه وكان يرى الماء من تحت الارض * وذكر أنه كان الجن يسلخون الأرض حتى يظهر الماء * لأعذبنه عذابا شديدا أبهم العذاب الشديد وفى تعيينه أقوال متعارضة والأجود أن يجعل أمثلة * فعن ابن عباس ومجاهد وابن جريج نتف ريشه * وقال ابن جريج ريشه كله * وقال يزيد بن رومان جناحه * وقال ابن وهب نصفه ويبقى نصفه * وقيل بزادمع نتفه تركه للشمس * وقيل بحبس فى القفص * وقيل يطلى بالقطران ويشمس * وقيل ينتف ويلقى للنمل * وقيل يجمع مع غير جنسه * وقيل يبعد من خدمة سليمان عليه السلام * وقيل يفرق بينه وبين إلفه * وقيل يلزم خدمة اقرانه وكان هذا القول من سليمان غضبا لله حيث حضرت الصلاة وطلب الماء للوضوء فلم يجده وأباح الله ذلك لمصلحة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وكما سخر له الطير فله أن يؤدبه اذا لم يأت ما سخر له * وقرأ الجمهور أو ليأتينى بنون مشددة بعدها ياء المتكلم وابن كثير بنون مشددة بعدها نون الوقاية بعد الياء وعيسى بن عمر بنون مشددة مفتوحة بغير ياء * والسلطان المبين الحجة والعذر وفيه دليل على الاغلاظ على العاصين وعقابهم وبدأ أولا بأخف العقابين وهو التعذيب ثم أتبعه بالأشد وهو اذهاب المهجة بالذبح وأقسم على هذين لانهما من فعله وأقسم على الاتيان بالسلطان وليس من فعله لما نظم الثلاثة فى الحكم بأو كأنه قال ليكونن أحد الثلاثة والمعنى ان أتى بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح والا كان أحدهما ولا يدل قسمه على الاتيان على ادعاء دراية على انه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بانه يأتيه بسلطان فيكون قوله أو ليأتينى بسلطان مبين عن دراية وإيقان * وقرأ الجمهور فمكث بضم الكاف وعاصم وأبو عمرو فى رواية الجعفى وسهل وروح بضمها وفى قراءة أبى فتمكث ثم قال وفى قراءة عبد الله فتمكث فقال وكلاهما فى الحقيقة تفسير لا قراءة لمخالفة ذلك سواد المصحف وما روى عنهما بالنقل الثابت والظاهر ان الضمير فى فمكث عائد على الهدهد أى غير زمن بعيد أى عن قرب ووصف مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطى من المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله * وقيل وقف مكانا غير بعيد من سليمان وكأنه فيما روى حين نزل سليمان حلق الهدهد فرأى هدهدا فانحط عليه ووصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شئ وذكر له صاحبه ملك بلقيس وعظم منه وذهب معه لينظر فما رجع إلا بعد العصر * وقيل الضمير فى فمكث لسليمان * وقيل يحتمل أن يكون لسليمان وللهدهد وفى الكلام حذف فان كان غير بعيد زمانا فالتقدير فجاء سليمان فسأله ماغيبك فقال أحطت وان كان مكانا فالتقدير فجاء فوقف مكانا قريبا من سليمان فسأله ماغيبك وكان فيما روى قدعلم بما أقسم عليه سليمان فبادر الى جوابه بما يسكن غيظه عليه وهو ان غيبته كانت لأمر

(الدر)

قولهم انها لابل أم شاء (ح) جعلها (ع) متصله والصحيح ان أم فى هذا هى المنقطعة كما ذكره (ع) لان شرط المتصلة تقدم همزة الاستفهام فلو تقدمتها اداة الاستفهام غير الهمزة كانت أم منقطعة وهنا تقدم مافغات شرط المتصلة

عظيم عرض له فقال أحطت بما لم تحط به وفي هذا جسارة من لديه علم لم يكن عند غيره و تبجحه بذلك وابهام حتى تتشوف النفس الى معرفة ذلك المبهم ماهو ومعنى الاحاطة هنا انه علم علما ليس عند نبي الله سليمان * قال الزمخشري ألهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على ان في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به سليمان لتتحاقر اليه نفسه و يصغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة والاحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لايخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة ان الامام لايخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم منه انتهى ولما أبهم في قوله بما لم تحط انتقل الى ماهو أقل منه ابهاما وهو قوله وجئتك من سبأ بنبأ يقين اذ فيه اخبار بالمكان الذي جاء منه وانه له علم بخبر مستيقن له * وقرأ الجمهور من سبأ مصروفا هنا وفي لقد كان لسبأ وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة غير مصروف فيهما وقنبل من طريق النبال باسكانها فيهما فمن صرفه جعله اسما للحي أو الموضع أو للأب كما في حديث فروة بن مسيك وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اسم رجل ولد عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة (والستة) حمير وكندة والأزد وأشعر وخثعم وبجيلة (والاربعة) لخم وجذام وعاملة وغسان وكان سبأ رجلا من قحطان اسمه عبد شمس * وقيل عامر وسمي سبأ لانه أول من سبا ومن منعه الصرف جعله اسما للقبيلة أو البقعة * وأنشدوا على الصرف

الواردون وتيم في ذرى سبأ * قد عض أعناقهم جلد الجواميس

ومن سكن الهمزة فلتوالي الحركات فيمن منع الصرف واجراء للوصل مجرى الوقف * وقال مكي الاسكان في الوصل بعيد غير مختار ولاقوي انتهى * وقرأ الاعمش من سبإ بكسر الهمزة من غير تنوين حكاها عنه ابن خالويه وابن عطية ويبعد توجيهها * وقرأ ابن كثير في رواية من سبأ بتنوين الباء على وزن رحى جعله مقصورا مصروفا * وذكر أبو معاذ انه قرأ من سبأ بسكون الباء وهمزة مفتوحة غير منونة بناه على فعلى فامتنع الصرف للتأنيث اللازم * وروى ابن حبيب عن اليزيدي من سبا بألف ساكنة كقولهم تفرقوا أيدي سبا * وقرأت فرقة بنبا بألف عوض الهمزة وكأنها قراءة من قرأ لسبا بالالف لتتوازن الكلمتان كما توازنت في قراءة من قرأهما بالهمز المكسور والتنوين * وقال في التحرير ان هذا النوع في علم البديع يسمى بالترديد وفي كتاب التفريع بفنون البديع ان الترديد رد أعجاز البيوت على صدورها أو رد كلمة من النصف الاول الى النصف الثاني ويسمى أيضا التصدير فمثال الاول قوله

سريع الى ابن العم يجبر كسره * وليس الى داعي الخنا بسريع

﴿ ومثال الثاني قوله ﴾

والليالي اذا نأيتم طوال * والليالي اذا دنوتم قصار

وذكر ان مثل من سبأ بنبأ يسمى تجنيس التصريف قال وهو أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الاخرى بحرف ومنه قوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق و بما كنتم تمرحون وما ورد في الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير * وقال الشاعر

لله ما صنعت بنا * تلك المعاجر والمحاجر

* وقال الزمخشري وقوله من سبأ بنبأ من جنس الكلام الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن

الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا أو بصيغة عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة فحسن و بدع لفظا ومعنى ألا ترى لو وضع مكان بنبأ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح لما في النبأ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال انتهى والزيادة التي أشار اليها هي ان النبأ لا يكون الا الخبر الذي له شأن ولفظ الخبر مطلق ينطلق على ماله شأن وماليس له شأن * ولما أبهم الهدهد أولا ثم أبهم ثانيا دون ذلك الابهام صرح بما كان أبهمه فقال انى وجدت امرأة تملكهم ولا يدل قوله تملكهم على جواز أن تكون المرأة ملكة لان ذلك كان من فعل قوم بلقيس وهم كفار فلا حجة في ذلك وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه أن أهل فارس قد ملكوا ابنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة * ونقل عن محمد بن جرير انه يجوز أن تكون المرأة قاضية ولم يصح عنه * ونقل عن أبي حنيفة انها تقضي فيما تشهد فيه لا على الاطلاق ولا أن يكتب لها مسطور بأن فلانة مقدمة على الحكم وانما ذلك على سبيل التحكيم والاستنابة في القضية الواحدة * ومعنى وجدت هنا أصبت والضمير في تملكهم عائد على سبأ ان كان أريد القبيلة وان أريد الموضع فهو على حذف أي وجئتك من أهل سبأ والمرأة بلقيس بنت شراحيل وكان أبوها ملك اليمن كلها وقد ولد له أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس * واختلف في اسم أبيها اختلافا كثيرا * قيل وكانت أمها جنية تسمى ريحانة بنت السكن تزوجها أبوها اذ كان من عظمه لم ير أن يتزوج أحدا من ملوك زمانه فولدت له بلقيس وقد طولوا في قصصها بما لم يثبت في القرآن ولا الحديث الصحيح و بدأ الهدهد بالاخبار عن ملكها وانها أوتيت من كل شئ وهذا على سبيل المبالغة والمعنى من كل شئ احتاجت اليه أو من كل شئ في أرضها و بين قول الهدهد ذلك و بين قول سليمان وأوتينا من كل شئ فرق وذلك ان سليمان عطف على قوله علمنا منطق الطير وهو معجزة فيرجع أولا الى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم الى الملك وأسباب الدنيا وعطف الهدهد على الملك فلم يرد الا ما أوتيت من أسباب الدنيا اللائقة بحالها * ولها عرش عظيم قال ابن زيد هو مجلسها * وقال سفيان هو كرسيها وكان من صعاب الجواهر وعليه سبعة أبواب وذكروا من وصف عرشها أشياء الله هو العالم بحقيقة ذلك واستعظام الهدهد عرشها اما لاستصغار حالها أن يكون لها مثل هذا العرش واما لان سليمان لم يكن له مثله وان كان عظيم المملكة في كل شئ لأنه قد يوجد لبعض أمراء الأطراف شئ لا يكون للملك الذي هو تحت طاعته ولما كان سليمان قد آتاه الله من كل شئ وكان له عرس عظيم أخبره بهذا النبأ العظيم حيث كان في الدنيا من يشاركه فيما يقرب من ذلك ولم يلتفت سليمان لذلك اذ كان معرضا عن أمور الدنيا فانتقل الهدهد الى الاخبار الى ما يتعلق بأمور الدين وما أحسن انتقالات هذه الأخبار بعد تهدد الهدهد وعلمه بذلك أخبر أولا باطلاعه على مالم يطلع عليه سليمان تحصنا من العقوبة بزينة العلم الذي حصل له فشوق السامع الى علم ذلك ثم أخبر ثانيا بتعلق ذلك العلم وهو انه من سبأ وانه أمر متيقن لاشك فيه فراد تسوف السامع الى سماع ذلك النبأ ثم أخبر ثالثا عن الملك الذي أوتيته امرأة وكان سليمان عليه السلام قد سأل الله أن يؤتيه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ثم أخبر رابعا ما ظاهره الاشتراك بينه و بين هذه المرأة التي ليس من شأنها ولا شأن النساء أن تملك فحول الرجال وهو قوله وأوتيت من كل شئ وقوله ولها عرش عظيم وكان سليمان له بساط قد صنع له وكان عظيما ولما لم يتأثر سليمان للاخبار بهذا كله اذ هو أمر دنياوي أخبره خامسا بما يهزه لطلب

هذه الملكة ودعائها الى الايمان وافراده بالعبادة فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وقد تقدم القول انهم كانوا مجوسا يعبدون الانوار وهو قول الحسن * وقيل كانوا زنادقة وهذه الاخبارات من الهدهد كانت على سبيل الاعتذار عن غيبته عن سليمان وعرف ان مقصد سليمان الدعاء الى توحيد الله والايمان به فكان ذلك عذرا واضحا أزال عنه العقوبة التى كان سليمان قد توعده بها وقام ذلك الاخبار مقام الايقان بالسلطان المبين اذ كان فى غيبته مصلحة لاعلام سليمان بما كان خافيا عنه وما آله الى ايمان الملكة وقومها وخفى ملك هذه المرأة ومكانها على سليمان وان كانت المسافة بينهما قريبة كما خفى ملك يوسف على يعقوب وذلك لأمر أراده الله تعالى * قال الزمخشرى ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش عظيم وجدتها يريد أمر عظيم ان وجدتها فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى عظيمة وهى نسخ كتاب الله انتهى وقال أيضا (فان قلت) من أين للهدهد الهدى الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار السجود للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه (قلت) لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوانات المعارف اللطيفة التى لا تكاد العقلاء يهتدون لها ومن أراد استقراء ذلك فعليه بكتاب الحيوان خصوصا فى زمان نبى سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له انتهى وأسند التزيين الى الشيطان اذ كان هو المتسبب فى ذلك باقدار الله تعالى * فصدهم عن السبيل أى الشيطان أو تزيينه عن السبيل وهو الايمان بالله وافراده بالعبادة * فهم لا يهتدون أى الى الحق * وقرأ ابن عباس وأبو جعفر والزهرى والسلمى والحسن وحميد والكسائى ألا بتخفيف لام الألف فعلى هذا له أن يقف على فهم لا يهتدون ويبتدىء على ألا يسجدوا * قال الزمخشرى وان شاء وقف على ألا يا ثم ابتدأ اسجدوا وباقى السبعة بتشديدها وعلى هذا يصل قوله فهم لا يهتدون بقوله ألا يسجدوا * وقال الزمخشرى وفى حرف عبد الله وهى قراءة الأعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا يسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب * وفى قراءة أبى ألا تسجدون لله الذى يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون انتهى * وقال ابن عطية وقرأ الأعمش هلا يسجدون وفى حرف عبد الله ألا هل تسجدون بالتاء وفى قراءة أبى ألا تسجدون بالتاء أيضا فأما قراءة من أثبت النون فى يسجدون * وقرأ بالتاء أو الياء فصر يحها واضح وأما قراءة باقى السبعة فخرجت على ان قوله ألا يسجدوا فى موضع نصب على أن يكون بدلا من قوله أعمالهم أى فزين لهم الشيطان أن لا يسجدوا وما بين المبدل منه والبدل معترض أو فى موضع جر على أن يكون بدلا من السبيل أى فصدهم عن أن لا يسجدوا وعلى هذا التخريج تكون لا زائدة أى فصدهم عن أن يسجدوا لله ويكون فهم لا يهتدون معترضا بين المبدل منه والبدل ويكون التقدير لأن لا يسجدوا وتتعلق اللام اما بزين واما بقصدهم واللام الداخلة على ان داخله على مفعول له أى علة تزيين الشيطان لهم أوصدهم عن السبيل هى انتفاء سجودهم لله أو لخوفه أن يسجدوا لله * وقال الزمخشرى ويجوز أن تكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى أن يسجدوا انتهى وأما قراءة ابن عباس ومن وافقه فخرجت على أن تكون ألا حرف استفتاح ويا حرف نداء والمنادى محذوف واسجدوا فعل أمر وسقطت ألف يا التى للنداء وألف الوصل فى اسجدوا اذ رسم المصحف يسجدوا بغير ألفين لما سقطا لفظا سقطا خطا ومجىء مثل هذا التركيب موجود فى كلام العرب * قال الشاعر * ألا يا اسلمى ذات الدمالج والعقد *

* وقال * ألا يا اسقيانى قبل غارة سنجال *

* وقال * ألايا اسلمي يادارمي على البلى *

* وقال * ألايا اسقياني قبل حبل أبي بكر *

* وقال فقالت ألايااسمع أعظك بخطبة * فقلت سمعنا فانطق وأصيبي

* وقال ألايا اسلمي ياهند هند بني بدر * وان كان جباناعدا آخر الدهر

وسمع بعض العرب يقول الايا ارحونا ألا تصدقوا علينا ووقف الكسائي في هذه القراءة على يا ثم يبتدي اسجدوا وهو وقف اختيار لا اختبار والذي أذهب اليه أن مثل هذا التركيب الوارد عن العرب ليست يا فيه للنداء وحذف المنادى لأن المنادى عندي لا يجوز حذفه لأنه قد حذف الفعل العامل في النداء وانحذف فاعله لحذفه ولو حذفنا المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء وحذف متعلقه وهو المنادى فكان ذلك اخلالا كبيرا واذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلا على العامل فيه جملة النداء وليس حرف النداء حرف جواب كنعم ولا وبلى وأجل فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة ماسبق من السؤال على الجمل المحذوفة فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكد به ألا التي للتنبيه وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التوكيد واذا كان قد وجد التأكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ العاملين في قوله * فأصبحن لا يسألنني عن بما به * والمتفق اللفظ العاملين في قوله * ولا للما بهم أبدا دواء * وجاز ذلك وان عده ضرورة أو قليلا فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزا وليس يا في قوله * يالعنة الله والأقوام كلهم * حرف نداء عندي بل حرف تنبيه جاء بعده المبتدأ وليس مما حذف منه المنادى لما ذكرناه * وقال الزمخشري (فان قلت) أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا أو في واحدة منهما (قلت) هي واجبة فيهما واحدى القراءتين أمر بالسجود والأخرى ذم للتارك وماذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه انتهى والخبء مصدر أطلق على المخبوء وهو المطر والنبات وغيرهما مما خبأه تعالى من غيوبه * وقرأ الجمهور الخبء بسكون الباء والهمزة * وقرأ أبي وعيسى بنقل حركة الهمزة الى الباء وحذف الهمزة * وقرأ عكرمة بألف بدل الهمزة فلزم فتح ماقبلها وهي قراءة عبد الله ومالك بن دينار ويخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ومررت بالخبي ورأيت الخبا وأجرى الوصل مجرى الوقف وأجاز الكوفيون أن تقول في المرأة والكمأة المراة والكماة فيبدل من الهمزة ألفا فتفتح ماقبلها فعلى قولهم هذا يجوز أن يكون الخبا منه * قيل وهي لغة ضعيفة واجراء الوصل مجرى الوقف أيضا نادر قليل فيعادل التخريجان ونقل الحركة الى الباء وحذف الهمزة حكاه سيبويه عن قوم من بني تميم وبني أسد وقراءة الخبا بالألف طعن فيها أبو حاتم وقال لا يجوز في العربية قال لانه ان حذف الهمزة ألقى حركتها على الباء فقال الخب وان حولها قال الخبي بسكون الباء وياء بعدها قال المبرد كان أبو حاتم دون أصحابه في النحو ولم يلحق بهم الا أنه اذا خرج من بلدتهم لم يلق أعلم منه والظاهر أن في السموات متعلق بالخبء أي المخبوء في السموات * وقال الفراء في ومن يتعاقبان يقول العرب لاستخرجن العلم فيكم يريد منكم انتهى فعلى هذا يتعلق بيخرج أي من في السموات ولما كان الهدهد قد أوتي من معرفة الماء تحت الأرض مالم يؤت غيره وألهمه الله تعالى ذلك كان وصفه ربه تعالى بهذا الوصف الذي هو قوله الذي يخرج الخبء اذ كل مختص بوصف من علم أو صناعة يظهر عليه مخايل ذلك الوصف في روائه ومنطقه وشمائله ولذلك ورد ماعمل عبد عملا الا ألقى الله عليه رداء عمله * وقرأ الحرميان والجمهور مايخفون وما

* ألايا اسلمي ذات الدماليج والعقد * ليست يا فيه للنداء وحذف المنادى لان المنادى عندي لا يجوز حذفه لانه قد حذف الفعل العامل في النداء وانحذف فاعله بحذفه فلو حذفنا المنادى لكان في ذلك حذف جملة النداء وحذف متعلقه وهو المنادى فكان ذلك اخلالا كثيرا واذا أبقينا المنادى ولم نحذفه كان ذلك دليلا على العامل فيه وهو جملة النداء وليس حرف النداء حرف جواب كنعم ولا وبلى وأجل فيجوز حذف الجمل بعدهن لدلالة ماسبق من السؤال على الجمل المحذوفة فيا عندي في تلك التراكيب حرف تنبيه أكد به ألا التي للتنبيه وجاز ذلك لاختلاف الحرفين ولقصد المبالغة في التأكيد واذا كان قد وجد التأكيد في اجتماع الحرفين المختلفي اللفظ العاملين في قوله

فاصبحن لا يسئلنني عن بمابه * والمتفق اللفظ العاملين في قوله * ولا للما بهم أبدا دواء * وجاز ذلك وان عده ضرورة أو قليلا فاجتماع غير العاملين وهما مختلفا اللفظ يكون جائزا

يعلنون بياء الغيبة والضمير عائد على المرأة وقومها * وقرأ الكسائي وحفص بتاء الخطاب فاحتمل أن يكون خطابا لسليمان عليه السلام والحاضرين معه اذ يبعد أن تكون محاورة الهدهد لسليمان وهما ليس معهما أحد وكما جاز له أن يخاطبه بقوله أحطت بما لم تحط به جاز أن يخاطبه والحاضرين معه بقوله ما تخفون وما تعلنون بل خطابه بهذا ليس فيه ظهور رشغوف بخلاف ذلك الخطاب والظاهر ان قوله ألا يسجدوا الى العظيم من كلام الهدهد * وقيل من كلام الله تعالى لأمة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عطية القراءة بياء الغيبة تعطى ان الآية من كلام الهدهد وبتاء الخطاب تعطى انها من خطاب الله عز وجل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم * وقال صاحب الغنيان لما ذكر الهدهد عرش بلقيس ووصفه بالعظم رد الله عز وجل عليه وبين ان عرشه تعالى هو الموصوف بهذه الصفة على الحقيقة اذ لا يستحق عرش دونه أن يوصف بالعظمة * وقيل انه من تمام كلام الهدهد كأنه استدرك ورد العظمة من عرش بلقيس الى عرش الله * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم (قلت) بين الوصفين فرق لأن وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات والارض انتهى * وقرأ ابن محيصن وجماعة العظيم بالرفع فاحتمل أن تكون صفة للعرش وقطع على اضمار هو على سبيل المدح فنستوى قراءته وقراءة الجمهور في المعنى واحتمل أن تكون صفة للرب وخص العرش بالذكر لأنه أعظم المخلوقات وما عداه في ضمنه ولما فرغ الهدهد من كلامه وأبدى عذره في غيبته أخر سليمان أمره الى أن يتبين له صدقه من كذبه فقال سننظر أصدقت في اخبارك أم كذبت والنظر هنا التأمل والتصفح وأصدقت جملة معلق عنها سننظر وهي في موضع نصب على اسقاط حرف الجر لأن نظر بمعنى التأمل والتفكر انما يتعدى بحرف الجر الذي هو في وعادل بين الجملتين بأم ولم يكن التركيب أم كذبت لان قوله أم كنت من الكاذبين أبلغ في نسبة الكذب اليه لأن كونه من الكاذبين يدل على أنه معروف بالكذب سابق له هذا الوصف قبل الاخبار بما أخبر به واذا كان قد سبق له الوصف بالكذب كان متهما فيما أخبر به بخلاف من يظن ابتداء كذبه فيما أخبر به وفي الكلام حذف تقديره فأمر بكتابة كتاب اليهم وبذهاب الهدهد رسولا اليهم بالكتاب فقال اذهب بكتابي هذا أي الحاضر المكتوب الآن * فألقه اليهم ثم تول عنهم أي تنح عنهم الى مكان قريب بحيث تسمع ما يصدر منهم وما يرجع به بعضهم الى بعض من القول وفي قوله اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم دليل على ارسال الكتب الى المشركين من الامام يبلغهم الدعوة ويدعوهم الى الاسلام وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وغيرهما ملوك العرب * وقال وهب أمره بالتولي حسن أدب ليتنحى حسب ما يتأدب به الملوك بمعنى وكن قريبا بحيث تسمع مراجعاتهم * وقال ابن زيد أمره بالتولي بمعنى الرجوع اليه أي ألقه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون في معنى التقديم على قوله ثم تول عنهم انتهى وقاله أبو علي ولا ضرورة تدعو الى التقديم والتأخير بل الظاهر ان النظر معتقب التولي عنهم * وقرئ في السبعة فألقه بكسر الهاء وياء بعدها وباختلاس الكسرة وبسكون الهاء * وقرأ مسلم بن جندب بضم الهاء وواو بعدها وجمع في قوله اليهم الهدهد قال وجدتها وقومها وفي الكتاب أيضا ضمير الجمع في قوله أن لا تعلوا علي والكتاب كان فيه الدعاء الى الاسلام لبلقيس وقومها ومعنى فانظر ماذا يرجعون أي تأمل واستحضره في ذهنك * وقيل معناه فانتظر * ماذا ان كان معنى فانظر معنى

﴿ قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم ﴾ الآية فقيل ان الهدهد ألقى الكتاب من كوة كانت فى القصر وتوارى فيها فأخذت الكتاب ونادت أشراف قومها وكانت قارئة عربية من قوم تبع ﴿ قالت ياأيها الملأ ﴾ وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم وفى الحديث كرم الكتاب ختمه أو لكونه من سليمان وكانت عالمة بملكه ثم أخبرتهم فقالت ﴿ انه من سليمان ﴾ كأنها قيل لها ممن الكتاب وماهو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت أبهمت أولا ثم فسرت وفى بنائها ألقى للمفعول دلالة على جهلها بالملقى حيث حذفته أو تحقيرا له حيث كان طائرا ان كانت شاهدته والظاهر ان بداءة الكتاب من سليمان بيسم الله الرحمن الرحيم الى آخر ماقص الله منه خاصة وأن من ﴿ ألاتعلوا ﴾ مفسرة ولاتعلوا نهى لمشاكلة عطف الأمر عليه ولما قرأت على الملأ الكتاب ورأت مافيه من الأمر بالانتقال الى سليمان استشارتهم فى أمرها وكانت بارض مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام والمراد هنا أشيروا على بما عندكم فيما حدث لها من الرأى السديد والتدبير وقصدت باشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالؤها ويقوموا معها ﴿ ما كنت قاطعة أمرا ﴾ أى مبرمة وفاصلة أمرا ﴿ حتى تشهدون ﴾ أى تحضروا عندى فلا أستبد بأمر بل تكونون حاضرين معى وما كنت قاطعة أمرا عاما فى كل أمر أى اذ كانت عادتى هذه معكم فكيف لاأستشيركم فى هذه الحادثة الكبرى التى هى الخروج من الملك والانسلاك فى طاعة غيرى والصيرورة تبعا فراجعها الملأ بما أقر عينها من قولهم نحن أولو قوة أى قوة بالعدة والعدد ﴿ وأولو بأس شديد ﴾ أى أصحاب شجاعة ونجدة ثم قالوا ﴿ والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين ﴾ وذلك من حسن محاورتهم اذ وكلوا الأمر إليها وفيه (٧١) دليل على الطاعة المفرطة أى نحن ذكرنا مانحن عليه ومع

﴿ قالت ياأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لاتعلوا على وائتونى مسلمين قالت ياأيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر اليك فانظرى ماذا تأمرين قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون وانى مرسلة اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون فلما جاء سليمان قال أتمدوننى بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون ﴾

ذلك فالأمر موكول اليك كأنهم أشاروا أولا بالحرب أو أرادوا نحن أبناء الحرب لاأبناء الاستشارة وأنت ذات الرأى والتدبير الحسن فانظرى ماذا تأمرين به نرجع اليك ونتبع رأيك وفانظرى من التأمل والتفكر وماذا هو المفعول الثانى لتأمرين

التأمل بالفكر كان انظر معلقا وماذا اما كلمة استفهام فى موضع نصب واما أن تكون ما استفهاما وذا موصول بمعنى الذى فعلى الاول يكون يرجعون خبرا عن ماذا وعلى الثانى يكون ذا هو الخبر ويرجعون صلة ذا وان كان معنى فانظر فانتظر فليس فعل قلب فيعلق بل يكون ماذا كله موصولا بمعنى الذى أى فانتظر الذى يرجعون والمعنى فانظر ماذا يرجعون حتى ترد الى مايرجعون من القول

والمفعول الأول محذوف لفهم المعنى أى تأمرينناه والجملة معلق عنها انظرى فهى فى موضع مفعول لانظرى بعد اسقاط الحرف من اسم الاستفهام ولما وصل إليها كتاب سليمان لاعلى يد رجل بل على طائر استعظمت ملك سليمان وعلمت ان من سخر له الطير حتى يرسله بامر خاص الى شخص خاص مغلق عليه الأبواب غير ممتنع عليه تدويخ الأرض وملوكها فاخبرت بحال الملوك ومالت الى المهاداة والصلح فقالت ﴿ ان الملوك اذا دخلوا قرية ﴾ أى تغلبوا عليها ﴿ أفسدوها ﴾ أى خربوها بالهدم والحرق والقطع وأذلوا أعزة أهلها بالقتل والنهب والأسر وقولها فيه تزييف لآرائهم فى الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك سليمان عليه السلام وجاء لفظ الهدية مبهما وقد ذكروا فى تعيينها أقوالا مضطربة وذكروا من حليها فى الهدية ومن حال سليمان حين وصلت اليه الهدية وكلامه مع رسلها ما الله أعلم بصحته و ﴿ فناظرة ﴾ معطوف على مرسلة و ﴿ بم ﴾ متعلق بيرجع والنظر هنا معلق أيضا والجملة فى موضع مفعول به وفيه دلالة على انها لم تثق بقبول الهدية بل جوزت الرد وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان والهدية اسم لمايهدى كالعطية اسم لمايعطى وروى انها قالت لقومها ان كان ملكا دنياويا أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال وينبغى لنا أن نتبعه على دينه وفى الكلام حذف فارسلت الهدية ﴿ فلما جاء ﴾ أى الرسول سليمان والمراد بالرسول الجنس لاحقيقة المفرد وكذلك الضمير فى ارجع والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث و ﴿ أتمدوننى بمال ﴾ استفهام انكار واستقلال وفى ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا وعدم تعلق قلبه بها عليه السلام ثم ذكر نعمة الله عليه وان ما آتاه الله من النبوة وسعة الملك ﴿ خير مما آتاكم بل أنتم ﴾ بما يهدى اليكم ﴿ تفرحون ﴾ لحبكم الدنيا

ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ﴾ فى الكلام حذف تقديره فأخذ الهدهد الكتاب وذهب به الى بلقيس وقومها وألقاه اليهم كما أمره سليمان * فقيل أخذه بمنقاره * وقيل علقه فى عنقه فجاء هاحتى وقف على رأسها وحولها جنودها فرفرف بجناحيه والناس ينظرون اليه حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها * وقيل كانت فى قصرها قد غلقت الابواب واستلقت على فراشها نائمة فألقى الكتاب على نحرها * وقيل كانت فى البيت كوة تقع الشمس فيها كل يوم فاذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد فسدها بجناحه فرأت ذلك وقامت اليه فألقى الكتاب اليها وكانت قارئة عربية من قوم تبع * وقيل ألقاه من كوة وتوارى فيها فأخذت الكتاب ونادت أشراف قومها فقالت ياأيها الملأ وكرم الكتاب لطبعه بالخاتم وفى الحديث كرم الكتاب ختمه أولكونه من سليمان وكانت عالمة بملكه أولكون الرسول به الطير فظننته كتابا سماويا أولكونه تضمن لطفا ولينالاسباولامايغير النفس أولبداءته باسم الله أقوال ثم أخبرتهم فقالت انه من سليمان كأنها قيل لها ممن الكتاب وماهو فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت أبهمت أولا ثم فسرت وفى بنائها ألقى للمفعول دلالة على جهلها بالملقى حيث حذفته أو تحقيراله حيث كان طائرا ان كانت شاهدته والظاهر ان بداءة الكتاب من سليمان باسم الله الرحمن الرحيم الى آخر ماقص الله منه خاصة فاحتمل أن يكون من سليمان مقدما على بسم الله وهو الظاهر وقدمه لاحتمال أن يبدر منها مالا يليق اذ كانت كافرة فيكون اسمه وقاية لاسم الله تعالى أو كان عنوانا فى ظاهر الكتاب وباطنه فيه بسم الله الى آخره واحتمل أن يكون مؤخرا فى الكتابة عن بسم الله وان ابتدأ الكتاب باسم الله وحين قرأته علمهم بعد قراءتها له فى نفسها قدمته فى الحكاية وان لم يكن مقدما فى الكتابة * وقال أبو بكر بن العربى كانت رسل المتقدمين اذا كتبوا كتابا بدؤا بأنفسهم من فلان الى فلان وكذلك جاءت الاشارة * وعن أنس ما كان أحد أعظم حرمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه اذا كتبوا اليه كتابا بدؤا بأنفسهم * وقال أبو الليث فى كتاب البستان له ولو بدأ بالمكتوب اليه جاز لأن الامة قد أجمعت عليه وفعلوه * وقرأ الجمهور انه من سليمان وانه بكسر الهمزة فيهما * وقرأ عبد الله وانه من سليمان بزيادة واو عطفا على انى ألقى * وقرأ عكرمة وابن أبى عبلة بفتحهما وخرج على البدل من كتاب أى ألقى الى أنه أو على أن يكون التقدير لأنه كأنها عللت كرم الكتاب لكونه من سليمان وتصدره ببسم الله * وقرأ أبى أن من سليمان وان بسم الله بفتح الهمزة ونون ساكنة فخرج على أن ان هى المفسرة لأنه قد تقدمت جملة فيها معنى القول وعلى انها ان المخففة من الثقيلة وحذفت الهاء وبسم الله الرحمن الرحيم استفتاح شريف بارع المعنى مبدوء به فى الكتب فى كل لغة وكل شرع وأن فى قوله ان لاتعلوا * قيل فى موضع رفع على البدل من كتاب * وقيل فى موضع نصب على معنى بأن لاتعلوا وعلى هذين التقديرين تكون أن ناصبة للفعل * وقال الزمخشرى وان فى أن لاتعلوا على مفسرة فعلى هذا تكون لافى لاتعلوا للنهى وهو حسن لمشاكلة عطف الأمر عليه وجوز أبو البقاء أن يكون التقدير هو ان لاتعلوا فيكون خبر مبتدأ محذوف ومعنى لاتعلوا لاتتكبروا كما يفعل الملوك * وقرأ ابن عباس فى رواية وهب بن منبه والاشهب العقيلى ان لاتغلوا بالغين المعجمة أى لاتتجاوزوا الحد وهو من الغلو والظاهر انه طلب منهم أن يأتوه وقد أسلموا وتركوا الكفر وعبادة الشمس * وقيل معناه مذعنين مستسلمين من الانقياد والدخول فى الطاعة وما كتبه سليمان فى غاية الايجاز والبلاغة وكذلك كتب الانبياء والظاهر ان

﴿ ارجع اليهم ﴾ هو خطاب للرسول الذى جاء بالهدية وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد والمعنى ارجع إليهم بهديتهم ثم أقسم سليمان فقال ﴿ فلنأتينهم بجنود ﴾ متوعدا لهم وفيه حذف أى اذا لم يأتونى مسلمين ودل هذا التوعد على أنهم كانوا كفارا باقين على الكفر اذ ذاك والضمير فى بها عائد على الجنود ومعنى ﴿ لاقبل ﴾ لاطاقة وحقيقه القبل المقاومة والمقابلة أى لايقدرون أن يقاتلوهم والضمير فى منها عائد على سبأ وهى أرض بلقيس وقومها وانتصب أذلة على الحال ﴿ وهم صاغرون ﴾ حال أخرى والذل ذهاب ما كانوا فيه من العز والصغار وقوعهم فى أسر واستعباد ولايقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا

الكتاب هو مانص الله عليه فقط واحتمل أن يكون مكتوبا بالعربي إذ الملوك يكون عندهم من يترجم بعدة ألسن فكتب بالخط العربي واللفظ العربي لأنها كانت عربية من نسل تبع بن شراحيل الحيري واحتمل أن يكون باللسان الذي كان سليمان يتكلم به وكان عندها من يترجم لها إذ كانت هي عارفة بذلك اللسان * وروى أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه وروى انه لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان ولما قرأت على الملأ الكتاب ورأت ما فيه من الانتقال الى سليمان استشارتهم في أمرها * قال قتادة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثنى عشر وعنه وثلاثة عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف وكانت بأرض مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام وذكر عن عسكرها ما هو أعظم وأكثر من هذا والله أعلم بذلك * وتقدم الكلام في الفتوى في سورة يوسف والمراد هنا أشيروا علي بما عندكم في ما حدث لها من الرأي السديد والتدبير وقصدت باشارتهم استطلاع آرائهم واستعطافهم وتطييب أنفسهم ليمالئوها ويقوموا * ما كنت قاطعة أمرا أي مبرمة وفاصلة أمرا حتى تشهدون أي تحضروا عندي فلا أستبد بأمر بل تكونون حاضرين معي وفي قراءة عبد الله ما كنت قاضية أمرا أي لا أبت الا وأنتم حاضرون معي * وما كنت قاطعة أمرا عام في كل أمر أي اذا كانت عادتي هذه معكم فكيف لا أستشيركم في هذه الحادثة الكبرى التي هي الخروج من الملك والانسلاك في طاعة غيري والصيرورة تبعا فراجعها الملأ بما أقر عينها من قولهم انهم أولو قوة أي قوة بالعدد والعدد وأولو بأس شديد أي أصحاب شجاعة ونجدة أظهروا القوة العرضية ثم القوة الذاتية أي نحن متهيئون للحرب ودفع هذا الحادث * ثم قالوا والأمر اليك فانظري ماذا تأمرين وذلك من حسن محاورتهم اذ وكلوا الامر اليها وهو دليل على الطاعة المفرطة أي نحن ذكرنا ما نحن عليه ومع ذلك فالأمر موكول اليك كأنهم أشاروا أولا عليها بالحرب أو أرادوا نحن أبناء الحرب لا أبناء الاستشارة وأنت ذات الرأي والتدبير الحسن * فانظري ماذا تأمرين به نرجع اليك ونتبع رأيك وفانظري من التأمل والتفكر وماذا هو المفعول الثاني لتأمرين والمفعول الاول محذوف لفهم المعنى أي تأمريننا والجملة معلق عنها انظري فهي في موضع مفعول لانظري بعد اسقاط الحرف من اسم الاستفهام ولما وصل اليها كتاب سليمان لا على يد رجل بل على طائر استعظمت ملك سليمان وعلمت ان من سخر له الطير حتى يرسله بأمر خاص الى شخص خاص مغلق عليه الأبواب غير ممتنع عليه تدويخ الارض وملوكها فأخبرت بحال الملوك ومالت الى المهاداة والصلح فقالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أي تغلبوا عليها أفسدوها أي خربوها بالهدم والحرق والقطع وأذلوا أعزة أهلها بالقتل والنهب والاسر وقولها فيه تزييف لآرائهم في الحرب وخوف عليهم وحياطة لهم واستعظام لملك سليمان * والظاهر ان وكذلك يفعلون هو من قولها أي عادة الملوك المستمرة تلك من الافساد والتذليل وكانت ناشئة في بيت الملك فرأت ذلك وسمعت ذكرت ذلك تأكيدا لما ذكرت من حال الملوك * وقيل هو من كلام الله اعلاما لرسوله صلى الله عليه وسلم وأمته وتصديقا لاخبارها عن الملوك اذا تغلبوا * ولما كانت عادة الملوك قبول الهدايا وان قبولها يدل على الرضا والالفة قالت واني مرسلة اليهم أي الى سليمان ومن معه رسلا بهدية وجاء لفظ الهدية مبهما وقد ذكروا في تعيينها أقوالا مضطربة متعارضة وذكروا من حيلها ومن حال سليمان حين وصلت اليه الهدية وكلامه مع رسلها ما الله أعلم به * وفناظرة معطوف على مرسلة

*وبهم متعلق بيرجع ووقع للحوفي ان الباء متعلقة بناظرة وهو وهم فاحش والنظر هنا معلق أيضا والجملة في موضع مفعول به وفيه دلالة على انها لم تثق بقبول الهدية بل جوزت الرد وأرادت بذلك أن ينكشف لها غرض سليمان والهدية اسم لما يهدى كالعطية هي اسم لما يعطى *وروى انها قالت لقومها ان كان ملكا دنياويا أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال وينبغي أن نتبعه على دينه وفي الكلام حذف تقديره فأرسلت الهدية فلما جاء أي الرسول سليمان والمراد بالرسول الجنس لا حقيقة المفرد وكذلك الضمير في ارجع والرسول يقع على الجمع والمفرد والمذكر والمؤنث *وقرأ عبد الله فلما جاؤوا وقرأ ارجعوا جعله عائدا على قوله المرسلون *وأتمدونني بمال استفهام انكار واستقلال وفي ذلك دلالة على عزوفه عن الدنيا وعدم تعلق قلبه عليه الصلاة والسلام بها *ثم ذكر نعمة الله عليه وان ما آتاه الله من النبوة وسعة الملك خير مما آتاكم بل أنتم بما يهدى اليكم تفرحون بحكم الدنيا والهدية تصح اضافتها الى المهدى والى المهدى اليه وهي هنا مضافة للمهدى اليه وهذا هو الظاهر ويجوز أن تكون مضافة الى المهدى أي بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك فانكم قدرتم على اهداء مثلها ويجوز أن تكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها *وقرأ جمهور السبعة أتمدونني بنونين وأثبت بعض الياء *وقرأ حمزة بادغام نون الرفع في نون الوقاية واثبات ياء المتكلم *وقرأ المسيبي عن نافع بنون واحدة خفيفة* وقال الزمخشري (فان قلت) ما الفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا أغنى منكم وبين أن يقوله بالفاء (قلت) اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عنه حالي وأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه الى امداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله (فان قلت) فما وجه الاضراب (قلت) لما أنكر عليهم الامداد وعلل انكاره أضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح الا أن يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها انتهى *ارجع اليهم هو خطاب للرسول الذي جاء بالهدية وهو المنذر بن عمرو أمير الوفد والمعنى ارجع اليهم بهديتهم وتقدمت قراءة عبد الله ارجعوا اليهم وارجعوا هنا لا تتعدى أي انقلبوا وانصرفوا اليهم *وقيل الخطاب بقوله ارجع للهدهد محملا كتابا آخر ثم أقسم سليمان فقال فلنأتينهم بجنود متوعدا لهم وفيه حذف أي ان لم يأتوني مسلمين ودل هذا التوعد على انهم كانوا كفارا باقين على الكفر اذ ذاك والضمير في بها عائد على الجنود وهو جمع تكسير فيجوز أن يعود الضمير عليه كما يعود على الواحدة كما قالت العرب الرجال واعضادها* وقرأ عبد الله بهم ومعنى لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا تقدرون أن تقابلوهم والضمير في منها عائد على سبأ وهي أرض بلقيس وقومها *وانتصب أذلة على الحال *وهم صاغرون حال أخرى والذل ذهاب ما كانوا فيه من العز والصغار وقوعهم في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد ان كانوا ملوكا وفي مجيء هاتين الحالتين دليل على جواز أن يقضي العامل حالين لذي حال واحد وهي مسألة خلاف ويمكن أن يقال ان الثانية هنا جاءت توكيدا لقوله أذلة فكأنهما حال واحدة ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك واني عليه لقوي أمين قال

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ الآية قال ابن عباس كان سليمان مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس فقال ذلك ﴿قال عفريت من الجن أنا آتيك به﴾ الآية وكان سليمان عليه السلام يجلس في مجلس الحكم من الصبح الى الظهر فقيل من مقامك أي من مجلس الحكم وقيل قبل أن تستوي من جلوسك قائما ﴿واني عليه﴾ أي على الاتيان به ﴿لقوي﴾ على حمله ﴿أمين﴾ لا أختلس منه شيئا ﴿قال

الذى عنده علم من الكتاب ﴾ قيل هو آصف بن برخيا وقيل غير ذلك والعلم الذى أوتيه اسم الله الأعظم والظاهر ان ارتداد الطرف حقيقة ولذلك روى ان سليمان قال أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت فروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهى طرفك فنظر نحو اليمين فدعا آصف فغار العرش من مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان عليه السلام بالشام بقدرة الله تعالى ﴿ فلما رآه مستقرا عنده ﴾ فى الكلام حذف تقديره فدعا الله فأتاه به فلما رآه أى عرش بلقيس وانتصب مستقرا على الحال وعنده معمول له والظرف اذا وقع فى موضع الحال كان العامل فيه واجب الحذف فقال ابن عطية وظهر العامل فى الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر أبدا فى كل ظرف جاء هاهنا مظهرا وليس فى كتاب الله مثله انتهى ﴿ قال هذا من فضل ربى ﴾ أى هذا الاتيان بعرشها وتحصيل ما أردت من ذلك هو فضل ربى على واحسانه ثم علل ذلك بقوله ﴿ ليبلونى أأشكر أم أكفر ﴾ وتلقى سليمان النعمة وفضل الله بالشكر اذ ذاك نعمة متجددة والشكر قيد النعم و ﴿ أأشكر أم أكفر ﴾ فى موضع نصب ليبلونى وهو معلق لانه فى معنى التمييز والتمييز فى معنى العلم وكثر التعليق فى هذا الفعل اجراء له مجرى العلم وان لم يكن مرادفا له لأن مدلوله الحقيقى هو الاختبار ﴿ ومن شكر فانما يشكر لنفسه ﴾ أى ذلك الشكر عائد ثوابه اليه اذا كان قد صان نفسه عن كفران النعمة وفعل ما هو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه ﴿ ومن كفر ﴾ أى فضل الله ونعمته عليه ﴿ فان ربى غنى ﴾ عن شكره اذ ثمرة شكره لا يعود نفعها الى الله لانه هو الغنى المطلق الكريم بالانعام على من كفر نعمته والظاهر أن قوله فان ربى غنى كريم هو جواب الشرط ولذلك أضمرنا فى قوله غنى أى عن شكره ويجوز ان يكون الجواب محذوفا دل عليه ما قبله من قسيمه أى ومن كفر فلنفسه أى ذلك الكفر عائد عقابه اليه ﴿ قال نكروا لها عرشها ﴾ أمر بالتنكير وهو ان يزاد فيه وينقص والتنكير جعله متنكرا متغيرا عن شكله وهيئته ﴿ فلما جاءت ﴾ فى الكلام حذف تقديره فنكروا عرشها ونظروا ما جوابها اذا سئلت عنه فلما جاءت ﴿ قيل أهكذا عرشك ﴾ أى

الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين وصدها ما كانت تعبد من دون الله انها كانت من قوم كافرين قيل لها ادخلى الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه صرح ممرد من قوارير قالت رب انى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ فى الكلام حذف تقديره فرجع المرسل اليها بالهدية وأخبرها بما أقسم عليه سليمان فتجهزت للمسير اليه اذ علمت

(٧٥)

أمثل هذا العرش الذى رأيتيه عرشك الذى تركتيه ببلادك ولم يأت التركيب أهذا عرشك بل جاء باداة التشبيه لئلا يكون ذلك تلقينا لها ولما رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميز فيه أشياء من عرشها لم تجزم بانه هو ولا نفته النفى البالغ بل أبرزت ذلك فى صورة تشبيهية فقالت ﴿ كأنه هو ﴾ وذلك من جودة ذهنها حيث لم تجزم فى الصورة المختلفة باحد الجائزين من كونه اياه أو من كونه ليس اياه وقابلت تشبيههم بتشبيهها والظاهر ان قوله ﴿ وأوتينا العلم ﴾ الى قوله من قوم كافرين ليس من كلام بلقيس وان كان متصلا بكلامها فقيل هو من كلام سليمان عليه السلام والصرح كل بناء عال ومنه ابن لى صرحا الآية ولما وصلت بلقيس أمر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح من الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئ ماء وبث فيه السمك والضفادع وطبق بالزجاج الأبيض الشفاف ولهذا جاء صرحا وجعل لسليمان فى وسطه كرسى لجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس فلما وصلت بلقيس قيل لها أدخلى الى نبى الله سليمان فرأت اللجة وفزعت ولم يكن لها بد من امتثال الأمر فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان ساقيها سالمتين مما قالت الجن فيها فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير فعند ذلك استسلمت بلقيس وأذعنت وأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم وفى الكلام حذف تقديره فدخلت امتثالا للامر واللجة الماء الكثير وكشف ساقيها عادة كل من كان لابسا وأراد أن يخوض الماء الى مقصد له ولم يكن المقصود من الصرح الا تهويل الأمر وحصل كشف الساق على سبيل التبع قال ابن عطية ومع ظرف بنى على الفتح وأما اذا سكنت العين فلا خلاف انه حرف جاء لمعنى انتهى الصحيح انها ظرف فتحت العين أو سكنت وليس التسكين مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية فيها مجاز وانما هو اسم يدل على معنى الصحبة

أنه نبي ولا طاقة لها بقتال نبي فروى انها أمرت عند خروجها الى سليمان فجعل عرشها فى آخر سبعة أبيات بعضها فى جوف بعض فى آخر قصر من قصورها وغلقت الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه وتوجهت الى سليمان فى اقيالها وأتباعهم * قال عبد الله بن شداد فلما كانت على فرسخ من سليمان قال أيكم يأتيني بعرشها * وقال ابن عباس كان سليمان مهيبا لا يبتدأ بشيء حتى يكون هو الذى يسأل عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ماهذا فقالوا بلقيس فقال ذلك * واختلفوا فى قصد سليمان استدعاء عرشها * فقال قتادة وابن جريج لما وصف له عظم عرشها وجودته أراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الاسلام ويمنع أخذ أموالهم والاسلام على هذا الدين وهذا فيه بعد أن يقع ذلك من نبي أوتي ملكا لم يؤته غيره * وقال ابن عباس وابن زيد استدعاه ليريها القدرة التى هى من عند الله وليغرب عليها سليمان والاسلام على هذا الاسلام وأشار الزمخشري لقول فقال ولعله أوحى اليه عليه السلام باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وعلى مايشهد لنبوة سليمان ويصدقها انتهى * وقال الطبري أراد أن يختبر صدق الهدهد فى قوله ولها عرش عظيم وهذا فيه بعد لانه قد ظهر صدقه فى حمل الكتاب وما ترتب على حمله من مشورة بلقيس قومها وبعثها بالهدية * وقيل أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها والظاهر ترتيب هذه الأخبار على حسب ما وقعت فى الوجود وهو قول الجمهور * وعن ابن عباس انه قال أيكم يأتيني بعرشها حين ابتدأ النظر فى صدق الهدهد من كذبه لما قال ولها عرش عظيم ففى ترتيب القصص تقديم وتأخير وفى قوله أيكم يأتيني بعرشها دليل على جواز الاستعانة ببعض الاتباع فى مقاصد الملوك ودليل على انه قد يخص بعض أتباع الأنبياء بشيء لا يكون لغيرهم ودليل على مبادرة من طلبه منه الملوك قضاء حاجة وبداءة الشياطين فى التسخير على الانس وقدرتهم باقدار الله على ما يبعد فعله من الانس * وقرأ الجمهور عفريت وأبو حيوة بفتح العين * وقرأ أبو رجاء وأبو السمال وعيسى ورويت عن أبى بكر الصديق عفرية بكسر العين وسكون الفاء وكسر الراء بعدها ياء مفتوحة بعدها تاء التأنيث * وقال ذو الرمة

كأنه كوكب فى اثر عفرية * مصوّب فى سواد الليل مقتضب

* وقرأت فرقة عفر بلا ياء ولا تاء ويقال فى لغة طيء وتميم عفراة بالألف وتاء التأنيث وفيه لغة سادسة عفارية ويوصف بها الرجل ولما كان قد يوصف به الانس خص بقوله من الجن * وعن ابن عباس اسمه صخر * وقيل كورى * وقيل ذكران * وآتيك يحتمل أن يكون مضارعا واسم فاعل * وقال قتادة ومجاهد ووهب من مقامك أى من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح الى الظهر فى كل يوم * وقيل قبل أن تستوى من جلوسك قائما * وانى عليه أى على الاتيان به لقوى على حمله أمين لا أختلس منه شيأ * قال الحسن كان كافرا لكنه كان مسخرا والعفريت لا يكون الا كافرا * قال الذى عنده علم من الكتاب * قيل هو من الملائكة وهو جبريل قاله النخعي والكتاب اللوح المحفوظ أو كتاب سليمان الى بلقيس * وقيل ملك أيد الله به سليمان * وقيل هو رجل من الانس واسمه آصف ابن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما قاله الجمهور أو اسطوم أو هود أو مليخا قاله قتادة أو اسطورس أو الخضر عليه السلام قاله ابن لهيعة وقالت جماعة هو ضبة بن اد جد بنى ضبة من العرب وكان فاضلا يخدم سليمان كان على قطعة من خيله وهذه أقوال مضطربة وقد أبهم الله اسمه فكان ينبغى أن لا يذكر اسمه حتى يخبر به نبي * ومن أغرب الأقوال انه سليمان عليه السلام كأنه يقول

لنفسه أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك أو يكون خاطب بذلك العفريت حكى هذا القول الزمخشري وغيره كأنه استبطأ ما قال العفريت فقال له سليمان ذلك على تحقير العفريت والكتاب هو المنزل من عند الله أو اللوح المحفوظ قولان * والعلم الذي أوتيه * قيل اسم الله الأعظم وهو ياحي ياقيوم * وقيل ياذا الجلال والاكرام * وقيل بالعبرانية أهيا شراهيا * وقال الحسن الله ثم الرحمن والظاهر أن ارتداد الطرف حقيقة وانه أقصر في المدة من مدة العفريت ولذلك روى أن سليمان قال أريد أسرع من ذلك حين أجابه العفريت ولما كان الناظر موصوفا بارسال البصر كما قال الشاعر

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما أتعبتك المناظر

وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد فالمعنى انك ترسل طرفك فقبل أن ترده أتيتك به وصار بين يديك فروى ان آصف قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد طرفه فنظر نحو اليمين فدعا آصف فغاب العرش في مكانه بمأرب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله قبل أن يرد طرفه * وقال ابن جبير وقتادة قبل أن يصل اليك من يقع طرفك عليه في أبعد ماترى * وقال مجاهد قبل أن تحتاج الى التغميض أي مدة ما يمكنك أن تمد بصرك دون تغميض وذلك ارتداده * قال ابن عطية وهذان القولان يقابلان قول من قال ان القيام هو من مجلس الحكم ومن قال ان القيام هو من الجلوس فيقول في ارتداد الطرف هو أن تطرف أي قبل أن تغمض عينيك وتفتحهما وذلك ان الثاني يعطى الأقصر في المدة ولابد انتهى * وقيل طرفك مطروفك أي قبل أن يرجع اليك من تنظر اليه من منتهى بصرك وهذا هو قول ابن جبير وقتادة المتقدم لان من يقع طرفك عليه هو مطروفك * وقال الماوردي قبل أن ينقبض اليك طرفك بالموت أخبره انه سيأتيه قبل موته وهذا تأويل بعيد بل المعنى آتيك به سريعا * وقيل ارتداد الطرف مجاز هنا وهو من باب مجاز التمثيل والمراد استقصار مدة الاتيان به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف وفي طرفة عين تريد به السرعة أي آتيك به في مدة أسرع من مدة العفريت فلما رآه مستقرا عنده في الكلام حذف تقديره فدعا الله فأتاه به فلما رآه أي عرش بلقيس * قيل نزل على سليمان من الهواء * وقيل نبع من الأرض * وقيل من تحت عرش سليمان وانتصب مستقرا على الحال وعنده معمول له والظرف اذا وقع في موضع الحال كان العامل فيه واجب الحذف * فقال ابن عطية وظهر العامل في الظرف من قوله مستقرا وهذا هو المقدر أبدا في كل ظرف وقع في موضع الحال * وقال أبو البقاء ومستقرا أي ثابتا غير متقلقل وليس بمعنى الحضور المطلق اذ لو كان كذلك لم يذكر انتهى فأخذ في مستقر أمرا زائدا على الاستقرار المطلق وهو كونه غير متقلقل حتى يكون مدلوله غير مدلول العند به وهو توجيه حسن لذكر العامل في الظرف الواقع حالا وقد ذكر العامل في ما وقع خبرا من الجار والمجرور التام في قول الشاعر

لك العز ان مولاك عز وان يهن * فأنت لدى بحبوحة الهون كائن

* قال هذا من فضل ربي أي هذا الاتيان بعرشها وتحصيل ما أردت من ذلك هو من فضل ربي علي واحسانه ثم علل ذلك بقوله ليبلوني أأشكر أم أكفر * قال ابن عباس المعنى أأشكر على السرير وسوقه أم أكفر اذ رأيت من هو دوني في الدنيا أعلم مني انتهى وتلقى سليمان النعمة وفضل الله بالشكر اذ ذاك نعمه متجددة والشكر قيد للنعم وأأشكر أم أكفر في موضع نصب ليبلوني وهو

معلق لانه في معنى التمييز والتمييز في معنى العلم وكثير التعليق في هذا الفعل اجراء له مجرى العلم وان لم يكن مرادفا له لان مدلوله الحقيقي هو الاختبار * ومن شكر فانما يشكر لنفسه أي ذلك الشكر عائد ثوابه اليه اذ كان قد صان نفسه عن كفران النعمة وفعل ماهو واجب عليه من شكر نعمة الله عليه * ومن كفر أي فضل الله ونعمته عليه فان ربي غني عن شكره لا يعود منفعتها الى الله لانه هو الغني المطلق الكريم بالانعام على من كفر نعمته والظاهر ان قوله فان ربي غني كريم هو جواب الشرط ولذلك أضمر فاء في قوله غني أي عن شكره ويجوز أن يكون الجواب محذوفا دل عليه ماقبله من قسيمه أي ومن كفر فلنفسه أي ذلك الكفر عائد عقابه اليه ويجوز أن تكون ما موصولة ودخلت الفاء في الخبر لتضمنها معنى الشرط * قال نكروا لها عرشها * روى أن الجن أحست من سليمان أو ظنت به انه ربما تزوج بلقيس فكرهوا ذلك ورموها عنده بأنها غير عاقلة ولا مميزة وان رجلها كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتنكير العرش ورجلها بالصرح لتكشف عن ساقيها عنده وتنكير عرشها * قال ابن عباس ومجاهد والضحاك بأن زيد فيه ونقص منه * وقيل بنزع ما عليه من الفصوص والجواهر * وقيل بجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره والتنكير جعله متنكرا متغيرا عن شكله وهيئته كما يتنكر الرجل للناس حتى لا يعرفوه * وقرأ الجمهور ننظر بالجزم على جواب الأمر * وقرأ أبو حيوة بالرفع على الاستئناف أمر بالتنكير ثم استأنف الاخبار عن نفسه بأنه ينظر ومتعلق أتهتدي محذوف * والظاهر انه أتهتدي لمعرفة عرشها ولا يجعل تنكيره قادحا في معرفتها له فيظهر بذلك فرط عقلها وانها لم يخف عليه حال عرشها وان كانوا اقدراموا الاخفاء أو أتهتدي للجواب المصيب اذا سئلت عنه أو أتهتدي للايمان بنبوة سليمان عليه السلام اذا رأت هذا المعجز من نقل عرشها من المكان الذي تركته فيه وغلقت الأبواب عليه وجعلت له حراسا * فلما جاءت في الكلام حذف أي فنكروا عرشها ونظروا ماجوابها اذا سئلت عنه فلما جاءت قيل أهكذا عرشك أي مثل هذا العرش الذي أنت رأيتيه عرشك الذي تركتيه ببلادك ولم يأت التركيب أهذا عرشك جاء باداة التشبيه لئلا يكون ذلك تلقينا لها ولما رأته على هيئة لا تعرفها فيه وتميزت فيه أشياء من عرشها لم تجزم بأنه هو ولا نفته النفي البالغ بل أبرزت ذلك في صورة تشبيهية فقالت كأنه هو وذلك من جودة ذهنها حيث لم تجزم في الصورة المحتملة بأحد الجائزين من كونه إياه أو من كونه ليس إياه وقابلت تشبيههم بتشبيهها والظاهر ان قوله وأوتينا العلم الى قوله من قوم كافرين ليس من كلام بلقيس وان كان متصلا بكلامها * فقيل من كلام سليمان * وقيل من كلام قوم سليمان وأتباعه فان كان من قول سليمان فقيل العلم هنا مخصوص أي وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة * من قبلها أي من قبل مجيئها * وكنا مسلمين موحدين خاضعين * وقال ابن عطية وفي الكلام حذف تقديره كأنه هو وقال سليمان عند ذلك وأوتينا العلم من قبلها الآية قال ذلك على جهة تعديد نعم الله تعالى وانما قال ذلك بما علمت هي وفهمت ذكر هو نعمة الله عليه وعلى آبائه انتهى ملخصا * وقال الزمخشري وأوتينا العلم من كلام سليمان وملائه (فان قلت) علام عطف هذا الكلام وبم اتصل (قلت) لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها وأجابت بما أجابت به مقاما أجرى فيه سليمان وملأه ما يناسب قولهم وأوتينا العلم نحو أن يقولوا عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها فطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم

وأوتينا نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل نحن على دين الاسلام شكروا الله على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوءها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة يعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل * وقيل وصدها الله أو سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار واتصال الفعل انتهى أما قوله ويجوز أن يكون من كلام بلقيس فهو قول قد تقدم اليه على سبيل التعيين لا الجواز * قيل والمعنى وأوتينا العلم بصحة نبوته بالآيات المتقدمة من أمر الهدهد والرسل من قبل هذه المعجزة يعني احضار العرش * وكنا مسلمين مطيعين لأمرك منقادين لك والظاهر ان الفاعل بصدها هو قوله ما كانت تعبد وكونه الله أو سليمان وما مفعول صدها على اسقاط حرف الجر قاله الطبري وهو ضعيف لا يجوز الا في ضرورة الشعر نحو قوله

* تمرون الديار ولم تعوجوا * أي عن الديار وليس من مواضع حذف حرف الجر واذا كان الفاعل هو ما كانت بالمصدود عنه * الظاهر انه الاسلام * وقال الرماني التقدير التفطن للعرش لان المؤمن يقظ والكافر خبيث * والظاهر ان قوله وصدها معطوف على قوله وأوتينا اذا كان من كلام سليمان وان كان يحتمل ابتداء اخبار من الله تعالى لمحمد نبيه ولأمته وان كان وأوتينا من كلام بلقيس فالظاهر انه يتعين كونه من قول الله تعالى وقول من قال انه متصل بقوله أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون والواو في وصدها للحال وقد مضمرة مرغوب عنه لطول الفصل بينهما ولأن التقديم والتأخير لا يذهب اليه الا عند الضرورة * وقرأ الجمهور انها بكسر الهمزة وسعيد ابن جبير وابن أبي عبلة بفتحها فاما على تقدير حرف الجر أي لأنها واما على أن يكون بدلا من الفاعل الذي هو ما كانت تعبد * قال محمد بن كعب القرظي وغيره لما وصلت بلقيس أمر سليمان الجن فصنعت له صرحا وهو السطح في الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج وملئ ماء وبث فيه السمك والضفادع وجعل لسليمان في وسطه كرسي فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلي الى النبي عليه السلام فرأت اللجة وفزعت ولم يكن لها بد من امتثال الامر فكشفت عن ساقيها فرأى سليمان ساقيها سليمتين مما قالت الجن فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح ممرد من قوارير وعند ذلك استسلمت بلقيس وأذعنت وأسلمت وأقرت على نفسها بالظلم وفي هذه الحكاية زيادة وهو انه وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس * قال الزمخشري وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما للأمر وتحققا لنبوته وثباتا على الدين انتهى والصرح كل بناء عال ومنه ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب وهو من التصريح وهو الاعلان البالغ * وقال مجاهد الصرح هنا البركة * وقال ابن عيسى الصحن وصرحة الدار ساحتها * وقيل الصرح هنا القصر من الزجاج وفي الكلام حذف أي فدخلته امتثالا للأمر واللجة الماء الكثير وكشف ساقيها عادة من كان لابسا وأراد أن يخوض الماء الى مقصده ولم يكن المقصود من الصرح الا تهويل الامر وحصل كشف الساق على سبيل التبع الا أن يصح ما روي عن الجن ان ساقها ساق دابة بحافر فممكن أن يكون استعلام ذلك مقصودا * وقرأ ابن كثير قيل في رواية الاخريط وهب بن واضح عن سأقيها بالهمز قال أبو علي وهي ضعيفة وكذلك في قراءة قنبل يكشف عن سأق وأما همز السؤق وعلى سؤقه فلغة

مشهورة في همز الواو التي قبلها ضمة *حكى أبو علي ان أباحية النميري كان يهمز كل واو قبلها ضمة * وأنشد * أحب المؤقدين الى موسى * والظاهر ان الفاعل بقال هو سليمان و يحتمل أن يكون الفاعل هو الذي أمرها بدخول الصرح *وظلمها نفسها * قيل بالكفر *وقيل بحسبانها ان سليمان أراد أن يعرفها * وقال ابن عطية ومع ظرف بني على الفتح وأما اذا أسكنت العين فلا خلاف انه حرف جاء لمعنى انتهى والصحيح انها ظرف فتحت العين أوسكنت وليس التسكين مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية فيها مجاز وانما هو اسم يدل على معنى الصحبة * ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك و بمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الارض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لايعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه و يكشف السوء و يجعلكم خلفاء الارض أإله مع الله قليلا ماتذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لايعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ومايشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولاتحزن عليهم ولاتكن في ضيق مما يمكرون و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون وان ربك ليعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون ومامن غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لاتسمع الموتى ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون و يوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤوا قالوا أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم

(الدر)

(ع) ومع ظرف بني على الفتح وأما اذا أسكنت العين فلا خلاف أنه حرف جاء لمعنى (ح) الصحيح أنها ظرف فتحت العين أو سكنت وليس التسكين مخصوصا بالشعر كما زعم بعضهم بل ذلك لغة لبعض العرب والظرفية فيها مجاز وانما هو اسم يدل على معنى الصحبة

﴿ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا﴾ الآية ثمود هي بعد عاد الأولى وصالح أخوهم في النسب لما ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بني اسرائيل ذكر قصة من هو من العرب يذكر بها قريشا والعرب وينبههم على ان من تقدم من الأنبياء من العرب كان يدعو الى افراد الله تعالى بالعبادة ليعلموا انهم في عبادة الأصنام على ضلاله وان شأن الأنبياء عربهم وعجمهم هو الدعاء الى عبادة الله تعالى وان في أن اعبدوا الله يجوز أن تكون مفسرة لأن أرسلنا يتضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية أي بأن اعبدوا الخذف حرف الجر فعلى الأول لا موضع لها من الاعراب وعلى الثاني ففي موضعها خلاف أهو في موضع نصب أم في موضع جر والظاهر ان الضمير في فاذاهم عائد على ثمود وان قومه انقسموا فريقين مؤمنا وكافرا وقد جاء ذلك مفسرا في سورة الأعراف في قوله قال الذين استكبروا الذين استضعفوا لمن آمن منهم واذا هنا هي الفجائية وعطف بالفاء التي تقتضي التعقب لا المهلة فكان المعنى أنهم بادروا بالاختصام متعقبا دعاء صالح اياهم الى عبادة الله تعالى وجاء يختصمون على المعنى لان الفريقين جمع فان كان الفريقان من آمن ومن كفر فالجمعية حاصلة في كل فريق ويدل على أن فريق المؤمن جمع قوله انا بالذي آمنتم به كافرون فقال آمنتم وهو ضمير الجمع وان كان الفريق المؤمن هو صالحا وحده فانه قد انضم الى قومه والمجموع جمع وأوثر يختصمون على يختصمان وان كان من حيث التثنية جائزا فصيحا لانه مقطع فصل واختصامهم دعوى كل فريق ان الحق معهم وقد ذكر الله تعالى تخاصمهم في الأعراف ثم تلطف صالح بقومه ورفق بهم في الخطاب فقال مناديا لهم على جهة التحنن عليهم ﴿لم تستعجلون بالسيئة﴾ أي بوقوع ما يسوؤكم ﴿قبل﴾ الحالة ﴿الحسنة﴾ وهي رحمة الله تعالى وكان قد قال لهم في حديث الناقة ولا تمسوها بسوء فيأخذكم

يعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وكل أتوه داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ * الحديقة البستان كان عليه جدار أو لم يكن * الحاجز الفاصل بين الشيئين * الفوج الجماعة * الجمود سكون الشيء وعدم حركته * الاتقان الاتيان بالشيء على أحسن حالاته من الكمال والاحكام في الخلق وهو مشتق من قول العرب تقنوا أرضهم اذا أرسلوا فيها الماء الخاثر بالتراب فتجود والتقن ما رمي به الماء في الغدير وهو الذي يجيء به الماء من الخثورة * كبت الرجل ألقيته لوجهه ﴿ ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون

عذاب أليم فقالوا له ائتنا بعذاب الله ﴿قالوا اطيرنا بك وبمن معك﴾ أي تشاءمنا بك وبالذين آمنوا معك فرد عليهم بقوله ﴿قال طائركم عند الله﴾ أي حظكم في الحقيقة من خير أو شر هو من عند الله وبقضائه ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم * ثم انتقل الى الاخبار عنهم بحالهم فقال ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ بشهواتكم أي تسعفون بها وجاء تفتنون بتاء الخطاب على مراعاة أنتم وهو الكثير في لسان العرب ويجوز يفتنون بالياء للغيبة على مراعاة لفظ قوم وهو قليل تقول العرب أنت رجل تأمر بالمعروف بتاء الخطاب وبياء الغيبة * والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم وهي الحجر وذكر المفسرون أسماء التسعة وفي بعضها اختلاف ورأسهم قدار بن سالف وأسماء لا تنضبط بشكل ولا يتعين وكانوا عظماء القرية وأغنياءها وفساقها * والرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واتفق المفسرون على أن المعنى تسعة رجال ﴿ قالوا تقاسموا بالله ﴾ معناه تحالفوا وقرئ لتبيتنه ثم لتقولن وضم ما قبل نون التوكيد وقرئ بالنون فيهما وفتح ما قبل نون التوكيد والظاهر أن في الكلام حذف معطوف يدل عليه ما قبله والتقدير ما شهدنا مهلك أهله ومهلكه ودل عليه قولهم لنبيتنه وما روي أنهم عزموا على قتله وقتل أهله ويكون قوله ﴿وانا لصادقون﴾ كذبا في الاخبار أوهموا

ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾
ثمود هى عاد الأولى وصالح أخوهم فى النسب لما ذكر قصة موسى وداود وسليمان وهم من بنى اسرائيل ذكر قصة من هو من العرب يذكر بها قريشا والعرب وينبههم ان من تقدم من الأنبياء من العرب كان يدعو الى افراد الله تعالى بالعبادة ليعلموا انهم فى عبادة الاصنام على ضلالة وان شأن الانبياء عربهم وعجمهم هو الدعاء الى عبادة الله * وان فى أن اعبدوا يجوز أن تكون مفسرة لان أرسلنا تتضمن معنى القول ويجوز أن تكون مصدرية أى بأن اعبدوا فحذف حرف الجر فعلى الاول لا موضع لها من الاعراب وعلى الثانى ففى موضعها خلاف أهو فى موضع نصب أم فى موضع جر والظاهر أن الضمير فى فاذاهم عائد على ثمود وان قومه انقسموا فريقين مؤمنا وكافرا وقد جاء ذلك مفسرا فى سورة الأعراف فى قوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وقال الزمخشرى أريد بالفريقين صالح وقومه قبل أن يؤمن منهم أحد انتهى فجعل الفريق الواحد هو صالح والفريق الآخر قومه واذا هنا هى الفجائية وعطف بالفاء التى تقتضى التعقيب لا المهلة فكان المعنى انهم بادروا بالاختصام متعقبا دعاء صالح إياهم الى عبادة الله وجاء يختصمون على المعنى لأن الفريقين جمع فان كان الفريقان من آمن ومن كفر فالجمعية حاصلة فى كل فريق ويدل على ان فريق المؤمن جمع قوله انا بالذى آمنتم به كافرون فقال آمنتم وهو ضمير الجمع وان كان الفريق المؤمن هو صالح وحده فانه قد انضم الى قومه والمجموع جمع وأوثر يختصمون على يختصمان وان كان من حيث التثنية جائزا فصيحا لانه مقطع فصل واختصامهم دعوى كل فريق ان الحق معه وقد ذكر الله تخاصمهم فى سورة الاعراف ثم تلطف صالح بقومه ورفق بهم فى الخطاب فقال مناديا لهم على جهة التحنن عليهم لم تستعجلون بالسيئة أى بوقوع ما يسوؤكم قبل الحالة الحسنة وهى رحمة الله وكان قد قال لهم فى حديث الناقة ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم فقالوا له ائتنا بعذاب الله * وقيل لم تستعجلون بوقوع المعاصى منكم قبل الطاعة * قال الزمخشرى (فان قلت) مامعنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احداهما قبل الاخرى (قلت) كانوا يقولون بجهلهم ان العقوبة التى يعدنا صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة فى ذلك الوقت وان لم تقع فنحن على مانحن عليه فخاطبهم صالح عليه السلام على حسب قولهم واعتقادهم انتهى ثم حضهم على مافيه درء السيئة عنهم وهو الايمان واستغفار الله مما سبق من الكفر وناط ذلك برجى الرحمة ولم يجزم بانه يترتب على استغفارهم وكان فى التحضيض تنبيه على الخطأ منهم فى استعجال العقوبة وتجهيل لهم فى اعتقادهم ولما لاطفهم فى الخطاب أغلظوا له وقالوا اطيرنا بك وبمن معك أى تشاءمنا بك وبالذين آمنوا معك ودل هذا العطف على أن الفريقين كانوا مؤمنين وكافرين لقوله وبمن معك وكانوا قد قحطوا وتقدم الكلام فى معنى التطير فى سورة الأعراف جعلوا سبب قحطهم هو ذات صالح ومن آمن معه فرد عليهم بقوله طائركم عند الله أى حظكم فى الحقيقة من خير أو شر هو عند الله وبقضائه ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم * وقال الزمخشرى ويجوز أن يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم مانزل عقوبة لكم وفتنة ومنه طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه * وقرئ تطيرنا بك على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير

قومهم انهم اذا قتلوه وأهله سرا ولم يشعر بهم أحد وقالوا تلك المقالة انهم صادقون وهم كاذبون ومكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون * والظاهر أن كيف خبر كان وعاقبة الاسم والجملة فى موضع نصب بانظر وهى معلقة وقرئ إنا بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ بفتحها فانا بدل من عاقبة أو خبر لكان وكيف فى موضع الحال أو خبر مبتدأ محذوف أى هى أى العاقبة تدميرهم أو يكون التقدير لانا وحذف حرف الجر وعلى كلا القولين يجوز أن تكون كان تامة وعاقبة فاعلا بها وأن تكون زائدة وعاقبة مبتدأ خبره كيف ولما أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك فى أنفسهم بين ذلك بالاشارة الى منازلهم وكيف خلت منهم وخراب البيوت خلوها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد كما تعاقب به الظلمة اذ يدل ذلك على استئصالهم

منه نفر عنه انتهى ثم انتقل الى الاخبار عنهم بحالهم فقال بل أنتم قوم تفتنون أى تختبرون أو تعذبون أو يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة أو تفتنون بشهواته أى تشغفون بها كما يقال فتن فلان بفلان * وقال الشاعر

داء قديم فى بنى آدم * فتنة انسان بانسان

وهذه أقوال يحتملها لفظ تفتنون وجاء تفتنون بتاء الخطاب على مراعاة أنتم وهو الكثير فى لسان العرب ويجوز يفتنون بياء الغيبة على مراعاة لفظ قوم وهو قليل تقول العرب أنت رجل تأمر بالمعروف بتاء الخطاب وبياء الغيبة * والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم وهى الحجر * وذكر المفسرون أسماء التسعة وفى بعضها اختلاف ورأسهم قدار بن سالف وأسماؤهم لاتنضبط بشكل ولا تتعين فلذلك ضربنا صفحا عن ذكرها وكانوا عظماء القرية وأغنياءها وفساقها والرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واتفق المفسرون على ان المعنى تسعة رجال * وقال الزمخشرى انما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه فى معنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس انتهى وتقدير غيره تسعة رجال هو الأولى لانه من حيث أضاف الى أنفس كان ينبغى أن يقول تسع أنفس على تأنيث النفس اذ الفصيح فيها التأنيث ألا تراهم عدوا من الشذوذ قول الشاعر * ثلاثة أنفس وثلاث ذود * فادخل التاء فى ثلاثة وكان الفصيح أن يقول ثلاث أنفس * وقال أبو عبد الله الرازى الأقرب أن يكون المراد تسعة جمع اذ الظاهر من الرهط الجماعة لا الواحد ثم يحتمل أنهم كانوا قبائل ويحتمل انهم دخلوا تحت العدد لاختلاف صفاتهم وأحوالهم لا لاختلاف أجناسهم انتهى * قيل والرهط اسم الجماعة وكأنهم كانوا رؤساء مع كل واحد منهم رهط * وقال الكرمانى وأصله من الترهيط وهو تعظيم اللقم وشدة الأكل انتهى ورهط اسم جمع واتفقوا على ان فصله بمن هو الفصيح كقوله تعالى فخذ أربعة من الطير * واختلفوا فى جواز اضافة العدد اليه فذهب الأخفش الى انه لا ينقاس وما ورد من الاضافة اليه فهو على سبيل الندور وقد صرح سيبويه بانه لا يقال ثلاث غنم وذهب قوم الى انه يجوز ذلك وينقاس وهو مع ذلك قليل وفصل قوم بين أن يكون اسم الجمع للقليل كرهط ونفر وذود فيجوز أن يضاف اليه أو للتكثير أو يستعمل لهما فلا يجوز اضافته اليه وهو قول المازنى وقد أطلنا الكلام فى هذه المسئلة فى شرح التسهيل * ويفسدون صفة لتسعة رهط والمعنى انهم يفسدون الفساد العظيم الذى لا يخالطه شئ من الاصلاح فلذلك قال ولا يصلحون لان بعض من يقع منه افساد قد يقع منه اصلاح فى بعض الأحيان * وقرأ الجمهور تقاسموا وابن أبى ليلى تقسموا بغير ألف وتشديد السين وكلاهما من القسم والتقاسم والتقسيم كالتظاهر والتظهير والظاهر ان قوله تقاسموا فعل أمر محكى بالقول وهو قول الجمهور أشار بعضهم على بعض بالحلف على تبييت صالح وأجاز الزمخشرى وابن عطية أن يكون تقاسموا فعلا ماضيا فى موضع الحال أى قالوا متقاسمين * قال الزمخشرى تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا على محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين انتهى اما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر هو أحد قسمى الكلام اذ هو منقسم الى الخبر والانشاء وجميع معانيه اذا حققت راجعة الى هذين القسمين وقال بعد ذلك * وقرئ لنبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان يعنى فيه أى فى تقاسموا بالله والوجهان هما الأمر والخبر عنده * قال ومع الياء لا يصح الا أن يكون خبرا انتهى والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التى هى الاسناد فاذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير انها لو لم تكن حالا لجاز ان

(الدر)

(ش) تقاسموا يحتمل أن يكون أمرا وخبرا على محل الحال باضمار قد أى قالوا متقاسمين (ح) أما قوله وخبرا فلا يصح لان الخبر هو أحد قسمى الكلام اذ هو منقسم الى الخبر والانشاء وجميع معانيه اذا حققت راجعة الى هذين القسمين وقال بعد ذلك وقرئ لنبيتنه بالياء والتاء والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الوجهان يعنى فيه أى فى تقاسموا والوجهان هنا الامر والخبر عنده وقال ومع التاء لا يصح الا ان يكون خبرا انتهى والتقييد بالحال ليس الا من باب نسبة التقييد لا من نسبة الكلام التى هى الاسناد فاذا أطلق عليها الخبر كان ذلك على تقدير أنها لو لم تكن حالا لجاز أن تستعمل خبرا وكذلك قولهم فى الجملة الواقعة قبله صلة انها خبرية هو مجاز والمعنى انها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبرا وهذا شئ فيه غموض ولا يحتاج الى اضمار قد فقد كثر وقوع الماضى حالا بغير قد كثرة ينبغى القياس عليها

(الدر) (ح) ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون الظاهر أن في الكلام حذف معطوف يدل عليه ماقبله والتقدير ماشهدنا مهلك أهله ومهلكه ودل عليه قولهم لنبيتنه وأهله ومارُوي أنهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله وحذف مثل هذا المعطوف جائز في الفصيح كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وقال الشاعر * فما كان بين الخير لو جاء سالما * أبو حجر الا ليال قلائل * أي بين الخير وبيني ويكون قولهم وانا لصادقون كذبا في الاخبار أو هو أوقموا مهم انهم اذا قتلوه وأهله سرا ولم يشعر بهم أحد وقالوا تلك المقالة انهم صادقون وهم كاذبون (ش) فان قلت كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه قلت كأنهم اعتقدوا اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ماشهدنا مهلك (٨٤) أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين فانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يروا لانفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق في أنفسهم حيلة يتفصون بها عن الكذب (ح) العجب من هذا الرجل كيف يتحيل هذه الحيل في جعل اخبارهم وانا لصادقون اخبارا بالصدق وهو يعلم انهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من أعظم الآيات وأقدموا على قتل نبي وأهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم على أنبيائهم ونص الله ذلك وكذبهم على من لا يخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه في قوله ان الكذب قبيح عند الكفرة ويتحيل لهم هذا التحيل حتى يجعلهم صادقين في اخبارهم وهذا الرجل وان كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة وكنت قريبا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيأ من محاسنه ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ورأيت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح فقلت بعد ذكر ما قد مدحته به

ولكنه فيه مجال لناقد * وزلات سوء قد أخذن المخانقا

تستعمل خبرا وكذلك قولهم في الجملة الواقعة قبله صلة انها خبرية هو مجاز والمعنى انها لو لم تكن صلة لجاز أن تستعمل خبرا وهذا شيء فيه غموض ولا يحتاج الى الاضمار فقد كثر وقوع الماضي حالا بغير قد كثرة ينبغي القياس عليها وعلى هذا الاعراب احتمل أن يكون بالله متعلقا بتقاسموا والذي هو حال فهو من صلته ليس داخلا تحت القول والمقول لنبيتنه وما بعده احتمل أن يكون هو وما بعده هو المقول وقرأ الجمهور لنبيتنه وأهله ثم لنقولن بالنون فيهما والحسن وحمزة والكسائي بتاء خطاب الجمع ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش بياء الغيبة والفعلان مسندان للجمع وحميد بن قيس بياء الغيبة في الاول مسندا للجمع أي ليبيتنه أي قوم منا وبالنون في الثاني أي جميعا يقول لوليه والبيات مباغتة العدو وعن الاسكندر انه أشير عليه بالبيات فقال ليس من عادة الملوك استراق الظفر ووليه طالب ثاره اذا قتل * وقرأ الجمهور مهلك بضم الميم وفتح اللام من أهلك * وقرأ حفص مهلك بفتح الميم وكسر اللام وأبو بكر بفتحهما * فاما القراءة الاولى فتحتمل المصدر والزمان والمكان أي ماشهدنا اهلاك أهله أو زمان اهلاكهم أو مكان اهلاكهم ويلزم من هذين انهم اذا لم يشهدوا الزمان ولا المكان ان لا يشهدوا الاهلاك * وأما القراءة الثانية فالقياس يقتضي أن يكون للزمان والمكان أي ماشهدنا زمان هلاكهم ولا مكانه * والثالثة تقتضي القياس أن يكون مصدرا أي ماشهدنا هلاكه * وقال الزمخشري وقد ذكر القراآت الثلاث قال ويحتمل المصدر والزمان والمكان انتهى والظاهر في الكلام حذف معطوف يدل عليه ماقبله والتقدير ماشهدنا مهلك أهله ومهلكه ودل عليه قولهم لنبيتنه وأهله ومارُوي انهم كانوا عزموا على قتله وقتل أهله وحذف مثل هذا المعطوف جائز في الفصيح كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وقال الشاعر

فما كان بين الخير لو جاء سالما * أبو حجر الا ليال قلائل

أي بين الخير وبيني ويكون قولهم وانا لصادقون كذبا في الاخبار أو هو أوقموا مهم انهم اذا قتلوه وأهله سرا ولم يشعر بهم أحد وقالوا تلك المقالة انهم صادقون وهم كاذبون * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه (قلت) كأنهم اعتقدوا اذا بيتوا صالحا وبيتوا أهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ماشهدنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين فانهم فعلوا البياتين جميعا لا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب

قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم ألا ترى أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يروا لأنفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سوّوا للصدق في أنفسهم حيلة يتفصون بها عن الكذب انتهى والعجب من هذا الرجل كيف يتمحل هذه الحيل في جعل اخبارهم وانا لصادقون اخبارا بالصدق وهو يعلم أنهم كذبوا صالحا وعقروا الناقة التي كانت من أعظم الآيات وأقدموا على قتل نبي وأهله ولا يجوز عليهم الكذب وهو يتلو في كتاب الله كذبهم على أنبيائهم ونص الله ذلك وكذبهم على من لا تخفى عليه خافية يوم تبلى السرائر وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقول الله تعالى أنظر كيف كذبوا على أنفسهم وانما هذا منه تحريف لكلام الله تعالى حتى ينصر مذهبه في قوله ان الكذب قبيح عند الكفرة ويتحيل لهم هذا التحيل حتى يجعلهم صادقين في اخبارهم وهذا الرجل وان كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ ففي كتابه في التفسير أشياء منتقدة وكنت قريبا من تسطير هذه الأحرف قد نظمت قصيدا في شغل الانسان نفسه بكتاب الله واستطردت الى مدح كتاب الزمخشري فذكرت شيأ من محاسنه ثم نبهت على ما فيه مما يجب تجنبه ورأيت اثبات ذلك هنا لينتفع بذلك من يقف على كتابي هذا ويتنبه على ما تضمنه من القبائح (فقلت) بعد ذكر ما مدحته به

ولكنه فيه مجال لناقد * وزلات سوء قد أخذن المخانقا
فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا * ويعزو الى المعصوم ماليس لائقا
ويشتم أعلام الائمة ضلة * ولا سيما ان أولجوه المضايقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة * بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ما ليس قائلا * وكان محبا في الخطابة وامقا
ويخطىء في تركيبه لكلامه * فليس لما قد ركبوه موافقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه * ليوهم أغمارا وان كان سارقا
ويخطىء في فهم القران لأنه * يجوز اعرابا أبى أن يطابقا
وكم بين من يؤتى البيان سليقة * وآخر عاناه فما هو لاحقا
ويحتال للالفاظ حتى يديرها * لمذهب سوء فيه أصبح مارقا
فيا خسره شيخا تخرق صيته * مغارب تخريق الصبا ومشارقا
لئن لم تداركه من الله رحمة * لسوف يرى للكافرين مرافقا

ومكرهم ما أخفوه من تدبير الفتك بصالح وأهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة ومكرهم أنهم انهم مسافرون واختفاؤهم في غار * قيل أوشعب أوعزمهم على قتله وقتل أهله وحلفهم انهم ما حضروا ذلك ومكر الله بهم اطباق صخرة على فم الغار والشعب واهلاكهم فيه أورمي الملائكة إياهم بالحجارة يرونها ولا يرون الرامي حين شهروا أسيافهم بالليل ليقتلوه قولان * وقيل ان الله أخبر صالحا بمكرهم فخرج عنه فذلك مكر الله في حقهم وروى أن صالحا بعد عقر الناقة أخبرهم بمجيء العذاب بعد ثلاثة أيام فاتفق هؤلاء التسعة على قتل صالح وأهله ليلا وقالوا ان كان كاذبا في وعيده كنا قد أوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا واختفوا في غار وأهلكهم الله كما تقدم ذكره وأهلك قومهم ولم يشعر كل فريق بهلاك الآخر والظاهر أن كيف خبر كان وعاقبة الاسم والجملة في موضع نصب بانظر وهي معلقة * وقرأ

فيثبت موضوع الاحاديث جاهلا
ويعزو الى المعصوم ماليس لائقا
ويشتم أعلام الأئمة ضلة
ولاسيما ان أولجوه المضايقا
ويسهب في المعنى الوجيز دلالة
بتكثير ألفاظ تسمى الشقاشقا
يقول فيها الله ماليس قائلا
وكان محبا في الخطابة وامقا
ويخطىء في تركيبه لكلامه
فليس لما قد ركبوه موافقا
وينسب ابداء المعاني لنفسه
ليوهم أغمارا وان كان سارقا
ويخطىء في فهم القران لانه
يجوز اعرابا ابى أن يطابقا
وكم بين من يؤتى البيان سليقة
وآخر عاناه فما هو لاحقا
ويحتال للالفاظ حتى يردها
لمذهب سوء فيه أصبح مارقا
فيا خسره شيخا تخرق صيته
مغارب تخريق الصبا ومشارقا
لئن لم تداركه من الله رحمة
لسوف يرى للكافرين مرافقا
قال جامعه هذا آخرها وأول القصيدة
لزمت انفرادي اذ قطعت العلائقا
وجالست من ذاتي الصديق الموافقا

الجمهورانا بكسر الهمزة على الاستئناف * وقرأ الحسن وابن أبي اسحاق والكوفيون بفتحها فاما بدل من عاقبه أو خبر لكان ويكون في موضع الحال أو خبر مبتدأ محذوف أي هي أي العاقبة تدميرهم أو يكون التقدير لانا وحذف حرف الجر وعلى كلتا القراءتين يجوز أن يكون كان تامة وعاقبة فاعل بها وأن تكون زائدة وعاقبة مبتدأ خبره كيف * وقرأ أبي أن دمرناهم وهي ان التي من شأنها ان تنصب المضارع ويجوز فيها الاوجه الجائزة في انا بفتح الهمزة * وحكى أبو البقاء ان بعضهم أجاز في انا دمرناهم في قراءة من فتح الهمزة أن تكون بدلا من كيف قال وقال آخرون لا يجوز لأن البدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرفه كقوله كيف زيد اصحيح أم مريض ولما أمر تعالى بالنظر فيما جرى لهم من الهلاك في أنفسهم بين ذلك بالاشارة الى منازلهم وكيف خلت منهم وخراب البيوت وخلوها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد مما يعاقب به الظلمة إذ يدل ذلك على استئصالهم وفي التوراة ابن آدم لا تظلم يخرب بيتك وهو اشارة الى هلاك الظالم إذ خراب بيته متعقب هلاكه وهذه البيوت هي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عام تبوك لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين الحديث * وقرأ الجمهور خاوية بالنصب على الحال * قال الزمخشري عمل فيها ما دل عليه تلك * وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع * قال الزمخشري على خبر المبتدأ المحذوف وقاله ابن عطيه أي هي خاوية قال أو على الخبر عن تلك وبيوتهم بدل أو على خبر ثان وخاوية خبر به بسبب ظلمهم وهو الكفر وهو من خلو البطن * وقال ابن عباس خاوية أي ساقط أعلاها على أسفلها * ان في ذلك أي في فعلنا بثمود وهو استئصالهم بالتدمير وخلاء مساكنهم منهم وبيوتهم هي بوادي القرى بين المدينه والشام * وأنجينا الذين آمنوا أي بصالح من العذاب الذي حل بالكفار وكان الذين آمنوا به أربعة آلاف خرج بهم صالح الى حضرموت وسميت حضرموت لأن صالحا عليه السلام لما دخلها مات بها وبنى المؤمنون بها مدينة يقال لها حاضورا وأما الهالكون فخرج بأبدانهم خراج مثل الحمص احمر في اليوم الأول ثم اصفر في الثاني ثم اسود في الثالث وكان عقر الناقة يوم الاربعاء وهلكوا يوم الاحد * قال مقاتل تفتقت تلك الخراجات وصاح جبريل عليه السلام بهم صيحة فخمدوا ﴿ ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشه وأنتم تبصرون أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته قدرناها من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴾ ولوطا عطف على صالحا أي وأرسلنا لوطا أو على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطا أو باذكر مضمرة وإذ بدل منه أقوال * وأتأتون استفهام انكار وتوبيخ وأبهم أولا في قوله الفاحشة ثم عينها في قوله أئنكم لتأتون الرجال وقوله وأنتم تبصرون أي تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي أحدثتموه وانه من أعظم الخطايا والعلم بقبح الشئ مع اتيانه أعظم في الذنب أو آثار العصاة قبلكم أو ينظر بعضكم الى بعض لا يستتر ولا يتحاشى من اظهار ذلك مجانة وعدم اكتراث بالمعصيه الشنعاء أقوال ثلاثه وانتصب شهوة على انه مفعول من أجله وتجهلون غلب فيه الخطاب كما غلب في بل أنتم قوم تفتنون ومعنى تجهلون أي عاقبة ما أنتم عليه أو تفعلون فعل السفهاء المجان أو فعل من جهل انها معصيه عظيمه مع العلم أقوال ولما أنكر عليهم ونسب الى الجهل ولم تكن لهم حجة فيما يأتونه من الفاحشه عدلوا الى المغالبة والايذاء وتقدم معنى يتطهرون في الاعراف * وقرأ الجمهور جواب بالنصب والحسن وابن أبي اسحاق بالرفع والجمهور قدرناها بتشديد الدال وأبو بكر بتخفيفها

﴿ ولوطا اذ قال لقومه ﴾ الآية ولوطا عطف على صالحا أي أرسلنا لوطا و ﴿ أتأتون ﴾ استفهام انكار وتوبيخ وأبهم أولا في قوله الفاحشة ثم عينها في قوله ﴿ أئنكم لتأتون الرجال ﴾ وقوله ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ أي تعلمون قبح هذا الفعل المنكر الذي أحدثتموه وانه من أعظم الخطايا أو آثار العصاة قبلكم أو ينظر بعضكم لبعض لا يستتر ولا يتحاشى من اظهار ذلك وانتصب شهوة على أنه مفعول من أجله وتجهلون غلب فيه الخطاب كما غلب في قوله بل أنتم قوم تفتنون ومعنى تجهلون أي عاقبة ما أنتم عليه أو تفعلون فعل السفهاء المجان ولما أنكر عليهم ونسبهم الى الجهل ولم تكن لهم حجة فيما يأتونه من ذلك عدلوا الى المغالبة والايذاء وتقدم معنى يتطهرون في الاعراف وباقي الآيه تقدم تفسير نظيره في الأعراف و ﴿ فساء ﴾ بمعنى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره مطرهم

﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده ﴾ الآية لما فرغ من قصص هذه السورة أمر رسوله عليه الصلاة والسلام بحمده تعالى وبالسلام على المصطفين وأخذ في مباينة واجب الوجود للاصنام التي أشركوها مع الله تعالى وعبدوها وابتدأ في هذا التقرير لقريش وغيرهم بالحمدلة وكأنها صدر خطبة لما يلقى من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة * ولما كان خلق السموات والارض وانزال الماء من السماء لاشبهة للعاقل في أن ذلك لا يكون الا لله تعالى وكان الانبات مما قد يتسبب فيه الانسان بالبذر والسقي والتهيئة ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبب اليه بين تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتأكيد ذلك بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ألا ترى أن المتسبب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده ولو أتى فهو جاهل لطبعه ومقداره وكيفيته فكيف يكون فاعلا لها والبهجة الجمال والنضرة والحسن لان الناظر فيها يبتهج أي يسر ويفرح وقوله ﴿ آلله خير أم ما يشركون ﴾ استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم بحالهم وتنبيه على موضع التباين بين الله تعالى وبين الأوثان التي يعبر عنها بما التي هي لما لا يعقل اذ معلوم عند من له عقل أنه لا يشرك في الخيرية بين الله وبينهم وكثيرا ما يجيء هذا النوع من أفعل التفضيل حيث يعلم ويتحقق أن لا شركة فيها وانما يذكر على سبيل الزام الخصم وتنبيهه على خطأ مرتكبه وقرئ ذات بهجة بالافراد وجمع التكسير يجري في الوصف مجرى الواحدة كقوله تعالى أزواج مطهرة أو هو على معنى جماعة ﴿ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ﴾ قد تقدم أن نفي مثل هذه الكينونة قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه كهذا أو لامتناع وقوعه شرعا أو لنفي الاولوية والمعنى هنا أن انبات ذلك منكم محال لأنه ابراز شئ من العدم الى الوجود وهذا ليس بمقدور الا لله تعالى ولما ذكر منته عليهم خاطبهم بذلك ثم لما ذكر ذمهم عدل من الخطاب الى (٨٧) الغيبة فقال ﴿ بل هم قوم يعدلون ﴾ إما التفاتا واما اخبارا للرسول عليه الصلاة والسلام بحالهم أي يعدلون عن الحق أو يعدلون به غيره أي يجعلون له مثيلا وعديلا ولما ذكر تعالى أنه منشئ السموات والأرض وذكر شيأ مشتركا بين السماء والارض وهو انزال الماء من السماء وانبات الحدائق بالارض ذكر شيأ مختصا بالارض وهو جعلها قرارا أي مستقرا لكم بحيث يمكنكم الاقامة بها والاستقرار عليها ولا يدير بها الفلك قيل لانها مضمحلة في جنب الفلك كالنقطة في وسط الرحى ﴿ وجعل خلالها ﴾ أي بين أماكنها في شعابها وأوديتها ﴿ أنهارا وجعل لها رواسي ﴾ أي جبالا ثوابت حتى لا تتكفأ بكم وتميد والبحران العذب والملح والحاجز الفاصل من قدرة الله تعالى وما أحسن ما جاء تركيب هذه الجمل بلفظ وجعل اذ صارت كل جملة مستقلة بذاتها بخلاف عطف المفردات وجاءت بلفظ الماضي دلالة على أن لا تجدد فيها بخلاف الجمل التي بعدها فانها جاءت بلفظ المضارع الدال على التكرر والتجدد ﴿ أمن يجيب المضطر ﴾ المضطر اسم مفعول وهو الذي أحوجه مرض أو فقر أو حادث من حوادث الدهر الى الالتجاء الى الله تعالى والتضرع اليه فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وازالته عنه ﴿ ويكشف السوء ﴾ هو كل ما يسوء وهو عام في كل ضر انتقل من حالة المضطر وهي خاص الى أعم وهو ما يسوء سواء كان المكشوف عنه في حال الاضطرار أو فيما دونهم وخلفاء أي الأمم السالفة أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظلمة البر هي ظلمة الليل وهي الحقيقة وتنطلق مجازا على الجهل وعلى ابهام الأمر يقال أظلم على الامر وهداية البر تكون بالعلامات وهداية البحر تكون بالنجوم ﴿ ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾ تقدم تفسير نظير هذه الجملة وقرئ عما تشركون بتاء الخطاب ﴿ أمن يبدأ الخلق ﴾ الظاهر ان الخلق هو المخلوق وبدؤه اختراعه وانشاؤه ويظهر ان المقصود هو من يعيده الله في الآخرة من الانس والجن والملك لا عموم المخلوق ولما كان ايجاد بني آدم انعاما إليهم واحسانا ولا تتم النعمة الا بالرزق

وباقي الآية تقدم تفسير نظيره في الاعراف وساء بمعنى بئس والمخصوص بالذم محذوف أي مطرهم ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤ الخلق ثم

قال ﴿ ومن يرزقكم من السماء ﴾ بالمطر ﴿ والأرض ﴾ بالنبات ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ أي أحضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون من انكار شئ مما تقدم تقريره ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في أن مع الله إلها آخر فاين دليلكم عليه وهذا راجع الى ما تقدم من جميع الاستفهام الذي جاء به على سبيل التقرير وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه كما ذكر ايجاد العالم العلوي والسفلي ختم بقوله بل هم قوم يعدلون ولما ذكر جعل

الأرض مستقرا ختم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون اذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك ولما ذكر اجابة دعاء المضطر ختم بقوله قليلا ما تذكرون اشارة الى توالي النسيان على الانسان اذا صار في خير وزال اضطراره ولما ذكر الهداية في الظلمات قال عما يشركون واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله أإله مع الله على سبيل التوكيد والتقرير انه لا إله إلا هو تعالى قيل سأل الكفار عن وقت القيامة التي وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وألحوا عليه فنزل ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله ﴾ الآية والمتبادر الى الذهن أن من فاعل يعلم والغيب مفعول والا الله استثناء منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ من جاء مرفوعا على لغة تميم ودلت هذه الآية على أنه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب * وأيان تقدم الكلام فيها في الأعراف وهي هنا اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون ويشعرون معلق والجملة التي فيها استفهام في موضع نصب به وقرئ بل ادارك أصله تدارك وقرئ أدرك على وزن أفعل قال ابن عباس المعنى بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا أي علموه في الآخرة بمعنى تكامل علمهم في الآخرة بان كل ما وعدوا به حق وهذا حقيقة اثبات العلم لهم لمشاهدتهم عيانا في الآخرة ما وعدوا به عما في الدنيا وكونه بمعنى المضي ومعناه الاستقبال لان الاخبار به صدق فكأنه قد وقع

بعيده ومن يرزقكم من السماء والارض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ﴾ لما فرغ من قصص هذه السورة أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بحمده تعالى والسلام على المصطفين وأخذ في مباينة واجب الوجود الله تعالى ومباينة الأصنام والأديان التي أشركوها مع الله وعبدوها وابتدأ في هذا التقرير لقريش وغيرهم بالحمدلة وكأنها صدر خطبة لما يلقي من البراهين الدالة على الوحدانية والعلم والقدرة وقد اقتدى بذلك المسلمون في تصانيف كتبهم وخطبهم ووعظهم فافتتحوا بتحميد الله والصلاة على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعهم المترسلون في أوائل كتب الفتوح والتهاني والحوادث التي لها شأن * وقيل هو متصل بما قبله وأمر الرسول عليه السلام بتحميد الله على هلاك الهالكين من كفار الأمم والسلام على الأنبياء وأتباعهم الناجين * وقيل قل خطاب للوط عليه السلام أن يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على عباده الذين اصطفى وعزا هذا القول ابن عطية للفراء وقال هذه عجمة من الفراء * وقرأ أبو السمال قل الحمد لله وكذا قل الحمد لله سيريكم بفتح اللام وعباده المصطفون يعم الأنبياء وأتباعهم * وقال ابن عباس العباد المسلم عليهم هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفاهم لنبيه وفي اختصاصهم بذلك توبيخ للمعاصرين من الكفار * وقال أبو عبد الله الرازي لما ذكر تعالى أحوال الأنبياء وأن من كذبهم استؤصل بالعذاب وأن ذلك مرتفع عن أمة الرسول أمره تعالى بحمده على ما خصه من هذه النعمة وتسليمه على الانبياء الذين صبروا على مشاق الرسالة انتهى وفيه تلخيص * وقوله آلله خير أما يشركون استفهام فيه تبكيت وتوبيخ وتهكم بحالهم وتنبيه على موضع التباين بين الله تعالى وبين الأوثان اذ معلوم عند من له عقل أنه لا شركة في الخيرية بين الله تعالى وبينهم وكثيرا ما يجيء هذا النوع من أفعل التفضيل حيث يعلم ويتحقق أنه لا شركة فيها وانما ذكر على سبيل الزام الخصم وتنبيه على خطأ مرتكبه والظاهر ان هذا الاستفهام هو عن خيرية الذوات * فقيل جاء على اعتقاد المشركين حيث اعتقدوا في آلهتهم خيرا بوجه ما * وقيل في الكلام حذف في موضعين التقدير أتوحيد الله خير أم عبادة ما يشركون فما في أم ما بمعنى الذي * وقيل ما مصدرية والحذف من الأول أي أتوحيد الله خير أم شرككم * وقيل خير ليست للتفضيل فهي كما تقول الصلاة خير يعني خيرا من الخيور * وقيل التقدير ذو خير والظاهر ان خيرا أفعل التفضيل وان الاستفهام في نحو هذا يجيء لبيان فساد ما عليه الخصم وتنبيهه على خطئه والزامه الاقرار بحصر التفضيل في جانب واحد وانتفائه عن الآخر * وقرأ الجمهور يشركون بتاء الخطاب والحسن

وقتادة وعاصم وأبو عمرو بياء الغيبة وأم في أم مامتصلة لأن المعنى أيهما خير وفي أم من خلق ومابعده
منفصلة ولما ذكر الله خيرا عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله كما عددها في غير
موضع من كتابه توقيفا لهم على ما أبدع من المخلوقات وأنهم لا يجدون بدا من الاقرار بذلك لله تعالى
* وقرأ الجمهور أمّن خلق وفي الأربعة بعدها بشد الميم وهي ميم أم أدغمت في ميم من * وقرأ الأعمش
بتخفيفها جعلها همزة الاستفهام أدخلت على من ومن في القراءتين مبتدأ وخبره * قال ابن عطية
تقديره يكفر بنعمته ويشرك به ونحو هذا من المعنى وقدره الزمخشري خير أما يشركون فقدر
ما أثبت في الاستفهام الأول بدأ أولا في الاستفهام باسم الذات ثم انتقل فيه الى الصفات * وقال أبو
الفضل الرازي في كتاب اللوامح له ولا بد من اضمار جملة معادلة وصار ذلك المضمر كالمنطوق به
لدلالة الفحوى عليه وتقدير تلك الجملة أمن خلق السموات كمن لم يخلق وكذلك أخواتها وقد أظهر
في غير هذا الموضع ما أضمر فيها القوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق انتهى وتسمية هذا المقدر جملة
ان أراد بها جملة من الالفاظ فهو صحيح وان أراد الجملة المصطلح عليها في النحو فليس كذلك بل هو
مضمر من قبيل المفرد وبدأ تعالى بذكر انشاء مقر العالم العلوي والسفلي وانزال مابه قوام العالم
السفلي وقال لكم أي لأجلكم على سبيل الامتنان وان ذلك من أجلكم ثم قال فأنبتنا وهذا التفات
من الغيبة الى التكلم بنون العظمة دالا على اختصاصه بذلك وأنه لم ينبت تلك الحدائق المختلفة
الاصناف والألوان والطعوم والروائح بماء واحد الا هو تعالى * وقد رشح هذا الاختصاص بقوله
ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ولما كان خلق السموات والارض وانزال الماء من السماء لا شبهة
للعاقل في أن ذلك لا يكون الا لله وكان الانبات مما قد يتسبب فيه الانسان بالبذر والسقي والتهيئة
ويسوغ لفاعل السبب نسبة فعل المسبب اليه بين تعالى اختصاصه بذلك بطريق الالتفات وتأكيد
ذلك بقوله ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ألا ترى أن المتسبب لذلك قد لا يأتي على وفق مراده ولو
أتى فهو جاهل بطبعه ومقداره وكيفيته وكيف يكون فاعلا لها والبهجة الجمال والنضرة والحسن
لان الناظر فيها يبهج أي يسر ويفرح * وقرأ الجمهور ذات بالافراد بهجة بسكون الهاء وجمع
التكسير يجري في الوصف مجرى الواحدة كقوله أزواج مطهرة وهو على معنى جماعة * وقرأ ابن
أبي عبلة ذوات بالجمع بهجة بتحريك الهاء بالفتح * ما كان لكم أن تنبتوا شجرها قد تقدم أن نفي مثل
هذه الكينونة قد يكون ذلك لاستحالة وقوعه كهذا أو لامتناع وقوعه شرعا أو لنفي الاولوية
والمعنى هنا أن انبات ذلك منكم محال لانه ابراز شيء من العدم الى الوجود وهذا ليس بمقدور الالله
تعالى ولما ذكر منته عليهم خاطبهم بذلك ثم لما ذكر ذمهم عدل من الخطاب الى الغيبة فقال بل هم قوم
يعدلون اما التفاتا واما اخبارا للرسول صلى الله عليه وسلم بحالهم أي يعدلون عن الحق أو يعدلون
به غيره أي يجعلون له عديلا ومثيلا * وقرئ الها بالنصب بمعنى أتدعون أو أتشركون * وقرئ
أإله بتخفيف الهمزتين وتليين الثانية والفصل بينهما بألف ولما ذكر تعالى أنه منشئ السموات
والارض وذكر شيأ مشتركا بين السماء والارض وهو انزال الماء من السماء وانبات الحدائق بالارض
ذكر شيأ مختصا بالارض وهو جعلها قرارا أي مستقرا لكم بحيث يمكنكم الاقامة بها والاستقرار
عليها ولا يدير ها الفلك قيل لانها مضمحلة في جنب الفلك كالنقطة في الرحى * وجعل خلالها أي
بين أماكنها في شعابها وأوديتها أنهارا وجعل لها رواسي أي جبالا ثوابت حتى لا تتكفأ بكم وتميد
والبحران العذب والملح والحاجز الفاصل من قدرته تعالى قاله الضحاك * وقال مجاهد بحر السماء

والأرض والحاجز من الهواء * وقال الحسن بحر فارس والروم * وقال السدّى بحر العراق والشام والحاجز من الأرض * قال ابن عطية مختارا لهذا القول فى الحاجز هو ما جعل الله بينهما من حواجز الأرض وموانعها على رقتها فى بعض المواضع ولطافتها التى لولا قدرته لبلع الملح العذب وكان ابن عطية قد قدم أن البحرين العذب بجملته والماء الأجاج بجملته ولما كانت كل واحدة منه عظيمة مستقلة تكرر فيها العامل فى قوله وجعل فكانت من عطف الجمل المستقل كل واحدة منها بالامتنان ولم يشرك فى عامل واحد فيكون من عطف المفردات ولأبى عبد الله الرازى فى ذكر هذه الامتنانات الأربع كلام من علم الطبيعة والحكماء على زعمه خارج عن مذاهب العرب يوقف عليه فى كتابه * والمضطر اسم مفعول وهو الذى أحوجه مرض أو فقر أو حادث من حوادث الدهر الى الالتجاء الى الله والتضرع اليه فيدعوه لكشف ما اعتراه من ذلك وازالته عنه * وقال ابن عباس هو المجهود * وقال السدّى هو الذى لا حول ولا قوة له * وقيل هو المذنب اذا استغفر واجابته إياه مقرونة بمشيئته تعالى فليس كل مضطر دعا يجيبه الله فى كشف ما به * وقال الزمخشرى الاجابة موقوفة على أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن الدعاء إلا شارطا فيه المصلحة انتهى وهو على طريق الاعتزال فى مراعاة المصلحة من الله تعالى * ويكشف السوء هو كل ما يسوء وهو عام فى كل ضر انتقل من حالة المضطر وهو خاص الى أعم وهو ما يسوء سواء كان المكشوف عنه فى حالة الاضطرار أو فيما دونها * وخلفاء أى الأمم السالفة أو فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو خلفاء النبى صلى الله عليه وسلم من بعده أو خلفاء الكفار فى أرضهم أو الملك والتسلط أقوال * وقرأ الحسن فى رواية ونجعلكم بنون المتكلم كأنه استئناف اخبار ووعد كما قال تعالى ليستخلفنهم فى الأرض وقوله ويجعلكم خلفاء الأرض انتقال من حالة المضطر الى رتبة مغايرة لحالة الاضطرار وهى حالة الخلافة فهما طرفان وكم رأينا فى الدنيا ممن بلغ حالة الاضطرار ثم صار ملكا متسلطا * وقرأ الجمهور تذكرون بتاء الخطاب والحسن والأعمش وأبو عمرو بياء الغيبة والذال فى القراءتين مشددة لادغام التاء فيها * وقرأ أبو حيوة تتذكرون بتاءين * وظلمة البر هى ظلمة الليل وهى الحقيقة وتنطلق مجازا على الجهل وعلى ابهام الأمر فيقال أظلم على الأمر * وقال الشاعر * تجلت عمايات الرجال عن الصبا * أى جهالات الصبا وهدايه البر تكون بالعلامات وهداية البحر بالنجوم * ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته تقدم تفسير نظير هذه الجملة * وقرئ عما تشركون بتاء الخطاب * أمن يبدأ الخلق الظاهر ان الخلق هو المخلوق وبدؤه اختراعه وانشاؤه ويظهر أن المقصود هو من يعيده الله فى الآخرة من الانس والجن والملك لا عموم المخلوق * وقال ابن عطية والمقصود بنو آدم من حيث ذكر الاعادة والاعادة البعث من القبور ويحتمل أن يريد بالخلق مصدر خلق ويكون يبدأ ويعيد استعارة للاتقان والاحسان كما تقول فلان يبدئ ويعيد فى أمر كذا اذا كان يتقنه * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف قال لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون الاعادة (قلت) قد أنعم عليهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر فى الانكار انتهى ولما كان ايجاد بنى آدم انعاما اليهم واحسانا ولا تتم النعمة الا بالرزق قال ومن يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات * قل هاتوا برهانكم أى احضروا حجتكم ودليلكم على ما تدعون من انكار شئ مما تقدم تقريره ان كنتم صادقين فى ان مع الله إلها آخر فأين دليلكم عليه وهذا راجع الى ما تقدم من جميع الاستفهام الذى جىء به على سبيل التقرير وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه

لما ذكر ايجاد العالم العلوي والسفلي وما امتن به من انزال المطر وانبات الحدائق اقتضى ذلك أن لا يعبد الا موجد العالم والممتن بما به قوام الحياة فختم بقوله بل هم قوم يعدلون أي عن عبادته أو يعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع ولما ذكر جعل الارض مستقرا وتفجير الانهار وارساء الجبال وكان ذلك تنبيها على تعقل ذلك والفكر فيه ختم بقوله بل أكثرهم لا يعلمون اذ كان فيهم من يعلم ويفكر في ذلك ولما ذكر اجابة دعاء المضطر وكشف السوء واستخلافهم في الارض ناسب أن يستحضر الانسان دائما هذه المنة فختم بقوله قليلا ما تذكرون اشارة الى توالي النسيان اذا صار في خير وزال اضطراره وكشف السوء عنه كما قال نسي ما كان يدعو اليه من قبل ولما ذكر الهداية في الظلمات وارسال الرياح نشرا ومعبوداتهم لا تهدي ولا ترسل وهم يشركون بها الله قال تعالى عما يشركون واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله أإله مع الله على سبيل التوكيد والتقرير انه لا اله الا هو تعالى * قيل سأل الكفار عن وقت القيامة التي وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم وألحوا عليه فنزل قل لا يعلم من في السموات والارض الآية والمتبادر الى الذهن ان من فاعل بيعلم والغيب مفعول والا الله استثناء منقطع لعدم اندراجه في مدلول لفظ من وجاء مرفوعا على لغة تميم ودلت الآية على أنه تعالى هو المنفرد بعلم الغيب وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا يعلم ما في غد فقد أعظم الفرية على الله والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله ولا يقال انه مندرج في مدلول من فيكون في السموات والارض ظرفا حقيقيا للمخلوقين فيهما ومجازيا بالنسبة اليه تعالى أي هو فيهما بعلمه لان في ذلك جمعا بين الحقيقة والمجاز وأكثر العلماء ينكر ذلك وانكاره هو الصحيح ومن أجاز ذلك فيصح عنده أن يكون استثناء متصلا وارتفع على البدل أو الصفة والرفع أفصح من النصب على الاستثناء لانه استثناء من نفي متقدم والظاهر عموم الغيب * وقيل المراد غيب الساعة * وقال الزمخشري (فان قلت) ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي يعني في كونه استثناء منقطعا اذ ليس مندرجا تحت من ولم أختير الرفع على لغة تميم ولم يختر النصب على لغة الحجاز (قلت) دعت الى ذلك نكتة سرية حيث أخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت ان كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها عن الأنيس انتهى وكان الزمخشري قد قدم قوله (فان قلت) لم رفع اسم الله والله سبحانه أن يكون ممن في السموات والارض (قلت) جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد إلا حمار كأن أحدا لم يذكر * ومنه قوله

عشية ما تغني الرماح مكانها * ولا النبل إلا المشرفي المصمم

وقوله ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه اخوانكم الا اخوانه انتهى وملخصه انه يقول لو نصب لكان مندرجا تحت المستثنى منه واذا رفع كان بدلا والمبدل منه في نية الطرح فصار العامل كأنه مفرغ له لان البدل على نية تكرار العامل فكأنه قيل قل لا يعلم الغيب الا الله ولو أعرب من مفعولا والغيب بدل منه والا الله هو الفاعل أي لا يعلم غيب من في السموات والارض الا الله أي الاشياء الغائبة التي تحدث في العالم وهم لا يعلمون بحدوثها أي لا يسبق علمهم بذلك لكان وجها حسنا وكان الله تعالى هو المخصوص بسابق علمه فيما يحدث في العالم * وأيان تقدم الكلام فيها في أواخر الأعراف وهي هنا اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليبعثون ويشعرون معلق والجملة التي فيها

استفهام في موضع نصب به * وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة وهي لغة قبيلته بني سليم ولما نفى علم الغيب عنهم على العموم نفى عنهم هذا الغيب المخصوص وهو وقت الساعة والبعث فصار منتفيا مرتين اذ هو مندرج في عموم الغيب ومنصوص عليه بخصوصه * وقرأ الجمهور بل ادّارك أصله تدارك فأدغمت التاء في الدال فسكنت فاجتلبت همزة الوصل * وقرأ أبي أم تدارك على الأصل وجعل أم بدل * وقرأ سليمان بن يسار أخوه بل ادّرك بنقل حركة الهمزة الى اللام وشدّ الدال بناء على ان وزنه افتعل فأدغم الدال وهي فاء الكلمة في التاء بعد قلبها دالا فصار قلب الثاني للأول لقولهم اثردوا وأصله اثترد من الثرد والهمزة المحذوفة المنقول حركتها الى اللام هي همزة الاستفهام أدخلت على ألف الوصل فانحذفت ألف الوصل ثم انحذفت هي وألقيت حركتها على لام بل * وقرأ أبو رجاء والأعرج وشيبة وطلحة وتوبة العنبري كذلك الا انهم كسروا لام بل وروي ذلك عن ابن عباس وعاصم والأعمش * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وأهل مكة بل ادرك على وزن افعل بمعنى تفاعل ورويت عن أبي بكر عن عاصم * وقرأ عبد الله في روايه وابن عباس في رواية وابن أبي جمرة وغيره عنه والحسن وقتادة وابن محيصن بل آدرك بمدة بعد همزة الاستفهام وأصله أأدرك فقلب الثانية ألفا تخفيفا كراهة الجمع بين همزتين وأنكر أبو عمرو بن العلاء هذه الرواية ووجهها * وقال أبو حاتم لا يجوز الاستفهام بعد بل لان بل ايجاب والاستفهام في هذا الموضع انكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى أشهدوا خلقهم أي لم يشهدوا ولا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الايجاب والانكار انتهى * وقد أجاز بعض المتأخرين الاستفهام بعد بل وشبهه بقول القائل أخبزا أكلت بل أماء شربت على ترك الكلام الأول والأخذ في الثاني * وقرأ مجاهد أم ادرك جعل أم بدل بل وادرك على وزن أفعل * وقرأ ابن عباس أيضا بل إدّارك بهمزة داخلة على ادارك فيسقط همزة الوصل المجتلبة لأجل الادغام والنطق بالساكن * وقرأ ابن مسعود أيضا بل أأدرك بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة افعل * وقرأ الحسن أيضا والأعرج بل ادرك بهمزة وادغام فاء الكلمة وهي الدال في تاء افتعل بعد صيرورة التاء دالا * وقرأ ورش في رواية بل ادّرك بحذف همزة ادرك ونقل حركتها الى اللام * وقرأ ابن عباس أيضا بلى ادرك بحرف الايجاب الذي يوجب به المستفهم المنفي * وقرئ بل آأدرك بألف بين الهمزتين * فأما قراءة من قرأ بالاستفهام * فقال ابن عباس هو للتقريع بمعنى لم يدرك علمهم على الانكار عليهم * وقال الزمخشري هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك قراءة من قرأ أم ادّرك وأم تدارك لانها أم التي بمعنى بل والهمزة انتهى * وقال ابن عطية هو على معنى الهزء بالكفرة والتقرير لهم على ما هو في غاية البعد عنهم أي أعلموا أمر الآخرة وادّركها علمهم * وأما قراءة من قرأ على الخبر * فقال ابن عباس المعنى بل تدارك علمهم ما جهلوه في الدنيا أي علموه في الآخرة بمعنى تكمل علمهم في الآخرة بأن كل ما وعدوا به حق وهذا حقيقة اثبات العلم لهم لمشاهدتهم عيانا في الآخرة ما وعدوا به غيبا في الدنيا وكونه بمعنى المضي ومعناه الاستقبال لان الاخبار به صدق فكأنه قد وقع * وقال ابن عطية يحتمل معنيين أحدهما انه تناهى علمهم كما تقول ادرك النبات وغيره أي تناهى وتتابع علمهم بالآخرة الى أن يعرفوا لها مقدارا فيؤمنوا وانما لهم ظنون كاذبة أو الى أن لا يعرفوا لها وقتا وتكون في بمعنى الباء متعلقة بعلمهم وقد تعدّي العلم بالباء كما تقول علمي بزيد كذا وبسوع حمل هذه القراءة على معنى التوقيف والاستفهام وجاء انكار الا انهم لم يدركوا اشيئا نافعا والثاني أن ادرك بمعنى يدرك أي

علمهم في الآخرة بدرك وقت القيامة ويرون العذاب والحقائق التي كذبوا بها وأما في الدنيا فلا وهذا تأويل ابن عباس ونحا اليه الزجاج وفي على بابها من الظرفية متعلقة بتدارك انتهى وفيه بعض تلخيص وزيادة * وقال الزمخشري هو على وجهين أحدهما ان أسباب استحكام العلم وتكامله بأن القيامة كائنة لاريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لأجهل الناس ما أعلمك على سبيل الهزء به وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي هو طريق الى علم مشكوك فضلا عن أن يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو أن يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولهم أدركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسر الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك انتهى * وقال الكرماني العلم هنا بمعنى الحكم والقول أي تتابع منهم القول والحكم في الآخرة وكثر منهم الخوض فيها فنفاها بعضهم وشك فيها بعضهم واستبعدها بعضهم * وقال الفراء بل ادرك فيصير بمعنى الجحد ولذلك نظائر أي لم يعلموا حدوثها وكونها ودل على ذلك بل هم في شك منها فصار بل في الكلام بمعنى الباء أي لم يدرك علمهم بالآخرة * قال الفراء ويقوي هذا الوجه قراءة من قرأ أدرك بالاستفهام انتهى وأما قراءة من قرأ بلى بحرف الجواب بدل بل * فقال أبو حاتم ان كان بلى جوابا لكلام تقدم جاز أن يستفهم به كأن قوما أنكروا ما تقدم من القدرة * فقيل لهم بلى ايجابا لما نفوا ثم استؤنف بعده الاستفهام وعودل بقوله تعالى بل هم في شك منها بمعنى أم هم في شك منها لان حروف العطف قد تتناوب وكف عن الجملتين بقوله تعالى بل هم منها عمون انتهى يعني ان المعنى ادرك علمهم بالآخرة أم شكوا فبل بمعنى أم عودل بها الهمزة وهذا ضعيف جدا وهو أن تكون بل بمعنى أم وتعادل همزة الاستفهام * قال الزمخشري (فان قلت) فمن قرأ بلى ادرك (قلت) لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع الى المبالغة في نفي الشعور على أبلغ ما يكون وأما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم أنكر علمهم بكونها واذا أنكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن (وان قلت) هذه الاضرابات الثلاث ما معناها (قلت) ما هي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم أولا بأنهم لا يشعرون وقت البعث ثم بأنهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بأنهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان العاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون انتهى

* وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين ان

* وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا * الآية ناسب ذكر مقالتهم في استبعادها وأن ما وعدوا به من ذلك ليس بصحيح انما ذلك ما سطر الأولون من غير اخبار بذلك عن حقيقة ثم ذكروا أنهم وعدوا ذلك هم وآباؤهم فلم يقع شيء من هذا الموعود ثم جزموا وحصروا أن ذلك من أكاذيب من تقدم وجاء هنا تقديم الموعود به وهو هذا وتأخر في آية أخرى على حسب ما سيق الكلام لاجله ثم أمر نبيه عليه السلام أن يأمرهم بالسير في الارض وتقدم الكلام في نظيره وأراد بالمجرمين الكافرين ثم سلى نبيه فقال * ولا تحزن عليهم * أي في كونهم لم يسلموا ولم يذعنوا الى ما جئت به ولما استعجلت قريش بأمر الساعة أو بالعذاب الموعود به هم وسألوا عن الوقت الموعود على سبيل الاستهزاء قيل له * قل عسى أن يكون ردف لكم * أي تبعكم عن قرب وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به وهو كان عذاب يوم بدر

وقيل عذاب القبر وقرئ ردف لكم بكسر الدال وفتحها وهما لغتان وأصله التعدي بمعنى تبع ولحق فاحتمل أن يكون مضمنا
معنى اللازم ولذلك فسره ابن عباس وغيره بأزف وقرب لما كان يجيء بعد الشيء قريبا منه ضمن معناه ومزيد اللام في مفعوله
لتأكيد وصول الفعل إليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا بأيديكم وقد عدي بمن على سبيل التضمين لما يتعدى بها قال الشاعر

فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق

أي دنونا من عمير وبدأ بما يخص الانسان ثم عم كل غائبة
عبر أولا بالمحال وهي الصدور عن الحال فيها وهي القلوب والظاهر عموم قوله من غائبة أي ما من شيء في غاية الغيبوبة والخفاء
إلا في كتاب عند الله تعالى ومكنون علمه ومن غائبة في موضع المبتدأ ومن زائدة وفي كتاب خبره

هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ان
ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم فتوكل على الله انك على الحق المبين انك لا تسمع الموتى
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
بآياتنا فهم مسلمون واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم أن الناس كانوا
بآياتنا لا يوقنون ﴾ لما تقدم انه تعالى منفرد بعلم الغيب ومن جملتها وقت الساعة وانهم لا شعور لهم
بوقتها وان الكفار في شك منها عمون ناسب ذكر مقالاتهم في استبعادها وان ما وعدوا به من ذلك
ليس بصحيح انما ذلك ما سطر الأولون من غير اخبار بذلك عن تحقيقه * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
أئذا أئنا بالجمع بين الاستفهامين وقلب الثانية ياء وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقرأهما عاصم وحمزة
بهمزتين ونافع اذا بهمزة مكسورة آئنا بهمزة الاستفهام وقلب الثانية ياء وبينهما مدة والباقون آئذا
باستفهام ممدود إننا بنونين من غير استفهام والعامل في اذا محذوف دل على مضمون الجملة الثانية
تقديره نخرج ويمتنع اعمال لمخرجون فيه لأن كلا من ان ولام الابتداء والاستفهام يمنع أن يعمل ما
بعده فيما قبله الا اللام الواقعة في خبر ان فانه يتقدم معمول الخبر عليها وعلى الخبر على ما قرر في علم
النحو وآباؤنا معطوف على اسم كان وحسن ذلك الفصل بخبر كان والاخراج هنا من القبور أحياء
مردودا أرواحهم الى الاجساد والجمع بين الاستفهام في اذا وفي انا انكار على انكار ومبالغة في
كون ذلك لا يكون والضمير في اننا لهم ولآبائهم لأن صيرورتهم ترابا شامل للجميع ثم ذكروا انهم
وعدوا ذلك هم وآباؤهم فلم يقع شيء من هذا الموعود ثم جزموا وحصروا ان ذلك من أكاذيب من
تقدم وجاء هنا تقديم الموعود به وهو هذا وتأخر في آية أخرى على حسب ما سيق الكلام لأجله
فحيث تأكد الاخبار عنهم بانكار البعث والآخرة عمدوا اليها بالتقديم على سبيل الاعتناء وحيث لم
يكن ذلك عمدوا الى انكار ايجاد المبعوث فقدموه وأخروا الموعود به ثم أمر نبيه أن يأمرهم بالسير
في الارض وتقدم الكلام في نظير هذه الآية في أوائل الانعام وأراد بالمجرمين الكافرين ثم سلى نبيه
فقال ولا تحزن عليهم أي في كونهم لم يسلموا ولم يذعنوا الى ما جئت به ولا تكن في ضيق أي في حرج
وأمر شاق عليك مما يمكرون فان مكرهم لاحق بهم لا بك والله يعصمك منهم وتقدمت قراءة ضيق

﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ ولما كان القرآن وما قص الله فيه لا يكاد يجدي عندهم أخبر الله عنهم انهم موتى القلوب أو شبهوا بالموتى وان كانوا أحياء صحاح الأبصار لانه اذا تلي عليهم لا تعيه آذانهم فكانت حالتهم لانتفاء جدوى السماع كحالة الموتى ﴿ وما أنت بهادي العمي ﴾ حيث يضلون الطريق فلا يقدر أحد أن يزيل ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله تعالى وقرئ بهادي العمي اسم فاعل مضاف وقرئ بهاد منونا العمي وقرئ تهدي مضارع هدى العمي بالنصب ﴿ ان تسمع ﴾ هم الذين علم الله انهم يصدقون بآياته ﴿ فهم مسلمون ﴾ منقادون للحق ﴿ واذا

وقع القول عليهم ﴾ أي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله تعالى كقوله حقت كلمة العذاب فالمعنى اذا أراد
الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب أخرج لهم دابة من الأرض ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وروي أن
خروجها حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب وفي الحديث ان الدابة وطلوع
الشمس من المغرب من أول الاشراط ولم يعين الأول منهما وكذلك الدجال وظاهر الأحاديث أن طلوع الشمس آخرها والظاهر
أن الدابة التي تخرج واحدة وروي أنها تخرج في كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الأرض وليست واحدة فيكون
قوله دابة اسم جنس واختلفوا في كيفيتها اختلافا كثيرا وقيل تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا مؤمن وللكافر هذا كافر وقيل
تكلمهم تجرحهم من الكلام وروي انها تسم الكافر في جبهته فتربده وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه

بكسر الضاد وفتحها وهما مصدران وكره أبو علي أن يكون المفتوح الضاد أصله ضيق بتشديد الياء فخفف كلين في لين لأن ذلك يقتضي حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه وليست من الصفات التي تقوم مقام الموصوف باطراد وأجاز ذلك الزمخشري قال ويجوز أن يراد في أمر ضيق من مكرهم ولما استعجلت قريش بأمر الساعة أو بالعذاب الموعود به هم وسألوا عن وقت الموعود به على سبيل الاستهزاء قيل له قل عسى أن يكون ردف لكم بعضه أي تبعكم عن قرب وصار كالرديف التابع لكم بعض ما استعجلتم به وهو كان عذاب يوم بدر * وقيل عذاب القبر * وقرأ الجمهور ردف بكسر الدال * وقرأ ابن هرمز بفتحها وهما لغتان وأصله التعدي بمعنى تبع ولحق فاحتمل أن يكون مضمنا معنى اللازم ولذلك فسره ابن عباس وغيره بأزف وقرب لما كان يجيء بعد الشيء قريبا منه ضمن معناه أو مزيدا اللام في مفعوله لتأكيد وصول الفعل اليه كما زيدت الباء في ولا تلقوا بأيديكم قاله الزمخشري وقد عدي بمن على سبيل التضمين لما يتعدى بها * وقال الشاعر

- فلما ردفنا من عمير وصحبه * تولوا سراعا والمنية تعنق

أي دنونا من عمير * وقيل ردفه وردف له لغتان * وقيل الفعل محمول على المصدر أي الرادفة لكم وبعض على تقدير ردافه بعض ما تستعجلون وهذا فيه تكلف ينزه القرآن عنه * وقيل اللام في لكم داخلة على المفعول من أجله والمفعول به محذوف تقديره ردف الخلق لأجلكم وهذا ضعيف * وقيل الفاعل بردف ضمير يعود على الوعد ثم قال لكم بعض ما تستعجلون على المبتدأ والخبر وهذا فيه تفكيك الكلام وخروج عن الظاهر لغير حاجة تدعو الى ذلك * لذو فضل أي افضال عليهم بترك معاجلتهم بالعقوبة على معاصيهم وكفرهم ومتعلق يشكرون محذوف أي لا يشكرون نعمه عندهم أو لا يشكرون بمعنى لا يعرفون حق النعمة عبر عن انتفاء معرفتهم بالنعمة بانتفاء ما يترتب على معرفتها وهو الشكر ثم أخبر تعالى بسعة علمه فبدأ بما يخص الانسان ثم عم كل غائبة وعبر بالصدور وهي محل القلوب التي لها الفكر والتعقل كما قال ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الحال فيها وهي القلوب وأسند الاعلان الى ذواتهم لأن الاعلان من أفعال الجوارح ولما كان المضمر في الصدر هو الداعي لما يظهر على الجوارح والسبب في اظهاره قدم الاكنان على الاعلان * وقرأ الجمهور ما تكن من أكن الشيء أخفاه * وقرأ ابن محيصن وحميد وابن السميفع بفتح التاء وضم الكاف من كن الشيء ستره والمعنى ما يخفون وما يعلنون من عداوة الرسول ومكايدهم والظاهر عموم قوله من غائبة أي ما من شيء في غاية الغيبوبة والخفاء الا في كتاب عند الله ومكنون علمه * وقيل ما غاب عنهم من عذاب السماء والارض * وقيل هو يوم القيامة وأهوالها قاله الحسن والكتاب اللوح المحفوظ * وقيل أعمال العباد أثبتت ليجازي عليها * وقال صاحب الغنيان أي حادثة غائبة أو نازلة واقعة * وقال ابن عباس أي ما من شيء سر في السموات والارض وعلانية فاكتفى بذكر السر عن مقابله * وقال الزمخشري سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العاقبة والعافية ونظيرهما النطيحة والذبيحة والرمية في انها أسماء غير صفات ويجوز أن يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالرواية في قولهم ويل للشاعر من رواية السوء كأنه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح المبين الظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة انتهى ولما ذكر تعالى المبدأ والمعاد ذكر ما يتعلق بالنبوة وكان المعتمد الكبير في اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم هو القرآن ومن جملة اعجازه اخباره بما تضمن من القصص الموافق

لما في التوراة والانجيل مع العلم بأنه أمي لم يخالط العلماء ولا اشتغل بالتعليم * وبنو اسرائيل هم اليهود والنصارى قص فيه أكثر ما اختلفوا فيه على وجهه وبينه لهم ولو أنصفوا لأسلموا ومما اختلفوا فيه أمر المسيح تحزبوا فيه فمن قائل هو الله ومن قائل ابن الله ومن قائل ثالث ثلاثة ومن قائل هو نبي كغيره من الانبياء وقد عقدوا لهم اجتماعات وتباينوا في العقائد وتناكروا في أشياء حتى لعن بعضهم بعضا والظاهر عموم المؤمنين * وقيل لمن آمن من بني اسرائيل والقضاء والحكم وان ظهر انهما مترادفان * فقيل المراد به هنا العدل أي بعدله لانه لا يقضي الا بالعدل * وقيل المراد بحكمته والحكم * قيل ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة وهو جناح بن حبيش ولما كان القضاء يقتضي تنفيذ ما يقضي به والعلم بما يحكم به جاءت هاتان الصفتان عقبه وهو العزة أي الغلبة والقدرة والعلم ثم أمره تعالى بالتوكل عليه وأخبره أنه على الحق الواضح الذي لا شك فيه وهو كالتعليل للتوكل وفيه دليل على ان من كان على الحق يحق له أن يثق بالله فانه ينصره ولا يخذله ولما كان القرآن وما قص الله فيه لا يكاد يجدي عندهم أخبر تعالى عنهم انهم موتى القلوب أو شبهوا بالموتى وان كانوا أحياء صحاح الأبصار لانهم اذا تلي عليهم لا تعيه آذانهم فكانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى * وقرأ الجمهور ولا تسمع الصم هنا وفي الروم بضم التاء وكسر الميم الصم بالرفع ولما كان الميت لا يمكن أن يسمع لم يذكر له متعلق بل نفى الاسماع أي لا يقع منك اسماع لهم ألبتة لعدم القابلية وأما الاصم فقد يكون في وقت يمكن اسماعه وسماعه فأتى بمتعلق الفعل وهو الدعاء واذا معموله لتسمع وقيد نفي الاسماع أو السماع بهذا الظرف وما بعده على سبيل التأكيد لحال الأصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته شبههم أولا بالموتى ثم الصم في حالة ثم بالعمي فقال وما أنت بهادي العمي حيث يضلون الطريق فلا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويحول لهم هداه بصراء الا الله تعالى * وقرأ الجمهور بهادي العمي اسم فاعل مضاف ويحيى بن الحرث وأبو حيوة بهاد منونا العمي والأعمش وطلحة وابن وثاب وابن يعمر وحمزة تهدي مضارع هدى العمي بالنصب وابن مسعود وما أن تهتدي بزيادة ان بعد ما ويهتدي مضارع اهتدى والعمي بالرفع والمعنى ليس في وسعك ادخال الهدى في قلب من عمي عن الحق ولم ينظر اليه بعين قلبه * ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا وهم الذين علم الله أنهم يصدقون بآياته * فهم مسلمون منقادون للحق * وقال الزمخشري مسلمون مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا انتهى * واذا وقع القول عليهم أي اذا انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الأزلي من الله كقوله حقت كلمة العذاب فالمعنى اذا أراد الله أن ينفذ في الكافرين سابق علمه فيهم من العذاب أخرج لهم دابة تنفذ من الارض ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم والقول اما على حذف مضاف أي مضمون القول واما انه أطلق القول على المقول لما كان المقول مؤدى بالقول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب * وقال ابن مسعود وقع القول عليهم يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن انتهى وروي ان خروجها حين ينقطع الخير ولا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ولا يبقى منيب ولا تائب وفي الحديث ان الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول الاشراط ولم يعين الاول وكذلك الدجال وظاهر الاحاديث ان طلوع الشمس آخرها والظاهر أن الدابة التي تخرج هي واحدة * وروي أنه يخرج في كل بلد دابة مما هو مبثوث نوعها في الارض وليست واحدة فيكون قوله دابة اسم جنس * واختلفوا في ماهيتها وشكلها ومحل خروجها وعدد خروجها ومقدار ما تخرج منها وما تفعل بالناس وما الذي تخرج

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾ الآية الحشر الجمع على عنف من كل أمة أى من الأمم ومن هى للتبعيض فوجا أى جماعة كثيرة ﴿ممن يكذب بآياتنا﴾ من للبيان أى الذين يكذبون والآيات القرآن ﴿فهم يوزعون﴾ تقدّم تفسيره ﴿حتى اذا جاؤا﴾ أى الى الموقف ﴿قال أكذبتم﴾ استفهام توبيخ وتقريع واهانة ﴿ولم تحيطوا بها علما﴾ الظاهر ان الواو للحال أى أوقع تكذيبكم بها غير متدبرين لها ولا محيطين علما بكنهها وأم هنا منقطعة تتقدّر ببل وحدها انتقل من الاستفهام الذى يقتضى التوبيخ الى الاستفهام عن عملهم أيضا على جهة التوبيخ أى أى شئ كنتم تعملون والمعنى ان كان لكم عمل أو حجة فهاتوا وليس لهم عمل ولا حجة فيما عملوه الا الكفر والتكذيب وماذا بجملته يحتمل ان يكون استفهاما منصوبا بخبر كان وهو تعملون وان تكون ماهو الاستفهام وذا موصولة بمعنى الذى فيكونان مبتدأ وخبرا وكان صلة لذا والعائد محذوف تقديره أى شئ الذى كنتم تعملونه ﴿ووقع القول﴾ أى العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله ولما ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة ليرتدع بسماعها من أراد الله تعالى ارتداعه نبههم على ماهو دليل على التوحيد والحشر بما هم يشاهدونه فى حاله حياتهم وهو تقليب الليل والنهار من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى نور وفاعل ذلك واحد وهو الله تعالى * قال الزمخشرى وهو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا لتبصروا فيه طريق التقلب فى المكاسب انتهى الذى

يظهر أن هذا من باب ماحذف من أوله ماأثبت نظيره فى مقابله وحذف من آخره ماأثبت فى أوله فالتقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فالابصار ينشأ عنه التصرف فى المصالح ويدل عليه قوله وجعلنا آية النهار مبصرة فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف علة لجعل النهار مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعا فى البقرة فى قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾ تقدّم الكلام عليه وهذه النفخة هى نفخة الفزع وروى أبو هريرة ان الملك له فى الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع الحياة الدنيا وليس بالفزع الأكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وعبر هنا بالماضى فى قوله ففزع وان كان لم يقع اشعارا بصحة وقوعه وانه كائن لامحالة ﴿الامن شاء الله﴾ أى فلا ينالهم هذا الفزع وروى أبو هريرة حديثا انهم الشهداء متقلدون السيوف حول العرش وقد صححه القاضى أبو بكر بن العربى وقرئ أتوه فعلا ماضيا وآتوه اسم فاعل والضمير فى أتوه عائد

به اختلافا مضطربا متعارضا بعضه بعضا ويكذب بعضه بعضا فاطرحناذكره لان نقله تسويد للورق بما لا يصح وتضييع لزمان نقله * والظاهر ان قوله تكلمهم بالتشديد وهى قراءة الجمهور من الكلام ويؤيده قراءة أبى تنبئهم وفى بعض القرا آت تحدثهم وهى قراءة يحيى بن سلام وقراءة عبد الله بان الناس * قال السدى تكلمهم ببطلان سائر الأديان سوى الاسلام * وقيل تخاطبهم فتقول للمؤمن هذا مؤمن وللكافر هذا كافر * وقيل معنى تكلمهم تجرحهم من الكلم والتشديد للتكثير ويؤيده قراءة ابن عباس ومجاهد وابن جبير وأبى زرعة والجحدرى وأبى حيوة وابن أبى عبلة تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف مخفف اللام وقراءة من قرأ تجرحهم مكان تكلمهم وسأل أبو الحوراء ابن عباس تكلم أو تكلم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر انتهى * وروى انها تسم الكافر فى جبهته وتربده وتمسح على وجه المؤمن فتبيضه * وقرأ الكوفيون وزيد بن على ان الناس بفتح الهمزة وابن مسعود بان وتقدم وباقى السبعة ان بكسر الهمزة فاحتمل الكسر أن يكون من كلام الله وهو الظاهر لقوله بآياتنا واحتمل أن يكون من كلام الدابة وروى هذا عن ابن عباس وكسر ان هذا على القول اما على اضمار القول أو على اجراء تكلمهم اجراء تقول لهم * ويكون قوله بآياتنا على حذف مضاف أو لاختصاصها بالله كما تقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وعلى قراءة الفتح فالتقدير بان كقراءة عبد الله والظاهر انه متعلق بتكلمهم أى تخاطبهم بهذا الكلام ويجوز أن تكون الباء المنطوق بها أو المقدرة سببية أى تخاطبهم أو تجرحهم بسبب انتفاء ايقانهم بآياتنا ﴿ ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله وكل أتوه

على الموقف ويجوز ان يراد رجوعهم الى الله وانقيادهم له و﴿داخرين﴾ حال ومعناه منقادين ذليلين ﴿وترى الجبال﴾ هو من رؤية العين ﴿تحسبها﴾ حال من فاعل ترى أو من الجبال وجامدة من جمد مكانه اذا لم يبرح منه وهذه الحال للجبال عقيب النفخ في الصور وهي أول أحوال الجبال تموج وتسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ثم تكون هباء منبثا في آخر الأمر ﴿وهي تمر مر السحاب﴾ جملة حالية أي تحسبها في رأي العين ثابتة مقيمة في أماكنها وهي سائرة وتشبيه مرورها بمر السحاب في كونها تمر مرا حثيثا كمر السحاب وانتصب ﴿صنع الله﴾ على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تليها فالعامل فيه مضمر من لفظه والحسنة الايمان ورتب على ذلك شيئين أحدهما انه له خير منها ويظهر ان خير ليس أفعل تفضيل ومن لابتداء الغاية أي له خير من الخبور مبدؤه ومنشؤه منها أي من جهة هذه الحسنة أو خيرهنا الثواب والأجر الأمن من الفزع وقرئ من فزع بالتنوين * ويومئذ منصوب على الظرف معمول لقوله آمنون أو لفزع أو في موضع الصفة لفزع أي كائن في ذلك الوقت وقرئ

باضافة فزع الى يومئذ بكسر الميم حركة اعراب وفتحها حركة بناء لاضافته الى مبني والتنوين في يومئذ تنوين العوض حذفت الجملة وعوض منها والاولى ان تكون الجملة المحذوفة ماقرب من الظرف أي يوم اذ جاء بالحسنة والسيئة الكفر والمعاصي فمن ختم الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار وخصت الوجوه اذ كانت أشرف الاعضاء ويلزم من كبها في النار كب الجميع أو عبر بالوجه عن جملة الانسان والظاهر من كب أنهم يلقون في النار منكوسين

أعلاهم قبل أسفلهم ﴿هل تجزون﴾ خطاب لهم على اضمار القول أي يقال لهم وقت الكب هل تجزون ثم أمر تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام ان يقول ﴿انما أمرت﴾ والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ﴿أن أعبد﴾ أي أفرده بالعبادة والبلدة هي مكة وأسند التحريم اليه تشريفا لها واختصاصا ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ أي المنقادين لامر الله فأعبده كما أمرني ﴿وان أتلو القرآن﴾ أي أتلو عليكم القرآن ﴿فمن اهتدى﴾ به ووحد الله تعالى وامتثل أمر نبيه عليه الصلاة والسلام وآمن بما جاء به فثمرة هدايته مختصة به ﴿ومن ضل﴾ فوبال ضلاله مختص به حذف جواب من ضل لدلالة مقابله عليه ويحتمل ان يكون ﴿انما أنا من المنذرين﴾ ويحتاج الى رابط يعود على من تقديره من المنذرين له ﴿وقل الحمد لله﴾ أمر ان يقول ذلك فيحمد ربه على ماخصه به من شرف النبوة والرسالة ﴿سيريكم آياته﴾ تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم الى معرفتها والاقرار الى أنها آيات الله تعالى ولما قسمهم الى مهتد وضال أخبر تعالى انه محيط بأعمالهم غير غافل عنها وقرئ تعملون بتاء الخطاب التفاتا من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة

داخرين وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء انه خبير بما تفعلون من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون * أي اذكر يوم نحشر والحشر الجمع على عنف * من كل أمة أي من الأمم ومن هي للتبعيض * فوجا أي جماعة كثيرة * ممن يكذب بآياتنا من للبيان أي الذين يكذبون * والآيات الأنبياء أو القرآن أو الدلائل أقوال * فهم يوزعون تقدم تفسيره في أول قصة سليمان من هذه السورة * وعن ابن مسعود أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة بين يدي أهل مكة ولذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم الى النار * حتى اذا جاؤا أي الى الموقف * قال أكذبتم بآياتي استفهام توبيخ وتقريع واهانة * ولم تحيطوا بها علما الظاهر ان الواو للحال أي أوقع تكذيبكم بها غير متدبرين لها ولا محيطين علما بكنهها ويجوز أن تكون الواو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودها لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه اليه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويحيط بمعانيه علما * وقيل ولم تحيطوا بها علما أي ببطلانها حتى تعرضوا عنها بل كذبتم جاهلين غير مستدلين وأم هنا منقطعة وينبغي أن تقدر ببل وحدها انتقل من الاستفهام الذي يقتضي التوبيخ الى الاستفهام عن عملهم أيضا على جهة التوبيخ أي أي شيء كنتم تعملون والمعنى ان كان لكم عمل أو حجة فهاتوا وليس لهم عمل ولا حجة فيما عملوه الا الكفر والتكذيب وماذا بجملته يحتمل أن يكون استفهاما منصوبا بخبر كان وهو تعملون وان يكون ماهو الاستفهام وذا موصول بمعنى

الذي فيكونان مبتدأ وخبرا وكان صلة لذا والعائد محذوف أي تعملونه * وقرأ أبو حيوة أماذا بتخفيف الميم أدخل أداة الاستفهام على اسم الاستفهام على سبيل التوكيد * ووقع القول أي العذاب الموعود به بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله * فهم لا ينطقون أي بحجة ولاعذر لما شغلهم من عذاب الله * وقيل يختم على أفواههم فلا ينطقون وانتفاء نطقهم يكون في موطن من مواطن القيامة أو من فريق من الناس لأن القرآن يقتضي أنهم يتكلمون بحجج في غير هذا الموطن ولما ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة ليرتدع بسماعها من أراد الله تعالى ارتداعه نبههم على ما هو دليل على التوحيد والحشر والنبوة بما هم يشاهدونه في حال حياتهم وهو تقليب الليل والنهار من نور الى ظلمة ومن ظلمة الى نور وفاعل ذلك واحد وهو الله تعالى فيجب أن يفرد بالعبادة والألوهية وفي هذا التقليب دليل على القلب من حياة الى موت ومن موت الى حياة أخرى وفيه دليل أيضا على النبوة لان هذا التقليب هو لمنافع المكلفين ولهذا علل ذلك الجعل بقوله لتسكنوا فيه وبعثه الانبياء لتحصيل منافع الخلق وأضاف الابصار الى النهار على سبيل المجاز لما كان يقع فيه أضافه اليه كما تقول ليلك نائم وعلل جعل الليل بقوله لتسكنوا فيه أي لان يقع سكونهم فيه مما يلحقهم من التعب في النهار واستراحة نفوسهم * قال بعض الرجاز

النوم راحة القوى الحسيه * من حركات والقوى النفسيه

ولم يقع التقابل في جعل النهار بالنص على علته فيكون التركيب والنهار لتبصروا فيه بل أتى بقوله مبصرا قيدا في جعل النهار لا علة للجعل * فقال الزمخشري هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا لتبصروا فيه طريق التقلب في المكاسب انتهى والذي يظهر ان هذا من باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله وحذف من آخره ما أثبت في أوله فالتقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فالاظلام ينشأ عنه السكون والابصار ينشأ عنه التصرف في المصالح ويدل عليه قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف علة لجعل النهار مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعا في البقرة في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق * ان في ذلك أي في هذا الجعل لآيات لقوم يؤمنون لما كان لا ينتفع بالفكر في هذه الآيات الا المؤمنون خصوا بالذكر وان كانت آيات لهم ولغيرهم * ويوم ينفخ في الصور تقدم القول في الصور في سورة الانعام وهذه النفخة هي نفخة الفزع وروى أبو هريرة أن الملك له في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس بالفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور * وقيل نفختان جعلوا الفزع والصعق نفخة واحدة واستدلوا بقوله ثم نفخ فيه أخرى ويأتي الكلام في ذلك ان شاء الله * وقال صاحب الغنيان ويوم ينفخ في الصور للبعث من القبور والحشر وعبر هنا بالماضي في قوله ففزع وان كان لم يقع اشعارا بصحته ووقوعه وأنه كائن لا محالة وهذه فائدة وضع الماضي موضع المستقبل كقوله تعالى فأوردهم النار بعد قوله يقدم قومه يوم القيامة * الا من شاء الله أي فلا ينالهم هذا الفزع لتثبيت الله قلبه * فقال مقاتل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام واذا كان الفزع الاكبر لا ينالهم فهم حريون أن لا ينالهم هذا * وقال الضحاك الحور العين وخزنة النار وحملة العرش * وعن جابر منهم موسى لانه صعق مرة * وقال أبو هريرة هم الشهداء ورواه أبو هريرة حديثا وهو أنهم هم الشهداء عند ربهم يرزقون وهو قول ابن جبير قال هم

(الدر)

(ح) لم يقع التقابل في جعل النهار بالنص على علته فيكون التركيب والنهار لتبصروا فيه بل أتى بقوله مبصرا قيدا في جعل النهار لا علة للجعل (ش) هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لان معنى مبصرا لتبصروا فيه طريق التقلب في المكاسب (ح) الذي يظهر ان هذا من باب ما حذف من أوله ما أثبت في مقابله وحذف من آخره ما أثبت في أوله فالتقدير جعلنا الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه فالاظلام ينشأ عنه السكون والابصار ينشأ عنه التصرف في المصالح ويدل عليه قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم فالسكون علة لجعل الليل مظلما والتصرف علة لجعل النهار مبصرا وتقدم لنا الكلام على نظير هذين الحذفين مشبعا في البقرة في قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق

الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذى أتقن كل شئ يعنى أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانه اضماده ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد لصحته والمنادى على سداده وأنه ما كان ينبغى أن يكون الا كما كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد ما رسمها باضافتها اليه

الشهداء متقلدو السيوف حول العرش * وقيل هم المؤمنون لقوله وهم من فزع يومئذ آمنون * قال بعض العلماء ولم يرد فى تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل * قال القرطبى خفى عليه حديث أبى هريرة وقد صححه القاضى أبو بكر بن العربى فيعول عليه فى التعيين وغيره اجتهاد وهذا النفخ هو حقيقة اما فى القرن واما فى الصور وهو قول الاكثرين * وقيل يجوز أن يكون تمثيلا لدعاء الموتى فان خروجهم من قبورهم كخروج الجيش عند سماع الصوت فيكون ذلك مجازا والاول قول الاكثرين وهو الصواب لكثرة ورود النفخ فى الصور فى القرآن وفى الحديث الصحيح * وقيل ففزع ليس من الفزع بمعنى الخوف وانما معناه أجاب وأسرع الى البقاء * وكل أتوه المضاف اليه كل محذوف تقديره وكلهم * وقرأ الجمهور آتوه اسم فاعل وعبد الله وحمزة وحفص أتوه فعلا ماضيا وفى القراءتين روعى معنى كل من الجمع وقتادة أتاه فعلا ماضيا مسند الضمير كل على لفظها وجمع داخرين على معناها * وقرأ الحسن والاعمش دخرين بغير ألف * قيل ومعنى آتوه حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم الى أمره وانقيادهم له * وترى الجبال هو من رؤية العين تحسبها حال من فاعل ترى أو من الجبال * وجامدة من جمد مكانه اذا لم يبرح منه وهذه الحال للجبال عقيب النفخ فى الصور وهى أول أحوال الجبال تموج وتسير ثم ينسفها الله فتصير كالعهن ثم تكون هباء منبثا فى آخر الامر * وهى تمر مر السحاب جملة حالية أى تحسبها فى رأى العين ثابتة مقيمة فى أماكنها وهى سائرة وتشبيه مرورها بمر السحاب * قيل فى كونها تمر مرا حثيثا كما مر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة الجعدى فى صفة جيش

نار عن مثل الطود تحسب انهم * وقوف لحاج والركاب تهملج

* وقيل شبه مرورها بمر السحاب فى كونها تسير سيرا وسطا كما قال الاعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها * مر السحابة لا ريث ولا عجل

وحسبان الرائى الجبال جامدة مع مرورها * قيل لهول ذلك اليوم فليس له ثبوت ذهن فى الفكر فى ذلك حتى يتحقق كونها ليست بجامدة * وقال أبو عبد الله الرازى الوجه فى حسبانهم أنها جامدة أن الاجسام الكبار اذا تحركت حركة سريعة على نهج واحد فى السمت ظن الناظر اليها أنها واقفة وهى تمر مرا حثيثا انتهى * وقيل وصف تعالى الجبال بصفات مختلفة ترجع الى تفريغ الارض منها وابراز ما كانت تواريه فأول الصفات ارتجاجها ثم صيرورتها كالعهن المنفوش ثم كالهباء بأن تتقطع بعد أن كانت كالعهن ثم نسفها وهى مع الاحوال المتقدمة قارة فى مواضعها والارض غير بارزة وبالنسف برزت ونسفها بارسال الرياح عليها ثم تطييرها الريح فى الهواء كأنها غبار ثم كونها سرابا فاذا نظر الى مواضعها لم تجد فيها شيأ كالسراب * وقال مقاتل بل تقع على الارض فتسوى بها * وانتصب صنع الله على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التى تليها فالعامل فيه مصدر من لفظه * وقال الزمخشرى صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا أن مؤكده

بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كل شئ ومن أحسن من الله صبغة ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله (ح) هذا الذى ذكره من سقاسقه وتكثيره فى الكلام واحتياله فى ادارة ألفاظ القرآن لما عليه من مذاهب المعتزلة والذى يظهر أن صنع الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة وهى جملة الحال أى صنع الله بها ذلك وهو قلعها من الأرض ومرها مر أمثل

محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ فى الصور فكان كيت وكيت أثاب الله
المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء
التى أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذى أتقن كل شئ يعنى ان مقابلته
الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه
عالم بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك * ثم لخص ذلك بقوله من جاء
بالحسنة فله الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة اضماده
ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولأمر ما أعجز القوى وأخرس
الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد لصحته والمنادى على سداده وأنه
ما كان ينبغى أن يكون الا كما كان ألا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرة الله بعد
ما رسمها باضافتها اليه تسمية التعظيم كيف تلاها بقوله الذى أتقن كل شئ ومن أحسن من الله صبغة
ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله انتهى وهذا الذى ذكر من نقاشقه وتكثيره فى
الكلام واحتياله فى ادارة ألفاظ القرآن لما عليه من مذاهب المعتزلة والذى يظهر ان صنع الله
مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة وهى جملة الحال أى صنع الله بها ذلك وهو قلعها من الأرض
ومرّها مرّا مثل مر السحاب وأما قوله الآن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ الى قوله
صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة فذلك لا يصح لان المصدر المؤكد لمضمون الجملة لا يجوز حذف جملته
لانه منصوب بفعل من لفظه فيجتمع حذف الفعل الناصب وحذف الجملة التى أكد مضمونها
بالمصدر وذلك حذف كثير مخل ومن تتبع مساق هذه المصادر التى تؤكد مضمون الجملة وجد الجمل
مصرحا بها لم يرد الحذف فى شئ منها اذ الأصل أن لا يحذف المؤكد اذ الحذف ينافى التوكيد لانه من
حيث أكد معتنى به ومن حيث حذف غير معتنى به * وقيل انتصب صنع الله على الاغراء بمعنى
انظر واصنع الله * وقرأ العربيان وابن كثير يفعلون بالياء وباقى السبعة بتاء الخطاب ولما ذكر
علامات القيامة ذكر أحوال المكلفين بعد قيام الساعة * والحسنة الايمان * وقال ابن عباس والنخعى
وقتادة هى لا إله الا الله ورتب على مجئ المكلف بالحسنة شيئين * أحدهما انه له خير منها ويظهر ان
خيرا ليس أفعل تفضيل ومن لابتداء الغاية أى له خير من الخيور مبدؤه ونشوءه منها أى من جهة هذه
الحسنة والخير هنا الثواب * وهذا قول الحسن وابن جريج وعكرمة * قال عكرمة ليس شئ خيرا من
لا إله الا الله يريد انها ليست أفعل التفضيل * وقيل أفعل التفضيل * فقال الزمخشرى فله خير منها
يريد الاضعاف وان العمل ينقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد انتهى وقوله
وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد تركيب مختلف فيه فبعض العلماء منعه والصحيح جوازه * وقال
ابن عطية يحتمل أن يكون للتفضيل ويكون فى قوله منها حذف مضاف تقديره خير من قدرها
واستحقاقها بمعنى ان الله تعالى تفضل عليه فوق ما تستحق حسنته * قال ابن زيد يعطى بالواحدة
عشرا والداعية الى هذا التقدير ان الحسنة لا يتصور بينها وبين الثواب تفضيل انتهى * وقيل ثواب
المعرفة الحاصلة فى الدنيا هى المعرفة الضرورية الحاصلة فى الآخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم
وقد دلت الدلائل على أن أشرف السعادات هى هذه اللذة ولو لم تحمل الآية على ذلك لزم أن يكون
الأكل والشرب خيرا من معرفة الله تعالى وذلك لا يكون * وقرأ الكوفيون من فزع بالتنوين
ويومئذ منصوب على الظرف معمول لقوله آمنون أو لفزع ويدل على انه معمول له قراءة من

(الدر)

مر السحاب وأما قوله الآن مؤكده محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ الى قوله صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة فذلك لا يصح لأن المصدر المؤكد لمضمون الجملة لا يجوز حذف جملته لانه منصوب بفعل من لفظه فيجتمع الفعل الناصب وحذف الجملة التى أكد مضمونها بالمصدر وذلك حذف كثير مخل ومن تتبع مساق حذف هذه المصادر التى تؤكد مضمون الجملة وجد الجمل مصرحا بها لم يرد الحذف فى شئ منها اذ الاصل أن لا يحذف المؤكد اذ الحذف ينافى التوكيد لانه من حيث أكد معتنى به ومن حيث حذف غير معتنى به وقيل انتصب صنع الله على الاغراء بمعنى انظر واصنع الله (ش) فله خير منها يريد الاضعاف وان العمل ينقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد (ح) قوله وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد تركيب مختلف فيه فبعض العلماء منعه والصحيح جوازه

أضافه اليه أو في موضع الصفة لفزع أي كائن في ذلك الوقت * وقرأ باقي السبعة باضافة فزع الى يومئذ فكسر الميم العربيان وابن كثير واسماعيل بن جعفر عن نافع وفتحها بناء لاضافته الى غير متمكن نافع في غير رواية اسماعيل * والتنوين في يومئذ تنوين العوض حذفت الجملة وعوض منها والأولى أن تكون الجملة المحذوفة ماقرب من الظرف أي يوم إذ جاء بالحسنة ويجوز أن يكون التقدير يوم إذ ترى الجبال ويجوز أن يكون التقدير يوم إذ ينفخ في الصور ولاسيما اذا فسر بانه نفخ القيام من القبور للحساب ويكون الفزع إذ ذاك واحدا * وقال أبو علي مامعناه من فزع بالتنوين أو بالاضافة ويجوز أن يراد به فزع واحد وأن يراد به الكثرة لانه مصدر فان أريد الكثرة شمل كل فزع يكون في القيامة وان أريد الواحد فهو الذي أشير اليه بقوله لا يحزنهم الفزع الأكبر * وقال الزمخشري (فان قلت) ما الفرق بين الفزعين (قلت) الفزع الأول مالا يخلو منه أحد عند الاحساس بشدة تقع وهو يفجأ من رعب وهيبة وان كان المحسن يأمن لحاق الضرر به * والثاني الخوف من العذاب انتهى والسيئة الكفر والمعاصي ممن حتم الله عليه من أهل المشيئة بدخول النار وخصت الوجوه إذ كانت أشرف الأعضاء ويلزم من كبها في النار كب الجميع أو عبر بالوجه عن جملة الانسان كما يعبر عنها بالرأس والرقبة كما قال فكبكبوا فيها فكأنه قيل فكبوا في النار والظاهر من كبت أنهم يلقون في النار منكوسين قاله أبو العالية أعلاهم قبل أسفلهم ويجوز أن يكون ذلك كناية عن طرحهم في النار قاله الضحاك * هل تجزون خطاب لهم على اضمار القول أي يقال لهم وقت الكب هل تجزون ثم أمر تعالى نبيه أن يقول انما أمرت والآمر هو الله تعالى على لسان جبريل أو دليل العقل على وحدانية الله تعالى * أن أعبد أي أفرده بالعبادة ولا أتخذ معه شريكا كما فعلت قريش وهذه اشارة تعظيم كقوله وهذا كتاب أنزلناه هذا ذكر من معي من حيث هي موطن نبيه ومهبط وحيه * والبلدة مكة وأسند التحريم اليه تشريفا لها واختصاصا ولا تعارض بين قوله الذي حرمها وقوله عليه السلام ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة لان اسناد ذلك الى الله من حيث كان بقضائه وسابق علمه واسناده الى ابراهيم من حيث كان ظهور ذلك بدعائه ورغبته وتبليغه لأمته وفي قوله حرمها تنبيه بنعمته على قريش إذ جعل بلدتهم آمنة من الغارات والفتن التي تكون في بلاد العرب وأهلك من أرادها بسوء * وقرأ الجمهور الذي صفة للرب * وقرأ ابن مسعود وابن عباس التي حرمها صفة للبلدة ولما أخبر انه مالك هذه البلدة أخبر انه يملك كل شئ فقال وله كل شئ أي جميع الأشياء داخلة في ربوبيته فشرفت البلدة بذكر اندراجها تحت ربوبيته على جهة الخصوص وعلى جهة العموم * وأمرت أن أكون من المسلمين أي من المستسلمين المنقادين لأمر الله فاعبده كما أمرني أو من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام المشار اليهم في قوله هو سماكم المسلمين * وأن أتلو القرآن امامن التلاوة أي وأن أتلو عليكم القرآن وهذا الظاهر إذ بعده التقسيم المناسب للتلاوة وامامن المتلو أي وأن أتبع القرآن كقوله واتبع مايوحى اليك * وقرأ الجمهور وأن أتلو * وقرأ عبد الله وأن اتل بغير واو أمرا من تلا فجاز أن تكون أن مصدرية وصلت بالأمر وجاز أن تكون مفسرة على اضمار وأمرت أن أتل أي اتل * وقرأ أبي واتل هذا القرآن جعله أمرا دون أن * فمن اهتدى به ووحد الله ونبيه وآمن بما جاء به فثمرة هدايته مختصة به * ومن ضل فوبال اضلاله مختص به وحذف جواب من ضل لدلالة جواب مقابله عليه أو يقدر في قوله فقل انما أنا من المنذرين ضمير حتى يربط الجزاء بالشرط إذ أداة الشرط اسم وليس ظرفا فلابد في جملة الجواب

من ذكر يعود عليه ملفوظ به أو مقدر فتكون هذه الجملة هي جواب الشرط و يقدر الضمير من المنذرين له ليس علي الا انذاره وأما هدايته فالى الله * وقل الحمد لله أمر أن يقول ذلك فيحمد ربه على ما خصه به من شرف النبوة والرسالة واختصه من رفيع المنزلة * سيريكم آياته تهديد لأعدائه بما يريهم الله من آياته التي تضطرهم الى معرفتها والاقرار انها آيات الله * قال الحسن وذلك في الآخرة حتى لا تنفعهم المعرفة * وقال الكلبي في الدنيا وهي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله * وقيل يوم بدر * وقيل خروج الدابة ولو بعد حين * وقيل آياته في أنفسكم وفي سائر ما خلق مثل قوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم * وقيل معجزات الرسول وأضافها اليه لانه هو مجريها على يدي رسوله ومظهرها من جهته * فتعرفونها أي حقيقتها ولا يسعكم جحودها * وقرأ الجمهور عما يعملون بياء الغيبة التفاتا من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة ونافع وابن عامر بتاء الخطاب لقوله سيريكم ولما قسمهم الى مهتد وضال أخبر تعالى أنه محيط بأعمالهم غير غافل عنها

﴿ مفردات سورة القصص ﴾

* الوكز الضرب باليد مجموعا كعقد ثلاث وسبعين * وقيل بجمع كفه * وقيل الوكز والنكز واللهز واللكز الدفع بأطراف الأصابع * وقيل الوكز على القلب واللكز على اللحى * وقيل الوكز بأطراف الأصابع * ذادطرد ودفع * وقال الفراء حبس * جذوت الشيء جذوا قطعته والجذوة عود فيه نار بلا لهب * قال ابن مقبل

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوّار ولا دعر

* الخوّار الذي يتقصف والدعر الذي فيه تعب * وقال آخر

وألقى على قبس من النار جذوة * عليها جمها والتهابها

* وقيل الجذوة مثلث الجيم العود الغليظ كانت في رأسه نار أو لم تكن * وقال السلمي يصف الصلى

حمى حب هذي النار حب خليلتي * وحب الغواني فهو دون الحبائب

و بدلت بعد المسك والبان شقوة * دخان الجذا في رأس أشمط شاحب

* الشاطيء والشط حفة الوادي * الفصاحة بسط اللسان في إيضاح المعنى المقصود ومقابله اللكن * الردء المعين الذي يشد به في الامر فعل بمعنى مفعول فهو اسم لما يعان به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به * قال سلامة بن جندل

وردء كل أبيض مشرفي * شحيذ الحد عضب ذي فلول

ويقال ردأت الحائط أردؤه اذا دعمته بخشبة لئلا يسقط * وقال أبو عبيدة العون و يقال ردأته على عدوه أعنته * المقبوح المطرود * وقال الشاعر

ألا قبح الله البراجم كلها * وجدع يربوعا وعفر دارما

* ثوى يثوي ثواء أقام * قال الشاعر

لقد كان في حول ثواء ثويته * تقضي لبانات ويسأم سائم

* وقال العجاج * فبات حيث يدخل الثوي * أي الضيف المقيم * البطر الطغيان * السرمد الدائم الذي لا ينقطع

﴿ سورة القصص وهي ثمان وثمانون آية مكية ﴾

﴿سورة القصص﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ الآية هذه السورة مكية كلها وقيل غير ذلك * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها أنه تعالى أمر نبيه بحمده ثم قال سيريكم آياته وكان مما فسر به آياته تعالى معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام وانه أضافها تعالى اليه اذ كان هو المجرى بها على يديه فقال تلك آيات الكتاب المبين فاضافها الى الكتاب اذ الكتاب هو أعظم المعجزات وأكثر الآيات البينات والكتاب هو القرآن ﴿نتلو﴾ أي نقرأ عليك بقراءة جبريل عليه السلام ومفعول نتلو ﴿من نبأ﴾ أي بعض نبأ و﴿بالحق﴾ متعلق بنتلو أي محقين أو في موضع الحال من نبأ أي متلبسا بالحق وخص المؤمنين لانهم هم المنتفعون بالتلاوة ﴿علا في الارض﴾ أي تجبر واستكبر حتى ادعى الربوبية والالهية والارض أرض مصر * والشيع الفرق ملك القبط واستعبد بني اسرائيل ﴿ونرى﴾ حكاية حال ماضية والجملة معطوفة على قوله ان فرعون لان كلتيهما تفسير للنبأ و﴿ان نمن﴾ أي بخلاصهم من فرعون واغراقه ﴿ونجعلهم أئمة﴾ أي مقتدى بهم في الدين والدنيا ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أي يرثون فرعون وقومه ملكهم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ هذه السورة مكية كلها قاله الحسن وعطاء وعكرمة * وقال مقاتل فيها من المدني الذين آتيناهم الكتاب من قبله الى قوله لانبتغي الجاهلين * وقيل نزلت بين مكة والجحفة * وقال ابن عباس بالجحفة في خروجه عليه السلام للهجرة * وقال ابن سلام نزل إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد بالجحفة وقت الهجرة الى المدينة * ومناسبة أول هذه السورة لآخر السورة قبلها انه أمره تعالى بحمده ثم قال سيريكم آياته وكان مما فسر به آياته تعالى معجزات الرسول وانه أضافها تعالى اليه اذ كان هو المخبر بها على قدمه فقال تلك آيات الكتاب اذ كان الكتاب هو أعظم المعجزات وأكبر الآيات البينات والظاهر أن الكتاب هو القرآن * وقيل اللوح المحفوظ نتلو أي نقرأ عليك بقراءة جبريل أو نقص ومفعول نتلو من نبأ أي بعض نبأ وبالحق متعلق بنتلو أي محقين أو في موضع الحال من نبأ أي متلبسا بالحق وخص المؤمنين لانهم هم المنتفعون بالتلاوة * علا في الأرض أي تجبر واستكبر حتى ادعى الربوبية والالهية والارض أرض مصر والشيع الفرق ملك القبط واستعبد بني اسرائيل أي يشيعونه على ما يريد أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو ناسا في بناء وناسا في حفر وغير ذلك من الحرف الممتهنة ومن لم يستخدمه ضرب عليه الجزية أو أغرى بعضهم ببعض ليكونوا له أطوع والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل والظاهر أن يستضعف استئناف يبين حال بعض الشيع ويجوز أن يكون حالا من ضمير وجعل وأن تكون صفة لشيعا ويذبح تبيين للاستضعاف وتفسير أو في موضع الحال من ضمير يستضعف أو في موضع الصفة لطائفة * وقرأ الجمهور يذبح مضعفا وأبو حيوة وابن محيصن بفتح الياء وسكون الذال * انه كان من المفسدين علة لتجبره ولتذبيح الابناء اذ ليس في ذلك الا مجرد الفساد * ونريد حكاية حال ماضية والجملة معطوفة على قوله ان فرعون لان كلتيهما تفسير للنبأ ويضعف أن يكون حالا من الضمير في يستضعف لاحتياجه الى اضمار مبتدا أي ونحن نريد وهو ضعيف واذا كانت حالا فكيف يجتمع استضعاف فرعون وارادة المنة من الله ولا يمكن الاقتران * فقيل لما كانت المنة بخلاصهم من فرعون قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم * وأن نمن أي بخلاصهم من فرعون واغراقه * ونجعلهم أئمة أي مقتدى بهم في الدين والدنيا * وقال مجاهد دعاة الى الخير * وقال قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا * وقال الضحاك أنبياء ونجعلهم الوارثين أي يرثون فرعون وقومه

وما كان لهم * والتمكين التوطئة في الارض وهي أرض مصر والشام بحيث ينفذ أمرهم ويتسلطون على من سواهم وقرئ ونرى مضارع أرى ونصب ما بعده ويرى مضارع رأى ورفع ما بعده ﴿وهامان﴾ وزير فرعون و﴿يحذرون﴾ أي من زوال ملكهم واهلاكهم على يدي مولود من بني اسرائيل

﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه ﴾ الآية الظاهر أن الايحاء هنا هو ارسال ملك اليها لقوله بعد انا رادوه اليك وأجمعوا على أنها لم تكن نبية والظاهر أن هذا الايحاء هو بعد الولادة فيكون ثم جملة محذوفة أي وضعت موسى

ملكهم وما كان لهم * وعن علي الوارثون هم يوسف عليه السلام وولده وعن قتادة أيضا ورثوا أرض مصر والشام * وقرأ الجمهور ونمكن عطفا على نمن * وقرأ الاعمش ولنمكن بلام كي أي وأردنا ذلك لنمكن أو ولنمكن فعلنا ذلك والتمكين التوطئة في الارض هي أرض مصر والشام بحيث ينفذ أمرهم ويتسلطون على من سواهم * وقرأ الجمهور ونرى مضارع أرينا ونصب ما بعده * وعبد الله وحمزة والكسائي ويرى مضارع رأى ورفع ما بعده * وهامان وزير فرعون واحد رجاله وذكر لنباهته في قومه ومحله من الكفر ألا ترى الى قوله له يا هامان ابن لي صرحا * ويحذرون أي زوال ملكهم واهلاكهم على يدي مولود من بني اسرائيل ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون ﴾ ايحاء الله الى أم موسى الهام وقذف في القلب قاله ابن عباس وقتادة أو منام قاله قوم أو ارسال ملك قاله قطرب وقوم وهذا هو الظاهر لقوله إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وأجمعوا على أنها لم تكن نبية فان كان الوحي بارسال ملك كما هو الظاهر فهو كارساله للأقرع والأبرص والاعمى وكما روي من تكليم الملائكة للناس والظاهر أن هذا الايحاء هو بعد الولادة فيكون ثم جملة محذوفة أي ووضعت موسى أمه في زمن الذبح وخافت عليه * وأوحينا وان تفسيرية أو مصدرية * وقيل كان الوحي قبل الولادة * وقرأ عمرو بن عبد الواحد وعمر بن عبد العزيز أن ارضعيه بكسر النون بعد حذف الهمزة على غير قياس لان القياس فيه نقل حركة الهمزة وهي الفتحة الى النون كقراءة ورش * فاذا خفت عليه من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الأولاد فألقيه في اليم * قال الجنيد اذا خفت حفظه بواسطة فسلميه الينا بالقائه في البحر واقطعي عنك شفقتك وتدبيرك وزمان ارضاعه ثلاثة أشهر أو أربعة أو ثمانية أقوال * واليم هنا نيل مصر * ولا تخافي أي من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني لمفارقتك اياه انا رادوه اليك وعد صادق يسكن قلبها ويبشرها بحياته وجعله رسولا وقد تقدم في سورة طه طرف من حديث التابوت ورميه في اليم وكيفية التقاطه فأغنى عن اعادته واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعرا فقالت أبعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى الآية فصاحة وقد جمع بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين * فالتقطه آل فرعون في الكلام حذف تقديره ففعلت ما أمرت به من ارضاعه ومن القائه في اليم واللام في ليكون للتعليل المجازي لما كان مآل التقاطه وتربيته الى كونه عدوا لهم وحزنا وان كانوا لم يلتقطوه الا للتبني وكونه يكون حبيبا لهم ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة * وقرأ الجمهور وحزنا بفتح الحاء والزاي وهي لغة قريش * وقرأ ابن وثاب وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي وابن سعدان بضم الحاء واسكان الزاي والخاطئ المتعمد الخطأ والمخطئ الذي لا يتعمده واحتمل أن يكون في الكلام حذف وهو الظاهر أي فكان لهم عدوا وحزنا أي لانهم كانوا خاطئين لم يرجعوا الى

أمه في زمن الذبح وخافت عليه فأوحينا وأن تفسيرية أو مصدرية ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ من جواسيس فرعون ونقبائه الذين يقتلون الاولاد ﴿ فألقيه في اليم ﴾ واليم هنا نيل مصر ﴿ ولا تخافي ﴾ أي من غرقه وضياعه ومن التقاطه فيقتل ولا تحزني لمفارقتك اياه ﴿ إنا رادوه اليك ﴾ وعد صادق بتسكين قلبها وتبشيرها وجعله رسولا وقد تقدم طرف من هذا الكلام في طه واستفصح الأصمعي امرأة من العرب أنشدت شعرا فقالت أبعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى الآية فصاحة وقد جمع أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ﴿ فالتقطه ﴾ في الكلام حذف تقديره ففعلت ما أمرت به من ارضاعه ومن القائه في اليم واللام في ليكون للتعليل المجازي لما كان مآل التقاطه وتربيته الى كونه عدوا لهم وحزنا وان كانوا لم يلتقطوه الا للتبني وكونه حبيبا يكون لهم ويعبر عن هذه اللام بلام العاقبة وبلام الصيرورة

وقرة خبر مبتدأ محذوف هو قرة وتقدم شرح القرة ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ جملة حالية أي لا يشعرون أنه الذي يفسد ملكهم على يديه ﴿ ان فرعون ﴾ جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم

لموعود الله تعالى وجواب لولا محذوف تقديره لابدت به والظاهر أن الضمير فى به عائد على موسى فالباء زائدة أى لتظهره وقيل مفعول تبدى محذوف أى لتبدى القول به أى بسببه وانه ولدها ﴿قالت لأخته قصيه﴾ أى اتبعى أثره وتتبعى خبره فروى انها خرجت فى سكك المدينة مختفية فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون له امرأة ترضعه حين لم يقبل المراضع وفى الكلام حذف تقديره فقصت أثره ﴿فبصرت به﴾ أى أبصرته ﴿عن جنب﴾ أى عن بعد ﴿وهم لا يشعرون﴾ بطلبها اياه ولا بابصارها وعن جنب عن شوق اليه ﴿وحرمنا عليه﴾ التحريم هنا بمعنى المنع أى منعناه أن يرضع ندى امرأة والمراضع جمع مرضع وهى المرأة التى ترضع ﴿فقالت هل أدلكم﴾ تقدم الكلام عليه والظاهر أن الضمير

دينه وتعمدوا الجرائم والكفر بالله * وقال المبرد خاطئين على أنفسهم بالتقاطه * وقيل بقتل أولاد بنى اسرائيل * وقيل فى تربية عدوهم وأضيف الجند هنا وفيما اقبل الى فرعون وهامان وان كان هامان لا جنود له لان أمر الجنود لا يستقيم الا بالملك والوزير اذ بالوزير تحصل الاموال و بالملك وقهره يتوصل الى تحصيلها ولا يكون قوام الجند الا بالأموال * وقرئ خاطيين بغير همز فاحتمل أن يكون أصله الهمز وحذفت وهو الظاهر * وقيل من خطا يخطو أى خاطين الصواب ولما التقطوه هموا بقتله وخافوا أن يكون المولود الذى يحذرون زوال ملكهم على يديه فألقى الله محبته فى قلب آسية امرأة فرعون ونقلوا أنها رأت نورا فى التابوت وتسهل عليها فتحه بعد تعسر فتحه على يدى غيرها وان بنت فرعون أحبته أيضا لبرئها من دائها الذى كان بها وهو البرص باخبار من أخبر أنه لا يبرئها الا ريق انسان يوجد فى تابوت فى البحر * وقرة خبر مبتدا محذوف أى هو قرة و يبعد أن يكون مبتدا والخبر لا تقتلوه وتقدم شرح قرة فى آخر الفرقان وذكر أنها لما قالت لفرعون قرة عين لى ولك قال لك لا لى وروى انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بنى اسرائيل وأنبعث النهى عن قتله برجائها أن ينفعهم لظهور مخايل الخير فيه من النور الذى رأته ومن برء البرص أو نتخذه ولدا فانه أهل لذلك * وهم لا يشعرون جملة حالية أى لا يشعرون انه الذى يفسد ملكهم على يديه قاله قتادة أو انه عدو لهم قاله مجاهد أو انى أفعل ما أريد لا ما يريدون قاله محمد بن اسحاق والظاهر انه من كلام الله تعالى * وقيل هو من كلام امرأة فرعون أى قالت ذلك لفرعون والذين أشاروا بقتله لا يشعرون بمقالها له واستعطاف قلبه عليه لئلا يغروه بقتله * وقال الزمخشرى تقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم فى التقاطه ورجاء النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطئهم انتهى ومتى أمكن حمل الكلام على ظاهره من غير فصل كان أحسن ﴿ وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين ﴾ وأصبح أى صار فارغا من العقل وذلك حين بلغها انه وقع فى يد فرعون فدهمها أمر مثله لا يثبت معه العقل لا سيما عقل امرأة خافت على ولدها حتى طرحته فى اليم رجاء نجاته من الذبح هذا مع الوحى اليها ان الله يرده اليها ويجعله رسولا ومع ذلك فطاش لبها وغلب عليها ما يغلب على البشر عند مفاجأة الخطب العظيم ثم استكانت بعد ذلك لموعود الله * وقرأ أحمد ابن موسى عن أبى عمرو فوادا بالواو * وقال ابن عباس فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى * وقال مالك هو ذهاب العقل * وقالت فرقة فارغا من الصبر * وقال ابن زيد فارغا من وعد الله ووحيه اليها

فى له عائد على موسى ولما قالت لهم هل أدلكم فقالوا لها انك قد عرفتيه فاخبرينا من هو فقالت ما أردت الا انهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التأويل وفى الكلام حذف تقديره فمرت بهم الى أمه وكلموها فى ارضاعه ولما أنجز الله تعالى وعده فى الرد ثبت عندها أنه سيكون رسولا نبيا ﴿ ولتعلم أن وعد الله حق ﴾ فعلا ذلك ﴿ ولما بلغ أشده ﴾ تقدم الكلام عليه فى يوسف

تناسته من الهم * وقال أبو عبيدة فارغا من الحزن اذلم يغرق وهذا فيه بعد وتبعد القرآن الشواد التي في اللفظة * وقرأ فضالة بن عبيد والحسن ويزيد بن قطيب وأبو زرعة بن عمرو بن جرير فزعا بالزاي والعين المهملة من الفزع وهو الخوف والقلق وابن عباس قرعا بالقاف وكسر الراء واسكانها من قرع رأسه اذا انحسر شعره كأنه خلا من كل شيء الا من ذكر موسى * وقيل قرعا بالسكون مصدر أي يقرع قرعا من القارعة وهي الهم العظيم * وقرأ بعض الصحابة فزغا بالفاء مكسورة وسكون الزاي والغين المنقوطة ومعناه ذاهبا هدرا تالفا من الهم والحزن * ومنه قول طليحة الأسدي في أخيه حبال

فان يك قتلى قد أصيبت نفوسهم * فلن تذهبوا فزغا بقتل حبال

أي بقتل حبال فزغا أي هدرا لا يطلب له بثأر ولا يؤخذ * وقرأ الخليل بن أحمد فرغا بضم الفاء والراء * ان كادت لتبدي به هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة * وقيل ان نافية واللام بمعنى الا وهذا قول كوفي والابداء اظهار الشيء * والظاهر ان الضمير في به عائد على موسى عليه السلام * فقيل الباء زائدة أي لتظهره * وقيل مفعول تبدي محذوف أي لتبدي القول به أي بسببه وانه ولدها * وقيل الضمير في به للوحي أي لتبدي بالوحي * وقال ابن عباس كادت تصيح عند إلقائه في البحر وا ابناه * وقيل عند رؤيتها تلاطم الامواج به لولا أن ربطنا على قلبها * قال قتادة بالايمان * وقال السدي بالعصمه * وقال الصادق باليقين * وقال ابن عطاء بالوحي ولتكون من المؤمنين فعلنا ذلك أي المصدقين بوعد الله وانه كائن لا محالة والربط على القلب كناية عن قراره واطمئنانه شبه بما يربط مخافة الانفلات * وقال الزمخشري ويجوز وأصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه * ان كادت لتبدي بأنه ولدها لأنها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج * لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون ونعطفه انتهى وما ذهب اليه الزمخشري من تجويز كونه فارغا من الهم الى آخره خلاف ما فهمه المفسرون من الآيه وجواب لولا محذوف تقديره لكادت تبدي به ودل عليه قوله ان كادت لتبدي به وهذا تشبيه بقوله وهم بها لولا أن رأى برهان ربه * وقالت لأخته طمعا نها في التعرف بحاله * قصيه أي اتبعي أثره وتتبعي خبره فروي انها خرجت في سكك المدينة مختفية فرأته عند قوم من حاشية امرأة فرعون يتطلبون له امرأة ترضعه حين لم يقبل المراضع واسم أخته مريم وقيل كلثمة * وقيل كلثوم وفي الكلام حذف أي فقصت أثره * فبصرت به أي أبصرته عن جنب أي عن بعد وهم لا يشعرون بتطلبها له ولا بابصارها * وقيل معنى عن جنب عن شوق اليه حكاه أبو عمرو بن العلاء وقال هي لغة جذام يقولون جنبت اليك أي اشتقت * وقال الكرماني جنب صفه لموصوف محذوف أي عن مكان جنب يريد بعيد * وقيل عن جانب لأنها كانت تمشي على الشط وهم لا يشعرون أنها تقص * وقيل لا يشعرون انها أخته * وقيل لا يشعرون انه عدو لهم قاله مجاهد * وقرأ الجمهور عن جنب بضمتين * وقرأ قتادة فبصرت بفتح الصاد وعيسى بكسرها * وقرأ قتادة والحسن والأعرج وزيد بن علي جنب بفتح الجيم وسكون النون * وعن قتادة بفتحهما أيضا * وعن الحسن بضم الجيم واسكان النون * وقرأ النعمان بن سالم عن جانب والجنب والجانب والجنابة والجناب بمعنى واحد * وقال قتادة معنى عن جنب انها تنظر اليه كأنها لا تريده والتحريم هنا بمعنى المنع أي منعناه أن يرضع ثدي امرأة والمراضع جمع

*﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ الآية المدينة قال ابن عباس هي منف ركب فرعون يوما وسار اليها فعلم موسى بركوبه فلحق بتلك المدينة في وقت القائلة ﴿ يقتتلان ﴾ في الدين اذ أحدهما اسرائيلي مؤمن والآخر قبطي كافر *﴿فاستغاثه الذي من شيعته﴾* وهو الاسرائيلي *﴿على الذي من عدوه﴾* وهو القبطي وقيل اسمه فاتون وهذا حكاية حال ماضية والظاهر أن فاعل فقضى ضمير عائد على موسى وكان موسى لم يتعمد قتله ولكن وافقت وكزته الاجل فندم موسى عليه السلام و﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾* وهو ما لحقه من الغضب حتى أدى الى الوكزة التي قضت على القبطي وجعله من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لانه أدى الى قتل من لم يؤذن له في قتله *﴿فأصبح في المدينة خائفا يترقب﴾* أي من قتل القبطي أن يؤخذ به يترقب وقوع المكروه به *﴿فاذا الذي استنصره بالامس﴾* أي الاسرائيلي الذي كان قتل القبطي بسببه واذا هنا للمفاجأة وبالامس يعني اليوم الذي قبل يوم الاستصراخ *﴿يستصرخه﴾* يصيح به مستغيثا من قبطي آخر *﴿قال له موسى﴾* الظاهر أن الضمير في له عائد على الاسرائيلي *﴿انك لغوي﴾* لكونك كنت سببا في قتل القبطي بالأمس قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب *﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾* الظاهر ان الضمير في أراد وأن يبطش هو لموسى *﴿ بالذي هو عدو لهما ﴾* أي للمستصرخ وموسى وهو القبطي قال القبطي *﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس﴾* دفعا لما ظنه منه *﴿جبارا في الأرض﴾* وشأن الجبار أن يقتل بغير حق *﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾* قيل هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون قال الكلبي واسمه جبريل ابن شمعون *يسعى أي يشتد في مشيه ولما أمر فرعون بقتله وخرج الجلاوزة من الشارع الأعظم لطلبه فسلك هذا الرجل طريقا أقرب الى موسى عليه السلام ومن

مرضع وهي المرأة التي ترضع أوجمع مرضع وهو موضع الرضاع وهو الثدي أو الارضاع *من قبل أي من أول أمره *وقيل من قبل قصها أثره واتيانه على من هو عنده *فقالت هل أدلكم أي أرشدكم الى أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لكونهم فيهم شفقة ورحمة لمن يكفلونه وحسن تربية ودل قوله وحرمنا عليه المراضع انه عرض عليه جملة من المرضعات والظاهر ان الضمير في له عائد على موسى * قيل ويحتمل أن يعود على الملك الذي كان الطفل في ظاهر أمره من جملته *وقال ابن جريج تأول القوم ان الضمير للطفل فقالوا لها انك قد عرفتيه فأخبرينا من هو فقالت ما أردت الا انهم ناصحون للملك فتخلصت منهم بهذا التأويل وفي الكلام حذف تقديره فمرت بهم الى أمه فكلموها في ارضاعه أوفجاءت بأمه اليهم فكلموها في شأنه فأرضعته فالتقم ثديها وروي ان فرعون قال لها ما سبب قبول هذا الطفل ثديك وقد أبى كل ثدي فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لاأوتى بصبي الاقبلني فدفعه اليها وذهبت به الى بيتها وأجرى لها كل يوم دينارا وجاز لها أخذه لأنه مال حربي فهو مباح وليس ذلك أجرة رضاع * فرددناه الى أمه كما قال تعالى انا رادوه اليك ودمع الفرح بارد وعين المهموم حرى سخنة * وقال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأسخنت * وأما عيون الشامتين فقرت

لما أنجز تعالى وعده في الرد ثبت عندها انه سيكون نبيا رسولا* ولتعلم أن وعد الله حق فعلنا ذلك *ولا يعلمون أي ان وعد الله حق فهم مرتابون فيه أولا يعلمون أن الرد انما كان لعلمها بصدق وعد الله *ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن الرد كان لذلك وفي قوله ولتعلم أن وعد الله حق دلالة على ضعف من ذهب الى أن الايحاء اليها كان الهاما أومناما لأن ذلك يبعد أن يقال فيه وعد وقوله ولتعلم وقوع ذلك فهو علم مشاهدة اذ كانت عالمة أن ذلك سيكون وأكثرهم هم القبط ولا يعلمون سر القضاء * وقال الضحاك لا يعلمون مصالحهم وصلاح عواقبهم * وقال الضحاك أيضا ومقاتل لا يعلمون أن الله وعد ارداده اليها وتقدم تفسير ولما بلغ أشده الى المحسنين في سورة يوسف عليه السلام ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين فأصبح في المدينة خائفا يترقب فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين فلما ان أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وما تريد أن تكون من المصلحين وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من

الناصحين ﴿فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾ المدينة قال ابن عباس هي منف ركب فرعون يوما وسار اليها فعلم موسى عليه السلام بركوبه فلحق بتلك المدينة في وقت القائلة وعنه بين العشاء والعتمة * وقال ابن اسحق المدينة مصر بنفسها وكان موسى قد بدت منه مجاهرة لفرعون وقومه بما يكرهون فاختفى وخاف فدخلها متنكرا حذرا مستغفلا للناس * وقال ابن زيد كان فرعون قد أخرجه من المدينة فغاب عنها سنين فنسي فجاء والناس في غفلة بنسيانهم له وبعد عهدهم به * وقيل كان يوم عيدوهم مشغولون بلهوهم * وقيل خرج من قصر فرعون ودخل مصر * وقيل المدينة عين شمس * وقيل قرية على فرسخين من مصر يقال لها حابين * وقيل الاسكندرية * وقرأ أبو طالب القارئ على حين بنصب نون حين ووجهه انه أجرى المصدر مجرى الفعل كأنه قال على حين غفل أهلها فبناه كما بناه حين أضيف الى الجملة المصدرة بفعل ماض * كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * وهذا توجيه شذوذ * وقرأ نعيم بن ميسرة يقتلان بادغام التاء في التاء ونقل فتحها الى القاف * قيل كانا يقتتلان في الدين إذ أحدهما اسرائيلي مؤمن والآخر قبطي * وقيل يقتتلان في أن كلف القبطي حمل الحطب الى مطبخ فرعون على ظهر الاسرائيلي ويقتتلان صفة لرجلين * وقال ابن عطية يقتتلان في موضع الحال انتهى والحال من النكرة أجازه سيبويه من غير شرط * هذا من شيعته أي ممن شايعه على دينه وهو الاسرائيلي * قيل وهو السامري وهذا من عدوه أي من القبط * وقيل اسمه فاتون وهذا حكاية حال وقد كانا حاضرين حاله وجدان موسى لهما أو الحكاية الحال عبر عن غائب ماض باسم الاشارة الذي هو موضوع للحاضر * وقال المبرد العرب تشير بهذا الى الغائب * قال جرير

هذا ابن عمي في دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الي قطينا

* وقرأ الجمهور فاستغاثه أي طلب غوثه ونصره على القبطي * وقرأ سيبويه وابن مقسم والزعفراني بالعين المهملة والنون بدل الثاء أي طلب منه الاعانة على القبطي * قال أبو القاسم يوسف بن علي ابن جبارة والاختيار قراءة ابن مقسم لأن الاعانة أولى في هذا الباب * وقال ابن عطية ذكرها الاخفش وهي تصحيف لا قراءة انتهى وليست تصحيفا فقد نقلها ابن خالويه عن سيبويه وابن جبارة عن ابن مقسم والزعفراني وروى انه لما اشتد التناكر بينهما قال القبطي لموسى لقد هممت أن أحمله عليك يعني الحطب فاشتد غضب موسى وكان قد أوتي قوة فوكزه فمات * وقرأ عبد الله فلكزه باللام وعنه فنكزه بالنون * قال قتادة وكزه بعصاه وغيره قال بجمع كفه والظاهر ان فاعل فقضى ضمير عائد على موسى * وقيل يعود على الله أي فقضى الله عليه بالموت ويحتمل أن يعود على المصدر المفهوم من وكزه أي فقضى الوكز عليه وكان موسى لم يتعمد قتله ولكن وافق وكزته الأجل فندم موسى وروى انه دفنه في الرمل وقال هذا من عمل الشيطان وهو ما لحقه من الغضب حتى أدى الى الوكزة التي قضت على القبطي وجعله من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر منه لأنه أدى الى قتل من لم يؤذن له في قتله * وعن ابن جريج ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر * وقال كعب كان موسى إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة وكان قتله خطأ فان الوكزة في الغالب لا تقتل * وقال النقاش كان هذا قبل النبوة وقد انتهج موسى عليه السلام نهج آدم عليه السلام إذ قال ظلمنا أنفسنا والباء في بما أنعمت للقسم والتقدير أقسم بما أنعمت به علي من المغفرة والجواب محذوف أي لأتوبن فلن أكون أو متعلقة بمحذوف تقديره اعصمني بحق ما أنعمت علي من

أقصى ويسعى صفتان ومعنى يأتمرون يتشاورون ﴿فاخرج﴾ امتثل موسى عليه السلام ما أمره به ذلك الرجل وعلم صدقه ونصحه وخرج وقد أقبل طالبوه فلم يجدوه وكان موسى لا يعرف الطريق ولم يصحب أحدا فسلك مجهلا واثقا بالله تعالى داعيا راغبا الى ربه في تنجيته من الظالمين

المغفرة فلن أكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين *وقيل فلن أكون دعاء لاخبر ولن بمعنى لا في الدعاء والصحيح أن لن لاتكون في الدعاء وقد استدل على أن لن تكون في الدعاء بهذه الآيه وبقول الشاعر

لن تزالوا كذا كم ثم مازلا * مت لهم خالدا خلود الجبال

والمظاهرة اما بصحبته لفرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما انه أدى المظاهرة الى القتل الذى جرى على يده * وقيل بما أنعمت على من النبوة فلن أستعملها الا في مظاهرة أوليائك ولا أدع قبطيا يغلب اسرائيليا واحتج أهل العلم بهذه الآية على منع معونة أهل الظلم وخدمتهم نص على ذلك عطاء بن أبى رباح وغيره وقال رجل لعطاء ان أخي يضرب بعامه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبدالله القسرى قال فأين قول موسى وتلا الآية فأصبح في المدينة خائفا من قبل القبطى أن يؤخذ به يترقب وقوع المكروه به أو الاخبار هل وقفوا على ما كان منه *وقيل خائفا من أنه يترقب المغفرة* وقيل خائفا يترقب نصرة ربه أو يترقب هداية قومه أو ينتظر أن يسلمه قومه *فاذا الذى استنصره بالامس أى الاسرائيلي الذى كان قتل القبطى بسببه واذا هنا للمفاجأة وبالأمس يعنى اليوم الذى قبل يوم الاستصراخ وهو معرب بحركة سيبه حركة اعراب لأنه دخلته أل بخلاف حاله اذا عرى منها فالحجاز تبنيه اذا كان معرفة وتميم تمنعه الصرف حالة الرفع فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا وقد بنى مع ال على سبيل الندور * قال الشاعر

وانى حبست اليوم والأمس قبله * الى الليل حتى كادت الشمس تغرب

* يستصرخه يصيح به مستغيثا من قبطى آخر *ومنه قول الشاعر

كنا اذا ما أتانا صارخ فزع * كان الصراخ له قرع الظنابيب

قال له موسى الظاهر ان الضمير في له عائد على الذى *انك لغوى أى من لكونك كنت سببا في قتل القبطى بالأمس قال له ذلك على سبيل العتاب والتأنيب *وقيل الضمير في له والخطاب للقبطى ودل عليه قوله يستصرخه ولم يفهم الاسرائيلي ان الخطاب للقبطى *فلما ان أراد أن يبطش الظاهر ان الضمير في أراد و يبطش هو لموسى *بالذى هو عدو لهما أى للمستصرخ وموسى وهو القبطى يوهم الاسرائيلي ان قوله انك لغوى مبين هو على سبيل ارادة السوء به وظن انه يسطو عليه *قال أى الاسرائيلي ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس دفعا لما ظنه من سطو موسى عليه وكان تعيين القاتل القبطى قد خفى على الناس فانتشر في المدينة ان قاتل القبطى هو موسى ونمى ذلك الى فرعون فأمر بقتل موسى * وقيل الضمير في أراد و يبطش للاسرائيلي عند ذلك من موسى وخاطبه بما يقبح وان بعد لما يطرد زيادتها *وقيل لو اداسبق قسم كقوله

فأقسم أن لو التقينا وأنتم * لكان لكم يوم من الشر مظلم

وقرأ الجمهور يبطش بكسر الطاء والحسن وأبو جعفر بضمها * ان تريد الا أن تكون جبارا في الارض وشأن الجبار أن يقتل بغير حق* وقال الشعبي من قتل رجلين فهو جبار يعنى بغير حق ولما أثبت له الجبروتية نفى عنه الصلاح * وجاء رجل من أقصى المدينة *قيل هو مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون * قال الكلبي واسمه جبريل بن شمعون *وقال الضحاك شمعون بن اسحق * وقيل هو غير مؤمن آل فرعون *يسعى يشتد في مشيه ولما أمر فرعون بقتله خرج الجلاوزة

(الدر)

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

(ح) بالامس يعنى اليوم الذى قبل يوم الاستصراخ وهو معرب بحركة سيبه حركة اعراب لانه دخلته أل بخلاف حاله اذا عرى منها فالحجاز تبنيه اذا كان معرفة وتميم تمنعه الصرف حاله الرفع فقط ومنهم من يمنعه الصرف مطلقا وقد بنى مع أل على سبيل الندور قال الشاعر

وانى حبست اليوم والامس قبله
الى الليل حتى كادت الشمس تغرب

﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ الآية توجه رد وجهه تلقاء مدين تقدم الكلام عليه في يونس أي ناحيته وجهه استعمل المصدر استعمال الظرف وكان هنالك ثلاث طرق فاخذ موسى في أواسطها وأخذ طالبوه في الآخرين وقالوا المريب لا يأخذ في أعظم الطرق ولا يسلك الا في بنياتها فبقي في الطريق ثماني ليال وهو حاف لا يطعم الا ورق الشجر والظاهر من قوله عسى ربي انه كان لا يعرف الطريق فسأل ربه أن يهديه اقصد الطريق بحيث انه لا يضل اذ لو سلك ما لا يوصله الى المقصود لتاه وعن ابن عباس قصد مدين وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله الى مدين ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ أي وصل إليه والورد يكون بمعنى الوصول أي الشيء وبمعنى الدخول فيه قيل وكان هذا بئرا والامة الجمع الكثير ومعنى عليه أي على شفيره وحاشيته ﴿يسقون﴾ يعني مواشيهم ﴿ووجد من دونهم﴾ أي من الجهة التي وصل اليها قبل أن يصل الى الأمة ﴿امرأتين تذودان﴾ قال ابن عباس تذودان غنمهما عن الماء خوفا من الرعاء الأقوياء وكانتا تكرهان المزاحمة على الماء واسم الصغرى عبرا والكبرى صبورا ولما رآهما موسى واقفتين لا تتقدمان للسقي سألهما فقال ماخطبكما والسؤال بالخطب انما يكون في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمكروه من الأمر وفي سؤاله عليه السلام دليل على جواز مكالمة الأجنبية فيما يعن ولم يكن لأبيهما أجير فكانتا تسوقان الغنم الى الماء ولم يكن لهما قوة الاستسقاء وكان الرعاة يسقون من البئر فيسقون مواشيهم فاذا صدروا فان بقي في الحوض شئ سقتا فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم وهما يمنعان غنمهما عن الماء فرق عليهما وقال ماخطبكما وقرئ يصدر من صدر وقرئ يصدر من أصدر والرعاء فاعل والتقدير فيمن قرأ يصدر أن يكون المعنى حتى يصدر الرعاء عن الماء بغنمهم والمعنى على من قرأ يصدر أي يصدر الرعاء عن الماء غنمهم وجمع راع على رعاء شاذ في القياس وبابه أن يجمع على فعلة كقاض وقضاة خلافا للزمخشري اذ زعم أن جمع راع على فعال قياس وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرجال ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بانفسهما وتنبيه على أن أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره واستعطاف لموسى عليه السلام في اعانتهما ﴿فسقى لهما﴾ أي سقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا عدد من الرجال فاقله هو وحده وقيل كانت لهم دلو لا ينزع بها الا أربعون رجلا فنزع بها وحده وروي أنه زاحمهم على الماء حتى سقى لهم كل ذلك رغبة في الثواب على ما كان به من نصب السفر وكثرة الجوع حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه من البقل ﴿ثم تولى الى الظل﴾ أي ظل شجرة قيل كانت سمرة ﴿فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير﴾ قال المفسرون تعرض لمن يطعمه لما ناله من الجوع ولم يصرح بالسؤال وأنزلت هنا بمعنى

من الشارع الأعظم لطلبه فسلك هذا الرجل طريقا أقرب الى موسى * ومن أقصى المدينة ويسعى صفتان ويجوز أن يكون يسعى حالا ويجوز أن يتعلق من أقصى بجاء * قال الزمخشري واذا جعل يعني من أقصى حالا لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف انتهى يعني ان رجلا يكون نكرة لم توصف فلا يجوز منها الحال وقد أجاز ذلك سيبويه في كتابه من غير وصف * قال ان الملأ وهم وجوه أهل دولة فرعون يأتمرون يتشاورون قال الشاعر وهو النمر بن تولب

أرى الناس قد أحدثوا شيمة * وفي كل حادثة يؤتمر

وقال ابن قتيبة يأمر بعضهم بعضا بقوله من قوله تعالى وائتمروا بينكم بمعروف * فاخرج اني لك من الناصحين * ولك متعلق اما بمحذوف أي ناصح لك من الناصحين أو بمحذوف على جهة البيان أي لك أعني أو بالناصحين وان كان في صلة أل لانه يتسامح في الظرف والمجرور ما لا يتسامح في غيرهما وهي ثلاثة أقوال للنحويين فيما أشبه هذا فامتثل موسى ما أمره به ذلك الرجل وعلم صدقه ونصحه وخرج وقد أفلت طالبيه فلم يجدوه وكان موسى لا يعرف ذلك الطريق ولم يصحب أحدا فسلك * مجهلا واثقا بالله تعالى داعيا راغبا الى ربه في تنجيته من الظالمين ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير﴾

(الدر) (ش) واذا جعل يعني من أقصى حالا لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف (ح) يعني أن رجلا يكون نكرة لم توصف فلا يجوز منها الحال وقد أجاز ذلك سيبويه في كتابه من غير وصف

تنزل وفي الكلام حذف تقديره فذهبتا الى أبيهما من غير ابطاء في السقي وقصتا عليه أمر السقي لهما فأمر احداهما أن تدعوه له ﴿فجاءته احداهما﴾ واحداهما مبهم فقيل الكبرى وقيل الصغرى و ﴿على استحياء﴾ في موضع الحال أي مستحيية متخفرة قال عمر بن الخطاب قد سترت وجهها بكم درعها ﴿ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ في ذلك ما كان شعيب عليه من الاحسان والمكافأة لمن عمل له عملا ولم يقصد المكافأة ﴿فلما جاءه﴾ أي فذهب معها الى أبيها وفي هذا دليل على اعتماد اخبار المرأة اذ ذهب موسى عليه السلام معها كما يعتمد على اخبارها في باب الرواية ﴿وقص عليه القصص﴾ أي ما جرى له من خروجه من مصر وسبب ذلك ﴿قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ أي قبل الله دعاءك في قولك رب نجني من القوم الظالمين ولما أخبره بنجاته منهم أنسه بقوله لا تخف وقرب اليه طعاما فقال له موسى انا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا فقال له شعيب ليس هذا عوض السقي ولكن هذه عادتي وعادة آبائي قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ أكل موسى عليه السلام ﴿قالت احداهما﴾ أبهم القائلة قيل وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة ﴿يا أبت استأجره﴾ أي لرعي الغنم وسقيها ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده أو انتزع بتلك الدلو أو زاحمهم حتى غلبهم على الماء وبالأمانة لأنها حين قام يتبعها هبت الريح فلفت ثيابها فوصفتها فقال لها ارجعي خلفي ودليني على الطريق وقولها كلام حكيم جامع لأنه اذا اجتمعت الامانة والكفاءة في القائم بأمر فقد تم المقصود وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقا للناس وكان ذلك تعليلا للاستئجار وكأنها قالت استأجره لامانته وقوته وصار الوصفان منبهين عليه ﴿قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين﴾ قال الزمخشري هاتين فيه دليل على انه كان له غيرهما انتهى لا دليل في ذلك لانهما كانتا اللتين (١١٢) رآهما يذودان وجاءته احداهما فاشار اليهما والاشارة اليهما لا تدل على أن له غيرهما رغب شعيب في مصاهرته لما وصفته به ولما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلقه بالله تعالى وفراره من الكفرة وظاهر قوله اني أنكحك ان الانكاح الى الولي لا حق للمرأة فيه خلافا لابي حنيفة في بعض صوره بان تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها فانها تعقد على نفسها بمحضر من الشهود واحدى ابنتي مبهم وهذا عرض لا عقد ألا ترى الى قوله اني أريد وحين العقد يعين من شاء منهما ولذلك لم يحد أول أمد الاجارة والظاهر من الآية جواز النكاح بالاجارة وبه قال الشافعي وأصحابه ﴿على أن تأجرني﴾ في موضع الحال من ضمير أنكحك اما الفاعل واما المفعول وتأجرني من أجرته كنت له أجيرا كقولك أبوته كنت له أباو مفعول تأجرني الثاني محذوف تقديره نفسك و ﴿ثماني حجج﴾ ظرف عشرا تقديره عشر حجج ﴿فمن عندك﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره فالاتمام احسان من عندك ﴿ستجدني ان شاء الله﴾ وعد صادق مقرون بالمشيئة ﴿من الصالحين﴾ في حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولما فرغ شعيب مما حاور به موسى ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك بيني وبينك﴾ على جهة التقرير والتوثق في أن الشرط انما وقع في ثمان حجج وذلك مبتدأ خبره بيني وبينك أشار الى ما عاهده عليه أي ذلك الذي عاهدتني وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا نخرج عنه ثم قال ﴿أيما الأجلين﴾ أي الثماني والعشر وما زائدة وأي شرطية منصوبة بقضيت ﴿فلا عدوان﴾ جواب الشرط ﴿والله على ما نقول﴾ أي على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا ﴿وكيل﴾ أي شاهد ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وفى أطول الأجلين وهو العشر ثم محذوف تقديره وزوجه ابنته وسار باهله الى مصر بلده وبلد قومه والخلاف فيمن تزوج الكبرى أم الصغرى وكذلك اسمهما وتقدم كيفية مسيره وايناسه النار في طه ﴿لعلكم تصطلون﴾ أي تسخنون بها اذا كانت ليلة باردة وقد أضلوا الطريق

فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين قال اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون ﴾ توجه ردوجهه ﴿ وتلقاء تقدم الكلام عليه في يونس أي ناحية وجهه استعمل المصدر استعمال الظرف وكان هنالك ثلاث طرق فأخذ موسى أوسطها وأخذ طالبوه في الآخرين وقالوا المريب لا يأخذ في أعظم الطرق ولا يسلك الابنياتها فبقي في الطريق ثماني ليال

وهو حاف لا يطعم الا ورق الشجر والظاهر من قوله عسى ربي أن يهديني سواء السبيل انه كان لا يعرف الطريق فسأل ربه أن يهديه أقصد الطرق بحيث انه لا يضل اذ لو سلك مالا يوصله الى المقصود لتاه * وعن ابن عباس قصد مدين وأخذ يمشي من غير معرفة فأوصله الله الى مدين * وقيل هداه جبريل الى مدين * وقيل ملك غيره * وقيل أخذ طريقا يأمن فيه فاتفق ذهابه الى مدين والظاهر ان سواء السبيل وسط الطريق الذي يسلكه الى مكان مأمنه * وقال مجاهد سواء السبيل طريق مدين * وقال الحسن هو سبيل الهدى فمشى موسى عليه السلام الى ان وصل الى مدين ولم يكن في طاعة فرعون ولما ورد ماء مدين أي وصل اليه والورود بمعنى الوصول الى الشيء وبمعنى الدخول فيه * قيل وكان هذا الماء بئرا * والأمة الجمع الكثير ومعنى عليه أي على شفيره وحاشيته * يسقون يعني مواشيهم * ووجد من دونهم أي من الجهة التي وصل اليها قبل أن يصل الى الأمة فهما من دونهم بالاضافة اليه قاله ابن عطية * وقال الزمخشري في مكان أسفل من مكانهم * تذودان * قال ابن عباس وغيره تذودان غنمهما عن الماء خوفا من السقاة الأقوياء * وقال قتادة تذودان الناس عن غنمهما * قال الزجاج وكأنهما تكرهان المزاحمة على الماء * وقيل لئلا تختلط غنمهما بأغنامهم * وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما * وقال الفراء تحبسانها عن أن تتفرق واسم الصغرى عبرا واسم الكبرى صبورا ولما رآهما موسى عليه السلام واقفتين لا تتقدمان للسقي سألهما فقال ما خطبكما * قال ابن عطية والسؤال بالخطب انما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر * قال الزمخشري وحقيقته ما مخطوبكما أي ما مطلوبكما من الذياد سمى المخطوب خطبا كما سمى المشؤون شأنا في قولك ما شأنك يقال شانت شأنه أي قصدت قصده انتهى وفي سؤاله عليه الصلاة والسلام دليل على جواز مكالمة الأجنبية فيما يعن ولم يكن لأبيهما أجير فكانتا تسوقان الغنم الى الماء ولم تكن لهما قوة الاستقاء وكان الرعاة يستقون من البئر فيسقون مواشيهم فاذا صدروا فان بقي في الحوض شيء سقتا فوافى موسى عليه السلام ذلك اليوم وهما يمنعان غنمهما عن الماء فرق عليهما وقال ما خطبكما * وقرأ شمر بكسر الخاء أي من زوجكما ولم لا يسقي هو وهذه قراءة شاذة نادرة قالتا لا نسقي * وقرأ ابن مصرف لا نسقي بضم النون * وقرأ أبو جعفر وشيبة والحسن وقتادة والعربيان يصدر بفتح الياء وضم الدال أي يصدرون بأغنامهم وباقي السبعة والأعرج وطلحة والأعمش وابن أبي اسحق وعيسى بضم الياء وكسر الدال أي يصدرون أغنامهم * وقرأ الجمهور الرعاء بكسر الراء جمع تكسير * قال الزمخشري وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام انتهى وليس بقياس لانه جمع راع وقياس فاعل الصفة التي للعاقل ان تكسر على فعلة كقاض وقضاة وما سوى جمعه هذا فليس بقياس * وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال والثناء * قال أبو الفضل الرازي * وقرأ عياش عن أبي عمرو الرعاء بفتح الراء وهو مصدر أقيم مقام الصفة فاستوى لفظ الواحد والجماعة فيه وقد يجوز انه حذف منه المضاف * وأبونا شيخ كبير اعتذار لموسى عن مباشرتهما السقي بأنفسهما وتنبيه على ان أباهما لا يقدر على السقي لشيخه وكبره واستعطاف لموسى في اعانتهما * فسقى لهما أي سقى غنمهما لأجلهما * وروى أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا عدد من الرجال واضطرب النقل في العدد فأقل ما قالوا سبعة وأكثره مائة فأقله وحده * وقيل كانت لهم دلو لا ينزع بها الا أربعون فنزع بها وحده * وروى أنه زاحمهم على الماء حتى سقى لهما كل ذلك رغبة في الثواب على ما كان به من نصب السفر وكثرة الجوع حتى كانت تظهر الخضرة في

(الدر)

(ش) وأما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام (ح) ليس بقياس لانه جمع راع وقياس فاعل الصفة التي للعاقل أن يكسر على فعلة كقاض وقضاة وما سوى جمعه هذا فليس بقياس وقرئ الرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال والثناء

بطنه من البقل * وقيل انه مشى حتى سقط أصله وهو باطن القدم ومع ذلك أغاثهما وكفاهما أمر السقي وقد طابق جوابهما السؤال لأنه سألهما عن سبب الذود فأجاباه بأنا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مزاحمة الرجال فنؤخر السقي الى فراغهم ومباشرتهما ذلك ليس بمحظور وعادة العرب وأهل البدو في ذلك غير عادة أهل الحضر والأعاجم لاسيما اذا دعت الى ذلك ضرورة * ثم تولى الى الظل * قال ابن مسعود ظل شجرة * قيل كانت سمرة * وقيل الى ظل جدار لا سقف له * وقيل جعل ظهره يلي ما كان يلي وجهه من الشمس * قال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير * قال المفسرون تعرض لما يطعمه لما ناله من الجوع ولم يصرح بالسؤال وأنزلت هنا بمعنى تنزل * وقال الزمخشري وعدي باللام فقير لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتمل أن يريد أي فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له * وقال الحسن سأل الزيادة في العلم والحكمة * فجاءته احداهما تمشي على استحياء في الكلام حذف والتقدير فذهبتا الى أبيهما من غير ابطاء في السقي وقصتا عليه أمر الذي سقى لهما فأمر احداهما أن تدعوه له * فجاءته احداهما * قرأ ابن محيصن فجاءته احداهما بحذف الهمزة تخفيفا على غير قياس مثل ويل امه في ويل أمه ويابا فلان والقياس أن يجعل بين بين واحداهما مبهم * فقيل الكبرى * وقيل كانتا توأمتين ولدت الأولى قبل الأخرى بنصف نهار * وعلى استحياء في موضع الحال أي مستحيية متخفرة * قال عمر بن الخطاب قد سترت وجهها بكم درعها والجمهور على أن الداعي أباهما هو شعيب عليه السلام وهما ابنتاه * وقال الحسن هو ابن أخي شعيب واسمه مروان * وقال أبو عبيدة هارون * وقيل هو رجل صالح ليس من شعيب بنسب * وقيل كان عمهما صاحب الغنم وهو المزوج عبر عنه بالأب اذ كان بمثابته * ليجزيك أجر ما سقيت لنا في ذلك ما كان عليه شعيب من الاحسان والمكافأة لمن عمل له عملا وان لم يقصد العامل المكافأة * فلما جاءه أي فذهب معهما الى أبيهما وفي هذا دليل على اعتماد اخبار المرأة اذ ذهب معها موسى كما يعتمد على اخبارها في باب الرواية * وقص عليه القصص أي ما جرى له من خروجه من مصر وسبب ذلك * قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين أي قبل الله دعاءك في قولك رب نجني من القوم الظالمين أو أخبره بنجاته منهم فآنسه بقوله لا تخف وقرب اليه طعاما فقال له موسى انا أهل بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا فقال له شعيب ليس هذا عوض السقي ولكن عادتي وعادة آبائي قرى الضيف واطعام الطعام فحينئذ أكل موسى عليه السلام * قالت احداهما أبهم القائلة وهي الذاهبة والقائلة والمتزوجة يا أبت استأجره أي لرعي الغنم وسقيها ووصفته بالقوة لكونه رفع الصخرة عن البئر وحده وانترع بتلك الدلو وزاحمهم حتى غلبهم على الماء وبالامانة لأنها حين قام يتبعها هبت الريح فلفت ثيابها فوصفتها فقال ارجعي خلفي ودليني على الطريق وقولها كلام حكيم جامع لانه اذا اجتمعت الكفاية والامانة في القائم بأمر فقد تم المقصود وهو كلام جرى مجرى المثل وصار مطروقا للناس وكان ذلك تعليلا للاستئجار وكأنها قالت استأجره لامانته وقوته وصار الوصفان منبها عليه ونظير هذا التركيب * قول الشاعر

ألا ان خير الناس حيا وهالكا * أسير ثقيف عندهم في السلاسل

جعل خير من استأجرت الاسم اعتناء به وحكمت عليه بالقوة والامانة ولما وصفته بهذين الوصفين قال لها أبوها ومن أين عرفت هذا فذكرت اقلاله الحجر وحده وتحرجه من النظر اليها حين وصفتها

الريح وقاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم * وقيل قال لها موسى ابتداء كونى ورائى فانى رجل لا أنظر الى أدبار النساء ودليني على الطريق يمينا أو يسارا * وقال ابن مسعود أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر فى عمر وفى قولها استأجره دليل على مشروعية الاجارة عندهم وكذا كانت فى كل ملة وهى من ضرورة الناس ومصلحة الخلطة خلافا لابن علية والاصم حيث كانا لا يجيزانها وهذا مما انعقد عليه الاجماع وخلافهما خرق * قال انى أريد أن أنكحك إحدى ابنتى هاتين رغب شعيب فى مصاهرته لما وصفته به ولما رأى فيه من عزوفه عن الدنيا وتعلقه بالله وفراره من الكفرة * وقرأ ورش وأحمد بن موسى عن أبى عمرو أنكحك احدى بحذف الهمزة وظاهر قوله أن أنكحك ان الانكاح الى الولى لا حق للمرأة فيه خلافا لأبى حنيفة فى بعض صوره بأن تكون بالغة عالمة بمصالح نفسها فانها تعقد على نفسها بمحضر من الشهود وفيه دليل على عرض الولى وليته على الزوج وقد فعل ذلك عمر ودليل على تزويج ابنته البكر من غير استئمار وبه قال مالك والشافعى * وقال أبو حنيفة اذا بلغت البكر فلا تزوج الا برضاها * قيل وفيه دليل على قول من قال لا ينعقد الا بلفظ التزويج أو الانكاح وبه قال ربيعة والشافعى وأبو ثور وأبو عبيد وداود واحدى ابنتى مبهم وهذا عرض لا عقد ألا ترى الى قوله انى أريد وحين العقد يعين من شاء منهما وكذلك لم يحد أول أمد الاجارة والظاهر من الآية جواز النكاح بالاجارة وبه قال الشافعى وأصحابه وابن حبيب * وقال الزمخشرى هاتين فيه دليل على أنه كانت له غيرهما انتهى ولا دليل فى ذلك لانهما كانتا هما اللتين رآهما تذودان وجاءته احداهما فاشار اليهما والاشارة اليهما لا تدل على أن له غيرهما * على أن تأجرنى فى موضع الحال من ضمير أنكحك اما الفاعل واما المفعول وتأجرنى من أجرته كنت له أجيرا كقولك أبوته كنت له أبا ومفعول تأجرنى الثانى محذوف تقديره نفسك وثمانى حجج ظرف وقاله أبو البقاء * وقال الزمخشرى حجج مفعول به ومعناه رعيه ثمانى حجج * فان أتممت عشرا فمن عندك أى هو تبرع وتفضل لا اشتراط * وما أريد أن أشق عليك بالزام أتم الأجلين ولا فى المعاشرة والمناقشة فى مراعاة الاوقات وتكليف الرعاة أشياء من الخدم خارجة عن الشرط * ستجدنى ان شاء الله من الصالحين وعد صادق مقرون بالمشيئة من الصالحين فى حسن المعاملة ووطاءة الخلق أو من الصالحين على العموم فيدخل تحته حسن المعاملة ولما فرغ شعيب مما حاوربه موسى قال موسى ذلك بينى وبينك على جهة التقرير والتوثق فى ان الشرط انما وقع فى ثمانى حجج وذلك مبتدأ خبره بينى وبينك اشارة الى ما عاهده عليه أى ذلك الذى عاهدتنى وشارطتنى قائم بيننا جميعا لا نخرج عنه ثم قال أيما الاجلين أى الثمانى أو العشر فلا عدوان علىّ أى لا يعتدى على فى طلب الزيادة وأى شرط وما زائدة * وقرأ الحسن والعباس عن أبى عمرو أيما بحذف الياء الثانية كما قال الشاعر

تنظرت نصرا والسماكين أيما * على من الغيث استهلت مواطره

* وقرأ عبد الله أى الاجلين ما قضيت بزيادة ما بين الاجلين وقضيت قال الزمخشرى (فان قلت) ما الفرق بين موقع ما المزيدة فى القراءتين (قلت) وقعت فى المستفيضة مؤكدة الابهام أى زائدة فى شياعها وفى الشاذة تأكيدا للقضاء كأنه قال أى الاجلين صممت على قضائه وجردت عزيمتى له * وقرأ أبو حيوة وابن قطيب فلا عدوان بكسر العين * قال المبرد قد علم أنه لا عدوان عليه فى أيهما ولكن جمعهما ليجعل الأول كالأتم فى الوفاء * وقال الزمخشرى تصور العدوان انما هو فى

(الدر)

(ش) هاتين فيه دليل على انه كانت له غيرهما (ح) لا دليل فى ذلك لانهما كانتا هما اللتين رآهما يذودان وجاءته احداهما وأشار اليهما والاشارة اليهما لا تدل على أن له غيرهما

﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن ﴾ الآية من في من شاطئ لابتداء الغاية ومن الشجرة كذلك اذ هي بدل من الأولى أي
من قبل الشجرة والأيمن يحتمل أن يكون صفة للشاطئ وللوادي على معنى اليمن والبركة و وصفت البقعة بالبركة لما خصت به من
آيات الله تعالى وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام ويتعلق في البقعة بنودي أو يكون في موضع الحال من شاطئ والشجرة
عناب وقيل غير ذلك وأن يحتمل أن تكون تفسيرية (١١٦) وأن تكون مخففة من الثقيلة وجاء في طه نودي ياموسى اني
أنا ربك وفي النمل نودي
أن بورك من في النار
وهنا نودي من شاطئ
ولا منافاة اذ حكى في كل
سورة بعض ما اشتمل
عليه ذلك النداء والجمهور
على أنه تعالى كلمه في هذا
المقام من غير واسطة
﴿وأن ألق عصاك﴾ تقدم
الكلام عليه ونخرج
تقدم الكلام عليه أيضا
والظاهر حمل واضمم
اليك جناحك من الرهب
على الحقيقة وهو الخوف
وقرئ الرهب والرهب
والرهب قال الثوري
خاف موسى أن يكون
حدث به سوء فأمره تعالى
أن يعيد يده الى جيبه
لتعود على حالتها الاولى
فيعلم موسى انه لم يكن سوأ
بل آية من الله تعالى
﴿ فذانك ﴾ اشارة الى
العصا واليد وهما مؤنثتان
ولكن ذكر التذكير الخبر
﴿ برهانان ﴾ حجتان
نيرتان ﴿قال رب اني قتلت
منهم نفسا ﴾ هو القبطي الذي وكزه فخاف فطلب من ربه ما يزداد به قوة وذكر أخاه والعلة التي تكون زيادة في التبليغ
﴿وأفصح﴾ يدل على ان فيه فصاحة ولكن أخوه أفصح ﴿فأرسله معي ردأ يصدقني﴾ وقرئ ردأ بالهمز و ردا بحذف الهمزة
ونقل حركتها الى الدال وقرئ يصدقني بالجزم على أنه جواب الأمر وبالرفع على أنه صفة لقوله ردأ ﴿ قال سنشد عضدك ﴾
المعنى فيه سنقويك بأخيك ويقال في الخير شد الله عضدك وفي الشر فت الله في عضدك والسلطان الحجة والغلبة والتسلط
﴿ فلا يصلون إليكما ﴾ أي بسوء أو الى اذايتكما وبآياتنا أن يتعلق بقوله ونجعل أو بيصلون

أحد الأجلين الذي هو أقصر وهو المطالبة بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا (قلت)
معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت في الزيادة
على الثماني أراد بذلك تقرير الخيار وانه ثابت مستقر وان الأجلين على السواء اما هذا واما هذا من
غير تفاوت بينهما في القضاء وأما التتمة فموكولة الى رأيي ان شئت أتيت بها والا لم أجبر عليها * وقيل
معناه فلا أكون متعديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم علي ولا تبعة انتهى وجوابه
الأول فيه تكثير * والله على ما نقول أي على ما تعاهدنا عليه وتواثقنا وكيل أي شاهد * وقال قتادة
حفيظ * وقال ابن شجرة رقيب والوكيل الذي وكل اليه الأمر فلما ضمن معنى شاهد ونحوه عدي
بعلى * فلما قضى موسى الأجل جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وفى أطول الأجلين وهو العشر *
وعن مجاهد وفى عشرا وعشرا بعدها وهذا ضعيف * وسار بأهله أي نحو مصر بلده و بلد قومه
والخلاف فيمن تزوج الكبرى أم الصغرى وكذلك في اسمها وتقدم كيفية مسيره وايناسه النار في
سورة طه وغيرها * وقرأ الجمهور جذوة بكسر الجيم والاعمش وطلحة وأبو حيوة وحمزة بضمها
وعاصم غير الجعفي بفتحها لعلكم تصطلون أي تتسخنون بها اذ كانت ليلة باردة وقد أضلوا الطريق
﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى اني أنا الله
رب العالمين وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف
انك من الآمنين اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك من الرهب
فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين قال رب اني قتلت منهم نفسا
فأخاف أن يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردأ يصدقني اني أخاف أن يكذبون
قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون ﴾
من في من شاطئ لابتداء الغاية ومن الشجرة كذلك اذ هي بدل من الاولى أي من قبل الشجرة
والأيمن يحتمل أن يكون صفة للشاطئ وللوادي على معنى اليمن والبركة أو الأيمن يريد المعادل
للعضو الأيسر فيكون ذلك بالنسبة الى موسى لا للشاطئ ولا للوادي أي أيمن موسى في استقباله
حتى يهبط الوادي أو بعكس ذلك وكل هذه الاقوال في الأيمن مقول * وقرأ الاشهب العقيلي
ومسلمة في البقعة بفتح الباء * قال أبو زيد سمعت من العرب هذه بقعة طيبة بفتح الباء و وصفت
البقعة بالبركة لما خصت به من آيات الله وأنواره وتكليمه لموسى عليه السلام أو لما حوت من الارزاق
والثمار الطيبة ويتعلق في البقعة بنودي أو تكون في موضع الحال من شاطئ والشجرة عناب أو
عليق أو سمرة أو عوسج أقوال وأن يحتمل أن تكون حرف تفسير وأن تكون مخففة من الثقيلة

* وقرأت فرقة انى أنا بفتح الهمزة وفى اعرابه اشكال لان ان كانت تفسيرية فينبغى كسر انى وان كانت مصدرية تتقدر بالمفرد والمفرد لا يكون خبر الضمير الشأن فتخريج هذه القراءة على أن تكون ان تفسيرية وانى معمول لمضمر تقديره انى ياموسى اعلم انى أنا الله وجاء فى طه نودى ياموسى انى أنا ربك وفى النمل نودى أن بورك من فى النار وهنا نودى من شاطئ ولا منافاة إذ حكى فى كل سورة بعض ما اشتمل عليه ذلك النداء والجمهور على انه تعالى كلمه فى هذا المقام من غير واسطة * وقال الحسن ناداه نداء الوحى لا نداء الكلام وتقدم الكلام على نظير قوله وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ثم أمره فقال اسلك يدك فى جيبك وهو فتح الجبة من حيث يخرج الرأس وكان كم الجبة فى غاية الضيق وتقدم الكلام على تخرج بيضاء من غير سوء وفسر الجناح هنا باليد وبالعضد وبالعطاف وبما أسفل من العضد الى الرسغ وبجيب مدرعته والرهب الخوف وتأتى القراآت فيه * وقيل بفتح الراء والهاء الكم بلغة بنى حنيفة وحمير وسمع الاصمعى قائلا يقول اعطنى مافى رهبك أى فى كمك والظاهر حمل واضمم اليك جناحك من الرهب على الحقيقة * قال الثورى خاف موسى أن يكون حدث به سوء فأمره تعالى أن يعيد يده الى جيبه لتعود على حالتها الاولى فيعلم موسى انه لم يكن سوءا بل آية من الله * وقال مجاهد وابن زيد أمره بضم عضده وذراعه وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ومن شأن الانسان اذا فعل ذلك فى وقت فزعه أن يقوى قلبه * وقيل لما انقلبت العصا حية فزع موسى واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشئ فقيل له أدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء لتظهر معجزة أخرى وهذا القول بسطه الزمخشرى لانه كالتكرار لقوله أسلك يدك فى جيبك وقد قال هو والجناح هنا اليد قال لان يدى الانسان بمنزلة جناحى الطائر واذا أدخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه اليه * وقيل المعنى اذا هالك أمر لما يغلب من شعاعها فاضممها اليك تسكن * وقالت فرقة هو مجاز أمره بالعزم على ما أمره به كما تقول العرب أشدد حيازيمك واربط جأشك أى شمر فى أمرك ودع الرهب وذلك لما كثر تخوفه وفزعه فى غير موطن قاله أبو على وكأنه طير الفرع وآلة الطيران الجناح * فقيل له اسكن ولا تخف وضم منشور جناحك من الخوف اليك وذكر هذا القول الزمخشرى * فقال والثانى أن يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لانه اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومعنى من الرهب من أجل الرهب أى اذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك جعل الرهب الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله أسلك يدك فى جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض فى أحدهما خروج اليد بيضاء وفى الثانى اخفاء الرهب (فان قلت) قد جعل الجناح وهو اليد فى أحد الموضعين مضموما وفى الآخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك واضمم يدك الى جناحك فما التوفيق بينهما (قلت) المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مافى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات التى ترضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف يعطيه الفصل كسائر كلمات

(الدر)

(ش) ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مافى رهبك وليت شعرى كيف صحته فى اللغة وهل سمع من الاثبات الثقات التى ترضى عربيتهم ثم ليت شعرى كيف موقعه فى الآية وكيف يعطيه الفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الازرمانقة من صوف لا كمى لها (ح) أما قوله وهل سمع من الاثبات فهذا مروى عن الأصمعى وهو ثقة ثبت وأما قوله كيف موقعه من الآية فقالوا معناه أخرج يدك من كمك وكان قد أخذ العصا بالكم

التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة من صوف لا كمين لها انتهى أما قوله وهل سمع من الاثبات وهذا مروى عن الأصمعي وهو ثقة ثبت وأما قوله كيف موقعه من الآية فقالوا معناه أخرج يدك من كمك وكان قد أخذ العصا بالكم * وقرأ الحرميان وأبو عمرو من الرهب بفتح الراء والهاء وحفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقى السبعة بضم الراء واسكان الهاء * وقرأ قتادة والحسن وعيسى والجحدرى بضمهما * فذانك اشارة الى العصا واليد وهما مؤنثتان ولكن ذكرا التذكير الخبر كما انه قد يؤنث المذكر لتأنيث الخبر كقراءة من قرأ ثم لم يكن فتنتهم الا أن قالوا بالياء فى تكن * برهانان حجتان نيرتان * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فذانك بتشديد النون وباقى السبعة بتخفيفها * وقرأ ابن مسعود وعيسى وأبو نوفل وابن هرمز وشبل فذانيك بياء بعد النون المكسورة وهى لغة هذيل * وقيل بل لغة تميم ورواها شبل عن ابن كثير وعنه أيضا فذانيك بفتح النون قبل الياء على لغة من فتح نون التثنية نحو قوله

* على احوذيين استقلت عشية * وقرأ ابن مسعود بتشديد النون مكسورة بعدها ياء * قيل وهى لغة هذيل * وقال المهدوى بل لغتهم تخفيفها * والى فرعون يتعلق بمحذوف دل عليه المعنى تقديره اذهب الى فرعون * قال رب انى قتلت منهم نفسا هو القبطى الذى وكزه فات فطلب من ربه ما يزداد به قوة وذكر أخاه والعلة التى تكون له زيادة التبليغ وأفصح يدل على أن فيه فصاحة ولكن أخوه أفصح * فأرسله معى ردأ أى معينا يصدقنى ليس المعنى أنه يقول لى صدقت اذ يستوى فى قول هذا اللفظ العيي والفصيح وانما المعنى أنه لزيادة فصاحته يبالغ فى التبيان وفى الاجابة عن الشبهات وفى جداله الكفار * وقرأ الجمهور ردأ بالهمز وأبو جعفر ونافع والمدنيان بحذف الهمزة ونقل حركتها الى الدال والمشهور عن أبى جعفر بالنقل ولا همز ولا تنوين ووجهه انه أجرى الوصل مجرى الوقف * وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بضم القاف فاحتمل الصفة لردأ والحال احتمل الاستئناف * وقرأ باقى السبعة بالاسكان * وقرأ أبى وزيد بن على يصدقونى والضمير لفرعون وقومه * قال ابن خالويه هذا شاهد لمن جزم لأنه لو كان رفعا لقال يصدقوننى انتهى والجزم على جواب الامر والمعنى فى يصدقونى أرجو تصديقهم اياى فأجابه تعالى الى طلبته وقال سنشد عضدك بأخيك * وقرأ زيد بن على والحسن عضدك بضمتين * وعن الحسن بضم العين واسكان الضاد * وعن بعضهم بفتح العين وكسر الضاد وفتحهما قرأ به عيسى ويقال فيه عضد بفتح العين وسكون الضاد ولا أعلم أحدا قرأ به والعضد العضو المعروف وهى قوام اليد وبشدتها تشتد * قال الشاعر

أبنى لبينى لستما بيد * الا يدا ليست لها عضد

والمعنى فيه سنقويك بأخيك ويقال فى الخير شد الله عضدك وفى الشر فت الله فى عضدك والسلطان الحجة والغلبة والتسليط * فلا يصلون اليكما أى بسوء أو الى اذايتكما ويحتمل بآياتنا أن يتعلق بقوله ويجعل أو بيصلون أو بالغالبون وان كان موصولا على مذهب من يجوز عنده أن يتقدم الظرف والجار والمجرور على صلة أل وان كان عنده موصولا على سبيل الاتساع أو بفعل محذوف أى اذهبا بآياتنا كما علق فى تسع آيات باذهب أو على البيان فالعامل محذوف وهذه أعاريب منقولة * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون قسما جوابه فلا يصلون مقدما عليه أو من لغو القسم انتهى اما انه قسم جوابه فلا يصلون فانه لا يستقيم على قول الجمهور لأن جواب القسم لا تدخله الفاء وأما قوله أو من

﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا ﴾ الآية بآياتنا هي العصا واليد بينات أي واضحات الدلالة على صدقه وانه أمر خارق كفوا عن مقاومته ورجعوا الى البهت والكذب على عادتهم ونفوا أنهم ماسمعوا بهذا في آبائهم الأولين وقد كذبوا في ذلك لان الرسل جاءت به قبل ولما رأى موسى ماقابلوه به من انتفاء السماع في الزمان السابق ﴿ قال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ﴾ يعني بذلك نفسه ونفى فرعون علمه باله غيره للملأ ويريد بذلك نفي وجوده أي مالكم من اله غيري واستمر في مخرقته ونادى وزيره هامان وأمره ان يوقد النار على الطين قيل وهو أول من عمل الآجر ولم يقل أطبخ الآجر لانه لم يتقدم لهامان علم بذلك ففرعون هو الذي يعلمه مايصنع ﴿ فاجعل لي صرحا ﴾ أي ابن لي ﴿ لعلي أطلع الى إله موسى ﴾ أوهم قومه ان إله موسى يمكن الوصول اليه والقدرة عليه وهو عالم متيقن ان ذلك لا يمكن واطلع في معنى طلع يقال طلع الى الجبل واطلع بمعنى واحد والارض هنا أرض مصر ﴿ فنبذناهم في اليم ﴾ كناية عن ادخالهم في البحر حتى غرقوا شبهوا بحصيات قذفها الرامي من يده ومنه نبذ النواة وجعل هنا بمعنى صير أي صيرناهم أئمة أي قدوة للكفار يقتدون في ضلالهم اشتهر وابذلك وبقي حديثهم وعطف ويوم القيامة على في هذه الدنيا ﴿ ومن المقبوحين ﴾ قال ابن عباس من المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴾ وهو التوراة وهو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض والاحكام ﴿ من بعد ما أهلكنا القرون الاولى ﴾ قوم نوح وهود وصالح ولوط ويقال لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التي مسخ أهلها قردة وانتصب بصائر على الحال أي طرائق هدى يستبصر بها ﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ الآية لما قص تعالى من أنباء موسى وغرائب ماجرى له أوحى تعالى بجميع ذلك الى محمد عليه الصلاة والسلام ذكره بانعامه عليه بذلك وبما قصه من الغيوب التي كان لايعلمها لاهو ولاقومه فقال

لغو القسم فكأنه يريد والله أعلم انه لم يذكر له جواب بل حذف للدلالة عليه أي بآياتنا تغلبان ﴿ فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى إله موسى واني لأظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لايرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون الى النار ويوم القيامة لاينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴾ بآياتنا هي العصا واليد بينات أي واضحات الدلالة على صدقه وانه أمر خارق معجز كفوا عن مقاومته ومعارضته فرجعوا الى البهت والكذب ونسبوه الى أنه سحر لأنهم يرون الشيء على حالة ثم يرونه على حالة أخرى ثم يعود الى الحالة الأولى فزعموا أنه سحر يفتعله موسى ويفتريه على الله فليس بمعجز ثم مع دعواهم أنه سحر مفترى وكذبهم في ذلك زادوا في الكذب أنهم ماسمعوا بهذا في آبائهم أي في زمان آبائهم وأيامهم وفي آبائنا حال أي بهذا أي بمثل هذا كائنا في أيام آبائنا واذا نفوا السماع لمثل هذا في الزمان السابق ثبت أن ما ادعاه موسى هو بدع لم يسبق الى مثله فدل على أنه مفترى على الله وقد كذبوا في ذلك وطرق سمعهم أخبار الرسل السابقين موسى في الزمان ألا ترى الى قول مؤمن آل فرعون ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ولما رأى موسى ماقابلوه به من كون ما أتى به سحرا وانتفاء سماع مثله في الزمان السابق قال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده حيث أهله للرسالة وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى ويعني بذلك نفسه ولو كان كما يزعمون لم يرسله ثم نبه على العلة الموجبة لعدم الفلاح وهي الظلم وضع الشيء غير موضعه حيث دعوا الى الايمان بالله وأتوا بالمعجزات فادعوا الالهية ونسبوا ذلك المعجز الى السحر * وعاقبة الدار وان كانت تصلح للمحمودة والمذمومة فقد كثر استعمالها في المحمودة فان لم تقيد حملت عليها ألا ترى الى قوله أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقال وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار * وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وباقي السبعة بالواو * ومناسبة قراءة الجمهور أنه لما جاءهم بالبينات قالوا كيت وكيت وقال موسى كيت وكيت فيتميز الناظر فصل مابين القولين وفساد أحدهما اذ قد تقابلا فيعلم يقينا أن قول موسى هو الحق والهدى * ومناسبة قراءة ابن كثير

انه موضع قراءة لما قالوا كيت وكيت قال موسى كيت وكيت ونفى فرعون علمه باله غيره للملا
ويريد بذلك نفى وجوده أى مالكم من إله غيرى ويجوز أن يكون غير معلوم عنده اله لهم ولكنه
مظنون فيكون النفى على ظاهره ويدل على ذلك قوله وانى لأظنه من الكاذبين وهو الكاذب فى
انتفاء علمه باله غيره ألا ترى الى قوله حالة غرقه آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل واستمر
فرعون فى مخرقته ونادى وزيره هامان وأمره أن يوقد النار على الطين * قيل وهو أول من عمل
الآجر ولم يقل أطبخ الآجر لأنه لم يتقدم لهامان علم بذلك ففرعون هو الذى يعلمه مايصنع * فاجعل لى
صرحا أى ابن لى لعلى أطلع الى اله موسى أوهم قومه ان اله موسى يمكن الوصول اليه والقدرة عليه
وهو عالم متيقن أن ذلك لا يمكن له وقومه لغباوتهم وجهلهم وافراط عمايتهم يمكن ذلك عندهم ونفس
اقليم مصر يقتضى لأهله تصديقهم بالمستحيلات وتأثرهم للوهمان والخيالات ولايشك انه كان من قوم
فرعون من يعتقد أنه مبطل فى دعواه ولكن يوافقه مخافة سطوه واعتدائه كما رأيناه يعرض
لكثير من العقلاء اذا حدث رئيس بحضرته بحديث مستحيل يوافقه على ذلك الحديث ولا يدل
الامر ببناء الصرح على أنه بنى وقد اختلف فى ذلك * فقيل بناه وذكر من وصفه بما الله أعلم به *
وقيل لم يبن * واطلع فى معنى اطلع يقال طلع الى الجبل واطلع بمعنى واحد أى صعد فافتعل فيه بمعنى
الفعل المجرد و بغير الحق إذ ليس لهم ذلك فهم مبطلون فى استكبارهم حيث ادعى الالهية ووافقوه
على ذلك والكبرياء فى الحقيقة انما هو لله * وقرأ حمزة والكسائى ونافع لا يرجعون مبنيا للفاعل
والجمهور مبنيا للمفعول والارض هنا أرض مصر * فنبذناهم فى اليم كناية عن ادخالهم فى البحر حتى
غرقوا شبهوا بحصيات قذفها الرامى من يده ومنه نبذ النواة * وقول الشاعر

نظرت الى عنوانه فنبذته * كنبذك نعلا من نعالك باليا

وقوم فرعون وفرعون وان ساروا الى البحر باختيارهم فى طلب بنى اسرائيل فان ماضمهم من
القدر السابق واغراقهم فى البحر هو نبذ الله إياهم * وجعل هنا بمعنى صير أى صيرناهم أئمة قدوة
للكفار يقتدون بهم فى ضلالتهم كما ان للخير أئمة يقتدى بهم اشتهروا بذلك وبقى حديثهم * وقال
الزمخشرى وجعلناهم دعوناهم أئمة دعاة الى النار وقلنا انهم أئمة دعاة الى النار وهو من قولك جعله
بخيلا وفاسقا اذا دعاه فقال انه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة فى تفسير فسقه وبخله جعله بخيلا
وفاسقا ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى النار
دعوتهم الى موجباتها من الكفر انتهى وانما فسر جعلناهم بمعنى دعوناهم لا بمعنى صيرناهم جريا
على مذهبه من الاعتزال لأن فى تصييرهم أئمة خلق ذلك لهم وعلى مذهب المعتزلة لا يجوزون ذلك من
الله ولا ينسبونه اليه قال ويجوز خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما
يمنعها من علم انه لا ينفع فيه وهو المصمم على الكفر الذى لا تغنى عنه الآيات والنذر انتهى وهو على
طريقة الاعتزال أيضا * لعنة أى طردا وابعادا وعطف يوم القيامة على فى هذه الدنيا من المقبوحين
* قال أبو عبيدة من الهالكين * وقال ابن عباس من المشوهين الخلقة لسواد الوجوه وزرقة
العيون * وقيل من المبعدين ولما ذكر تعالى ما آل اليه فرعون وقومه من غضب الله عليهم
واغراقه ذكر ماامتن به على رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد آتينا موسى الكتاب وهو
التوراة وهو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض والاحكام * من بعدما أهلكنا القرون الأولى قوم نوح
وهود وصالح ولوط ويقال لم تهلك قرية بعد نزول التوراة غير القرية التى مسخ أهلها قردة * وانتصب

بصائر على الحال أي طرائق هدى يستبصر بها ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ لما قص الله تعالى من أنباء موسى وغرائب ما جرى له من الحمل به في وقت ذبح الأبناء ورميه في البحر في تابوت ورده الى أمه وتبني فرعون له وإيتائه الحكم والعلم وقتله القبطي وخروجه من منشئه فارا وتصاهره مع شعيب ورعيه لغنمه السنين الطويلة وعوده الى مصر واضلاله الطريق ومناجاة الله له واظهار تينك المعجزتين العظيمتين على يديه وهي العصا واليد وأمره بالذهاب الى فرعون ومحاورته معه وتكذيب فرعون واهلاكه واهلاك قومه والامتنان على موسى بإيتائه التوراة وأوحى تعالى بجميع ذلك الى محمد رسوله صلى الله عليه وسلم ذكره بانعامه عليه بذلك وبما خصه من الغيوب التي كان لا يعلمها الا هو ولا قومه فقال وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الأمر * والأمر * قيل النبوة والحكم الذي آتاه الله موسى * وقيل الامر أمر محمد عليه السلام أن يكون من أمته وهذا التأويل يلتئم معه ما بعده من قوله ولكنا أنشأنا قرونا * وقيل الأمر هلاك فرعون بالماء ويحمل بجانب الغربي على اليم وبدأ أولا بنفي شيء خاص وهو انه لم يحضر

﴿ وما كنت بجانب الغربي ﴾ والامر قيل الحكم والنبوة الذي آتاه الله موسى وبدأ أولا بنفي شيء خاص وهو انه لم يحضر وقت قضاء الله لموسى الامر ثم ثنى بكونه لم يكن من الشاهدين والمعنى والله أعلم من الشاهدين بجميع ما أعلمناك به فهو نفي لشهادته جميع ما جرى لموسى عليه السلام فكان عموما بعد خصوص وبجانب الغربي من اضافة الموصوف الى صفته عند قوم ومن حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه عند قوم تقديره أصله بالجانب الغربي وعلى الثاني أصله بجانب المكان الغربي ﴿ وما كنت ثاويا ﴾ أي مقيما ﴿ في أهل مدين ﴾ هم شعيب والمؤمنون ﴿ تتلو عليهم ﴾ آياتنا تقرأ عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها ﴿ إذ نادينا ﴾ يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن أعلمناك رحمة وأرسلناك لتنذر قوما العرب ولولا الاولى حرف امتناع لوجود وما ﴿ وأن تصيبهم ﴾ في موضع المبتدأ كانه قال لولا إصابتهم ﴿ فيقولوا ﴾ معطوف على أن تصيبهم ولولا الثانية للتحضيض جوابها فنتبع ونكون

وجواب لولا الاولى محذوف تقديره ما أرسلناك منذرا لهم ﴿ فلما جاءهم الحق ﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه عائد على قريش الذين قالوا لولا أوتي أي محمد مثل ما أوتي موسى وذلك أن تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيب لموسى عليه السلام ونسبتهم السحر للرسول نسبة السحر لموسى اذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم من واد واحد فمن نسب الى واحد من الأنبياء ما لا يليق كان ناسبا ذلك الى جميع الأنبياء وتتناسق الضمائر كلها في هذا وفي قوله ﴿ قل فأتوا بكتاب من عند الله ﴾ وإن كان الظاهر من لقول انه النطق اللساني فقد ينطلق على الاعتقاد وهو من حيث انكار النبوات معتقدون ان ما ظهر على أيدي الأنبياء من الآيات انما هو من باب السحر وقرئ ساحران وسحران والضمير في جاءهم عائد على العرب ﴿ إنا بكل كافرون ﴾ أي بكل من الساحرين أو من السحرين ثم أمره تعالى أن يصدع بهذه الآية وهي قوله قل فاتوا أي أنتم أيها المكذبون بالكتب الالهية التي تضمنت الأمر بالعبادات ومكارم الاخلاق ونهت عن الكفر والنقائص ووعد الله عليها الثواب الجزيل ان كان تكذيبكم لمعنى فأتوا بكتاب من عند الله يهدي أكثر من هذه أتبعه معكم والضمير في منهما عائد على ما أنزل على موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وتعليق اتيانهم بشرط الصدق أمر متحقق متيقن انه لا يكون ولا يمكن صدقهم كانه لا يمكن أن يأتوا بكتاب من عند الله يكون أهدى من الكتابين ويجوز أن يراد بالشرط التهكم بهم ﴿ فان لم يستجيبوا لك ﴾ قال ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو أفضل والاستجابة تقتضي دعاء وهو صلى الله عليه وسلم يدعوهم دائما الى الايمان

وقت قضاء الله لموسى الامر ثم ثنى بكونه لم يكن من الشاهدين والمعنى والله أعلم من الشاهدين بجميع ما أعلمناك به فهو نفى لشهادته جميع ما جرى لموسى فكان عموما بعد خصوص * وبجانب الغربى من اضافة الموصوف الى صفته عند قوم ومن حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه عند قوم فعلى القول الأول أصله بالجانب الغربى وعلى الثانى أصله بجانب المكان الغربى والترجيح بين القولين مذكور فى النحو * والغربى * قال قتادة غربى الجبل * وقال الحسن بعث الله موسى بالغرب * وقال أبو عبيدة حيث تغرب الشمس والقمر والنجوم * وقيل هنا جبل غربى * وقيل الغربى من الوادى * وقيل من البحر * قال ابن عطية المعنى لم تحضر يا محمد هذه الغيوب التى تخبر بها ولكنها صارت اليك بوحينا أى فكان الواجب أن يسارع الى الايمان بك ولكن تطاول الامر على القرون التى أنشأناها زمنا زمنا فعزبت حلومهم واستحكمت جهالتهم وضلالتهم * وقال الزمخشرى الغرب المكان الواقع فى شق الغرب وهو المكان الذى وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له فى الالواح والامر المقضى الى موسى الوحى الذى أوحى اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضرا المكان الذى أوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحى اليه أو على الوحى اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جملة المشاهدة على ما جرى من أمر موسى فى ميقاته وكتب التوراة له فى الالواح وغير ذلك (فان قلت) كيف يتصل قوله ولكنا أنشأنا قرونا بهذا الكلام ومن أى جهة يكون استدراكا له (قلت) اتصاله به وكونه استدراكا من حيث ان معناه ولكنا أنشأنا بعد عهد الوحى الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذى أنت فيهم * العمر أى أمد انقطاع الوحى واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فأرسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كأنه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحيناه اليك فذكر سبب الوحى الذى هو اطالة النظرة ودل به على المسبب على عادة الله فى اختصاره فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده * وما كنت ثاويا أى مقيما فى أهل مدين هم شعيب والمؤمنون * تتلو عليهم آياتنا تقرأ عليهم تعلما منهم يريد الآيات التى فيها قصة شعيب وقومه * ولكنا أرسلناك وأخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك * وقيل فتطاول عليهم العمر وفترت النبوة ودرست الشرائع وحرف كثير منها وتمام الكلام مضمر تقديره وأرسلناك مجددا لتلك الاخبار مميزا للحق مما اختلف فيه منها رحمة منا * وقيل يحتمل أن يكون المعنى وما كنت من الشاهدين فى ذلك الزمان وكانت بينك وبين موسى قرون تطاولت أعمارهم وأنت تخبر الآن عن تلك الأحوال اخبار مشاهدة وعيان بايحائنا معجزة لك * وقيل تتلو حال * وقيل مستأنف أى أنت الآن تتلو قصة شعيب ولكنا أرسلناك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار المنسية تتلوها عليهم ولولاك ما أخبرتهم بما لم يشاهدوه * وقال الفراء وما كنت ثاويا فى أهل مدين مع موسى فتراه وتسمع كلامه وها أنت تتلو عليهم آياتنا أى على أمتك فهو مقطع انتهى * قيل واذا لم يكن حاضرا فى ذلك المكان فما معنى وما كنت من الشاهدين * فقال ابن عباس التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع فانه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى * وقال مقاتل لم يشهد أهل مدين فيقرأ على أهل مكة خبرهم ولكنا أرسلناك الى أهل مكة وأنزلنا اليك هذه الاخبار ولولا ذلك ما علمت * وقال الضحاك يقول انك يا محمد لم تكن الرسول الى أهل مدين تتلو عليهم آيات الكتاب وانما كان

غيرك ولكنا كنا مرسلين في كل زمان رسولا فأرسلنا الى مدين شعيبا وأرسلناك الى العرب لتكون خاتم الأنبياء انتهى * وقال الطبرى اذ نادينا بأن سأكتبها للذين يتقون الآية * وعن أبى هريرة انه نودى من السماء حينئذ يا أمة محمد استجبت لكم قبل أن تدعونى وغفرت لكم قبل أن تسألونى فحينئذ قال موسى عليه السلام اللهم اجعلنى من أمة محمد فالمعنى اذ نادينا بأمرك وأخبرناك بنبوتك * وقرأ الجمهور رحمة بالنصب فقدر ولكن جعلناك رحمة وقدر أعلمناك ونبأناك رحمة * وقرأ عيسى وأبو حيوة بالرفع وقدر ولكن هو رحمة أوهو رحمة أوأنت رحمة * لتنذر قوما ماأتاهم من نذير أى فى زمن الفترة بينك وبين عيسى وهو خمسمائة وخمسون عاما ونحوه وجواب لولا محذوف والمعنى لولا أنهم قائلون اذ عوقبوا بماقدموا من الشرك والمعاصى هلا أرسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا ماأرسلنا اليهم أى انما أرسلنا الرسل ازالة لهذا العذر كما قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أن يقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير وتقدير الجواب ماأرسلنا اليهم الرسل هو قول الزجاج * وقال ابن عطية تقديره لعاجلناهم بما يستحقونه والمصيبة العذاب ولما كان أكثر الأعمال تزاول بالايدى عبر عن كل عمل باجتراح الايدى حتى أعمال القلوب اتساعا فى الكلام وتصيير الأقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الأقل والفاء فى فيقولوا للعطف على تصيبهم ولولا الثانية للتحضيض وفتبع الفاء فيه جواب للتحضيض * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هى السبب فى الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (قلت) القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هى السبب للقول فكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كأنها سبب الارسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجىء بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناها الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهو انهم لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا ماألجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا وانما السبب فى قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التأسف على مافاتهم من الايمان بخالقهم وفى هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخهم فيه مالا يخفى كقولهم ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه انتهى * والحق هو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالكتاب المعجز الذى قطع معاذيرهم * وقيل القرآن مثل ماأوتى موسى * من قبل أى من قبل الكتاب المنزل جملة واحدة وانقلاب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات اقترحوا ذلك على سبيل التعنت والعناد كما قالوا لولا أنزل عليه كنز وماأشبه ذلك من المقترحات لهم وهذه المقالة التى قالوها هى من تعليم اليهود لقريش قالوا لهم الا يأتى بآية باهرة كآيات موسى فرد الله عليهم بانهم كفروا بآيات موسى وقد وقع منهم فى آيات موسى ماوقع من هؤلاء فى آيات الرسول فالضمير فى أولم يكفروا لليهود قاله ابن عطية * وقيل قائل ذلك العرب بالتعليم كما قلنا * وقيل قائل ذلك اليهود ويظهر عندى انه عائد على قريش الذين قالوا لولا أوتى أى محمد ماأوتى موسى وذلك أن تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم تكذيب لموسى عليه السلام ونسبتهم السحر للرسول نسبة السحر لموسى اذ الأنبياء هم من واد واحد فمن نسب الى أحد من الأنبياء مالا يليق كان ناسبا ذلك الى جميع الأنبياء وتتناسق الضمائر كلها فى هذا وفى قوله قل فأتوا بكتاب من عند الله وان كان الظاهر من القول انه النطق اللسانى فقد يطلق على الاعتقاد وهم من حيث انكار النبوات معتقدون ان ماظهر على أيدى الأنبياء من الآيات انما هو من باب السحر

*وقال الزمخشري أولم يكفروا يعني آباء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما أوتي موسى *وعن الحسن قد كان للعرب أصل في أيام موسى فمعناه على هذا أولم يكفر آباؤهم قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا أي تعاونا انتهى * ومن قبل يحتمل أن يتعلق بيكفروا وبما أوتي * وقرأ الجمهور ساحران *قال مجاهد موسى وهرون * وقال الحسن موسى وعيسى * وقال ابن عباس موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم *وقال الحسن أيضا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام *وقرأ عبد الله وزيد بن علي والكوفيون سحران * قال ابن عباس التوراة والقرآن * وقيل التوراة والانجيل أو موسى وهرون جعلا سحرين على سبيل المبالغة *تظاهرا تعاونا * قرأ الجمهور تظاهرا فعلا ماضيا على وزن تفاعل *وقرأ طلحة والأعمش اظاهرا بهمزة الوصل وشد الظاء وكذا هي في حرف عبد الله وأصله تظاهرا فأدغم التاء في الظاء فاجتلبت همزة الوصل لأجل سكون التاء المدغمة *وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث الذماري وأبو حيوة وأبو خلاد عن اليزيدي تظاهرا بالتاء وتشديد الظاء *قال ابن خالويه وتشديده لحن لانه فعل ماض وانما يشدد في المضارع *وقال صاحب اللوامح ولا أعرف وجهه * وقال صاحب الكامل في القراآت ولا معنى له انتهى وله تخريج في اللسان وذلك انه مضارع حذفت منه النون وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر وساحران خبر مبتدا محذوف تقديره أنتما ساحران تتظاهران ثم أدغمت التاء في الظاء وحذفت النون وروعي ضمير الخطاب ولو قرئ يظاهرا بالياء حملا على مراعاة ساحران لكان له وجه أو على تقديرهما ساحران تظاهرا *وقالوا انا بكل كافرون أي بكل من الساحرين أو السحرين ثم أمره تعالى أن يصدع بهذه الآية وهي قوله قل فأتوا أي أنتم أيها المكذبون بهذه الكتب التي تضمنت الامر بالعبادات ومكارم الأخلاق ونهت عن الكفر والنقائص ووعد الله عليها الثواب الجزيل ان كان تكذيبكم لمعنى فأتوا بكتاب من عند الله يهدي أكثر من هدى هذه أتبعه معكم وانعيير في منهما عائد على ما أنزل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما وسلم وتعليق اتيانهم بشرط الصدق أمر محقق متيقن انه لا يكون ولا يمكن صدقهم كما انه لا يمكن ان يأتوا بكتاب من عند الله يكون أهدى من الكتابين ويجوز أن يراد بالشرط التهكم بهم * وقرأ زيد بن علي اتبعه برفع العين على الاستئناف أي انا اتبعه *فان لم يستجيبوا لك قال ابن عباس يريد فان لم يؤمنوا بما جئت به من الحجج ولم يمكنهم أن يأتوا بكتاب هو أفضل والاستجابة تقتضي دعاء وهو صلى الله عليه وسلم يدعو دائما الى الايمان أي فان لم يستجيبوا لك بعدما وضح لهم من المعجزات التي تضمنها كتابك الذي أنزل أو يكون قوله فأتوا بكتاب هو الدعاء اذ هو طلب منهم ودعاء لهم بأن يأتوا به ومعلوم انهم لا يستجيبون لان يأتوا بكتاب من عند الله فاعلم انه ليس لهم الا اتباع هوى مجرد لا اتباع دليل واستجاب بمعنى أجاب ويعدى للداعي باللام ودونها كما قال فاستجاب له ربه فاستجبناه ووهبناه يحيى فان لم يستجيبوا لكم *وقال الشاعر

*فلم يستجبه عند ذاك مجيب * فعداه بغير لام *وقال الزمخشري هذا الفعل يتعدى الى الدعاء والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدي الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله دعاءه واستجاب له فلا يكاد يقال استجاب له دعاءه وأما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف انتهى *ومن أضل أي لا أحد أضل وبغير هدى في موضع الحال وهذا الحال قيد في اتباع الهوى لأنه قد يتبع الانسان ما يهواه ويكون ذلك الذي يهواه فيه هدى من الله لأن الأهواء كلها تنقسم الى ما يكون فيه هدى

(الدر)

(ح) قرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث الذماري وأبو حيوة وأبو خلاد عن اليزيدي تظاهرا بالتاء وتشديد الظاء قال ابن خالويه وتشديده لحن لأنه فعل ماض وانما تشدد في المضارع وقال صاحب اللوامح ولا أعرف وجهه وقال صاحب الكامل في القراآت ولا معنى له انتهى وله تخريج في اللسان وذلك أنه مضارع حذفت منه النون وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر

وما لا يكون فيه هدى فلذلك قيد بهذه الحال * وقال الزمخشري يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه انتهى وهو على طريق الاعتزال ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ قرأ الجمهور وصلنا مشددة الصاد والحسن بتخفيفها والضمير في لهم لقريش * وقال رفاعة القرظي نزلت في عشرة من اليهود أنا أحدهم * قال الجمهور وصلنا تابعنا القرآن موصولا بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام * وقال الحسن وفي ذكر الأمم المهلكة * وقال مجاهد جعلناه أوصالا من حيث كان أنواعا من القول في معان مختلفة * وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الآخرة بخبر الدنيا حتى كأنهم عاينوا الآخرة * وقال الأخفش أتممنا وصلك الشيء بالشيء وأصل التوصل في الحبل يوصل بعضه ببعض * وقال الشاعر

فقل لبني مروان ما بال ذمتي * بحبل ضعيف لا يزال يوصل

وهذه الأقوال معناها توصيل المعنى فيها إليهم وقرأت فرقة التوصيل بالنسبة إلى الألفاظ أي وصلنا لهم قولا معجزا دالا على نبوتك وأهل الكتاب هنا جماعة من اليهود أسلمت وكان الكفار يؤذونهم أو بحيرا الراهب أو النجاشي أو سلمان الفارسي وابن سلام وأبو رفاعة وابنه في عشرة من اليهود أسلموا أو أربعون من أهل الإنجيل كانوا مؤمنين بالرسول قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وثمانية قدموا من الشام بحيرا وأبرهة وأشرف وأربد وتمام وإدريس ونافع وزادوا أو ابن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان سبعة أقوال آخرها لقتادة والظاهر أنها أمثلة لمن آمن منهم والضمير في به عائد على القول وهو القرآن * وقال الفراء عائد على الرسول وقال أيضا إن عاد على القرآن كان صوابا لأنهم قد قالوا إنه الحق من ربنا انتهى * إنه الحق من ربنا تعليل للإيمان به لأن كونه حقا من الله حقيق بأن يؤمن به * إنا كنا من قبله مسلمين بيان لقوله آمنا به أي إيماننا به متقادم إذ كان الآباء الأقدمون إلى آبائنا قرأوا ما في الكتاب الأول وأعلموا بذلك الأبناء فنحن مسلمون من قبل نزوله وتلاوته علينا والإسلام صفة كل موحد مصدق بالوحي وإيتاء الأجر مرتين لكونه آمن بكتابه وبالقرآن وعلل ذلك بصبرهم أي على تكاليف الشريعة السابقة لهم وهذه الشريعة وما يلقون من الأذى وفي الحديث ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث * ويدرؤن يدفعون بالحسنة بالطاعة السيئة المعصية المتقدمة أو بالحلم الأذى وذلك من مكارم الأخلاق * وقال ابن مسعود يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك * وقال ابن جبير بالمعروف المنكر * وقال ابن زيد بالخير الشر * وقال ابن سلام بالعلم الجهل وبالكظم الغيظ وفي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن واللغو سقط القول * وقال مجاهد الأذى والسب * وقال الضحاك الشرك * وقال ابن زيد ما غيرته اليهود من وصف الرسول سمعه قوم منهم فكرهوا ذلك وأعرضوا ولكم أعمالكم خطاب لقائل اللغو المفهوم ذلك من قوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه * سلام

﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ الآية الضمير في لهم عائد على قريش وقال رفاعة القرظي نزلت في عشرة من اليهود هو أحدهم ومعنى وصلنا تابعنا القرآن موصولا بعضه ببعض في المواعظ والزجر والدعاء إلى الإسلام وفي الحديث ثلاثة يؤتيهم الله أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ أي لا تقدر على خلق الهداية فيه ولا تنافي بين هذا وبين قوله وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم لأن معنى هذا وإنك لترشد وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب وحديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حاله أن مات مشهور والضمير في وقالوا عائد على قريش وقيل الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف إنك على الحق فنخاف من اتباعك ومعنى يجبى يساق

عليكم * قال الزجاج سلام متاركة لا سلام تحية * لا نبتغي الجاهلين أي لا نطلب مخالطتهم * إنك لا تهدي من أحببت أي لا تقدر على خلق الهداية فيه ولا تنافي بين هذا وبين قوله وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم لأن معنى هذا وإنك لترشد وقد أجمع المسلمون على أنها نزلت في أبي طالب وحديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة أن مات مشهور * وقال الزمخشري لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت لأنك لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الإسلام من يشاء وهو الذي علم أنه غير مطبوع على قلبه وأن الألطاف تنفع فيه فتقرب به ألطافه حتى يدعوه إلى القبول * وهو أعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون انتهى وهو على طريقة الاعتزال في أمر الألطاف وقالوا الضمير في وقالوا لقريش * وقيل القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف إنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب فذلك وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون أن يتخطفونا من أرضنا وقولهم الهدى معك أي على زعمك فقطع الله حجتهم إذ كانوا وهم كفار بالله عباد أصنام قد أمنوا في حرمهم والناس في غيره يتقاتلون وهم مقيمون في بلد غير ذي زرع يجبى إليهم ما يحتاجون من الأقوات فكيف إذا آمنوا واهتدوا فهو تعالى يمهد لهم الأرض ويملكهم الأرض كما وعدهم تعالى ووقع ما وعد به ووصف الحرم بالأمن مجاز إذ الآمنون فيه هم ساكنوه * وثمرات كل شيء عام مخصوص يراد به الكثرة * وقرأ المنقري يتخطف برفع الفاء مثل قوله تعالى أينما تكونوا يدرككم برفع الكاف أي فيدرككم أي فهو يدرككم وقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها أي فيتخطف فالله يشكرها وهو تخريج شذوذ * وقرأ نافع وجماعة عن يعقوب وأبو حاتم عن عاصم تجبى بتاء التأنيث والباقون بالياء * وقرأ الجمهور ثمرات بفتحتين وأبان بن تغلب بضمتين وبعضهم بفتح الثاء وإسكان الميم وانتصب رزقا على أنه مصدر من المعنى لأن قوله يجبى إليه ثمرات أي يرزق ثمرات أو على أنه مفعول له وفاعل الفعل المعلل محذوف أي نسوق إليه ثمرات كل شيء وإن كان الرزق ليس مصدرا بل بمعنى المرزوق جاز انتصابه على الحال من ثمرات ويحسن ذلك تخصصها بالإضافة وأكثرهم لا يعلمون أي جهلة بأن ذلك الرزق هو من عندنا

﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين ﴾ هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم * ومعيشتها منصوب على التمييز على مذهب الكوفيين أو مشبه بالمفعول على مذهب بعضهم أو مفعول به على تضمين بطرت معنى فعل متعد أي خسرت معيشتها على مذهب أكثر البصريين أو على إسقاط في أي في معيشتها على مذهب الأخفش أو على الظرف على تقدير أيام معيشتها كقولك جئت خفوق النجم على قول الزجاج * فتلك مساكنهم أشار إليها أي تروها خرابا تمرون عليها كحجر ثمود هلكوا وفنوا وتقدم ذكر المساكن وتسكن فاحتمل أن يكون الاستثناء في قوله إلا قليلا من المساكن أي إلا قليلا منها سكن واحتمل أن يكون من المصدر المفهوم من قوله لم

﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ الآية هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله تعالى عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالأشر والبطر فدمرهم الله تعالى وخرب ديارهم ومعيشتها منصوب على التمييز على مذهب الكوفيين أو مشبه بالمفعول على مذهب بعضهم أو مفعول به على تضمين بطرت أي خسرت أو على إسقاط في أي في معيشتها أو على الظرف على حذف مضاف أي أيام معيشتها وتقدم ذكر المساكن ﴿وما كان ربك﴾ تقدم الكلام عليه لما ذكر تعالى تفاوت بين ما أوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال فبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا والفاء في فهو لاقيه للتسبب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخير وثم لتراخي حال الإحضار عن حال التمتع بتراخي وقته عن وقته وقرئ ثم هو بضم الهاء وبسكونها أجرى مجرى الفاء والواو فكما سكنوا هاء هو وهي نحو فهو وهي فكذلك سكنوها بعد ثم ومعنى من المحضرين أي المحضرين العذاب

﴿ويوم يناديهم﴾ الآية نداؤه تعالى يحتمل أن يكون بواسطة أو بغير واسطة فيقول ان شركائي أي على زعمكم وهذا الاستفهام على جهة التوبيخ والتقريع والشركاء هم من عبدوه من دون الله تعالى من ملك أو غيره ومفعولا يزعمون محذوفان أحدهما العائد على الموصول والتقدير يزعمونهم شركاء ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ أي الشياطين وأئمة الكفر ورؤسه وحق أي وجب عليهم القول أي مقتضاه وهؤلاء مبتدأ والذين

صفة له وأغوينا صلة للذين والعائد محذوف تقديره أغويناهم وأغويناهم خبر المبتدأ وتقييد بقوله كما غوينا استفيد من الخبر مالم يستفد من الصلة ويجوز أن يكون هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا خبر المبتدأ وأغويناهم استئناف اخبار مقيد بقوله كما غوينا ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ لما سئلوا أين شركاؤكم وأجابوا بغير جواب سئلوا ثانيا فقيل ادعوا شركاءكم وأضاف الشركاء اليهم أي الذين جعلتموهم شركاء الله وقوله ادعوا على سبيل التهكم بهم لانه يعلم أنه لا فائدة في دعائهم ﴿فدعوهم﴾ هذا لسخافة عقولهم في ذلك الموطن أيضا اذ لم يعلموا أن من كان موجودا منهم في ذلك الموطن لا يجيبهم والضمير في رأوا قيل للتابع والمتبوع وجواب لو محذوف والظاهر أن يقدر مما يدل عليه ما يليه أي لو كانوا مؤمنين ما رأوا العذاب في الآخرة ﴿ويوم يناديهم﴾ حكى أولا ما يوبخهم به من اتخاذ الشركاء ثم باستغاثتهم بشركائهم ثم بما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازالة العلل ومعنى عميت أظلمت عليهم الأمور فلم يستطيعوا أن يخبروا بما فيه نجاة لهم وأتى بلفظ الماضي لتحقق وقوعه ﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي لا يسأل بعضهم بعضا فيما يتخلصون به اذ أيقنوا أنهم لا حجة لهم فهم في عمى وعجز عن الجواب والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ نزلت بسبب ما تكلمت به قريش من استغراب

تسكن أي الا سكنى قليلا أي لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق * وكنا نحن الوارثين أي لتلك المساكن وغيرها كقوله انا نحن نرث الارض خلت من ساكنيها فخربت

تخلف الآثار عن أصحابها * حينا ويدركها الفناء فتتبع

والظاهر ان القرى عامة في القرى التي هلكت فالمعنى أنه تعالى لا يهلكها في كل وقت * حتى يبعث في أم تلك القرى أي كبيرتها التي ترجع تلك القرى اليها ومنها يمتارون وفيها عظيمهم الحاكم على تلك القرى * حتى يبعث في أمها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة ويحتمل أن يراد بالقرى القرى التي في عصر الرسول فيكون أم القرى مكة ويكون الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وظلم أهلها هو بالكفر والمعاصي * وما أوتيتم من شئ أي حسن يسركم وتفخرون به * فمتاع الحياة الدنيا وزينتها تمتعون أياما قلائل وما عند الله من النعيم الدائم الباقي المعد للمؤمنين خير من متاعكم * أفلا تعقلون توبيخ لهم * وقرأ أبو عمرو يعقلون بالياء اعراض عن خطابهم وخطاب لغيرهم كأنه قال انظروا الى هؤلاء وسخافة عقولهم * وقرأ الجمهور بالتاء من فوق على خطابهم وتوبيخهم في كونهم أهملوا العقل في العاقبة وسبب هذه القراءة أبو علي في الحجة الى أبي عمرو وحده وفي التحرير والتخيير بين الياء والتاء عن أبي عمرو * وقرئ متاعا الحياة الدنيا أي يمتعون متاعا في الحياة الدنيا فانتصب الحياة الدنيا على الظرف * أفمن وعدناه يذكر تفاوت ما بين الرجلين من وعد وعدا حسنا وهو الثواب فلاقاه ومن متع في الحياة الدنيا ثم أحضر الى النار وظاهر الآية العموم في المؤمن والكافر * قيل ونزلت في الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي جهل * وقيل في حمزة وأبي جهل * وقيل في علي وأبي جهل * وقيل في عمار والوليد بن المغيرة * وقيل نزلت في المؤمن والكافر وغلب لفظ المحضر في المحضر الى النار كقوله لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون * والفاء في أفمن للعطف لما ذكر تفاوت ما بين ما أوتوا من المتاع والزينة وما عند الله من الثواب قال أفبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا والفاء في فهو لاقيه للتسبيب لأن لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر وثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع بتراخي وقته عن وقته * وقرأ طلحة أمن وعدناه بغير فاء ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك

يعلم ماتكن صدورهم ومايعلنون وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * لما ذكران المتعين فى الدنيا يحضرون الى النار ذكر شيأ من أحوال يوم القيامة أى واذكر حالهم يوم يناديهم الله ونداؤه اياهم يحتمل أن يكون بواسطة و بغير واسطة * فيقول أين شركائى أى على زعمكم وهذا الاستفهام على جهة التوبيخ والتقريع والشركاء هم من عبدوه من دون الله من ملك أوجن أوانس أوكوكب أوصنم أوغير ذلك ومفعولا تزعمون محذوفان أحدهما العائد على الموصول والتقدير تزعمونهم شركاء ولما كان هذا السؤال مسكتا لهم اذ تلك الشركاء التى عبدوها مفقودون هم أو جدوا هم فى الآخرة حادوا عن الجواب الى كلام لا يجدى * قال الذين حق عليهم القول أى الشياطين وأئمة الكفر ورؤسه وحق أى وجب عليهم القول أى مقتضاه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين * وهؤلاء مبتدأ والذين أغوينا هم صفة وأغويناهم كما غوينا الخبر وكما غوينا صفة لمطاوع أغويناهم أى فغووا كما غوينا أى تسببنا لهم فى الغى فقبلوا منا وهذا الاعراب قاله الزمخشرى * وقال أبو على ولا يجوز هذا الوجه لأنه ليس فى الخبر زيادة على مافى صفة المبتدإ * قال (فان قلت) قد وصلت بقوله كما غوينا وفيه زيادة * قيل الزيادة الظرف لا تصيره أصلا فى الجملة لأن الظروف صلات وقال هو الذين أغوينا والخبر وأغويناهم مستأنف وقال غير أبى على لا يمتنع الوجه الأول لأن الفضلات فى بعض المواضع تلزم كقولك زيد عمرو قائم فى داره انتهى والمعنى هؤلاء أتباعنا آثروا الكفر على الايمان كما آثرناه نحن ونحن كنا السبب فى كفرهم فقبلوا منا * وقرأ أبان عن عاصم و بعض الشاميين كما غوينا بكسر الواو * قال ابن خالويه وليس ذلك مختارا لان كلام العرب غويت من الضلالة وغويت من البشم * ثم قالوا تبرأنا اليك منهم ما كانوا ايانا يعبدون انما عبدوا غيرنا وايانا مفعول يعبدون لما تقدم انفصل وانفصاله لكون يعبدون فاصلة ولو اتصل ثم لم يكن فاصلة * وقال الزمخشرى انما كانوا يعبدون أهواءهم و يطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى انتهى وقيل ادعوا شركاءكم لما سئلوا أين شركاؤكم وأجابوا بغير جواب سئلوا ثانيا فقيل ادعوا شركاءكم وأضاف الشركاء اليهم أى الذين جعلتموهم شركاء الله وقوله ادعوا شركاءكم على سبيل التهكم بهم لانه يعلم أنه لا فائدة فى دعائهم فدعوهم هذا لمخافة عقولهم فى ذلك الموطن أيضا اذلم يعلموا أن من كان موجودا منهم فى ذلك الموطن لا يجيبهم والضمير فى ورأوا * قال الضحاك ومقاتل هو للتابع والمتبوع وجواب لو محذوف والظاهر أن يقدر مما يدل عليه ما يليه أى لو كانوا مؤمنين فى الدنيا مارأوا العذاب فى الآخرة * وقيل التقدير لو كانوا مهتدين بوجه من وجوه الحيل لدفعوا به العذاب * وقيل لعلموا أن العذاب حق * وقيل لتحيروا عدروا به من فظاعته وان لم يعذبوا به * وقيل ما كانوا فى الدنيا عابدين الاصنام * وقال أبو عبد الله الرازى وعندى أن الجواب غير محذوف وفى تقريره وجوه * أحدها ان الله اذا خاطبهم بقوله ادعوا شركاءكم اشتد خوفهم ولحقهم شئ بحيث لا يبصرون شيأ لا جرم مارأوا العذاب * وثانيها لما ذكر الشركاء وهى الأصنام وانهم لا يجيبون الذين دعوهم قال فى حقهم ورأوا العذاب لو كانوا من الأحياء المهتدين ولكنها

أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقائل ذلك الوليد بن المغيرة * ومن رحمته * من هنا للسبب أى وبسبب رحمته اياكم جعل لكم الليل والنهار ثم علل جعل كل واحد منهما فبدأ بعلة الأول وهو الليل وهو لتسكنوا فيه ثم بعلة الثانى وهو النهار ولتبتغوا من فضله ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو لعلكم تشكرون أى هذه الرحمة والنعمة وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير وهو أن تسمى أشياء ثم تفسرها بما يناسبها والضمير فى فيه عائد على الليل ومن فضله يجوز أن يكون عائدا على الله تعالى والتقدير من فضل الله أى فى النهار وحذف لدلالة المعنى عليه ولدلالة لفظ فيه السابق عليه

ليست كذلك ولا جرم مارأت العذاب والضمير فى رأوا وان كان للعقلاء فقد قال ودعوهم وهم العقلاء انتهى وفيه بعض تلخيص وقد أثنى على هذا الذى اختاره وليس بشئ لانه بناه على أن الضمير فى رأوا عائد على المدعوين قال وهم الأصنام والظاهر انه عائد على الداعين كقوله إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العذاب ولان حمل مهتدين على الاحياء فى غاية البعد لان ماقدره هو جواب ولا يشعر به انه جواب اذ صار التقدير عنده لو كانوا من الأحياء رأوا العذاب لكنها ليست من الأحياء فلا ترى العذاب ألا ترى الى قوله فلا جرم مارأت العذاب * ويوم يناديهم هذا النداء أيضا قد يكون بواسطة من الملائكة أو بغير واسطة حكى أولا مايوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم مايقوله رؤس الكفر عند توبيخهم ثم استغاثتهم بشركائهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم مايبكتون به من الاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازالة العلل * وقرأ الجمهور فعميت بفتح العين وتخفيف الميم * وقرأ الأعمش وجناح بن حبيش وأبو زرعة ابن عمرو بن جرير بضم العين وتشديد الميم والمعنى أظلمت عليهم الأمور فلم يستطيعوا أن يخبروا بما فيه نجاة لهم وأتى بلفظ الماضى لتحقق وقوعه * فهم لا يتساءلون * وقرأ طلحة يساءلون بادغام التاء فى السين أى لا يسأل بعضهم بعضا فيما يتحاجون به إذ أيقنوا انه لا حجة لهم فهم فى عمى وعجز عن الجواب والمراد بالنبأ الخبر عما أجاب به المرسل اليه رسوله ولما ذكر تعالى أحوال الكفار يوم القيامة وما يكون منهم فيه أخبر بان من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا فانه مرجو له الفلاح والفوز فى الآخرة وهذا ترغيب للكافر فى الاسلام وضمان له للفلاح ويقال ان عسى من الله واجبة * وربك يخلق مايشاء ويختار نزلت بسبب ماتكلمت به قريش من استغراب أمر النبى صلى الله عليه وسلم وقول بعضهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقائل ذلك الوليد بن المغيرة * قال القرطبى هذا متصل بذكر الشركاء الذين دعوهم واختاروهم للشفاعة أى الاختيار الى الله تعالى فى الشفعاء لا الى المشركين * وقيل هو جواب لليهود اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل لآمنا به ونص الزجاج وعلى بن سليمان والنحاس على ان الوقف على قوله ويختار نام والظاهر أن ما نافية أى ليس لهم الخيرة انما هى لله تعالى كقوله ما كان لهم الخيرة من أمرهم * وذهب الطبرى الى أن ما موصولة منصوبة بيختار أى ويختار من الرسل والشرائع ما كان خيرة للناس كالا يختارون هم ماليس اليهم ويفعلون مالم يؤمروا به وأنكر أن تكون ما نافية لئلا يكون المعنى انه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهى لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفى وروى عن ابن عباس معنى ماذهب اليه الطبرى وقد رد هذا القول تقدم العائد على الموصول * وأجيب بان التقدير ما كان لهم فيه الخيرة وحذف لدلالة المعنى * قال الزمخشرى كما حذف من قوله ان ذلك لمن عزم الأمور يعنى أن التقدير ان ذلك فيه لمن عزم الأمور * وأنشد القاسم ابن معن بيت عنترة

أمن سميه دمع العين تذريف * لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

وقرن الآية بهذا البيت والرواية فى البيت لو ان ذا ولكن على ماروله القاسم يتجه فى بيت عنترة أن يكون فى كان ضمير الشأن فأما فى الآية فقال ابن عطية تفسير الأمر والشأن لا يكون بجملة فيها محذوف * قال ابن عطية ويتجه عندى أن تكون ما مفعولة اذا قدرنا كان تامة أى ان الله تعالى يختار كل كائن ولا يكون شئ الا بإذنه وقوله لهم الخيرة جملة مستأنفة معناها تعديد النعمة

﴿ ويوم يناديهم ﴾ الآية تقدم الكلام عليها وكررها على جهة الابلاغ والتأكيد * وقارون اسم أعجمي امتنع من الصرف للعلمية والعجمة قيل ومعنى كان من قومه أي آمن به وهو اسرائيلي باجماع واختلف في قرابته من موسى عليه السلام اختلافا كثيرا قال ابن عباس انه ابن عمه وهو قارون ابن يصهر بن قاهث جد موسى لان النساب ذكروا نسبه كذلك وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أحفظ بني اسرائيل للتوراة وأقرأهم فنافق كما نافق السامري ﴿فبغى عليهم﴾ ذكروا من أنواع بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى عليه السلام على النبوة ولهارون على الذبح والقربان وطلبه بني اسرائيل حين ملكه فرعون عليهم ودسه بغيا تكذب عليه أنه تعرض لها وتفضحه بذلك بين ملأ بني اسرائيل ومن تكبره أنه زاد في ثيابه شبرا ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ قيل أظفره الله تعالى بكنز من كنوز يوسف عليه السلام وقيل سميت أمواله كنوزا اذ كان ممتنعا من أداء الزكاة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أول عداوته وما موصولة صلتها أن ومعمولاها وتقدم الكلام على مفاتح في سورة الانعام ﴿لتنوء﴾ أي لتثقل والصحيح ان الباء للتعدية أي لتثقل العصبة وتقدم تفسير العصبة والمراد وآتيناه من الكنوز ما ان حفظها والاطلاع عليها يثقل على العصبة أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها تتعب حفظتها القائمين عليها ﴿اذ قال له قومه لا تفرح﴾ نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر وإعجاب وانما يفرح بأقبال الدنيا عليه من اطمأن

عليهم في اختيار الله لهم لو قبلوا وفهموا انتهى يعني والله أعلم خيرة الله لهم أي لمصلحتهم والخيرة من التخير كالطيرة من التطير يستعملان بمعنى المصدر والجمل التي بعد هذا تقدم الكلام عليها * والحمد في الآخرة قولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله رب العالمين والتحميد هنالك على سبيل اللذة لا التكليف * وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس * وقرأ ابن محيصن ما تسكن بفتح التاء وضم الكاف * وله الحكم أي القضاء بين عباده والفصل وأرأيتم بمعنى أخبروني وقد تسلط على الليل أرأيتم وجعل اذ كل منهما يقتضيه فأعمل الثاني وجملة أرأيتم الثانية هي جملة الاستفهام والعائد على الليل محذوف تقديره من إله غير الله يأتيكم بضياء بعده ولا يلزم في باب التنازع أن يتحد المتنازعان في جهة التعدي مطلقا بل قد يختلف الطلب فيطلبه هذا على جهة الفاعلية وهذا على جهة المفعولية وهذا على جهة المفعول وهذا على جهة الظرف وكذلك أرأيتم ثاني معموليه جملة استفهامية غالبا وثاني جعل ان كانت بمعنى صير لا تكون استفهاما وان كانت بمعنى خلق وأوجد وانتصب ما بعده معمولها كان ذلك المنتصب حالا * وسرمدا * قيل من السرد فميمه زائدة ووزنه فعمل ولا يراد وسطا ولا آخرا قياسا وانما هي ألفاظ تحفظ مذكورة في علم التصريف وأتى بضياء وهو نور الشمس ولم يجئ التركيب بنهار تتصرفون فيه كما جاء بليل تسكنون فيه لان منافع الضياء متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء * أفلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل * أفلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه قاله الزمخشري * ومن رحمته من هنا للسبب أي وبسبب رحمته إياكم جعل لكم الليل والنهار ثم علل جعل كل واحد منهما فبدأ بعلة الأول وهو الليل وهو لتسكنوا فيه ثم بعلة الثاني وهو ولتبتغوا من فضله ثم بما يشبه العلة لجعل هذين الشيئين وهو ولعلكم تشكرون أي هذه الرحمة والنعمة وهذا النوع من علم البديع يسمى التفسير وهو أن تذكر أسماء ثم تفسرها بما يناسبها * ومنه قول ابن حيوس

ومقرطق يغني النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

والضمير في فيه عائد على الليل وفي فضله يجوز أن يكون عائدا على الله والتقدير من فضله أي من فضل الله فيه أي في النهار وحذف لدلالة المعنى ولدلالة لفظ فيه السابق عليه ويحتمل أن يعود على النهار أي من فضل النهار ويكون أضافه الى ضمير النهار على سبيل المجاز لما كان الفضل حاصلا فيه أضيف اليه كقوله بل مكر الليل والنهار * ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما

اليها وغفل عن أمر الآخرة قال الزمخشري ومحل اذ منصوب بتنوء انتهى هذا ضعيف جداً لأن اثقال المفاتيح العصبة ليس مقيداً بوقت قول قومه له لاتفرح قال ابن عطية وهو متعلق بقوله فبغى عليهم انتهى هذا ضعيف أيضاً لأن بغيه عليهم لم يكن مقيداً بذلك الوقت وقال أبو البقاء اذ قال له قومه ظرف لآتيناه وهذا ضعيف أيضاً لأن الايتاء لم يكن وقت ذلك القول وقال أيضاً ويجوز أن يكون ظرفاً لفعل محذوف دل عليه الكلام أي بغى عليهم اذ قال له قومه انتهى ويظهر لي ان يكون تقديره فاظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز اذ قال له قومه لاتفرح ولما نهوه

عن الفرح المطغي أمروه ان يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب الدار الآخرة بان يفعل فيه افعال البر ويجعله زاداً الى الآخرة ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ قال ابن عباس معناه ولا تضيع عمرك في أن لاتعمل صالحاً ﴿على علم عندي﴾ قيل هي الكيمياء وقيل هي غير ذلك ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ قيل كان يوم السبت أي أظهر ما يقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا قيل في ثياب حمر وقيل هو وحشمه في ثياب معصفرة وقيل في ثياب الارجوان وقيل على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه وقيل عليهم وعلى حيواناتهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلثمائة غلام وعلى يساره ثلثمائة جارية بيض عليهم الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رئي فيه المعصفر وقيل غير ذلك من الكيفيات مالله أعلم بصحة ذلك ﴿ويكأن﴾ هي كاف التشبيه الداخلة على ان وكتبت وي متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال وأنشد سيبويه

وي كأن من يكن له نشب يحبب * ومن يفتقر يعش عيش ضر

وحكى الفراء ان امرأة قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وقال الأخفش هي ويك وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب فلا موضع له من الاعراب والوقف عليه ويك ومنه قوله

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها * قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين قال انما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون ﴿تقدم الكلام على قوله ويوم يناديهم وكررها على جهة الابلاغ والتأكيد ونزعنا أي ميزنا وأخرجنا بسرعة من كل أمة من الامم ﴿شهيداً وهو نبي تلك الامة لانه هو الشهيد عليها كما قال فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴿وقيل عدولاً وخياراً والشهيد على هذا اسم الجنس والشهيد يشهد على تلك الأمة بما صدر منها وما أجابت به لما دعيت الى التوحيد وانه قد بلغهم رسالة ربهم ﴿فقلنا أي للملأ هاتوا برهانكم أي حجتكم فيما كنتم عليه في الدنيا من الكفر ومخالفة هذا الشهيد فعلموا أن الحق لله لا لاصنامهم وما عبدوا من دون الله ﴿وضل عنهم أي وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من الكذب والباطل ﴿وقارون أعجمي منع الصرف للعجمة والعلمية ﴿وقيل ومعنى كان من قومه أي ممن آمن به ﴿قال ابن عطية وهو اسرائيلي باجماع انتهى ﴿واختلف في قرابته من موسى عليه السلام اختلافاً مضطرباً متكاذباً وأولاها ماقاله ابن عباس انه ابن عمه وهو قارون بن يصهر بن قاهث جد موسى لان نسبهما ذكروا نسبه كذلك وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان أحفظ بني اسرائيل للتوراة وأقرأهم فنافق كما نافق السامري ﴿فبغى عليهم ذكروا من أنواع بغيه الكفر والكبر وحسده لموسى على النبوة ولهارون على الذبح والقربان وظلمه لبني اسرائيل حين ملكه فرعون عليهم ودسيسه بغياً تكذب على موسى انه تعرض لها وتفضحه بذلك في ملأ من بني اسرائيل ومن تكبره أن زاد في ثيابه شبراً ﴿وآتيناه من الكنوز قيل أظفره الله بكنز من كنوز يوسف عليه السلام وقيل سميت أمواله كنوزاً اذ كان ممتنعاً من أداء الزكاة وبسبب ذلك عادى موسى عليه السلام أول عداوته وما موصولة صلتها ان ومعمولاها ﴿وقال النحاس سمعت علي بن سليمان يعني الاخفش الصغير يقول ما أقبح مايقوله الكوفيون في الصلات انه لايجوز أن تكون صلة الذي ان وما عملت

فيه وفي القرآن ماان مفاتحه انتهى وتقدم الكلام في مفاتح في سورة الانعام وقالوا هنا مقاليد خزائنه * وقال السدي هي الخزائن نفسها * وقال الضحاك ظروفه وأوعيته * وقرأ الاعمش مفاتيحه بياء جمع مفتاح وذكروا من كثرة مفاتحه ماهو كذب أو يقارب الكذب فلم أكتبه * قال أبو زيد نؤت بالعمل اذا نهضت به قال الشاعر

اذا وجدنا خلفا بئس الخلف * عبدا اذا ماناء بالحمل وقف

ويقال ناء ينوء اذا نهض بثقل قال الشاعر

تنوء بأخراها فلأياقيامها * وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر

وقال أبو عبيدة هو مقلوب وأصله لتنوء بها العصبة أي تنهض والقلب عند أصحابنا بابه الشعر والصحيح أن الباء للتعدية أي لتنيء العصبة كما تقول ذهبت به وأذهبته وجئت به وأجأته ونقل هذا عن الخليل وسيبويه والفراء واختاره النحاس وروى معناه عن ابن عباس وأبي صالح والسدي وتقول العرب ناء الحمل بالبعير اذا أثقله * قال ابن عطية ويمكن أن يسند تنوء الى المفاتح لانها تنهض بتحامل اذا فعل ذلك الذي ينهض بها وذا مطرد في ناء الحمل بالبعير ونحوه فتأمله * وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء وتذكيره راعى المضاف المحذوف التقدير ماان حمل مفاتحه أو مقدارها أو نحو ذلك * وقال الزمخشري ووجهه أن يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما أضيف اليه للملابسة والاتصال كقوله ذهبت أهل اليمامة انتهى يعني انه اكتسب المفاتح التذكير من الضمير الذي لقارون كما اكتسب أهل التأنيث من اضافته الى اليمامة فقيل فيه ذهبت وذكر أبو عمرو الداني ان بديل بن ميسرة قرأ ماان مفتاحه على الافراد فلا تحتاج قراءته لينوء بالياء الى تأويل وتقدم تفسير العصبة في سورة يوسف عليه السلام وتقدم قبل تفسير المفاتح أهي المقاليد أو الخزائن نفسها أو الظروف والاوعية * وعن ابن عباس والحسن ان المفاتح هي الاموال قال ابن عباس كانت خزائنه يحملها أربعون أقوياء وكانت أربعمائة ألف يحمل كل رجل عشرة آلاف * وقال أبو مسلم المراد من المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب والمراد وآتيناه من الكنوز ماان حفظها والاطلاع عليها ليثقل على العصبة أي هذه الكنوز لكثرتها واختلاف أصنافها يتعب حفظها القائمين على حفظها * اذ قال له قومه لاتفرح نهوه عن الفرح المطغي الذي هو انهماك وانحلال نفس وأشر واعجاب وانما يفرح باقبال الدنيا عليه من اطمأن اليها وغفل عن أمر الآخرة ومن جعل أنه مفارق زهرة الدنيا عن قريب فلا يفرح بها * وقال أبو الطيب

أشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

قال الزمخشري ومحل اذ منصوب بتنوء انتهى وهذا ضعيف جدا لأن اثقال المفاتح العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له لاتفرح * وقال ابن عطية متعلق بقوله فبغى عليهم وهو ضعيف أيضا لان بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت * وقال الحوفي الناصب له محذوف تقديره أذكر * وقال أبو البقاء اذ قال له ظرف لآتيناه وهو ضعيف أيضا لأن الايتاء لم يكن وقت ذلك القول وقال أيضا ويجوز أن يكون ظرفا لفعل محذوف دل عليه الكلام أي بغى عليهم اذ قال له قومه انتهى ويظهر أن يكون تقديره فاظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز اذ قال له قومه لاتفرح وقال تعالى ولاتفرحوا بما آتاكم والعرب تمدح بترك الفرح عند اقبال الخير وقال الشاعر

ولست بمفراح اذا الدهر سرني * ولاجازع من صرفه المتحول

(الدر)

(ش) ومحل اذ منصوب بتنوء (ح) هذا ضعيف جدا لان اثقال المفاتح العصبة ليس مقيدا بوقت قول قومه له لاتفرح (ع) متعلق بقوله فبغى عليهم (ح) هذا ضعيف أيضا لان بغيه عليهم لم يكن مقيدا بذلك الوقت قال أبو البقاء اذ قال له ظرف لآتيناه وهذا ضعيف أيضا لأن الايتاء لم يكن وقت ذلك القول وقال أيضا ويجوز ان يكون ظرفا لفعل محذوف دل عليه الكلام أي بغى عليهم اذ قال له قومه انتهى ويظهر ان يكون تقديره فاظهر التفاخر والفرح بما أوتي من الكنوز اذ قال له قومه لاتفرح

﴿ وقال الآخر ﴾

ان تلاف منفسا لاتلقنا * فرح الخير ولانكبوا لضر

وقرئ الفارح حكاه عيسى بن سليمان الحجازي * ولا يحب صفة فعل لا صفة ذات بمعنى الارادة لان الفرح أمر قد وقع فالمعنى لايظهر عليهم بركته ولا يعمهم رحمته والمنهو عن الفرح المطغي أمروه بأن يطلب فيما آتاه الله من الكنوز وسعة الرزق ثواب الدار الآخرة بأن يفعل فيه أفعال البر وتجعله زادك الى الآخرة * ولاتنس نصيبك من الدنيا * قال ابن عباس والجمهور معناه ولاتضيع عمرك في أن لاتعمل صالحا في دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها وهذا التأويل فيه غلظة * وقال الحسن وقتادة معناه لاتضيع حظك من الدنيا في تمتعك بالحلال وطلبك اياه ونظرك لعاقبة دنياك وفي هذا التأويل بعض رفق * وقال الحسن معناه قدم الفضل وأمسك ماتبلغ به * وقال مالك هو الأكل والشرب بلاسرف * وقيل أرادوا بنصيبه الكفن وهذا وعظ متصل كأنهم قالوا اترك جميع مالك لا يكون نصيبك منه الا الكفن * كما قال الشاعر

نصيبك مما تجمع الدهر كله * ردا آن تلوى فيهما وحنوط

* وقال الزمخشري أن تأخذ منه ما يكفيك ويصلحك وهذا قريب من قول الحسن وأحسن الى عباد الله أو بشكرك وطاعتك لله * كما أحسن الله اليك بتلك النعم التي خولكها والكاف للتشبيه وهو يكون في بعض الأوصاف لأن مما له احسان العبد لاحسان الله من جميع الصفات يمتنع أن تكون فالتشبيه وقع في مطلق الاحسان أو تكون الكاف للتعليل أي أحسن لاجل احسان الله اليك * ولاتبغ الفساد أي ما أنت عليه من البغي والظلم * على علم علم مصدر يحتمل أن يكون مضافا اليه ومضافا الى الله فقال الجمهور ادعى أن عنده علما استوجب به أن يكون صاحب تلك الكنوز * فقيل علم التوراة وحفظها وكان أحد السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وكانت هذه مغالطة * وقال أبو سليمان الداني أي علم التجارة ووجوه المكاسب أي أوتيته بادراكي وسعيي * وقال ابن المسيب علم الكيمياء قال ابن المسيب وكان موسى عليه السلام يعلم الكيمياء وهي جعل الرصاص والنحاس ذهبا * وعن ابن عباس على علم لصنعة الذهب ولعل ذلك لايصح عنه ولا عن ابن المسيب وأنكر الزجاج علم الكيمياء وقال باطل لاحقيقة له انتهى وكثيرا ما تولع أهل مصر بطلب أشياء من المستحيلات والخرافات من ذلك تغوير الماء وخدمة الصور الممثلة في الجدر خطوطا وادعائهم أن تلك الخطوط تتحرك اذا خدمت بأنواع من الخدم لهم والكيميا حتى ان مشايخ العلم عندهم الذين هم عندهم بصورة الولاية يتطلب ذلك من أجهل وارد من المغاربة * وقال ابن زيد وغيره أراد أوتيته على علم من الله وتخصيص من لدنه قصدني به أي فلا يلزمني فيه شئ مما قلتم ثم جعل قوله عندي كما يقول في معتقدي وعلى ما أراه * وقال مقاتل على علم أي على خير علمه الله عندي والظاهر أن قوله أو لم يعلم تقرير لعلمه ذلك وتنبيه على خطئه في اغتراره أي قد علم أن الله قد أهلك من القرون قبله من هو أقوى منه وأغنى لأنه قد قرأه في التوراة وأخبر به موسى وسمعه في التواريخ كأنه قيل أولم يعلم في جملة ماعنده من العلم هذا حتى لايغتر بكثرة ماله وقوته * قال الزمخشري ويجوز أن يكون نفيا لعلمه بذلك لأنه لما قال أوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل أعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه ورأى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي نفسه مصارع الهالكين انتهى وأكثر جمعا اما للمال أو جماعة يحوطونه ويخدمونه * قال ابن عطية أولم يعلم يرجح أن

(الدر)

(ح) أنكر الزجاج علم الكيمياء وقال باطل لاحقيقة له انتهى وكثيرا ما يولع أهل مصر بطلب أشياء من المستحيلات والخرافات من ذلك تغوير الماء وخدمة الصور الممثلة في الجدر خطوطا وادعاء ان تلك الخطوط تتحرك اذا خدمت بأنواع من الخدم لهم والكيمياء حتى ان مشايخ العلم عندهم الذين هم بصورة الولاية يتطلب من أجهل وارد من المغاربة قال جامعه حكى لي شيخنا (ح) ان قاضي القضاة أبا الفتح بن دقيق العيد وكان عند المصريين الغاية في العلم والصلاح كان مولعا بعلم الكيمياء يصحب فيه شخصا من جهلة المغاربة يعرف بالطرابلسي قال وله في ذلك اخبار وحكايات ولم يحصل منه على شئ ولا ظفر الا بالحرمان بعد غرامة المال واضاعة الزمان نعوذ بالله من ذلك

قارون تشبع بعلم نفسه على زعمه * وقرأ الجمهور ولا يسأل مبنيا للمفعول والمجرمون رفع به وهو متصل بما قبله قاله محمد بن كعب والضمير في ذنوبهم عائد على من أهلك من القرون أي لا يسأل غيرهم ممن أجرم ولا ممن لم يجرم عمن أهلكه الله بل كل نفس بما كسبت رهينه * وقيل أهلك من أهلك من القرون عن علم منه بذنوبهم فلم يحتج الى مسألتهم عنها * وقيل هو مستأنف عن حال يوم القيامة * قال قتادة لا يسألون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها لأنهم يدخلون النار بغير حساب * وقال قتادة أيضا ومجاهد لا تسألهم الملائكة عن ذنوبهم لانهم يعرفونهم بسيماهم من السواد والتشويه كقوله يعرف المجرمون بسيماهم * وقيل لا يسألون سؤال توبيخ وتقريع * وقرأ أبو جعفر في روايته ولا تسأل بالتاء والجزم المجرمين نصب * وقرأ ابن سيرين وأبو العالية كذلك في ولا تسأل على النهي للمخاطب وكان ابن أبي اسحق لا يجوز ذلك الا أن يكون المجرمين بالياء في محل النصب بوقوع الفعل عليه * قال صاحب اللوامح فالظاهر ماقاله ولم يبلغني في نصب المجرمين شيء فان تركاه على رفعه فله وجهان أحدهما أن تكون الهاء والميم في عن ذنوبهم راجعة الى ماتقدم من القرون وارتفاع المجرمين باضمار المبتدا وتقديره هم المجرمون أو أولئك المجرمون ومثله التائبون العابدون في التوبة والثاني أن يكون بدلا من أصل الهاء والميم في ذنوبهم لانها وان كانت في محل الجر بالاضافة اليها فان أصلها الرفع لأن الاضافة اليها بمنزلة اضافة المصدر الى اسم الفاعل فعلى ذلك المجرمون محمول على الاصل على ماتقدم لما من أن بعضهم قرأ أن يضرب مثلا ما بعوضة بالجر على أنها بدل من أصل المثل وما زائدة فيه وتقديره لا يستحيي بضرب مثل بعوضة أي بضرب بعوضة في ذلك فسر أن مع الفصل بالمصدر ناصب الى المفعول به ثم أبدل منه البعوضة من غير أن أعرف فيها أثر الحال فأما قوله من ذنوبهم فذنوب جمع فان كان جمع مصدر ففي اعماله خلاف وأما قوله على ماتقدم لما من أن بعضهم قرأ فقد ذكر في البقرة انه سمع ذلك ولا نعرف فيها أثرا فينبغي أن لا تجعلها قراءة بما ذكرته * الى قارون ونعمه وما آتاه من الكنوز وفرحه بذلك فرح البطرين وادعاءه ان ما أوتي من ذلك انما أوتيه على علم ذكر ماهو ناشئ عن التكبر والسرور بما أوتي فقال فخرج على قومه في زينته وكان يوم السبت أي أظهر مايقدر عليه من الملابس والمراكب وزينة الدنيا * قال جابر ومجاهد في ثياب حمر * وقال ابن زيد هو وحشمه في ثياب معصفرة * وقيل في ثياب الأرجوان * وقيل على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه * وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعلى يمينه ثلاثمائة غلام وعلى يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الحلي والديباج * وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر * وقيل غير ذلك من الكيفيات * قال الذين يريدون الحياة الدنيا * قيل كانوا مؤمنين * وقال قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله * وقيل رغبة في اليسارة والثروة * وقيل كانوا كفارا وتمنوا مثل ما أوتي قارون ولم يذكروا زوال نعمته وهذا من الغبطة * انه لذو حظ عظيم أي درجة عظيمة قاله الضحاك * وقيل نصيب كثير من الدنيا والحظ البخت والسعد يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ * وقال الذين أوتوا العلم منهم يوشع والعلم معرفة الثواب والعقاب أو التوكل أو الاخبار أقوال * ويلكم دعاء بالشر * ثواب الله وهو ما أعده في الآخرة للمؤمن خير مما أوتي قارون * ولا يلقاها أي هذه الحكمة وهي معرفة ثواب الله * وقيل الجنة ونعيمها * وقيل هذه المقالة وهي قولهم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وبخهم بها * الا الصابرون على الطاعات وعلى منع أنفسهم عن الشهوات بعدم

طرف من خبر قارون وحسده لموسى ومن حسده انه جعل لبغي جعلا على أن ترمي موسى بطلبها و بزنائها وأنها تابت الى الله وأقرب أن قارون هو الذي جعل لها جعلا على رمي موسى بذلك فأمر الله الأرض أن تطيعه فقال يا أرض خذيه وأتباعه فخسف بهم في حكاية طويلة الله أعلم بها ولما خسف بقارون ومن معه فقال بنو اسرائيل إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف بداره وأمواله ومن زائدة أي من جماعة تفيد استغراق الفئات واذا انتفت الجملة ولم قدر على نصره فانتفاء الواحد عن نصرته أبلغ * وما كان من المنتصرين أي لم يكن في نفسه ممن يمتنع من عذاب الله * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس بدل وأصبح اذا حمل على ظاهره ان الخسف به و بداره كان ليلا وهو أفظع العذاب إذ الليل مقر الراحة والسكون والامس يحتمل أن يراد به الزمان الماضي و يحتمل أن يراد به ماقبل يوم الخسف وهو يوم التمني و يدل عليه العطف بالفاء التي تقتضي التعقيب في قوله فخسفنا فيكون فيه اعتقاب العذاب خروجه في زينته وفي ذلك تعجيل العذاب * ومكانه منزلته في الدنيا من الثروة والحشم والاتباع و وى عند الخليل وسيبويه اسم فعل مثل صه ومه ومعناها أعجب * قال الخليل وذلك ان القوم ندموا فقالوا متندمين على ماسلف منهم وى وكل من ندم فأظهر ندامته قال وى وكأن هي كاف التشبيه الداخلة على ان وكتبت متصلة بكاف التشبيه لكثرة الاستعمال وأنشد سيبويه

وى كان من يكن له نشب يحـ * ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

والبيت لزيد بن عمرو بن نفيل * وحكى الفراء ان امرأة قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكانه وراء البيت وعلى هذا المذهب يكون الوقف على وى * وقال الاخفش هي ويك و ينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب ولا موضع له من الاعراب والوقف عليه ويك * ومنه قول عنترة

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها * قيل الفوارس ويك عنتر اقدم

* قال الاخفش وان عنده مفتوح بتقدير العلم أي أعلم ان الله * وقال الشاعر

ألا ويك المسرة لا تدوم * ولا يبقى على البؤس النعيم

وذهب الكسائي و يونس وأبو حاتم وغيرهم الى أن أصله و يلك فحذفت اللام والكاف في موضع جر بالاضافة فعلى المذهب الأول قيل تكون الكاف خالية من معنى التشبيه كما قيل ليس كمثله شئ وعلى المذهب الثاني فالمعنى أعجب لأن الله وعلى المذهب الثالث تكون و يلك كلمة تحزن والمعنى أيضا لأن الله * وقال أبو زيد وفرقة معه و يكأن حرف واحد بجملته وهو بمعنى ألم تر و بمعنى ألم تر قال ابن عباس والكسائي وأبو عبيد * وقال الفراء و يك في كلام العرب كقول الرجل أما ترى الى صنع الله * وقال ابن قتيبة عن بعض أهل العلم انه قال معنى و يك رحمتك بلغة حمير ولما صدر منهم تمني حال قارون وشاهدوا الخسف كان ذلك زاجرا لهم عن حب الدنيا وداعيا الى الرضا بقدر الله فتنبهوا لخطئهم فقالوا وى ثم قالوا كأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه و يضيق على من يشاء لا لهوانه بل لحكمته وقضائه ابتلاء * وقرأ الاعمش لولا من الله بحذف ان وهي مرادة وروى عنه منّ الله برفع النون والاضافة * وقرأ الجمهور لخسف مبنيا للمفعول وحفص وعصمة وأبان عن عاصم وابن أبي حماد عن أبي بكر مبنيا للفاعل وابن مسعود وطلحة والاعمش لانخسف بنا كقولك انقطع بنا كأنه فعل مطاوع والمقام مقام الفاعل هو بنا و يجوز أن يكون المصدر أي لانخسف الانخساف ومطاوع فعل لا يتعدى الى مفعول به فلذلك بني

﴿ولا فسادا﴾ جاء النفي بلا فدل على ان كل واحد من العلو والفساد مقصود لا مجموعهما ﴿فرض عليك القرآن﴾ قيل العمل به ﴿لرادك الى معاد﴾ قيل هي مكة أراد رده اليها يوم الفتح وقيل غير ذلك ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ هم المشركون ﴿وما كنت ترجو﴾ تذكير لنعمه تعالى على رسوله وانه تعالى رحمه رحمة لم يتعلق بها رجاؤه ﴿وادع الى ربك﴾ أي الى دين ربك وهذه المناهي كلها ظاهرها أنها للرسول صلى الله عليه وسلم وهي في الحقيقة لاتباعه والهلاك يطلق بازاء العدم المحض فالمعنى ان الله يعدم كل شئ سواه وبازاء نفي الانتفاع به اما للاماتة أو لتفريق الأجزاء وان كانت باقية يقال هلك الثوب لا يريدون فناء أجزائه ولكن خروجه عن الانتفاع به ومعنى ﴿إلا وجهه﴾ أي الا اياه ﴿له الحكم﴾ أي فصل القضاء ﴿واليه ترجعون﴾ أي الى جزائه

اما البناء واما المصدر * وعن ابن مسعود أيضا لتخسف بتاء وتشد السين مبنيا للمفعول ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون﴾ لما كان من قول أهل العلم والايمان ثواب الله خير ذكر محل الثواب وهو الدار الآخرة والمعنى تلك التي سمعت بذكرها و بلغك وصفها الدار الآخرة أي نعيم الدار الآخرة وهي الجنة والبقاء فيها سرمدا وعلق حصولها على مجرد الارادة فكيف بمن باشر العلو والفساد ثم جاء التركيب بلا في قوله ولا فسادا فدل على ان كل واحد من العلو والفساد مقصود لا مجموعهما * قال الحسن العلو العز والشرف وابن جريج البغي الضحاك الظلم والفساد يعم أنواع الشر * وعن علي كرم الله وجهه ان الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها * وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الأماني * وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض * فله خير منها يحتمل أن يكون خير افعل التفضيل وان يكون واحد الخيور أي فله خير بسبب فعلها ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات تهجينا لحالهم وتبغيضا للسيئة الى قلوب السامعين وفيه بتكراره ماليس فيه لو كان فلا يجزون بالضمير وما كانوا على حذف مثل أي الا مثل ما كانوا يعملون لان جزاء السيئة سيئة مثلها والحسنة بعشر أمثالها * ان الذي فرض عليك القرآن * قال عطاء العمل به ومجاهد أعطاكه ومقاتل أنزله عليك وكذا قال الفراء وأبو عبيدة * وقال الزمخشري أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف والمعاد * قال الجمهور في الآخرة أي باعثك بعد الموت ففيه اثبات الجزاء والاعلام بوقوعه * وعن ابن عباس وأبي سعيد الخدري المعاد الموت * وقيل بيت المقدس * وقيل الجنة وكان قد دخلها ليلة المعراج * وقال ابن عباس أيضا ومجاهد المعاد مكة أراد رده اليها يوم الفتح ونكره والمقصود التعظيم أي معاد أي له شأن لغلبة الرسول عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام وأهله فكان الله وعده وهو بمكة انه يهاجر منها ويعود اليها ظافرا ظاهرا * وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق اليها فقال له جبريل أتشتاق اليها قال نعم فأوحاها اليه ومن منصوب باضمار فعل أي يعلم من جاء بالهدى ومن أجاز أن يأتي افعل بمعنى فاعل وأجاز مع ذلك ان ينصب به جاز ان ينتصب به اذ يؤوله بمعنى عالم و يعطيه حكمه من العمل ولما وعده تعالى انه يرده الى معاد وأنه تعالى فرض عليه القرآن أمره أن يقول للمشركين ذلك أي هو تعالى عالم بمن جاء بالهدى وهو محمد صلى الله عليه وسلم وبما يستحقه من الثواب في معاده وهذا ادعى بالمعاد ما بعد الموت و يعني بقوله ومن هو في ضلال مبين المشركين الذين أمره الله بأن يبلغهم ذلك هو عالم بهم و بما يستحقونه من العقاب في معادهم وفي ذلك متاركة للكفار وتوبيخ * وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب هذا تذكير لنعمه تعالى على رسوله وانه تعالى رحمه رحمة لم يتعلق بها رجاؤه * وقيل بل هو معلق بقوله ان الذي فرض عليك القرآن وأنت بحال من لا يرجو ذلك وانتصب رحمة على

﴿ سورة العنكبوت ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ هذه السورة مكية وقيل مدنية ونزل أوائلها في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة وقيل في مهجع مولى عمر قتل ببدر فجزع أبوه وامرأته عليه وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة * والناس فسر بمن نزلت فيه الآية وحسب يطلب مفعولين سد أن وما بعدها من معمولها مسد المفعولين * أن يقولوا بدل من أن يتركوا وأن تكون في موضع نصب بعد اسقاط الخافض وقدروه بأن يقولوا أو لأن يقولوا * وهم لا يفتنون جملة حالية قال الزمخشري ان قلت فأين الكلام الدال على المضمر الذي يقتضيه الحساب قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب وقولهم آمنا (١٣٧) هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن يقول تركتهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام * فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين وكيف يصح أن يقع خبر مبتدإ قلت كما يقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجهم لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وجزاء انتهى هذا كلام فيه اضطراب ذكر أولا ان تقديره أو لا غير مفتونين تتمة يعني انه حال لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة حالية ثم ذكر أن يتركوا هنا من الترك الذي هو التصيير وهذا لا يصح لأن معمول صير لا يستقيم أن يكون لقولهم اذ يصير التقدير أن يصير والقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح وأما ما مثله من البيت فانه يصح أن يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الآية وأما تقديره تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم وكان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم ولقولهم مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم الى مفعول ثان لأن غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان وأما قوله فان قلت الخبر محتاج الى فضلة فهم وذلك ان قوله أن يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لأنه لو كان علة له لكان به متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن والخبر غير المبتدأ ولو كان

الاستثناء المنقطع أي لكن رحمة من ربك سبقت فألقى اليك الكتاب * وقال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى عليك الكتاب الا رحمة من ربك انتهى فيكون استثناء متصلا اما من الأحوال واما من المفعول له * وقرأ الجمهور يصدنك مضارع صد وشددوا النون ويعقوب كذلك الا انه خففها * وقرئ يصدنك مضارع أصد بمعنى صد حكاه أبو زيد عن رجل من كلب قال وهي لغة قومه * وقال الشاعر

أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * صدود السواقي عن أنوف الحوائم

* بعد اذ أنزلت اليك أي بعد وقت انزالها واذ تضاف اليها أسماء الزمن كقوله بعد اذ هديتنا ويومئذ وحينئذ * قال الضحاك وذلك حين دعوه الى دين آبائه أي لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدونك عن اتباع آيات الله * وادع الى ربك أي دين ربك وهذه المناهي كلها ظاهرها انها للرسول وهي في الحقيقة لاتباعه والهلاك يطلق بازاء العدم المحض فالمعنى ان الله يعدم كل شيء سواه وبازاء نفي الانتفاع به اما للاماتة أو بتفريق الأجزاء وان كانت باقية يقال هلك الثوب لا يريدون فناء أجزائه ولكن خروجه عن الانتفاع به * ومعنى الا وجهه الا اياه قاله الزجاج * وقال مجاهد والسدي هالك بالموت الا العلماء فان علمهم باق انتهى ويريدون الا ما قصد به وجهه من العلم فانه باق * وقال الضحاك الا الله عز وجل والعرش والجنة والنار * وقيل ملكه ومنه لمن الملك اليوم * وقال أبو عبيدة المراد بالوجه جاهه الذي جعله في الناس * وقال سفيان الثوري الا وجهه ما عمل لذاته ومن طاعته وتوجه به نحوه ومنه قول الشاعر * رب العباد اليه الوجه والعمل * وقوله يريدون وجهه * له الحكم أي فصل القضاء * اليه ترجعون أي الى جزائه * وقرأ عيسى ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول

﴿ سورة العنكبوت تسع وستون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا

لقولهم عليه للترك لكان من تمامه فكان محتاجا الى خبر وأما قوله كما تقول خير وجه المخالفة الظهر فليس علة للخروج بل الخبر الذي هو مستقر أوكائن و ﴿ الذين من قبلهم ﴾ المؤمنون اتباع الانبياء أصابهم من المحن مافرق به المؤمن بالمشار فرقتين ومشط بامشاط الحديد ولا يرجع عن دينه ﴿فليعلمن الله﴾ بالامتحان الذين صدقوا في ايمانهم وليعلمن الكاذبين فيه من علم المتعدية الى واحد فيهما ومستحيل حدوث العلم لله تعالى بالمعنى وليتعلقن علمه به موجودا كما كان يتعلق به حين كان معدوما والمعنى وليميزن الصادق منهم والكاذب قال ابن عطية أم معادلة للالف في قوله أحسب وكأنه عز وجل قرر الفريقين قرر المؤمنين على ظنهم أنهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه انتهى ليست أم معادلة للالف في أحسب كما ذكر لانها اذ ذاك تكون متصلة ولها شرطان أحدهما أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا الشرط هنا موجود والثاني أن يكون بعدها مفردا أو ماهو في تقدير المفرد مثال المفرد أزيد قام أم عمرو ومثال ماهو في تقدير المفرد أقام زيد أم قعد وجوابها تعيين أحد الشيئين ان كان التعادل بين شيئين أو الاشياء ان كان التعادل بين أكثر من شيئين وهنا بعد أم جملة ولا يمكن الجواب هنا باحد الشيئين بل أم هنا منقطعة بمعنى بل التي للاضراب بمعنى الانتقال من قصة الى قصة لا بمعنى الابطال والاستفهام هنا التقرير والتوبيخ والانكار فلا يقتضي جوابا لأنه في معنى كيف وقع حسبان ذلك والذين يعملون السيئات قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل وغيرهما من صناديد قريش

الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء مايحكمون من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شئ انهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾ هذه السورة مكية قاله جابر وعكرمة والحسن ﴿ وقال ابن عباس

والآية وان نزلت على سبب فهي تعم جميع من يعمل السيئات من كافر ومسلم ﴿ ان يسبقونا ﴾ بمعنى أن يفوتونا ﴿ ساء مايحكمون ﴾ تقدم الكلام عليه في البقرة ﴿ من كان يرجو ﴾ الظاهر انها على بابها ومعنى لقاء الله الوصول الى عاقبة الامر من الموت والبعث والجزاء مثلت حاله بحال عبد قدم على مولاه من سفر بعد وقد اطلع مولاه على مايعمل في غيبته عنه فان كان عمل خيرا تلقاه باحسان أو شرا فبضد الاحسان ﴿ فان أجل الله لآت ﴾ وما أجله وجعله له أجلا لآتيه لا محالة فليبادر لما يصدق رجاءه ﴿ والظاهر أن قوله ومن جاهد معناه جاهد نفسه بالصبر على الطاعات بمرة جهاده وهو الثواب المعدله انما هي له لا لله تعالى والله غني عنه وعن العالمين ﴿ ووصينا الانسان بوالديه ﴾ في جامع الترمذي انها نزلت في سعد بن أبي وقاص آلت أمه أن لا تطعم ولا تشرب حتى يموت أو يكفر بمحمد ﴿ ووصينا ﴾ أي أمرناه بتعاهدهما ومراعاتهما وانتصب ﴿ حسنا ﴾ على أنه مصدر وصف به مصدر وصينا أي ايصاء حسنا أي ذا حسن أو على سبيل المبالغة أي هو من ذاته حسن ﴿ ومن الناس ﴾ قال ابن زيد نزلت في المنافقين ولما ذكر تعالى ماأعده للمؤمنين ذكر حال المنافقين ناسا آمنوا بألسنتهم فاذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الاذى وهو فتنة الناس صارفا عن الايمان كما أن عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر ولنحمل اللام فيه لام الأمر وكرماندخل لام الأمر على المضارع المراد به الغائب كقوله ثم ليقطع فلينظر وقد جاء في المخاطب قليلا لاقرأ بعضهم فبذلك فليفرحوا وأما دخوله على المتكلم فهو قليل وقد جاء في الحديث دخولها على المضارع المتكلم قوموا فلاصل لكم والحمل هنا مجاز شبه القيام بما يتحصل من عواقب الاثم بالحمل على الظهر والخطايا بالمحمول ولما كان الأمر يراد به الخبر صح فيه أن يكذب ﴿ وليسألن يوم القيامة ﴾ أي سؤال توبيخ وتقريع قال الزمخشري بعد كلام وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فنحن نتحمل عنكم الاثم انتهى وقوله فان عسى كان تركيب أعجمي لا عربي لان ان الشرطية لا تدخل على عسى لانه فعل جامد

(الدر) ﴿سورة العنكبوت﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (ع) والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من أجل أي حسبوا أن ايمانهم علة للترك (ح) قوله أي حسبوا أن ايمانهم علة للترك تفسير معنى اذ تفسير الاعراب حسبانهم ان الترك لاجل تلفظهم بالايمان (ش) فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان قلت هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك أن تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر وأما غير مفتونين فتتمة للترك لانه من الترك الذي بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركتهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير

وقتادة مدنية * وقال يحيى بن سلام مكية الامن أولها الى وليعلمن المنافقين ونزل أوائلها في مسلمين بمكة كرهوا الجهاد حين فرض بالمدينة قاله السدي أو في عمار ونظرائه ممن كان يعذب في الله قاله ابن عمر أو في مسلمين كان كفار قريش يؤذونهم قاله مجاهد وهو قريب مما قبله أو في مهجع مولى عمر قتل ببدر فجزع أبواه وامرأته عليه وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة أو في عياش أخي أبي جهل غدر فارتد * والناس فسر بمن نزلت فيه الآية * وقال الحسن الناس هنا المنافقون أي أن يتركوا لمجرد قولهم آمنا * وحسب يطلب مفعولين فقال الحوفي وابن عطية وأبو البقاء سد ان ومابعدها من معمولها مسد القولين وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يقولوا بدلا من أن يتركوا * وأن يكونوا في موضع نصب بعد اسقاط الخافض وقدروه بأن يقولوا ولأن يقولوا * وقال ابن عطية وأبو البقاء واذا قدرت الباء كان حالا * قال ابن عطية والمعنى في الباء واللام مختلف وذلك انه في الباء كما تقول تركت زيدا بحاله وهي في اللام بمعنى من أجل أي حسبوا ان ايمانهم علة للترك تفسير معنى اذ تفسير الاعراب حسبانهم ان الترك لأجل تلفظهم بالايمان * وقال الزمخشري (فان قلت) فأين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان (قلت) هو في قوله أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره حسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لأنه من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله * فتركته جزر السباع ينشنه * ألا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركتهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام (فان قلت) أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدا (قلت) كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قوله خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ وخبرا انتهى وهو كلام فيه اضطراب ذكر أولا ان تقديره غير مفتونين تتمة

حاصل ومستقر قبل اللام فان قلت أن يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح أن يقع خبر مبتدأ قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتأديب وقد كان التأديب والمخافة في قولك خرجت مخافة الشر وضربته تأديبا تعليلين وتقول أيضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتأديب فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ أو خبرا (ح) هذا كلام فيه اضطراب ذكر أولا أن تقديره غير مفتونين تتمة يعني أنه حال لانه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة حالية ثم ذكر أن يتركوا هنا من الترك الذي هو من التصيير وهذا لا يصح لان مفعول صير الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم اذ يصير التقدير أن يصيروا لقولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح وأما ما مثل به من البيت فانه يصح أن يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الآية وأما تقديره تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح اذا كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير مفتونين حالا اذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم وتقولهم مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم الى مفعول ثان لان غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان وأما قوله فان قلت أن يقولوا الى آخره فيحتاج الى فضل فهم وذلك أن قوله كهم ... ليس كذلك لانه لو كان علة له لكان تعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر ... دأ ولو كان لقولهم علة ... لكان من تمامه فكان يحتاج الى خبر وأما قوله كما تقول خروجه لمخافة الشر

يعني أنه حال لأنه سبك ذلك من قوله وهم لا يفتنون وهذه جملة حالية ثم ذكر أن يتركوا هنا من الترك الذي هو من التصيير وهذا لا يصح لأن مفعول صير الثاني لا يستقيم أن يكون لقولهم إذ يصير التقدير أن يصيروا القولهم وهم لا يفتنون وهذا كلام لا يصح وأما ما مثل به من البيت فإنه يصح وأن يكون جزر السباع مفعولا ثانيا لترك بمعنى صير بخلاف ما قدر في الآية وأما تقديره تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام فلا يصح إذ كان تركهم بمعنى تصييرهم كان غير مفتونين حالا إذ لا ينعقد من تركهم بمعنى تصييرهم وتقولهم مبتدأ وخبر لاحتياج تركهم بمعنى تصييرهم إلى مفعول ثان لأن غير مفتونين عنده حال لا مفعول ثان وأما قوله فإن قلت أن يقولوا إلى آخره فيحتاج إلى فضل فهم وذلك أن قوله أن يقولوا هو علة تركهم فليس كذلك لأنه لو كان علة له لكان متعلقا كما يتعلق بالفعل ولكنه علة للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن والخبر غير المبتدأ ولو كان لقولهم علة للترك لكان من تمامه فكان يحتاج إلى خبر وأما قوله كما تقول خروجه لمخافة الشر فله لمخافة ليس علة للخروج بل للخبر المحذوف الذي هو مستقر أو كائن * وهم لا يفتنون * قال الشعبي الفتنة هنا ما كلفه المؤمنون من الهجرة التي لم يتركوا دونها * وقال الكلبي هو مثال أو يلبسكم شيعا وقال مجاهد يبتلون في أنفسهم وأموالهم * والذين من قبلهم المؤمنون أتباع الأنبياء أصابهم من المحن ما فرق به المؤمن بالمنشار فرقتين وتمشط بأمشاط الحديد ولا يرجع عن دينه * فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في إيمانهم * وليعلمن الكاذبين فيه من علم المتعدية إلى واحد فيهما ويستحيل حدوث العلم لله تعالى فالمعنى وليتعلقن علمه به موجودا به كما كان متعلقا به حين كان معدوما والمعنى وليميزن الصادق منهم من الكاذب أو عبر بالعلم عن الجزاء أي وليثيبن الصادق وليعذبن الكاذب ومعنى صدقوا في إيمانهم يطابق قولهم واعتقادهم أفعالهم والكاذبين ضد ذلك * وقرأ علي وجعفر بن محمد فليعلمن مضارع المنقولة بهمزة التعدي من علم المتعدية إلى واحد والثاني محذوف أي منازلهم في الآخرة من ثواب وعقاب أو الأول محذوف أي فليعلمن الناس الذين صدقوا أي يشهرهم هؤلاء في الخير وهؤلاء في الشر وذلك في الدنيا والآخرة أو من العلامة فيتعدى إلى واحد أي يسمهم بعلامة تصلح لهم كقوله من أسر سريرة ألبسه الله رداءها * وقرأ الزهري الأولى كقراءة الجماعة والثانية كقراءة علي أم حسب * قال ابن عطية أم معادلة للألف في قوله أحسب وكأنه عز وجل قرر الفريقين قرر المؤمنين على ظنهم أنهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أنهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه انتهى وليست أم هنا معادلة للألف في أحسب كما ذكر لأنها إذ ذاك تكون متصلة ولها شرطان أحدهما أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا الشرط هنا موجود والثاني أن يكون بعدها مفرد أو ما هو في تقدير المفرد مثال المفرد أزيد قائم أم عمرو ومثال ما هو في تقدير المفرد أقام زيد أم قعد وجوابها تعيين أحد الشيئين إن كان التعادل بين شيئين أو الأشياء إن كان بين أكثر من شيئين وهنا بعد أم جملة ولا يمكن الجواب هنا بأحد الشيئين بل أم هنا منقطعة بمعنى بل التي للإضراب بمعنى الانتقال من قضية إلى قضية لا بمعنى الإبطال وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ والإنكار فلا يقتضي جوابا لأنه في معنى كيف وقع حسبان ذلك * والذين يعملون السيئات * قال ابن عباس يريد الوليد بن المغيرة وأبا جهل والأسود والعاصي بن هشام وشيبة وعتبة وعقبة بن أبي معيط وحنظلة بن أبي سفيان والعاصي بن وائل وانظر ساء كان ذلك فعن [illegible] لأنه فعل جامد

الذي هو مستقر أو كائن (ع) أم معادلة للألف في قوله أحسب وكأنه عز وجل قرر الفريقين قول المؤمنين على ظنهم أنهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم أنهم يسبقون نقمات الله ويعجزونه (ح) ليست أم هنا معادلة للألف في أحسب كما ذكر لأنها إذ ذاك تكون متصلة ولها شرطان أحدهما أن يكون قبلها لفظ همزة الاستفهام وهذا الشرط هنا موجود والثاني أن يكون بعدها مفردا وما هو في تقدير المفرد مثال المفرد أزيد قائم أم عمرو ومثال ما هو في تقدير المفرد أقام زيد أم قعد وجوابها تعيين أحد الشيئين إن كان التعادل بين شيئين أو الأشياء إن كان بين أكثر من شيئين وهنا بعد أم جملة ولا يمكن الجواب هنا بأحد الشيئين بل أم هنا منقطعة بمعنى بل التي للإضراب بمعنى الانتقال من قضية إلى قضية لا بمعنى الإبطال وهمزة الاستفهام والاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ

انتهى والآية وان نزلت على سبب فهى تعم جميع من يعمل السيئات من كافر ومسلم * وقال مجاهد أن يسبقونا أى يعجزونا فلا نقدر على الانتقام وقيل ان يعجلوا محتوم القضاء وقيل ان يهربوا منا و يفوتونا بأنفسهم * وقال الزمخشرى ان يسبقونا ان يفوتونا يعنى أن الجزاء يلحقهم لامحالة وهم لم يطمعوا فى الفوت ولم يحدثوا به أنفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرتهم فى العاقبة واصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدم ذلك و يطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الارض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون (فان قلت) أين مفعولا حسب (قلت) اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقولهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و يجوز أن تضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان أبطل من الحسبان الأول لأن ذلك يقدر أن لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه انتهى أما قوله وهو لم يطمعوا فى الفوت الى آخر قوله و يطمع فيه فليس كما ذكر بل هم معتقدون ان لا بعث ولا جزاء ولاسيما السرية التى نص عليها ابن عباس وما ذكره الزمخشرى هو على اعتقاد من يعلم أن الله يجازيه ولكن طمع فى عفو الله وأما قوله اشتمال صلة أن الى آخره فقد كان ينبغى أن يقدر ذلك فى قوله أن يتركوا فيجعل ذلك سد مسد المفعولين ولم يقدر ما لا يصح تقديره وأما قوله و يجوز أن تضمن حسب معنى قدر فتعين ان أن وما بعدها فى موضع مفعول واحد والتضمين ليس بقياس ولا يصار اليه الا عند الحاجة اليه وهذا لا حاجة اليه * ساء ما يحكمون * قال الزمخشرى وابن عطية لمع اه ان ما موصولة و يحكمون صلتها أو تمييز بمعنى شئ و يحكمون صفة والمخصوص بالذم محذوف فالتقدير أى حكمهم انتهى وفى كون ما موصولة مرفوعة بساء أو منصوبة على التمييز خلاف مذكور فى النحو وقال ابن كيسان ما مصدرية فتقديره بئس حكمهم وعلى هذا القول يكون التمييز محذوفا أى ساء حكما حكمهم وساء هنا بمعنى بئس وتقدم حكم بئس اذا اتصل بها ما والفعل فى قوله بئسما اشتروا به أنفسهم مشبعا فى البقره وجاء بالمضارع وهو يحكمون قيل اشعارا بأن حكمهم مذموم حالا واستقبالا وقيل لأجل الفاصلة وقع المضارع موقع الماضى اتساعا والظاهر أن يرجو على بابها ومعنى لقاء الله الوصول الى عاقبة الأمر من الموت والبعث والجزاء مثلت حاله بحالة عبد قدم على مولاه من سفر بعيد وقد اطلع مولاه على ما عمل فى غيبته عنه فان كان عمل خيرا تلقاه باحسان أو شرا فبضد الاحسان * فان أجل الله لآت وهو ما أجله وجعل له أجلا لا نفسه لامحالة فليبادر لما يصدق رجاءه * وقال أبو عبيدة يرجو يخاف و نظهر أن جواب الشرط محذوف أى من كان يرجو لقاء الله فليبادر بالعمل الصالح الذى يحقق رجاءه فان ما أجله الله تعالى من لقاء جزائه لآت والظاهر ان قوله ومن جاهد معناه ومن جاهد نفسه بالصبر على الطاعات فثمرة جهاده وهو الثواب المعد له انما هو له لا لله والله تعالى غنى عنه وعن العالمين وانما كلفهم ما كلفهم احسانا اليهم * لنكفرن عنهم سيئاتهم يشمل من كان كافرا فآمن وعمل صالحا فأسقط عنه عقاب ما كان قبل الايمان من كفر ومعصية ومن نشأ مؤمنا عاملا للصالحات وأساء فى بعض أعماله فكفر عنه ذلك وكانت سيئاته مغمورة بحسناته * ولنجزينهم أحسن الذى أى أحسن جزاء أعمالهم * وقال ابن عطية فيه حذف مضاف تقديره ثواب أحسن الذى كانوا يعملون انتهى وهذا التقدير لا يسوغ لأنه يقتضى أن أولئك يجزون ثواب أحسن أعمالهم وأما ثواب حسنها

الجزاء يلحقهم لامحالة وهم لم يطمعوا فى الفوت ولم يحدثوا به أنفسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرتهم فى العاقبة واصرارهم على المعاصى فى صورة من يقدم ذلك و يطمع فيه ونظيره وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون فان قلت أين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة أن على مسند ومسند اليه سد مسد المفعولين كقوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و يجوز أن يضمن حسب معنى قدر وأم منقطعة ومعنى الاضطراب فيها أن هذا الحسبان أبطل من الحسبان الاول لان ذلك يظن أنه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن أنه لا يجازى بمساويه (ح) أما قوله وهم لم يطمعوا فى الفوت الى آخر قوله و يطمع فيه فليس كما ذكر بل هم معتقدون أن لا بعث ولا جزاء ولاسيما السرية التى نص عليها ابن عباس وما ذكره (س) هو على اعتقاد من يعلم ان الله يجازيه ولكن طمع فى عفو الله وأما قوله اشتمال صلة ان الى آخره فقد كان ينبغى فى قوله أن يتركوا فيجعل ذلك سد مسد المفعولين ولم يقدر ما لا يصح تقديره وأما قوله و يجوز أن يضمن حسب [illegible] فى موضع مفعول واحد والتضمين ليس بقياس فلا [illegible] الا عند الحاجة اليه وهنا لا حاجة اليه

فسكوت عنه وهم يجزون ثواب الاحسن والحسن الاان أخرجت أحسن عن بابها من التفضيل فيكون بمعنى حسن فانه يسوغ ذلك وأما التقدير الذى قبله فعناه انه يجزى أحسن جزاء العمل فعمله يقتضى أن تكون الحسنة بمثلها يجوزى أحسن جزائها وهى ان جعلت بعشر أمثالها وفى هذه الآيات تحريك وهز لمن تخلف عن الهجرة ان يبادر الى استدراك مافرط فيه منها وثناء على المؤمنين الذين بادروا الى الهجرة وتنويه بقدرهم * ووصينا الانسان فى جامع الترمذى انها نزلت فى سعد بن أبى وقاص آلت أمه أن لا يطعم ولا يشرب حتى تموت أو يكفر وقيل فى عياش بن أبى ربيعة أسلم وهاجر مع عمر وكانت أمه شديدة الحب له وحلفت على مثل ذلك فتحيل عليه أبو جهل وأخوه الحارث فشداه وثاقا حين خرج معهما من المدينة الى أمه قصدا ليراها وجلده كل منهما مائة جلدة ورداه الى أمه فقالت لا يزال فى عذاب حتى يكفر بمحمد فى حديث طويل ذكر فى السير * ووصينا الانسان بوالديه أى أمرناه بتعهدهما ومراعاتهما * وانتصب حسنا على انه مصدر وصف به مصدر وصينا أى ايصاء حسنا أى ذا حسن أو على سبيل المبالغة أى هو فى ذاته حسن * قال ابن عطية يحتمل أن ينتصب على المفعول وفى ذلك تحريض على كونه عاما للمعان كما تقول وصيتك خيرا وأوصيتك شرا وعبر بذلك عن جملة ما قلت له ويحسن ذلك دون حرف الجر كون حرف الجر فى قوله بوالديه لأن المعنى ووصينا الانسان بالحسن فى قوله مع والده ونظير هذا قول الشاعر

عجبت من دهماء إذ تشكونا * ومن أبى دهماء إذ يوصينا

انتهى مثله قول الحطيئة يوصى ابنته برة

وصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا

وعلى هذا التقدير يكون الاصل بخير وهو المفعول الثانى * والباء فى بوالديه وفى بالحماة وبالكلب ظرفية بمعنى فى أى وصينا الانسان فى أمر والديه بخير * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون المفعول الثانى فى قوله بوالديه وينتصب حسنا بفعل مضمر تقديره يحسن حسنا وينتصب انتصاب المصدر وفى التحرير حسنا نصب عند البصريين على التكرير أى وصيناه حسنا وقيل على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا أى بالخير ويعنى بالقطع عن حرف الجر فانتصب * وقال أهل الكوفة ووصينا الانسان أن يفعل حسنا فيقدر له فعل انتهى وفى هذا القول حذف أن وصلتها وابقاء المعمول وهو لا يجوز عند البصريين * وقال الزمخشرى وصيناه بايتاء والديه حسنا أو نائلا والديه حسنا أى فعلا ذا حسن وما هو فى ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا انتهى وهذا التقدير فيه اعمال المصدر محذوفا وابقاء معموله وهو لا يجوز عند البصريين * قال الزمخشرى ويجوز أن يجعل حسنا من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيأ للضرب فتنصبه باضمار أولها أو افعل بهما لأن الوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له فكأنه قال فلنا أولها معروفا * وقرأ عيسى والجحدرى حسنا بفتحتين والجمهور بضم الحاء واسكان السين وهما كالبخل والبخل * وقال أبو الفضل الرازى وانتصابه بفعل دون التوصية المقدمة لأنها قد أخذت مفعوليها معا مطلقا ومجرورا فالحسن هنا صفة أقيم مقام الموصوف بمعنى أمرا حسنا انتهى أى أمرا حسنا حذف أمرا وأقيم حسن مقامه وقوله مطلقا عنى به الانسان وفيه [illegible] هو على مفعول به والمطلق انما هو المصدر لأنه مفعول لم يقيد من حيث التفسير بأداة وال توبيخ وتقريع المفاعيل فالك تقول مفعول به ومفعول فيه ومفعول معه ومفعول له وفى مصحف ابن عيسى كان ذلك فصن على عيسى لانه فعل جامد

جاهداك أي وقلناان جاهداك ماليس لك به علم أي بالهيته فالمراد بنفي العلم نفي المعلوم أي لتشرك به شيألا يصح أن يكون الها ولا يستقيم فلا تطعهما فيما جاهداك عليه من الاشراك الى مرجعكم شامل للموصى والموصي والمجاهد والمجاهد * فأنبئكم فأجازيكم بما كنتم تعملون من بر أوعقوق أو طاعة أو عصيان وكرر تعالى مارتب للمؤمنين من دخولهم في الصالحين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم ومعنى في الصالحين في جلتهم ومرتبة الصلاح شريفة أخبر الله بها عن ابراهيم وسألها سليمان عليهما السلام وأخبر تعالى أن يجعل من أطاع الله ورسوله معهم ويجوز أن يكون التقدير في ثواب الصالحين وهي الجنة ولما ذكر تعالى ماأعده للمؤمنين الخلص ذكر حال المنافقين ناسا آمنوا بألسنتهم فاذا آذاهم الكفار جعلوا ذلك الأذى وهو فتنة الناس صارفالهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمؤمنين عن الكفر وكونها نزلت في منافقين قول ابن زيد *وقال الزجاج جزع كما يجزع من عذاب الله وهذا معنى قول مجاهد والضحاك *وقال قتادة فيمن هاجر فردهم المشركون الى مكة وقيل في مؤمنين أخرجهم الى بدر المشركون فارتدوا وهم الذين قال فيهم ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ولئن جاء نصر من ربك أي للمؤمنين ليقولن أي القائلون أوذينا في الله انا معكم أي متابعون لكم في دينكم أومقاتلون معكم ناصرون لكم فاسمونا فيما حصل لكم من الغنائم وهذه الجملة المقسم عليها مظهرة مغالطتهم اذلو كان ايمانهم صحيحا لصبروا على أذى الكفار وان كانت فيمن هاجر وكانوا يحتالون في أمرهم وركبوا كل هول في هجرتهم *وقرئ ليقولن بفتح اللام ذكره أبو معاذ النحوي والزمخشري وأعلم أفعل تفضيل أي من أنفسهم وبما في صدورهم أي بما تكن صدورهم من ايمان ونفاق وهذا استفهام معناه التقرير أي قد علم ماانطوت عليه الضمائر من خير وشر وليعلمن المنافقين ظاهر في ان ماقبل هذه الجملة في المنافقين كما قال ابن زيد وعاسه بالمؤمن وعده بالثواب والمنافق وعيده بالعقاب *ولما ذكر حال المؤمنين والمنافقين ذكر مقالة الكافرين قولا واعتقادا وهم رؤساء قريش * قال مجاهد كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فان كان عليكم شئ فهو علينا وقيل قائل ذلك أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف قال لعمران كان في الاقامة على دين الآباء اثم فنحن نحمله عنك وقيل قائل ذلك الوليد بن المغيرة *قال ابن عطية وقوله ولنحمل أخبر أنهم يحملون خطاياهم على جهة التشبيه بالنقل لكنهم أخرجوه في صيغة الأمر لانها أوجب وأشد تأكيدا في نفس السامع من المجازاة ومن هذا النوع قول الشاعر

فقلت ادعي وأدعو فان أندى * لصوت أن ينادي داعيان

ولكونه خبرا حسن تكذيبهم فيه * وقال الزمخشري أمروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وأمروا أنفسهم بحمل خطاياهم فحمل الأمر على الأمر وأرادوا ليجتمع هذان الأمران في الحصول أن يتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم انتهى وقوله فان عسى كان تركيب أعجمي لاعربي لان إن الشرطية لاتدخل على عسى لانه فعل جامد ولاتدخل أدوات الشرط على الفعل الجامد وأيضا فان عسى لايليها كان واستعمل عسى بغير اسم ولا خبر ولم يستعملها تامة *وقرأ الحسن وعيسى ونوح القارئ ولنحمل بكسر لام الأمر ورويت عن علي وهي لغة الحسن في لام الأمر والحمل هنا مجاز شبه القيام بما يتحصل من عواقب الاثم بالحمل على الظهر والخطايا بالمحمول *وقال مجاهد نحمل هنا من الحمالة لامن الحمل *وقرئ

(الدر)

(ش) بعد كلام وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لانبعث نحن ولا أنتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم انتهى (ح) قوله فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم تركيب أعجمي لاعربي لان ان الشرطية لاتدخل على عسى لانه فعل جامد ولاتدخل أدوات الشرط على الفعل الجامد وأيضا فان عسى لايليها كان واستعمل عسى بغير اسم ولاخبر ولم يستعملها تامة

﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه﴾ ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من أذى الكفار فذكر ما لقي أول الرسل نوح عليه السلام من أذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه وسلم والواو في ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة والاستثناء من الالف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف مذكور في النحو واختلف في مقدار عمره حين بعث وحين مات اختلافا كثيرا قال ابن عطية وقد يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة إقامته من لدن مولده الى غرق قومه انتهى ليس عندي يحتمل لأن اللبث تعقب بالفاء الدالة على التعقيب والضمير في وجعلناها يحتمل أن يعود على السفينة وأفرد آية وجاءت الفاصلة للعالمين لان انجاء السفن أمر معهود فالآية انجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة ولأنها بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل لهم العلم بها فناسب ذلك قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا ﴿انما تعبدون﴾ هذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لهم بحال أبيهم ابراهيم عليه السلام من رفض الأصنام والدعوى الى عبادة الله تعالى ﴿وتخلقون افكا﴾ قال ابن عباس هو نحت الأصنام وخلقها سماها إفكا توسعا من حيث يفترون بها الافك في أنها آلهة وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في أمر الأوثان وغير ذلك ثم يعيده ثم الله ينشئ هاتان جملتان مستأنفتان اخبار من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وقدم ما قبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على امكان ذلك واذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعه صار واجبا مقطوعا بعلمه لا شك فيه ﴿واليه تقلبون﴾ أي تردون ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ أي فائتين ما أراد الله بكم والظاهر ان قوله وان تكذبوا من كلام الله تعالى حكاية عن ابراهيم الى قوله عذاب أليم خشري ومتعلق اعتراض من كلام الله تعالى بين كلام ابراهيم والاخبار عن جواب قومه أي وان يكذبوا محمدا صلى الله

الجمهور من خطاياهم * وقرأ داود بن أبي هند فيما ذكر أبو الفضل الرازي من خطيئتهم على التوحيد * قال ومعناه الجنس ودل على ذلك اتصاله بضمير الجماعة وذكر ابن خالويه وأبو عمرو الداني ان داود هذا قرأ من خطيآتهم بجمع خطيئة جمع السلامة بالألف والتاء وذكر ابن عطية عنه انه قرأ من خطيهم بفتح الطاء وكسر الياء وينبغي أن يحمل كسر الياء على انها همزة سهلت بين بين فأشبهت الياء لان قياس تسهيلها هو ذلك * قال الزمخشري (فان قلت) كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيأ علم الله انهم لا يقدرون على الوفاء به ومن ضمن شيأ لا يقدر على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذبين وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه (قلت) شبه الله حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز أن يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم فيه الخلف انتهى وتقدم من قول ابن عطية ان قوله ولنحمل خبر يعني أمرا ومعناه الخبر وهذان الأمران منزلان منزلة الشرط والجزاء اذ المعنى ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم واذا كان المعنى على هذا كان إخبارا في الجزاء بما لا يطابق وكان كذبا * وليحملن أثقالهم أثقال أنفسهم من كفرهم ومعاصيهم وأثقالا أي أخر وهي أثقال الذين أغروهم فكانوا سببا في كفرهم ولم يبين من الذين يحملون أثقاله فأمكن اندراج أثقال المظلوم يحملها الظالم كما جاء في الحديث انه يقتص من الظالم للمظلوم بان يعطى من حسنات ظالمه فان لم يبق للظالم حسنة أخذ من سيآت المظلوم فطرح عليه وفي صحيح مسلم ما معناه أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه أوزار من عمل بها ممن اتبعه لا ينقص ذلك من أوزارهم شيأ * وليسئلن يوم القيامة أي سؤال توبيخ وتقريع ﴿ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا

من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين﴾ ذكر هذه القصة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يلقى من أذى الكفار فذكر ما لقي أول الرسل وهو نوح من أذى قومه المدد المتطاولة تسلية لخاتم الرسل صلوات الله عليه والواو في ولقد واو عطف عطفت جملة على جملة * قال ابن عطية والقسم فيها بعيد يعني أن يكون المقسم به قد حذف وبقي حرفه وجوابه وفيه حذف المجرور وابقاء حرف الجار وحرف الجر لا يعلق عن عمله بل لابدله من ذكره والظاهر أنه أقام في قومه هذه المدة المذكورة يدعوهم الى الله وقال ابن عطية يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة اقامته في قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى وليس عندي محتملا لان اللبث متعقب بالفاء الدالة على التعقيب واختلف في مقدار عمره حين كان بعث وحين مات اختلافا مضطربا متكاذبا تركنا حكايته في كتابنا وهو في كتب التفسير والاستثناء من الألف استدل به على جواز الاستثناء من العدد وفي كونه ثابتا من لسان العرب خلاف مذكور في النحو وقد عمل الفقهاء المسائل على جواز ذلك وغاير بين تمييز المستثنى منه وتمييز المستثنى لأن التكرار في الكلام الواحد مجتنب في البلاغة الا اذا كان لغرض من تفخيم أو تهويل أو تنويه ولأن التعبير عن المدة المذكورة بما عبر به لأن ذكر رأس العدد الذي لا رأس أكبر منه أوقع وأوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره ولازالة التوهم الذي يجيء مع قوله تسعمائة وخمسون عاما بأن ذلك على سبيل المبالغة لا التمام والاستثناء يرفع ذلك التوهم المجازي وتقدمت وقعة نوح بأكمل مما هنا والخلاف في عدة من آمن ودخل السفينة * والضمير في وجعلناها يحتمل أن يعود على السفينة وأن يعود على الحادثة والقصة وأفرد آية وجاء بالفاصلة للعالمين لأن انجاء السفن أمر معهود فالآية انجاؤه تعالى أصحاب السفينة وقت الحاجة ولأنها بقيت أعواما حتى مر عليها الناس ورأوها فحصل العلم بها لهم فناسب ذلك قوله للعالمين وانتصب ابراهيم عطفا على نوحا * قال ابن عطية أو على الضمير في فأنجيناه وقال هو والزمخشري بتقدير اذكر وابدل منه اذ بدل اشتمال منه لأن الاحيان تشتمل على ما فيها وقد تقدم لنا أن اذ ظرف لا يتصرف فلا يكون مفعولا به وقد كثر تمثيل المعربين اذ في القرآن بأن العامل فيها اذكر واذا كانت ظرفا لماضي فهو لو كان منصرفا لم يجز أن يكون معمولا لاذكر لأن المستقبل لا يقع في الماضي لا يجوز ثم أمس فان كان خلع من الظرفية الماضية وتصرف فيه جاز أن يكون مفعولا به ومعمولا لاذكر * وقرأ النخعي وأبو جعفر وأبو حنيفة وابراهيم بالرفع أي ومن المرسلين ابراهيم وهذه القصة تمثيل لقريش وتذكير لحال أبيهم ابراهيم من رفض الاصنام والدعوى الى عبادة الله وكان نمرود وأهل مدينته عباد أصنام * وقرأ الجمهور وتخلقون مضارع خلق افكا بكسر الهمزة وسكون الفاء * وقرأ علي والسلمي وعون العقيلي وعبادة وابن أبي ليلى وزيد بن علي بفتح التاء والخاء واللام مشدده * قال ابن مجاهد وروي عن ابن الزبير أصله تتخلقون بتاءين فحذفت احداهما على الخلاف الذي في المحذوفة * وقرأ زيد بن علي أيضا فيما ذكر الاهوازي تخلقون من خلق المشدد وقرأ ابن الزبير وفضيل بن زرقان أفكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر مثل الكذب * قال ابن عباس وتخلقون افكا هو نحت الاصنام وخلقها سماها افكا بحيث يفترون بها الافك في أنها آلهة * وقال مجاهد هو اختلاف الكذب في أمر الأوثان

(الدر)

(ع) وقد يحتمل أن تكون المدة المذكورة مدة اقامته في قومه من لدن مولده الى غرق قومه انتهى (ح) ليس عندي محتمل لان اللبث متعقب بالفاء الداله على التعقيب

وكأنه عطف على ما ... أئنكم لتأتون الفاحشة

الاوثان وغـيرذلك * وقال الزمخشري افكافيـه وجهان أحدهما أن تكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منـه كالكذب واللعب من أصلهما وأن تكون صفة على فعل أي خلقا افكا ذا افك وباطل واختلاقهم الافك تسمية الاوثان آلهة وشركاء لله وشفعاء اليه أو سمى الاصنام افكا وعملهم لهـا ونحتهم خلقا للافك انتهى وهـذا البرد بدمنه في نحو وتخلقون افكا قولان لابن عباس ومجاهد وقد تقدم لنا نقلهما عنهما ونفيهم بقوله لا يملكون لكم رزقا على جهة الاحتجاج بأمر يفهمه عامّتهم وخاصتهم فقرر ان الاصنام لا ترزق والرزق يحتمل أن يريد به المصدر لا يملكون أن يرزقوكم شيأ من الرزق واحتمل أن يكون اسم المرزوق أي لا يملكون لكم ابتاء رزق ولا تحصيله وخص الرزق لمكانته من الخلق ثم أمرهم بابتغاء الرزق ممن هو يملكه ويؤتيـه وذكر الرزق لان المقصود انهم لا يقدرون على شيء منه وعرفه بعد لدلالته على العموم لانه تعالى عنده الارزاق كلها * واشكروا له على نعمه السابغة من الرزق وغيره * واليه ترجعون أي الى جزائه أخبر بالمعاد والحشر ثم قال وان تكذبوا أي لبس هذا مبتكرا منكم وقد سبق ذلك من أمم الرسل قيل قوم شيث وادريس وغيرهم * وروى ان ادريس عليـه السلام عاش في قومه ألف سنة فآمن به ألف انسان على عدد سنيه وباقيهم على التكذيب * وما على الرسول الا البلاغ المبين تقدم الكلام على مثل هذه الجملة وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بخلاف عنـه تروا بتاء الخطاب وباقي السبعة بالياء والجمهور يبدئ مضارع أبدأ والزبير وعيسى وأبو عمرو بخلاف عنـه يبدأ مضارع بدأ * وقرأ الزهري كيف بدأ الخلق بتخفيف الهمزة بابدالها ألفا فذهبت في الوصل وهو تخفيف غير قياسي كما قال الشاعر

* فارعي فزارة لاهناك المربع * وقياس تخفيف هذا التسهيل بين بين وتقريرهم على رؤية بدء الخلق في قوله أولم يروا وفي فانظروا كيف بدأ الخلق انما هو لمشاهدتهم احياء الارض بالنبات واخراج أشياء من العدم الى الوجود وقوله ثم يعيده وقوله ثم الله ينشئ ليس داخلا تحت الرؤية ولا تحت النظر فليس ثم يعيـده معطوفا على يبدئ ولا ثم ينشئ داخلا تحت كيفية النظر في البدء بل هما جملتان مستأنفتان اخبارا من الله تعالى بالاعادة بعد الموت وقـدم ماقبل هاتين الجملتين على سبيل الدلالة على امكان ذلك فاذا أمكن ذلك وأخبر الصادق بوقوعـه صار واجبا مقطوعا بعلمه ولا شك فيه * وقال قتادة أولم يروا بالدلائل والنظر كيف يجوز أن يعيد الله الاجسام بعد الموت * وقال الربيع بن أنس المعنى كيف يبدأ خلق الانسان ثم يعيده الى أحوال أخر حتى الى التراب * وقال مقاتل الخلق هنا الليل والنهار * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو النشاءة هنا وفي النجم والواقعة على وزن فعالة وباقي السبعة النشأة على وزن فعلة وهما كالرأفة والرآفة وهما لغتان والقصر أشهر وانتصابه على المصدر اما على غير المصدر قام مقام الانشاء واما على اضمار فعـله أي فتنشئون النشأة وفي الآية الاولى صرح باسمه تعالى في قوله كيف يبـدئ الله الخلق ثم أضمر في قوله ثم يعيـده وهنا عكس أضمر في بدأ ثم أبرزه في قوله ثم الله ينشئ حتى لا تخـلو الجملتان من صريح اسمه ودل ابرازه هنا على تفخيم النشأة الآخرة وتعظيم أمرها وتقرير وجودها اذ كان نزاع الكفار فيها فكأنه قيل ثم ذلك الذي بدأ الخلق هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فكان التصريح باسمه أفخم في اسناد النشأة اليـه والآخرة صفة للنشأة فهما نشأتان نشأة اختراع من العدم ونشأة اعادة ثم ذكر الصفة التي النشأة هي بعض مقدوراتها ثم أخبر بأنه يعذب من يشاء أي تعذيبه ويرحم من يشاء رحمتـه وبدأ بالعذاب لان الكلام هو مع الكفار مكذبي الرسل * واليه تقلبون أي تردون * وقال الزمخشري ومتعلق

﴿فما كان جواب قومه الآية﴾ لما أمرهم بعبادة الله تعالى وبين سفههم في عبادة الاوثان وظهرت حجته عليهم رجعوا الى القلب فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به قولهم اقتلوه أوحرقوه والآمرون بذلك امابعضهم لبعض أو كبراؤهم قالوا الاتباعهم اقتلوه فستريحوا منه عاجلا أوحرقوه بالنار فاما أن يرجع الى دينكم اذا امضته النار واما أن يموت بها ان أصر على

قوله ودينه وفي الكلام حذف تقديره فقذفوه في النار فأنجاه الله تعالى من النار وفي ذلك اشارة الى خلوصه من النار بعد القائه فيها قال كعب لم يحترق منه بالنار الا الحبل الذي أوثقوه به وجاء هنا الترديد بين قتله واحراقه فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل وناس بالاحراق وفي الانبياء قالوا احرقوه اقتصروا على أحد الشيئين وهو الذي فعلوه رموه في النار ولم يقتلوه وقرئ مودة بالرفع من غير تنوين وبينكم بفتح النون على خبران وما موصوله بمعنى الذي أي ان الاوثان التي اتخذتموها مودة وقرئ مودة منصوبا منونا وبينكم ظرف معمول لمودة وقرئ مودة نصبا بغير تنوين مضافا لقوله بينكم ﴿فآمن له لوط﴾ لم يؤمن بابراهيم أحد من قومه الا لوط عليه السلام حين رأى النار

المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو يستوجبهما من الكافر والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وما أنتم بمعجزين أي فائتين ما أراد الله لكم * في الارض ولا في السماء ان حمل السماء على العلو مجازا أي في البروج والقلاع الذاهبة في العلو ويكون تخصيصا بعد تعميم أو على المظلة فيحتاج الى تقرير أي لو صرتم فيها ونظيره قول الاعشى

ولو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت أسباب السماء بسلم

ليعتورنك القول حتى تهزه * وتعلم اني فيك لست بمجرم

وقوله تعالى ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض على تقدير الحكم لو كنتم فيها والارض فانفذوا * وقال ابن زيد والفراء التقدير ولا من في السماء أي بمعجز ان عصى * وقال الفراء وهذا من غوامض العربية * وأنشد قول حسان

فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أي ومن ينصره وهذا عند البصريين لا يكون الا في الشعر لان فيه حذف الموصول وابقاء صلته وأبعد من هذا القول قول من زعم أن التقدير وما أنتم بمعجزين من في الارض من الانس والجن ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون الله * وقرأ الجمهور يأسوا بالهمز والدماري وأبو جعفر بغير همز بل بياء بدل الهمزة وهو وعيد أي ييأسون يوم القيامة وقيل من رحمتي وقيل من ديني فلا أهديهم وقيل هو وصف بحالهم لان المؤمن يكون دائما راجيا خائفا والكافر لا يخطر بباله ذلك شبه حالهم في انتفاء رحمته عنهم بحال من يئس من الرحمة والظاهر أن قول وان يكذبوا من كلام الله حكاية عن ابراهيم الى قوله عذاب أليم وقيل هذه الآيات اعتراض من كلام الله بين كلام ابراهيم والاخبار عن جواب قومه أي وان تكذبوا محمدا فتقدير هذه الجمل اعتراضا يرد على أبي علي الفارسي حيث زعم أن الاعتراض لا يكون جملتين فأكثر وفائدة هذا الاعتراض أنه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث كان قد ابتلي بمثل ما كان أبوه ابراهيم قد ابتلي من شرك قومه وعبادتهم الأوثان وتكذيبهم إياه ومحاولتهم قتله وجاءت الآيات بعد الجملة الشرطية مقررة لما جاء به الرسول من توحيد الله ودلائله وذكر آثار قدرته والمعاد ﴿فما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أوحرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي إنه هو العزيز الحكيم ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين ولوطا إذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها

لم تحرقه وكان ابن أخيه وسارة وكانت بنت عمه والضمير في وقال عائد على ابراهيم وهو الظاهر لتناسقه مع قوله ووهبنا له اسحق وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة وهو أول من هاجر في الله تعالى * وانتصب لوطا باضمار اذكر أو بالعطف على ابراهيم أو بالعطف على ما عطف عليه ابراهيم استفهم أولا وثانيا استفهام توبيخ وانكار وتقريع وبين ما تلك الفاحشة المبهمة في قوله أئنكم لتأتون الفاحشة وان كانت معينة انها اتيان الذكور في أدبارهم بقوله ما سبقكم بها

من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين قال رب انصرني على القوم المفسدين ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك الا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ لما أمرهم بعبادة الله وبين سفههم في عبادة الأوثان وظهرت حجته عليهم رجعوا الى الغلبة فجعلوا القائم مقام جوابه فيما أمرهم به قولهم اقتلوه أو حرقوه والآمرون بذلك اما بعضهم لبعض أو كبراؤهم قالوا لأتباعهم اقتلوه فتستريحوا منه عاجلا أو حرقوه بالنار فاما أن يرجع الى دينكم اذا أمضته النار واما أن يموت بها ان أصر على قوله ودينه وفي الكلام حذف أي حرقوه في النار فأنجاه الله من النار وتقدمت قصته في تحريقه في سورة اقترب للناس حسابهم وجمع هنا فقال الآيات لأن الانجاء من النار وجعلها بردا وسلاما وانها في الحبل الذي كانوا أوثقوه به دون الجسم وان صح ما نقل من أن مكانها حالة الرمي صار بستانا يانعا هو مجموع آيات فناسب الجمع بخلاف الانجاء من السفينة فانه آية واحدة وتقدم الكلام على ذلك وفي ذلك إشارة من النار بعد القائه فيما قال كعب لم يحرق بالنار الا الحبل الذي أوثقوه به وجاء هنا الترديد بين قتله واحراقه فقد يكون ذلك من قائلين ناس أشاروا بالقتل وناس أشاروا بالاحراق وفي اقترب قالوا حرقوه اقتصروا على أحد الشيئين وهو الذي فعلوه رموه في النار ولم يقتلوه * وقرأ الجمهور جواب بالنصب والحسن وسالم الأفطس بالرفع اسما لكان وقرأ الحسن وأبو حيوة وابن أبي عبلة وأبو عمرو في رواية الاصمعي والأعمش عن أبي بكر مودة بالرفع وبينكم بالنصب فالرفع على خبر ان وما موصولة بمعنى الذي أي ان الأوثان التي اتخذتموها مودود أو سبب مودة أو مصدرية أي ان اتخاذكم أوثانا مودة أو على خبر مبتدا محذوف أي هي مودة بينكم وما اذ ذاك مهيئة * وروي عن عاصم مودة بالرفع من غير تنوين وبينكم بالفتح أي بفتح النون جعله مبنيا لاضافته الى مبني وهو موضع خفض بالاضافة ولذلك سقط التنوين من مودة * وقرأ أبو عمرو والكسائي وابن كثير كذلك إلا أنه خفض نون بينكم وقرأ ابن عامر وعاصم بنصب مودة منونا ونصب بينكم وحمزة كذلك إلا أنه أضاف مودة الى بينكم وخفض كما في قراءة من نصب مودة مهيئة واتخذ يحتمل أن يكون مما تعدى الى اثنين والثاني هو مودة أي اتخذتم الأوثان بسبب المودة بينكم على حذف المضاف أو اتخذتموها مودة بينكم كقوله * ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله أو مما تعدى الى واحد وانتصب مودة على أنه مفعول له أي ليتوادوا ويتواصلوا ويجتمعوا على عبادتها كما يجتمع ناس على مذهب فيقع التحاب بينهم وذكروا عن ابن مسعود قراءة شاذة تخالف سواد المصحف مع أنه قد روي عنه ما في سواد المصحف بالنقل الصحيح المستفيض فلذلك لم أذكر تلك القراءة ثم يوم القيامة يقع بينكم التلاعن أي يتلاعن العبدة والمعبودات الأصنام كقوله ويكونون عليهم ضدا وبينكم وفي الحياة يحتمل أن تتعلقا بلفظ مودة وجاز عمل في ظرفين لاختلافهما اذ هما ظرفا مكان وزمان ويحتمل أن يكونا في موضع الصفة أي كائنة بينكم في الحياة في موضع الحال مشددا وباقي

﴿وتقطعون السبيل﴾ أي سبيل الولد بتعطيل الفروج ووطء أدبار الرجال قال الزمخشري ما سبقكم بها جملة مستأنفة مقررة لفحش تلك الفعلة انتهى ويظهر أنها جملة حالية كأنه قال أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها وفي عموم قوله من أحد من العالمين دليل على أنه لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط ﴿ وتأتون في ناديكم ﴾ أي في مجلسكم الذي تجتمعون فيه وهو اسم جنس اذ أنديتهم في مدائنهم كثيرة ولا يسمى ناديا الا ما دام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يطلق عليه ناد الا بمجاز والمنكر ما تنكره العقول والشرائع والمروآت من تضارطهم وتصافعهم وغير ذلك وهم أول من لاط ونساؤهم أول من ساحق ولما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصروا على اللجاج في التكذيب فكان جوابهم له أن قالوا ائتنا بعذاب الله قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به ثم استنصر لوط عليه السلام ربه عليهم فبعث ملائكة لعذابهم ورميهم بالحاصب ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا﴾ تقدم الكلام عليه

المستكن فى بينكم وأجار أبو البقاء أن يتعلق فى الحياة باتخذتم على جعل ما كافة ونصب موده لا على جعل ما موصولة بمعنى الذى أو مصدرية ورفع موده لئلا يؤدى الى الفصل بين الموصول وما فى الصلة بالخبر وأجاز قوم منهم ابن عطية أن يتعلق فى الحياة بمودة وأن يكون بينكم صفة لمودة وهو لا يجوز لأن المصدر اذا وصف قبل أخذ متعلقاته لا يعمل وشبهتهم فى هذا انه يتسع فى الظرف بخلاف المفعول به وأجاز أبو البقاء أن يتعلق بنفس بينكم * قال لان معناه اجتماعكم أو وصلكم وأجاز أيضا أن يجعله حالا من بينكم قال لتعرفه بالاضافة انتهى وهما اعرابان لا يتعقلان * فآمن له لوط لم يؤمن بابراهيم أحد من قومه إلا لوط عليه السلام حين رأى النار لم تحرقه وكان ابن أخى سارة أو كانت بنت عمه والضمير فى وقال عائد على ابراهيم وهو الظاهر ليتناسق مع قوله ووهبنا له اسحق وهو قول قتادة والنخعى وقالت فرقة يعود على لوط وهاجر وابراهيم عليهم السلام من قريتهما كوثى وهى فى سواد العراق من أرض بابل الى فلسطين من أرض الشأم وكان ابراهيم ابن خمس وسبعين سنة وهو أول من هاجر فى الله وقال ابن جريج هاجر الى حران ثم الى الشام وفى هجرته هذه كانت معه سارة والمهاجر الفارع عن الشئ وهو فى عرف الشريعة من ترك وطنه رغبة فى رضا الله وعرف بهذا الاسم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون قبل فتح مكة * الى ربى أى الى الجهة التى أمرنى ربى بالهجرة اليها وقيل الى حيث لا أمنع عبادة ربى وقيل مهاجرا من خالفنى من قومى متقربا الى ربى ونزل ابراهيم قرية من أرض فلسطين وترك لوطا فى سدوم وهى المؤتفكة على مسيرة يوم وليلة من قرية ابراهيم عليهما السلام انه هو العزيز الذى لا يذل من عبده الحكيم الذى يضع الأشياء مواضعها والضمير فى ذريته عائد على ابراهيم * النبوة اسحق ويعقوب وأنبياء بنى اسرائيل واسماعيل ومحمد خاتمهم صلى الله وسلم عليهم أجمعين والكتاب اسم جنس يدخل فيه التوراة والزبور والانجيل والفرقان * وآتيناه أجره فى الدنيا أى فى حياته * قال مجاهد نجاته من النار ومن الملك الجبار والعمل الصالح والثناء الحسن بحيث يتولاه كل أمة وقال ابن جريج والولد الذى قرت به عينه قاله الحسن * وقال السدى انه رأى مكانه من الجنة وقال ابن أبى بردة ماوفق له من عمل الآخرة * وقال الماوردى بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لنبى غيره وقيل النبوة والحكمة وقيل الصلاة عليه الى آخر الدهر * وانتصب لوطا باضمار اذكر أو بالعطف على ابراهيم أو بالعطف على ماعطف عليه ابراهيم والجمهور على الاستفهام فى أئنكم معا وقرئ انكم على الخبر والثانى على الاستفهام * وقال أبو عبيد وجدته فى الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثانى بحرفين الياء والنون ولم يأت فى قصة لوط انه دعا قومه الى عبادة الله كما جاء فى قصة ابراهيم وقصة شعيب لان لوطا كان من قوم ابراهيم وفى زمانه وسبقه ابراهيم الى الدعاء لعبادة الله وتوحيده واشتهر أمره بذلك عند الخلق فذكر لوط ما اختص به من المنع من الفحشاء وغيرها وأما ابراهيم وشعيب فجاآ بعد انقراض من كان يعبد الله فلذلك دعوا الى عبادة الله * قال الزمخشرى ماسبقكم بها جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى قدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم قالوا لم ينزذكر على ذكر قبل قوم لوط انتهى ويظهر ان ماسبقكم بها جملة حالية كانه قال نولون ... الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها ... أولا وثانيا استفهام انكار وتوبيخ وقرع ... الصور الجلية ... المبهمة فى قوله أئنكم لتأتون الفاحشة وان كانت معينة انها اتيان الذكور

(الدر)

(ش) ماسبقكم بها جملة مستأنفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لأن أحدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها فى طباعهم لافراط قبحها حتى أقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم قالوا لم ينزذكر على ذكر قبل قوم لوط انتهى (ح) يظهر ان ماسبقكم بها جملة حالية كأنه قال أتأتون الفاحشة مبتدعين لها غير مسبوقين بها

فى الادبار بقوله ماسبقكم بها فقال أئنكم لتأتون الرجال يعنى فى الادبار وتقطعون السبيل الولد بتعطيل الفرج ووطء أدبار الرجال أو بامساك الغرباء لذلك الفعل حتى انقطعت الطرق أو بالقتل وأخذ المال أو بقبح الاحدوثة حتى تنقطع سبل الناس فى التجارات * وتأتون فى ناديكم أى فى مجلسكم الذى تجتمعون فيه وهو اسم جنس اذ أنديتهم فى مدائنهم كثيرة ولا يسمى ناديا الامادام فيه أهله فاذا قاموا عنه لم يطلق عليه نادالا مجازا * والمنكر ماتنكره العقول والشرائع والمروآت حذف الناس بالحصباء والاستخفاف بالغريب الخاطر وروت أم هانئ عن النبى صلى الله عليه وسلم أو اتيان الرجال فى مجالسهم يرى بعضهم بعضا قاله منصور ومجاهد والقاسم بن محمد وقتادة بن زيد أو تضارطهم أو تصافعهم فيها قاله ابن عباس أو لعب الحمام أو تطريف الاصابع بالحناء والصفير والحذف ونبذ الحياء فى جميع أمورهم قاله مجاهد أيضا أو الحذف بالحصى والرمى بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازرار والسبابة والفحش فى المزاح قاله ابن عباس أيضا مع شركهم بالله كانت فيهم ذنوب غير الفاحشة تظالم فيما بينهم وبشاعة ومضاريط فى مجالسهم وحذف ولعب بالنرد والشطرنج ولبس المصبغات ولباس النساء للرجال والمكوس على كل عابر وهم أول من لاط ومن ساحق ولما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبائح أصروا على اللجاج فى التكذيب فكان جوابهم له ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدنا به من نزول العذاب قالوا ذلك وهم مصممون على اعتقاد كذبه فيما وعدهم به وفى آية أخرى الا أن قالوا أخرجوا آل لوط الجمع بينهما أنهم أولا قالوا ائتنا بعذاب الله ثم انه كثر منه الانكار وتكرر ذلك منه نهيا ووعظا ووعيدا قالوا أخرجوا آل لوط ولما كان انما يأمرهم بترك الفواحش وما كانوا يصنعونه من قبيح المعاصى وبعد على ذلك بالعذاب وكانوا يقولون ان الله لم يحرم هذا ولا يعذب عليه وهو يقول ان الله حرمه ويعذب عليه قالوا ائتنا بعذاب الله فكانوا ألطف فى الجواب من قوم ابراهيم بقولهم اقتلوه أو حرقوه لانه كان لا يذم آلهتهم وعهد الى أصنامهم فكسرها فكان فعله هذا معهم أعظم من قول لوط لقومه فكان جوابهم له ان قالوا اقتلوه أو حرقوه ثم استنصر لوط عليه السلام فبعث ملائكة لعذابهم ورجمهم بالحاصب وافسادهم بحمل الناس على ما كانوا عليه من المعاصى طوعا وكرها وخصوصا تلك المعصية المبتدعة * بالبشرى هى بشارته بولده اسحاق وبنافلته يعقوب وبنصر لوط على قومه واهلاكهم والقرية سدوم وفيها قيل أجور من قاضى سدوم * كانوا ظالمين أى قد سبق منهم الظلم واستمر على الايام السالفة وهم مصرون وظلمهم كفرهم وأنواع معاصيهم ولما ذكروا لابراهيم انا مهلكو أهل هذه القرية أشفق على لوط فقال ان فيها لوطا ولما عللوا الاهلاك بالظلم قال لهم فيها من هو برئ من الظلم قالوا نحن أعلم بمن فيها أى منك وأخبر بحاله ثم أخبروه بانجائهم اياه وأهله الا امرأته * وقرأ حمزة والكسائى لننجينه مضارع أنجى وباقى السبعة مضارع نجى والجمهور بشد النون وفرقة بتخفيفها * ولما ان جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة الا ان هنا زيدت أن بعد لما وهو قياس مطرد * وقال الزمخشرى أن صلة أكدت وجود الفعلين مرتبا أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما وجدا فى جزء واحد من الزمان كانه قيل لما أحس بمجيئهم فاجأته المساءة من غير وقت خيفة عليهم من قومه انتهى وهذا الذى ذكره فى الترتيب هو مذهب سيبويه اذ مذهبه ان لما حرف وجوب لوجوب خلافا للفارسى وهذا مذكور فى علم النحو * وقرأ العربيان ونافع وحفص منجوك وأهلك بالتشديد وباقى السبعة بالتخفيف وكأنه قال واذ

﴿والى مدين أخاهم شعيبا﴾ أى أرسلنا وارجوا أى خافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم ولا تعثوا تقدم فاخذتهم الرجفة تقدم الكلام عليه ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾ فالحاصب لقوم لوط وهى ريح عاصف فيها حصباء والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وقومه ﴿كمثل العنكبوت﴾ (١٥١) حيوان معروف ووزنه فعللوت ويؤنث ويذكر

شبه الله تعالى الكفار فى عبادتهم وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التى تبنى وتجتهد وأمرها كله ضعيف متى مسه أدنى هامة أذهبته فكذلك أمر هؤلاء وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد قال الزمخشرى والغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا فى دينهم وتولوه من دون الله تعالى بما هو مثل عند الناس فى الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى والنص يظهر فى تشبيه المتخذ من دون الله أولياء بالعنكبوت المتخذة ولياء بيتا فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها فى استظلال وسكنى بل لو دخلت فيه خرقته ثم بين حال بيتها وانه فى غاية الوهن بحيث لا ينتفع به كما أن تلك الاصنام لا تنفع فلا تحدث شيأ ألبتة والاشارة بقوله وتلك الامثال وما تقدم فى السور من الأمثال ﴿وما يعقلها﴾ أى لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها الا العالمون وكان جهلة قريش ...كون ان رب محمد يضرب الأمثال بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا أن الامثال تبرز المعانى الخفية ...ونا ما وقيل أ كبر ...

السبعة مخففا والكاف فى مذهب سيبويه فى موضع جر * وأهلك منصوب على اضمار فعل أى ونجى أهلك ومن راعى هذا الموضع عطفه على موضع الكاف والكاف على مذهب الاخفش وهشام فى موضع نصب وأهلك معطوف عليه لان هذه النون كالتنوين وهما على مذهبهما يحذفان لطافة الضمير وشده طلبه الاتصال بما قبله * وقرأ الجمهور رسيء بكسر السين وضمها نافع وابن عامر والكسائى * وقرأ عيسى وطلحة سوء بضمها وهى لغة بنى هذيل وبنى وبير يقولون فى قيل وبيع ونحوهما قول وبوع * وقرئ منزلون مخففا ومشددا وابن محيصن رجزا بضم الراء وأبو حيوة والاعمش بكسر سين يفسقون والظاهر ان الضمير فى منها عائد على القرية فقال ابن عباس منازلهم الخربة * وحكى أبو سلمان الدمشقى ان الآية فى قريتهم الان أساسها أعلاها وسقوفها أسفلها الى الآن * وقال الفراء المعنى تركناها آية يقول ان فى السماء لآية يريد انها آية انتهى وهذا لا يتجه الا على زيادة من فى الواجب نحو قوله أمهرت منها جبة وتيسا يريد أمهرتها وكذلك ولقد تركناها آية وقيل الهاء فى منها عائدة على الفعلة التى فعلت بهم فقيل الآية الحجارة التى أدركتها أوائل هذه الامة قاله قتادة وقيل الماء الاسود على وجه الارض قاله مجاهد وقيل أثجز ما صنع بهم * ولقوم متعلق بتركنا أو ببينة ﴿والى مدين أخاهم شعيبا فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا فى الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الأرض وما كانوا سابقين فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ والى مدين أى والى مدين أرسلنا أو بعثنا مما يتعدى بالى أمرهم بعبادة الله والايمان بالبعث واليوم الآخر والأمر بالرجاء أمر بفعل ما يترتب الرجاء عليه أقام المسبب مقام السبب والمعنى وافعلوا ما ترجون به الثواب من الله أو يكون أمرا بالرجاء على تقدير تحصيل شرطه وهو الايمان بالله * وقال أبو عبيدة وارجوا خافوا جزاء اليوم الآخر من انتقام الله منكم ان لم تعبدوه وتضمن الأمر بالعبادة والرجاء انه ان لم يفعلوا ذلك وقع بهم العذاب كذلك جاء فكذبوه وجاءت ثمرة التكذيب وهى فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين وتقدم تفسير مثل هذه الجمل * وانتصب وعادا وثمودا باضمار أهلكنا لدلالة فأخذتهم الرجفة عليه وقيل بالعطف على الضمير فى فأخذتهم وأبعد الكسائى فى عطفه على الذين

من قوله * ولقد فتنا الذين من قبلهم * وقرأ ثمود بغير تنوين حمزة وشبة والحسن وحفص وباقي السبعة بالتنوين * وقرأ ابن وثاب وعاد وثمود بالخفض فيهما والتنوين عطفا على مدين أي وأرسلنا الى عاد وثمود وقد تبين لكم أي ذلك أي ما وصف لكم من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم لها وكان أهل مكة يمرون عليها في أسفارهم * وقرأ الأعمش مساكنهم بالرفع من غير من فيكون فاعلا بتبين * وزين لهم الشيطان أي بوسوسته واغوائه أعمالهم القبيحة * فصدهم عن سبيل الله وهي طريق الايمان بالله ورسله * وكانوا مستبصرين أي في كفرهم لهم به بصر واعجاب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقيل عقلاء يعلمون ان الرسالة والآيات حق ولكنهم كفروا عنادا وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم * وقارون معطوف على ما قبله أو منصوب باضمار اذكر * فاستكبروا أي عن الاقرار بالصانع وعبادته في الارض اشارة الى قلة عقولهم لان من في الأرض يشعر بالضعف ومن في السماء يشعر بالقوة ومن في السماء لا يستكبرون عن عبادة الله فكيف من في الارض * وما كانوا سابقين الأمم الى الكفر أي تلك عادة الأمم مع رسلهم والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصا * وقيل ملك كان يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون وقومه * وقال ابن عطية يشبه أن يدخل قوم عاد في الحاصب لان تلك الريح لا بد كانت تحصبهم بأمور مؤذية والحاصب هو العارض من ريح أو سحاب اذا رمى بشيء ومنه قول الفرزدق

مستقبلين شمال الشأم تضربهم * بحاصب كنديف القطن منثور

* ومنه قول الاخطل *

ترمي العضاة بحاصب من ثلجها * حتى تبيت على العضاة حفالا

* العنكبوت حيوان معروف ووزنه فعللوت ويؤنث ويذكر فمن تذكيره قول الشاعر

على هطالهم منهم بيوت * كأن العنكبوت هو ابتناها

ويجمع عناكب ويصغر عنيكيب * شبه تعالى الكفار في عبادتهم الاصنام وبنائهم أمورهم عليها بالعنكبوت التي تبني وتجتهد وأمرها كله ضعيف متى مسته أدنى هامة أو هامة أذهبته فكذلك أمر أولئك وسعيهم مضمحل لا قوة له ولا معتمد * وقال الزمخشري الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله ان أوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى يعني بقوله ألا ترى الى مقطع التشبيه بما ذكر أولا من أن الغرض تشبيه المتخذ بالبيت لا تشبيه المتخذ بالعنكبوت والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون الله وليا بالعنكبوت المتخذة بيتا أي فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى بل لو دخلت فيه خرقته ثم بين حال بيتها وانه في غاية الوهن بحيث لا ينتفع به كما ان تلك الاصنام لا تنفع ولا تجدي شيئا ألبتة وقوله لو كانوا يعلمون ليس مرتبطا بقوله وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل أحد يعلم ذلك فلا يقال فيه لو كانوا يعلمون وانما المعنى لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ من الوهن هذه الغاية لأقلعوا عنه وما اتخذوا الاصنام آلهة * وقال الزمخشري اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم أوهن الاديان لو كانوا يعلمون أو أخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز

(الدر)

(ش) الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت ألا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت انتهى (ح) يعني بقوله ألا ترى الى مقطع التشبيه بما ذكر أولا من أن الغرض تشبيه المتخذ بالبيت لا تشبيه المتخذ بالعنكبوت والذي يظهر هو تشبيه المتخذ من دون الله وليا بالعنكبوت المتخذه بيتا أي فلا اعتماد للمتخذ على وليه من دون الله كما أن العنكبوت لا اعتماد لها على بيتها في استظلال وسكنى بل لو دخلت فيه خرقته ثم بين حال بيتها وانه في غاية الوهن بحيث لا ينتفع به كما أن تلك الاصنام لا تنفع ولا تجدي شيأ ألبتة

أوهن مايعتمد عليه في الدين عبادة الأوثان لو كانوا يعلمون ولقائل أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل بني بيتا بآجر وجص أو نحته من صخر فكما ان أوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك أضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون انتهى وما ذكره من قوله ولقائل أن يقول الخ لا يدل عليه لفظ الآية وانما هو تحميل للفظ مالا يحتمله كعادته في كثير من تفسيره * وقرأ أبو عمرو وسلام يعلم ما بالادغام والجمهور بالفك والجمهور تدعون بتاء الخطاب وأبو عمرو وعاصم بخلاف بياء الغيبة وجوزوا في ما أن يكون مفعولا بيدعون أي يعلم الذين يدعون من دونه من جميع الاشياء أي يعلم حالهم وانهم لا قدرة لهم وأن تكون نافية أي لستم تدعون من دونه شيأ له بال ولا قدر فيصلح أن يسمى شيئا وأن يكون استفهاما كأنه قدر على جهة التوبيخ على هذا المعبود من جميع الاشياء وهي في هذين الوجهين مقتطعة من يعلم واعتراض بين يعلم وبين قوله وهو العزيز الحكيم وجوز أبو على أن يكون ما استفهاما منصوبا بيدعون ويعلم معلقة فالجملة في موضع نصب بها والمعنى ان الله يعلم أوثانا تدعون من دونه أم غيرها لا يخفى عليه ذلك والجملة تأكيد للمثل واذا كانت ما نافية كان في الجملة زيادة على المثل حيث لم يجعل تعالى ما يدعونه شيأ * وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة أصلا وتركوا عبادة القادر القاهر الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا لحكمة * وما يعقلها الا العالمون أي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها وكان جهلة قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك وما علموا ان الامثال والتشبيهات طرق الى المعاني المحتجبة فتبرزها وتصورها للفهم كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد والاشارة بقوله وتلك الامثال الى هذا المثل وما تقدم من الامثال في السور وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه * خلق السموات والارض فيه تنبيه على صغر قدر الأوثان التي عبدوها ومعنى بالحق بالواجب الثابت لا بالعبث واللعب اذ جعلها مساكن عباده وعبره ودلائل على عظم قدرته وباهر حكمته * والظاهر ان الصلاة هي المعهودة والمعنى من شأنها اذا أديت على ما يجب من فروضها وسننها والخشوع فيها والتدبر لما يتلو فيها وتقدير المثول بين يدي الله تعالى ان تنهى عن الفحشاء والمنكر * وقال ابن عباس والكلبي وابن جريج وحماد بن أبي سليمان تنهى مادام المصلي فيها وقال ابن عمر الصلاة هنا القرآن * وقال ابن بحر الصلاة الدعاء أي أقم الدعاء الى أمر الله وأما من تراه من المصلين يتعاطى المعاصي فان صلاته تلك ليست بالوصف الذي تقدم وفي الحديث ان فتى من الأنصار كان يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيأ من الفواحش والسرقة الا ارتكبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه فلم يلبث أن تاب وصلحت حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أقل لكم ولا يدل اللفظ على ان كل صلاة تنهى بل المعنى انه يوجد ذلك فيها ولا يكون على العموم كما تقول فلان يأمر بالمعروف أي من شأنه ذلك ولا يلزم منه ان كل معروف يأمر به * والظاهر ان أكبر أفعل تفضيل فقال عبد الله وسلمان وأبو الدرداء وابن عباس وأبو قرة معناه ولذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه وقال قتادة وابن زيد أكبر من كل شيء وقيل ولذكر الله في الصلاة أكبر منه خارج الصلاة أي أكبر من سائر أركان الصلاة وقيل ولذكر الله نهيه أكبر من نهي الصلاة وقيل أكبر من كل

ارثا ولا ـ
الذين أوتوا العلم أي ...

﴿ ولاتجادلوا أهـل الـكتاب الا بالتى هى أحسن ﴾ وأهل الـكتاب اليهود والنصارى والتى هى أحـسن الملاطفة فى الدعاء الى الله تعالى والتنبيـه على آياته ﴿ الا الذين ظلموا ﴾ من لم يؤد جزية ونصب الحرب وصرح بان لله تعالى ولدا أو شريكا أو يده مغلولة والآية منسوخة فى مهادنة من لم يحارب ﴿ وقولوا آمنا ﴾ هذا من المجادلة وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة قال كان أهل الـكتاب يقرؤن التوراة و يفسرونها بالعربية لأهـل الاسـلام وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لاتصدقوا أهل الـكتاب ولاتـكذبوهم وقولوا آمنا بالله ﴿ وكذلك ﴾ أى مثل انزال تلك الـكتب السابقه ﴿ أنزلنا اليـك الـكتاب ﴾ أى القـرآن ﴿ والذين آتيناهم الـكتاب ﴾ هم عبـد الله بن سلام ومن آمن معه ﴿ ومن هؤلاء ﴾ أى من أهل مكة من يؤمن به أى بالقرآن اد هو مذكور فى كتبهم أنه ينزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وما يجحد بآياتنا ﴾ مع ظهورها و زوال الشبه عنها ﴿ الا الـكافرون ﴾ أى من بنى اسرائيل وغيرهم ﴿ وما كنت تتلو من قبله ﴾ أى من قبل نزوله عليك ﴿ من كتاب ﴾ أى كتابا ومن زائدة لانها فى متعلق النفى ﴿ ولا تخطه ﴾ أى لاتقرأ ولا تـكتب بيمينك وهى الجارحة التى يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفى عنـه من الـكتابة ﴿ اذا لارتاب المبطلون ﴾ أى لو كان يقرأ كتبا قبـل نزول القرآن عليـه أو يكتب لحصلت الريبة للمبطلين اذ كانوا يقولون حصل ذلك الذى يتلوه مما قرأ قبل وخطه واستحفظه فـكان يكون لهم فى ارتيابهـم تعلق ببعض شبه وأما ارتيابهم مع وضوح هـذه الحجة فظاهر فساده والمبطلون أهل الـكتاب ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ﴾ أى قالت قريش و بعض اليهود كانوا يعلمون قريشا مثل هذا الاقتراح و يقولون لهم ألا يأتيكم بآية مثل آية موسى من العصا وغيرها ﴿ أولم يكفهم ﴾ الظاهر أنه رد على الذين قالوا لولا أنزل أى أولم يكفهـم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان و زمان فلاتزال معهم آية ثابتة لاتزول ولاتضمحـل ﴿ انا أنزلنا عليك ﴾ روى أن كعب بن الاشرف وأصحابه قالوا يامحمـد من يشهـد لك بانك رسول الله فنزلت قل كفى بالله أى قد بلغت وأنذرت وانـكم جحدتم وكذبـتم وهو العالم مافى السموات والارض فيعـلم أمرى وأمركم ﴿ والذين آمنوا بالباطـل ﴾ قال ابن عباس بغـير الله * وأجاز أبو البقاء أن يكون الذين منصوبا بفـعل محذوف يدل عليه لبوثنهم وهذا لايجوز لانه لايفسر الامايجوز له أن يعمل ولايجوز ان يقول زيدا لأضربن فلايجوز ان تقول زيدا لاضربنه لما ذكرنا ﴿ ويستعجلونك ﴾ أى كفار قريش فى قولهـم ائتنا بما تعدنا وهو استعجال عـلى جهـة التعجيـز والتـكذيب والاستهزاء بالعـذاب الذى كان يتوعدهم به الرسول عليه الصلاة والسلام والاجل المسمى ماسماه الله تعالى وأثبته فى اللوح المحفوظ لعذابهم وأوجبت الحـكمة تأخيره ثم كرر فعلهم وقبحه وأخبر أن وراءهم جهنم تحيط بهم وانه

العبادة * وقال ابن عطية وعندى ان المعـنى ولذكر الله أكبر على الاطلاق أى هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنـكر والجزء الذى منه فى الصلاة ينهى كما ينهى فى غير الصلاة لأن الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله مراقبه وثواب ذلك الذاكر أن يذكره الله فى ملأ خير من ملائه والحركات التى فى الصلاة لاتأثير لها فى النهى والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله وأما مالايجاوز اللسان ففى رتبة أخرى * وقال الزمخشرى يريد والصلاة أكبر من غـيرها من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله لتستقل بالتعليل كأنه قال والصلاة أكبر لأنها ذكر الله مما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم وفيـه وعيد وحث على المراقبة ﴿ ولاتجادلوا أهل الـكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهـم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليـكم والهنا والهـكم واحد ونحن له مسلمون * وكذلك أنزلنا اليك الـكتاب فالذين آتيناهم الـكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الـكافرون * وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون * وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الـكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون * قل كفى بالله بينى و بينـكم شهيدا يعلم مافى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون و يستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لايشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالـكافرين * يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت

يغشاهم بمحيط

أرجلهم ونقول دوقوا ما كنتم تعملون ﴿وأهل الكتاب اليهود والنصارى﴾ الا بالتي هي أحسن من الملاطفة في الدعاء الى الله والتنبيه على آياته * الا الذين ظلموا ممن لم يؤد جزية ونصب الحرب وصرح بأن لله ولدا أو شريكا أو يده مغلولة فالآية منسوخة في مهادنة من لم يحارب قاله مجاهد ومؤمنو أهل الكتاب * الا بالتي هي أحسن أي بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم الا الذين ظلموا من بقي منهم على كفره وعدل قريظة والنضير قاله ابن زيد والآية على هذا محكمة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال قتادة الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الآية * وقرأ الجمهور الا حرف استثناء وابن عباس ألا حرف تنبيه واستفتاح وتقديره ألا جادلوهم بالتي هي أحسن وقولوا آمنا هذا من المجادلة بالاحسن * بالذي أنزل الينا وهو القرآن وأنزل اليكم وهو التوراة والزبور والانجيل وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم * وكذلك أي مثل ذلك الانزال الذي للكتب السابقة أنزلنا اليك الكتاب أي القرآن فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه * ومن هؤلاء أي من أهل مكة وقيل فالذين آتيناهم الكتاب أي الذين تقدموا عهد الرسول يؤمنون به أي بالقرآن إذ هو مذكور في كتبهم انه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن هؤلاء أي ممن في عهده منهم * وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون أي من بني اسرائيل وغيرهم * قال مجاهد كان أهل الكتاب يقرؤن في كتبهم ان محمدا عليه السلام لا يخط ولا يقرأ كتابا فنزلت وما كنت تتلو من قبله أي من قبل نزوله عليك من كتاب أي كتابا ومن زائدة لأنها في متعلق النفي ولا تخطه أي لا تقرأ ولا تكتب بيمينك وهي الجارحة التي يكتب بها وذكرها زيادة تصوير لما نفي عنه من الكتابة لما ذكر انزال الكتاب عليه متضمنا من البلاغة والفصاحة والاخبار عن الأمم السابقة والأمور المغيبة ما أعجز البشر ان يأتوا بسورة مثله أخذ يحقق كونه نازلا من عند الله بأنه ظهر عن رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا يخالط أهل العلم وظهور هذا القرآن المنزل عليه أعظم دليل على صدقه وأكثر المسلمين على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتب قط ولم يقرأ بالنظر في كتاب * وروى عن الشعبي انه قال مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وأسند النقاش حديث أبي كبشة السلولي انه صلى الله عليه وسلم قرأ صحيفة لعيينة ابن حصن وأخبر بمعناها وفي صحيح مسلم ما ظاهره انه كتب مباشرة وقد ذهب الى ذلك جماعة منهم أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي والقاضي أبو الوليد الباجي وغيرهما واشتد نكير كثير من علماء بلادنا على أبي الوليد الباجي حتى كان بعضهم يسبه ويطعن فيه على المنبر وتأول أكثر العلماء ما ورد من أنه كتب على ان معناه أمر بالكتابة كما تقول كتب السلطان لفلان بكذا أي أمر بالكتب * اذا لارتاب المبطلون أي لو كان يقرأ كتبا قبل نزول القرآن عليه أو يكتب لحصلت الريبة للمبطلين إذ كانوا يقولون حصل ذلك الذي يتلوه مما قرأه قبل وخطه واستحفظه فكان يكون لهم في ارتيابهم تعلق ببعض شبهة وأما ارتيابهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساده والمبطلون أهل الكتاب قاله قتادة أو كفار قريش قاله مجاهد وسموا مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد من الريب ولما لم يكن قارئا ولا كاتبا كان ارتيابهم لا وجه له * بل هو أي القرآن آيات بينات واضحات الاعجاز في صدور الذين أوتوا العلم أي يستقر مؤمن بها محفوظة في صدورهم يتلوها أكثر الأمة ظاهرا بخلاف غيره

*﴿ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة﴾ أكثر المفسرين ذهبوا الى ان قوله ياعبادى نزلت فيمن كان مقيما بمكة أمروا بالهجرة عنها الى المدينة أى جانبوا أهل الشرك واطلبوا أهل الايمان ولما أخبر تعالى بسعة أرضه وكان ذلك اشارة الى الهجرة وأمر بعبادته فكان قد يتوهم متوهم أنه اذا خرج من أرضه التى نشأفيها لأجل من حلها من أهل الكفر الى دار الاسلام لايستقيم له فيها ما كان يستقيم له فى أرضه فربما أدى ذلك الى هلاكه أخبر أن كل نفس لها أجل تبلغه وتموت فى أى مكان حل وان رجوع الجميع الى جزائه يوم القيامة وقرئ *﴿لنبوئنهم﴾* من المباءة وهى المرجع والمعنى لنجعلن لهم مكان مباءة أى مرجعا يأوون اليه *﴿غرفا﴾* أى علالى وقرئ لنثوينهم من ثوى أى أقام وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية فصار يتعدى الى واحد وقرأ مشددا عدى بالتضعيف فانتصب غرفا اما على اسقاط حرف الجر أى فى غرف ثم اتسع فحذف واما على تضمين الفعل معنى التبوئة فتعدى الى اثنين أو شبه الظرف الكائن المختص بالمبهم فوصل اليه الفعل *﴿الذين صبروا﴾* أى على مفارقة أوطانهم والهجرة *﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾* هذان جماع الخير كله الصبر وتفويض الامور الى الله تعالى ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر فقالوا غربة فى بلد لادار لنا فيه ولاعقار ولامن يطعمنا فمثل لهم بأكثر الدواب التى نتقوت ولاتدخر ولا تروى فى رزقها ولاتحمل رزقها من الحمل أى لاتعمل ولاتنظر فى ادخار ثم قال الله يرزقها أى على ضعفها

من الكتب فليس بمعجز ولايقرأ الامن الصحف وجاء فى صفة هذه الأمة صدورهم أناجيلهم وكونه القرآن يؤيده قراءة عبدالله بل هى آيات وقيل بل هو أى النبى وأموره آيات بينات قاله قتادة وقرأ بل هو آية بينة على التوحيد وقيل بل هو أى كونه لايقرأ ولا يكتب ويقال جحدته وجحدت به وكفرته وكفرت به وقيل والجحود الأول معلق بالوحدانية والثانى معلق بالنبوة وختمت تلك بالكافر ولأنه قسيم المؤمنين فى قوله يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن وهذه بالظالمين لأنه جحد بعد اقامة الدليل على كون الرسول صدر منه القرآن منزل عليه وهو أمى لايقرأ ولا يكتب فهم الظالمون بعد ظهور المعجزة * وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أى قريش وبعض اليهود كانوا يعلمون قريشا مثل هذا الاقتراح يقولون له الا يأتيكم بآية مثل آيات موسى من العصا وغيرها وقرأ العربيان ونافع وحفص آيات على الجمع وباقى السبعة على التوحيد قل انما الآيات عند الله ينزل أيتها شاء ولو شاء ان ينزل مايقترحونه لفعل * وانما أنا نذير بما أعطيت من الآيات وذكر يحيى بن جعدة ان ناسا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتب قد كتبوا فيها بعض مايقول اليهود فلما نظر اليها ألقاها وقال كفى بها حماقة قوم أوضلالة قوم أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ماجاء به غير نبيهم فنزلت أولم يكفهم والذى يظهر انه رد على الذين قالوا لولا أنزل عليه آية من ربه أى أولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان فلاتزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد وجودها ويكون فى مكان دون مكان * ان فى هذه الآية الموجودة فى كل مكان وزمان لرحمة لنعمة عظيمة لاتنكر وتذكر * وقيل أولم يكفهم يعنى اليهود انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم بتحقيق مافى أيديهم من نعتك ونعت دينك * وروى ان كعب بن الأشرف وأصحابه قالوا يامحمد من يشهد بأنك رسول الله فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا أى قد بلغت وأنذرت وانكم جحدتم وكذبتم وهو العالم مافى السموات والارض فيعلم أمرى وأمركم والذين آمنوا بالباطل * قال ابن عباس بغير الله وقال مقاتل بعبادة الشيطان وقيل بالصنم * ويستعجلونك أى كفار قريش فى قولهم ائتنا بما تعدنا وقول النضر فأمطر علينا حجارة وهو استعجال على جهة التعجيز والتكذيب والاستهزاء بالعذاب الذى كان يتوعدهم به الرسول والأجل المسمى ماسماه الله وأثبته فى اللوح لعذابهم وأوجبت الحكمة تأخيره * وقال ابن جبير يوم القيامة وقال ابن سلام أجل مابين النفختين وقيل يوم بدر * وليأتينهم بغتة أى فجأة وهو ماظهر يوم بدر وفى السنين السبع ثم كرر فعلهم وقبحه وأخبر ان وراءهم جهنم تحيط بهم وانتصب يوم يغشاهم بمحيطة * وقرأ الكوفيون ونافع ويقول أى الله وباقى السبعة بالنون نون العظمة أو نون جماعة الملائكة وأبو البرهسم بالتاء أى جهنم كما نسب القول اليها فى وتقول هل من مزيد * وقرأ ابن مسعود وابن أبى عبلة ويقال مبنيا للمفعول ﴿ياعبادى الذين آمنوا ان أرضى واسعة فاياى فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾

وإياكم أي على قدر تسكم على الاكتساب وعلى التحيل في تحصيل المعيشة ومع ذلك فرازقكم هو الله تعالى ﴿وما هذه﴾ الاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها والحيوان والحياة بمعنى واحد (١٥٧) وجعلت الدار الآخرة حيوانا على المبالغة بالوصف بالحياة ولما

وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ان الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف تعلمون أولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين * أكثر المفسرين ذهبوا الى ان قوله ياعبادي الآية نزلت فيمن كان مقيما بمكة أمروا بالهجرة عنها الى المدينة أي جانبوا أهل الشرك واطلبوا أهل الايمان * وقال أبو العالية سافروا والطلب أولياءه * وقال ابن جبير وعطاء ومجاهد ومالك بن أنس الارض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية ويلزم الهجرة عنها الى بلد حق * وقال مطرف بن الشخير ان أرضي واسعة عدة بسعة الرزق في جميع الارض وقيل أرض الجنة واسعة أعطيكم * وقال مجاهد سافروا لجهاد أعدائه * فاياي فاعبدون من باب الاشتغال أي فاياي اعبدوا فاعبدون * وقال الزمخشري (فان قلت) ما معنى الفاء في فاعبدون وتقدم المفعول (قلت) الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان أرضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة في أرض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص انتهى ويحتاج هذا الجواب الى تأمل ولما أخبر تعالى بسعة أرضه وكان ذلك اشارة الى الهجرة وأمر بعبادته فكان قد يتوهم متوهم أنه اذا خرج من أرضه التي نشأ فيها لاجل من حل بها من أهل الكفر الى دار الاسلام لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم له في أرضه وربما أدى ذلك الى هلاكه أخبر ان كل نفس لها أجل تبلغه وتموت في أي مكان حل وان رجوع الجميع الى أجزائه يوم القيامة * وقرأ علي ترجعون مبنيا للفاعل والجمهور مبنيا للمفعول بتاء الخطاب * وروي عن عاصم بياء الغيبة وقرأ أبو حيوة ذائقة بالتنوين الموت بالنصب وقرأ لنبوئنهم من المباءة وقرأ علي وعبد الله والربيع بن خيثم وابن وثاب وطلحة وزيد بن علي وحمزة والكسائي من الثواء وبوأ متعد لاثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد جاء متعديا باللام قال تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت والمعنى لنجعلن لهم مكان مباءة أي مرجعا يأوون اليه * غرفا أي علالي وأما ثوى فمعناه أقام وهو فعل لازم فدخلت عليه همزة التعدية فصار يتعدى الى واحد وقد قرئ مشددا متعديا بالتضعيف فانتصب غرفا اما على اسقاط حرف الجر أي في غرف ثم اتسع فحذف واما على تضمين الفعل معنى التبوئة فتعدى الى اثنين أو نسبه الظرف المكاني المختص بالمبهم فوصل اليه الفعل * وروي عن ابن عامر غرفا بضم الراء * وقرأ ابن وثاب فنعم بالفاء والجمهور بغير فاء * الذين صبروا أي على مفارقة أوطانهم والهجرة وجميع المشاق من امتثال الأوامر واجتناب المناهي * وعلى ربهم يتوكلون هذان جماع الخير كله الصبر وتفويض الأمور الى الله تعالى

ذكر تعالى أنهم مقرون بالله تعالى اذ سئلوا من خلق العالم ومن نزل من السماء ماء ذكر أيضا حالة أخرى يرجعون فيها الى الله تعالى ويقرون بأنه هو الفاعل لما يريد وذلك حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه ﴿اذا هم يشركون﴾ جواب لما أي فاجأ التنجية اشراكهم بالله تعالى أي لم يتأخر عنها ولا وقتا والظاهر في ليكفروا أنها لام كي وعطف عليه وليتمتعوا والمعنى عادوا الى شركهم ليكفروا أي الحامل لهم على الشرك كفرهم بما أعطاهم الله تعالى وتلذذهم بما متعوا به من عرض الدنيا بخلاف المؤمنين فلم يقابلوها الا بالشكر لله تعالى على ذلك ثم ذكرهم تعالى بنعمه حيث أسكنهم بلدة أمنوا فيها لا يغزوهم أحد ولا يسلب منهم مع كونهم قليلي العدد قارين في مكان غير ذي زرع وهذه من أعظم النعم التي كفروا بها وهي نعمة لا يقدر عليها الا الله تعالى ﴿والذين جاهدوا﴾ أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمتعلق ليتناول المجاهدة في النفس قال ابن عباس جاهدوا أهواءهم في طاعة الله لنهدينهم هداية الى سبيل الخير كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم والذين مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لنهدينهم

ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر فقالوا نغرب في بلاد لادار لنا ولا فيه عقار ولا من يطعم فمثل لهم با كثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروى في رزقها ولا تحمل رزقها من الحمل أي لا تنقل ولا تنظر في ادخار قاله مجاهد وأبو مجلز وعلي بن الاقمر والادخار جاء في حديث كيف بك اذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبؤن رزق سنة لضعف اليقين قيل ويجوز أن يكون من الحالة التي لا تتكفل لنفسها ولا تروى * وقال الحسن لا تحمل رزقها لا تدخر انما تصبح فيرزقها الله * وقال ابن عباس لا يدخر الا الآدمي والنمل والفأرة والعقعق وقيل البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينساها وانتفاء حملها الرزق اما الضعفها وعجزها عن ذلك واما لكونها خلقت لا عقل لها فيفكر فيما يخبؤه للمستقبل أي يرزقها على ضعفها واياكم أي على قدرتكم على الاكتساب وعلى التحيل في تحصيل المعيشة ومع ذلك فرازقكم هو الله وهو السميع لقولكم نخشى الفقر العليم بما انطوت عليه ضمائركم ثم أعقب تعالى ذلك باقرارهم بان مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله واتبع ذلك ببسط الرزق وضيقه فقال الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه ويقدر لمن يشاء أن يقدره والضمير في له ظاهره العود على من يشاء فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت ويقدر في وقت ويجوز أن يكون الضمير عائدا عليه في اللفظ والمراد لمن يشاء آخر فصار نظير وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره أي من عمر معمر آخر وقولهم عندي درهم ونصفه أي ونصف درهم آخر فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق * وقرأ علقمة الحمصي ويقدر بضم الياء وفتح القاف وشد الدال عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم ولما أخبر انهم مقرون بان موجد العالم ومسخر النيرين ومحيي الارض بعد موتها هو الله كان ذلك الاقرار ملزما لهم ان رازق العباد انما الله هو المتكفل به وأمر رسوله بالحمد له تعالى لان في اقرارهم توحيد الله بالابداع ونفي الشركاء عنه في ذلك وكان ذلك حجة عليهم حيث أسندوا ذلك الى الله وعبدوا الأصنام بل أكثرهم لا يعقلون حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي ويعبدون غيره * وما هذه الحياة الدنيا الاشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها وكيف لا وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة أي ماهي في سرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها الا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون والحيوان والحياة بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر حي والمعنى لهي دار الحياة أي المستمرة التي لا تنقطع * قال مجاهد لا موت فيها وقيل الحيوان الحي وكانه أطلق على الحي اسم المصدر وجعلت الدار الآخرة حيا على المبالغة بالوصف بالحياة وظهور الواو في الحيوان وفي حيوة علم لرجل استدل به من ذهب الى أن الواو في مثل هذا التركيب تبدل ياء لكسر ما قبلها نحو شقي من الشقوة ومن ذهب الى أن لام الكلمة لامها ياء زعم ان ظهور الواو في حيوان وحيوة بدل من ياء شذوذا وجواب لو محذوف أي لو كانوا يعلمون لم يؤثروا دار الفناء عليها وجاء بناء مصدر حي على فعلان لأنه يدل على الحركة والاضطراب كالغليان والنزوان واللهبان والجولان والطوفان والحي كثير الاضطراب والحركة فهذا البناء فيه لكثرة الحركة ولما ذكر تعالى انهم مقرون بالله اذا سئلوا من خلق العالم ومن نزل من السماء ماء ذكر أيضا حالة أخرى يرجعون فيها الى الله ويقرون بأنه هو الفاعل لما يريد وذلك حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه * وقال الزمخشري (فان قلت) بم اتصل قوله فاذا ركبوا في الفلك (قلت) بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من أمرهم معناه على ما وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا

الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون مع الله آخر وفي المخلصين ضرب من التهكم واذاهم يشركون جواب لما أي فاجأ السجية اشراكهم بالله أي لم يتأخر عنها ولا وقتا والظاهر في ليكفروا انها لام كي وعطف عليه وليتمتعوا في قراءة من كسر اللام وهم العربيان ونافع وعاصم والمعنى عادوا الى شركهم ليكفروا أي الحامل لهم على الشرك هو كفرهم بما أعطاهم الله تعالى وتلذذهم بما تمتعوا به من عرض الدنيا بخلاف المؤمنين فانهم اذا نجوا من مثل تلك الشدة كان ذلك جالب شكر الله تعالى وطاعة له مزدادة وقيل اللام في ليكفروا وليتمتعوا لام الأمر ويؤيده قراءة من سكن لام وليتمتعوا وهم ابن كثير والاعمش وحمزة والكسائي وهذا الأمر على سبيل التهديد كقوله اعملوا ماشئتم * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف جاز أن يأمر الله تعالى بالكفر وبأن يعمل العصاة ماشاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه (قلت) هو مجاز عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر مسخط الى غاية انتهى والتخلية والخذلان من ألفاظ المعتزلة * وقرأ ابن مسعود فتمتعوا فسوف تعلمون بالتاء فيهما أي قيل لهم تمتعوا فسوف تعلمون وكذا في مصحف أبي * وقرأ أبو العالية فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول ومن قرأ وليتمتعوا بسكون اللام وكان عنده اللام في ليكفروا لام كي فالواو عاطفة كلاما على كلام لا عاطفة فعل على فعل * وحكى ابن عطية عن ابن مسعود لسوف تعلمون باللام ثم ذكرهم تعالى نعمه حيث أسكنهم بلدة أمنوا فيها لا يعروهم أحد ولا يستلب منهم مع كونهم قليلي العدد قارين في مكان لا زرع فيه وهذه من أعظم النعمة التي كفروها وهي نعمة لا يقدر عليها الا الله تعالى * وقرأ الجمهور يؤمنون ويكفرون بالياء فيهما * وقرأ السلمي والحسن بتاء الخطاب فيهما وافتراؤهم الكذب زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بالحق كفرهم بالرسول والقرآن وفي قوله لما جاءه اشعار بأنهم لم يتوقفوا في تكذيبه وقت مجيء الحق لهم بخلاف العاقل فانه اذا بلغه خبر نظر فيه وفكر حتى يبين له أصدق هو أم كذب وأليس تقرير لمقامهم في جهنم كقوله

* ألستم خير من ركب المطايا * وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر أي مثواهم والذين جاهدوا فينا أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمتعلق ليتناول المجاهدة في النفس الأمارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين وما ورد من أقوال العلماء فالمقصود بها المثال * قال ابن عباس جاهدوا أهواءهم في طاعة الله وشكر آلائه والصبر على بلائه * لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم * وقال السدي جاهدوا فينا بالثبات على الايمان لنهدينهم سبلنا الى الجنة * وقال أبو سليمان الداراني جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى مالم يعلموا وقيل جاهدوا في الغزو لنهدينهم سبل الشهادة والمغفرة * وقال ابن عباس المحسنين الموحدين وقال غيره المجاهدون * وقال عبد الله بن المبارك من اعتاصت عليه مسئلة فليسأل أهل الثغور عنها لقوله تعالى لنهدينهم سبلنا والذين مبتدأ خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لنهدينهم وهذا ونظيره رد على أبي العباس ثعلب في منعه ان تقع جملة القسم والمقسم عليه خبرا للمبتدأ ونظيره والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم

﴿سورة الروم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿الم غلبت الروم﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف وسبب نزولها ان كسرى بعث جيشا الى الروم وأمر عليهم رجلا اختلف في اسمه فسار اليهم بأهل فارس فظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم وكان التقاؤهم باذرعات وبصرى وكان قد بعث قيصر رجلا أميرا على الروم وفي كتابنا البحر ذكر حكاية غلب الروم فارس قال ابن عطية والقراءة بضم الغين أصح وأجمع الناس على سيغلبون انه بفتح الياء يراد به الروم ويروى عن ابن عمر انه قرأ أيضا سيغلبون بضم الياء وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات انتهى * قوله أجمعوا ليس كذلك ألا ترى ان الذين قرؤا غلبت بفتح الغين هم الذين قرؤا سيغلبون بضم الياء وفتح اللام فليست هذه مخصوصة بابن عمر كما ذكر ﴿في بضع سنين﴾ تقدم الكلام عليه في يوسف والظاهر ان يومئذ ظرف معمول ليفرح والتنوين فيه العوض من الجملة المحذوفة أي ويوم اذ يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون ثم ابتدأ الاخبار بفرح المؤمنين بالنصر وبنصر الله أي الروم على فارس أو المسلمين على عدوهم * وانتصب وعد الله على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهو قوله سيغلبون ويفرح المؤمنون ﴿ولكن أكثر الناس﴾ الكفار من قريش وغيرهم ﴿لا يعلمون﴾ نفي عنهم العلم النافع للآخرة وقد أثبت لهم العلم باحوال الدنيا ﴿يعلمون ظاهرا﴾ أي بينا أي ما أدتهم اليه حواسهم فكأن علومهم اذن هي علوم

البهائم ﴿أولم يتفكروا﴾ الظاهر انها معلقة ومتعلقها

﴿سورة الروم ستون آية مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين ويوم تقوم

الجملة من قوله ما خلق الخ وفي أنفسهم ظرف على سبيل التأكيد لأن الفكر لا يكون الا في النفس كما أن الكتابة لا تكون الا باليد * وبالحق في موضع الحال أي ملتبسة بالحق مقترنة به وبتقدير أجل مسمى لا بد لها ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب والمراد بلقاء ربهم الأجل المسمى ﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ هذا تقرير وتوبيخ أي قد ساروا ونظروا الى ما حل بمن كان قبلهم من مكذبي الرسل ﴿وأثاروا الارض﴾ أي قلبوها للزراعة وغير ذلك وعمروها من العمارة أي بقاؤهم فيها أكثر من بقاء هؤلاء أو من العمران أي سكنوا فيها وقرئ عاقبة بالرفع وهي اسم كان . والذين أساؤا من وضع الظاهر موضع المضمر كأنه قال عاقبة مكرهم وخبر كان قوله السوأى وهي الحالة السيئة والسوأى أفعل تفضيل مؤنث تذكيره الاسوأ ويجوز ان يكون السوأى مصدرا منصوبا باساؤا وأن كذبوا هو الخبر أي تكذيبهم بآيات الله وقرئ عاقبة بالنصب على انه خبر كان واسمها يجوز ان يكون السوأى ويجوز أن يكون أن كذبوا أي تكذيبهم فيكون السوأى مصدرا لأساؤا قال الزمخشري ويجوز أن يكون ان بمعنى أي ووجه آخر وهو ان يكون أساؤا السوأى هنا بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايات وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام انتهى * وكون ان هنا حرف تفسير متكلف جدا وأما قوله أسوأ الخطايات فكذا هو في النسخة التي طالعناها جمع جمع التكسير بالالف والتاء وذلك لا ينقاس انما يقتصر فيه على مورد السماع ولا يبعد ان يكون زيادة التاء في خطايات من الناسخ وأما قوله وأن كذبوا عطف بيان لها أي للسوأى وخبر كان محذوف الخبر فهذا فهم أعجمي لان الكلام مستقل في غاية الحسن بلا حذف فيتكلف له محذوف لا يدل عليه دليل وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر كان وأخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا الا ان ورد منه شئ فلا يقاس عليه ﴿يبلس المجرمون﴾ أي لا ينطقون * في روضة والروضة الارض ذات النبات والماء

الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون ﴾ هذه السورة مكية قال ابن عطية وغيره بلا خلاف * وقال الزمخشري الا قوله فسبحان الله وسبب نزولها ان كسرى بعث جيشا الى الروم وأمر عليهم رجلا واختلف النقلة في اسمه فسار اليهم بأهل فارس وظفر وقتل وخرب وقطع زيتونهم وكان التقاؤهم بأذرعات وبصرى وكان قد بعث قيصر رجلا أميرا على الروم * وقال مجاهد التقت بالجزيرة * وقال السدي بأرض الاردن وفلسطين فشق ذلك على المسلمين لكونهم مع الروم أهل الكتاب وفرح بذلك المشركون لكونهم مع المجوس ليسوا بأهل كتاب وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم سيغلبون في بضع سنين ونزلت أوائل الروم فصاح أبو بكر بها في نواحي مكة الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فقال ناس من مشركي قريش زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين أفلا نراهنك على ذلك فقال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فاتفقوا أن جعلوا بضع سنين ثلاث قلائص وأخبر أبو بكر رسول الله بذلك فقال هلا احتطبت فارجع فزدهم في الاجل والرهان فجعلوا القلائص مائة والاجل تسعة أعوام فظهرت الروم على فارس في السنة السابعة وكان ممن راهن أبي بن خلف فلما أراد أبو بكر الهجرة طلب منه أبي كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن فلما أراد أبي الخروج الى أحد طلبه عبد الرحمن بالكفيل فأعطاه كفيلا ومات أبي من جرح جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وظهر الروم على فارس يوم الحديبية وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له تصدق به وسبب ظهور الروم ان كسرى بعث الى شهر بزان وهو الذي ولاه على محاربة الروم أن اقتل أخاك فرخان لمقالة قالها وهي قوله لقد رأيتني جالسا على سرير كسرى فلم يقتله فبعث الى فارس اني عزلت شهر بزان ووليت أخاه فرخان وكتب اليه اذا ولي أن يقتل أخاه شهر بزان فأراد قتله فأخرج له شهر بزان ثلاث صحائف من كسرى يأمره بقتل أخيه فرخان * قال وراجعته في أمرك مرارا ثم تقتلني بكتاب واحد فرد الملك الى أخيه وكتب شهر بزان الى قيصر ملك الروم فتعاونا على كسرى فغلبت الروم فارس وجاء الخبر ففرح المسلمون وكان ذلك من الآيات البينات الشاهدة بصحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها إنباء من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله * وقرأ علي وأبو سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر ومعاوية بن قرة والحسن غلبت الروم مبنيا للفاعل سيغلبون مبنيا للمفعول والجمهور مبنيا للمفعول سيغلبون مبنيا للفاعل * وتأويل ذلك على ما فسره ابن عمر ان الروم غلبت على أدنى ريف الشام يعني بالريف السواد وجاء كذلك عن عثمان وتأوله أبو حاتم على أن الروم غلبت يوم بدر فعز ذلك على كفار قريش وسر المؤمنون وبشر الله عباده بأنهم سيغلبون في بضع سنين انتهى فيكون قد أخبر عن الروم بأنهم قد غلبوا وبأنهم سيغلبون فيكون غلبهم مرتين * قال ابن عطية والقراءة بضم العين أصح وأجمع الناس على سيغلبون بفتح الياء يراد به الروم وروي عن ابن عمر أنه قرأ سيغلبون بضم الياء وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات انتهى وقوله وأجمعوا ليس كذلك ألا ترى أن الذين قرؤا غلبت بفتح الغين هم الذين قرؤا سيغلبون بضم الياء وفتح اللام وليست هذه مخصوصة بابن عمر وقرأ الجمهور غلبهم بفتح الغين واللام وعلي وابن عمر ومعاوية بن قرة باسكانها والقياس عن ابن

﴿ يحبرون ﴾ يسرون حبره سره سرورا تهلل له وجهه وظهر له أثره ومعنى محضرون مجموعون له لا يغيب أحد منهم وجاء في روضة منكرا وفي العذاب معرفا والتنكيل لابهام أمرها وتفخيمه وجاء يحبرون بالفعل المضارع لاستعماله لتجدد لأنهم كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من متجددات الملاذ أو أنواعها المختلفة وجاء محضرون باسم الفاعل لاستعماله للثبوت فهم اذا دخلوا العذاب يبقون فيه محضرين فهو وصف لهم لازم

(الدر)

﴿ سورة الروم ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ع) والقراءة بضم الغين أصح وأجمع الناس على سيغلبون أنه بفتح الياء يراد به الروم وروى عن ابن عمر انه قرأ سيغلبون بضم الياء وفي هذه القراءة قلب المعنى الذي تظاهرت به الروايات انتهى (ح) قوله وأجمعوا ليس كذلك ألا ترى أن الذين قرؤا غلبت بفتح الغين هم الذين قرؤا سيغلبون بضم الياء وفتح اللام فليست هذه مخصوصة بابن عمر كما ذكر

عمروغلابهم على وزن كتاب والروم طائفة من النصارى وأدنى الأرض أقربها فان كانت الواقعة في أذرعات فهي أدنى الارض بالنظر الى مكة وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله

تنورتها من أذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

وان كانت بالجزيرة فهي أدنى بالنظر الى أرض كسرى فان كانت بالاردن فهي أدنى بالنظر الى أرض الروم * وقرأ الكلبي في أدنى الأرض وتقدم الكلام في مدلول البضع باعتبار القراءتين ففي غلبت بضم العين يكون مضافا للمفعول وبالفتح يكون مضافا للفاعل ويكون المعنى سيغلبهم المسلمون في بضع سنين عند انقضاء هذه المدة التي هي أقصى مدلول البضع أخذ المسلمون في جهاد الروم وكان شيخنا الاستاذ أبو جعفر بن الزبير يحكي عن أبي الحكم بن برجان انه استخرج من قوله تعالى * الم غلبت الروم الى قوله في بضع سنين افتتاح المسلمين بيت المقدس معينا زمانه ويومه وكان اذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى وان ابن برجان مات قبل الوقت الذي كان عينه للفتح وانه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم وكان أبو جعفر يعتقد في أبي الحكم هذا انه كان يطلع على أشياء من المغيبات يستخرجها من كتاب الله * لله الأمر أي انفاذ الأحكام وتصريفها على ما يريد * وقرأ الجمهور من قبل ومن بعد بضمهما أي من قبل غلبة الروم ومن بعدها ولما كانا مضافين الى معرفة وحذفت بنيا على الضم والكلام على ذلك مذكور في علم النحو * وقرأ أبو السماك والجحدري وعون العقيلي من قبل ومن بعد بالكسر والتنوين فيهما * قال الزمخشري على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كأنه قيل قبلا وبعدا بمعنى أولا وآخرا انتهى * وقال ابن عطية ومن العرب من يقول من قبل ومن بعد بالخفض والتنوين * قال الفراء ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الاضافة وان حذف المضاف انتهى وأنكر النحاس ما قاله الفراء ورده وقال للفراء في كتابه في القرآن أشياء كثيرة من الغلط منها أنه زعم أنه يجوز من قبل ومن بعد وانما يجوز من قبل ومن بعد على أنهما نكرتان والمعنى من متقدم ومن متأخر * وحكى الكسائي عن بعض بني أسد لله الامر من قبل ومن بعد الأول مخفوض منون والثاني مضموم بلا تنوين والظاهر أن يومئذ طرف يفرح المؤمنون وعلى هذا المعنى فسره المفسرون وقيل ويومئذ عطف على من قبل ومن بعد كأنه حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحال ثم ابتدأ الاخبار بفرح المؤمنين بالنصر وبنصر الله أي الروم على فارس أو المسلمين على عدوهم أو في ان صدق ما قال الرسول من أن الروم ستغلب فارس أو في أن يسلط بعض الظالمين على بعض حتى تفانوا وتناكصوا احتمالات وفي الحديث فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن الى آخر الأبد * وقال ابن عباس يوم بدر كانت هزيمة عبدة الأوثان وعبدة النيران وقال معناه أبو سعيد الخدري وقيل ورد الخبر يوم الحديبية بوفاة كسرى فسر المسلمون بحرب المشركين ولموت عدو لهم في الارض متمكن * وهو العزيز بانتقامه من أعدائه الرحيم لأوليائه * وانتصب وعد الله على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت وهو قوله سيغلبون وقوله يفرح المؤمنون * ولكن أكثر الناس الكفار من قريش وغيرهم لا يعلمون نفى عنهم العلم النافع للآخرة وقد أثبت لهم العلم بأحوال الدنيا قيل والمعنى لا يعلمون أن الامور من عند الله وان وعده لا يخلف وان ما يورده بعينه صلى الله عليه وسلم حق * يعلمون ظاهرا أي بينا أي ما أدته اليهم حواسهم فكأن علومهم انما هي علوم البهائم

* وقال ابن عباس والحسن والجمهور معناه مافيه الظهور والعلو في الدنيا من اتقان الصناعات والمباني ومظان كسب المال والفلاحات ونحو هذا وقالت فرقة معناه ذاهبا زائلا أي يعلمون أمور الدنيا التي لابقاء لها ولا عاقبة * وقال الهذلي

وعيرها الواشون أني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أي زائل * وقال ابن جبير ظاهرا أي يعلمون من قبل الكهنة ممايسترقه الشياطين * وقال الرماني كل مايعلم بأوائل الرؤية فهو الظاهر ومايعلم بدليل العقل فهو الباطن * وقال الزمخشري يعلمون بدل من قول لايعلمون وفي هذا الابدال من النكتة انه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده لنعلمك انه لافرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لايتجاوز الدنيا * وقوله ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها مايعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز للآخرة يتزود اليها منها بالطاعة والاعمال الصالحة وهم الثانية توكيد لهم الاولى أو مبتدا وفي اظهارهم على أي الوجهين كانت تنبيه على غفلتهم التي صاروا ملتبسين بها لا ينفكون عنها وفي أنفسهم معمول ليتفكروا اما على تقدير مضاف أي في خلق أنفسهم ليخرجوا من الغفلة فيعلموا أنهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فقط ويستدلوا بذلك على الخالق المخترع ثم أخبر عقب هذا بأن الحق هو السبب في خلق السموات والارض واما على أن يكون في أنفسهم طرفا للفكرة في خلق السموات والأرض فيكون في أنفسهم توكيدا لقوله يتفكرون كما تقول أبصر بعينك واسمع بأذنك * وقال الزمخشري في هذا الوجه كأنه قال أولم يحدثوا التفكر في أنفسهم أي في قلوبهم الفارغة من الفكر والفكر لايكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك وأضمره في نفسك * وقال أيضا يكون صلة المتفكر كقولك تفكر في الامر وأجال فكره * وماخلق الله متعلق بالقول المحذوف معناه أولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه انتهى والدليل هو قوله أولم يتفكروا وقيل أولم يتفكروا متصل بمابعده ومثله ثم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ومثله وظنوا مالهم من محيص فيكون في معنى الباء ثم يتفكروا ما بصاحبهم من كأنه قال أولم يتفكروا بقلوبهم فيعلموا انتهى ويجوز أن يكون تفكروا هامعلقة ومتعلقها الجملة من قوله ماخلق الى آخرها وفي أنفسهم طرف على سبيل التأكيد لان الفكر لايكون الا في النفس كما ان الكتابة لاتكون الا باليد * وبالحق في موضع الحال أي وهي ملتبسة بالحق مقترنة به وبتقدير أجل مسمى لابد لها ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب ألا ترى الى قوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى * وقال ابن عطية الا بالحق أي بسبب المنافع التي هي حق واجب يريد من الدلالة عليه والعبادة له دون فتور والانتصار للعبرة ومنافع الارفاق وغير ذلك وأجل عطف على الحق أي وبأجل مسمى وهو يوم القيامة ففي الآية اشارة الى البعث والنشور وفساد بنية هذا العالم ثم أخبر عن كثير من الناس انهم كفروا بذلك المعنى فعبر عنها بلقاء الله لان لقاء الله هو عظيم الامر وفيه النجاة والهلكة انتهى * وقال أبو عبدالله الرازي قدم هنا دلائل الانفس على دلائل الآفاق وفي سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم دلائل الآفاق على دلائل الانفس وحكمة ذلك ان المفيد يذكر الفائدة على

وجه يختارها فان فهمت والا انتقل الى الابين والمستفيد يفهم أولا الابين ثم يرتقي الى الاخفى وفي أولم يتفكروا بفعل مسندا الى السامع فبدأ بما يفهم أولا ثم ارتقى اليه ثانيا وفي سنريهم أسند الى المفيد فذكر أولا الآفاق فان لم يفهموا فالانفس اذ لا ذهول للانسان عن دلائلها بخلاف دلائل الآفاق لانه قد يذهل عنها وهذا مراعى في الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية بدأ باحوال الانفس ثم بدلائل الآفاق * وقال أيضا هنا وان كثيرا وقبل ولكن أكثر الناس وذلك ان هنا ذكر كثيرا بعد ذكر الدلائل الواضحة وهما أولم يتفكروا في أنفسهم وما خلق الله والايمان بعد الدلائل أكثر من الايمان قبلها فبعد ذكر الدليل لابد أن يؤمن من ذلك الاكثر جمع فلا يبقى الاكثر انتهى وفيه تلخيص ولا يتم كلامه الاول الا اذا جعل في أنفسهم محلا للتفكر وجعل ما خلق أيضا محلا ثانيا * أولم يسيروا في الارض هذا تقرير توبيخ أي قد ساروا ونظروا الى ما حل بمن كان قبلهم من مكذبي الرسل ووصف حالهم من الشدة واثارة الأرض وعمارتها وانهم أقوى منهم في ذلك * قال مجاهد وأثاروا الأرض حرثوها * وقال الفراء قلبوها للزراعة * وقال غيرهما قلبوا وجه الأرض لاستنباط المياه واستخراج المعادن والقاء البذر فيها للزراعة والاثارة تحريك الشئ حتى يرتفع ترابه * وقرأ أبو جعفر وآثاروا الارض بمدة بعد الهمزة * وقال ابن مجاهد ليس بشئ وخرجه أبو الفتح على الاشباع كقوله * ومن ذم الزمان بمنتزاح * وقال من ضرورة الشعر ولا يجئ في القرآن * وقرأ أبو حيوة وآثروا من الاثرة وهو الاستبداد بالشئ * وقرئ وأثروا الأرض أي أبقوا عنها آثارا وعمروها من العمارة أي بقاؤهم فيها أكثر من بقاء هؤلاء أو من العمران أي سكنوا فيها أو من العمارة * قال الزمخشري أكثر مما عمروها من عمارة أهل مكة وأهل مكة أهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة الارض أصلا ولا عمارة لهم رأسا فما هو الا تهكم بهم وتضعيف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به أهل الدنيا ويتباهون به أمر الدهقنة وهم أيضا ضعاف القوى * فما كان الله ليظلمهم قبله محذوف أي فكذبوهم فأهلكوا وقرأ الحرميان وأبو عمرو ثم كان عاقبة بالرفع اسما لكان وخبرها السوأى أو هو تأنيث الاسوإ افعل من السوء * أن كذبوا مفعول من أجله متعلق بالخبر لا بأساءوا الا كان فيه الفصل بين الصلة ومتعلقها بالخبر وهو لا يجوز والمعنى ثم كان عاقبتهم فوضع المظهر موضع المضمر السوأى أي العقوبة التي هي أسوأ العقوبات في الآخرة وهي جهنم ويجوز أن تكون السوأى مصدرا على وزن فعلى كالرجعى وتكون خبرا أيضا ويجوز أن تكون مفعولا بأساءوا بمعنى اقترفوا أو صفة مصدر محذوف أي الاساءة السوأى ويكون خبر كان ان كذبوا * وقرأ الاعمش والحسن السوى بابدال الهمزة واوا وادغام الواو فيها كقراءة من قرأ بالسو بالادغام في يوسف * وقرأ ابن مسعود السوء بالتذكير * وقرأ الكوفيون وابن عامر عاقبة بالنصب خبر كان والاسم السوأى أو السوء مفعول وكذبوا الاسم * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون بمعنى أي تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في بمعنى القول نحو نادى وكتب ووجه آخر وهو ان يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايات وأن كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو لارادة الابهام انتهى وكون ان هنا حرف تفسير متكلف جدا وأما قول الخطايات فكذا هو في النسخة التي طالعناها جمع جمع تكسير بالألف والتاء وذلك لا ينقاس انما يقتصر فيه على مورد السماع ولا يبعد أن يكون زيادة التاء في الخطايات من الناسخ وأما قوله وان كذبوا عطف بيان لها أي للسوأى وخبر كان محذوف الخ فهذا فهم أعجمي لأن الكلام

(ش) ويجوز أن يكون أن بمعنى أي تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب ووجه آخر وهو أن يكون أساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي أسوأ الخطايات وأن كذبوا عطف بيان لهؤلاء وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو لارادة الابهام انتهى (ح) كون أن هنا حرف تفسير متكلف جدا وأما قوله الخطايات فهكذا هو في النسخة التي طالعناها جمع جمع التكسير بالالف والتاء وذلك لا ينقاس انما يقتصر فيه على مورد السماع ولا يبعد أن تكون زيادة التاء في الخطايات من الناسخ وأما قوله وان كذبوا عطف بيان لها أي للسوأى وخبر كان محذوف الى آخره فهذا فهم أعجمي لان الكلام مستقل في غاية الحسن فلا حذف فنتكلف له محذوفا لا يدل عليه دليل وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر كان واخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا الا ان ورد منه شئ فلا يقاس عليه

﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ الآية لما بين تعالى عظيم قدرته في خلق السموات والارض بالحق وهي حالة لمبدأ العالم وفي مصيرهم الى الجنة والنار وهي حالة الانتهاء أمر تعالى بتنزيهه من كل سوء في هذه الأوقات وقابل بالعشي الامساء وبالاظهار الاصباح لان كلا منهما يتعقب ما قابله فالعشي يتعقبه الامساء والاصباح يتعقبه الاظهار ولما لم يتصرف من العشي فعل لا يقال أعشى كما يقال أمسى وأصبح وأظهر جاء التركيب وعشيا ولما ذكر الابداء والاعادة ناسب ذكر يخرج الحي من الميت وتقدم الكلام عليه ﴿وكذلك﴾ أي مثل ذلك الاخراج والمعنى تساوي الابداء والاعادة في حقه تعالى ثم ذكر آيات من بدء خلق الانسان آية آية الى حين بعثه من القبر فقال ﴿ومن آياته﴾ أن خلقكم من تراب جعل خلقهم من تراب حيث كان خلق أباهم آدم من تراب و﴿تنتشرون﴾ تتصرفون في أغراضكم وأسفاركم واذا للمفاجأة ولما كان بين الخلق وبين الانتشار رتب أخر كان العطف بثم المقتضية المهلة والتراخي وبدأ أولا من الآيات بالنشأة الأولى وهي خلق الانسان من التراب ثم كونه بشرا منتشرا وهو خلق حي من جماد ثم أتبعه بأن خلق له من نفسه زوجا وجعل بينهما توادا وذلك خلق حي من عضو حي وقال ﴿لقوم يتفكرون﴾ لان ذلك لا يدرك الا بالفكر في تأليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف ثم أتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خلق السموات والارض

مستقل في غاية الحسن بلا حذف فيتكلف له محذوفا لا يدل عليه دليل وأصحابنا لا يجيزون حذف خبر كان وأخواتها لا اقتصارا ولا اختصارا الا ان ورد منه شيء فلا ينقاس عليه * وقرأ عبد الله وطلحة يبدى بضم الياء وكسر الدال والجمهور بفتحها والأبوان يرجعون بياء الغيبة والجمهور بتاء الخطاب أي الى ثوابه وعقابه والجمهور يبلس بكسر اللام وعلي والسلمي بفتحها من أبلسه اذا أسكته والجمهور ولم يكن بالياء وخارجة والاريس كلاهما عن نافع وابن سنان عن أبي جعفر والانطاكي عن شيبة بتاء التأنيث * من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وهي الأوثان وأضيفوا اليهم لانهم أشركوهم في أموالهم وقيل لانهم اتخذوها بزعمهم شركاء لله * وقال مقاتل المراد بهم الملائكة شفعاء لله كما زعموا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا معناه ويكون عند معاينتهم أمر الله وفساد حال الأصنام عبر بالماضي لتيقن الأمر وصحة وقوعه وكتب السوأى بألف قبل الياء كما كتبوا علماء بني اسرائيل بواو وقبل الألف والتنوين في يومئذ تنوين عوض من الجملة المحذوفة أي ويوم تقوم الساعة يوم اذ يبلس المجرمون والضمير في يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه * قال الزمخشري ويظهر انه عائد على ما قبله اذ قبله الله يبدأ الخلق ثم يعيده * قال قتادة هي فرقة لا اجتماع بعدها * في روضة الروضة الارض ذات النبات والماء وفي المثل أحسن من بيضة في روضة يريدون بيض النعامة والروضة مما تعجب العرب وقد أكثروا من مدحها في أشعارهم * يحبرون يسرون حبره سره سرورا وتهلل له وجهه وظهر له أثره يحبر بالضم حبرا وحبرة وحبورا وفي المثل امتلأت بيوتهم حبرة فهم ينتظرون العبرة * وحكى الكسائي حبرته أكرمته ونعمته * وقال علي بن سليمان هو من قولهم على أسنانه حبرة أي أثر أي يسير عليهم أثر النعمة وقيل من التحبير وهو التحسين أي يحسنون ويقال فلان حسن الحبر والسبر بالفتح اذا كان جميلا حسن الهيئة * وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد يكرمون وقال يحيى بن أبي كثير والأوزاعي ووكيع يسمعون الأغاني * وقال أبو بكر وابن عباس يتوجون على رؤسهم وقال ابن كيسان يحلون ومعنى محضرون مجموعون له لا يغيب أحد منهم عنه بقوله وما هم بخارجين منها وجاء في روضة منكرا وفي العذاب معرفا * قال الزمخشري والتنكير لابهام أمرها وتفخيمه وجاء يحبرون بالفعل المضارع لاستعماله التجدد لانهم كل ساعة يأتيهم ما يسرون به من متجددات الملاذ وأنواعها المختلفة وجاء محضرون باسم الفاعل لاستعماله الثبوت فهم اذا دخلوا العذاب يبقون فيه محضرين فهو وصف لازم لهم ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات

للعالمين ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون﴾ لما بين تعالى عظيم قدرته في خلق السموات والارض بالحق وهو حالة ابتداء العالم وفي مصيرهم الى الجنة والنار وهي حالة الانتهاء أمر تعالى بتنزيههم من كل سوء والظاهر انه أمر عباده بتنزيهه في هذه الأوقات لما يتجدد فيها من النعم ويحتمل أن يكون كناية عن استغراق زمان العبد وهو أن يكون ذاكرا به واصفه بما يجب له على كل حال * وقال الزمخشري لما ذكر الوعد والوعيد أتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد وقيل المراد هنا بالتسبيح الصلاة فعن ابن عباس وقتادة المغرب والصبح والعصر والظهر وأما العشاء ففي قوله وزلفا من الليل وعن ابن عباس الخمس وجعل حين تمسون شاملا للمغرب والعشاء * وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الوقتين ومعناه ان الحمد واجب على أهل السموات وأهل الارض وكان الحسن يذهب الى ان هذه الآية مدنيه لانه كان يقول فرضت الخمس بالمدينه * وقال الاكثرون بل فرضت بمكة وفي التحرير اتفق المفسرون على أن الخمس داخلة في هذه الآية وعن ابن عباس ما ذكرت الخمس الا فيها وقدم الامساء على الاصباح كما قدم في قوله يولج الليل في النهار والظلمات على النور وقابل بالعشي الامساء وبالاظهار الاصباح لان كلا منهما يعقب بما يقابله فالعشي يعقبه الامساء والاصباح يعقبه الاظهار ولما لم يتصرف من العشي فعل لا يقال أعشى كما يقال أمسى وأصبح وأظهر جاء التركيب وعشيا * وقرأ عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون بتنوين حين والجملة صفة حذف منها العائد تقديره تمسون فيه وتصبحون فيه ولما ذكر الابداء والاعادة ناسب ذكره يخرج الحي من الميت وتقدم الكلام على هذه الآية في آل عمران * وكذلك أي مثل ذلك الاخراج والمعنى تساوي الابداء والاعادة في حقه تعالى * وقرأ الجمهور تخرجون بالتاء المضمومة مبنيا للمفعول وابن وثاب وطلحة والأعمش بفتح تاء الخطاب وضم الراء ثم ذكر تعالى آياته من بدء خلق الانسان آية آية الى حين بعثه من القبر فقال ومن آياته أن خلقكم من تراب جعل خلقهم من تراب حيث كان خلق أباهم آدم من تراب * وتنتشرون تتصرفون في أغراضكم بهم المقتضية المهلة والتراخي ونبه تعالى على عظيم قدرته بخلق الانسان من تراب وهو أبعد الأشياء عن درجة الاحياء لأنه بارد يابس والحياة بالحرارة والرطوبة وكذا الروح نير وثقيل والروح خفيف وساكن والحيوان متحرك الى الجهات الست فالتراب أبعد من قبول الحياة من سائر الأجسام * من أنفسكم فيها قولا وخلق منها زوجها أما كون حواء خلقت من ضلع آدم واما من جنسكم ونوعكم وعلل خلق الأزواج بالسكون اليها وهو الالف فمتى كان من الجنس كان بينهما تألف بخلاف الجنسين فانه يكون بينهما التنافر وهذه الحكمة في بعث الرسل من جنس بني آدم ويقال سكن اليه مال ومنه السكن فعل بمعنى مفعول * مودة ورحمة أي بالازواج بعد أن لم يكن سابقة تعارف يوجب التواد * وقال مجاهد والحسن وعكرمه المودة النكاح والرحمة الولد كنى بذلك

وجعل البال من كلام المرشد ولما ذكر عرضيات الأنفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من إراءة البرق وانزال المطر وقدمهما على ما هو من الارض وهو الانبات والاحياء كما قدم السموات على الارض وقدم البرق على الانزال لانه كالمبشر يجيء بين يدي القادم والاعراب لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب الى جانب وقال لقوم يعقلون لان البرق والانزال ليس أمرا عاديا فيتوهم أنه طبيعة اذ قد يقع ذلك ببلدة دون أخرى ووقتا دون وقت وقويا وضعيفا فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هداية لمن عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم ختم هذه الآيات بقيام السموات والأرض وذلك من العوارض اللازمة فان كلا من السماء والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الارض وعدم نزولها ومن علو السماء

وثباتها من غير عمد ثم أتبع ذلك بالنشأة الآخرة وهي الخروج من الارض وذكر تعالى من كل باب أمرين من الانفس خلقكم وخلق لكم ومن الآفاق السماء والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الألسنة واختلاف الألوان ومن عوارضه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البرق والمطر ومن لوازمها قيام السماء وقيام الارض

عنهما * وقيل مودة الشابة ورحمة العجوز * وقيل مودة الكبير ورحمة الصغير * وقيل هما اشتباك الرحم * وقيل المودة من الله والبغض من الشيطان * واختلاف ألسنتكم أى لغاتكم فمن اطلع على لغات رأى من اختلاف تراكيبها أوقوانينها مع اتحاد المدلول عجائب وغرائب فى المفردات والمركبات وعن وهب ان الألسنة اثنان وسبعون لسانا فى ولد حام سبعة عشر وفى ولد سام تسعة عشر وفى ولد يافث ستة وثلاثون * وقيل المراد باللغات الأصوات والنغم * وقال الزمخشرى الألسنة اللغات وأجناس النطق وأشكاله خالف عز وجل بين هذه الأشياء حتى لاتكاد تسمع منطقين متفقين فى همس واحد ولاجهارة ولاحدة ولارخاوة ولافصاحة ولا لكنة ولانظم ولاأسلوب ولاغير ذلك من صفات النطق وأحواله انتهى * وألوانكم السواد والبياض وغيرهما والأنواع والضروب بتخطيط الصور ولولا ذلك الاختلاف لوقع الالتباس وتعطلت مصالح كثيرة من المعاملات وغيرها وفيه آية بينة حيث فرعوا من أصل واحد وتباينوا فى الأشكال على كثرتهم * وقرأ الجمهور للعالمين بفتح اللام لانها فى نفسها آية منصوبة للعالم * وقرأ حفص وحماد بن شعيب عن أبى بكر وعلقمة عن عاصم ويونس عن أبى عمرو بكسر اللام اذ المنتفع بها انما هم أهل العلم كقوله ومايعقلها الا العالمون * والظاهر ان بالليل والنهار متعلق بمنامكم فامتن تعالى بذلك لان النهار قد يقام فيه وخصوصا من كان مشتغلا فى حوائجه بالليل * وابتغاؤكم من فضله أى فيهما أى فى الليل والنهار معالان بعض الناس قد يبتغى الفعل بالليل كالمسافرين والحراس بالليل وغيرهم * وقال الزمخشرى هذا من باب اللف وترتيبه ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم ولانه فصل بين الفريقين الاولين بالقرينين الآخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشئ واحد مع اعانة اللف على ذلك ويجوز أن يراد منامكم فى الزمانين وابتغاؤكم من فضله فيهما * والظاهر هو الاول لتكرره فى القرآن وأسد المعانى مادل عليه القرآن * وقال ابن عطية وقال بعض المفسرين فى الكلام تقديم وتأخير وهذا ضعيف وانما أراد ان ترتب النوم فى الليل والابتغاء بالنهار ولفظ الآية لايعطى ذلك * ومن آياته يريكم البرق خوفا اما أن يتعلق من آياته بيريكم فيكون فى موضع نصب ومن لابتداء الغاية أو يكون يريكم على اضمار ان كما قال * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * برفع أحضر والتقدير ان أحضر فلما حذف أن ارتفع الفعل وليس هذا من المواضع التى يحذف منها ان قياسا أو على انزال الفعل منزلة المصدر من غير مايسبكه له كما قال الخليل فى قوله * أريد لانسى حبها * أى أرادنى لانسى حبها فيكون التقدير فى هذين الوجهين ومن آياته اراءته اياكم البرق فمن آياته فى موضع رفع على انه خبر المبتدا * وقال الرمانى يحتمل أن يكون التقدير ومن آياته يريكم البرق بها وحذف لدلالة من عليها * كما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

أى فمنهما تارة أموت ومن على هذه الاوجه الثلاثة للتبعيض وانتصب خوفا وطمعا على انهما مصدران فى موضع الحال أى خائفين وطامعين * وقيل مفعول من أجله * وقال الزجاج وأجازه لزمخشرى على تقدير ارادة خوف وطمع فيتحد الفاعل فى العامل والمحذوف ولايصح أن يكون العامل يريكم لاختلاف الفاعل فى العامل والمصدر * وقال الزمخشرى المفعولون فاعلون فى المعنى لأنهم راؤن مكانه فكأنه قيل لجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا انتهى وكونه فاعلا قبل لا يدرك لتعدية لايثبت له حكمه بعدها على أن المسئلة فيها خلاف مذهب الجمهور اشتراط اتحاد

(الدر)

(ش) المفعولون فاعلون فى المعنى لانهم راؤن مكانه فكانه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا انتهى (ح) كونه فاعلاقبل همزة التعدية لايثبت له حكمه بعدها على أن المسئلة فيها خلاف مذهب الجمهور اشتراط اتحاد الفاعل ومن النحويين من لايشترطه

الفاعل ومن النحو بين من لا يشترطه ولو قيل على مذهب من يشترطه ان التقدير يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا فحذف العامل للدلالة لكان اعرابا سائغا واتحد فيها الفاعل * وقال الضحاك خوفا من صواعقه وطمعا في مطره * وقال قتادة خوفا للمسافر وطمعا للمقيم وقيل خوفا ان يكون خلبا وطمعا أن يكون ماطرا * وقال الشاعر

لا يكن برقك برقا خلبا * ان خير البرق ما الغيث معه

وقال ابن سلام خوفا من البرد أن يهلك الزرع وطمعا في المطر أن يحييه * ومن آياته أن تقوم أن تثبت وتمسك مثل واذا أظلم عليهم قاموا أي ثبتوا بأمره أي بارادته واذا الأولى للشرط والثانية للمفاجأة جواب الشرط والمعنى انه لا تتأخر طرفة عين خروجكم عن دعائه كما يجيب الداعي المطيع مدعوه كما قال الشاعر

دعوت كليبا دعوة فكأنما * دعوت قرين الطود أو هو أسرع

قرين الطود الصدا أو الحجران أيهما والطود الجبل والدعوة البعث من القبور ومن الارض يتعلق بدعاكم ودعوة أي مرة فلا يحتاج الى تكرير دعاكم لسرعة الاجابة وقيل من الارض صفة لدعوة * وقال ابن عطية ومن عندي هنا لانتهاء الغاية كما تقول دعوتك من الجبل اذا كان المدعو في الجبل انتهى وكون من لانتهاء الغاية قول مردود عند أصحابنا وعن نافع ويعقوب انهما وقفا على دعوة وابتدآ من الارض * اذا أنتم تخرجون علقا من الارض بتخرجون وهذا لا يجوز لأن فيه لفصل بين الشرط وجوابه بالوقف على دعوة فيه اعمال ما بعد اذا الفجائية فيما قبلها وهو لا يجوز * وقال الزمخشري وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا أهل القبور أخرجوا وانما عطف هذا على قيام السموات والارض ثم بيانا للعظيم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين الا قامت تنظر انتهى * وقرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وباقي السبعة بضمها وفتح الراء وبدأ أولا من الآيات بالنشأة الأولى وهي خلق الانسان من التراب ثم كونه بشرا منتشرا وهو خلق حي من جماد ثم أتبعه بأن خلق له من نفسه زوجا وجعل بينهما توادا وذلك خلق حي من عضو حي وقال لقوم يتفكرون لأن ذلك لا يدرك الا بالفكر في تأليف بين شيئين لم يكن بينهما تعارف ثم أتبعه بما هو مشاهد للعالم كلهم وهو خلق السموات والارض واختلاف اللغات والالوان والاختلاف من لوازم الانسان لا يفارقه وقال للعالمين لأنها آية مكشوفة للعالم ثم اتبعه بالمنام والابتغاء وهما من الأمور المفارقة في بعض الاوقات بخلاف اختلاف الألسنة والالوان وقال لقوم يسمعون لأنه لما كان من أفعال العباد قد يتوهم أنه لا يحتاج الى مرشد فنبه على السماع وجعل الدال من كلام المرشد ولما ذكر عرضيات الانفس اللازمة والمفارقة ذكر عرضيات الآفاق المفارقة من اراءة البرق وانزال المطر وقدمها على ما هو من الارض وهو الاتيان والاحياء كما قدم السموات على الارض وقدم البرق على الانزال لأنه كالمبشر يجيء بين يدي القادم والاعراب لا يعلمون البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد رأوا البروق اللائحة من جانب الى جانب وقال لقوم يعقلون لأن البرق والانزال ليس أمرا عاديا فيتوهم انه طبعه اذ يقع ذلك ببلدة دون أخرى ووقتا دون وقت وقويا وضعيفا فهو أظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن عقل بأن لم يتفكر تفكرا تاما

(الدر)

(ع) ومن عندي يعني في دعوة من الأرض لانتهاء الغاية قال كما يقول دعوتك من الجبل اذا كان المدعو في الجبل انتهى (ح) كون من لانتهاء الغاية قول مردود عند أصحابنا

﴿وله من في السموات والارض﴾ عام في كونهم تحت ملكه وقهره ﴿قانتون﴾ قال ابن عباس مطيعون أي في تصريفه لا يمتنع
عليه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت ومرض وصحة وفي طاعة الارادة لا طاعة العبادة والضمير في عليه عائد الى الله تعالى
وقيل أهون للتفضيل وذلك بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من أن الاعادة في كثير من الاشياء أهون من البداءة
للاستغناء عن الروية التي كانت في البداءة هذا وان كان الاثنان عنده تعالى من اليسر في حيز واحد وقيل الضمير في عليه
عائد على الخلق أي والعود أهون على الخلق بمعنى

أسرع لأن البداءة فيها تدريج من طور الى طور
الى ان يصير انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات في الاطوار انما يدعوه الله تعالى فيخرج فكأنه قال وهو أيسر عليه أي أقصر مدة وانتقالا ﴿ضرب لكم مثلا من أنفسكم﴾ قال ابن عباس بين تعالى أمر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله تعالى بضرب هذا المثل ومعناه انكم أيها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم في أموالكم ومهم أموركم ولا في شيء على استواء المنزلة وليس من شأنكم أن تخافوهم في أن يرثوا أموالكم أو يقاسمونكم اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء في سلطانه وألوهيته وتثبتون في جانبه مالا
يليق عندكم بجوانبكم وجاء هذا المعنى في معرض
السؤال والتقرير ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ أي لخلق الله والقيم بناء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة و﴿منيبين﴾ حال
من الناس والظاهر ان المشركين كل من أشرك فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم ومن الذين بدل من المشركين فارقوا
دينهم أي دين الاسلام وجعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم ﴿وكانوا شيعا﴾ كل فرقة تشايع امامها الذي كان سبب ضلالها
﴿كل حزب﴾ أي منهم فرح بمذهبه مفتون به وكل حزب مبتدأ وقد حذف الخبر

ثم ختم هذه الآيات بقيام السموات والارض وذلك من العوارض اللازمة فان كلا من السماء
والارض لا يخرج عن مكانه فيتعجب من وقوف الأرض وعدم نزولها ومن علو السماء وثباتها من
غير عمد ثم أتبع ذلك بالنشأة الأخرى وهي الخروج من الارض وذكر تعالى من كل باب أمرين
من الانفس خلقكم وخلق لكم ومن الآفاق السماء والارض ومن لوازم الانسان اختلاف الألسنة
واختلاف الالوان ومن خواصه المنام والابتغاء ومن عوارض الآفاق البرق والمطر ومن لوازمه
قيام السماء وقيام الارض ﴿ وله من في السموات والارض كل له قانتون * وهو الذي يبدأ
الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والارض وهو العزيز الحكيم
* ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء
تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون * بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم
بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين * فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر
الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون * منيبين اليه
واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب
بما لديهم فرحون ﴾ من في السموات والارض عام في كونهم تحت ملكه وقهره وقال الحسن
قانتون قائمون بالشهادة على وحدانيته * كما قال الشاعر

وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

* وقال ابن عباس مطيعون أي في تصريفه لا يمتنع عنه شيء يريد فعله بهم من حياة وموت وصحة
ومرض فهي طاعة الارادة لا طاعة العبادة وقيل قائمون يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين
واذا حمل القنوت على الاخلاص كما قال ابن جبير أو على الاقرار بالعبودية أو قانتون من ملك
ومؤمن لأن كل عام مخصوص * وهو أهون عليه أي والعود أهون عليه وليست أهون أفعل تفضيل
لأنه تفاوت عند الله في النشأتين الابداء والاعادة فلذلك تأوله ابن عباس والربيع بن خيثم على انه
بمعنى هين وكذا هو في مصحف عبد الله والضمير في عليه عائد على الله وقيل أهون للتفضيل وذلك
بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في المشاهد من أن الاعادة في كثير من الاشياء أهون من
البداءة للاستغناء عن الروية التي كانت في البداءة وهذا وان كان الاثنان عنده تعالى من اليسر
في حيز واحد وقيل الضمير في عليه عائد على الخلق أي والعود أهون على الخلق بمعنى أسرع لأن
البداءة فيها تدريج من طور الى طور الى أن يصير انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدريجات في

الاطوار انما يدعوه الله فيخرج فكأنه قال وهو أيسر عليه أى أقصر مدة وأقل انتقالا وقيل المعنى وهو أهون على المخلوق أى يعيد شيأ بعد انشائه فهذا عرف المخلوقين فكيف تنكرون أنتم الاعادة فى جانب الخالق * قال ابن عطية والاظهر عندى عود الضمير على الله تعالى ويؤيده قوله تعالى وله المثل الأعلى كما جاء بلفظ فيه استعاذة واستشهاد بالمخلوق على الخالق وتشبيه بما يعهده الناس * من أنفسهم خلص جانب العظمة بأن جعل له المثل الأعلى الذى لا يتصل به فكيف ولا تمثال مع شئ انتهى * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم أخرت الصلة فى قوله وهو أهون عليه وقدمت فى قوله هو على هين (قلت) هنالك قصد الاختصاص وهو تجبره فقيل وهو على هين وان كان مستصعبا عندك وان تولد بين هرم وعاقر وأما هنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبنى على ما يعقلون من أن الاعادة أسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى انتهى ومبنى كلامه على أن تقديم المعمول يؤذن بالاختصاص وقد تكلمنا معه فى ذلك ولم نسلمه فى قوله إياك نعبد * وله المثل الاعلى قيل هو متعلق بما قبله قاله الزجاج وهو قوله وهو أهون قد ضرب لكم مثلا فيما يسهل أو يصعب وقيل بما بعده من قوله ضرب لكم مثلا من أنفسكم وقيل المثل الوصف الارفع الأعلى الذى ليس لغيره مثله وهو أنه القادر الذى لا يعجز عن شئ من انشاء واعادة وغيرهما * وهو العزيز أى القاهر لكل شئ الحكيم الذى أفعاله على مقتضى حكمته * وعن مجاهد المثل الأعلى قول لا اله الا الله وله الوصف بالوحدانية ويؤيده قوله ضرب لكم * وقال ابن عباس وغيره بين تعالى أمر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله بضرب هذا المثل ومعناه انكم أيها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لا تشركونهم فى أموالكم ومهم أموركم ولا فى شئ على جهة استواء المنزلة وليس من شأنكم أن تخافوهم فى أن يرثوا أموالكم أو يقاسمونكم اياها فى حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده وملكه شركاء فى سلطانه وألوهيته وتثبتون فى جانبه ما لا يليق عندكم بجوانبكم وجاء هذا المعنى فى معرض السؤال والتقرير * وقال السدى كانوا يورثون آلهتهم فنزلت وقيل لما نزلت قال أهل مكة لا يكون ذلك أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجوز لربكم * ومن فى من أنفسكم لابتداء الغاية كأنه قال أخذ مثلا وافترى من أقرب شئ منكم وهو أنفسكم ولا يبعد ومن فى مما ملكت للتبعيض ومن فى من شركاء زائدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى يقول ليس يرضى أحدمنكم أن يشركه عبده فى ماله وزوجته وما يختص به حتى يكون مثله فكيف ترضون شريكا لله وهو رب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد * وقال أبو عبد الله الرازى وبين المثل والممثل به مشابهة ومخالفة فالمشابهة معلومة والمخالفة من وجوه قوله من أنفسكم أى من نسلكم مع حقارة الأنفس ونقصها وعجزها وقاس نفسه عليكم مع عظمتها وجلالتها وقدرتها * وقوله مما ملكت أيمانكم أى عبيدكم والملك ما قبل النقل بالبيع والزوال بالعتق ومملوكه تعالى لا خروج له عن الملك فاذا لم يجز أن يشرككم مملوككم وهو مثلكم من جميع الوجوه ومثلكم فى الآدمية حالة الرق فكيف يشرك الله مملوكه من جميع الوجوه المباين له بالكلية * وقوله فيما رزقناكم يعنى أن الميسر لكم فى الحقيقة انما هو الله ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز أن يشرككم فيما هو لكم من حيث الاسم فكيف يكون له تعالى شريك فيما له من جهة الحقيقة انتهى وفيه بعض تلخيص وشركاء فى موضع رفع بالابتداء وفيما رزقناكم متعلق به ولكم الخبر ومما ملكت فى موضع الحال لأنه نعت نكرة تقدم عليها وانتصب على الحال والعامل

فيها العامل فى الجار والمجرور والواقع خبرا وهو مقدر بعد المبتدإ وما فى رزقناكم واقعة على النوع والتقدير هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذى ملكته أيمانكم كائنون لكم ويجوز أن يتعلق لكم بشركاء ويكون مما رزقناكم فى موضع الخبر كما تقول لزيد فى المدينة مبغض فلزيد متعلق بمبغض الذى هو مبتدأ وفى المدينة الخبر وفأنتم فيه سواء جملة فى موضع الجواب للاستفهام المضمن معنى النفى وفيه متعلق بسواء وتخافونهم خبر ثان لأنتم والتقدير فأنتم مستوون معهم فيما رزقناكم تخافونهم كما يخاف بعضكم بعضا أيها السادة والمقصود نفى الشركة والاستواء والخوف وليس النفى منسحبا على الجواب ومابعده فقط كأحد وجهى ماتأتينا فتحدثنا أى ماتأتينا فتحدثنا انما تأتى ولاتحدث بل هو على الوجه الآخر أى ماتأتينا فكيف تحدثنا أى ليس منك اتيان فلا يكون حديث وكذلك هذا ليس لهم شريك فلا استواء ولاخوف * وقرأ الجمهور أنفسكم بالنصب أضيف المصدر الى الفاعل وابن أبى عبيدة بالرفع أضيف المصدر للمفعول وهما وجهان حسنان ولا قبح فى اضافة المصدر الى المفعول مع وجود الفاعل * كذلك أى مثل ذلك التفصيل نفصل الآيات أى نبينها لان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها ألاترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة * وقرأ الجمهور نفصل بالنون حملا على رزقناكم وعباس عن ابن عمر بياء الغيبة رعيا لضرب اذهو مسند للغائب وذكر بعض العلماء فى هذه الآية دليلا على صحة أصل الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم الى بعض كانه يقول الممتنع والمستقبح شركة العبيد لساداتهم أما شركة السادات بعضهم لبعض فلا يمتنع ولا يستقبح والاضراب ببل فى قوله بل اتبع جاء على ماتضمنته الآية اذ المعنى ليس لهم حجة ولامعذرة فيما فعلوا من اشراكهم بالله بل ذلك بمجرد هوى بغير علم لانه قد يكون هوى للانسان وهو يعلم والذين ظلموا هم المشركون اتبعوا أهواءهم جاهلين هائمين على أوجههم لايرغمهم عن هواهم علم اذهم خالون من العلم الذى قد يردع متبع الهوى *فمن يهدى من أضل الله أى لاأحد يهدى من أضله الله أى هؤلاء ممن أضلهم الله فلاهادى لهم * وقال الزمخشرى من أضل الله من خذله الله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لالطف له ممن يقدر على هدايته مثله *ومالهم من ناصرين دليل على أن المراد بالاضلال الخذلان انتهى وهو على طريقة الاعتزال * فأقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت وهو تمثيل لاقباله على الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه بأسبابه فان من اهتم بالشئ عقد عليه طرفه وقوم له وجهه مقبلا به عليه والدين دين الاسلام وذكر الوجه لانه جامع حواس الانسان وأشرفه وحنيفا حال من الضمير فى أقم أو من الوجه أو من الدين ومعناه مائلا عن الاديان المحرفة المنسوخة فطرة الله منصوب على المصدر كقوله صبغة الله وقيل منصوب باضمار فعل تقديره التزم فطرة الله * وقال الزمخشرى الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله وانما أضمر على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال من الضمير فى لزموا * وقوله وأقيموا ولاتكونوا معطوف على هذا المضمر انتهى وقيل فأقم وجهك المراد به فأقيموا وجوهكم وليس مخصوصا بالرسول وحده وكأنه خطاب لمفرد أريد به الجمع أى فأقم أيها المخاطب ثم جمع على المعنى لانه لايراد به مخاطب واحد فاذا كان هذا فقوله منيبين وأقيموا ولا تكونوا ملحوظ فيه معنى الجمع وقول الزمخشرى أو عليكم فطرة الله لايجوز لان فيه حذف كلمة الاغراء ولايجوز حذفها لانه قد حذف الفعل وعوض عليك منه فلو جاز حذفه لكان اجحافا اذ فيه حذف العوض والمعوض منه والفطرة قيل دين الاسلام والناس مخصوصون

(الدر)

(ش) الزموا فطرة الله أو عليكم فطرة الله الى آخره (ح) قوله أو عليكم فطرة الله لايجوز لان فيه حذف كلمة الاغراء ولا يجوز حذفها لأنه قد حذف الفعل وعوض عليك منه فلو جاز حذفه لكان اجحافا اذ فيه حذف العوض والمعوض منه

بالمؤمنين وقيل العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم نسما من ظهره ورجح الحذاق انها القابلية التي في الطفل للنظر في مصنوعات الله والاستدلال بها على موجده فيؤمن به ويتبع شرائعه لكن قد تعرض له عوارض تصرفه عن ذلك كتهويد أبويه له وتنصيرهما واغواء شياطين الانس والجن * لاتبديل لخلق الله أي لاتبديل لهذه القابلية من جهة الخالق * وقال مجاهد وابن جبير والضحاك والنخعي وابن زيد لاتبديل لدين الله والمعنى لمعتقدات الاديان اذهي متفقة في ذلك * وقال الزمخشري أي ماينبغي أن تبدل تلك الفطرة أو تغير * وقال ابن عباس لاتبديل لقضاء الله بسعادتهم وشقاوتهم وقيل هو نفي معناه النهي أي لاتبدلوا ذلك الدين وقيل لاتبديل لخالق الله بمعنى الوحدانية مترشحة فيه لاتغير لها حتى لو سألته من خلق السموات والارض تقول الله و يستغرب ماروى عن ابن عباس ان معنى لاتبديل لخلق الله النهي عن خصاء الفحول من الحيوان وقول من ذهب الى أن المعنى في هذه الجملة أنجأ على الكفرة اعترض به أثناء الكلام كأنه يقول أقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة ومن خلق الله لهم الكفر ولاتبديل لخلق الله أي انهم لايفلحون ذلك الذي أمرت باقامة وجهك له هو الدين المبالغ في الاستقامة والقيم بياء مبالغة من القيام بمعنى الاستقامة ووزنه فيعل أصله قيوم كيد اجتمعت الياء والواو وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها وهو بناء مختص بالمعتل العين لم يجئ منه في الصحيح الابيئس وصيقل علم لامرأة * منيبين حال من الناس ولاسيما اذا أريد بالناس المؤمنون أو من الضمير في الزموا فطرة الله وهو تقدير الزمخشري أو من الضمير في فأقم اذ المقصود الرسول وأمته وكأنه حذف معطوف أي فأقم وجهك وأمتك وكذا زعم الزجاج في يا أيها النبي اذا طلقتم أي يا أيها النبي والناس ودل على ذلك مجيء الحال في منيبين جمعا وفي اذا طلقتم جاء الخطاب فيه وفي مابعده جمعا أو على خبر كان مضمرة أي كونوا منيبين ويدل عليه قوله بعد ولاتكونوا وهذه احتمالات منقولة كلها * من المشركين من اليهود والنصارى قاله قتادة * وقال ابن زيد هم اليهود وعن أبي هريرة وعائشة انهم أهل القبلة ولفظة الاسراك على هذا تجوز بأنهم صاروا في دينهم فرقا والظاهر أن المشركين كل من أشرك فيدخل فيهم أهل الكتاب وغيرهم * ومن الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم أي دين الاسلام وجعلوه أديانا مختلفة لاختلاف أهوائهم * وكانوا شيعا كل فرقة تشايع إمامها الذي كان سبب ضلالها * كل حزب أي منهم فرح بمذهبه مفتون به * والظاهر ان كل حزب مبتدأ وفرحون الخبر * وقال الزمخشري و يجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم * كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل * كقوله

* وكل خليل غيرها ضم نفسه * انتهى قدر أولا فرحين مجرورة صفة لحزب ثم قال ولكنه رفع على الوصف لكل لانك اذا قلت من قومك كل رجل صالح جاز في صالح الخفض نعتا لرجل وهو الاكثر * كقوله

جادت عليه كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم

وجاز الرفع نعتا لكل كقوله

ولهت عليه كل معصفة * هوجاء ليس للبها دبر

برفع هوجاء صفة لكل * وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة

* (دعوا ربهم) * أفردوه بالدعاء والتضرع لينجوا من ذلك الضر وتركوا أصنامهم لعلمهم أنه لايكشف الضر الاهو تعالى فلهم في ذلك الوقت انابة وخضوع فاذا خلصهم من ذلك الضر أشرك فريق ممن خلص وهذا الفريق هم عبدة الاصنام

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون من الذين منقطعا مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل كقوله * وكل خليل غيرها ضم نفسه * انتهى (ح) قدر أولا فرحين مجرورا صفة لحزب ثم قال ولكنه رفع على الوصف لكل لانك اذا قلت من قومك كل رجل صالح جاز في صالح الخفض نعتا لرجل وهو الأكثر كقوله جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم وجاز الرفع نعتا لكل كقوله ولهت عليه كل معصفة هوجاء ليس للبها دبر برفع هوجاء صفة لكل

ادافريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وادا أدقنا الناس رحمة فرحوا بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اداهم يقنطون أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى دلك لآيات لقوم يؤمنون فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون ﴾ الضر الشدة من فقر أو مرض أو قحط أو غير ذلك والرحمة الخلاص من ذلك الضر * دعوا ربهم أفردوه بالتضرع والدعاء لينجوا من ذلك الضر وتركوا أصنامهم لعلمهم انه لا يكشف الضر الا هو تعالى فلهم فى ذلك الوقت انابة وخضوع واذا خلصهم من ذلك الضر أشرك فريق ممن خلص وهذا الفريق هم عبدة الاصنام * قال ابن عطية ويلحق من هذه الالفاظ شئ للمؤمنين اذا جاءهم فرج بعد شدة علقوا ذلك بمخلوقين أو بحذق آرائهم أو بغير ذلك ففيه قلة شكر الله ويسمى مجازا * وقال أبو عبد الله الرازى يقول تخلصت بسبب اتصال الكوكب الفلانى وسبب الصنم الفلانى بل ينبغى أن لا يعتقد انه تخلص بسبب فلان اذا كان ظاهرا فانه شرك خفى انتهى * واذا فريق جواب اذا أذاقهم الاولى شرطية والثانية للمفاجأة وتقدم نظيره وجاء هنا فريق لأن قوله واذا مس الناس عام للمؤمن والكافر فلا يشرك الا الكافر * وضر هنا مطلق وفى آخر العنكبوت اذا هم يشركون لانه فى مخصوصين من المشركين عباد الاصنام والضر هناك معين وهو ما يتخوف من ركوب البحر * اذا هم أى ركاب البحر عبدة الاصنام ويدل على ذلك ما قبله وما بعده * واللام فى ليكفروا لام كى أو لام الامر للتهديد وتقدم نظيره فى آخر العنكبوت * وقرأ الجمهور فتمتعوا فسوف تعلمون بالتاء فيهما * وقرأ أبو العالية فتمتعوا بالياء مبنيا للمفعول وهو معطوف على ليكفروا فسوف يعلمون بالياء على التهديد لهم وعن أبى العالية فيتمتعوا بياء قبل التاء عطف أيضا على ليكفروا أى لتطول أعمارهم على الكفر وعنه وعن عبد الله فليتمتعوا * وقال هارون فى مصحف عبد الله يمتعوا * أم أنزلنا أم بمعنى بل والهمزة للاضراب عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ * والسلطان البرهان من كتاب أو نحوه * فهو يتكلم أى يظهر مذهبهم وينطق بشركهم والتكلم مجاز لقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وهو يتكلم جواب للاستفهام الذى تضمنه أم كأنه قال بل أنزلنا عليهم سلطانا أى برهانا شاهدا لكم بالشرك فهو يشهد بصحة ذلك وان قدر ذا سلطان أى ملكا ذا برهان كان التكلم حقيقة * واذا أذقنا

ـ و ﴿واذا فريق﴾ جواب اذا أذاقهم الأولى شرطية والثانية للفاجأة وتقدم نظيره وجاء هنا فريق لأن قوله واذا مس الناس عام للمؤمن والكافر فلا يشرك الا الكافر وضر هنا مطلق ﴿أم أنزلنا﴾ بمعنى بل والهمزة بل للاضراب عن الكلام السابق والهمزة للاستفهام عن الحجة استفهام انكار وتوبيخ والسلطان البرهان من كتاب أو نحوه ﴿فهو يتكلم﴾ أى يظهر مذهبهم وينطق بشركهم والتكلم مجاز واذا أذقنا الناس فى اصابة الرحمة فرحوا بها وذهلوا عن شكر من أسداها اليهم وفى اصابة البلاء قنطوا ويئسوا وذهلوا عن الصبر ونسوا ما أنعم به عليهم قبل اصابة البلاء واذا هم جواب وان تصبهم يقوم مقام الفاء فى الجملة الاسمية الواقعة جوابا للشرط ونظيره وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولا نعلم جاءت اذا الفجائية جوابا لان الشرطية الا فى هذين الموضعين وقرئ يقنطون مضارع قنط ويقنطون مضارع قنط وحين ذكر اذاقة الرحمة لم يذكر سببها وهو زيادة الاحسان والتفضل وحين ذكر اصابة السيئة ذكر سببا وهو العصيان ليتحقق عدله ثم ذكر تعالى الأمر الذى من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو أنه تعالى هو الباسط والقابض فينبغى أن لا يقنط وأن يتلقى ما يرد من قبل الله تعالى بالصبر فى البلاء والشكر فى النعماء وان يقلع عن المعصية التى أصابته السيئة بسببها حتى تعود اليه رحمة ربه * ووجه مناسبة فآت ذا القربى لما قبله لما ذكر أنه تعالى هو الباسط القابض وجعل فى ذلك آية للمؤمن أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحسان لمن به فاقة واحتياج لان من الايمان الشفقة على خلق الله تعالى نخاطب من بسط له الرزق باداء حق الله تعالى من المال وصرفه الى من يصرف اليه فى رحم أو غيره من مسكين ﴿وما آتيتم من ربا﴾ قال السدى نزلت فى ربا ثقيف كانوا يربون فيهم ﴿فلا يربو﴾ أى لا يزكو فى المال ولا يبارك الله فيه كقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات وقرئ

ىره أى التفات من الخطاب فى آتيتم الى الغيبة فى قوله فأولئك هم

الناس رحمة أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة * وان تصبهم سيئة أى بلاء من حدث أو ضيق أو مرض * بما قدمت أيديهم من المعاصى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ففى اصابة الرحمة فرحوا وذهلوا عن شكر من أسداها اليهم وفى اصابة البلاء قنطوا ويئسوا وذهلوا عن الصبر ونسوا ما أنعم به عليهم قبل اصابة البلاء * واذا هم جواب وان تصبهم يقوم مقام الفاء فى الجملة الاسمية الواقعة جوابا للشرط وحين ذكر اذاقة الرحمة لم يذكر سببها وهو زيادة الاحسان والتفضل وحين ذكر اصابة السيئة ذكر سببها وهو العصيان ليتحقق بدله ثم ذكر تعالى الأمر الذى من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو أنه تعالى هو الباسط القابض فينبغى أن لا يقنط وأن يتلقى ما يرد من قبل الله بالصبر فى البلاء والشكر فى النعماء وأن يقلع عن المعصية التى أصابته السيئة بسببها حتى تعود اليه رحمة ربه * ومناسبة فآت ذا القربى لما قبله انه لما ذكر انه تعالى هو الباسط القابض وجعل فى ذلك آية للمؤمن ثم نبه بالاحسان لمن به فاقة واحتياج لان من الايمان الشفقة على خلق الله فخاطب من بسط له الرزق بأداء حق الله من المال وصرفه الى من يقرب منه من حج والى غيره من مسكين وابن سبيل * وقال الحسن هذا خطاب لكل سامع بصلة الرحم والمسكين وابن السبيل * وقيل للرسول عليه السلام وذو القربى بنو هاشم وبنو المطلب يعطون حقوقهم من الغنيمة والفىء * وقال الحسن حق المسكين وابن السبيل من الصدقة المسماة لهما واحتج أبو حنيفة بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب أثبت تعالى لذى القربى حقا وللمسكين وابن السبيل حقهما والسورة مكية فالظاهر ان الحق ليس الزكاة وانما يصير حقا بجهة الاحسان والمواساة وللاهتمام بذى القربى قدم على المسكين وابن السبيل لان بره صدقة وصلة * ذلك أى الايتاء خير أى يضاعف لهم الأجر فى الآخرة وينمو مالهم فى الدنيا لوجه الله أى التقرب الى رضا الله لا يضره ثم ذكر تعالى من يتصرف فى ماله على غير الجهة المرضية فقال * وما آتيتم أكلة الربو ليزيد ويزكو فى المال فلا يزكو عند الله ولا يبارك فيه لقوله يمحق الله الربا ويربى الصدقات * قال السدى نزلت فى ربا ثقيف كانوا يعملون بالرباو يعمله فيهم قريش * وقال ابن عباس ومجاهد وابن جبير وطاوس هذه الآية نزلت فى هبات الثواب * وقال ابن عطية وماجرى مجراها مما يصنع للمجازاة كالسلم وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا أجر فيه ولا زيادة عند الله * وقال ابن عباس أيضا والنخعى نزلت فى قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا فى أموالهم على جهة النفع به فذلك النفع لهم * وقال الشعبى قريبا من هذا وهو ان ماخدم به الانسان غيره انتفع به فذلك النفع لهم * وقال الشعبى أيضا قريبا من هذا وهو أن لا يربو عند الله والظاهر القول الاول وهو النهى عن الربا * وقرأ الجمهور وما آتيتم الاول بمد الهمزة أى وما أعطيتم وابن كثير بقصرها أى وما جئتم * وقرأ الجمهور ليربو بالياء واسناد الفعل الى الربا وابن عباس والحسن وقتادة وأبو رجاء والشعبى ونافع وأبو حيوة بالتاء مضمومة واسناد الفعل اليهم * وقرأ أبو مالك ليربوها بضمير المؤنث والمضعف ذو أضعاف فى الأجر * قال الفراء هم أصحاب المضاعفة كما تقول هو مسمن أى صاحب إبل سمان ومعطش أى صاحب إبل عطشى * وقرأ أبى المضعفون بفتح العين اسم مفعول * وقال الزمخشرى فأولئك هم المضعفون التفات حسن كأنه قال للملائكة وخواص خلقه فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون والمعنى المضعفون به بدلالة أولئك هم المضعفون والحذف لما فى الكلام من الدليل عليه وهذا أسهل مأخذا والاول أملأ بالفائدة انتهى وانما

﴿ الله الذى خلقكم ﴾ كرر تعالى خطاب الكفار فى أمر أوثانهم فذكر أفعاله التى لا يمكن أن يدعى له فيها شريك وهى الخلق والرزق والاماتة والاحياء ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ ثم نزه نفسه تعالى عن مقالاتهم و ﴿ الله الذى خلقكم ﴾ مبتدأ وخبر ومن مبتدأ موصولة ومن شركائكم الخبر ومن شئ مفعول ومن زائدة تقديره شيئا قال الزمخشرى ﴿ هل من شركائكم ﴾ الذين اتخذتموهم أندادا من الأصنام وغيرها ﴿ من يفعل ﴾ شيئا قط من تلك الأفعال حتى يصح ماذهبتم اليه انتهى * استعمل قط فى غير موضعها لانها ظرف للماضى وهنا جعلها معمولة ليفعل و ﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى ماتقدم من الخلق والرزق والاماتة والاحياء ﴿ ظهر الفساد ﴾ ظهوره بارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتقلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد ﴿ فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ﴾ أى من المعاصى وقرئ لنذيقهم

بالنون وبالياء سيروا تقدم الكلام عليه من قبل أن بأى يوم هو يوم القيامة وفيه تحذير يعم الناس ﴿ لامرد له من الله ﴾ والمرد مصدر ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم اذ يأتى ذلك اليوم ﴿ يصدعون ﴾ يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه الصداع لانه يفرق شعب الرأس ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ وعبر عن حالة الكافر بعليه وهى تدل على الثقل والمشقة وعن حال المؤمن بقوله فلانفسهم باللام التى هى كلام المالك و يمهدون يوطئون وهى استعارة من الفرش

تقدير ماقدر لأن اسم الشرط ليس بظرف لابد أن يكون فى الجواب ضمير يعود عليه يتم به الربط

﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله يومئذ يصدعون من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله انه لايحب الكافرين ﴾ كرر تعالى خطاب الكفار فى أمر أوثانهم فذكر أفعاله التى لا يمكن أن يدعى له فيها شريك وهى الخلق والرزق والاماتة والاحياء ثم استفهم على جهة التقرير لهم والتوبيخ ثم نزه نفسه عن مقالتهم * والله الذى خلقكم مبتدا وخبر * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدا لان معناه من أفعاله انتهى والذى ذكره النحويون ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا كان أشير به الى المبتدا واما ذلكم هنا فليس اشارة الى المبتدا لكنه شبيه بما أجازه الفراء من الربط بالمعنى وخالفه الناس وذلك فى قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن قال التقدير يتربصن أزواجهم فقدر الضمير بمضاف الى ضمير الذين فحصل به الربط كذلك قدر الزمخشرى من ذلكم من أفعاله المضاف الى الضمير العائد على المبتدا * وقال الزمخشرى أيضا هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الأصنام وغيرها من يفعل شيأ قط من تلك الأفعال حتى يصح ماذهبتم اليه فاستعمل قط فى غير موضعها لانها ظرف للماضى وهنا جعلها معموله ليفعل * وقال الزمخشرى أيضا ومن الأولى والثانية كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم فمن الاولى للتبعيض والجار والمجرور خبر المبتدا ومن يفعل هو المبتدا ومن الثانية فى موضع الحال من شئ لأنه نعت نكرة تقدم عليها فانتصب على الحال ومن الثالثة زائدة لانسحاب

(الدر)

(ش) ويجوز أن يكون الذى خلقكم صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذى ربط الجملة بالمبتدا لأن معناه من أفعاله انتهى (ح) الذى ذكره النحويون ان اسم الاشارة يكون رابطا اذا كان أشير به الى المبتدأ وأما ذلكم هنا فليس اشارة الى المبتدأ لكنه شبيه بما أجازه الفراء من الربط بالمعنى وخالفه الناس وذلك فى قوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن قال التقدير يتربصن أزواجهم فقدر الضمير بمضاف الى ضمير الذين فحصل به الربط كذلك قدر (ش) من ذلكم من أفعاله بمضاف الى ضمير العائد على المبتدأ (ش) هل من شركائكم الذين اتخذتموهم أندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيأ قط من تلك الافعال حتى يصح ماذهبتم اليه انتهى (ح) استعمل قط فى غير موضعها لانها ظرف للماضى وهنا جعلها معمولة للفعل (ش) ومن الأولى والثانية كل واحدة مستقلة تأكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم انتهى (ح) هذا على طريقته فى دعواه أن تقديم المفعول وما جرى مجراه يدل على الاختصاص واما على مذهبنا فيدل على الاهتمام وأما مايدعيه من الاختصاص فمفهوم من آى كثيرة فى القرآن

الاستفهام الذى معناه النفى على الكلام التقدير من يفعل شيأ من ذلكم أى من تلك الأفعال * وقرأ الجمهور يشركون بياء الغيبة والأعمش وابن وثاب بتاء الخطاب والظاهر مراد ظاهر البر والبحر * وقال الحسن وظهور الفساد فيهما بارتفاع البركات ونزول رزايا وحدوث فتن وتقلب عدو كافر وهذه الثلاثة توجد فى البر والبحر * وقال ابن عباس الفساد فى البر القطاع فتسده * وقال مجاهد فى البر بقتل أحد بنى آدم لأخيه وفى البحر بأخذ السفن غصبا وعنه أيضا البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والجزر التى على ضفة البحر والأنهار * وقال قتادة البر الفيافى ومواضع القبائل وأهل الصحارى والعمور والبحر المدن جمع بحرة ومنه ولقد أجمع أهل هذه البحيرة ليتوجوه يعنى قول سعد بن عبادة فى عبد الله بن أبى ابن سلول ويؤيد هذا قراءة عكرمة والبحور بالجمع وروى عن ابن عباس وكان قد ظهر الفساد برا وبحرا وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الظلم عم الأرض فأظهر الله به الدين وأزال الفساد وأخمده صلى الله عليه وسلم * وقال النحاس فيه قولان أحدهما ظهر الجدب فى البر فى البوادى وقراها والبحر أى فى مدن البحر مثل واسئل القرية أى ظهر قلة العشب وغلا السعر والثانى ظهر المعاصى من قطع السبيل والظلم فهذا هو الفساد على الحقيقة والأول مجاز وقيل اذا قل المطر قل الغوص وأحنق الصياد وعميت دواب البحر * وقال ابن عباس اذا مطرت تفتحت الأصداف فى البحر فما وقع فيها من السماء فهو لؤلؤ * بما كسبت أيدى الناس أى بسبب معاصيهم وذنوبهم * لنذيقهم أى انه تعالى أفسد أسباب دنياهم ومحقهم ليذيقهم وبال بعض أعمالهم فى الدنيا قبل أن يعاقبهم بها جميعا فى الآخرة * لعلهم يرجعون عما هم فيه * وقال ابن عطية بما كسبت جزاء ما كسبت ويجوز أن يتعلق الباء بظهر أى بكسبهم المعاصى فى البر والبحر وهو نفس الفساد الظاهر * وقرأ السلمى والأعرج وأبو حيوة وسلام وسهل وروح وابن حسان وقنبل من طريق ابن مجاهد وابن الصباح وأبو الفضل الواسطى عنه ومحبوب عن أبى عمرو لنذيقهم بالنون والجمهور بالياء ثم أمرهم بالمسير فى الأرض فينظروا كيف أهلك الأمم بسبب معاصيهم واشراكهم وذلك تنبيه لقريش وأمر لهم بالاعتبار بمن سلف من الأمم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم * كان أكثرهم مشركين أهلكهم كلهم بسبب الشرك وقوم بسبب المعاصى لانه تعالى يهلك بالمعاصى كما يهلك بالشرك كأصحاب السبت أو أهلكهم كلهم المشرك والمؤمن كقوله تعالى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وأهلكهم كلهم وهم كفار فأكثرهم مشركون وبعضهم معطل وحين ذكر امتنانه قال الله الذى خلقكم ثم رزقكم فذكر الوجود ثم البقاء بسبب الرزق وحين ذكر خذلانهم بالطغيان بسبب البقاء باظهار الفساد ثم بسبب الوجود بالاهلاك * من قبل أن يأتى يوم يوم القيامة وفيه تحذير يعم الناس لامرد له من الله المرد مصدر رد ومن الله يحتمل أن يتعلق بيأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يرده أحد حتى لا يأتى لقوله فلا يستطيعون ردها ويحتمل أن يتعلق بمحذوف يدل عليه مرداى لا يرده هو بعد أن يجيء به ولا راد له من جهته * يومئذ أى يوم اذ يأتى ذلك اليوم * يصدعون يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه الصداع لانه يفرق شعب الرأس * وقال الشاعر

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

* ثم ذكر حالتى المتفرقين * من كفر فعليه كفره أى جزاء كفره وعبر عن حالة الكافر بعليه وهى تدل

(الدر)

منها ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ منصوب على الحال ﴿وليذيقكم﴾ معطوف عليه على التوهم كأنه قيل ليبشر وليذيق وبتبشيرها اذاقة الرحمة وهي نزول المطر ويتبعه حصول الخصب والروح الذى معه الهبوب وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك و بأمره يعني ان جريانها لما كان مسندا إليها أخبر أنه بامره تعالى من فضله بما ينشئ لكم من الريح من التجارات في البحر ومن غنائم أهل الشرك ثم آنس رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ضرب له مثل من أرسل من الانبياء وتوعد قريشا بان ضرب لهم مثل من أهلك من الأمم الذين أجرموا وكذبوا الأنبياء ولما كان تعالى بين الاصلين المبدأ والمعاد ببراهين ذكر الأصل الثالث وهو النبوة وفي الكلام حذف تقديره فآمن به بعض وكذب بعض ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ وفي قوله ﴿وكان حقا علينا﴾ تبشير للرسول صلى الله عليه وسلم وأمته بالنصر والظفر اذ أخبر ان المؤمنين بأولئك الانبياء نصروا وفي لفظة حقا مبالغة في التحتم وتكريم للمؤمنين واظهار لفضيلة سابقة الايمان حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر والظاهر أن حقا خبر كان ونصر المؤمنين الاسم وأخر لكون ما تعلق به فاصلة وللاهتمام بالخبر اذ هو محط الفائدة ﴿الله الذي يرسل الرياح﴾ هذا متعلق بقوله ومن آياته أن يرسل الرياح والجملة التي بينهما اعتراض جاءت تأنيسا للرسول عليه السلام وتسلية و وعدا بالنصر و وعيدا لاهل الكفر وفي ارسالها قدرة وحكمة أما القدرة فان الهواء اللطيف الذي يرقه البرق يصير بحيث يقلع الشجر ويهدم البناء وهو ليس بذاته يفعل ذلك بل بفاعل مختار وأما الحكمة ففيما يفضي إليه نفس الهبوب من إثارة السحب واخراج الماء منه وانبات الزرع ودر الضرع واختصاصه بناس دون ناس وهذه حكمة بالغة مقرونة بالمشيئة والاثارة تحريكها وتسييرها والبسط نشرها في الآفاق الكسف القطع ﴿فترى الودق﴾ تقدم الكلام عليه والضمير في ﴿من خلاله﴾ الظاهر انه عائد على السحاب اذ هو المحدث عنه وذكر الضمير لان السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه ﴿ولئن أرسلنا ريحا﴾ أخبر تعالى عن تقلب ابن آدم في أنه بعد الاستبشار بالمطر بعث الله ريحا فاصفر بها النبات فظلوا يكفرون ولقائهم والريح الذي يصفر

على الفعل والمشقة وعن حال المؤمن بقوله فلانفسهم باللام التي هي لام الملك ﴿و يمهدون﴾ يوطئون وهي استعارة من الفرش وعبارة عن كونهم يفعلون في الدنيا ما يلقون به ما تقر به أعينهم وتسر به أنفسهم في الجنة ﴿وقال مجاهد هو التمهيد للقبر ﴿وقال الزمخشري وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه انتهى وهو على طريقته في دعواه ان تقديم المفعول وما جرى مجراه يدل على الاختصاص وأما على مذهبنا فيدل على الاهتمام وأما ما يدعيه من الاختصاص فمفهوم من آي كثيرة في القرآن منها ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿واللام في ليجزي قال الزمخشري متعلق بيمهدون تعليل له وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح لتقديره انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد والعكس ﴿ وقال ابن عطية ليجزي متعلق بيصدعون ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف تقديره ذلك ليجزي وتكون الاشارة الى ما تقرر من قوله تعالى من كفر ومن عمل صالحا انتهى ويكون قسيم الذين آمنوا وعملوا الصالحات على هذين التقديرين اللذين ذكرهما ابن عطية محذوفا تقديره كأنه قال والكافرون بعدله ودل على حذف هذا القسيم قوله انه لا يحب الكافرين ومعنى نفي الحب هنا انه لا تظهر عليهم أمارات رحمته ولا يرضى الكفر لهم دينا ﴿وقال الزمخشري من فضله بما تفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له أو أراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل هي الأعطية عند العرب ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ولقد أرسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر الى أثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شئ قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء

اداولوامدبرين وماأنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الامن يؤمن بآياتنافهم مسلمون ﴾ لماذكر تعالى ظهور الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح والكريم لايذكر لاحسانه عوضا ويذكر لعقابه سببالئلا يتوهم به الظلم فذكر من اعلام قدرة ارسال الرياح مبشرات بالمطر لانها متقدمة والمبشرات رياح الرحمة الجنوب والشمال والصبا وأما الدبور فريح العذاب وليس تبشيرها مقتصرا به على المطر بل لها تبشيرات بسبب السفن والسير بها الى مقاصد أهلها وكأنه بدأ أولا بشئ عام وهو التبشير * وقرأ الأعمش الريح مفردا وأراد معنى الجمع ولذلك قرأ مبشرات ثم ذكر من أعظم تباشيرها اذاقة الرحمة وهى نزول المطر ويتبعه حصول الخصب والريح الذى معه الهبوب وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك * وليذيقكم عطف على معنى مبشرات فالعامل أن يرسل ويكون عطفا على التوهم كأنه قيل ليبشركم والحال والصفة قد يجيئان وفيهما معنى التعليل تقول أهن زيدا مسيأ أو أكرم زيدا العالم تريد لاساءته ولعلمه وقيل ما يتعلق به اللام محذوف أى ولكنا أرسلناها وقيل الواو فى ولنذيقكم زائدة وبأمره أى بأمر الله يعنى أن جريانها لما كان مسندا اليها أخبر انه بأمره تعالى من فضله مما هيئ لكم من الريح فى التجارات فى البحر ومن غنائم أهل الشرك ثم بين لرسوله بأن ضرب له مثل من أرسل من الانبياء ولما كان تعالى بين الاصلين المبدأ والمعاد بين ذكر الاصل الثالث وهو النبوة وفى الكلام حذف تقديره وآمن به بعض وكذب بعض *فانتقمنا من الذين أجرموا* وفى قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تبشير للرسول وأمته بالنصر والظفر إذ أخبر ان المؤمنين بأولئك المؤمنين نصروا وفى لفظ حقا مبالغة فى الحتم وتكريم للمؤمنين واظهار لفضيلة سابقة الايمان حيث جعلهم مستحقين النصر والظفر والظاهر ان حقا خبر كان ونصر المؤمنين الاسم وأخر لكون ما تعلق به فاصلة للاهتمام بالجزاء إذ هو محط الفائدة *وقال ابن عطية وقف بعض القراء على حقا وجعله من الكلام المتقدم ثم استأنف جملة من قوله علينا نصر المؤمنين وهذا قول ضعيف لأنه لم يدر قدر ما عرضه فى نظم الآية * وقال الزمخشرى وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا ثم يبتدأ علينا نصر المؤمنين انتهى وفى الوقف على وكان حقا بيان أنه لم يكن الانتقام ظلما بل عدلا لأنه لم يكن الابعد كون بقائهم غير مفيد الازيادة الاثم وولادة الفاجر الكافر فكان عدمهم خيرا من وجودهم الخبيث*الله الذى يرسل الرياح هذا متعلق بقوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات والجملة التى بينهما اعتراض جاءت تأنيسا للرسول وتسلية ووعدا بالنصر ووعيدا لأهل الكفر وفى ارسالها قدرة وحكمة أما القدرة فان الهواء اللطيف الذى يسبقه البرق بحيث يقلع الشجر ويهدم البناء وهو ليس بذاته يفعل ذلك بل بفاعل مختار وأما الحكمة ففيما يفضى اليه نفس الهبوب من اثارة السحب واخراج الماء منه وانبات الزرع ودر الضرع واختصاصه بناس دون ناس وهذه حكمة بالغة معروفة بالمشيئة والاثارة تحريكها وتسييرها والبسط نشرها فى الآفاق والكسف القطع وتقدم الكلام على قوله فترى الودق يخرج من خلاله وذكر الخلاف فى كسفا وحاله من جهة القراء*والضمير فى من خلاله الظاهر أنه عائد على السحاب إذ هو المحدث عنه وذكر الضمير لأن السحاب اسم جنس يجوز تذكيره وتأنيثه قيل ويحتمل أن يعود على كسفا فى قراءة من سكن السين والمراد بالسماء سمت السماء كقوله وفرعها فى السماء فاذا أصاب به من يشاء أى أرض من يشاء اصابتها فاجأهم الاستبشار ولم يتأخر سرورهم * وقال الاخفش من قبله تأكيد لقوله من قبل أن ينزل عليهم*وقال ابن عطية أفاد الاعلام بسرعة

بها النبات صرحرور وراوهما مما يصبح به النبات هشيما والحرور بجنب الشمال اذا عصفت والضمير فى فرأوه عائد على مايفهم من سياق الكلام وهو النبات واللام فى ولئن مؤذنة بقسم محذوف وجوابه لظلوا وهو مما وضع فيه الماضى موضع المستقبل اتساعا تقديره ليظللن والضمير فى بعده عائد على الاصفرار أى من بعد اصفرار النبات يجحدون نعمته وتقدم الكلام على قوله فانك لاتسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون فى أواخر النمل الا أن هنا الربط بالفاء فى قوله فانك

تقلب قلوب البشر من الابلاس الى الاستبشار وذلك ان قوله من قبل أن ينزل عليهم يحتمل الفسحة في الزمان أي من قبل أن ينزل بكثير كالأيام ونحوه فجاء قوله من قبل بمعنى ان ذلك متصل بالمطر فهو تأكيد مفيد * وقال الزمخشري و بمعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول و بعد فاستحكم يأسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك انتهى وماذكره ابن عطية والزمخشري من فائدة التأكيد في قوله من قبله غير ظاهر وانما هو عندذكره لمجرد التوكيد و يفيد رفع المجاز فقط * وقال قطرب التقدير وان كانوا من قبل التنزيل من قبل المطر انتهى وصار من قبل انزال المطر من قبل المطر وهذا تركيب لايسوغ في كلام فصيح فضلا عن القرآن * وقيل التقدير من قبل تنزيل الغيث من قبل أن يزرعوا ودل المطر على الزرع لأنه يخرج بسبب المطر ودل على ذلك قوله فرأوه مصفرا يعني الزرع انتهى وهذا لايستقيم لأن من قبل أن ينزل عليهم متعلق بقوله لمبلسين ولا يمكن من قبل الزرع أن يتعلق بمبلسين لأن حرفي جر لا يتعلقان بعامل واحد الا ان كان بواسطة حرف العطف أو على جهة البدل وليس التركيب هنا ومن قبله بحرف العطف ولا يصح فيه البدل اذ انزال الغيث ليس هو الزرع ولا الزرع بعضه وقد يتخيل فيه بدل الاشتمال بتكلف اما لاشتمال الانزال على الزرع بمعنى أن الزرع يكون ناشئا عن الانزال فكأن الانزال مشتمل عليه وهذا على مذهب من يقول الأول يشتمل على الثاني * وقال المبرد الثاني السحاب و يحتاج أيضا الى حرف عطف حتى يمكن تعلق الحرفين بمبلسين * وقال علي بن عيسى من قبل الارسال * وقال الكرماني من قبل الاستبشار لأنه قرنه بالابلاس ولأنه منّ عليهم بالاستبشار انتهى و يحتاج قوله وقول ابن عيسى الى حرف العطف فان ادعى في قوله من جعل الضمير في من قبله عائدا الى غير انزال الغيث ان حرف العطف محذوف أمكن لكن في حذف حرف العطف خلاف أينقاس أم لاينقاس أما حذفه مع الجمل فجائز وأما وحده فهو الذي فيه الخلاف * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو بكر الى أثر بالافراد و باقي السبعة بالجمع وسلام بكسر الهمزة واسكان الثاء * وقرأ الجحدري وابن السميفع وأبو حيوة تحيي بالتاء للتأنيث والضمير عائد على الرحمة * وقال صاحب اللوامح وانما أنث الأثر لاتصاله بالرحمة اضافة اليها فاكتسب التأنيث منها ومثل ذلك لايجوز الا اذا كان المضاف بمعنى المضاف اليه أومن سببه وأما اذا كان أجنبيا فلا يجوز بحال انتهى * وقرأ زيد بن علي نحيي بنون العظمة والجمهور يحيي بياء الغيبة والضمير لله و يدل عليه قراءة آثار بالجمع وقيل يعود على أثر في قراءة من أفرد * وقال ابن جني كيف يحيي جملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى كأنه قال محييا وهذا فيه نظر * ان ذلك أي القادر على احياء الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهذا الاخبار على جهة القياس في البعث والبعث من الاشياء التي هو قادر عليها تعالى * ولئن أرسلنا ريحا أخبر تعالى عن حال تقلب ابن آدم انه بعد الاستبشار بالمطر بعث الله ريحا فاصفر بها النبات * لظلوا يكفرون قلقا منهم والريح التي تصفر النبات صر حرور وهما مما يصبح به النبات هشيما والحرور جنب الشمال اذا عصفت * والضمير في فرأوه عائد على مايفهم من سياق الكلام وهو النبات وقيل الى الأثر لأن الرحمة هي الغيث وأثرها هو النبات ومن قرأ آثارا بالجمع رجع الضمير الى آثار الرحمة وهو النبات واسم النبات يقع على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ماينبت * وقال ابن عيسى الضمير في فرأوه عائد على السحاب لان السحاب اذا اصفر لم يمطر وقيل على الريح وهذان قولان ضعيفان * وقرأ أصباح بن حبيش مصفارا بألف بعد الفاء * واللام في ولئن مؤذنة بقسم

وتماؤه وقوته الى فصل الاكتهال والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم وقرىء ضعف بضم الضاد وفتحها مالبثوا هي جواب القسم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب مالبثنا غير ساعة أي ما أقاموا تحت التراب غير ساعة أو مالبثوا في الدنيا استقلوها لما عاينوا من أمر الآخرة واخبارهم بذلك هو على جهة التقول بغير علم أي على جهة النسيان والكذب ﴿يؤفكون﴾ أي يصرفون عن قول الحق والنطق بالصدق ﴿والذين أوتوا العلم﴾ هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون ﴿في كتاب الله﴾ فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الايمان وغيره ولكن نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم وقيل في كتاب الله في اللوح المحفوظ ﴿فيومئذ﴾ أي يوم اذ يقع ذلك من اقسام الكفار وقول أولي العلم لهم ﴿ولا هم يستعتبون﴾ في ازالة ما سألوه مما هم فيه ﴿ولقد

محذوف وجوابه لظلوا وهو مما وضع فيه الماضي موضع المستقبل اتساعا تقديره ليظلن ونظيره قوله تعالى ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك أي مايتبعون ذمهم تعالى في جميع أحوالهم كان عليهم أن يتوكلوا على فضل الله فقنطوا وان شكروا نعمته فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان تصبروا على بلائه كفروا والضمير في من بعده عائد على الاصفرار أي من بعد اصفرار النبات تجحدون نعمته وتقدم الكلام على قوله فانك لاتسمع الموتى الى قوله فهم مسلمون في أواخر النمل الا أن هنا الربط بالفاء في قوله فانك ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم ولاهم يستعتبون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم الا مبطلون كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون ﴾ لما ذكر دلائل الآفاق ذكر شيأ من دلائل الأنفس وجعل الخلق من ضعف لكثرة ضعف الانسان أول نشأته وطفوليته كقوله خلق الانسان من عجل والقوة التي تلت الضعف هي رعرعته ونماؤه وقوته الى فصل الاكتهال والضعف الذي بعد القوة هو حال الشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطفة كقوله من ماء مهين والترداد في هذه الهيئات شاهد بقدرة الصانع وعلمه * وقرأ الجمهور بضم الضاد في ضعف معا وعاصم وحمزة بفتحها فيهما وهي قراءة عبد الله وأبي رجاء * وروي عن أبي عبد الرحمن والجحدري والضحاك الضم والفتح في الثاني * وقرأ عيسى بضمتين فيهما والظاهر ان الضعف والقوة هما بالنسبة الى ماعدا البدن من ذلك وان الضم والفتح بمعنى واحد في ضعف * وقال كثير من اللغويين الضم في البدن والفتح في العقل * مالبثوا هو جواب وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم كان يكون التركيب مالبثنا غير ساعة أي ما أقاموا تحت التراب غير ساعة ومالبثوا في الدنيا استقلوها لما عاينوا من الآخرة أو فيما بين فناء الدنيا الى البعث واخبارهم بذلك هو على جهة السور والتقول بغير علم أو على جهة النسيان أو الكذب * يؤفكون أي يصرفون عن قول الحق والنطق بالصدق * الذين أوتوا العلم هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون * في كتاب الله فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الايمان وغيره ولكن نص على هذا الخاص تشريفا وتنبيها على محله من العلم وقيل في كتاب الله اللوح المحفوظ وقيل في علمه وقيل في حكمه * وقرأ الحسن البعث بفتح العين فيهما وقرىء بكسرها وهو اسم والمفتوح مصدر * وقال قتادة هو على التقديم والتأخير تقديره أوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم وعلى هذا تكون في بمعنى الباء أي العلم بكتاب الله ولعل هذا القول لايصح عن قتادة فان فيه تفكيكا للنظم لايسوغ في كلام غير فصيح فكيف يسوغ في كلام الله وكان قتادة موصوفا بعلم العربية فلا يصدر عنه مثل هذا القول والفاء في فهذا

ضربنا﴾ اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار ﴿كذلك يطبع الله﴾ أي مثل هذا الطبع يطبع الله أي يختم على قلوب الجهلة الذين قد حتم عليهم بالكفر في الأزل وأسند الطبع الى ذاته تعالى اذ هو فاعل ذلك ومقدره ثم أمره تعالى بالصبر على أذاهم وعلى عداوتهم وقواه بتحقيق الوعد أي لابد من انجازه والوفاء به ونهاه عن الاهتزاز لكلامهم والتحرك لقلتهم لا نقاش لهم ولا بصر

يوم البعث عاطفة لهذه الجملة المقولة على الجملة التي قبلها وهي لقد لبثتم اعتقها في الذكر * قال الزمخشري (فان قلت) ماهذه الفاء وماحقيقتها (قلت) هي التي في قوله * فقد جئنا خراسانا * وحقيقتها أنها جواب شرط يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ماقلتم من أن أقصى مايراد بنا قلنا القفول قد جئنا خراسانا واذا أمكن جعل الفاء عاطفة لم يتكلف اضمار شرط وجعل الفاء جوابا لذلك الشرط المحذوف لاتعلمون لتفريطكم في طلب الحق واتباعه وقيل لاتعلمون البعث ولا تعرفون به فصار مصيركم الى النار فتطلبون التأخير *فيومئذ أي يوم اذ يقع ذلك من اقسام الكفار وقول أولي العلم لهم * وقرأ الكوفيون لاينفع بالياء هنا وفي الطول ووافقهم نافع في الطول وباقي السبعة بتاء التأنيث* ولاهم يستعتبون * قال الزمخشري من قولك استعتبني فلان فأعتبته أي استرضاني فأرضيته وذلك اذا كان جانيا عليه وحقيقته أعتبته أزلت عتبه ألا ترى الى قوله

غضبت تميم أن يقتل عامر * يوم النسار فأعتبوا بالصيلم

كيف جعلهم غضابا ثم قال فأعتبوا أي أزيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لايقال لهم أرضوا ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى فاليوم لايخرجون منها ولاهم يستعتبون (فان قلت) كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وقوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (قلت) أما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه وأما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جنى عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله أي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته * وقال ابن عطية هذا اخبار عن هول يوم القيامة وشدة أحواله على الكفرة في أنهم لاينفعهم الاعتذار ولا يعطون عتبى وهو الرضا ويستعتبون بمعنى يعتبون كما تقول يملك ويستملك والباب في استفعل انه طلب الشيء وليس هذا منه لأن المعنى لايفسد اذا كان المفهوم منه ولا يطلب منهم عتبى انتهى فيكون استفعل في هذا بمعنى الفعل المجرد وهو عتب أي هم من الاهمال وعدم الالتفات اليهم بمنزلة من لايؤهل للعتب وقد قيل لايعاتبون على سيئاتهم بل يعاقبون وقيل لايطلب لهم العتبى وقيل لايلتمس منهم عمل وطاعة ولكن ضربنا اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار * وقال الزمخشري وصفنا لهم كل صفة كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم القيامة ومايقال لهم ومالايقع من اعتذارهم ولايسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج أسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم بآية من آيات القرآن قالوا أجئتنا بزور وباطل انتهى*وأنتم خطاب للرسول والمؤمنين أي تبطلون في دعواكم الحشر والجزاء * وقال أبو عبد الله الرازي وفي توحيد الخطاب بقوله ولئن جئتهم والجمع في قوله ان أنتم لطيفة وهي ان الله عز وجل قال ولئن جئتهم بكل آية جاءت بها الرسل فيمكن أن يجاوبوا بقوله أنتم كلكم أيها المدعون الرسالة مبطلون * كذلك يطبع الله أي مثل هذا الطبع يطبع الله أي يختم على قلوب الجهلة الذين قد ختم الله عليهم الكفر في الازل وأسند الطبع الى ذاته تعالى اذ هو فاعل ذلك ومقدره * وقال الزمخشري ومعنى طبع الله منع الالطاف التي يشرح لها الصدور حتى تقبل الحق ثم قال فكانه كذلك تصدأ القلوب وتقسو قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم أعرق خلق الله في تلك الصفة انتهى وهو على طريقة الاعتزال * ثم أمره تعالى بالصبر على عداوتهم وقواه بتحقق الوعد انه لابد من انجازه والوفاء به ونهاه عن الاهتزاز بكلامهم والتحرك فانهم لايقين لهم ولابصيرة * وقرأ ابن أبي اسحاق ويعقوب

﴿ سورة لقمان ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه السورة مكية قال ابن عباس الا ثلاث آيات أولهن ولو ان ما فى الأرض وسبب نزولها ان قريشا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه فنزلت * ومناسبتها لما قبلها انه قال تعالى ولقد ضربنا للناس فأشار هنا الى ذلك بقوله الم تلك آيات الكتاب الخ وكان فى آخر تلك ولئن جئتهم بآية وهنا واذا تتلى عليه وتلك اشارة الى البعيد فاحتمل أن يكون ذلك البعد غايته وعلو شأنه وآيات الكتاب أى القرآن أو اللوح المحفوظ ولما ذكر من صفات القرآن الحكمة وانه هدى ورحمة وان متبعه فائز ذكر حال من بدل بطلب الحكمة اللهو وذكر تبالغه فى ارتكابه حتى جعله مشتريا له وباذلا فيه رأس عقله وذكر علته وانها الاضلال عن طريق الله تعالى ونزلت هذه الآية فى النضر بن الحارث كان يتجر الى فارس ويشترى كتب الأعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفندار يقول أنا أحسن حديثا ومن فى قوله من يشترى موصولة بدأ أولا بالحمل على اللفظ فأفرد فى قوله من يشترى وليضل ويتخذها ثم جمع على المعنى فى قوله أولئك لهم ثم حمل على اللفظ فافرد فى قوله واذا تتلى الى آخر الضمائر وضمن هذه الآيه ذم المشترى من وجوه التولى عن الحكمة ثم الاستكبار ثم عدم الالتفات الى سماعها كأنه غافل عنها ثم الايغال فى الاعراض بكون أذنيه كان فيهما صمما يصده عن السماع و ﴿كأن لم يسمعها﴾ حال من الضمير فى مستكبرا أى مشبها حال من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالا ولا يلتفت إليها وكأن هى المخففة من الثقيله واسمها ضمير الشأن واجب الحذف وكأن فى أذنيه حال من لم يسمعها وانتصب ﴿وعد الله﴾ على أنه مصدر مؤكد والعامل فيه محذوف تقديره وعد الله وحقا منصوب بمحذوف تقديره أحق حقا وكلاهما مؤكد لما قبلهما ﴿خلق السموات﴾ تقدم الكلام عليه والزوج الصنف ومعنى كريم مدحه بكرم جوهره ونفاسته وحسن منظره

ولا يستحقنك بحاء مهملة وقاف من الاستحقاق والجمهور بخاء معجمة وفاء من الاستخفاف وسكن النون ابن أبى عبلة ويعقوب والمعنى لا يفتننك ويكونوا أحق بك من المؤمنين

﴿ مفردات سورة لقمان ﴾

* لقمان اسم علم فان كان أعجميا فمنعه من الصرف للعجمة والعلمية وان كان عربيا فمنعه للعلمية وزيادة الألف والنون ويكون مشتقا من اللقم مرتجلا اذ لا يعلم له وضع فى النكرات * صعر مشدد العين لغة بنى تميم * قال شاعرهم

وكنا اذا الجبار صعر خده * أقمناه من ميله فيقوم

فيقوم أمر بالاستقامة للقوافى المخفوضة أى فيقوم ان قاله أبو عبيدة وانشاد الطبرى فيقوما فعلا ماضيا خطأ وتصاعر لغة الحجاز ويقال يصعر * قال الشاعر * أقمناه من خده المتصعر * ويقال أصعر خده * قال الفضل هو الميل * وقال اليزيدى هو التشدق فى الكلام * وقال أبو عبيدة أصل هذا من الصعر داء يأخذ الابل فى رؤسها وأعناقها فتلتوى منه أعناقها * القلم معروف * الختار شديد الغدر ومنه قولهم

انك لا تمد الينا شبرا من غدر * الا مددنا لك باعا من ختر

* وقال عمرو بن معدى كرب

وانك لو رأيت أبا عمير * ملأت يديك من غدر وختر

﴿ وقال الأعشى ﴾

فالابلق الفرد من تيماء منزله * حصن حصين وجار غير ختار

﴿ سورة لقمان أربع وثلاثون آيه مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا وهو العزيز الحكيم خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من

السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ هذه السورة مكية قال ابن عباس إلا ثلاث آيات أولهن ولو أن ما في الأرض * وقال قتادة إلا آيتين أولهما ولو أن الى آخر الآيتين وسبب نزولها أن قريشا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه فنزلت وقيل نزلت بالمدينة إلا الآيات الثلاث ولو أن ما في الأرض الى آخرهن لما نزل وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وقول اليهود ان الله أنزل التوراة على موسى وخلفها فينا ومعنا فقال الرسول التوراة وما فيها من الأنباء قليل في علم الله فنزل ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام * ومناسبتها لما قبلها انه قال تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأشار الى ذلك بقوله الم تلك آيات الكتاب الحكيم وكان في آخر تلك ولئن جئتهم بآية وهنا واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا وتلك اشارة الى البعيد فاحتمل أن يكون ذلك لبعد غايته وعلو شأنه وآيات الكتاب القرآن واللوح المحفوظ ووصف الكتاب بالحكيم اما لتضمنه الحكمة قيل أو فعيل بمعنى المحكم وهذا يقل أن يكون فعيل بمعنى مفعل ومنه عقدت العسل فهو عقيد أي معقد ويجوز أن يكون حكيم بمعنى حاكم * وقال الزمخشري الحكيم ذو الحكمة أو وصف لصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز أن يكون الأصل الحكيم قائله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة * وقرأ الجمهور هدى ورحمة بالنصب على الحال من الآيات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة قاله الزمخشري وغيره وهو يحتاج الى نظر * وقرأ حمزة والأعمش والزعفراني وطلحة وقنبل من طريق أبي الفضل الواسطي بالرفع خبر مبتدا محذوف أو خبر بعد خبر على مذهب من يجيز ذلك * للمحسنين الذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها كاقامة الصلاة وايتاء الزكاة والايقان بالآخرة ونظيره قول أوس

الألمعي الذي يظن بك الظـ * ـن كأن قد رأى وقد سمعا

حكى عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي فأنشده ولم يزد وخص المحسنون لانهم هم الذين انتفعوا به ونظروه بعين الحقيقة * وقيل الذين يعملون بالحسن من الأعمال وخص منهم القائمون بهذه الثلاث لفضل الاعتداد بها ومن صفة الاحسان ما جاء في الحديث من ان الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقيل المحسنون المؤمنون * وقال ابن سلام هم السعداء * وقال ابن شجرة هم المنجحون * وقيل الناجون وكرر الاشارة اليهم تنبيها على عظم قدرهم * ولما ذكر من صفات القرآن الحكمة وانه هدى ورحمة وان متبعه فائز ذكر حال من يطلب من بدل الحكمة باللهو وذكر مبالغته في ارتكابه حتى جعله مشتريا له وبادلا فيه رأس عقله وذكر علته وانها الاضلال عن طريق الله ونزلت هذه الآية في النضر بن الحارث كان يتجر الى فارس ويشتري كتب الأعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفندار ويقول أنا أحسن حديثا * وقيل في ابن خطل اشترى جارية تغني بالسب وبهذا فسر لهو الحديث المعازف والغناء * وفي الحديث من رواية أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شراء المغنيات وبيعهم حرام وقرأ هذه الآية * وقال الضحاك لهو الحديث الشرك * وقال مجاهد وابن جريج الطبل وهذا ضرب من آلة الغناء * وقال عطاء الترهات * وقيل السحر * وقيل ما كان يشتغل به أهل الجاهلية من السباب * وقال أيضا ما شغلك عن عبادة الله وذكره من السمر والأضاحيك والخرافات والغناء * وقال سهل الجدال في الدين والخوض في الباطل والظاهر ان الشراء هنا مجاز عن اختيار الشيء وصرف عقله بكليته اليه فان أريد به ما يقع

﴿هذا خلق الله﴾ اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته وبخ بذلك الكفار وأظهر حجته عليهم والخلق بمعنى المخلوق كقولهم درهم ضرب الامير أي مضروبه

عليه الشراء كالجواري المغنيات عند من لا يرى ذلك وككتب الأعاجم التي اشتراها النضر فالشراء حقيقة ويكون على حذف أي من يشتري ذات لهو الحديث واضافة لهو الى الحديث هي لمعنى من لان اللهو قد يكون من حديث فهو كباب ساج والمراد بالحديث الحديث المنكر * وقال الزمخشري ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كأنه قال ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه انتهى * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ليضل بفتح الياء وباقي السبعة بضمها * قال الزمخشري فان قلت القراءة بالرفع بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو أن يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح (قلت) معنيان * أحدهما ليثبت على ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده بأن المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه * والثاني أن يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من أضل كان ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف (فان قلت) قوله بغير علم ما معناه (قلت) لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين للتجارة وبصراء بها انتهى وسبيل الله الاسلام أو القرآن قولان * قال ابن عطية والذي يترجح ان الآية نزلت في لهو الحديث مضافا الى الكفر فلذلك اشتدت ألفاظ الآية بقوله ليضل الى آخره * وقرأ حمزة والكسائي وحفص ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل تشريكا في الصلة وباقي السبعة بالرفع عطفا على يشتري تشريكا في الصلة والظاهر عود ضمير ويتخذها على السبيل كقوله ويبغونها عوجا قيل ويحتمل أن يعود على آيات الكتاب وقال تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا قيل ويحتمل أن يعود على الأحاديث لان الحديث اسم جنس بمعنى الأحاديث * وقال صاحب التحرير ويظهر لي أنه أراد بلهو الحديث ما كانوا يظهرونه من الأحاديث في تقوية دينهم والأمر بالدوام عليه وتفسير صفة الرسول وأن التوراة تدل على انه من ولد اسحق يقصدون صد أتباعهم عن الايمان وأطلق اسم الشراء لكونهم يأخذون على ذلك الرشا والجعائل من ملوكهم ويؤيده ليضل عن سبيل الله أي دينه انتهى وفيه بعض حذف وتلخيص * واذا تتلى عليه بدأ أولا بالحمل على اللفظ فأفرد في قوله من يشتري وليضل ويتخذها ثم جمع على الضمير في قوله أولئك لهم ثم حمل على اللفظ فأفرد في قوله واذا تتلى الى آخره * ومن في من يشتري موصولة ونظيره في من الشرطية قوله ومن يؤمن بالله فما بعده أفرد ثم قال خالدين فجمع ثم قال قد أحسن الله له رزقا فأفرد ولا نعلم جاء في القرآن ما حمل على اللفظ ثم على المعنى ثم على اللفظ غير هاتين الآيتين والنحويون يذكرون ومن يؤمن بالله الآية فقط ثم على المعنى ثم على اللفظ ويستدلون بها على ان هذا الحكم جار في من الموصولة ونظيرها مما لم يثن ولم يجمع من الموصولات وتضمنت هذه الآية ذم المشتري من وجوه التولية عن الحكمة ثم الاستكبار ثم عدم الالتفات الى سماعها كأنه غافل عنها ثم الايغال في الاعراض بكون أذنيه كأن فيهما صمما يصده عن السماع * وكأن لم يسمعها حال من الضمير في مستكبرا أي مشبها حال من لم يسمعها لكونه لا يجعل لها بالا ولا يلتفت اليها وكأن هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن واجب الحذف * وكأن في أذنيه وقرا حال من لم يسمعها * وقال الزمخشري ويجوز أن يكونا استئنافين انتهى يعني الجملتين التشبيهيتين ولما ذكر ما وعد به الكفار من العذاب الأليم ذكر ما وعد به المؤمنين * وقرأ زيد بن علي خالدون بالواو والجمهور بالياء * وانتظام الكلام

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾ اختلف فى لقمان هل كان حرا أم عبدا أم نبيا أم رجلا صالحا اختلافا كثيرا مذكورا فى البحر والحكمة المنطق الذى يتعظ به ويتنبه وتتناقله الناس ﴿ أن اشكر ﴾ هى المخففة من الثقيلة أو مفسرة ولنفسه أى ثواب الشكر لا يحصل الا للشاكر وكفر من كفر لا يضره وحميد مستحق الحمد لذاته وصفاته * واذ قال الناصب لاذ اذكر محذوفا واختلف فى اسم ابنه اختلافا كثيرا ﴿ وهو يعظه ﴾ جملة حالية قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بعظهما حتى أسلما والظاهر أن قوله ﴿ ان الشرك لظلم عظيم ﴾ من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متصل به فى تأكيد المعنى وفى صحيح مسلم ما ظاهره انه من كلام لقمان ﴿ ووصينا الانسان بوالديه ﴾ هذه الآية اعتراض بين أثناء وصية لقمان وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد والده وامتثال أمره فى طاعة الله تعالى والصحيح ان هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا فى سعد بن أبى وقاص وعليه جماعة من المفسرين ولما خص الام بالمشقات من الحمل والنفاس والرضاع والتربية نبه على السبب الموجب للايصاء بها ولذلك جاء فى الحديث الأمر ببر الام ثلاث مرات ثم ذكر الأب (١٨٥) فجعل له مرة الربع من المبرة ﴿ وهنا على وهن ﴾ قال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق ﴿ وفصاله فى عامين ﴾ ومعناه فصاله فى تمام عامين عبر عنه بنهايته وأجمعوا على اعتبار العامين فى مدة الرضاع فى باب الاحكام والنفقات وأما فى تحريم اللبن فى الرضاع فخلاف مذكور فى الفقه ﴿ وان جاهداك ﴾ تقدم الكلام عليه فى العنكبوت وانتصب معروفا على أنه صفة لمصدر محذوف أى صحابا أو مصاحبا معروفا وعشرة جميلة وهو اطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضا وموارتهما اذا ماتا ﴿ واتبع

سبيل من أناب الى ﴾ أى رجع الى الله تعالى وهو سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم لا سبيلهما ﴿ ثم الى مرجعكم ﴾ أى مرجعك ومرجعهما فاجازى كلا منكم بعمله ولما نهى لقمان ابنه عن الشرك نبه على قدرة الله تعالى وانه لا يمكن ان يتأخر عن مقدوره شئ ﴿ فقال يابنى انها ان تك ﴾ والظاهر أن الضمير فى انها ضمير القصة وتك مضارع كان حذفت نونها وهى تامة ومثقال فاعل بتك وأنث الفعل لاضافة الفاعل الى مؤنث كما قالوا تواضعت سور المدينة ﴿ من خردل ﴾ فى موضع الصفة لحبة فتكن معطوف على تك وهى تامة اسمها مضمر فيها أى فتكن هى والخبر فى صخرة وبدأ أولا بما يتعقله الانسان وهى كينونة الشئ فى صخرة وهو ما صلب من الحجر وعسر اخراجه منها ثم اتبعه بالعالم العلوى وهو أغرب للسامع ثم أتبعه بما يكون مقر الأشياء للشاهد وهو الارض * يأت بها الله جواب الشرط لما نهاه أولا عن الشرك أمره بما يتوسل به اليه من الطاعات فبدأ باشرفها وهو الصلاة ثم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن

وعد الله على أنه مصدر مؤكد لنفسه وحقا على المصدر المؤكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم والعامل فيهما متغاير فوعد الله منصوب أى بوعد الله وعده وحقا منصوب بأحق ذلك حقا * خلق السموات الى وأنبتنا فيها تقدم الكلام على ذلك ومعنى كريم مدحته بكرم جوهره ونفاسته وحسن منظره وما تقضى له النفوس بأنه أفضل من غيره حتى استحق الكرم فيخص لفظ الأزواج ما كان نفيسا مستحسنا من جهة أو مدحته باتقان صفته وظهور حسن الرتبة والتحكم للصنع فيه فيعم جميع الأزواج وهو الأنواع * هذا خلق الله اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته وبخ بذلك الكفار وأظهر حجته * والخلق بمعنى المخلوق كقولهم درهم ضرب الامير أى مضروبه ثم سألهم على جهة التهكم بهم ان يوردوا ما خلقته آلهتهم لما ذكر مخلوقاته فكيف عبدوها من دونه ويجوز فى ماذا أن تكون كلها موصولة بمعنى الذى وتكون مفعولا ثانيا لأرونى واستعمال ماذا كلها موصولا قليل وقد ذكره سيبويه ويجوز أن تكون ما استفهامية فى موضع رفع على الابتداء وذا موصولة بمعنى الذى وهو خبر عن ما والجملة فى موضع نصب بأرونى وأرونى معلقة عن العمل لفظا لأجل الاستفهام ثم أضرب عن توبيخهم وتبكيتهم الى التسجيل عليهم بأنهم فى حيرة واضحة لمن يتدبر لان من عبد صنما وترك خالقه جدير بأن يكون فى حيرة وتيه لا يقلع عنه ﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غنى حميد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الى المصير وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله ان

أي من معزوم الامور واحتمل ان يراد به الفاعل أي عازم الامور كقوله فاذا عزم الامر وقرئ ﴿ولا تصعر﴾ ولا تصاعر معناه لا تولهم شق وجهك كفعل المتكبر وأقبل على الناس بوجهك من غير تكبر ولا اعجاب ﴿ولا تمش﴾ تقدّم الكلام عليه في سبحان ﴿ان الله لا يحب﴾ تقدّم الكلام عليه في النساء ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك﴾ لما نهاه عن الخلق الذميم أمره بالخلق الكريم وهو القصد في المشي بحيث لا يبطىء كما يفعل المتناسمون والمتعاجبون بتباطؤن في نقل خطواتهم المتنامس للرياء والمتعاجب للترفع ولا تسرع كما يفعل الخرق المتهور * والغض من الصوت التنقيص من رفعه وجهارته والغض رد طموح الشئ كالصوت والنظر والزمام وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت وتمدح به في الجاهلية والظاهر ان قوله ﴿ان أنكر الاصوات﴾ من كلام لقمان لابنه تنفيرا له عن رفع الصوت وقيل هو من كلام الله تعالى رد الله به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت وقيل واقصد في مشيك اشارة الى الافعال واغضض من صوتك اشارة الى الاقوال فنبه على التوسط في الافعال وعلى الاقلال من فضول الكلام

الله لطيف خبير يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ﴾ اختلف في لقمان أكان حرا أم عبدا فاذا قلنا كان حرا فقيل هو ابن باعورا * قال وهب ابن أخت أيوب عليه السلام * وقال مقاتل ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش ألف سنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقيل له لم فقال ألا أكتفي اذا كفيت وكان قاضيا في بني اسرائيل * وقال الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وزمانه ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام والأكثرون على انه لم يكن نبيا * وقال عكرمة والشعبي كان نبيا واذا قلنا كان عبدا اختلف في جنسه فقال ابن عباس وابن المسيب ومجاهد كان نوبيا مشقق الرجلين ذا مشافر * وقال الفراء وغيره كان حبشيا مجدوع الأنف ذا مشفر واختلف فيما كان يعانيه من الأشغال فقال خالد بن الربيع كان نجارا وفي معاني الزجاج كان نجادا بالدال * وقال ابن المسيب كان خياطا * وقال ابن عباس كان راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة وهذا الاضطراب في كونه حرا أو عبدا وفي جنسه وفيما كان يعانيه يوجب أن لا يكتب شئ من ذلك ولا ينقل لكن المفسرون مولعون بنقل المضطرب حشوا وتكثيرا والصواب تركه وحكمة لقمان مأثورة كثيرة منها قيل له أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا * وقال له داود عليه السلام يوما كيف أصبحت قال أصبحت في يد غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة * وقال وهب بن منبه قرأت في حكم لقمان أكثر من عشرة آلاف والحكمة المنطق الذي يتعظ به ويتنبه به ويتناقله الناس لذلك * أن اشكر قال الزمخشري ان هي المفسرة لان إيتاء الحكمة في معنى القول وقد نبه سبحانه على ان الحكمة الأصلية والعلم الحقيقي هو العمل بهما أو عبادة الله والشكر له حيث فسر إيتاء الحكمة بالبعث على الشكر * وقال الزجاج المعنى ولقد آتينا لقمان الحكمة لأن يشكر الله فجعلها مصدرية لا تفسيرية * وحكى سيبويه كتبت اليه بأن قم * فانما يشكر لنفسه أي ثواب الشكر لا يحصل الا للشاكرين اذ هو تعالى غني عن الشكر فشكر الشاكر لا ينفعه وكفر من كفر لا يضره * وحميد مستحق الحمد لذاته وصفاته * واذ قال أي واذكر اذ وقيل يحتمل أن يكون التقدير وآتيناه الحكمة اذ قال واختصر لدلالة المتقدم عليه * وابنه باران أو أنعم أو اشكر أو شاكر أقوال * وهو يعظه جملة حالية * قيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما * والظاهر ان قوله ان الشرك لظلم عظيم من كلام لقمان * وقيل هو خبر من الله منقطع عن كلام لقمان متصل به في تأكيد المعنى وفي صحيح مسلم ما ظاهره أنه من كلام لقمان * وقرأ البزي يابني بالسكون ويابني انها بكسر الياء ويابني أقم بفتحها * وقيل بالسكون في الاولى والثانية والكسر في الوسطى وحفص والمفضل عن عاصم بالفتح في الثلاثة على تقدير يابنيا والاجتزاء بالفتحة عن الألف * وقرأ باقي السبعة بالكسر في الثلاثة * ووصينا الانسان بوالديه لما بين لقمان لابنه أن الشرك ظلم ونهاه عنه كان ذلك حثا على طاعة الله ثم بين أن الطاعة تكون للأبوين وبين السبب في ذلك فهو من كلام لقمان مما وصى به ابنه أخبر الله عنه بذلك * وقيل هو من كلام الله قاله للقمان أي قلنا له اشكر * وقلنا له ووصينا وقيل هذه

-

الآية اعتراض بين أثناء وصيته للقمان وفيها تشديد وتوكيد لاتباع الولد والده وامتثال أمره في طاعة الله تعالى * وقال القرطبي والصحيح ان هذه الآية وآية العنكبوت نزلتا في سعد بن أبي وقاص وعليه جماعة من المفسرين ولما خص الام بالمشقات من الحمل والنفاس والرضاع والتربية نبه على السبب الموجب للايصاء ولذلك جاء في الحديث الامر ببر الام ثلاث مرات ثم ذكر الاب فجعل له مرة الربع من المبرة * وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد شدة وخلقا بعد خلق * وقال الضحاك ضعفا بعد ضعف * وقال قتادة جهدا على جهد يعني ضعف الحمل وضعف الطلق وضعف النفاس وانتصب على هذه الاقوال على الحال * وقيل وهنا على وهن نطفة ثم علقة الى آخر النشأة فعلى هذا يكون حالا من الضمير المنصوب في حملته وهو الولد * وقرأ عيسى الثقفي وأبو عمرو في رواية وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما فاحتمل أن يكون كالشعر والشعر واحتمل أن يكون مصدر وهن بكسر الهاء يوهن وهنا بفتحها في المصدر قياسا * وقرأ الجمهور بسكون الهاء فيهما وقرؤا وفصاله وقرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة والجحدري ويعقوب وفصله ومعناه الفطام أي في تمام عامين عبر عنه بنهايته وأجمعوا على اعتبار العامين في مدة الرضاع في باب الاحكام والنفقات وأما في تحريم اللبن في الرضاع فخلاف مذكور في الفقه وأن اشكر في موضع نصب على قول الزجاج * وقال النحاس الاجود ان تكون مفسرة * لي أي على نعمة الايمان * ولوالديك على نعمة التربية * الى المصير توعد اثناء الوصية * وان جاهداك الى فلا تطعهما تقدم الكلام عليه في العنكبوت الا ان هنا على وهناك لتشرك بلام العلة * وانتصب معروفا على انه صفة لمصدر محذوف أي صحابا أو مصاحبا معروفا وعشرة جميلة وهو اطعامهما وكسوتهما وعدم جفائهما وانتهارهما وعيادتهما اذا مرضا ومواراتهما اذا ماتا * واتبع سبيل من أناب الي أي رجع الى الله وهو سبيل الرسول لا سبيلهما * ثم الي مرجعكم أي مرجعك ومرجعهما فأجازي كلا منكم بعمله ولما نهى لقمان ابنه عن الشرك نبهه على قدرة الله وانه لا يمكن أن يتأخر عن مقدوره شيء فقال يابني انها ان تك والظاهر ان الضمير في انها ضمير القصة * وقرأ نافع مثقال بالرفع على ان تك تامة وهي قراءة الاعرج وأبي جعفر وأخبر عن مثقال وهو مذكر اخبار المؤنث لاضافته الى مؤنث وكأنه قال ان تك زنة حبة وباقي السبعة بالنصب على ان تك ناقصة واسمها ضمير يفهم من سياق الكلام تقديره هي أي التي سألت عنها وكان فيما روي قد سأل لقمان ابنه أرأيت الحبة تقع في مغاص البحر أيعلمها الله فيكون الضمير ضمير جوهر لا ضمير عرض ويؤيده قوله ان تك مثقال حبة * وقرأ عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف وشد النون وفتحها وقراءة محمد بن أبي فجة البعلبكي فتكن بضم التاء وفتح الكاف والنون مشددة * وقرأ قتادة فتكن بفتح التاء وكسر الكاف وسكون النون من وكن يكن ورويت هذه القراءة عن عبد الكريم الجزري أيضا أي تستقر ويجوز أن يكون الضمير ضمير عرض أي تلك الفعلة من الطاعة أو المعصية وعلى من قرأ بنصب مثقال يجوز أن يكون الضمير في انها ضمير الفعلة لا ضمير القصة * قال الزمخشري فمن نصب يعني مثقال كان الضمير للهيئة من الاساءة والاحسان أي كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل فكانت مع صغرها في أخفى موضع وأحرزه كجوف الصخرة أو حيث كانت من العالم العلوي أو السفلي * يأت بها الله يوم القيامة فيحاسب عليها * ان الله لطيف يتوصل علمه الى كل خفي * خبير عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها وبدأ له بما يتعلق به أولا وهو كينونة الشيء في صخرة وهو ما صلب من

الحجر وعسر اخراجه منها ثم اتبعه بالعالم العلوى وهو أغرب للسامع ثم اتبعه بما يكون مقر الاشياء للشاهد وهو الارض وعن ابن عباس والسدى أن هذه الصخرة هى التى عليها الارض * قال ابن عباس هى تحت الارضين السبع يكتب فيها أعمال الفجار * قال ابن عطية قيل أراد الصخرة التى عليها الارض والحوت والماء وهى على ظهر ملك وقيل هى صخرة فى الريح وهذا كله ضعيف لا يثبت سنده وانما معنى الكلام المبالغة والانتهاء فى التفهيم أى ان قدرته تنال ما يكون فى تضاعيف صخرة وما يكون فى السماء والارض انتهى قيل وخفاء الشئ يعرف به بغره عادة و ببعده عن الرائى و بكونه فى ظلمة و باحتجابه ففى صخرة اشارة الى الحجاب وفى السموات اشارة الى البعد وفى الارض اشارة الى الظلمة فان جوف الارض أظلم الاماكن وفى قوله يأت بها الله دلالة على العلم والقدرة كأنه قال يحيط بها علمه وقدرته ولما نهاه أولا عن الشرك وأخبره ثانيا بعلمه تعالى و باهر قدرته أمره بما يتوسل به الى الله من الطاعات فبدأ بأشرفها وهو الصلاة حيث يتوجه اليه بها ثم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم بالصبر على ما يصيبه من المحن جميعها أو على ما يصيبه بسبب الامر بالمعروف ممن يبعثه عليه والنهى عن المنكر ممن ينكره عليه فكثيرا ما يؤذى فاعل ذلك وهذا انما يريد به بعد أن يمثل هو فى نفسه فيأتى بالمعروف * ان ذلك اشارة الى ما تقدم مما نهاه عنه وأمره به والعزم مصدر فاحتمل أن يراد به المفعول أى من معزوم الأمور واحتمل أن يراد به الفاعل أى عازم الأمور كقوله فاذا عزم الأمر * وقال ابن جريج مما عزمه الله وأمر به وقيل من مكارم الاخلاق وعزائم أهل الحزم السالكين طريق النجاة والظاهر انه يريد من لازمات الأمور الواجبة لأن الاشارة بذلك الى جميع ما أمر به ونهى عنه وهذه الطاعات يدل ايصاء لقمان على انها كانت مأمورا بها فى سائر الملل والعزم ضبط الأمر ومراعاة اصلاحه * وقال مؤرج العزم الحزم بلغة هذيل والحزم والعزم أصلان وما قاله المبرد من أن العين قلبت حاء ليس بشئ لاطراد تصاريف كل واحد من اللفظين فليس أحدهما أصلا للآخر * ولا تصعر خدك للناس أى لا تولهم شق وجهك كفعل المتكبر وأقبل على الناس بوجهك من غير كبر ولا اعجاب قاله ابن عباس والجماعة * قال ابن خو يزمنداد نهى أن يذل نفسه من غير حاجه وأورد قريبا من هذا ابن عطية احتمالا فقال و يحتمل أن يريد ولا سؤالا ولا ضراعة بالفقر * قال والأول يعنى تأويل ابن عباس والجماعة أظهر لدلالة ذكر الاختيال والعجز بعده * وقال مجاهد ولا تصعر أراد به الاعراض كهجره بسبب أخيه * وقرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وزيد بن على تصعر بفتح الصاد وشد العين وباقى السبعة بألف والجحدرى يصعر مضارع أصعر * ولا تمش فى الارض مرحا تقدم الكلام على هذه الجملة فى سورة سبحان * ان الله لا يحب كل مختال فخور تقدم الكلام فى النساء على نظير هذه الجملة فى قوله ان الله لا يحب كل مختال فخور ولما وصى ابنه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذ صار هو فى نفسه ممتثلا للمعروف مزدجرا عن المنكر آمرا به غيره وناهيا عنه غيره نهاه عن التكبر على الناس والاعجاب والمشى مرحا وأخبره انه تعالى لا يحب المختال وهو المتكبر ولا الفخور قال مجاهد وهو الذى يعدد ما أعطى ولا يشكر الله و يدخل فى الفخور الفخر بالانساب * واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ولما نهاه عن الخلق الذميم أمره بالخلق الكريم وهو القصد فى المشى بحيث لا يبطئ كما يفعل المتنامسون والمتعاجبون يتناطؤن فى نقل خطواتهم المتنامسين للرياء والمتعاجب للترفع ولا يسرع كما يفعل الخرق المتهور * ونظر أبو جعفر المنصور الى أبى عمرو بن عبيد فقال كلكم يمشى رويدا كلكم يطلب صيدا غير عمرو بن عبيد

﴿ألم تر أن الله سخر لكم﴾ تنبيه على الصفة الدالة على الصانع ﴿ومن الناس﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ومن يسلم﴾ تقدم أيضا ولما ذكر حال الكافر المجادل ذكر حال المسلم وأخبر بان منتهى الامور صائر اليه تعالى ﴿ولو أن ما فى الارض﴾ قالت اليهود ان الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام وخلفها فينا ومعنا فقال الرسول (١٨٩) صلى الله عليه وسلم التوراة وما فيها من الانباء قليل فى علم الله تعالى فنزلت هذه الآية ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر الا كنفس واحدة أى الا كخلق نفس واحدة وبعثها و ﴿من شجرة﴾ تبيين لما الموصولة له و ﴿اقلام﴾ خبر لأن وقرئ والبحر بالنصب على الاشتغال أو عطفا على ما وبالرفع على الابتداء والجملة حالية ما نفدت جواب و ﴿من بعده﴾ أى من بعد نفاد ما فيه ﴿سبعة أبحر﴾ لا يراد به الاقتصار على هذا العدد بل جيء به للكثرة كقوله المؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء لا يراد به العدد بل ذلك اشارة الى القلة والكثرة ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعا فى الاصل للتكثير وان كان مرادا به هنا التكثير جاء مميزا بلفظ القلة وهو أبحر ولم يقل بحور وان كان لا يراد أيضا الا التكثير ليناسب بين اللفظين فكما تجوز فى سبعة واستعمل للتكثير كذلك تجوز فى أبحر واستعمل للتكثير وفى الكلام جملة محذوفة يدل عليها المعنى تقديره وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت [illegible] الاقلام والمداد الذى فى البحر [illegible] كلمات الله تعالى [illegible] لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الآ

* وقال ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهود ودبيب النصارى ولكن مشيا بين ذلك وقيل معناه اجعل بصرك موضع قدمك * وقرئ وأقصد بهمزة القطع أى سدد فى مشيك من أقصده الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية ونسبها ابن خالويه للحجاز والغض من الصوت التنقيص من رفعه وجهارته والغض رد طموح الشئ كالصوت والنظر والزمام وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت وتمدح به فى الجاهلية ومنه قول الشاعر

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الرواء جهير النعيم

ويخطو على الأين خطو الظليم * ويعلو الرجال بخلق عميم

وغض الصوت أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه وأنكر أفعل ان بنى من فعل المفعول كقولهم أشغل من ذات النحيين وبناؤه من ذلك شاذ والاصوات أصوات الحيوان كلها وأنكر جماعة للذام اللاحقة للاصوات والحمار مثل فى الذم البليغ والشتيمة شبه الرافعون أصواتهم بالحمير وأصواتهم بالنهاق ولم يؤت بأداة التشبيه بل أخرج مخرج الاستعارة وهذه أقصى مبالغة فى الذم والتنفير عن رفع الصوت ولما كان صوت الحمير متماثلا فى نفسه لا يكاد يختلف فى الفظاعة أفرد لانه فى الأصل مصدر وأما أصوات الحيوان غير الحمير فمختلفة جدا جمعت فى قوله ان أنكر الأصوات فالمعنى أنكر أصوات الحيوان بالجمع بغير لام * وقال الحسن كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات فرد عليهم بانه لو كان خيرا فضل به الحمير والظاهر أن قوله ان أنكر الأصوات لصوت الحمير من كلام لقمان لابنه تنفيرا له عن رفع الصوت وممائلة الحمير فى ذلك قيل هو من كلام الله تعالى وفرغت وصية لقمان فى قوله واغضض من صوتك ردا لله به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ورفع الصوت يؤذى السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرج الغشاء الذى هو داخل الأذن وقيل واقصد فى مشيك اشارة الى الأفعال واغضض من صوتك اشارة الى الأقوال فنبه على التوسط فى الافعال وعلى الاقلال من فضول الكلام ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما فى السموات والارض ان الله هو الغنى الحميد ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ان الله سميع بصير﴾ سخر لكم تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع من تسخير ما فى السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب

ومافى الارض من الحيوان والنبات والمعادن والبحار وغير ذلك وذلك لا يكون الا بمسخر من مالك متصرف كما يشاء * وقرأ ابن عباس ويحيى بن عمارة وأصبغ بالصاد وهى لغة لبنى كلب يبدلونها من السين اذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صادا وباقى القراء بالسين على الاصل * وقرأ الحسن والاعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع وأبو عمرو وحفص نعمه جمعا مضافا للضمير وباقى السبعة وزيد ابن على نعمة على الافراد والظاهر انه يراد بالنعمة الظاهرة الاسلام والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة * وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح والباطنة القلب والعقل والفهم والذى ينبغى أن يقال ان الظاهرة مما يدرك بالمشاهدة والباطنة مالا يعلم الا بدليل أو لا يعلم أصلا فكم من نعمة فى بدن الانسان لا يعلمها ولا يهتدى الى العلم بها وانتصب ظاهرة على الحال من نعمه الجمع على الصفة ومن نعمة على الافراد وتقدم الكلام على ومن الناس الى منير فى الحج وعلى ما بعده الى آباءنا فى نظيره فى البقرة * أولو كان تقديره أيتبعونهم فى أحوالهم وفى هذه الحال التى لا ينبغى أن لا يتبع فيها الآباء لانها حال تلف وعذاب وقد تقدم لنا ان مثل هذا التركيب الذى فيه ولو انما يكون فى الشئ الذى كان ينبغى أن لا يكون نحو اعطوا السائل ولو جاء على فرس ردوا السائل ولو بظلف محرف * وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وكذلك هذا كان ينبغى من دعا الى عذاب السعير أن لا يتبع * وقرأ الجمهور * ومن يسلم مضارع أسلم وعلى والسلمى وعبد الله بن مسلم بن يسار بتشديد اللام مضارع سلم وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة فى البقرة والمراد التفويض الى الله * فقد استمسك بالعروة الوثقى تقدم الكلام عليه فى البقرة * وقال الزمخشرى من باب التمثيل مثلت حال المتوكل بحال من تدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه انتهى ولما ذكر حال الكافر المجادل ذكر حال المسلم وأخبر بأن منتهى الأمور صائرة اليه * وقال ابن عطية والعروة موضع التعليق فكأن المؤمن متعلق بأمر الله فشبه ذلك بالعروة وسلى رسوله بقوله ومن كفر الى آخره وشبه الزام العذاب وارهاقهم اليه باضطرار من يضطر الى الشئ الذى لا يمكنه دفعه ولا الانفكاك منه والغلظ يكون فى الاجرام فاستعير للمعنى والمراد الشدة * ليقولن الله أقام الحجة عليهم بانهم يقرون بأن الله هو خالق العالم بأسره ويدعون مع ذلك الها غيره * قل الحمد لله على ظهور الحجة عليهم * بل أكثرهم لا يعلمون اضراب عن مقدر تقديره ليس دعواهم نحو لا يعلمون ان ما ارتكبوه من ادعاء اله غير الله لا يصح ولا يذهب اليه ذو علم ثم أخبر انه مالك العالم كله وانه هو الغنى فلا افتقار له لشئ من الموجودات * الحميد المستحق الحمد على ما أنشأ وأنعم * ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام تقدم فى أول السورة سبب نزول هذه الآية ولما ذكر تعالى أن مافى السموات والارض ملك له وكان ذلك متناهيا بين ان فى قدرته وعلمه عجائب لا نهاية لها فقال ولو ان مافى الارض وأن بعد لو فى موضع رفع على الفاعلية أى لو وقع أو ثبت على رأى المبرد أو فى موضع مبتدا محذوف الخبر على رأى غيره وتقرر ذلك فى علم النحو * ومن شجرة تبيين لما هو فى التقرير فى موضع الحال من الضمير الذى فى الجار والمجرور المستقل من العامل فيه وتقديره ولو أن الذى استقر فى الارض كائنا من شجرة وأقلام خبر لان وفيه دليل على بطلان دعوى الزمخشرى وبعض العجم ممن نصر قوله ان خبر ان الجائية بعد لو لا يكون اسما جامدا ولا اسما مشتقا بل يجب أن يكون فعلا وهو قول باطل ولسان العرب طافح بالزيادة عليه * قال الشاعر

ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأيما

(وقال آخر)

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر * تنبو الحوادث عنه وهو ملموم

(وقال آخر)

ولو أن حيا فائت الموت فاته * أخو الحرب فوق القارح القدوان

وهو كثير في لسانهم والظاهران الواو في قوله والبحر في قراءة من رفع وهم الجمهور واو الحال والبحر مبتدا و يمده الخبر أي حال كون البحر ممدودا * وقال الزمخشري عطفا على محل إن ومعمولها على ولو ثبت كون الاشجار أقلاما وثبت ان البحر ممدودا بسبعة أبحر انتهى وهذا لا يتم الا على رأي المبرد حيث زعم ان أن في موضع رفع على الفاعلية * وقال بعض النحويين هو عطف على أن لأنها في موضع رفع بالابتداء وهو لا يتم الا على رأي من يقول ان أن بعد لو في موضع رفع على الابتداء ولو لا يليها المبتدا اسما صريحا الا في ضرورة شعر نحو قوله

لو بغير الماء حلقي شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

فاذا عطف والبحر على ان ومعمولها وهما رفع بالابتداء لزم من ذلك أن لو يليها الاسم مبتدأ اذ يصير التقدير ولو البحر وذلك لا يجوز الا في الضرورة الا أنه قد يقال انه يجوز في المعطوف عليه نحو رب رجل وأخيه يقولان ذلك * وقرأ عبد الله و بحر يمده بالتنكير بالرفع والواو للحال أو للعطف على ما تقدم وان كانت الواو واو الحال كان بحر وهو نكرة مبتدأ وذكروا في مسوغات الابتداء بالنكرة أن تكون واو الحال تقدمته نحو قوله

سرينا ونجم قد أضاء فقد بدا * محياك أخفى ضوؤه كل شارق

* وقرأ الجمهور يمده بالياء من مد وابن مسعود وابن عباس بتاء التأنيث من مد أيضا وعبد الله أيضا والحسن وابن مطرف وابن هرمز بالياء من تحت من أمد وجعفر بن محمد والبحر مداده أي يكتب به من السواد * وقال ابن عطية هو مصدر انتهى من بعده أي من بعد نفاد مافيه سبعة أبحر لا يراد به الاقتصار على هذا العدد بل جيء به للكثرة * كقوله المؤمن يأكل في معي واحد والكافر في سبعة أمعاء لا يراد به العدد بل ذلك اشارة الى القلة والكثرة ولما كان لفظ سبعة ليس موضوعا في الأصل للتكثير وان كان مرادا به التكثير جاء مميزه بلفظ القلة وهو أبحر ولم يقل بحور وان كان لا يراد به أيضا الا التكثير ليناسب بين اللفظين فكما يجوز في سبعة واستعمل للتكثير كذلك يجوز في أبحر واستعمل للتكثير وفي الكلام جملة محذوفة يدل عليها المعنى وكتب بها الكتاب كلمات الله مانفدت والمعنى ولو أن أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الاقلام و بذلك المداد كلمات الله مانفدت و نفدت الاقلام والمداد الذي في البحر وما يمده كما قال لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الآية * وقال الزمخشري (فان قلت) زعمت ان قوله * والبحر يمده حال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال (قلت) هو كقوله * وقد اغتدي والطير في وكناتها * وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف يجوز أن يكون المعنى و بحرها والضمير للارض انتهى وهذا الذي جعله سؤالا وجوابا من واضح النحو الذي لا يجهله المبتدئون فيه وهو أن الجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو لا يحتاج الى ضمير ربط واكتفي بالواو فيها وأما قوله وما أشبه ذلك من الاحوال التي حكمها حكم الظروف فليس بجيد لأن الظرف

بسبعة أبحر انتهى (ح) هذا لا يتم الا على رأي المبرد حيث زعم أن أن في موضع رفع على الفاعلية (ش) فان قلت زعمت أن قوله والبحر يمده قال في أحد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله * وقد اغتدي والطير في وكناتها * وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون المعنى و بحرها والضمير للارض انتهى (ح) هذا الذي جعله سؤالا وجوابا من واضح النحو الذي لا يجهله المبتدئون فيه وهو أن الجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو لا تحتاج الى ضمير ربط واكتفي بالواو فيها وأما قوله وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف فليس بجيد لأن الظرف اذا وقع حالا ففي العامل فيه ضمير ينتقل الى الظرف والجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو فليس فيها ضمير منتقل وأما قوله ويجوز فلا يجوز الا على رأي كوفي حيث يجعلون أل عوضا من الضمير

﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار﴾ جاء هنا الى أجل ويدل على الانتهاء أي يبلغه وينتهي إليه وفي الزمر لأجل ويدل على الاختصاص فيجعل الجرى مختصا بادراك أجل مسمى وجرى الشمس مختص بأجزاء السنة وجرى

القمر بأجزاء الشهر فكلا المعنيين مناسب لجريهما فلذلك عدى بهما ﴿ذلك بأن الله﴾ تقدم الكلام عليه وصبار شكور بنيتا مبالغة وفعال أبلغ لزيادة حروفه ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعم وختم هنا ببنيتي مبالغة وهما ختار وكفور فالصبار الشكور معترف بآيات الله تعالى والختار الكفور يجحدها وتوازنت هذه الكلمات لفظا ومعنى أما لفظا فظاهر وأما معنى فالختار هو الشديد الغدر والغدر لا يكون الامن قلة الصبر لان الصابر يفوض أمره الى الله تعالى وأما الغدار فيعهد ويغدر فلا يصبر على العهد وأما الكفور فقابله معنى الشكور واضحة ولما ذكر تعالى الدلائل على وحدانيته والحشر من أول السورة أمر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم

اذا وقع حالا ففي العامل فيه ضمير ينتقل الى الظرف والجملة الاسمية اذا كانت حالا بالواو فليس فيها ضمير منتقل * وأما قوله ويجوز فلا يجوز الا على رأي الكوفيين حيث يجعلون أل عوضا من الضمير * وقال الزمخشري (فان قلت) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر (قلت) أريد تفصيل الشجر ونقضها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر واحدة الا قد بريت أقلاما انتهى وهذا النوع هو مما أوقع فيه المفرد موقع الجمع والنكرة موقع المعرفة ونظيره ما ننسخ من آية * ما يفتح الله للناس من رحمة * ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة وكقول العرب هو أول فارس وهذا أفضل عالم يريد من الآيات ومن الرحمات ومن الدواب وأول الفرسان أخبروا بالمفرد والنكرة وأرادوا به معنى الجمع المعرف بأل وهو مهيع في كلام العرب معروف وكذلك يتقدر هذا من الشجرات أو من الأشجار وفي هذا الكلام من المبالغة في تكثير الأقلام والمداد ما ينبغي أن يتأمل وذلك ان الاشجار مشتمل كل واحدة منها على الاغصان الكثيرة وتلك الاغصان كل غصن منها يقطع على قدر القلم فيبلغ عدد الاقلام في التناهي الى ما لا يعلم به ولا يحيط الا الله تعالى * وقرأ الجمهور ما نفدت كلمات الله بالألف والتاء * وقرأ زيد بن علي كلة الله على التوحيد * وقرأ الحسن ما نفد بغير تاء كلام الله * قال أبو علي المراد بالكلمات والله أعلم ما في المعدوم دون ما خرج من العدم الى الوجود * وقالت فرقة المراد بكلمات الله معلوماته * وقال الزمخشري (فان قلت) الكلمات جمع قلة والمواضع مواضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله (قلت) معناه ان كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه انتهى وعلى تسليم ان كلمات جمع قلة مجموع القلة اذا تعرفت بالألف واللام غير العهدية أو أضيفت عمت وصارت لا تخص القليل والعام مستغرق لجميع الافراد * ان الله عزيز كامل القدرة فقدوراته لا نهاية لها حكيم كامل العلم فمعلوماته لا نهاية لها ولما ذكر تعالى كمال قدرته وعلمه ذكر ما يبطل استبعادهم للحشر * الا كنفس واحدة الا كخلق نفس واحدة وبعثها ومن لا نفاد لكلماته يقول للموتى كونوا فيكونون فالقليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت في قدرته * وقال النقاش هذه الآية في أبي بن خلف وأبي الاسد ونبيه ومنبه ابني الحجاج قالوا يا محمد انا نرى الطفل يخلق بتدريج وأنت تقول الله يعيدنا دفعة واحدة فنزلت * ان الله سميع بصير سميع كل صوت بصير يبصر كل مبصر في حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث ﴿ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ ان الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا

(الدر)

(ش) فان قلت الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت معناه أن كلماته لا تفي بكتبها البحار فكيف بكلمه انتهى (ح) وعلى تسليم أن كلمات جمع قلة فجموع القلة اذا تعرفت بالالف واللام غير العهدية أو أضيفت عمت وصارت لا تخص القليل والعام مستغرق لجميع الافراد

العظيم ﴿لا يجزى﴾ لا يقضى ومنه قيل للمتقاضى المتجازى ولما كان الوالد أكثر شفقة على الولد من الولد على أبيه بدأ به أولا وأتى فى الاسناد الى الوالد بالفعل المقتضى للتجدد لان شفقته متجددة على الولد فى كل حال وأتى فى الاسناد الى الولد باسم الفاعل لأنه يدل على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والجملة من لا يجزى صفة ليوم (١٩٣) والضمير محذوف أى فيه فاما أن يحذف برمته واما على التدريج حذف حرف الجر فتعدى الفعل الى الضمير وهو منصوب فحذف ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾ روى ان الحارث بن عمارة المحاربى قال يارسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى قد ألقيت حباتى فى الأرض وقد أبطأت عنى السماء فتى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت على ما فى بطنها أذكر أم أنثى وعلمت ما عملت أمس فا أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت وفى الحديث خمس لا يعلمهن الا الله وتلا هذه الآية وعلم مصدر أضيف الى الساعة والمعنى علم تعيين وقتها و ينزل الغيث فى ابانه من غير تقديم ولا تأخير ﴿ما فى الأرحام﴾ من ذكر أم أنثى أم ناقص ﴿وما تدرى نفس﴾ برة أوفاجرة ﴿ماذا تكسب غدا﴾ من خير أوشر وربما عزمت على أحدهما فعملت بضده ﴿بأى أرض تموت﴾ ربما أقامت بمكان ناوية أن لا تفارقه الى أن تدفن به ثم تدفن بمكان لم يخطر لها ببال قط وأسند العلم لله تعالى والدراية للنفس لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة ولذلك وصف الله تعالى بالعالم ولا

ولا يغرنكم بالله الغرور ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير ﴿ يولج الليل الجملتين شرحت فى آل عمران وهنا الى أجل ويدل على الانتهاء أى يبلغه وينتهى اليه وفى الزمر لأجل ويدل على الاختصاص بجعل الجرى مختصا بادراك أجل مسمى وجرى الشمس مختص بآخر السنة وجرى القمر بآخر الشهر فكلا المعنيين متناسب لجريهما فلذلك عدى بهما * وقرأ عياش عن أبى عمرو بما يعملون بياء الغيبة * ذلك بأن الله الآية تقدم شرحها فى الحج وهنا وأن ما يدعون من دونه الباطل وفى الحج من دونه هو الباطل بزيادة هو ولما ذكر تعالى تسخير النيرين وامتنانه بذلك علينا ذكر أيضا من سخر الفلك من العالم الارضى بجامع ما اشتركا فيه من الجريان * وقرأ الجمهور بنعمة الله على الافراد اللفظى * وقرأ الأعرج والاعمش وابن يعمر بنعمات الله بكسر النون وسكون العين جمعا بالالف والتاء * وقرأ ابن أبى عبلة بفتح النون وكسر العين وبالالف والتاء والباء وتحتمل السببية أى تجرى بسبب الريح وتسخير الله وتحتمل الحالية أى مصحوبة بنعمة الله وهى ما تحمله السفن من الطعام والارزاق والتجارات * وقال ابن عطية الباء للالصاق انتهى * وقرأ موسى بن الزبير الفلك بضم اللام * وصبار شكور بنيتا مبالغة وفعال أبلغ لزيادة حرف فيه ولما تقدم ذكر جرى الفلك فى البحر وكان فى ذلك ما لا يخفى على راكبه من الخوف وتقدم ذكر النعمة ناسب الختم بالصبر على ما يحذر وبالشكر على ما أنعم به تعالى وشبه الموج فى ارتفاعه واسوداده واضطرابه بالظلل وهو السحاب وقيل كالظلل كالجبال أطلق على الجبل ظلة * وقرأ محمد بن الحنفية كالظلال وهما جمع ظلة نحو قلة وقلال * وقوله واذا غشيهم فيه التفات خرج من ضمير الخطاب فى ليريكم الى ضمير الغيبة فى غشيهم وموج اسم جنس يفرق بينه وبين مفرده بتاء التأنيث فهو يدل على الجمع ولذلك شبه بالجمع * فنهم مقتصد * قال الحسن أى مؤمن يعرف حق الله فى هذه النعم * وقال مجاهد مقتصد على كفره أى يسلم لله ويفهم ان نحو هذا من القدرة وان ضل فى الاصنام من جهة انه يعظمها قيل أو مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر * قال الزمخشرى يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا ينبغى لأحد قط انتهى وكثر استعمال الزمخشرى قط ظرفا والعامل فيه غير ماض وهو مخالف لكلام العرب فى ذلك فقيل حذف مقابل فنهم مؤمن مقتصد تقديره ومنهم جاحد ودل عليه قوله وما يجحد بآياتنا وعلى هذا القول يكون مقتصد معناه مؤمن مقتصد فى أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء موف بما عاهد الله عليه فى البحر وختم هنا ببنيتى مبالغة وهما ختار وكفور فالصبار الشكور معترف بآيات الله والختار الكفور يجحد بها وتوازنت هذه الكلمات لفظا ومعنى أما لفظا فظاهر وأما معنى فالختار هو الغدار والغدر لا يكون إلا من قلة الصبر لان الصبار يفوض أمره الى الله وأما الغدار فيعهد ويغدر فلا يصبر على العهد وأما الكفور فقابلته

(الدر) (ش) يعنى أن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا ينبغى لأحد قط انتهى (ح) كثر استعمال (ش) قط ظرفا والعامل فيه غير ماض وهو مخالف لكلام العرب فى ذلك

معنى للشكور واضحة ولما ذكر تعالى الدلائل على الوحدانية والحشر من أول السورة أمر بالتقوى على سبيل الموعظة والتذكير بهذا اليوم العظيم * لا يجزى لا يقضى ومنه قيل للتقاضى المتجازى وتقدم الكلام فى ذلك فى أوائل البقرة ولما كان الوالد أكثر شفقة على الولد من الولد على أبيه بدأ به أولا وأتى فى الاسناد الى الوالد بالفعل المقتضى للتجدد لأن شفقته متجددة على الولد فى كل حال وأتى فى الاسناد الى الولد باسم الفاعل لانه يدل على الثبوت والثبوت يصدق بالمرة الواحدة والجملة من لا يجزى صفة ليوم والضمير محذوف أى منه فاما أن يحذف برمته واما على التدريج حذف الخبر فتعدى الفعل الى الضمير وهو منصوب فحذف * وقرأ الجمهور لا يجزى مضارع جزى وعكرمة بضم الياء وفتح الزاى مبنيا للمفعول وأبو السماك وعامر بن عبد الله وأبو السوار لا يجزئ بضم الياء وكسر الزاى مهموزا ومعناه لا يغنى يقال أجزأت عنك جزاء فلان أى أغنيت ويجوز فى ولا مولود وجهان * أحدهما أن يكون معطوفا على والد والجملة من قوله هو جاز صفة لمولود * والثانى أن يكون مبتدأ وهو مبتدأ ثان وجاز خبره والجملة خبر للأول وجاز الابتداء به وهو نكرة لوجود مسوغ ذلك وهو النفى وذهل المهدوى فقال لا يكون مولود مبتدأ لانه نكرة وما بعده صفة فيبقى بلا خبر وشيأ منصوب بجاز وهو من باب الاعمال لانه يطلبه لا يجزى ويطلبه جاز فجعلناه من اعمال الثانى لانه المختار * وقرأ ابن أبى اسحق وابن أبى عبلة ويعقوب نغرنكم بالنون الخفيفة * وقرأ سماك بن حرب وأبو حيوة الغرور بالضم وهو مصدر والجمهور بالفتح وفسره ابن مجاهد والضحاك بالشيطان ويمكن حمل قراءة الضم عليه جعل الشيطان نفس الغرور مبالغة * وقال الزمخشرى (فان قلت) قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيأ هو وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه (قلت) الأمر كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه هذا السنن أن الخطاب للمؤمنين وغالبهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فأريد حسم اطماعهم واطماع الناس أن ينفعوا آباءهم فى الآخرة وأن يشفعوا لهم وأن يغنوا عنهم من الله شيأ فلذلك جىء به على الطريق الأوكد ومعنى التوكيد فى لفظ المولود أن الواحد منهم لو شفع للوالد الأدنى الذى ولد منه لم تقبل شفاعته فضلا أن يشفع لمن فوقه من أجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك * ان الله عنده علم الساعة * يروى أن الحارث بن عمارة المحاربى قال يا رسول الله أخبرنى عن الساعة متى قيامها وانى لقد ألقيت حباتى فى الأرض وقد أبطأت عنى السماء متى تمطر وأخبرنى عن امرأتى فقد اشتملت على ما فى بطنها أذكر أم أنثى وعلمت ما عملت أمس فما أعمل غدا وهذا مولدى قد عرفته فأين أموت فنزلت * وفى الحديث خمس لا يعلمهن إلا الله وتلا هذه الآية وعلم مصدر أضيف الى الساعة والمعنى علم بقين وفيها وينزل الغيث فى آيانه من غير تقديم ولا تأخير * ما فى الأرحام من ذكر أم أنثى تام أو ناقص وما تدرى نفس برة أو فاجرة * ماذا تكسب غدا من خير أو شر وربما عزمت على أحدهما فعملت ضده * بأى أرض تموت وربما أقامت بمكان ناوية أن لا تفارقه الى أن تدفن به ثم تدفن فى مكان لم يخطر لها ببال قط وأسند العلم الى الله والدراية للنفس لما فى الدراية من معنى الختل والحيلة ولذا وصف الله بالعالم ولا يوصف بالدارى وأما قوله * لاهم لا أدرى وأنت الدارى * فقول عربى جلف جاهلى جاهل بما يطلق على الله من الصفات وما يجوز منها وما يمتنع * وقرأ الجمهور بأى أرض وقرأ موسى الاسوارى وابن أبى عبلة بأية أرض بتاء التأنيث لاضافتها الى الموت وهى لغة

يوصف بالدارى وبأى متعلق بتموت والباء ظرفية أى من أى أرض فالجملة فى موضع نصب بتدرى ووقع الاخبار بان الله تعالى استأثر بعلم هذه الخمس لانها جواب لسائل سأل وهو سبحانه وتعالى مستأثر بعلم أشياء لا يحصيها الا هو تعالى وتقدس

﴿ سورة السجدة ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ الم تنزيل الكتاب لاريب فيه ﴾ هذه السورة مكية وقال ابن
عباس الاثلاث آيات نزلن بالمدينة * ومناسبتها لماقبلها أنه تعالى لماذكر فيما قبلها دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل
الأول ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثانى وختم به السورة ذكر فى بدء هذه السورة الأصل الثالث وهو تبيين الرسالة
والكتاب هو القرآن والظاهر أن يكون تنزيل مبتدأ ولاريب فيه اعتراضا ومن رب العالمين الخبر قال الزمخشرى من رب
العالمين متعلق بتنزيل وفى الكلام تقديم وتأخير ويجوز ان يتعلق بقوله لاريب أى لاشك فيه من جهة الله تعالى فان وقع شك
الكفرة فذلك لايراعى والريب الشك وكذا هو فى كل القرآن الاقوله ريب المنون انتهى واذا كان تنزيل خبر مبتدإ وكانت
الجملة اعتراضية بين ما افتقر الى غيره وبينه لم يقل فيه ان فيه تقديما وتأخيرا بل لو تأخر لم يكن اعتراضا وأما كونه متعلقا بلاريب
فليس بالجيد لان نفى الريب عنه مطلقا هو المقصود كان المعنى لامدخل للريب فيه انه تنزيل الله تعالى لأن موجب نفى الريب عنه
موجود وهو الاعجاز وهو أبعد شئ من الريب ﴿ أم يقولون افتراه ﴾ تقدم الكلام عليه ومن ربك فى موضع الحال أى كائنا
من عند ربك وبه يتعلق بلتنذر أو بمحذوف تقديره أنزله لتنذر والقوم: ناقريش والعرب وما نافية
ومن نذير من زائدة ونذير
فاعل أتاهم أخبر تعالى انه
لم يبعث اليهم رسولا
بخصوصيتهم قبل محمد صلى
الله عليه وسلم لاهم ولا آباؤهم
لكنهم كانوا متعبدين
بملة إبراهيم واسماعيل
عليهما السلام ومازالوا
على ذلك الى أن غير ذلك
بعض رؤسائهم وعبدوا
الاصنام وعم ذلك فهم
مندرجون تحت قولهم
وان من أمة الاخلا فيها
نذير أى شريعته ودينه
والنذير ليس مخصوصا
بمن باشر بل يكون نذيرا لمن باشره ولغير من باشره والعرب ممن سبق لها نذير ولم يباشرهم نذير غير محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ فى
ستة أيام ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ يدبر الامر ﴾ واحد الامور أى ينفذ الله قضاءه بجميع مايشاؤه ﴿ ثم يعرج إليه ﴾ أى يصعد
خبر ذلك ﴿ فى يوم ﴾ من أيام الدنيا ﴿ مقداره ﴾ ان سير فيه السير المعروف من البشر ﴿ ألف سنة ﴾ لان مابين السماء والارض خمسمائة
عام والضمير فى مقداره عائد على التدبير أى كان مقدار التدبير المقضى من يوم ألف سنة لو دبره البشر * وقرئ خلقه بسكون
اللام وهو بدل اشتمال من قوله كل التقدير أحسن خلق كل شئ وقرئ بفتح اللام فعلا ماضيا فالضمير المنصوب فيه ان عاد على
كل كانت الجملة صفة له فى موضع نصب وان عاد على شئ كانت الجملة فى موضع جر صفة له ﴿ وبدأ خلق الانسان من طين ﴾
هو آدم عليه السلام ﴿ ثم جعل نسله ﴾ أى ذريته نسل من الشئ انفصل منه ﴿ ثم سواه ﴾ أى قومه وأضاف الروح الى ذاته دلالة
على أنه خلق عجيب لايعلم حقيقته الا الله تعالى وهو اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق سبحانه وتعالى ﴿ وجعل لكم ﴾ التفات
اذ هو خروج من مفرد غائب الى جمع مخاطب ونعديد النعم وهى شاملة لآدم كما أن التسوية ونفخ الروح شامل له ولذريته و ﴿ قليلا ﴾
نعت لمصدر محذوف وما زائدة والتقدير تشكرون شكرا قليلا والظاهر أن الضمير فى وقالوا للجمع وقيل القائل أبى بن خلف وأسند
الى الجميع لرضاهم به والناصب للظرف محذوف يدل عليه المعنى تقديره أنبعث اذا ضللنا فى الأرض وهو استفهام استبعاد واستهزاء

قليلة فيهما كما أن كلا اذا أضيفت الى مؤنث قد تؤنث تقول كلهن فعلن ذلك وتدرى معلقة فى
الموضعين فالجملة من قوله ماذا تكسب فى موضع مفعول تدرى ويجوز أن يكون ماذا كلها
موصولا منصوبا بتدرى كأنه قال وماتدرى نفس الشئ التى تكسب غدا وبأى متعلق بتموت
والباء ظرفية أى فى أى أرض فالجملة فى موضع نصب بتدرى ووقع الاخبار بان الله استأثر بعلمه
هذه الخمس لانها جواب لسائل سأل وهو يستأثر بعلم أشياء لايحصيها الا هو وهذه الخمس

﴿ سورة السجدة ثلاثون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر
قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون الله الذى خلق السموات والأرض ومابينهما فى ستة
أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولى ولاشفيع أفلاتتذكرون يدبر الأمر من السماء
الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز
الرحيم الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين
ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون وقالوا أئذا

وأصله من ضل الماء في اللبن اذا ذهب فيه ﴿ أئنا ﴾ استفهام استبعاد واستهزاء أيضا ﴿ بل هم بلقاء ربهم ﴾ اضراب عن معنى استفهامهم كأنه قال ليسوا مستفهمين هم ﴿ كافرون ﴾ جاحدون بلقاء الله والصيرورة الى جزائه ثم أمره تعالى أن يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة من قبض أرواحهم ثم عودهم الى جزاء ربهم بالبعث وملك الموت عليه السلام اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله ﴿ ولو ترى ﴾ الظاهر انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل له ولأمته أي ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب قال الزمخشري ويجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كأنه قيل وليتك ترى والتمني له كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله تمني ان يراهم على تلك الصفة القطعية من الحياء والخزي والغم لشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا ويجوز ان يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساءك فلا تريد به مخاطبا بعينه وكأنك قلت ان أكرم وان أحسن اليه انتهى * والتمني في هذا الموضع بلو بعيد وتسمية لو امتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة في لو انها لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه (١٩٦) وقوله قد حذف جوابها وتقديره وليتك ترى مما يدل على انها اذا كانت للتمني لا جواب لها والصحيح انها اذا أشربت معنى التمني يكون لها جواب كحالها اذا لم تشرب به قال الشاعر

فلو نبش المقابر عن كليب
* فتخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقر عينا *
وكيف لقاء من تحت القبور

* وقال الزمخشري وقد تجيء لو في معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني كما تقول ليتك تأتيني فقال ابن مالك ان أراد به الحذف أي وددت تأتيني فصحيح وان أرادانها موضوعة

ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون ﴾ هذه السورة مكية قيل الاخمس آيات تتجافى الى تكذبون * وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي الا ثلاث آيات نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمنا قال كفار قريش لم يبعث الله محمدا الينا وانما الذي جاء به اختلاق منه فنزلت ولما ذكر تعالى فيما قبلها دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل الأول ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثاني وختم به السورة ذكر في بدء هذه السورة الاصل الثالث وهو تبيين الرسالة والكتاب القرآن * قال الحوفي تنزيل مبتدأ ولا ريب خبره ويجوز أن يكون تنزيل خبر مبتدأ أي هذا المتلو تنزيل أو هذه الحروف تنزيل والم بدل على الحروف * وقال أبو البقاء الم مبتدأ وتنزيل خبره بمعنى المنزل ولا ريب فيه حال من الكتاب والعامل فيه تنزيل ومن رب العالمين متعلق بتنزيل أيضا ويجوز أن يكون حالا من الضمير في فيه والعامل فيه الظرف ويجوز أن يكون تنزيل مبتدا ولا ريب فيه الخبر ومن رب العالمين حال كما تقدم ولا يجوز على هذا أن يتعلق بتنزيل لان المصدر قد أخبر عنه ويجوز أن يكون الخبر من رب العالمين ولا ريب حال من الكتاب وأن يكون خبرا بعد خبر انتهى والذي أختاره أن يكون تنزيل مبتدا ولا ريب اعتراض ومن رب العالمين الخبر * وقال ابن عطية من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي الكلام تقديم وتأخير ويجوز أن يتعلق بقوله لا ريب أي

للتمني فغير صحيح لانها لو كانت موضوعة له ماجاز ان يجمع بينها و بين فعل التمني لا يقال تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم ولذلك امتنع الجمع بين لعل وأترجى و بين إلا وأستثني ﴿ ناكسو رؤسهم ﴾ أي مطرقوها من الذل والحزن والهم والغم والندم ﴿ عند ربهم ﴾ أي عند مجازاته وهو مكان شدة الخجل لأن المربوب اذا أساء و وقف بين يدي ربه كان في غاية الخجل ﴿ ربنا ﴾ على اضمار يقولون ربنا ﴿ أبصرنا ﴾ ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر ﴿ فارجعنا ﴾ أي الى الدنيا ﴿ انا موقنون ﴾ أي بالبعث

(الدر) ﴿ سورة السجدة ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ع) من رب العالمين متعلق بتنزيل ففي الكلام تقديم وتأخير ويجوز أن يتعلق بقوله لاريب أي لاشك فيه من جهة الله تعالى وان وقع شك الكفرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو في كل القرآن الا قوله ريب المنون انتهى (ح) اذا كان تنزيل خبر مبتدأ وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر الى غيره و بينه لم نقل فيه ان فيه تقديما وتأخيرا بل لو تأخر لم يكن اعتراضا وأما كونه متعلقا بلاريب فليس بالجيد لان نفي الريب عنه مطلقا هو المقصود ولان المعنى لا مدخل الريب فيه أنه تنزيل الله لأن موجب نفي الريب عنه موجود وهو الاعجاز فهو أبعد شيء من الريب وقولهم افتراه كلام جاهل لم يمعن النظر أو جاحد مستيقن أنه من عند الله تعالى فقال ذلك حسدا أو حكما من الله عليه بالضلال

لاشك من جهة الله تعالى وان وقع شك الكفرة فذلك لا يراعى والريب الشك وكذا هو فى كل القرآن الا قوله ريب المنون انتهى واذا كان تنزيل خبر مبتدا محذوف وكانت الجملة اعتراضية بين ما افتقر الى غيره و بينه لم نقل فيه ان فيه تقديما وتأخيرا بل لو تأخر لم يكن اعتراضا وأما كونه متعلقا بلا ريب فليس بالجيد لان نفى الريب عنه مطلقا هو المقصود ولان المعنى لا مدخل للريب فيه انه تنزيل الله لأن موجب نفى الريب عنه موجود فيه وهو الاعجاز فهو أبعد شئ من الريب وقولهم افتراه كلام جاهل لم يمعن النظر أو جاحد مستيقن انه من عند الله فقال ذلك حسدا أو حكما من الله عليه بالضلال * وقال الزمخشرى والضمير فى فيه راجع الى مضمون الجملة كأنه قيل لاريب فى ذلك أى فى كونه منزلا من رب العالمين و يشهد لوجاهته قوله أم يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لأن يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقدير أنه من الله وهذا أسلوب صحيح محكم أثبت أولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك مالاريب فيه ثم أضرب عن ذلك الى قوله أم يقولون افتراه لان أم هى المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجبا منه لظهور أمره فى عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات ثم أضرب عن الانكار الى الاثبات انه الحق من ربك انتهى وهو كلام فيه تكثير * وقال أبو عبيدة أم يكون معناه بل يقولون فهو خروج من حديث الى حديث ومن ربك فى موضع الحال أى كائنا من عند ربك و به متعلق بلتنذر أو بمحذوف تقديره أنزله لتنذر والقوم هنا قريش والعرب وما نافية ومن نذير من زائدة ونذير فاعل أتاهم أخبر تعالى أنه لم يبعث اليهم رسولا بخصوصيتهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم لا لهم ولا لآبائهم لكنهم كانوا متعبدين بملة ابراهيم واسماعيل وماز الوا على ذلك الى أن غير ذلك بعض رؤسائهم وعبدوا الاصنام وعم ذلك فهم مندرجون تحت قوله وان من أمة الا خلافيها نذير أى نذير بعثه ودينه والنذير ليس مخصوصا بمن باشر بل يكون نذيرا لمن باشره ولغير من باشره بالقرب ممن سبق لها نذير ولم يباشرهم نذير غير محمد صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم يأتهم فى الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام * وقال الزمخشرى ما أتاهم من نذير من قبلك كقوله ما أنذر آباؤهم وذلك أن قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم (فان قلت) فاذا لم يأتهم نذير لم تقم عليهم حجة (قلت) أما قيام الحجة بالشرائع التى لا يدرك علمها الا بالرسل فلا وأما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لأن أدلة العقل الموصلة الى ذلك معهم فى كل زمان انتهى والذى ذهب اليه غير ما ذهب اليه المفسرون وذلك أنهم فهموا من قوله ما أتاهم وما أنذر آباؤهم ان ما نافية وعندى ان ما موصولة والمعنى لتنذر قوما العقاب الذى أتاهم من نذير متعلق بأتاهم أى أتاهم على لسان نذير من قبلك وكذلك لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أى العقاب الذى أنذره آباؤهم فما مفعولة فى الموضعين وأنذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة وهذا القول جار على ظواهر القرآن قال تعالى وان من أمة الا خلافيها نذير وأن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا ولما حكى تعالى عنهم أنهم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم افتراه ورد عليهم اقتصر فى ذكر ما جاء به القرآن على الانذار وان كان قد جاء له وللتبشير ليكون ذلك ردعا لهم ولأنه اذا ذكر الانذار صار عند العاقل فكر فيما أنذر به فلعل ذلك الفكر يكون سببا لهدايته * ولعلهم يهتدون ترجية من رسول الله كما كان فى قوله لعله يتذكر أو يخشى من موسى وهرون * قال الزمخشرى وأن

يستعار لفظ الترجي للارادة انتهى يعني أنه عبر عن الارادة بلفظ الترجي ومعناه ارادة اهتدائهم وهذه نزغة اعتزالية لانه عندهم ان يريد هداية العبد فلا يقع مايريده ويقع مايريد العبد تعالى الله عن ذلك ولما بين تعالى أمر الرسالة ذكر ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة الدليل بذكر مبدأ العالم وتقدم الكلام على في ستة أيام في الاعراف * مالكم من دونه من ولي ولا شفيع أي اذا جاوزتموه الى سواه فاتخذتموه ناصرا او شفيعا * أفلا تتذكرون موجد هذا العالم فتعبدوه وترفضوا ماسواه * يدبر الامر الأمر واحد الامور * قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك ينفذ الله قضاءه بجميع مايشاؤه * ثم يعرج اليه أي يصعد خبر ذلك في يوم من أيام الدنيا مقداره أن لو سير فيه السير المعروف من البشر ألف سنة لأن مابين السماء والارض خمسمائة عام * وقال مجاهد أيضا الضمير في مقداره عائد على التدبير أي كان مقدار التدبير المنقضي في يوم ألف سنة لو دبره البشر * وقال مجاهد أيضا يدبر ويلقي الى الملائكة أمور ألف سنة من عندنا وهو اليوم عنده فاذا فرغت ألقى اليهم مثلها فالمعنى ان الامور تنفذ عنه لهذه المدة وتصير اليه آخرا لان عاقبة الامور اليه وقيل المعنى يدبره في الدنيا الى أن تقوم الساعة فينزل القضاء والقدر ثم تعرج اليه يوم القيامة ومقداره ماذكر ليحكم فيه من ذلك اليوم حيث ينقطع أمر الأمراء أو أحكام الحكام وينفرد بالامر كل يوم من أيام الآخرة بألف سنة وهو على الكفار قدر خمسين ألف سنة حسبما في سورة سأل سائل وتأتي الاقوال فيه ان شاء الله تعالى وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض ثم يرجع الى ما كان من قبول الوحي أو رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة ألف سنة لأن المسافة مسيرة ألف سنة في الهبوط والصعود لأن مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وهو يوم من أيامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة ألف سنة في يوم واحد * قال الزمخشري و بداية الامر المأمور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة الاعمال لله والخلوص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على أثره قليلا ماتشكرون انتهى * وقيل يدبر أمر الشمس في طلوعها من المشرق وغروبها في المغرب ومدارها في العالم من السماء الى الارض لانها على أهل الأرض تطلع الى أن تغرب وترجع الى موضعها من الطلوع في يوم مقداره في المسافة ألف سنة والضمير في اليه عائد الى السماء لانها تذكر وقيل الى الله * وقال عبدالله بن سابط يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل للرياح والجنود وميكائيل للقطر والماء وملك الموت لقبض الأرواح واسرافيل لنزول الأمر عليهم * وقيل العرش موضع التدبير ومادونه موضع التفصيل ومادون السموات موضع التعريف * وقال السدي الأمر الوحي وقال مقاتل القضاء وقال غيرهما أمر الدنيا قال الزجاج تقول عرجت في السلم أعرج وعرج الرجل يعرج اذا صار أعرج وقرأ ابن أبي عبلة يعرج مبنيا للمفعول والجمهور مبنيا للفاعل * قال أبو عبدالله الرازي وفي هذا لطيفة وهو أن الله ذكر في الآية المتقدمة عالم الاجسام والخلق وأشار الى عظمة الملك وذكر هنا عالم الارواح والامر بقوله يدبر الأمر والروح من عالم الأمر كما قال قل الروح من أمر ربي وأشار الى دوامه بلفظ يوهم الزمان والمراد دوام النفاذ كما يقال في العرف طال زمان فلان والزمان يمتد فيوجد في أزمنة كثيرة فأشار الى عظمة الملك بالمكان وأشار الى دوامه هنا بالزمان والمكان من خلقه وملكه والزمان بحكمه وأمره انتهى وهو كلام ليس جاريا

على فهم العرب * وقرأ الجمهور مما تعدون بتاء الخطاب * وقرأ السلمي وابن وثاب والأعمش والحسن بياء الغيبة بخلاف عن الحسن * وقرأ جناح بن حبيش ثم تعرج الملائكة بزيادة الملائكة ولعله تفسير منه لسقوطه في سواد المصحف * ذلك أي ذلك الموصوف بالخلق والاستواء والتدبير عالم الغيب والغيب الآخرة والشهادة الدنيا أو الغيب ماغاب عن المخلوقين والشهادة ماشوهد من الأشياء قولان * وقرأ زيد بن علي عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم بخفض الأوصاف الثلاثة وأبو زيد النحوي بخفض العزيز الرحيم * وقرأ الجمهور برفع الثلاثة على انها أخبار لذلك أو الاول خبر والاثنان وصفان ووجه الخفض ان يكون ذلك اشارة الى الأمر وهو فاعل بيعرج أي ثم يعرج اليه ذلك أي الأمر المدبر ويكون عالم ومابعده بدلا من الضمير في اليه وفي قراءة ابن زيد يكون ذلك عالم مبتدأ وخبر والعزيز الرحيم بالخفض بدل من الضمير في اليه * وقرأ الجمهور خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا صفة لكل أو لشيء * وقرأ العربيان وابن كثير بسكون اللام والظاهر أنه بدل اشتمال والمبدل منه كل أي أحسن خلق كل شيء فالضمير في خلقه عائد على كل وقيل الضمير في خلقه عائد على الله فيكون انتصابه نصب المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وهو قول سيبويه أي خلقه خلقا ورجح على بدل الاشتمال بان فيه اضافة المصدر الى الفاعل وهو أكثر من اضافته الى المفعول وبأنه أبلغ في الامتنان لانه اذا قال أحسن كل شيء كان أبلغ من أحسن خلق كل شيء لانه قد يحسن الخلق وهو المجازله ولا يكون الشيء في نفسه حسنا فاذا قال أحسن كل شيء اقتضى ان كل شيء خلقه حسن بمعنى انه وضع كل شيء في موضعه انتهى وقيل في هذا الوجه وهو عود الضمير في خلقه على الله يكون بدلا من كل شيء بدل شيء من شيء وهما العين واحدة ومعنى أحسن حسن لانه مامن شيء خلقه الا وهو مرتب على ماتقتضيه الحكمة فالمخلوقات كلها حسنة وان تفاوتت في الحسن وحسنها من جهة المقصد الذي أريد بها * ولهذا قال ابن عباس ليست القردة بحسنة ولكنها متقنة محكمة وعلى قراءة من سكن لام خلقه قال مجاهد أعطى كل جنس شكله والمعنى خلق كل شيء على شكله الذي خصه به * وقال الفراء ألهم كل شيء خلقه فيما يحتاجون اليه كأنه أعلمهم ذلك فيكون كقوله أعطى كل شيء خلقه * وقرأ الجمهور بدأ بالهمز والزهري بالألف بدلا من الهمزة وليس بقياس أن يقول في هدأ هدا بابدال الهمزة ألفا بل قياس هذه الهمزة التسهيل بين بين على ان الأخفش حكى في قرأت قريت ونظائره وقيل وهي لغة والأنصار تقول في بدأ بدي بكسر عين الكلمة وياء بعدها وهي لغة لطي يقولون في فعل هذا نحو بقي بقا فاحتمل أن تكون قراءة الزهري على هذه اللغة أصله بدي ثم صار بدا أو على لغة الانصار * وقال ابن رواحة

باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا

* وبدأ خلق الانسان هو آدم عليه الصلاة والسلام * ثم جعل نسله أي ذريته نسل من الشيء انفصل منه * ثم سواه قومه وأضاف الروح الى ذاته دلالة على انه خلق عجيب لا يعلم حقيقته الا هو وهي اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق تعالى * وجعل لكم التفات اذ هو خروج من مفرد غائب الى جمع مخاطب وتعديد للنعم وهي شاملة لآدم كما ان التسوية ونفخ الروح شامل له ولذريته والظاهر أن وقالوا الضمير لجمع وقيل القائل أبي بن خلف وأسند الى الجمع لرضاهم به والناصب للظرف محذوف يدل عليه أئنا ومابعدها تقديره انبعث أئذا ضللنا ومن قرأ اذا بغير استفهام فجواب

(الدر) (ش) يجوز أن يكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان أن أحدهما يراد به التمني كأنه قيل وليتك ترى والتمني له كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمنى أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وأن يكون لو الامتناعية قد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا

اذا محذوف أي اذا ضللنا في الارض نبعث ويكون ذلك إخبارا منهم على طريق الاستهزاء وكذلك من قرأ أئنا على الخبر أكدوا ذلك الاستهزاء باستهزاء آخر * وقرأ الجمهور بفتح اللام والمضارع يضل بكسر عين الكلمة وهي اللغة الشهيرة الفصيحة وهي لغة نجد * قال مجاهد هلكنا وكل شيء غلب عليه غيره حتى تلف وخفي فقد هلك وأصله من ضل الماء في اللبن اذا ذهب * وقال قطرب ضللنا غبنا في الأرض وأنشد قول النابغة الذبياني

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

* وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيصن وأبو رجاء وطلحة وابن وثاب بكسر اللام والمضارع بفتحها وهي لغة أبي العالية * وقرأ أبو حيوة ضللنا بالضاد المنقوطة وضمها وكسر اللام مشددة وروي عن علي * وقرأ علي وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد بن العاص صللنا بالصاد المهملة وفتح اللام ومعناه أنتنا وعن الحسن صللنا بكسر اللام يقال صل يصل بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وصل يصل بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع وأصل يصل بالهمزة على وزن افعل * قال الشاعر

تلجلج مضغة فيها أبيض * أصلت فهي تحت الكشح داء

* وقال الفراء معناه صرنا بين الصلة وهي الأرض اليابسة الصلبة * وقال النحاس لا نعرف في اللغة صللنا ولكن يقال أصل اللحم وصل وأخم وخم اذا أنتن وحكاه غيره * بل هم بلقاء ربهم كافرون جاحدون بلقاء الله والمصير ورده الى جزائه ثم أمره تعالى ان يخبرهم بجملة الحال غير مفصلة من قبض أرواحهم ثم عودهم الى جزاء ربهم بالبعث وملك الموت اسمه عزرائيل ومعناه عبد الله * وقرأ الجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل ولو ترى الظاهر انه خطاب للرسول وقيل له ولأمته أي ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرأيت العجب * وقال أبو العباس المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى رأى ان الجملة معطوفة على يتوفاكم داخله تحت قل فلذلك لم يجعله خطابا للرسول والظاهر ان لو هنا لم تشرب معنى التمني بل هي التي لما كان سيقع لوقوع غيره والجواب محذوف أي لرأيت أسوأ حال يرى ولو تعليق في الماضي واذ ظرف للماضي فلتحقق الاخبار ووقوعه قطعا أتى بهما تنزيلا منزلة الماضي * وقال الزمخشري يجوز أن يكون خطابا لرسول الله وفيه وجهان أحدهما أن يراد به التمني كأنه قيل وليتك ترى والتمني له كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو امتناعية وقد حذف جوابها وهو لرأيت أمرا فظيعا ويجوز أن يخاطب به كل أحد كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه وكأنك قلت ان أكرم وان أحسن اليه انتهى والتمني بلو في هذا الموضع بعيد وتسمية لو امتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة لو لما

فظيعا ويجوز أن يخاطب به كل واحد كما تقول فلان لئيم ان أكرمته أهانك وان أحسنت اليه أساء اليك ولا تريد به مخاطبا بعينه وكأنك قلت ان أكرم وان أحسن اليه انتهى (ح) التمني في هذا الموضع بلو بعيد وتسمية لو امتناعية ليس بجيد بل العبارة الصحيحة لو لما كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه وقوله قد حذف جوابها وتقديره وليتك ترى مما يدل على أنها اذا كانت للتمني لاجواب لها والصحيح انها اذا أشربت معنى التمني يكون لها جواب كحالها اذا لم تشرب به وقال الشاعر

فلو نبش المقابر عن كليب * فيخبر بالذنائب أي زير

بيوم الشعثمين لقر عينا * فكيف لقاء من تحت القبور

وقال (ش) وقد تجيء لو في معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني كما تقول ليتك تأتيني فتحدثني فقال ابن مالك ان أراد به الحذف أي وددت لو تأتيني فصحيح وان أراد انها موضوعة للتمني فغير صحيح لانها لو كانت موضوعة له ما جاز أن يجمع بينها وبين فعل التمني لا يقال تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم ولذلك امتنع الجمع بين لعل والترجي وبين الا واستثني انتهى

﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ أي اخترعنا الايمان فيها كقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ﴿فذوقوا﴾ مفعوله محذوف أي العذاب والكاف في كما للتعليل لا للتشبيه وما مصدرية أي لنسيانكم والمراد بنسيانهم اهمالهم وغفلتهم وعدم الفكر في لقاء جزاء ربهم وهذا صفة ليومكم ثم قال انا نسيناكم على المقابلة أي جازينا كم جزاء نسيانكم وذوقوا العذاب المخلد في جهنم ﴿تتجافى جنوبهم﴾ أي ترتفع وتتنحى يقال جفا الرجل الموضع تركه وتجافى الجنب عن الموضع تركه والمضاجع تقدم الكلام عليه * ويدعون حال * وخوفا وطمعا مفعول من أجله أو مصدران في موضع الحال وما مفعولة

كان سيقع لوقوع غيره وهي عبارة سيبويه وقوله قد حذف جوابها وتقديره ولبيتك ترى ما يدل على أنها كانت اذا للتمني لا جواب لها والصحيح انها اذا أشربت معنى التمني يكون لها جواب كحالها اذا لم تشرب به * قال الشاعر

فلو نبش المقابر عن كليب * فيخبر بالذنائب أي زير
بيوم الشعثمين لقر عينا * وكيف لقاء من تحت القبور

* وقال الزمخشري وقد تجيء لو في معنى التمني كقولك لو تأتيني فتحدثني كما تقول ليتك تأتيني فتحدثني فقال ابن مالك ان أراد به الحذف أي وددت لو تأتيني فصحيح وان أراد أنها موضوعة للتمني فغير صحيح لانها لو كانت موضوعة له ما جاز أن يجمع بينها وبين فعل التمني لا يقال تمنيت ليتك تفعل ويجوز تمنيت لو تقوم وكذلك امتنع الجمع بين لعل والترجي وبين الا واستثنى انتهى * ناكسو رؤسهم مطرقوها من الذل والحزن والهم والغم والندم * وقرأ زيد بن علي نكسوا رؤسهم فعلا ماضيا ومفعولا والجمهور باسم فاعل مضاف * عند ربهم أي عند مجازاته وهو مكان شدة الخجل لان المربوب اذا أساء ووقف بين يدي ربه كان في غاية الخجل * ربنا على اضمار يقولون وقدره الزمخشري يستغيثون بقولهم ربنا أبصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا ننكر وأبصرنا صدق وعدك ووعيدك وسمعنا تصديق رسلك وكنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا الى الدنيا * انا موقنون أي بالبعث * قاله النقاش وقيل مصدقون بالذي قال الرسول قاله يحيى بن سلام وموقنون مشعر بالالتباس في الحال أي حين أبصروا وسمعوا وقيل موقنون زالت الآن عنا الشكوك ولم نكن في الدنيا نتدبر وكنا كمن لا يبصر ولا يسمع وقيل لك الحجة ربنا قد أبصرنا رسلك وعجائب في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا وهذا اعتراف منهم

﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا

بتعلم موصولة وقرئ أخفي فعلا ماضيا مبنيا للمفعول ومفعوله ضمير يعود على ما قرئ وأخفي مضارع أخفي ومن قرة تبيين لما انبهم في ما وجزاء مفعول من أجله ﴿أفمن كان مؤمنا﴾ قال ابن عباس نزلت في علي والوليد ابن عقبة تلاحيا فقال له الوليد انا أذلق منك لسانا وأحد سنانا وأرد للكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق فنزلت وأريد هنا بالمؤمن والفاسق الجنس ولذلك جاء جمعا في قوله لا يستوون والفاسق هنا هو الكافر ويبينه انه فسق الكفر التقسيم بعد ذلك ثم بين عدم الاستواء بمقر كل واحد منهما وهو ان المؤمن له الجنة والفاسق له النار قال الزمخشري ويجوز ان يراد لجنة

مأواهم النار أي النار لهم مكان لجنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم انتهى هذا فيه بعد وانما يذهب اليه في مثل فبشرهم بعذاب أليم اذ كان مصرحا به فنقول قام مقام التبشير العذاب وكذلك قام مقام التحية ضرب وجيع اما ان نضمر شيأ الكلام مستغن عنه جار على أحسن وجوه الفصاحة حتى يحمل الكلام على اضمار فليس بجيد والعذاب الادنى هو الاقرب اليهم في الدنيا من القتل والنهب والاسر والعذاب الاكبر عذاب يوم القيامة في النار قال ابن عطية ولا خلاف ان العذاب عذاب الآخرة انتهى وفي كتاب التحرير وأكثرهم على ان العذاب الاكبر عذاب يوم القيامة في النار وقيل هو القتل والسبي والاسر والعذاب وعن جعفر بن محمد أنه خروج المهدي

منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون * لآتينا كل نفس هداها أي اخترعنا الايمان فيها كقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولجعهم على الهدى ولجعل الناس أمة واحدة * وقال الزمخشري على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على أهل العمى دون أهل البصر ألا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان الانهماك في الشهوات أذهلكم وألهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها * ثم قال انا نسيناكم على المقابلة أي جازيناكم جزاء نسيانكم * وقيل هو بمعنى الترك قاله ابن عباس وغيره أي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة انتهى وقوله على طريق الالجاء والقسر هو قول المعتزلة * وقالت الامامية يجوز أن يريد هداها الى طريق الجنة في الآخرة ولم يعاقب أحدا لكن حق القول منه أن يملأ جهنم فلا يجب على الله هداية الكل اليها قالوا بل الواجب هداية المعصومين فأما من له ذنب فجائز هدايته الى النار جزاء على أفعاله وفي جواز ذلك منع لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان انتهى * وهذا صفة ليومكم ومفعول فذوقوا محذوف أو مفعول فذوقوا هذا العذاب بسبب نسيانكم لقاء يومكم هذا وهو ما أنتم فيه من نكس الرؤس والخزي والغم أو ذوقوا العذاب المخلد في جهنم وفي استئناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم * انما يؤمن بآياتنا أثنى تعالى على المؤمنين في وصفهم بالصفة الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم بخلاف ما يصنع الكفرة من الاعراض عن التذكير وقول الهجر واظهار التكبر وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن * وقال ابن عباس السجود هنا بمعنى الركوع * وروى عن ابن جريج المسجد مكان الركوع يقصد من هذا ويلزم على هذا أن تكون الآية مدنية ومن مذهب ابن عباس ان القارئ للسجدة يركع واستدل بقوله وخر راكعا وأناب * تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى يقال جفا الرجل الموضع تركه * قال عبد الله بن رواحه

نبي تجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

* وقال الزجاج والرماني التجافي التنحي الى جهة فوق * والمضاجع أماكن الاتكاء للنوم الواحد مضجع أي هم منتبهون لا يعرفون نوما * وقال الجمهور المراد بهذا التجافي صلاة النوافل بالليل وهو قول الأوزاعي ومالك والحسن البصري وأبي العالية وغيرهم وفي الحديث ذكر قيام الليل ثم استشهد بالآية يعني الرسول * وقال أبو الدرداء وقتادة والضحاك تجافي الجنب هو أن يصلي العشاء والصبح في جماعة * وقال الحسن هو التهجد وقال أيضا هو وعطاء هو العتمة * وفي الترمذي عن أنس نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة * وقال قتادة وعكرمة التنفل ما بين المغرب والعشاء * يدعون حال أو مستأنف خوفا وطمعا مفعول من أجله أو مصدران في موضع الحال * والظاهر أن الدعاء هو الابتهال الى الله * وقيل الصلاة * وقرأ الجمهور ما أخفي لهم فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وحمزة والأعمش ويعقوب بسكون الياء فعلا مضارعا للمتكلم وابن مسعود وما نخفي بنون العظمة والاعمش أيضا أخفيت وقرأ محمد بن كعب ما أخفى فعلا ماضيا مبنيا للفاعل * وقرأ الجمهور من قرة على الافراد * وقرأ عبد الله وأبو الدرداء وأبو

بالسيف * ﴿ومن أظلم﴾ تقدم و * ﴿من المجرمين﴾ عام في كل مجرم ومن متعلقة بمنتقمون

هريرة وعوف العقيلي من قراءات على الجمع بالالف والتاء وهي رواية عن أبي جعفر والاعمش وما أخفي يحتمل أن تكون موصولة وأن تكون استفهامية فيكون تعلم معلقة والجملة في موضع المفعول ان كان تعلم مما عدي لواحد وفي موضع المفعولين ان كانت تتعدى لاثنين وتقدم تفسيره في قرة عين في طه وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين * وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولا أذن سمعت الى آخره * ولا تعلم نفس نكرة في سياق النفي فيعم جميع الأنفس مما ادخر الله تعالى لأولئك وأخفاه من جميع خلائقه مما تقربه أعينهم لا يعلمه الا هو وهذه عدة عظيمة لا تبلغ الافهام كنهها بل ولا تفاصيلها * وقال الحسن أخفوا اليوم أعمالا في الدنيا فأخفى الله لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت جزاء بما كانوا يعملون وهو تعالى الموفق للعمل الصالح وقال الزمخشري لحسم أطماع المتمنين انتهى وهذه نزغة اعتزالية * أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا قال ابن عباس وعطاء نزلت في علي والوليد بن عقبة تلاحيا فقال له الوليد أنا أدلق منك لسانا وأحد سنانا وأرد للكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق قال الزمخشري فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل حالهما وقال الزجاج والنحاس نزلت في علي وعقبة بن أبي معيط فعلى هذا تكون الآية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما قتل بطريق مكة منصرف بدر والجمع في لا يستوون والتقسيم بعده حمل على معنى من وقيل لا يستوون لاثنين وهو المؤمن والفاسق والتثنية جمع * وقال الزجاج ونزول الآية في علي والوليد ثم بين انتفاء الاستواء بمقر كل واحد منهما بالافراد والجمهور جنات بالجمع * وقيل سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال يأوي اليها أرواح الشهداء * وقيل هي عن يمين العرش * وقرأ الجمهور نزلا بضم الزاي وأبو حيوة باسكانها والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فيما يعد للضيف * وأما الذين فسقوا أي بالكفر فمأواهم النار قال الزمخشري ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم انتهى وهذا فيه بعد وانما يذهب الى مثل فبشرهم اذا كان مصرحا به فيقول قام مقام التبشير العذاب وكذلك قام مقام التحية ضرب وجيع اما أن تضمر شيأ لكلام مستغنى عنه جار على أحسن وجوه الفصاحة حتى يحمل الكلام على اضمار فليس بجيد والعذاب الأدنى * قال أبي وابن عباس والضحاك وابن زيد مصائب الدنيا في الانفس والاموال * وقال ابن مسعود والحسن بن علي هو القتل بالسيف نحو يوم بدر * وقال مجاهد القتل والجوع لقريش وعنه انه عذاب القبر * وقال النخعي ومقاتل هو السنون التي أجاعهم الله فيها وقال ابن عباس أيضا هو الحدود * وقال أبي أيضا هو البطشة واللزام والدخان والعذاب الاكبر * قال ابن عطية لا خلاف انه عذاب الآخرة وفي التحرير وأكثرهم على ان العذاب الاكبر عذاب يوم القيامة في النار * وقيل هو القتل والسبي والاسر وعن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف * لعلهم يرجعون * قال ابن مسعود لعل من بقي منهم يتوب * وقال أبو العالية لعلهم يتوبون وقال مقاتل يرجعون عن الكفر الى الايمان * وقيل لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه لقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا انتهى ويقابل الادنى الابعد والاكبر الاصغر لكن الادنى يتضمن الاصغر لانه منقض بموت المعذب والتخويف انما يصلح بما هو قريب وهو العذاب العاجل والاكبر يتضمن الابعد لانه واقع في الآخرة

(الدر)

(ش) ويجوز أن يراد فجنة مأواهم النار أي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم بعذاب أليم انتهى (ح) هذا فيه بعد وانما يذهب الى مثل فبشرهم اذا كان مصرحا به فتقول قام مقام التبشير العذاب وكذلك قام مقام التحية ضرب وجيع اما ان تضمر شيأ لكلام مستغن عنه جار على أحسن وجوه الفصاحة حتى يحمل الكلام على اضمار فليس بجيد (ع) ولا خلاف أن العذاب الأكبر عذاب الآخرة انتهى (ح) في كتاب التحرير وأكثرهم على أن العذاب الاكبر عذاب يوم القيامة في النار وقيل هو القتل والسبي والاسر وعن جعفر بن محمد أنه خروج المهدي بالسيف انتهى

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ لما قدم الاصول الثلاثة الرسالة وبدأ الخلق والمعاد عاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة أى لست بدعا فى الرسالة بل سبقك رسل وذكر موسى لقرب زمانه والظاهر ان الضمير فى لقائه عائد على موسى مضافا اليه على طريق المفعول والفاعل محذوف ضمير الرسول أى من لقائك موسى أى فى ليلة الاسراء أى شاهدته حقيقة وهو النبى الذى أوتى التوراة وقرئ لما حرف وجوب لوجوب وجوابه متقدم عليه وهو جعلناه وقرئ لِما بكسر اللام وتخفيف الميم وهى لام العلة وما مصدرية تقديره بصبرهم ﴿أولم يهدلهم﴾ تقدم الكلام عليه فى طه (٢٠٤) الا ان هنا من قبلهم ولقوم يسمعون وهناك قبلهم ولأولى النهى ويسمعون والنهى من الفواصل جاء كل منهما مطابقا لما قبله وما بعده من الفواصل ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾ لما أقام تعالى الحجة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا فاهلكوا ثم أقامها عليهم باظهار قدرته وتنبيههم على البعث وتقدم الكلام على الجرز فى الكهف وكل أرض جرز داخلة فى هذا فلا تخصيص لها بمكان معين قال ابن عباس هى أرض أبين من اليمن ﴿فنخرج به﴾ أى بالماء وخص الزرع بالذكر وان كان يخرج الله به أنواعا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به فى الطب وغيره تشريفا للزرع ولأنه أعظم ما يقصد من النبات أو أوقع الزرع موقع النبات وقدمت الأنعام لان ما ينبت تأكله الانعام أولا فأولا من قبل ان يأكل بنو آدم الحب ألا ترى ان القصيل وهو شعير يزرع تأكله الانعام أولا قبل ان يسبل تأكله الانعام قبل بنى آدم أولانه غذاء الدواب والانسان قد يتغذى بغيره من حيوان وغيره أو بدأ بالادنى ثم ترقى الى الاشرف وهم بنو آدم والفتح الحكم وهو الذى يترتب عليه قوله قل يوم الفتح الخ وقيل فتح مكة وهو غير سديد لعدم مطابقته ما بعده لأن من آمن يوم فتح مكة ينفعه ايمانه ﴿ولا هم ينظرون﴾ أى لا يؤخرون عن العذاب ولما علم غرضهم فى سؤالهم على سبيل الهزء قيل لهم لا تستعجلوا ولا تستهزؤا ويوم منصوب بلا ينفع وقيل انهم منتظرون العذاب وهذا حكمهم وان كانوا لا يشعرون

والتخويف بالبعيد انما يصلح بذكر عظمه وشدته فحصلت المقابلة من حيث التضمن وخرج فى كل منهما بما هو آكد فى التخويف * وقال الزمخشرى (فان قلت) من أين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا أراد الله شيأ كان ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون ألا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر (قلت) ارادة الله تتعلق بأفعاله وأفعال عباده فاذا أراد شيأ من أفعاله كان ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعى وأما أفعال عباده فاما أن يريدها وهم مختارون لها ومضطرون اليها بقسره والجائه فان أرادها وقدرها فحكمها حكم أفعاله وان أرادها على أن يختاروها وهو عالم أنهم لا يختارونها لم يقدح ذلك فى اقتداره كما لا يقدح فى اقتدارك ارادتك أن يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك فلم يكن بعدمه دالا على عجزك انتهى وهو على مذهب المعتزلة وقد ردّ عليهم أهل السنة وذلك مقرر فى علم الكلام * ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها بخلاف المؤمنين اذا ذكروا بها خروا وسجدا * ثم أعرض عنها * قال الزمخشرى ثم للاستبعاد والمعنى ان الاعراض عن مثل آيات الله فى وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد فى العقل والعادة كما تقول لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا للتركة الانتهاز ومنه ثم فى بيت الشاعر

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها واطلع على شدتها انتهى من المجرمين عام فى كل من أجرم فيندرج فيه بجهة الأولوية من كان أظلم ظالم والاجرام هنا هو الكفر * وقال يزيد بن رفيع هى فى أهل القدر * وقرأ ان المجرمين الى قوله بقدر وفى الحديث ثلاث من كن فيه فقد أجرم من عقد لواء فى غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن فى مرية من لقائه وجعلناه هدى لبنى اسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون * ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون أولم يهدلهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون * أولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون * ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين * قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون﴾ لما قرر الاصول الثلاثة الرسالة وبدء الخلق والمعاد عاد الى الاصل الذى بدأ به وهو الرسالة التى ليست بدعا فى الرسالة إذ قد سبق قبلك رسل وذكر موسى عليه السلام لقرب

زمانه والزاما لمن كان على دينه ولم يذكر عيسى لأن معظم شريعته مستفاد من التوراة ولأن أتباع موسى لا يوافقون على نبوته وأتباع عيسى متفقون على نبوة موسى والكتاب التوراة * وقرأ الحسن في مرية بضم الميم والظاهر ان الضمير عائد على موسى مضافا اليه على طريق المفعول والفاعل محذوف ضمير الرسول أي من لقائك موسى أي في ليلة الاسراء أي شاهدته حقيقة وهو النبي الذي أوتي التوراة وقد وصفه الرسول فقال آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة حين رآه ليلة الاسراء * قاله أبو العالية وقتادة وجماعة من السلف * وقال المبرد حين امتحن الزجاج بهذه المسألة وقيل عائد على الكتاب فاما مضاف اليه على طريق الفاعل والمفعول محذوف أي من لقاء الكتاب موسى ووصوله اليه واما بالعكس أي من لقاء موسى الكتاب وتلقيه وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمر أي من لقاء مثله أي انا آتيناك مثل ما آتينا موسى ولقناك بمثل ما لقن من الوحي فلا تك في شك من انك لقنت مثله ولقيت نظيره ونحوه من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن * وقال الحسن يعود على ما تضمنه القول من الشدة والمحنة التي لقي موسى وذلك ان اخباره بأنه آتى موسى الكتاب كأنه قال ولقد آتينا موسى هذا العبء الذي أنت بسبيله فلا تمتر انك تلقى ما لقي هو من المحنة بالناس انتهى وهذا قول بعيد وأبعد من هذا من جعله عائدا على ملك الموت الذي تقدم ذكره والجملة اعتراضية وقيل عائد على الرجوع الى الآخرة وفي الكلام تقديم وتأخير والتقدير ثم الى ربكم ترجعون فلا تكن في مرية من لقائه أي من لقاء البعث وهذه أقوال كان ينبغي أن ينزه كتابنا عن نقلها ولكن نقلها المفسرون فاتبعناهم والضمير في وجعلناه لموسى وهو قول قتادة وقيل للكتاب جعله هاديا من الضلالة وخص بني اسرائيل بالذكر لأنه لم يتعبد بما فيها ولد اسماعيل * وجعلنا منهم أي من بني اسرائيل أئمة قادة يقتدى بهم * وقرأ الجمهور لما صبروا بفتح اللام وشد الميم وعبد الله وطلحة والاعمش وحمزة والكسائي ورويس بكسر اللام وتخفيف الميم * وكانوا يحتمل أن يكون معطوفا على صبروا فيكون داخلا في التعليق ويحتمل أن يكون عطفا على وجعلنا منهم * وقرأ عبد الله أيضا بما صبروا بباء الجر والضمير في منهم ظاهره يعود على بني اسرائيل والفصل يوم القيامة يعم الخلق كلهم * أولم يهد لهم تقدم الكلام على نحو هذه الآية اعرابا وقراءة وتفسيرا في طه الا أن هنا من قبلهم ولقوم يسمعون وهناك قبلهم ولاولي النهى ويسمعون والنهى من الفواصل * أولم يروا انا نسوق الماء أقام تعالى الحجة على الكفرة بالأمم السالفة الذين كفروا فأهلكوا ثم أقامها عليهم باظهار قدرته وتنبيههم على البعث وتقدم تفسير الجرز في الكهف وكل أرض جرز داخلة في هذا فلا تخصيص لها بمكان معين * وقال ابن عباس هي أرض أبين من اليمن وهي أرض تشرب بسيول لا بمطر * وقرئ الجرز بسكون الراء * فنخرج به أي بالماء وخص الزرع بالذكر وان كان يخرج الله به أنواعا كثيرة من الفواكه والبقول والعشب المنتفع به في الطب وغيره تشريفا للزرع ولأنه أعظم ما يقصد من النبات وأوقع الزرع موقع النبات وقدمت الانعام لأن ما ينبت يأكله الانعام أول فأول من قبل أن يأكل بنو آدم الحب ألا ترى أن القصيل وهو شعير يزرع تأكله الانعام قبل أن يسبل والبرسيم والفصفصة وأمثال ذلك تبادره الانعام بالاكل قبل أن يأكل بنو آدم حب الزرع أو لأنه غذاء الدواب والانسان قد يتغذى بغيره من حيوان وغيره أو بدأ بالأدنى ثم ترقى الى الاشرف وهم بنو آدم * وقرأ أبو حيوة وأبو بكر في رواية يأكل بالياء من أسفل * وقرأ الجمهور يبصرون بياء الغيبة وابن مسعود بتاء الخطاب وجاءت الفاصلة أفلا

يبصرون لأن ماسبق مرئي وفي الآية قبله مسموع فناسب أفلا يسمعون ثم أخبر تعالى عن الكفرة باستعجال فصل القضاء بينهم وبين الرسول على معنى الهزء والتكذيب * والفتح الحكم قاله الجمهور وهو الذي يترتب عليه قوله قل يوم الفتح الخ ويضعف قول الحسن ومجاهد فتح مكة لعدم مطابقته لما بعده لأن من آمن يوم فتح مكة ايمانه ينفعه وكذا قول من قال يوم بدر * ولاهم ينظرون أي لايؤخرون عن العذاب ولما عرف غرضهم في سؤالهم على سبيل الهزء وقيل لهم لاتستعجلوا به ولاتستهزؤا فكان قد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في حلول العذاب فلم تنظروا فيوم منصوب بلاينفع ثم أمر بالاعراض عنهم وانتظار النصر عليهم والظفر بهم * انهم منتظرون الغلبة عليكم لقوله * فتربصوا انامعكم متربصون وقيل انهم منتظرون العذاب أي هذا حكمهم وان كانوا لايشعرون * وقرأ اليماني منتظرون بفتح الظاء اسم مفعول والجمهور بكسرها اسم فاعل أي منتظر هلاكهم فانهم أحقاء أن ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لامحالة أو وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه

* سورة الاحزاب ثلاث وسبعون آية مدنية *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* ياأيها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما * واتبع مايوحى اليك من ربك ان الله كان بماتعملون خبيرا * وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا * ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه وماجعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وماجعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل * أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما * النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بماتعملون بصيرا إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الافرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الايسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لاتمتعون الاقليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله أن أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولايجدون لهم من دون الله وليا ولانصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولايأتون البأس الاقليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه

من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله
أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم
بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الاقليلا لقد كان لكم في رسول
الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيمانا وتسليما من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله
الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين
ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون
فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يأيها النبي
قل لأزواجك إن كنتنّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنّ وأسرحكنّ سراحا جميلا وان
كنتنّ تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعدّ للمحسنات منكنّ أجرا عظيما يانساء النبي من
يأت منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكنّ
لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبي لستنّ كأحد
من النساء إن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في
بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى في بيوتكنّ من
آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات
والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدّقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله
أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى
أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوّجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج
في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهنّ وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض
الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن
رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان
بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأيها النبي انا أرسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يأيها الذين آمنوا اذا
نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهنّ من قبل أن تمسوهنّ فما لكم عليهنّ من عدة تعتدونها فمتعوهنّ
وسرحوهنّ سراحا جميلا يأيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهنّ وما ملكت

يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا يا أيها الذين لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما * الجوف معروف وجمعه أجواف * يثرب مدينة الرسول عليه السلام وقيل أرض المدينة في ناحية منها * الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب * الاقطار النواحي واحدها قطر ويقال قتر بالتاء لغة فيه عوّق عن كذا ثبط عنه * سلقه اجترأ عليه وضربه ويقال صلقه بالصاد * قال الشاعر * فصلقنا في مراد صلقة * وصداء ألحقتهم بالثلل * وقيل سلقه خاطبه مخاطبه بليغة ومنه خطيب سلاق ومسلاق ولسان سلاق ومسلاق * السحب النذر والشيء الذي لا يلزمه الانسان ويعتقد الوفاء به * قال الشاعر

عشية فر الحارثون بعيد ما * قضى نحبه في ملتقى القوم هزبر

* وقال جرير *

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا * عشية بسطام جرين على نحب

أي على أمر عظيم التزم القيام به وقد يسمى الموت نحبا * الصياصي الحصون واحدها صيصية وهي كل ما يمتنع به ويقال لقرن الصور والظبي ولشوكة الديك وهي مخلبه الذي في ساقه لانه يتحصن به والصياصي أيضا شوك الحاكة ويتخذ من حديد * ومنه قول دريد بن الصمة

* كوقع الصياصي في النسيج الممدد * الاسوة القدوة وتضم همزته وتكسر ويتأسى بفلان يقتدي به والاسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر * التبرج قال الليث تبرجت أبدت محاسنها من وجهها وجسدها ويرى مع ذلك من عينها حسن نظر * وقال أبو عبيدة تخرج محاسنها مما تستدعي به شهوة الرجال وأصله من البرج في عينه وفي اسنانه برج أي سعة * الوطر قال أبو عبيدة كالارب وأنشد للربيع بن أصبغ

﴿ سورة الأحزاب ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ الآية هذه السورة مدنية وسبب نزولها ما روي أنه لما قدم المدينة وكان يحب اسلام اليهود فبايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح في طرق المخادعة ولخلقه الكريم وحرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم فنزلت تحذيراً له منهم وتنبيهاً على عداوتهم ومناسبة أول هذه السورة لآخر ما قبلها واضحة وهو أنه حكى أنهم يستعجلون الفتح وهو الفصل بينهم وأخبر أنه يوم الفتح لا ينفعهم إيمانهم فأمره في أول هذه السورة بتقوى الله تعالى ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة ﴿ حكيماً ﴾ لا يضع الأشياء الا في مواضعها منوطة بالحكمة ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين ﴾ روي أنه كان في بني فهر رجل منهم يقال له أبو معمر جميل بن أسد يدعي أن له قلبين ويقال له ذو القلبين وكان يقول أنا أذكى من محمد وأفهم فلما بلغته هزيمة بدر طاش لبه وحدث أبا سفيان بن حرب بحديث كالمختل فنزلت ﴿ وما جعل أزواجكم ﴾ لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها أماً لأن الأم محترمة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوك وهما حالتان متنافيتان وقرئ اللاي واللائي واللاء واللاي وقرئ تظاهرون بالتاء للخطاب وفي المجادلة بالياء الغيبة مضارع ظاهر وبشد الظاء والهاء وشد الظاء وألف بعدها ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ﴾ كانوا في الجاهلية وصدراً من الاسلام اذا تبنى الرجل ولد غيره صار يرثه وادعياء جمع دعي ودعي بمعنى مفعول وقياسه أن يجمع على فعلى كقتيل وقتلى لكنهم شبهوه بتقي فجمعوه على افعلاء كتقي وأتقياء ﴿ ذلكم ﴾ أي دعاؤهم ابناء مجرد قول لا حقيقة لمدلوله اذ لا يواطئ اللفظ الاعتقاد اذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه ﴿ والله يقول الحق ﴾ أي ما يوافق ظاهراً وباطناً ﴿ وهو يهدي السبيل ﴾ أي سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم والضمير في هو عائد على المصدر المفهوم من قوله ادعوهم أي دعاؤهم لآبائهم أقسط عند الله أي أعدل ولما أمر بأن يدعى المتبنى لأبيه ان علم قالوا زيد بن حارثة ومواليكم ولذلك قالوا سالم مولى أبي حذيفة فاخوانكم خبر مبتدأ محذوف تقديره هم اخوانكم ﴿ فيما أخطأتم به ﴾ أي فيما ليس صواباً وهو تبني من ليس ابناً له وما عطف بقوله ولكن ما أخطأتم وقيل ما موصولة في موضع رفع بالابتداء والخبر محذوف تقديره فيه الجناح والتعمد هنا نسبة الولد الى الشخص بعد النهي عن ذلك ﴿ النبي أولى بالمؤمنين ﴾ كونه صلى الله عليه وسلم أولى بهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم اذ هو يدعوهم الى النجاة وأنفسهم تدعوهم الى الهلاك ومنه قوله عليه السلام أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش ﴿ وأزواجه أمهاتهم ﴾ أي مثل أمهاتهم في التوقير والاحترام وفي بعض الأحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك مما جرين فيه مجرى الاجانب وظاهر قوله وأزواجه كل من أطلق عليها أنها زوجة له عليه السلام من طلقها ومن لم يطلقها ومن دخل بها ومن لم يدخل بها وقيل لا يثبت هذا الحكم لمطلقته وقيل من دخل بها تثبت حرمتها قطعاً وهم عمر رضي الله عنه برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكحت بعده فقالت له ولم هذا وما ضرب علي حجاباً ولا سميت للمسلمين أماً فكف عنها * كان أولاً بالمدينة توارث باخوة الاسلام وبالهجرة ثم حكم تعالى بان أولي الأرحام أحق في التوارث من الأخ في الاسلام أو بالهجرة ﴿ في كتاب الله ﴾ أي في اللوح المحفوظ أو في القرآن من المؤمنين والمهاجرين أي ولي من

ودعنا قبل أن نودعه * لما قضى من شبابنا وطرا

* وقال المبرد الوطر الشهوة والمحبة يقال ما قضيت من لقائك وطراً أي ما استمتعت بك حتى تشتهي نفسي * وأنشد

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما * قضى وطراً منها جميل بن معمر

* الجلباب ثوب أكبر من الخمار ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيما النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن

المؤمنين الذين كانوا يتوارثون بمجرد الايمان ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة وهذا هو الظاهر فيكون من هى كهى فى زيد أفضل عمرو والظاهر عموم قوله الى أوليائكم فيشمل جميع أقسامه من قريب وأجنبى من المؤمنين يحسن اليه ويصله فى حياته ويوصى له اذا مات وهذا الاستثناء فى قوله الا أن تفعلوا هو مايفهم من الكلام أى وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى النفع بميراث وغيره وعدى بالى لان المعنى الى أن يوصلوا الى (٢١٠) أوليائكم ﴿ كان ذلك ﴾ اشارة الى مافى الآيتين ﴿ مسطورا ﴾ أى مثبتا بالاسطار هذه الجملة مستأنفة كالخاتمة لماذكر من الاحكام ولما كان ماسبق أحكام عن الله تعالى وكان فيها أشياء مما كانت فى الجاهلية وأشياء فى الاسلام نسخت أتبعه بقوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم أى فى تبليغ الشرائع والدعاء الى الله تعالى فلست بدعا فى تبليغك الرسالة عن الله تعالى وخص هؤلاء الخمسة بالذكر بعد دخولهم فى جملة النبيين قيل هم أولو العزم لشرفهم وفضلهم على غيرهم وقدم محمد صلى الله عليه وسلم فيهم لكونه أفضلهم وأكثرهم تابعا وقدم نوح عليه السلام فى آية الشورى فى قوله شرع لكم من الدين الآية لأن ايراده على خلاف الايراد هنا أورده على طريق وصف دين الاسلام بالاصالة فكأنه قال شرع الدين الاصيل الذى بعث عليه نوح فى العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء فى العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الانبياء المشاهير والميثاق الثانى هو لأول وكرر لاجل صفته والغلظ من صفة الاجسام واستعير للمعنى مبالغة فى حرمته وعظمته وثقل تحمله ﴿ ليسأل الصادقين ﴾ أى المؤمنين التابعين الرسل وفيه التفات من ضمير المتكلم الى ضمير الغائب فى ليسأل وفى واعد واللام هى لام كى ﴿ عن صدقهم ﴾ أى عن ايمانهم واتباعهم الرسل

تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما ﴾ هذه السورة مدنية وتقدم أن نداءه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى يا أيها الرسول هو على سبيل التشريف والتكرمة والتنويه بمحله وفضيلته وجاء نداء غيره باسمه كقوله يا آدم يا نوح يا ابراهيم ياموسى ياداود ياعيسى وحيث ذكره على سبيل الاخبار عنه بانه رسوله صرح باسمه فقال محمد رسول الله وما محمد إلا رسول أعلم انه رسوله ولقنهم ان يسموه بذلك وحيث لم يقصد الاعلام بذلك جاء اسمه كما جاء فى النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يارب النبى أولى بالمؤمنين وغير ذلك من الآى وأمره بالتقوى المتلبس بها أمر بالديمومة عليها والازدياد منها والظاهر انه أمر للنبى واذا كان هو مأمورا بذلك فغيره أولى بالأمر * وقيل هو خطاب له لفظا وهو لأمته * وروى أنه لما قدم المدينة وكان يحب اسلام اليهود فبايعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصائح فى طرق المخادعة ولحلفه وحرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم فنزلت تحذيرا له منهم وتنبيها على عداوتهم * وروى أيضا ان أبا سفيان وعكرمة بن أبى جهل وأبا الأعور السلمى قدموا فى الموادعة التى كانت بينهم وبينه وقام عبد الله بن أبى ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك عليه وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت وناسب أن نهاه عن طاعة الكفار وهم المتظاهرون به وعن طاعة المنافقين وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فالسببان حاويان الطائفتين أى ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا اليك * وروى ان أهل مكة دعوه الى أن يرجع الى دينهم ويعطوه شطر أموالهم ويزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة أنهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت * ومناسبة أول هذه السورة لآخر ماقبلها واضحة وهو انه حكى انهم يستعجلون الفتح وهو الفصل بينهم وأخبر تعالى أنه يوم الفتح لا ينفعهم ايمانهم فأمره فى أول هذه السورة بتقوى الله ونهاه عن طاعة الكفار والمنافقين فيما أرادوا به * ان الله كان عليما حكيما عليما بالصواب من الخطأ والمصلحة من المفسدة حكيما لا يضع الاشياء الا مواضعها منوطة بالحكمة أو عليما حيث أمر بتقواه وانها تكون عن صميم القلب حكيما حيث نهى عن طاعة الكفار والمنافقين * وقيل هى تسلية للرسول أى عليما بمن يتقى حكيما فى هدى من شاء واضلال من شاء * ثم أمره باتباع ما أوحى اليه وهو القرآن والاقتصار عليه وترك مراسيم الجاهلية * وقرأ أبو عمرو بما يعملون الاولى والثانية بياء الغيبة وباقى السبعة بتاء الخطاب فجاز فى الاولى أن تكون من باب الالتفات وجاز أن تكون مناسبا لقوله واتبع ثم أمره

بتفويض أمره الى الله وتقدم الكلام في كفى بالله في أول ماوقع في القرآن * روي انه كان في بني فهر رجل فيهم يقال له أبو معمر جميل بن أسد وقيل حميد بن معمر بن حبيب بن وهب بن حارثة بن جمح وفيه يقول الشاعر

وكيف ثوائي بالمدينة بعد ما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

يدعى أن له قلبين ويقال له ذو القلبين وكان يقول أنا أذكى من محمد وأفهم فلما بلغته هزيمة بدر طاش لبه وحدث أبا سفيان بن حرب بحديث كالمختل فنزلت * وقال الحسن هم جماعة يقول الواحد منهم نفس تأمرني ونفس تنهاني * وقيل ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد الى شأنه فنفى الله ذلك عنه وعن كل أحد قيل وجه نظم هذه الآية بما قبلها أنه تعالى لما أمر بالتقوى كان من حقها أن لا يكون في القلب تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان يتقي بأحدهما الله وبالآخر غيره وهو لا يتقي غيره الا بصرف القلب عن جهة الله الى غيره ولا يليق ذلك بمن يتقي الله حق تقاته انتهى ملخصا ولم يجعل الله للانسان قلبين لانه اما أن يفعل أحدهما مثل ما يفعل الآخر من أفعال القلوب فلا حاجة الى أحدهما أو غيره فيؤدي الى اتصاف الانسان بكونه مريدا كارها عالما ظانا شاكا موقنا في حال واحدة وذكر الجوف وان كان من المعلوم ان القلب لا يكون الا بالجوف زيادة للتصوير والتجلي للمدلول عليه كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فاذا سمع بذلك صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين يسرع الى انكار ذلك * وماجعل أزواجكم لم يجعل تعالى الزوجة المظاهر منها أما لان الأم مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوك وهما حالتان متنافيتان * وقرأ قالون وقنبل اللائي هنا وفي المجادلة والطلاق بالهمز من غير ياء وورش بياء مختلسة الكسرة والبزي وأبو عمرو بياء ساكنة بدلا من الهمزة وهو بدل مسموع لا مقيس وهي لغة قريش وباقي السبعة بالهمز وياء بعدها * وقرأ عاصم تظاهرون بالتاء للخطاب وفي المجادلة بالياء للغيبة مضارع ظاهر وبشد الظاء والهاء الحرميان وأبو عمرو وبشد الظاء وألف بعدها ابن عامر وبتخفيفها والالف حمزة والكسائي ووافق ابن عامر الآخرين في المجادلة وباقي السبعة فيها بشدها * وقرأ ابن وثاب فيما نقل ابن عطيه بضم الياء وسكون الظاء وكسر الهاء مضارع أظهر وفيما حكى أبو بكر الرازي عنه بتخفيف الظاء لحذفهم تاء المطاوعة وشد الهاء * وقرأ الحسن تظهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وشد الهاء مضارع ظهر مشدد الهاء * وقرأ هرون عن ابي عمرو تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع ظهر مخفف الهاء * وفي مصحف أبي تتظهرون بتاءين فتلك تسع قراآت والمعنى قال لها أنت علي كظهر أمي فتلك الافعال مأخوذة من هذا اللفظ كقوله لبي المحرم اذا قال لبيك وأفف اذا قال أف وعدى الفعل بمن لأن الظهار كان طلاقا في الجاهلية فيتجنبون المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة والمعنى أنه تباعد منها بجهة الظهار وغيره أي من امرأته لما ضمن معنى التباعد عدى بمن وكنوا عن البطن بالظهر ابعادا لما يقارب الفرج ولكونهم كانوا يقولون يحرم اتيان المرأة وظهرها للسماء وأهل المدينة يقولون يجيء الولد اذ ذاك أحول فبالغوا في التعليظ في تحريم الزوجة فشبهوها بالظهر ثم بالغ فجعلها كظهر أمه * وروى أن زيد بن حارثة من كلب سبي صغيرا فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء أبوه وعمه يفدانه وذلك قبل بعثة رسول الله فأعتقه وكانوا يقولون زيد بن محمد فنزلت وماجعل أدعياءكم أبناءكم الآية وكانوا

في الجاهلية وصدر الاسلام اذا تبنى الرجل ولد غيره صار يرثه * وأدعياء جمع دعى فعيل بمعنى مفعول جاء شاذا وقياسه فعلى كجريح وجرحى وانما هذا الجمع قياس فعيل المعتل اللام بمعنى فاعل نحو تقي وأتقياء شبهوا أدعياء بتقي جمعوه جمعه شذوذا كما شذوا في جمع أسير وقتيل فقالوا أسراء وقتلاء وقد سمع المقيس فيهما فقالوا أسرى وقتلى والبنوة تقتضي التأصل في النسب والدعوة الصاق عارض بالتسمية فلا يجتمع في الشئ الواحد أن يكون أصيلا غير أصيل * ذلكم أي دعاؤهم أبناء مجرد قول لا حقيقة لمدلوله اذ لا يواطئ اللفظ الاعتقاد اذ يعلم حقيقة أنه ليس ابنه * والله يقول الحق أي ما يوافق ظاهرا وباطنا * وهو يهدى السبيل أي سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم أو سبيل الشرع والايمان * وقرأ الجمهور يهدى مضارع هدى وقتادة بضم الياء وفتح الهاء وشد الدال وأقسط أفعل التفضيل وتقدم الكلام فيه في أواخر البقرة ومعناه أعدل ولما أمر بأن يدعى المتبنى لأبيه ان علم قالوا زيد بن حارثة ومواليكم ولذلك قالوا سالم مولى أبي حذيفة * وذكر الطبري أن أبا بكرة قرأ هذه الآية ثم قال أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم في الدين ومولاكم * قال الرازي ولو علم والله أباه حمارا لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون فيه نفيع بن الحارث * وفي الحديث من ادعى الى غير أبيه متعمدا حرم الله عليه الجنة * فيما أخطأتم به قيل رفع الحرج عنهم فيما كان قبل النهي وهذا ضعيف لا يوصف بالخطأ ما كان قبل النهي وقيل فيما سبق اليه اللسان أما على سبيل الغلط ان كان سبق ذلك اليهم قبل النهي يجري ذلك على ألسنتهم غلطا أو على سبيل التحنن والشفقة اذ كثيرا ما يقول الانسان للصغير يا بني كما يقول للكبير يا أبي على سبيل التوقير والتعظيم وما عطف على ما أخطأتم أي ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم وأجيز أن تكون ما في موضع رفع بالابتداء أي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح * وكان الله غفورا للعامد اذا تاب رحيما حيث رفع الجناح عن المخطئ وكونه عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي أرأف بهم وأعطف عليهم اذ هو يدعوهم الى النجاة وأنفسهم تدعوهم الى الهلاك ومنه قوله عليه السلام انا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تقحم الفراش ومن حيث ينزل لهم منزلة الأب وكذلك في مصحف أبي وقراءة عبد الله وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم يعني في الدين * وقال مجاهد كل نبي أبو أمته وقد قيل في قول لوط عليه السلام هؤلاء بناتي انه أراد المؤمنات أي بناته في الدين ولذلك جاء انما المؤمنون اخوة أي في الدين وعنه عليه السلام ما من مؤمن الا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة واقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا أو ضياعا فالي قيل وأطلق في قوله تعالى أولى بالمؤمنين أي في كل شئ ولم يقيد فيجب أن يكون أحب اليهم من أنفسهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمها وحقوقه آثر الى غير ذلك مما يجب عليهم في حقه انتهى ولو أريد هذا المعنى لكان التركيب المؤمنون أولى بالنبي منهم بأنفسهم وأزواجه أمهاتهم أي مثل أمهاتهم في التوقير والاحترام وفي بعض الأحكام من تحريم نكاحهن وغير ذلك مما جرين فيه مجرى الأجانب * وظاهر قوله وأزواجه كل من أطلق عليها أنها زوجة له عليه السلام من طلقها ومن لم يطلقها وقيل لا يثبت هذا الحكم لمطلقة وقيل من دخل بها ثبتت حرمتها قطعا وهم عمر برجم امرأة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكحت بعده فقالت له ولم هذا وما ضرب على حجابا ولا سميت للمسلمين أما فكف عنها * كان أولا بالمدينة توارث بأخوة الاسلام وبالهجرة ثم حكم تعالى بأن أولي الأرحام أحق بالتوارث من الأخ في الاسلام أو بالهجرة في كتاب الله أي في اللوح المحفوظ أو في القرآن من

المؤمنين والمهاجرين أي أولى من المؤمنين الذين كانوا يتوارثون بمجرد الايمان ومن المهاجرين الذين كانوا يتوارثون بالهجرة وهذا هو الظاهر فيكون من هنا كهي في زيد أفضل من عمرو * وقال الزمخشري يجوز أن يكون بيانا لأولي الأرحام أي الاقرباء من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضا من الاجانب انتهى والظاهر عموم قوله الى أوليائكم فيشمل جميع أقسامه من قريب وأجنبي مؤمن وكافر يحسن اليه ويصله في حياته ويوصي له عند الموت قاله قتادة والحسن وعطاء وابن الحنفية * وقال مجاهد وابن زيد والرماني وغيره الى أوليائكم مخصوص بالمؤمنين وسياق ماتقدم في المؤمنين يعضد هذا لكن ولاية النسب لاتدفع في الكافر انما تدفع في أن تلقي اليه بالمودة كولي الاسلام وهذا الاستثناء في قوله الا أن تفعلوا هو مما يفهم من الكلام أي وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في النفع بميراث وغيره وعدي بالى لأن المعنى الا أن توصلوا الى أوليائكم كان ذلك اشارة الى ما في الآيتين * في الكتاب اما اللوح واما القرآن على ماتقدم * مسطورا أي مثبتا بالاسطار وهذه الجملة مستأنفة كالخاتمة لما ذكر من الأحكام ولما كان ماسبق أحكام عن الله تعالى وكان فيها أشياء مما كانت في الجاهلية وأشياء في الاسلام نسخت أتبعه بقوله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم أي في تبليغ الشرائع والدعاء الى الله فلست بدعا في تبليغك عن الله والعامل في اذ قاله الحوفي وابن عطية يجوز أن يكون مسطورا أي مسطورا في أم الكتاب وحين أخذنا وقيل العامل واذكر حين أخذنا وهذا الميثاق هو في تبليغ رسالات الله والدعاء الى الايمان ولا يمنعهم من ذلك مانع لا من خوف ولا طمع * قال الكلبي أخذ ميثاقهم بالتبليغ * وقال قتادة بتصديق بعضهم بعضا والاعلان بان محمدا رسول الله واعلان رسول الله أن لانبي بعده * وقال الزجاج وغيره الذي أخذ عليهم وقت استخراج البشر من صلب آدم كالذر قالوا فأخذ الله حينئذ ميثاق النبيين بالتبليغ وتصديق بعضهم بعضا وبجميع ماتضمنته النبوة * وروي نحوه عن أبي بن كعب وخص هؤلاء الخمسة بالذكر بعد دخولهم في جملة النبيين وقيل هم أولو العزم لشرفهم وفضلهم على غيرهم وقدم محمد صلى الله عليه وسلم عليهم لكونه أفضل منهم وأكثرهم أتباعا وقدم نوح في آية الشورى في قوله شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا الآية لأن ايراده على خلاف الايراد فهناك أورده على طريق وصف دين الاسلام بالاصالة فكأنه قال شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير والميثاق الثاني هو الأول وكرر لاجل صفته والغلظ من صفة الأجسام واستعير للمعنى مبالغا في حرمته وعظمته وثقل فرط تحمله وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حمله واللام في ليسأل قيل يحتمل أن تكون لام الصيرورة أي أخذ الميثاق على الأنبياء ليصير الأمر الى كذا والظاهر انها لام كي أي بعثنا الرسل وأخذنا عليهم المواثيق في التبليغ لكي يجعل الله خلقه فرقتين فرقة يسألها عن صدقها على معنى اقامة الحجة فتجيب بانها قد صدقت الله في ايمانها وجميع أفعالها فيثيبها على ذلك وفرقة كفرت فينالها ما أعد لها من العذاب فالصادقون على هذا المسئولون هم المؤمنون والهاء في صدقهم عائدة عليهم ومفعول صدقهم محذوف تقديره عن صدقهم عهده أو يكون صدقهم في معنى تصديقهم ومفعوله محذوف أي عن تصديقهم الأنبياء لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله أو ليسأل الأنبياء الذي أجابتهم به أممهم حكاه علي بن عيسى أو ليسأل عن الوفاء بالميثاق الذي أخذه عليهم حكاه ابن شجرة أو ليسأل الانبياء عن تبليغهم الرسالة الى قومهم قاله مجاهد وفي هذا تنبيه

﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم ﴾ ذكرهم نعمته عليهم فى غزوة الخندق وما اتصل بها فى أمر بنى قريظة وقد استوفى ذلك أهل السير ونذكر منها ماله تعلق بالآيات التى نفسرها واذ معمولة لنعمة أى انعامه عليكم وقت مجىء الجنود والجنود كانوا عشرة آلاف قريش ومن تابعهم من الاحابيش فى أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان و بنو أسد يقودهم طليحة وغطفان يقودهم عيينة و بنو عامر يقودهم عامر بن الطفيل وسليم يقودهم أبو الاعور واليهود النضير يقودهم رؤساؤهم حيي بن أخطب وابنا أبى الحقيق و بنو قريظة سيدهم كعب بن أسد وكان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنبذه بسعي حيي ابن أخطب قيل فاجتمعوا خمسة عشر ألفا وهم الاحزاب ونزلوا المدينة فحفر الخندق باشارة سلمان وهو من عمل الفرس وظهر للرسول صلى الله عليه وسلم به تلك المعجزة العظيمة من كسر الصخرة التى أعوزت الصحابة ثلاث فرق ظهرت مع كل فرقة برقة أراه الله تعالى منها مدائن كسرى وماحولها ومدائن قيصر وماحولها ومدائن الحبشة وماحولها و بشر بفتح ذلك وأقام الذرارى والنساء بالآطام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى ثلاثة آلاف فنزلوا بظهر سلع والخندق بينهم و بين المشركين وكان ذلك فى شوال سنة خمس قاله ابن اسحق وقال مالك سنة أربع قيل و بعث الله تعالى الصبا لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم فاضرت بهم هدمت عليهم بيوتهم واطفأت نيرانهم وقطعت حبالهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار و بعث الله تعالى مع الصبا ملائكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها ﴿ من فوقكم ﴾ من أعلى الوادى من قبل المشرق عطفان ﴿ ومن أسفل منكم ﴾ من أسفل الوادى من قبل المغرب وتحزبوا وقالوا سنكون جملة حتى نستأصل محمدا فنصره الله عليهم ﴿ وزيغ الابصار ميلها عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع ﴿ و بلغت القلوب الحناجر ﴾ قيل اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع والغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ﴿ والظنون جمع لما اختلفت متعلقاته جمع وان كان لا ينقاس عند سيبويه جمع المصدر اذا اختلفت متعلقاته و ينقاس عند غيره وقد جاء الظنون جمعا فى أشعارهم أنشد أبو عمرو فى كتاب الالحان اذا الجوزاء أردفت الثريا ﴿ ظننت بآل فاطمة الظنونا وهنالك ظرف مكان للبعد هذا أصله فيحمل عليه اذ فى ذلك الذى وقع فيه الحصار والقتال ابتلى المؤمنون والعامل فيه ابتلى وقيل زلزلوا فثبتوا وصبروا حتى نصروا وحركوا الى الفتنة فعصموا ﴿ واذ يقول المنافقون ﴾ وهم المظهرون الايمان المبطنون الكفر ﴿ والذين فى قلوبهم مرض هم ضعفاء الايمان الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم فهم على حرف والعطف دال على التغاير نبه عليهم على جهة الذم لما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم الصخرة و برقت تلك البوارق و بشر بفتح فارس والروم واليمن والحبشة قال معتب بن قشير يعدنا محمد ان يفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن الآن لا يقدر أحدنا ان يذهب الى الغائط مايعدنا الا غرورا أى أمرا يغرنا به و يوقعنا فيه بشئ لا طاقة لنا به وقولهم ماوعدنا الله ورسوله هو على سبيل الهزء اذ لو اعتقدوا انه رسوله حقا ماقالوا هذه المقالة فالمعنى ورسوله على زعمكم وزعمهم وفى معتب ونظرائه نزلت هذه الآية

أى اذا كان الأنبياء يسألون فكيف بمن سواهم ﴿ وقال مجاهد أيضا ليسأل الصادقين أراد المؤدين عن الرسل انتهى وسؤال الرسل تبكيت للكافرين بهم كما قال تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله وقال تعالى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين ﴿ وأعد معطوف على أخذنا لان المعنى ان الله أكد على الانبياء الدعاء الى دينه لاجل اثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو على مادل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأثاب المؤمنين وأعد للكافرين قالها الزمخشرى و يجوز أن يكون حذف من الاول ما أثيب به الصادقون وهم المؤمنون وذكرت العلة وحذف من الثانى العلة وذكر ماعوقبوا به وكان التقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأثابهم و يسأل الكافرين عما أجابوا به رسلهم كقوله و يوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء وأعد لهم عذابا أليما فحذف من الاول ما أثبت مقابله فى الثانى ومن الثانى ما أثبت مقابله فى الاول وهذه طريقة بليغة وقد تقدم لنا ذكر ذلك فى قوله ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق وأمعنا الكلام هنالك ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا

﴿ واذ قالت طائفة منهم ﴾ أي من المنافقين ﴿ لامقام لكم ﴾ أي في حومة القتال والممانعة ﴿ فارجعوا ﴾ الى بيوتكم ومنازلكم أمروهم بالهروب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا الى دينكم الاول وأسلموه الى أعدائه ﴿ يستأذن فريق منهم النبي ﴾ هو أوس بن قبطي استأذن في الدخول الى المدينة عن اتفاق من عشيرته ﴿ يقولون ﴾ حال أي قائلين ﴿ ان بيوتنا عورة ﴾ أي منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق أعور المنزل انكشف وقال ابن عباس الفريق بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله أن لا يولوا الأدبار اعتذروا بان بيوتهم عورة معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ويرجعوا اليه فاكذبهم الله تعالى بانهم لايخافون ذلك وانما يريدون الفرار وقرئ لامقام بضم الميم أي لاموضع اقامة وبفتح الميم أي موضع قيام وثبوت والضمير في دخلت الظاهر عوده على البيوت لأنها أقرب مذكور أي ولو دخلها الاحزاب الذين يفرون خوفا منهم وانثالت على أهاليهم وأولادهم ﴿ ثم سئلوا الفتنة ﴾ أي الردة والرجوع الى اظهار الكفر ومقاتلة المسلمين لآتوها أي لجاؤا اليها وقرئ لأتوها بالقصر معناه لجاؤها وبالمد لاعطوها ﴿ وماتلبثوا بها الايسيرا ﴾ قدرما يكون السؤال والجواب من غير توقف * وعاهدوا أجري مجرى اليمين ولذلك يتلقى بقوله لايولون الادبار وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى ولو جاء كما لفظوا به لكان التركيب لانولي الأدبار والذين عاهدوا هم بنو حارثة وبنو سلمة وهما الطائفتان اللتان هما بالفشل يوم أحد ثم تابوا وعاهدوا أن لايفروا فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان ﴿ قل لن ينفعكم الفرار ﴾ خطاب توبيخ واعلام ان الفرار لاينجي من القدر وانه تنقطع أعمارهم في يسير من المدة وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه أي ان فررتم من الموت أوالقتل لاينفعكم الفرار لان مجيء الأجل لابد منه

غرورا واذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الافرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وماتلبثوا بها الايسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لايولون الادبار وكان عهد الله مسؤلا قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لاتمتعون الاقليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف

واذا هنا بلها حرف عطف فلايتحتم اعمالها بل الفصيح ان لاتنصب ومن ذا استفهام ركبت ذا مع من وفيه معنى النفي أي لا أحد يعصمكم من الله ﴿ والقائلين لاخوانهم ﴾ كانوا أي المنافقون يثبطون اخوانهم من ساكني المدينة عن نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون مامحمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه فخلوهم وقال أبو زيد انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب فوجد شقيقه عنده شواء ونبيذ فقال له أنت ههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال هلم فقد أحيط بك و بصاحبك والذي يحلف به لايستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذي يحلف به ولاخبرنه بأمرك فذهب ليخبره فوجد جبريل عليه السلام قد نزل بهذه الآية وهلم تقدم الكلام عليه في الأنعام قال الزمخشري وهلموا الينا أي قربوا أنفسكم الينا قال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب انتهى * الذي عليه النحويون في هلم ان هلم ليس صوتا وانما هو مركب من ها التي للتنبيه والمم وهو مذهب البصريين وقيل من هل وأم والكلام في ترجيح المختار منهما مذكور في النحو وأما قوله سمي به فعل متعد ولذلك قدر هلم الينا أي قربوا أنفسكم الينا فالنحويون يقولون انه متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداءكم أي احضروا شهداءكم واللازم كقوله هلم الينا أي اقبلوا الينا ﴿ أشحة ﴾ جمع شحيح وهو البخيل وهو جمع لاينقاس وقياسه في الصفة المضعفة العين واللام أفعلاء نحو خليل واخلاء فالقياس أشحاء وهو مسموع أيضا والصواب ان يعم شحهم بكل مافيه منفعة للمؤمنين فاذا جاء الخوف من العدو وتوقع ان يستأصل أهل المدينة لاذ هؤلاء المنافقون بك * ينظرون نظر الهلوع المختلط النظر الذي يغشى عليه من الموت * وتدور في موضع الحال أي دائرة أعينهم ﴿ كالذي ﴾ في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر مشبه أي دورانا كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين

الخير﴾ اشارة الى ماحصل للمؤمنين من الظفر والغنيمة ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ اشارة الى المنافقين أي لم يكن لهم قط ايمان والاحباط عدم قبول ايمانهم فكأنها محبطة قال الزمخشري فان قلت هل ثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان الخ انتهى وفي كلامه عسى صلة لمن وهو لا يجوز ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ جملة في موضع المفعول الثاني ليحسبون أي هم من الجزع بحيث هزم الله الأحزاب فرحلوا وهم يحسبون أنهم لم يرحلوا ﴿وان يأت الاحزاب﴾ كرة ثانية تمنوا لخوفهم بما منوا به هذه الكرة أنهم مقيمون في البدو مع الاعراب وهم أهل العمود يرحلون من قطر الى قطر ﴿يسئلون﴾ من قدم من المدينة عما جرى عليكم من قتال الاحزاب يتعرفون أحوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا وغرضهم من البداوة أن يكونوا سالمين من القتال ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا لعله رياء وسمعة

سلقوكم بالسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلا ﴾ ذكرهم الله تعالى بنعمته عليهم في غزوة الخندق وما اتصل بها من أمر بني قريظة وقد استوفى ذلك أهل السير ونذكر من ذلك ماله تعلق بالآيات التي نفسرها واذ معمولة لنعمة أي انعامه عليكم وقت مجيء الجنود والجنود كانوا عشرة آلاف قريش ومن تابعهم من الاحابيش في أربعة آلاف يقودهم أبو سفيان وبنو أسد يقودهم طليحة وغطفان يقودهم عيينة وبنو عامر يقودهم عامر بن الطفيل وسليم يقودهم أبو الاعور واليهود النضير رؤساؤهم حيي بن أخطب وابنا أبي الحقيق وبنو قريظة سيدهم كعب بن أسد وكان بينه وبين الرسول عهد فنبذه بسعي حيي بن أخطب وقيل فاجتمعوا خمسة عشر ألفا وهم الاحزاب ونزلوا المدينة فحفروا الخندق باشارة سلمان وظهرت للرسول به تلك المعجزة العظيمة من كسر الصخرة التي أعوزت الصحابة ثلاث فرق ظهرت مع كل فرقة برقة أراه الله منها مدائن كسرى وماحولها ومدائن قيصر وماحولها ومدائن الحبشة وماحولها وبشر بفتح ذلك وأقام الذراري والنساء بالآطام وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في ثلاثة آلاف فنزلوا بظهر سلع والخندق بينهم وبين المشركين وكان ذلك في شوال سنة خمس قاله ابن اسحق * وقال مالك سنة أربع * وقرأ الحسن وجنودا بفتح الجيم والجمهور بالضم بعث الله الصبا لنصرة نبيه فاضربتهم هدمت بيوتهم وأطفأت نيرانهم وقطعت حبالهم وأكفأت قدورهم ولم يمكنهم معها قرار وبعث الله مع الصبا ملائكة تشدد الريح وتفعل نحو فعلها * وقرأ أبو عمرو في رواية وأبو بكر في رواية لم يروها بياء الغيبة وباقي السبعة والجمهور بتاء الخطاب * من فوقكم من أعلى الوادي من قبل مشرق غطفان ومن أسفل منكم من أسفل الوادي منه قبل المغرب وقريش تحزبوا وقالوا انكون جملة حتى نستأصل محمدا * وقال مجاهد من فوقكم يريد أهل نجد مع عيينة بن حصن ومن أسفل منكم يريد مكة وسائر تهامة وهو قول قريب من الاول وقيل انما يراد مايختص ببقعة المدينة أي نزلت طائفة في أعلى المدينة وطائفة في أسفلها وهذا قريب من القول الاول وقد يكون ذلك على معنى المبالغة أي جاؤكم من جميع الجهات كأنه قيل اذ جاؤكم محيطين بكم كقوله يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم المعنى يغشاهم محيطا بجميع أبدانهم وزيغ الابصار ميلها عن مستوى نظرها فعل الواله الجزع * وقال الفراء زاغت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها وبلوغ القلوب الحناجر مبالغة في اضطرابها ووجيبها دون أن تنتقل من مقرها الى الحنجرة وقيل يحث القلوب من شدة الفزع فيتصل وجيبها بالحنجرة فكأنها بلغتها وقيل يجد خشونة وقلبه يصعد علوا لينفصل فالبلوغ ليس حقيقة وقيل القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص بالحنجرة وقيل يفضي الى أن يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت خوفا ومثله اذ القلوب لدى الحناجر وقيل اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع والغضب أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره *والظنون جمع لما اختلفت متعلقاته وان كان لا ينقاس عنده من جمع المصدر اذا اختلفت متعلقاته وينقاس عند غيره وقد جاء الظنون جمعا في أشعارهم أنشد أبو عمرو في كتاب الألحان

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

فظن المؤمنون الخلص ان ماوعدهم الله من النصر حق وانهم يستظهرون وظن الضعيف الايمان مضطر به والمنافقون أن الرسول والمؤمنين سيغلبون وكل هؤلاء يشملهم الضمير فى وتظنون وقال الحسن ظنوا ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون وقال ابن عطية أى يكادون يضطربون و يقولون ماهذا الخلف للوعد وهذه عبارة عن خواطر خطرت للمؤمنين لا يمكن البشر دفعها وأما المنافقون فعجلوا ونطقوا * وقال الزمخشرى ظن المؤمنون الثبت القلوب بالله أن يبتليهم و يفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون ظنوا بالله ماحكى عنهم وكتب الظنونا والرسولا والسبيلا فى المصحف بالألف فحذفها حمزة وأبو عمرو وقفا ووصلا وابن كثير والكسائى وحفص بحذفها وصلا خاصة وباقى السبعة باثباتها فى الحالين واختار أبو عبيد والحذاق أن يوقف على هذه الكلمة بالألف ولا يوصل فيحذف أو يثبت لان حذفها مخالف لما اجتمعت عليه مصاحف الامصار ولان اثباتها فى الوصل معدوم فى لسان العرب نظمهم ونثرهم لافى اضطرار ولا غيره أما اثباتها فى الوقف ففيه اتباع الرسم وموافقة لبعض مذاهب العرب لانهم يثبتون هذه الألف فى قوافى أشعارهم وفى تصاريفها والفواصل فى الكلام كالمصارع * وقال أبو على هى رؤس الآى تشبه بالقوافى من حيث كانت مقاطع كما كانت القوافى مقاطع وهنالك ظرف مكان للبعيد هذا أصله فيحمل عليه أى فى ذلك المكان الذى وقع فيه الحصار والقتال ابتلى المؤمنون والعامل فيه ابتلى * وقال ابن عطية هنالك ظرف زمان قال ومن قال ان العامل فيه وتظنون فليس قوله بالقوى لان البداءة ليست متمكنة *وابتلاؤهم قال الضحاك بالجوع * وقال مجاهد بالحصار وقيل بالصبر على الايمان * وزلزلوا قال ابن سلام حركوا بالخوف وقيل زلزلوا فثبتوا وصبروا حتى نصروا وقيل حركوا الى الفتنة فعصموا * وقرأ الجمهور وزلزلوا بضم الزاى * وقرأ أحمد بن موسى اللؤلؤى عن أبى عمرو بكسر الزاى قاله ابن خالويه *وقال الزمخشرى وعن أبى عمرو اشمام زاى زلزلوا انتهى كأنه يعنى اشمامها الكسر ووجه الكسر فى هذه القراءة الشاذة انه أتبع حركة الزاى الأولى بحركة الثانية ولم يعتد بالساكن كما يعتد به من قال منتن بكسر الميم اتباعا لحركة التاء وهو اسم فاعل من أنتن *وقرأ الجمهور زلزالا بكسر الزاى والجحدرى وعيسى بفتحها وكذا اذا زلزلت الارض زلزالها ومصدر فعلل من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقل قلقالا وقد يراد بالمفتوح معنى اسم الفاعل فصلصال بمعنى مصلصل فان كان غير مضاعف فالسمع منه على فعلان مكسور الفاء نحو سرهف سرهافا و إذ يقول المنافقون وهم المظهرون للايمان المبطنون الكفر * والذين فى قلوبهم مرض هم ضعفاء الايمان الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم فهم على حرف والعطف دال على التغاير نبه عليهم على جهة الذم *لما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الصخرة و برقت تلك البوارق و بشر بفتح فارس والروم واليمن والحبشة قال معتب بن قشير يعدنا محمد أن نفتح كنوز كسرى وقيصر ومكة ونحن لا يقدر أحدنا أن يذهب الى الغائط ما يعدنا الا غرورا أى أمرا يغرنا و يوقعنا فيما لا طاقة لنا به وقال غيره من المنافقين نحو ذلك وقولهم ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا هو على سبيل الهزء إذ لو اعتقدوا أنه رسول حقيقة ماقالوا هذه المقالة فالمعنى ورسوله على زعمكم وزعمه وفى معتب ونظرائه نزلت هذه الآية و إذ قالت طائفة منهم أى من المنافقين لا مقام لكم فى حومة القتال والممانعة فارجعوا الى بيوتكم ومنازلكم أمروهم بالهرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فارجعوا كفارا الى

دينكم الاول وأسلموه الى أعدائه * قال السدى والقائل لذلك عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه وقال مقاتل بنو مسلمة * وقال أوس بن رومان أوس بن قبطى وأصحابه * وقال الكلبى بنو حارثة و يمكن صحة هذه الاقوال فان فيهم من كان منافقا * لا مقام لكم وقرأ السلمى والاعرج واليمانى وحفص بضم الميم فاحتمل أن يكون مكانا أى لا مكان اقامة واحتمل أن يكون مصدرا أى لا اقامة وقرأ أبو جعفر وشيبة وأبو رجاء والحسن وقتادة والنخعى وعبد الله بن مسلم وطلحة و باقى السبعة بفتحها واحتمل أيضا المكان أى لا مكان قيام واحتمل المصدر أى لا قيام لكم و يستأذن فريق منهم النبى هو أوس بن قبطى استأذن فى الدخول الى المدينة عن اتفاق من عشيرته * يقولون حال أى قائلين ان بيوتنا عورة أى منكشفة للعدو وقيل خالية للسراق يقال أعور المنزل انكشف وقال الشاعر * له الشدة الاولى اذا القرن أعورا * وقال ابن عباس الفريق بنو حارثة وهم كانوا عاهدوا الله لا يولون الادبار اعتذروا بأن بيوتهم معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فأكذبهم الله بأنهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار وقرأ ابن عباس وابن يعمر وقتادة وأبو رجاء وأبو حيوة وابن أبى عبلة وأبو طالوت وابن مقسم واسماعيل بن سليمان عن ابن كثير عورة و بعورة بكسر الواو فيهما والجمهور باسكانها * قال الزمخشرى و يجوز أن يكون تخفيف عورة و بالكسر هو اسم فاعل * وقال ابن جنى صحة الواو فى هذا إشارة لانها متحركة قبلها فتحة انتهى فيعنى انها تنقلب ألفا فيقال عارة كما يقول رجل مال أى ممول واذا كان عورة اسم فاعل فهو من عور الذى صحت عينه فاسم الفاعل كذلك تصح عينه فلا تكون صحة العين على هذا شذوذا وقيل السكون على انه مصدر وصف به والبيت العور هو المنفرد المعرض لمن أراد سوأ * وقال الزجاج عور المكان يعور عورا وعورة فهو عور و بيوت عورة * وقال الفراء أعور المنزل بدا منه عورة وأعور الفارس كان فيه موضع خلل للضرب والطعن * قال الشاعر

متى تلقهم لم تلق فى البيت معورا * ولا الضيف مسعورا ولا الجار مرسلا

قال الكلبى عورة خالية من الرجال ضائعة وقال قتادة قاصية يخشى عليها العدو * وقال السدى قصيرة الحيطان يخاف عليها السراق * وقال الليث العورة سوءة الانسان وكل أمر يستحيا منه فهو عورة يقال عورة فى التذكير والتأنيث والجمع كالمصدر * وقال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله ابن أبى ابن سلول وأصحابه من المنافقين ما الذى يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبى سفيان وأصحابه فارجعوا الى المدينة فأنتم آمنون * ان يريدون الا فرارا من الدين وقيل من القتل * وقال الضحاك ورجع ثمانون رجلا من غير اذن للنبى صلى الله عليه وسلم والضمير فى دخلت الظاهر عوده على البيوت إذ هو أقرب مذكور وقيل أو على المدينة أى ولو دخلها الاحزاب الذين يفرون خوفا منها وانثالت على أهاليهم وأولادهم ثم سئلوا الفتنة أى الردة والرجوع الى اظهار الكفر ومقاتلة المسلمين * لآتوها أى لجاؤا اليها وفعلوا على قراءة القصر وهى قراءة نافع وابن كثير * وقرأ باقى السبعة لآتوها بالمد أى لأعطوها * وما تلبثوا بها وما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم و يخرجهم بالمؤمنين * قال ابن عطية ولو دخلت المدينة من أقطارها واشتد الحرب الحقيقى ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد صلى الله عليه وسلم لطاروا اليها وأتوها محبين فيها ولم يتلبثوا فى بيوتهم لحفظها الا يسيرا قيل قدر ما يأخذون سلاحهم انتهى * وقرأ الجمهور سئلوا وقرأ الحسن سولوا بواو

ساكنة بعد السين المضمومة قالوا وهي من سال يسال كخاف يخاف لغة من سأل المهموز العين * وحكى أبو زيد هما يتساولان انتهى ويجوز أن يكون أصلها الهمز لأنه يجوز أن يكون سولوا على قول من يقول في ضرب ضرب ثم سهل الهمزة بابدالها واوا على قول من قال في بؤس بوس بابدال الهمزة واوا لضمة ماقبلها * وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو والأعمش سيلوا بكسر السين من غير همز نحو قيل * وقرأ مجاهد سوئلوا بواو بعد السين المضمومة وياء مكسورة بدلا من الهمزة * وقال الضحاك ثم سئلوا الفتنة أي القتال في العصبية لأسرعوا اليه * وقال الحسن الفتنة الشرك والظاهر عود الضمير بها على الفتنة وقيل يعود على المدينة وعاهدوا أجرى مجرى اليمين ولذلك يتلقى بقوله لا يولون الأدبار وجواب هذا القسم جاء على الغيبة عنهم على المعنى ولو جاء كما لفظوا به لكان التركيب لانولى الادبار والذين عاهدوا بنو حارثة وبنو مسلمة وهما طائفتان اللتان هما بالفشل في يوم أحد ثم تابوا وعاهدوا أن لا يفروا فوقع يوم الخندق من بني حارثة ذلك الاستئذان قال ابن عباس عاهدوا بمكة ليلة العقبة أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وقيل ناس غابوا عن وقعة بدر قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن من قبل أي من قبل هذه الغزوة غزوة الخندق * لا يولون الادبار كناية عن الفرار والانهزام سئلوا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وفي ذلك تهديد ووعيد * قل لن ينفعكم الفرار خطاب توبيخ واعلام أن الفرار لا ينجي من القدر وانه تنقطع أعمارهم في يسير من المدة واليسير مدة الآجال * قال الربيع بن خيثم وجواب الشرط محذوف لدلالة ماقبله عليه أي ان فررتم من الموت أو القتل لا ينفعكم الفرار لأن مجيء الأجل لا بد منه واذا هنا تقدمها حرف عطف فلا يتحتم اعمالها بل يجوز ولذلك قرأ بعضهم واذا لا يلبثوا خلفك في سورة الاسراء بحذف النون ومعنى خلفك أي بعد فراقهم اياك وقليلا نعت لمصدر محذوف أي تمتيعا قليلا أو لزمان محذوف أي زمانا قليلا ومر بعض المروانية على حائط مائل فأسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب * وقرأ الجمهور لا تمتعون بتاء الخطاب وقرئ بياء الغيبة ومن ذا استفهام ركبت ذا مع من وفيه معنى النفي أي لا أحد يعصمكم من الله * قال الزمخشري فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله * متقلدا سيفا ورمحا * أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع انتهى أما الوجه الأول ففيه حذف جملة لاضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لاسيما اذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مراد الله والقائلين لاخوانهم كانوا أي المنافقون يثبطون اخوانهم من ساكني المدينة من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون ما محمد وأصحابه الا أكلة رأس ولو كانوا لحما لالتهمهم أبو سفيان فخلوهم وقيل هم اليهود كانوا يقولون لأهل المدينة تعالوا الينا وكونوا معنا * وقال ابن زيد انصرف رجل من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فوجد شقيقه عنده سويق ونبيذ فقال أنت هاهنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال هلم اليه فقد أحيط بك وبصاحبك والذي يحلف به لا يستقبلها محمد أبدا فقال كذبت والذي يحلف به ولأخبرنه بأمرك فذهب ليخبره فوجد جبريل قد نزل بهذه الآية * وقال ابن السائب هي في عبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ومن رجع من المنافقين من الخندق الى المدينة فاذا جاءهم المنافق قالوا له ويحك اجلس ولا تخرج ويكتبون الى اخوانهم في العسكر أن ائتونا فانا ننتظركم وكانوا لا يأتون العسكر الا أن يجدوا بدا من اتيانه فيأتون ليرى الناس وجوههم فاذا غفل عنهم عادوا الى المدينة فنزلت وتقدم الكلام

(الدر)

﴿ سورة الأحزاب ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ش) فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء قلت معناه أو يصيبكم بسوء ان أراد بكم رحمة فاختصر الكلام وأجرى مجرى قوله * متقلدا سيفا ورمحا * أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع انتهى (ح) أما الوجه الأول ففيه حذف جملة لاضرورة تدعو الى حذفها والثاني هو الوجه لاسيما اذا قدر مضاف محذوف أي يمنعكم من مراد الله

في هلم في أواخر الانعام * وقال الزمخشري وهلموا الينا أي قربوا أنفسكم الينا قال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر واقرب انتهى والذي عليه النحويون ان هلم ليس صوتا وانما هو مركب مختلف في أصل تركيبه فقيل هو مركب من ها التي للتنبيه ولم وهو مذهب البصريين وقيل من هل وأم والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو وأما قوله سمي به فعل متعد ولذلك قدر هلم الينا أي قربوا أنفسكم الينا والنحويون انه متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداءكم أي احضروا شهداءكم واللازم كقوله هلم الينا وأقبلوا الينا * ولا يأتون البأس أي القتال الا قليلا يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا نراهم يقاتلون الا شيأ قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ماقاتلوا الا قليلا وقلته اما لقصر زمانه واما القلة عقابه وانه رياء وتلميع لا تحقيق * أشحة جمع شحيح وهو البخيل وهو جمع لا ينقاس وقياسه في الصفة المضعفة العين واللام فعلاء نحو خليل وأخلاء فالقياس أشحاء وهو مسموع أيضا ومتعلق الشح بأنفسهم أو بأحوالهم أو بأموالهم في النفقات في سبيل الله أو بالغنيمة عند القسم أقوال والصواب أن يعم شحهم كل مافيه منفعة للمؤمنين * وقال الزمخشري أشحة عليكم في وقت الحرب أضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عن المناضل دونه عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الأولى واجترؤا عليكم وضربوكم بألسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليهم انتهى وهو تكثير وتحميل للفظ مالا يحتمله كعادته * وقرأ الجمهور أشحة بالنصب * قال الفراء على الذم وأجاز نصبه على الحال والعامل يعوقون * وقال الطبري حال من هلم الينا * وقال الزجاج حال من ولا يأتون وقيل حال من المعوقين وقيل من القائلين ورد القولان بأن فيهما تفريقا بين الموصول وماهو من تمام صلته * وقرأ ابن أبي عبلة أشحة بالرفع على اضمار مبتدأ أي هم أشحة * فاذا جاء الخوف من العدو وتوقع أن يستأصل أهل المدينة لاذ هؤلاء المنافقون بك ينظرون نظر الهلوع المختلط النظر الذي يغشى عليه من الموت وتدور في موضع الحال أي دائرة أعينهم كالذي في موضع الصفة لمصدر محذوف وهو مصدر مشبه أي دورانا كدوران عين الذي يغشى عليه فبعد الكاف محذوفان وهما دوران وعين ويجوز أن يكون في موضع الصفة لمصدر من ينظرون اليك نظرا كنظر الذي يغشى عليه * وقيل اذا جاء الخوف من القتال وظهر المسلمون على أعدائهم رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم في رؤسهم وتجول وتضطرب رجاء أن يلوح لهم * قال قتادة بسطوا ألسنتهم فيكم * قال يزيد ابن رومان في أذى المؤمنين وسبهم وتنقيص الشرع * وقال قتادة في طلب العطاء من الغنيمة والالحاف في المسئلة وقيل السلق في مخادعة المؤمنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمجاملة * وقرأ الجمهور سلقوكم بالسين وابن أبي عبلة بالصاد * وقرأ ابن أبي عبلة أشحة بالرفع أي هم أشحة والجمهور بالنصب على الحال من سلقوكم وعلى الخير يدل على عموم الشح في قوله أولا أشحة عليكم * وقيل في هذا أشحة على مال الغنائم * وقيل على مالهم الذي ينفقونه * وقيل على الرسول بظفره أولئك لم يؤمنوا اشارة الى المنافقين أي لم يكن لهم قط ايمان والاحباط عدم قبول أعمالهم فكانت كالمحبطة * وقال الزمخشري (فان قلت) هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط (قلت) لا ولكن تعليم لمن عسى يظن أن لا ايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان مايعمله المنافق

(الدر)

(ش) وهلموا الينا أي قربوا أنفسكم الينا قال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر واقرب انتهى (ح) الذي عليه النحويون أن هلموا ليس صوتا وانما هو مركب مختلف في أصل تركيبه قيل هو مركب من ها التي للتنبيه ولم وهو مذهب البصريين وقيل من هل وأم والكلام على ترجيح المختار منهما مذكور في النحو وأما قوله سمي به فعل متعد ولذلك قدر هلم الينا أي قربوا أنفسكم الينا فالنحويون يقولون انه متعد ولازم فالمتعدي كقوله قل هلم شهداءكم أي أحضروا شهداءكم واللازم كقوله هلم الينا أي أقبلوا الينا (ش) فان قلت هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط قلت لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن أن الايمان باللسان ايمان الى آخره (ح) في كلام (ش) استعمال عسى صلة لمن وهو لا يجوز

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ الظاهر من قوله لكم عموم الخطاب للمؤمن ولمن يظهر الايمان والاسوة القدوة وقرئ بضم الهمزة وكسرها ولمن بدل من قوله لكم بدل بعض من كل فكما نصركم ووازركم حتى قاتل بنفسه عدوكم يجب عليكم أن تنصروه وتوازروه ولا ترغبوا بانفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه قال الزمخشري لمن كان يرجو بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن انتهى ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر في بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش ويدل عليه قول الشاعر

بكم قريش كفينا كل معضلة
وأم نهج الهدى من كان ضليلا

ولما بين تعالى حال المنافقين وقولهم ماوعدنا الله ورسوله الاغرورا بين حال المؤمنين وقولهم صفة ماقال المنافقون وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أي في آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا ذلك ﴿قضى نحبه﴾ قال ابن عباس نحبه موته ومشهور اللغة أن قولهم قضى نحبه كناية عن الموت كما قال ابن عباس وقال الشاعر

فوجدي بسلمى مثل وجد مرقش
باسما اذ لا تستفيق عواذله
قضى نحبه وجدا عليها مرقش
وعلقت من سلمى خبالا أماطله

من الاعمال يجزى عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل انتهى وفي كلامه استعمال عسى صلة لمن وهو لا يجوز ۞ وقال ابن زيد عن أبيه نزلت في رجل بدري نافق بعد ذلك ووقع في هذه المعاني فأحبط الله عمله في بدر وغيرها وكان ذلك أي الاحباط أو حالهم من شحهم ونظرهم يسير الايبالي به ولا له أثر في دفع خير ولا عليه شر ۞ وقال الزمخشري على الله يسيرا معناه ان أعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف انتهى وهي ألفاظ المعتزلة يحسبون أنهم لم يرحلوا وان يأت الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به عند الكرة انهم مقيمون في البدو ومع الاعراب وهم أهل العمود يرحلون من قطر الى قطر يسألون من قدم من المدينة عما جرى عليكم من قتال الأحزاب يتعرفون أحوالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة فرقا وجبنا وغرضهم من البداوة أن يكونوا سالمين من القتال ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا قليلا لعلة ورياء وسمعة ۞ قال ابن السائب رميا بالحجارة خاصة دون سائر أنواع القتال ۞ وقرأ الجمهور بادون جمع سلامة لباد ۞ وقرأ عبد الله وابن عباس وابن يعمر وطلحة بدى على وزن فعل كغاز وغزى وليس بقياس في معتل اللام بل شبه بضارب وقياسه فعلة كقاض وقضاة ۞ وعن ابن عباس بدا فعلا ماضيا وفي رواية صاحب الاقليد بدى بوزن عدى ۞ وقرأ الجمهور يسألون مضارع سأل ۞ وحكى ابن عطية أن أبا عمرو وعاصما والاعمش وروايسالون بغير همز نحو قوله سل بني اسرائيل ولا يعرف ذلك عن أبي عمرو وعاصم ولعل ذلك في شاذهما ونقلهما صاحب اللوامح عن الحسن والاعمش ۞ وقرأ زيد بن علي وقتادة والجحدري والحسن ويعقوب بخلاف عنهما يسأل بعضهم بعضا أي يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت وماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما تقول تراءينا الهلال ثم سلى الله نبيه عنهم وحقر شأنهم بأن أخبرانهم لو حضروا ما أغنوا وماقاتلوا الا قتالا قليلا ۞ قال هو قليل من حيث هو رياء ولو كان كثيرا ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب

﴿ ورد الله الذين كفروا ﴾ أي الاحزاب عن المدينة والمؤمنين الى بلادهم ﴿بغيظهم﴾ أي مغيظين فهو حال والباء للمصاحبة ولم ينالوا حال ثانية أو من الضمير في بغيظهم فيكون حالا متداخلة ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال ﴾ بارسال الريح والجنود وهم الملائكة فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار وكفى هنا بمعنى وقى تتعدى لاثنين واذا كانت بمعنى حسب فالاكثر في لسان العرب أن يكون الفاعل مجرورا بالباء الزائدة نحو كفى بالله والقليل حذف هذه الباء كما قال عميرة ودع ان تجهزت غاديا ۞ كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا ﴿ وأنزل الذين ظاهروهم ﴾ أي أعانوا قريشا ومن معهم من الأحزاب ﴿ من أهل الكتاب ﴾ هم يهود بني قريظة وتميز وسو النضير ومن أهل الكتاب بيان لقوله الذين ظاهروهم

فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا * الظاهر ان الخطاب فى قوله * لقد كان لكم للمؤمنين لقوله قبل ولو كانوا فيكم وقوله بعد لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر والمعنى انه صلى الله عليه وسلم لكم فيه الاقتداء فكما نصركم ووازركم حتى قاتل بنفسه عدوكم فكسرت رباعيته الكريمة وشج وجهه الكريم وقتل عمه وأوذى ضروبا من الايذاء يجب عليكم أن تنصروه وتوازروه ولا ترغبوا بأنفسكم عن نفسه ولا عن مكان هو فيه وتبذلوا أنفسكم دونه فما حصل لكم من الهداية للاسلام أعظم من كل ما تفعلونه معه صلى الله عليه وسلم من النصرة والجهاد فى سبيل الله ويبعد قول من قال انه خطاب للمنافقين واليوم الآخر يوم القيامة * وقيل يوم السياق واسوة اسم كان ولكم الخبر ويتعلق فى رسول الله بما يتعلق به لكم أو يكون فى موضع الحال لانه لو تأخر جاز أن يكون نعتا لأسوة أو يتعلق بكان على مذهب من أجاز فى كان وأخواتها الناقصة أن تعمل فى الظرف والمجرور ويجوز أن يكون فى رسول الله الخبر ولكم تبيين أى لكم أعنى لمن كان يرجوا الله * قال الزمخشرى بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم انتهى ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين * أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر فى بدل الشئ من الشئ وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش ويدل عليه قول الشاعر

بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا

* وقرأ الجمهور اسوة بكسر الهمزة وعاصم بضمها والرجاء بمعنى الأمل أو الخوف وقرن الرجاء بذكر الله والمؤتسى برسول الله هو الذى يكون راجيا ذاكرا ولما بين تعالى المنافقين وقولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا بين حال المؤمنين وقولهم ضد ما قال المنافقون وكان الله قد وعدهم أن يزلزلهم حتى يستنصروه فى قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة الآية فلما جاء الاحزاب ونهض بهم للقتال واضطربوا قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وأيقنوا بالجنة والنصر * وعن ابن عباس قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الأحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا للميعاد قالوا اذا لك * وقيل الوعد هو ما جاء فى الآية وما وعده عليه السلام حين أمر بحفر الخندق فانه أعلمهم بأنهم يحصرون وأمرهم بالاستعداد لذلك وأعلمهم انهم سينصرون بعد ذلك فلما رأوا

* ومن صياصيهم متعلق بقوله وأنزل من صياصيهم أى من حصونهم واحدها صيصية وهى كل ما يمتنع به والصياصى أيضا شوك الحاكة ويتخذ من حديد وقذف الرعب سبب لانزالهم ولكنه قدم المسبب لما كان المرور بانزالهم أكثر والاخبار به أهم قدم وقال رجل يا رسول الله مر بنا دحية الكلبى على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال ذلك جبريل عليه السلام بعث الى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب فى قلوبهم ولما رجعت الاحزاب جاء جبريل عليه السلام وقت الظهر فقال ان الله يأمركم بالخروج الى بنى قريظة فنادى فى الناس لا يصلين أحد الظهر الا فى بنى قريظة فخرجوا اليها فصلى فى الطريق وراء أن ذلك خرج مخرج التأكيد والاستعجال ومصل بعد العشاء وكل مصيب فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الأوسى رضى الله عنه لحلف كان بينهم رجوا بذلك حنوه عليهم فحكم أن تقتل المقاتلة وتسبى الذرية والعيال والاموال وأن تكون الأرض والثمار للمهاجرين دون الأنصار فقالت له الانصار فى ذلك فقال أردت أن تكون لهم أموال كما لكم أموال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع أرقعة ثم استنزلهم وخندق فى سوق المدينة وقدمهم فضرب أعناقهم وهم بين ثمانمائة الى سبعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وجئ بحيى ابن أخطب النضيرى وهو الذى كان أدخلهم فى الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عندهم وفاء لهم فنزل فمن نزل على حكم سعد فلما قرب وعليه حلتان تفاحيتان مجموعة يداه الى عنقه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد والله ما لمت نفسى فى عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس انه لا بأس أمر الله وقدره وحكمته كتبت على بنى اسرائيل ثم قدم فضربت عنقه

(الدر) (ش) لمن كان يرجو بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم انتهى (ح) لا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب اسم ظاهر فى بدل الشئ من الشئ وهما العين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والاخفش ويدل عليه قول الشاعر بكم قريش كفينا كل معضلة * وأم نهج الهدى من كان ضليلا

الأحزاب قالوا ذلك فسلموا الأول الأمر وانتظروا آخره وهذا اشارة الى الخطب ايمانا بالله وبما أخبر به الرسول مما لم يقع كقولك فتح مكة وفارس والروم فالزيادة فيما يؤمن لا في نفس الايمان * وقرأ ابن أبي عبلة وما زادوهم بالواو وضمير الجمع يعود على الأحزاب وتقول صدقت زيدا الحديث وصدقت زيدا في الحديث وقد عدت صدق هذه في ما يتعدى بحرف الجر وأصله ذلك ثم يتسع فيه فيحذف الحرف ويصل الفعل اليه بنفسه ومنه قولهم في المثل صدقني سن بكره أي في سن بكره فما عاهدوا إما أن يكون على اسقاط الحرف أي فيما عاهدوا والمفعول الاول محذوف والتقدير صدقوا الله وإما أن يكون صدق يتعدى الى واحد كما تقول صدقني أخوك اذا قال لك الصدق وكذبك أخوك اذا قال لك الكذب وكان المعاهد عليه مصدوقا مجازا كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي لك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه وكان مكذوبا * وهؤلاء الرجال قال مقاتل والكلبي هم أهل العقبة السبعون أهل البيعة * وقال أنس نزلت في قوم لم يشهدوا بدرا فعاهدوا ان لا يتأخروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوفوا * وقال زيد بن رومان بنو حارثة * فمنهم من قضى نحبه وهذا تجوز لان الموت أمر لا بد منه أن يقع بالانسان فسمي نحبا لذلك * وقال مجاهد قضى نحبه أي عهده * قال أبو عبيدة نذره * وقال الزمخشري فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب جماعة من الصحابة وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم والعشرة الذين شهد لهم الرسول بالجنة منهم من حصل في هذه المرتبة مما لم ينص عليه ويصحح هذا القول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل من الذي قضى نحبه وهو على المنبر فدخل طلحة بن عبيد الله فقال هذا ممن قضى نحبه* ومنهم من ينتظر اذا فسر قضاء النحب بالشهادة كان التقدير ومنهم من ينتظر الشهادة واذا فسر بالوفاء لعهود الاسلام كان التقدير ومنهم من ينتظر الحصول في أعلى مراتب الايمان والصلاح * وقال مجاهد ينتظر يوما فيه جهاد فيقضي نحبه وما بدلوا الا المستشهدون ولا من ينتظر وقد ثبت طلحة يوم أحد حتى أصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة وفيه تعريض لمن بدل من المنافقين حين ولوا الأدبار وكانوا عاهدوا لا يولون الأدبار * ليجزي الله الصادقين أي الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه بصدقهم أي بسبب صدقهم * ويعذب المنافقين ان شاء وعذابهم متحتم فكيف يصح تعليقه على المشيئة وهو قد شاء تعذيبهم اذا وفوا على النفاق فقال ابن عطية تعذيب المنافقين ثمرته ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازية لتلك الاقامة وثمرة التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان اقامة على نفاق أو توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب أو رحمة فذكر تعالى على جهة الايجاز واحدة من هاتين وواحدة من هاتين ودل ما ذكر على ما ترك ذكره ويدلك على أن معنى قوله ليعذب أي ليديم على النفاق قوله ان شاء ومعادلته بالتوبة وحذف أو انتهى وكان ما ذكر يؤول الى ان التقدير ليقيموا على النفاق فيموتوا عليه ان شاء فيعذبهم أو يتوب عليهم فيرحمهم فحذف سبب التعذيب وأثبت المسبب وهو التعذيب وأثبت سبب الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وحذف المسبب وهو الرحمة والغفران وهذا من الايجاز الحسن * وقال الزمخشري ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم اذا تابوا انتهى ولا يجوز تعليق عذابهم اذا لم يتوبوا بمشيئته تعالى لانه تعالى قد شاء ذلك وأخبر انه يعذب المنافقين حتما لا محالة واللام في ليجزي قيل لام الصيرورة وقيل لام التعليل ويتعلق بقوله وما بدلوا تبديلا

(الدر)

(ش) ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا ويتوب عليهم اذا تابوا انتهى (ح) لا يجوز تعليق عذابهم اذا لم يتوبوا بمشيئته تعالى لانه تعالى قد شاء ذلك وأخبر به يعذب المنافقين حتما لا محالة

* قال الزمخشري جعل المنافقون كأنهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلهما * وقال السدي المعنى ان شاء يميتهم على نفاقهم أو يتوب عليهم بنقلهم من النفاق بتقبلهم الايمان وقيل يعذبهم في الدنيا ان شاء ويتوب عليهم ان شاء * ان الله كان غفورا رحيما غفورا للحوبة رحيما بقبول التوبة * ورد الله الذين كفروا الاحزاب عن المدينة والمؤمنين الى بلادهم * بغيظهم أي مغيظين فهو حال والباء للمصاحبة ولم ينالوا حال ثانية أو من الضمير في بغيظهم فيكون حالا متداخلة * وقال الزمخشري ويجوز أن تكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا انتهى ولا يظهر كونها بيانا للاولى ولا للاستئناف لانها تبقى كالمفلتة مما قبلها * وكفى الله المؤمنين القتال بارسال الريح والجنود وهم الملائكة فلم يكن قتال بين المؤمنين والكفار وقيل المراد علي بن أبي طالب ومن معه برزوا للقتال ودعوا اليه وقتل علي من الكفار عمرو بن عبيد مبارزة حين طلب عمرو المبارزة فخرج اليه علي فقال اني لا أوثر قتلك لصحبتي لأبيك فقال له علي فأنا أوثر قتلك فقتله علي مبارزة واقتحم نوفل بن الحرث من قريش الخندق بفرسه فقتل فيه وقتل من الكفار أيضا منبه بن عثمان وعبيد بن السباق واستشهد من المسلمين في غزوة الخندق معاذ وأنس بن أوس بن عتيك وعبد الله بن سهل وأبو عمرو وهم من بني عبد الأشهل والطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وهما من بني سلمة وكعب بن زيد من بني ذبيان بن النجار أصابه سهم غرب فقتله ولم تغز قريش المسلمين بعد الخندق وكفى الله مداومة القتال وعودته بان هزمهم بعد ذلك وذلك بقوته وعزته وعن أبي سعيد الخدري حبسنا يوم الخندق فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء حتى كان بعد هوى من الليل كفينا وأنزل الله تعالى * وكفى الله المؤمنين القتال فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فأقام وصلى الظهر فأحسنها ثم كذلك كل صلاة باقامة * وأنزل الذين ظاهروهم أي أعانوا قريشا ومن معهم من الأحزاب من أهل الكتاب هم يهود بني قريظة كما هو قول الجمهور * وعن الحسن بنو النضير وقذف الرعب سبب لانزالهم ولكنه قدم المسبب لما كان السرور بانزالهم أكثر والاخبار به أهم قدم * وقال رجل يارسول الله مر بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء عليها قطيفة ديباج فقال ذلك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم ولما رجعت الاحزاب جاء جبريل وقت الظهر فقال ان الله يأمرك بالخروج الى بني قريظة فنادى في الناس لا يصلين أحد العصر الا في بني قريظة فخرجوا اليها فمصل في الطريق ورأى ان ذلك خرج مخرج التأكيد والاستعجال ومصل بعد العشاء وكل مصيب فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة وقيل احدى وعشرين وقيل خمسة عشر فنزلوا على حكم سعد بن معاذ الأوسي لحلف كان بينهم رجوا حنوه عليهم فحكم أن يقتل المقاتلة ويسبي الذرية والعيال والأموال وان تكون الأرض والثمار للمهاجرين دون الانصار فقالت له الانصار في ذلك فقال أردت أن يكون لهم أموال كما لكم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلهم وخندق لهم في سوق المدينة وقدمهم فضرب أعناقهم وهم من بين ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وجيء بحيي بن أخطب النضيري وهو الذي كان أدخلهم في الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عندهم وفاء لهم فترك فيمن ترك على حكم سعد فلما قرب وعليه حلتان تفاحيتان مجموعة يداه الى عنقه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد

(الدر)

(ش) ويجوز ان يكون الثانية بيانا للاولى أو استئنافا انتهى (ح) لا يظهر كونها بيانا للاولى ولا استئنافا لانها تبقى كالمفلتة مما قبلها

والله مالمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال أيها الناس انه لا بأس أمر الله وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم تقدم فضربت عنقه * وقال فيه بعض بني ثعلبة

لعمرك مالام ابن أخطب نفسه * ولكنه من يخذل الله يخذل
لاجهد حتى أبلغ النفس عذرها * وقلقل يبغي العز كل مقلقل

وقتل من نسائهم امرأة وهي لبابة امرأة الحكم القرظي كانت قد طرحت الرحى على خلاد بن سويد فقتل ولم يستشهد في حصار بني قريظة غيره ومات في الحصار أبو سنان بن محصن أخو عكاشة بن محصن وكان فتح قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة * وقرأ الجمهور وتأسرون بتاء الخطاب وكسر السين وأبو حيوة بضمها واليماني بياء الغيبة وابن أنس عن ابن ذكوان بياء الغيبة في تقتلون وتأسرون * وأورثكم فيه اشعار انه انتقل اليهم ذلك بعد موت أولئك المقتولين ومن نقلهم من أرضهم وقدمت لكثرة المنفعة بها من النخل والزرع ولأنهم باستيلائهم عليها ثانيا وأموالهم ليستعان بها في قوة المسلمين للجهاد ولأنها كانت في بيوتهم فوقع الاستيلاء عليها ثالثا * وأرضا لم تطؤها وعد صادق في فتح البلاد كالعراق والشام واليمن ومكة وسائر فتوح المسلمين * وقال عكرمة أخبر تعالى أن قد قضى بذلك * وقال الحسن أراد الروم وفارس * وقال قتادة كنا نحدث انها مكة * وقال مقاتل ويزيد بن رومان وابن زيد هي خيبر وقيل اليمن ولا وجه لهذه التخصيصات ومن بدع التفاسير انه أراد نساءهم * وقرأ الجمهور تطؤوها بهمزة مضمومة بعدها واو * وقرأ زيد بن علي لم تطوها بحذف الهمزة أبدل همزة تطأ ألفا على حد قوله

ان السباع لتهدا في مرابضها * والناس لا يهتدى من شرهم أبدا

فالتقت ساكنة مع الواو فحذفت كقولك لم تروها وختم تعالى هذه الآية بقدرته على كل شئ فلا يعجزه شئ وكان في ذلك اشارة الى فتحه على المسلمين الفتوح الكثيرة وانه لا يستبعد ذلك فكما ملككم هذه فكذلك هو قادر على أن يملككم غيرها من البلاد ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها

﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا ﴾ سبب نزولها ان أزواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن وأردن زيادة في كسوة ونفقة فنزلت ولما نصر الله نبيه عليه الصلاة والسلام وصرف عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يارسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والاماء والخول ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن مانزل في أمرهن وأزواجه اذذاك تسع عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وهؤلاء من قريش ومن (٢٢٥) غير قريش ميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية فقال أبو القاسم الصيرفي لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة واختار الآخرة وأمر بتخيير نسائه ليظهر صدق موافقتهن وكان تحته عشر نساء زاد الحميرية فاخترن الله ورسوله الا الحميرية وروى أنه قال لعائشة وبدأ بها وكانت أحبهن اليه انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت رضي الله عنها أو في هذا أستأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وتخير أزواجك أي اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا والظاهر

أنهن لو اخترن الحياة الدنيا وزينتها متعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلقهن وانه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق دون أن يوقعه هو صلى الله عليه وسلم ثم نادى نساء النبي ليجعلن بالهن مما يخاطبن به اذ كان أمرا يجعل البال له ﴿ بفاحشة مبينة ﴾ كبيرة من المعاصي ولا يتوهم أنها الزنا لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولأنه تعالى وصفها بالتبين والزنا مما يتستر به وينبغي أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته ولما كان مكانهن مهبط الوحي من الأوامر والنواهي لزمهن بسبب ذلك وكونهن تحت الرسول عليه السلام أكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الأجر والعذاب وقرئ نضعف مبنيا للفاعل العذاب نصب ونضعف مبنيا للمفعول العذاب رفع ومعنى ضعفين أي مرتين ﴿ ومن يقنت ﴾ أي يطع ويخضع

بالعبودية لله تعالى وبالموافقة لرسوله صلى الله عليه وسلم وقرئ يقنت بياء المذكر ويعمل حملا على لفظ من ﴿لستن كأحد من النساء﴾ أي ليس كل واحدة منكن كشخص واحد من النساء أي من نساء عصركن فكما أنه عليه السلام ليس كأحد من الرجال كما قال عليه الصلاة والسلام لست كأحدكم كذلك زوجاته اللاتي تشرفن بقربه قال الزمخشري أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أي اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم بأنهم على الحق المبين انتهى أما قوله أحد في الأصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح وأما قوله ثم وضع الى قوله وما وراءه فليس بصحيح لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد لأن واحدا ينطلق على كل شئ اتصف بالوحدة وأحد المستعمل في النفي العام مخصوص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحاء ودال ومادة أحد بمعنى واحد أصله واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا ﴿إن اتقيتن﴾ الظاهر أنه محمول على أن معناه ان استقبلتن أحدا فلا تخضعن واتقى بمعنى استقبل معروف في اللغة قال النابغة الجعدي سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد * أي استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى أبلغ في مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع اذ هن متقيات لله تعالى في أنفسهن والتعليق ظاهره يقتضي أنهن لسن متحليات بالتقوى ﴿وقلن قولا معروفا﴾ وهو الذي لا تنكره الشريعة ولا العقول ﴿وقرن في بيوتكن﴾ قرئ وقرن بكسر القاف يقول وقر يقر اذا سكن فهو أمر مثل قولك عدن من وعد وقرن بفتح القاف وتقدم (٢٢٦) لنا أنه يقال قررت في المكان على وزن فعلت فيكون مضارعه يقرر والأمر أصله اقررن نقلت حركة الراء الى القاف وانحذفت همزة الوصل ثم حذفت لام الكلمة وهي الراء كما حذفت في ظللت فقيل قرن كما قيل ظلن أمرهن تعالى بملازمة بيوتهن

> مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا

فنهاهن عن التبرج وأعلم تعالى أنه فعل الجاهلية الاولى قال الليث تبرجت أبدت محاسنها من وجهها وجسدها ويرى مع ذلك من عينها حسن نظر ﴿يريد الله ليذهب﴾ تقدم نظيره في قوله يريد الله ليبين لكم في النساء والرجس الاثم واستعار الرجس للذنوب والطهر للتقوى لان عرض المقترف للمعاصي يتدنس بها وأما الطاعات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وانتصب أهل على النداء أو على المدح أو على الاختصاص وهو قليل في المخاطب ومنه بك الله نرجو الفضل وأكثر ما يكون في المتكلم نحو قوله نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * ولما كان أهل البيت يشمله واياهن غلب المذكر على المؤنث في الخطاب في عنكم ويطهركم ﴿واذكرن﴾ اما بمعنى احفظن وتذكرن واما اذكرنه لغيركن وارويته حتى ينقل ﴿من آيات الله﴾ هو القرآن ﴿والحكمة﴾ هي ما كان من حديثه وسنته عليه السلام وفي قوله لطيفا تليين وفي خبيرا تحذير ما وروى أن نساءه عليه السلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكرنا وقيل السائلة أم سلمة وقيل لما نزل في نسائه ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت ان المسلمين الآية وهذه الأوصاف العشرة تقدم شرحها بدأ أولا بالانقياد الظاهر ثم بالتصديق ثم الأوصاف التي بعدها تندرج في الاسلام وهو الانقياد وفي الايمان وهو التصديق ثم ختمها بحلية المراقبة وهي ذكر الله كثيرا ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقا الا في قوله والحافظين فروجهم والذاكرين الله نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم وهو لفظ الله اذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه ليذكر المسلم من يذكره وهو الله تعالى وحذف من الحافظات والذاكرات المعمول لدلالة ما تقدم والتقدير والحافظاتها والذاكراته ﴿أعد الله لهم﴾ غلب الذكور لجمع الاناث معهم وأدرجهم في الضمير ولم يأت التركيب لهم ولهن

عظيما * سبب نزولها أن أزواجه صلى الله عليه وسلم تغايرن وأردن زيادة فى كسوة ونفقة فنزلت ولما نصر الله نبيه وفرق عنه الأحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه انه اختص بنفائس اليهود وذخائرهم فقعدن حوله وقلن يارسول الله بنات كسرى وقيصر فى الحلى والحلل والاماء والخول ونحن على ماتراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والأكابر أزواجهم فأمره الله أن يتلو عليهن مانزل فى أمرهن وأزواجه اذ ذاك تسع عائشة بنت أبى بكر * وحفصة بنت عمر * وأم حبيبة بنت أبى سفيان * وسودة بنت زمعة * وأم سلمة بنت أبى أمية * وهؤلاء من قريش * ومن غير قريش * ميمونة بنت الحرث الهلالية * وزينب بنت جحش الأسدية * وجويرية بنت الحرث المصطلقية * وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية * وقال أبو القاسم الصيرفى لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة وأمر بتخيير نسائه ليظهر صدق موافقتهن وكان تحته عشر نساء زاد الحميرية فاخترن الله ورسوله الا الحميرية * وروى انه قال لعائشة وبدأ بها وكانت أحبهن اليه انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن لاتعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة لاتخبر أزواجك أنى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا والظاهر انهن اذا اخترن الحياة الدنيا وزينتها متعهن رسول الله وطلقهن وانه ليس باختيارهن ذلك يقع الفراق دون أن يوقعه هو * وقال الاكثرون هى آية تخيير فاذا قال لها اختارى فاختارت زوجها لم يكن ذلك طلاقا * وعن على تكون واحدة رجعية وان اختارت نفسها وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه وهو قول على وواحدة رجعية عند الشافعى وهو قول عمر وابن مسعود وثلاث عند مالك وأكثر الناس ذهبوا الى أن الآية فى التخيير والطلاق وهو قول على والحسن وقتادة قال هذا القائل وأما أمر الطلاق فرجأ فان اخترن أنفسهن نظر هو كيف يسرحهن وليس فيها تخيير فى الطلاق لان التخيير يتضمن ثلاث تطليقات وهو قد قال وأسرحكن سراحا جميلا وليس مع بت الطلاق سراح جميل انتهى والذى يدل عليه ظاهر الآية هو ماذكرناه أولا من أنه علق على ارادتهن زينة الحياة الدنيا وقوع التمتيع والتسريح منه والمعنى فى الآية انه كان عظيم همكن ومطلبكن التعمق فى الدنيا ونيل نعيمها وزينتها وتقدم الكلام فى فتعالين فى قوله تعالى قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم فى آل عمران * أمتعكن قيل المتعة واجبة فى الطلاق وقيل مندوب اليها والامر فى قوله ومتعوهن يقتضى الوجوب فى مذهب الفقهاء وتقدم الكلام فى ذلك وفى تفصيل المذاهب فى البقرة والتسريح الجميل امافى دون البيت أو جميل الثناء والمعتقد وحسن العشرة ان كان تاما * وقرأ الجمهور أمتعكن بالتشديد من متع وزيد بن على بالتخفيف من أمتع ومعنى أعد هيأ ويسر واوقع الظاهر موقع المضمر تنبيها على الوصف الذى ترتب لهن به الاجر العظيم وهو الاحسان كأنه قال أعد لكن لان من أراد الله ورسوله والدار الآخرة كان محسنا وقراءة حميد الخراز أمتعكن وأسرحكن بالرفع على الاستئناف والجمهور بالجزم على جواب الامر أو على جواب الشرط ويكون فتعالين جملة اعتراض بين الشرط وجزائه ولا يضر دخول الفاء على جملة الاعتراض ومثل ذلك قول الشاعر

واعلم فعلم المرء ينفعه * ان سوف يأتى كل ما قدرا

ثم نادى نساء النبى ليجعلن بالهن مما يخاطبن به اذا كان أمرا يجعل له البال * وقرأ زيد بن على

(الدر) (ش) أحد فى الأصل بمعنى وحدوهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويافيه المذكر والمؤنث والواحدوما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم

يوجدمنهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحدمنهم يريدبين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين انتهى (ح) أما قوله أحد فى الأصل بمعنى وحدوهو الواحد فصحيح وأما قوله ثم وضع الى قوله وماوراءه فليس بصحيح لان الذى يستعمل فى النفى العام مدلوله غير مدلول واحد لأن واحدا ينطلق على كل شئ اتصف بالوحدة واحد المستعمل فى النفى العام مخصوص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحاء ودال ومادة أحد بمعنى واحد أصله واو وحاء ودال فقد اختلفامادة ومدلولا وأما قوله لستن كجماعة واحدة فقد قلنا ان قوله لستن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة واحدة ليس حكما على المجموع من حيث هو مجموع وقلنا ان معنى كاحد كشخص واحد فابقينا

أحدا على موضوعه من التذكير ولم نتأوله جماعة واحدة وأما ولم يفرقوا بين أحد منهم فاحتمل أن يكون الذى النفى العام ولذلك جاء فى سياق النفى فعم وصلحت البينية للعموم واحتمل أن يكون بمعنى واحد ويكون قد حذف معطوف أى

والجحدرى وعمرو بن فائد الاسوارى ويعقوب تأت بتاء التأنيث حملا على معنى من والجمهور بالياء حملا على لفظ من * بفاحشة مبينة كبيرة من المعاصى ولا يتوهم انها الزنا لعصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ولانه وصفها بالتبيين والزنا مما يتستر به وينبغى أن تحمل الفاحشة على عقوق الزوج وفساد عشرته ولما كان مكانهن مهبط الوحى من الاوامر والنواهى لزمهن بسبب ذلك وكونهن تحت الرسول أكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن الاجر والعذاب * وقرأ نافع وحمزة وعاصم والكسائى يضاعف بالف وفتح العين والحسن وعيسى وأبو عمرو بالتشديد وفتح العين والجحدرى وابن كثير وابو عامر بالنون وشد العين مكسورة وزيد بن على وابن محيصن وخارجة عن أبى عمرو بالألف والنون والكسر وفرقة بياء الغيبة والألف والكسر ومن فتح العين رفع العذاب ومن كسرها نصبه * ضعفين أى عذابين فيضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر * وقال أبو عبيدة وأبو عمر وفيما حكى الطبرى عنهما انه يضاف الى العذاب عذابان فتكون ثلاثة وكون الأجر مرتين بعد هذا القول لأن العذاب فى الفاحشه بازاء الأجر فى الطاعة وكان ذلك أى تضعيف العذاب عليهن على الله يسيرا أى سهلا وفيه اعلام بان كونهن نساء مع مقارفة الذنب لايغنى عنهن شيئا وهو يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب * ومن يقنت أى يطع ويخضع بالعبودية لله وبالموافقة لرسوله * وقرأ الجمهور ومن يقنت بالمذكر حملا على لفظ من وتعمل بالتاء حملا على المعنى نؤتها بنون العظمة * وقرأ الجحدرى والاسوارى ويعقوب فى رواية ومن تقنت بتاء التأنيث حملا على المعنى وبها قرأ ابن عامر فى رواية ورواها أبو حاتم عن أبى جعفر وشيبة ونافع * وقال ابن خالويه ماسمعت ان أحدا قرأ ومن يقنت الا بالتاء * وقرأ السلمى وابن وثاب وحمزة والكسائى بياء من تحت فى ثلاثتها وذكر أبو البقاء ان بعضهم قرأ ومن يقنت بالياء حملا على المعنى ويعمل بالياء حملا على لفظ من قال فقال بعض النحويين هذا ضعيف لأن التذكير أصل لايجعل تبعا للتأنيث وماعللوه به قد جاء مثله فى القرآن وهو قوله تعالى خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا انتهى وتقدم الكلام على خالصة فى الأنعام * والرزق الكريم الجنة * قال ابن عطية ويجوز أن يكون فى ذلك وعد دنياوى أى ان أرزاقها فى الدنيا على الله وهو كريم من حيث هو حلال وقصد وبرضا من الله فى نيله * وقال بعض المفسرين العذاب الذى توعد به ضعفين هو عذاب الدنيا ثم عذاب الآخرة وكذلك الأجر وهو ضعيف انتهى وانما ضوعف أجرهن لطلبهن رضا رسول الله بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة والتوفر على عبادة الله * يانساء النبى لستن كأحد من النساء أى ليس كل واحدة منكن كشخص واحد من النساء أى من نساء عصرك وليس النفى منصبا على التشبيه فى كونهن نسوة تقول ليس زيد كآحاد الناس لاتريد نفى التشبيه عن كونه انسانا بل فى وصف أخص موجود فيه وهو كونه عالما أو عاملا أو مصليا فالمعنى انه يوجد فيكن من التمييز مالا يوجد فى غيركن وهو كونكن أمهات المؤمنين وزوجات خير المرسلين ونزل القرآن فيكن فكما انه عليه السلام ليس كأحد من الرجال كما قال عليه السلام لست كأحدكم كذلك زوجاته اللاتى تشرفن به * وقال الزمخشرى أحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه

المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء أى اذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم فى أنهم على الحق المبين انتهى أما قوله أحد فى الأصل بمعنى وحد وهو الواحد فصحيح وأما قوله ثم وضع الى قوله وما وراءه فليس بصحيح لأن الذى يستعمل فى النفى العام مدلوله غير مدلول واحدا لان واحد ينطلق على كل شئ اتصف بالوحدة وأحد المستعمل فى النفى العام مخصوص بمن يعقل وذكر النحويون ان مادته همزة وحاء ودال ومادة أحد بمعنى وحد أصله واو وحاء ودال فقد اختلفا مادة ومدلولا وأما قوله لستن كجماعة واحدة فقد قلنا ان قوله لستن معناه ليست كل واحدة منكن فهو حكم على كل واحدة واحدة ليس حكما على المجموع من حيث هو مجموع وقلنا ان معنى كاحد كشخص واحد فابقينا أحدا على موضوعه من التذكير ولم نتأوله بجماعة واحدة وأما ولم يفرقوا بين أحد منهم فاحتمل ان يكون الذى للنفى العام ولذلك جاء فى سياق النفى فعم وصلحت البينية للعموم واحتمل أن يكون أحد بمعنى واحد ويكون قد حذف معطوف أى بين واحد وواحد من رسله كما قال الشاعر

فما كان بين الخير لو جاء سالما * أبو حجر الا ليال قلائل

أى لستن مثلهن ان اتقيتن الله وذلك لما انضاف مع تقوى الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن فى بيتهن وفى حقهن * وقال الزمخشرى ان اتقيتن ان أردتن التقوى وان كن متقيات * فلا تخضعن بالقول فلا تجبن بقولكن خاضعا أى لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات * فيطمع الذى فى قلبه مرض أى ريبة وفجور انتهى فعلى القول الأول يكون ان اتقيتن قيدا فى كونهن لسن كاحد من النساء ويكون جواب الشرط محذوفا وعلى ما قاله الزمخشرى يكون ان اتقيتن ابتداء شرط وجوابه فلا تخضعن وكلا القولين فيهما حمل ان اتقيتن على تقوى الله تعالى وهو ظاهر الاستعمال وعندى أنه محمول على ان معناه ان استقبلتن أحدا فلا تخضعن واتقى بمعنى استقبل معروف فى اللغة قال النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

أى استقبلتنا باليد ويكون هذا المعنى أبلغ فى مدحهن اذ لم يعلق فضيلتهن على التقوى ولا علق نهيهن عن الخضوع بها اذ هن متقيات لله فى أنفسهن والتعليق يقتضى ظاهره انهن لسن متحليات بالتقوى * قال ابن عباس لا ترخصن بالقول * وقال الحسن لا تكلمن بالرفث وقال الكلبى لا تكلمن بما يهوى المريب * وقال ابن زيد الخضوع بالقول ما يدخل فى القلب الغزل وقيل لا تلن للرجال القول أمر تعالى أن يكون الكلام خيرا لا على وجه يظهر فى القلب علاقة ما نظهر عليه من اللين كما كان الحال عليه فى نساء العرب من مكالمة الرجال برخيم الصوت ولينه مثل كلام المومسات فنهاهن عن ذلك وقال الشاعر

* بتكلم لو تستطيع كلامه * لانت له أروى الهضاب الصخر

﴿ وقال آخر ﴾

لو أنها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله صرورة المتعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

(الدر)

بين واحد وواحد من رسله كما قال

فما كان بين الخير لو جاء سالما
أبو حجر الا ليال قلائل

أى بين الخير وبينى

* وقرأ الجمهور فيطمع بفتح الميم ونصب العين جوابا للنهي وأبان بن عثمان وابن هرمز بالجزم فكسرت العين لالتقاء الساكنين نهين عن الخضوع بالقول ونهى مريض القلب عن الطمع كأنه قيل لاتخضع فلا تطمع * وقراءة النصب أبلغ لانها تقتضي الخضوع بسبب الطمع * وقال أبو عمرو والداني قرأ الأعرج وعيسى فيطمع بفتح الياء وكسر الميم ونقلها ابن خالويه عن أبي السمال قال وقد روى عن ابن محيصن وذكر ان الأعرج وهو ابن هرمز قرأ فيطمع بضم الياء وفتح العين وكسر الميم أي فيطمع هو أي الخضوع بالقول والذي مفعول أو الذي فاعل والمفعول محذوف أي فيطمع نفسه *والمرض * قال قتادة النفاق * وقال عكرمة الفسق والغزل *وقلن قولا معروفا والمحرم وهو الذي لاتنكره الشريعة ولا العقول *قال ابن عباس المرأة تندب اذا خالطت الأجانب عليها بالمصاهرة الى الغلظة في القول من غير رفع الصوت فانها مأمورة بخفض الكلام * وقال الكلبي معروفا صحيحا بلا هجر ولا تمريض وقال الضحاك عنيفا وقيل خشنا حسنا وقيل معروفا أي قولا اذن لكم فيه وقيل ذكر الله وما يحتاج اليه من الكلام * وقرأ الجمهور وقرن بكسر القاف من وقر يقر اذا سكن وأصله اوقرن مثل عدن من وعد ود كرأبو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها آخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها ألا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا فكونوا اقارة فالمعنى اجمعن أنفسكن في بيوتكن وقرن أمر من قار كما تقول خفن من خاف أو من القرار تقول قررت بالمكان وأصله واقررن حذفت الراء الثانية تخفيفا كما حذفوا الام ظللت ثم نقلت حركتها الى القاف فذهبت ألف الوصل * وقال أبو علي أبدلت الراء ونقلت حركتها الى القاف ثم حذفت الياء لسكونها وسكون الراء بعدها انتهى وهذا غاية في التحميل كعادته * وقرأ عاصم ونافع بفتح القاف وهي لغة العرب يقولون قررت بالمكان بكسر الراء وبفتح القاف حكاه أبو عبيد والزجاج وغيرهما وأنكرها قوم منهم المازني وقالوا بكسر الراء من قرت العين وبفتحها من القرار *وقرأ ابن أبي عبلة واقررن بألف الوصل وكسر الراء الأولى وتقدم لنا الكلام على قررت وانه بالفتح والكسر من القرار ومن القرة أمرهن تعالى بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج وأعلم تعالى انه فعل الجاهلية الأولى وكانت عائشة اذا قرأت هذه الآية بكت حتى تبل خمارها تتذكر خروجها أيام الجمل تطلب بدم عثمان وقيل لسودة لم لا تحجين وتعتمرين كما يفعل اخوانك فقالت قد حججت واعتمرت وأمرني الله أن أقر في بيتي فما خرجت من باب حجرتها حتى أخرجت جنازتها *ولا تبرجن *قال مجاهد وقتادة التبرج التبختر والتغنج والتكسر * وقال مقاتل تلقي الخمار على وجهها ولا تشده * وقال المبرد تبدي من محاسنها ما يجب عليها ستره *والجاهلية الأولى يدل على ان ثم جاهلية متقدمة وأخرى متأخرة فقيل هما ابنان لآدم سكن أحدهما الجبل فذكور أولاده صباح واناثهم قباح والآخر السهل وأولاده على عكس ذلك فسوى لهم ابليس عيدا يجتمع جميعهم فيه فمال ذكور الجبل الى اناث السهل وبالعكس فكثرت الفاحشة فهو تبرج الجاهلية الأولى * وقال عكرمة والحكم بن عيينة ما بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة كان الرجال صباحا والنساء قباحا فكانت المرأة تدعو الرجل الى نفسها * وقال ابن عباس أيضا الجاهلية الأولى ما بين ادريس ونوح كانت ألف سنة تجمع المرأة بين زوج وخليل * وقال الكلبي وغيره ما بين نوح وابراهيم .. وقال مقاتل زمن نمرود بغايا يلبسن أرق الدروع ويمشين في الطرق * وقال الزمخشري والجاهلية الأولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء

وهي الزمان الذي ولد فيه ابراهيم كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال * وقال أبو العالية زمن داود وسليمان كان للمرأة قميص من الدر غير مخيط الجانبين يظهر منه الأكعاب والسوأتان * وقال المبرد كانت المرأة تجمع بين زوجها وحلمها للزوج نصفها الأسفل وللحلم نصفها يتمتع به في التقبيل والترشف وقيل مابين موسى وعيسى * وقال الشعبي مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام * وقال مقاتل الاولى زمن ابراهيم والثانية زمن محمد عليه الصلاة والسلام قبل أن يبعث * وقال الزجاج الأشبه قول الشعبي لانهم هم الجاهلية المعروفون كانوا يتخذون البغايا وانما قيل الأولى لانه يقال لكل متقدم ومتقدمة أول وأولى وتأويله انهم تقدموا على أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهم أولى وهم أول من أمة محمد عليه الصلاة والسلام * وقال عمر لابن عباس وهل كانت الجاهلية الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت الاولى الا ولها آخرة فقال عمر لله درك يا ابن عباس * وقال الزمخشري والجاهلية الاخرى مابين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ويجوز أن يكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا يحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام يتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر ويعضده ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر أم اسلام فقال بل جاهلية كفر انتهى والمعروف في الحديث انه عليه الصلاة والسلام انما قال انك امرؤ فيك جاهلية لابي ذر رضي الله عنه * وقال ابن عطية والذي يظهر عندي انه أشار الى الجاهلية التي يحصها فأمرن بالنقلة من سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفر ولانهم كانوا لاغيرة عندهم وكان أمر النساء دون حجبة وجعلها أولى بالاضافة الى حالة الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية أخرى وقد مر اطلاق اسم الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعراء * وقال ابن عباس في البخاري سمعت أي في الجاهلية الى غير هذا انتهى * وأمر الصلاة أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة اذ هما عمودا الطاعة البدنية والمالية ثم جاء بهما في عموم الامر بالطاعة ثم بين ان نهيهن وأمرهن ووعظهن انما هو لاذهاب المأثم عنهن وتصونهن بالتقوى واستعار الرجس للذنوب والطهر للتقوى لان عرض المقترف للمعاصي يتدنس بها ويتلوث كما يتلوث بدنه بالارجاس وأما الطاعات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة تنفير عما نهى الله عنه وترغيب فيما أمر به والرجس يقع على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص فاذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت * وقال الحسن الرجس هنا الشرك * وقال السدي الاثم * وقال ابن زيد الشيطان * وقال الزجاج الفسق وقيل المعاصي كلها ذكره الماوردي وقيل الشك وقيل البخل والطبع وقيل الاهواء والبدع وانتصب أهل على النداء أو على المدح أو على الاختصاص وهو قليل في المخاطب ومنه * بك الله نرجو الفضل * وأكثر ما يكون في المتكلم وقوله

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

ولما كان أهل البيت يشملهن وآباءهن غلب المذكر على المؤنث في الخطاب في عنكم ويطهركم وقول عكرمة ومقاتل وابن السائب ان أهل البيت في هذه الآية مختص بزوجاته عليه ليس بجيد اذ لو كان كما قالوا لكان التركيب عنكن ويطهركن وان كان هذا القول مرويا عن ابن عباس فلعله لايصح عنه * وقال أبو سعيد الخدري هو خاص برسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين * وروى نحوه عن أنس وعائشة وأم سلمة * وقال الضحاك هم أهله وأزواجه * وقال زيد بن أرقم والثعلبي

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ الآية قال الجمهور خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد زينب بنت جحش فابت وقالت لست بنا كحته فقال بلى فانكحيه فقد رضيته لك فابت فنزلت وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك فلما نزلت الآية رضيا بذلك * ومناسبة هذه الآية لما قبلها لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من الاسلام فما بعده عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين اذ أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر ووقع منهم الاباء له فانكر عليهم وقال الزمخشرى كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ماجاءنى من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا انتهى ليس كما ذكر لان هذا عطف بالواو ولا

يجوز افراد الضمير الا على تأويل الحذف أى ماجاءنى من رجل الا كان من شأنه كذا وتقول مازيد وعمرو الا ضربا خالدا ولا يجوز الاضرب الا على الحذف كما قلنا * والخيرة مصدر من تخير على غير قياس كالطيرة من تطير ﴿ واذ تقول ﴾ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ للذى أنعم الله عليه ﴾ بالاسلام وهو أجل النعم وهو زيد بن حارثة الذى كان عليه السلام تبناه ﴿ وأنعمت عليه ﴾ وهو عتقه وقال على ابن الحسين كان قد أوحى الله تعالى الى رسوله ان زيدا سيطلقها وأنه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما اشتكا زيد خلقها وانها لا تطيعه وأعلمه بانه يريد طلاقها قال له أمسك عليك زوجك واتق الله على طريق الأدب والوصية وهو يعلم

بنو هاشم الذين يحرمون الصدقة آل عباس وآل على وآل عقيل وآل جعفر ويظهر انهم زوجاته وأهله فلا تخرج الزوجات عن أهل البيت بل يظهر انهن أحق بهذا الاسم لملازمتهن بيته عليه الصلاة والسلام * وقال ابن عطية والذى يظهر ان زوجاته لا يخرجن عن ذلك ألبتة فأهل البيت زوجاته وبنته وبنوها وزوجها * وقال الزمخشرى وفى هذا دليل على أن نساء النبى من أهل بيته ثم ذكرلهن ان بيوتهن مهابط الوحى وأمرهن أن لا ينسين مايتلى فيها من الكتاب الجامع بين أمرين وهو آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع * ان الله كان لطيفا خبيرا حين علم ماينفعكم ويصلحكم فى دينكم فأنزله عليكم أو علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان تكونوا أهل بيته أو حيث جعل الكلام جامعا بين الغرضين انتهى واتصال واذكرن بما قبله يدل على انهن من البيت ومن لم يدخلهن قال هى ابتداء مخاطبة * واذكرن اما بمعنى احفظن وتذكرنه واما اذكرنه لغيركن وارويته حتى ينقل * ومن آيات الله هو القرآن والحكمة هى ما كان من حديثه وسنته عليه الصلاة والسلام غير القرآن ويحتمل أن يكون وصفا للآيات وفى قوله لطيفا تليين وفى خبيرا تحذير ما * وقرأ زيد بن على ماتتلى بتاء التأنيث والجمهور بالياء * وروى ان نساءه عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن ولم يذكرنا وقيل السائلة أم سلمة وقيل لما نزل فى نسائه مانزل قال نساء المسلمين مانزل فينا شئ فنزلت ان المسلمين الآية وهذه الأوصاف العشرة تقدم شرحها فبدأ أولا بالانقياد الظاهر ثم بالتصديق ثم بالأوصاف التى بعدها تندرج فى الاسلام وهو الانقياد وفى الايمان وهو التصديق ثم ختمها بحلة المراقبة وهى ذكر الله كثيرا ولم يذكر لهذه الاوصاف متعلقا الا فى قوله والحافظين فروجهم والذاكرين الله كثيرا نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبه وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم وهو لفظ الله إذ هو العلم المحتوى على جميع أوصافه ليتذكر المسلم من تذكره وهو الله تعالى وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ماتقدم والتقدير والحافظاتها والذاكراته * أعد الله لهم غلب الذكور بجمع الاناث معهم وأدرجهم فى الضمير ولم يأت التركيب لهم ولهن ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجنا كها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر

أنه سيطلقها وهذا هو الذى أخفى فى نفسه ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم من أنه سيطلقها وخشى صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس فى أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله تعالى على هذا القدر فى شئ قد أباحه الله بأن قال أمسك مع علمه أنه يطلق وأعلمه بان الله أحق بالخشية فى كل حال وهذا المروى عن على بن الحسين هو الذى عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهرى وبكر بن العلاء والقشيرى والقاضى أبى بكر بن العربى وغيرهم وفى قوله أمسك عليك تعدى الفعل الرافع لضمير المخاطب الى ضمير الجر بوساطة على ونظيره قول الشاعر هون عليك فان الأمور * بكف الاله مقاديرها

وفي قوله زوجناكها تعدى فعل زوج الى مفعولين وقد جاء الثاني بحرف الجر في قوله تعالى وزوجناهم بحور عين ولما نفى الحرج عن المؤمنين فيما ذكر واندرج الرسول عليه السلام فيهم اذ هو سيد المؤمنين نفى عنه الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف ونفى عنه الحرج مرتين احداهما بالاندراج في العموم والأخرى بالخصوص ﴿ فيما فرض الله له ﴾ أي من الزيادة على الأربع وكانت اليهود عابوه بكثرة النكاح وكثرة الازواج فرد الله عليهم بقوله سنة الله أي في الانبياء بكثرة النساء حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية وانتصب سنة على انه اسم موضوع موضع المصدر * قال ابن عطية وانتصب سنة الله على الاغراء كأنه قال فعليه سنة الله انتهى قوله على الاغراء ليس بجيد لأن عامل الاسم في الاغراء لا يجوز حذفه وأيضا فتقديره فعليه سنة الله بضمير الغائب لا يجوز ذلك في الاغراء لأنه لا يغرى غائب وما جاء من قولهم عليه رجلا ليسني له تأويل ومع ذلك فهو نادر ﴿ في الذين خلوا ﴾ الانبياء بدليل وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله وهي جملة اعتراض بين الصفة والموصوف والذين مجرور صفة للذين خلوا ثم نفى تعالى كون رسوله أبا أحد من الرجال فلا يثبت بينه وبين من تبناه من حرمة المصاهرة والنكاح ما يثبت بين الأب وولده * وقرأ الجمهور ولكن رسول بتخفيف لكن ونصب رسول على اضمار كان لدلالة كان المتقدمة عليه قبل أو على العطف على أبا أحد * وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالتشديد والنصب على انه اسم لكن والخبر محذوف تقديره ولكن رسول الله وخاتم

النبيين هو أي محمد صلى الله عليه وسلم وحذف خبر لكن وأخواتها جائز اذا دل عليه الدليل فما جاء في لكن قول الشاعر فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي * ولكن زنجيا عظيم المشافر أي أنت لا تعرف قرابتي ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ معطوف على الضمير المرفوع المستكن في يصلي وأغنى الفصل بالجار والمجرور عن التأكيد وصلاة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا في العطف وهما يختلفان وانما كان ذلك لأنهما قد اشتركا في قدر مشترك وهو ارادة وصول الخير اليهم فالله تعالى يريد برحمته اياهم ايصال الخير اليهم وملائكته يريدون بالاستغفار ذلك ﴿ ولا تطع الكافرين ﴾ نهي له عليه السلام عن السماع منهم في أشياء كانوا يطلبونها مما لا يجب وفي أشياء ينتصحون بها وهي غش ﴿ ودع أذاهم ﴾ الظاهر اضافته الى المفعول لما نهى عن طاعتهم أمر بتركه اذايتهم وعقوبتهم ونسخ منه ما يخص الكافرين بآية السيف ﴿ وتوكل على الله ﴾ فانه ينصرك ويخذلهم ويجوز أن يكون مضافا للفاعل أي ودع اذايتهم اياك أي مجازاة الاذاية من عقاب وغيره حتى تؤمر وهذا تأويل مجاهد

الله مفعولا ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ قال الجمهور وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم خطب الرسول لزيد زينب بنت جحش فأبت وقالت لست بناكحته فقال بلى فانكحيه فقد رضيته لك فأبت فنزلت وذكر انها وأخاها عبد الله كرها ذلك فلما نزلت الآية رضيا وقال ابن زيد وهبت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول امرأة وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها فقال قد قبلتك وزوجتك زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها قالا انما أردناه فزوجنا عبده فنزلت والسبب الأول أصح * ومناسبة هذه الآية انه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من الاسلام فما بعده عقب ذلك بما صدر من بعض المسلمين إذ أشار الرسول بأمر وقع منهم الاباء له فأنكر عليهم إذ طاعته عليه السلام من طاعة الله وأمره من أمره والخيرة مصدر من تخير على غير قياس كالطيرة من تطير * وقرئ بسكون الياء ذكره عيسى بن سليمان وقرأ الحرميان والعربيان وأبو جعفر وشيبة والأعرج وعيسى أن تكون بتاء التأنيث

والكوفيون والحسن والاعمش والسلمي بالياء ولما كان قوله لمؤمن ولا مؤمنة يعم في سياق النفي جاء الضمير مجموعا على المعنى في قوله لهم مغلبا فيه المذكر على المؤنث * وقال الزمخشري كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ماجاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا انتهى ليس كما ذكر لان هذا عطف بالواو فلا يجوز افراد الضمير الا على تأويل الحذف أي ماجاءني من رجل الا كان من شأنه كذا وتقول ماجاء زيد ولا عمرو الا ضربا خالدا ولا يجوز الاضرب الا على الحذف كما قلنا * واذ تقول الخطاب للرسول عليه السلام * للذي أنعم الله عليه بالاسلام وهو أجل النعم وهو زيد بن حارثة الذي كان الرسول تبناه وأنعمت عليه وهو عتقه وتقدم طرف من قصته في أوائل السورة * أمسك عليك زوجك وهي زينب بنت جحش وتقدم أن الرسول كان خطبها له وقيل أنعم الله عليه بصحبتك ومودتك وأنعمت عليه بتبنيه فجاء زيد فقال يارسول الله اني أريد أن فارق صاحبتي فقال أرابك منها شئ قال لا والله ولكنها تعظم على لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال أمسك عليك زوجك أي لاتطلقها وهو أمر ندب واتق الله في معاشرتها فطلقها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء عدتها وعلل تزويجه اياها بقوله لكي لايكون على المؤمنين حرج في أن يتزوجوا أزواج من كانوا تبنوه اذا فارقوهن وان هؤلاء الزوجات ليست داخلات فيما حرم في قوله وحلائل أبنائكم * وقال على بن الحسين كان قد أوحى الله اليه ان زيدا سيطلقها وأنه يتزوجها بتزويج الله اياها فلما اشتكى زيد خلقها وأنها لاتطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له أمسك عليك زوجك واتق الله على طريق الأدب والوصية وهو يعلم أنه سيطلقها وهذا هو الذي أخفى في نفسه ولم يرد أنه يأمره بالطلاق ولما علم من انه سيطلقها وخشي رسول الله أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد أمره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر في شئ قد أباحه الله بأن قال أمسك مع علمه أن يطلق فاعلمه أن الله أحق بالخشية أي في كل حال انتهى وهذا المروي عن علي بن الحسين هو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري وبكر بن العلاء والقشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم والمراد بقوله وتخشى الناس انما هو ارجاف المنافقين في تزويج نساء الابناء والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في حركاته وسكناته ولبعض المفسرين كلام في الآية يقتضي النقص من منصب النبوة ضربنا عنه صفحا وقيل قوله واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه خطاب من الله عز وجل أو من النبي صلى الله عليه وسلم لزيد فانه أخفى الميل اليها وأظهر الرغبة عنها لما توهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن تكون من نسائه انتهى وللزمخشري في هذه الآية كلام طويل وبعضه لايليق ذكره بما فيه غير صواب مما جرى فيه على مذهب الاعتزال وغيره واخترت منه ما أنصه قال كم من شئ يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لامقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات لعظم أثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه ألسنتهم الا من أوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الاشياء ولبابها دون قشورها ألا ترى أنهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لايريمون مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده أن يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم مكنون

(الدر)

(ش) كان من حق الضمير أن يوحد كما تقول ماجاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا انتهى (ح) ليس كما ذكر لان هذا عطف بالواو فلا يجوز افراد الضمير الا على تأويل الحذف أي ماجاءني من رجل الا كان من شأنه كذا وتقول مازيد وعمرو الا ضربا خالدا ولا يجوز الاضرب الا على الحذف كما قلنا

ضميره وأمرهم أن ينتشروا والشق عليهم ولكان بعض المقالة فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة أو غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح أيضا وهو خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه ولم يكن مستنكرا عندهم أن ينزل الرجل منهم عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا نزل عنها أن ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شئ حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احداهما وأنكحها المهاجر واذا كان الأمر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد ولا بأحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها أن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمنت الأيمة والضيعة ونالت الشرف وعادت أما من أمهات المؤمنين الى ماذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله لكي لا يكون الآية انتهى ما اخترناه من كلام الزمخشري وقوله أمسك عليك فيه وصول الفعل الرافع الضمير المتصل الى الضمير المجرور وهما لشخص واحد فهو كقوله

هون عليك ودع عنك نهيا صيح في حجراته

وذكروا في مثل هذا التركيب ان على وعن اسمان ولا يجوز أن يكونا حرفين لامتناع فكر فيك وأعني بك بل هذا انما يكون فيه النفس أي فكر في نفسك وأعني بنفسك وقد تكلمنا على هذا في قوله وهزي اليك واضمم اليك جناحك * وقال الحوفي وتخفي في نفسك مستأنف وتخشى معطوف على وتخفي * وقال الزمخشري واو الحال أي تقول لزيد أمسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس أو واو العطف كأنه قيل وان تجمع بين قولك أمسك واخفاء قالة وخشية الناس انتهى ولا يكون وتخفي حالا على اضمار مبتدأ أي وأنت تخفي لانه مضارع مثبت فلا يدخل عليه الواو إلا على ذلك الاضمار وهو مع ذلك قليل نادر لا يبنى على مثله القواعد ومنه قولهم قمت وأصك عينه أي وأنا أصك عينه * والله أحق أن تخشاه تقدم اعراب نظيره في التوبة * فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجة قيل وهو الجماع قاله ابن عباس * وروى أبو عصمة نوح ابن أبي مريم اسنادا رفعه الى زينب أنها قالت ما كنت أمتنع منه غير أن الله منعني منه وقيل انه منذ تزوجها لم يتمكن من الاستمتاع بها * وروى انه كان يتورم ذلك منه حين يريد أن يقربها * وقال قتادة الوطر هنا الطلاق * وقرأ الجمهور زوجناكها بنون العظمة وجعفر بن محمد وابن الحنفية وأخواه الحسن والحسين وأبوهم علي زوجتكها بتاء الضمير للتكلم ونفى تعالى الحرج عن المؤمنين في اجراء أزواج المتبنين مجرى أزواج البنين في تحريمهن عليهن بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن * وكان أمر الله أي مقتضى أمر الله أو مضمن أمره * قال ابن عطية والا فالأمر قديم لا يوصف بأنه مفعول ويحتمل على بعد أن يكون الأمر واحد الأمور التي شأنها أن تفعل * وقال الزمخشري وكان أمر الله الذي يريد أن يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما أراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ويجوز أن يراد بأمر الله المكون لانه مفعول بكن ولما نفى الحرج عن المؤمنين فيما ذكروا ندرج الرسول فيهم إذ هو سيد المؤمنين في عنه الحرج بخصوصه وذلك على سبيل التكريم والتشريف ونفى الحرج عنه مرتين احداهما الاندراج في العموم والاخرى بالخصوص * فيما فرض الله له * قال الحسن فيما خص به من صحة النكاح بلا صداق * وقال قتادة فيما أحل له * وقال الضحاك في الزيادة على الاربع وكانت اليهود عابوه بكثرة النكاح وكثرة

(الدر)

(ش) واو الحال أي تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة أن لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس أو واو العطف كانه قيل وان تجمع بين قولك أمسك واخفاء قالة وخشية الناس (ح) لا يكون وتخفي حالا الا على اضمار مبتدأ أي وأنت تخفي لانه مضارع مثبت ولا تدخل عليه الواو الا على ذلك الاضمار وهو مع ذلك قليل نادر لا تبنى على مثله القواعد ومنه قولهم قمت واصك عينه أي وأنا أصك عينه

الازواج فرد الله عليهم بقوله سنة الله أي في الانبياء بكثرة النساء حتى كان لسليمان عليه السلام ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية وكان لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية وقيل الاشارة الى أن الرسول جمع بينه و بين زينب كما جمع بين داود و بين التي تزوجها بعد قتل زوجها وانتصب سنة الله على انه اسم موضوع موضع المصدر قاله الزمخشري أو على المصدر أو على اضمار فعل تقديره ألزم أو نحوه أو على الاغراء كأنه قال فعليه سنة الله * قال ابن عطية وقوله أو على الاغراء ليس بجيد لان عامل الاسم في الاغراء لا يجوز حذفه وأيضا فتقديره فعليه سنة الله بضمير الغيبة ولا يجوز ذلك في الاغراء إذ لا يغرى غائب وما جاء من قولهم عليه رجلا ليسني له تأويل وهو مع ذلك نادر * والذين خلوا الانبياء بدليل وصفهم بعد قوله الذين يبلغون رسالات الله * وكان أمر الله أي مأموراته والكائنات من أمره فهي مقدورة وقوله قدرا أي ذا قدر او عن قدر او قضاء مقضيا وحكما مثبوتا والذين صفة للذين خلوا أو مرفوع أو منصوب على اضمارهم أو على أمدح * وقرأ عبد الله الذين بلغوا جعله فعلا ماضيا * وقرأ أبي رسالة الله على التوحيد والجمهور يبلغون رسالات جمعا * وكفى بالله حسيبا أي محاسبا على جميع الاعمال والعقائد أو محسبا أي كافيا ثم نفى تعالى كون رسوله أبا أحد من رجالكم بينه و بين من تبناه من حرمة الصهارة والنكاح ما يثبت بين الأب وولده هذا مقصود هذه الجملة وليس المقصود انه لم يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في أمر بنيه بأنهم كانوا ماتوا أولا في أمر الحسن والحسين بأنهما كانا طفلين واضافة رجالكم الى ضمير المخاطبين يخرج من كان من بنيه لانهم رجاله لا رجال المخاطبين * وقرأ الجمهور ولكن رسول بتخفيف لكن ونصب رسول على اضمار كان لدلالة كان المتقدمة عليه قيل أو على العطف على أبا أحد * وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بالتشديد والنصب على انه خبر لكن والخبر محذوف تقديره ولكن رسول الله وخاتم النبيين هو أي محمد صلى الله عليه وسلم وحذف خبر لكن وأخواتها جائز اذا دل عليه الدليل ومما جاء في ذلك قول الشاعر

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي * ولكنّ زنجيا عظيم المشافر

أي أنت لا تعرف قرابتي * وقرأ زيد بن علي وابن أبي عبلة بالتخفيف ورفع ورسوله وخاتم أي ولكن هو رسول الله كما قال الشاعر

ولست الشاعر السفاف فيهم * ولكن مدرة الحرب العوال

أي لكن أنا مدرة * وقرأ الجمهور وخاتم بكسر التاء بمعنى انه ختمهم أي جاء آخرهم * وروى عنه أنه قال أنا خاتم ألف نبي وعنه أنا خاتم النبيين في حديث واللبنة * وروى عنه عليه السلام ألفاظ تقتضي نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم والمعنى انه لا يتنبأ أحد بعده ولا يرد نزول عيسى آخر الزمان لانه ممن نبئ قبله و ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا الى قبلته كأنه بعض امته * قال ابن عطية وما ذكره القاضي أبو الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد وتطرق الى ترك تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته * وقرأ الحسن والشعبي وزيد بن علي والاعرج بخلاف وعاصم بفتح التاء بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم ومن ذهب الى أن النبوة مكتسبة لا تنقطع أو الى أن الولي أفضل من النبي فهو زنديق يجب قتله وقد ادعى النبوة ناس فقتلهم المسلمون على ذلك وكان في عصرنا شخص من الفقراء ادعى النبوة بمدينة مالقة فقتله السلطان بن الاحمر ملك الاندلس بغرناطة

(الدر)

(ع) وانتصب سنة الله على الاغراء كانه قال فعليه سنة الله (ح) قوله على الاغراء ليس بجيد لأن عامل الاسم في الاغراء لا يجوز حذفه وأيضا فتقديره فعليه سنة الله بضمير الغائب لا يجوز ذلك في الاغراء لا يغرى غائب وما جاء من قولهم عليه رجلا ليسني له تأويل وهو مع ذلك نادر

وصلب الى أن تناثر لحمه * وكان الله بكل شيء عليما هذا عام والقصد هنا علمه تعالى بما رآه الأصلح لرسوله و بما قدره في الأمر كله ثم أمر المؤمنين بذكره بالثناء عليه وتحميده وتقديسه وتنزيهه عما لا يليق به * والذكر الكثير قال ابن عباس أن لا ينساه أبدا أو التسبيح مندرج في الذكر لكنه خص بأنه تنزهه تعالى عما لا يليق به فهو أفضل أو من أفضل الأذكار وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله وعن مجاهد هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب و بكرة وأصيلا يقتضيهما اذكروا وسبحوا والنصب بالثاني على طريق الاعمال والوقتان كناية عن جميع الزمان ذكر الطرفين اشعار بالاستغراق * وقال ابن عباس أي صلوا صلاة الفجر والعشاء وقال الأخفش ما بين العصر الى العشاء * وقال قتادة الاشارة بهذين الوقتين الى صلاة الغداة وصلاة العصر و يجوز أن يكون الأمر بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على الطاعات فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها تفضل الصلاة غيرها أو صلاة الفجر والعشاء لان أداءها أشق ولما أمرهم بالذكر والتسبيح ذكر احسانه تعالى بصلاته عليهم هو وملائكته * قال الحسن يصلي عليكم يرحمكم * وقال ابن جبير يغفر لكم * وقال أبو العالية يثني عليكم وقيل يترأف بكم وصلاة الملائكة الاستغفار كقوله تعالى و يستغفرون للذين آمنوا * وقال مقاتل الدعاء والمعنى هو الذي يترحم عليكم حيث يدعوكم الى الخير و يأمركم باكثار الذكر والطاعة ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة * وقال ابن زيد من الضلالة الى الهدى * وقال مقاتل من الكفر الى الايمان وقيل من النار الى الجنة حكاه الماوردي وقيل من القبور الى البعث * وملائكته معطوف على الضمير المرفوع المستكن في يصلي فأغنى الفصل بالجار والمجرور عن التأكيد وصلاة الله غير صلاة الملائكة فكيف اشتركا في قدر مشترك وهو ارادة وصول الخير اليهم فالله تعالى يريد برحمته إياهم ايصال الخير اليهم وملائكته يريدون بالاستغفار ذلك * وقال الزمخشري جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولهم حياك الله أي أحياك وأبقاك وحييتك أي دعوت لك بأن يحييك الله لأنك لاتكالك على اجابة دعوتك كأنك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه أي ادعوا له بأن يصلي عليه * وكان بالمؤمنين رحيما دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة انتهى وماذكره من قوله كأنهم فاعلون فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز وماذكرناه من أن الصلاتين اشتركا في قدر مشترك أولى * تحيتهم يوم يلقونه أي يوم القيامة * سلام أي تحية الله لهم يقول للمؤمنين السلام عليكم مرحبا بعبادي الذين أرضوني باتباع أمري قاله الرقاشي وقيل يحييهم الملائكة بالسلامة من كل مكروه * وقال البراء بن عازب معناه ان ملك الموت لا يقبض روح المؤمن حتى يسلم عليه * وقال ابن مسعود إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرؤك السلام قيل فعلى هذا الهاء في قوله يلقونه كناية عن غير مذكور وقيل سلام الملائكة عند خروجهم من القبور * وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا بالسلام أي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملائكة يومئذ وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة معه عليهم و بشارتهم بالجنة والتحية مصدر في هذه الاقوال أضيف الى المفعول إلا في قول من قال انه مصدر مضاف للمحيي والمحيا لا على جهة العمل لأن الضمير الواحد لا يكون فاعلا مفعولا ولكنه كقوله

﴿يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات﴾ معنى نكحتم عقدتم عليهن وسمى العقد نكاحا لانه سبب اليه كما سميت الخمر اثما لانها سبب له ولفظ النكاح فى كتاب الله لم يرد الا فى العقد وهو من آداب القرآن * وقال ابن عطية روى أبى برزة

وكنا لحكمهم شاهدين أى للحكم الذى جرى بينهم وليبعث اليهم فكذلك هذه التحية الجارية بينهم هى سلام وفرق المبرد بين التحية والسلام فقال التحية يكون ذلك دعاء والسلام مخصوص ومنه ويلقون فيها تحية وسلاما والأجر الكريم الجنة شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم أى مفعولا قولك عند الله وشاهدا بالتبليغ اليهم وبتبليغ الانبياء قولك وانتصب شاهدا على أنه حال مقدرة اذا كان قولك عند الله وقت الارسال لم يكن شاهدا عليهم وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة وعند أدائها أولأنه أقرب زمان البعثة وايمان من آمن وتكذيب من كذب كان ذلك وقع فى زمان واحد * وداعيا الى الله * قال ابن عباس شهادة أن لا اله الا الله * وقال ابن عيسى الى الطاعة * باذنه أى بتسهيله وتيسيره ولا يراد به حقيقة الاذن لأنه قد فهم فى قوله إنا أرسلناك داعيا انه مأذون له فى الدعاء ولما كان دعاء المشرك الى التوحيد صعبا جدا قيل باذنه أى بتسهيله تعالى * وسراجا منيرا جلى من ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به اذا مد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضىء اذا قل سليطه ودقت فتيلته * وقال الزجاج هو معطوف على شاهدا أى وذا سراج منير أى كتاب نير * وقال الفراء ان شئت كان نصبا على معنى وتاليا سراجا منيرا وقال الزمخشرى ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف أرسلناك انتهى ولا يتضح هذا الذى قاله اذ يصير المعنى أرسلنا ذا سراج منير وهو القرآن ولا يوصف بالارسال القرآن انما يوصف بالانزال وكذلك أيضا اذا كان التقدير وتاليا يصير المعنى أرسلنا تاليا سراجا منيرا ففيه عطف الصفة التى للذات على الذات كقولك رأيت زيدا والعالم اذا كان العالم صفة لزيد والعطف مشعر بالتغاير لا يحسن مثل هذا التخريج فى كلام الله وتحمل على ما تقتضيه الفصاحة والبلاغة ولما ذكر تعالى أنه أرسل نبيه شاهدا الى آخره تضمن ذلك الامر بتلك الأحوال فكأنه قال فاشهد وبشر وانذر وادع وانه ثم قال وبشر المؤمنين فهذا متصل بما قبله من جهة المعنى وان كان يظهر انه منقطع من الذى قبله والفضل الكبير الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل أو المزيد على الثواب واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب أو ما فضلوا به على سائر الامم وذلك من جهته تعالى أو الجنة وما أوتوا فيها ويفسره والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ولا تطع الكافرين والمنافقين نهى له عليه السلام عن السماع منهم فى أشياء كانوا يطلبونها مما لا يجب وفى أشياء ينتصحون بها وهى غش * ودع أذاهم الظاهر اضافته الى المفعول لما نهى عن طاعتهم أمر بتركه اذايتهم وعقوبتهم ونسخ منه ما يخص الكافرين بآية السيف وتوكل على الله فانه ينصرك ويخذلهم ويجوز أن يكون مصدرا مضافا للفاعل أى ودع إذايتهم اياك أى [illegible] وهذا تأويل مجاهد * ﴿يأيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما

عن ابن كثير بتخفيف الدال من العدوان كأنه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما لهن والقراءة الاولى أشهر عن ابن كثير وتخفيف الدال وهم من أبى برزة انتهى * ليس بوهم اذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازى فى كتاب اللوامح فى شواذ القراآت والظاهر فى ﴿فمتعوهن﴾ أنه للوجوب وقيل للندب وتقدم الكلام عليه فى البقرة ﴿والسراح الجميل﴾ هو كلمة طيبة دون أذى ولا منع واجب وقيل أن لا يطالبها بما آتاها ولما بين تعالى بعض أحكام أنكحة المؤمنين أتبعه بذكر طرف من نساء النبى صلى الله عليه وسلم والاجور المهور لانه أجر على الاستمتاع بالبضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع وفى وصفهن باللاتى آتيت أجورهن تنبيه على أن الله تعالى اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم الأفضل والأولى لان ايتاء المهر أولى من تأخيره لتعصى

الزوج عن عهدة الدين وشغل ذمته به ولان تأخيره يقتضى أن يستمتع بها مجانا دون عوض تستلمه والتعجيل كان سنة السلف لا يعرف منهم غيره ألا ترى الى قوله عليه السلام لبعض الصحابة حين شكا حاله لتروح فأين درعك الحطمية ولذلك تخصيص ما ملكت بقوله مما أفاء الله عليك لان السبية اذا كانت سبية مالكها مما غنمه والله تعالى من أهل دار الحرب كانت

أحل وأطيب مما يشترى من الجلب فما سبي من دار الحرب فما سبي من دار الحرب قيل فيه سبي طيبة وممن له عهد قيل فيه سبي خبيثة وفي ءالله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث والظاهر أن قوله انا أحللنا لك أزواجك مخصوص لفظ أزواجك بمن كانت في عصمته كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر و﴿اللاتي هاجرن معك﴾ صفة للبنات ﴿و بنات عمك﴾ قالت أم هانىء بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم نزلت هذه الآية فحرمتني عليه لاني لم أهاجر معه وانما كنت من الطلقاء والتخصيص باللاتي هاجرن معك لان من هاجرن معه من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات ﴿وامرأة مؤمنة﴾ قال ابن عباس هي ميمونة بنت الحرث وقيل غير ذلك وتقدم الخطاب له عليه السلام وانتقل منه للاسم لغالب وهو النبي ﴿ان أراد النبي﴾ والضمير الغائب في أن يستنكحها ثم الى ضمير الخطاب في قوله خالصة لك قال الزمخشري والفاعل والفاعلة في باب المصادر غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة انتهى ليس كما ذكر بل هما عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى قول الفرزدق * ولا خارجا من في زور كلام * والقاعد الى أحد (٢٣٩) التأويلين في قولهم أقاعدا وقد سار الركب والكاذبة الى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد تتأول هذه على أنها ليست مصادر والظاهر أن قوله خالصة لك من صفة الواهبة لك نفسها أي هبة النساء أنفسهن مختص بك لا يجوز أن تهب المرأة نفسها لغيرك وأجمعوا على أن ذلك غير جائز لغيره عليه السلام ﴿ترجي من تشاء﴾ تقدم الكلام عليه في براءة والظاهر أن الضمير في منهن عائد على أزواجه عليه السلام والارجاء قال ابن عباس في طلاق من تشاء ممن حصل

أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا ﴾ لما ذكر تعالى قصة زيد وزينب وتطليقه اياها وكانت مدخولا بها واعتدت وخطبها الرسول عليه السلام بعد انقضاء عدتها بين حال من طلقت قبل المسيس وأنها لا عدة عليها ومعنى نكحتم عقدتم عليهن وسمي العقد نكاحا لانه سبب اليه كما سميت الخمر اثما لانها سبب له قالوا ولفظ النكاح في كتاب الله لم يرد الا في العقد وهو من آداب القرآن كنى عن الوطء بالمماسة والملامسة والقربان والتغشي والاتيان قيل الا في قوله حتى تنكح زوجا غيره فانه بمعنى الوطء وقد تقدم الكلام عليه في البقرة وان الكتابيات وان شاركت المؤمنات في هذا الحكم فتخصيص المؤمنات بالذكر تنبيه على أن المؤمن لا ينبغي أن يتخير لنطفته الا المؤمنة وفائدة المجيء بثم وان كان الحكم ثابتا ان تزوجت وطلقت على الفور ولمن أخر طلاقها * قال الزمخشري نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها وهي قريبة العهد من النكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حباله ثم يطلقها انتهى واستعمل عسى صلة لمن عسى وهو لا يجوز وأولو حظ في ذلك الغالب فان من أقدم على العقد على امرأة انما يكون ذلك

في عصمتك وامساك من تشاء ومن ابتغيت أي من طلبها من المؤخر وهن المعزولات فلا جناح عليك في ردها وإيوائها اليك ﴿ذلك أدنى﴾ أي التفويض الى مشيئتك أي قرة عيونهن و وجود رضاهن ادعى من أن ذلك تفويض هو من عند الله تعالى لحالة كل منهن كحالة الأخرى في ذلك وكلهن تأ كبد لشمول الرضى وتفقت الرواية على أنه عليه السلام كان يعدل بينهن في القسمة حتى مات ولم يستعمل شيأ مما أبيح له ضبطا لنفسه وأخذا بالفضل غير ما جرى لسودة ﴿لا يحل لك النساء من بعد﴾ الآية الظاهر أنها محكمة ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه قال ابن عباس من بعد التسع أن التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته وقيل لما خيرن واخترن الله ورسوله جزاهن الله ان حظر عليه النساء غيرهن وتبدلهن ونسخ بذلك ما أباحه قبل من التوسعة في جميع النساء

(الدر) (س) نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم الى آخره (ح) استعمل عسى صلة لمن عسى وهو لا يجوز

لرغبة فيبعد أن يطلقها على الفور لان الطلاق مشعر بعدم الرغبة فلابد أن يتخلل بين العقد والطلاق مهلة يظهر فيها للزوج نأيه عن المرأة وان المصلحة في ذلك له والظاهر ان الطلاق لا يكون الابعد العقد ولا يصح طلاق من لم يعقد عليها عينها أو قبيلتها أو البلد وهو قول الجمهور من الصحابة والتابعين * وقالت طائفة كبيرة منهم مالك يصح ذلك والظاهر ان المسيس هنا كناية عن الجماع وانه اذا خلا بها ثم طلقها لا يعقد وعند أبي حنيفة وأصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المسيس والظاهر ان المطلقة رجعية اذا راجعها زوجها قبل أن تنقضي عدتها ثم فارقها قبل أن يمسها لا تتم عدتها من الطلقة الأولى ولا تستقبل عدة لانها مطلقة قبل الدخول و به قال داود * وقال عطاء و جماعة تمضي في عدتها عن طلاقها الأول وهو أحد قولي الشافعي وقال مالك لا تبنى على العدة من الطلاق الأول وتستأنف العدة من يوم طلقها الطلاق الثاني وهو قول فقهاء جمهور الأمصار والظاهر أيضا انها لو كانت بائنا غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول كالرجعية في قول داود ليس عليها عدة لا بقية عدة الطلاق الأول ولا استئناف عدة الثاني ولها نصف المهر * وقال الحسن وعطاء وعكرمة وابن شهاب ومالك والشافعي وعثمان البتي وزفر لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الأولى * وقال الثوري والأوزاعي وأبو حنيفة وأبو يوسف لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها لاعتدادها من مائه * وقرأ الجمهور تعتدونها بتشديد الدال افتعل من العد أي يستوفون عددها من قولك عد الدراهم فاعتدها أي استوفى عددها نحو قولك كلته فاكتاله و زنته فاتزنته * وعن ابن كثير وغيره من أهل مكة بتخفيف الدال ونقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازي * وقال ابن عطية وروى عن أبي برزة عن ابن كثير بتخفيف الدال من العدوان كأنه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما لهن والقراءة الأولى أشهر عن ابن كثير وتخفيف الدال وهم من أبي برزة انتهى وليس بوهم اذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القرا آت ونقلها الرازي المذكور عن أهل مكة وقال هو من الاعتداد لا محالة لكنهم كرهوا التضعيف فخففوه فان جعلت من الاعتداء الذي هو الظلم ضعف لان الاعتداء يتعدى بعلى انتهى واذا كان يتعدى بعلى فيجوز أن لا يحذف على و يصل الفعل الى الضمير نحو قوله

تحن فتبدي مابها من صبابة * وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

أي لقضى على * وقال الزمخشري وقرئ تعتدونها مخففا أي تعتدون فيها كقوله و يوما شهدناه والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا انتهى و يعني انه اتصل بالفعل لما حذف حرف الجر وصل الفعل الى ضمير العدة كقوله * و يوما شهدناه سليما وعامرا * أي شهدنا فيه وأما على تقدير على فالمعنى تعتدون عليهن فيها * وقرأ الحسن باسكان العين كغيره وتشديد الدال جمعا بين الساكنين * وقوله فما لكم يدل على ان العدة حق الزوج فيها غالب وان كانت لا تسقط باسقاطه لما فيه من حق الله تعالى والظاهر ان من طلقت قبل المسيس لها المتعة مطلقا سواء كانت ممدودة أم مفروضا لها * وقيل يختص هذا الحكم بمن لا مسمى لها والظاهر ان الأمر في فتعوهن للوجوب وقيل للندب وتقدم الكلام مشبعا في المتعة في البقرة والسراح الجميل هو كلمة طيبة دون أذى ولا منع واجب * وقيل أن لا يطالبها بما آتاها ولما بين تعالى بعض أحكام أنكحة المؤمنين أتبعه بذكر طرف من نساء النبي صلى الله عليه وسلم . والأجور المهور لانه أجر على

(الدر)

(ع) وروى عن أبي برزة عن ابن كثير بتخفيف الدال من العدوان كأنه قال فما لكم عدة تلزمونها عدوانا وظلما لهن والقراءة الاولى أشهر عن ابن كثير وتخفيف الدال وهم من أبي برزة انتهى (ح) ليس بوهم اذ قد نقلها عن ابن كثير ابن خالويه وأبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح في شواذ القرا آت

الاستمتاع بالبضع وغيره مما يجوز به الاستمتاع وفي وصفهن باللاتي آتيت أجورهن تنبيه على أن الله اختار لنبيه الأفضل والأولى لان ايتاء المهر أولى وأفضل من تأخيره ليتفصى الروح عن عهدة الدين وشغل ذمته به ولان تأخيره يقتضي انه يستمتع بها مجانا دون عوض تسلمته والتعجيل كان سنة السلف لايعرف منهم غيره ألاترى الى قوله عليه السلام لبعض الصحابة حين شكا حاله التزوج فأين درعك الحطمية وكذلك تخصيص ماملكت يمينه بقوله مما أفاء الله عليك لانها اذا كانت مسبية فلكها مما غنمه الله من أهل دار الحرب كانت أحل وأطيب مما تشترى من الجلب فاسبي من دار الحرب قيل فيه سبي طيبة ومن له عهد قيل فيه سبي خبيثة وفيء الله لايطلق إلا على الطيب دون الخبيث والظاهر ان قوله انا أحللنا لك أزواجك مخصوص لفظة أزواجك بمن كانت في عصمته كعائشة وحفصة ومن تزوجها بمهر * وقال ابن زيد أي من تزوجها بمهر ومن تزوجها بلا مهر وجميع النساء حتى ذوات المحارم من ممهورة ورقيقة وواهبة نفسها مخصوصة به ثم قال بعد ترجي من تشاء منهن أي من هذه الأصناف كلها ثم الضمير بعد ذلك يعم الى قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج فينقطع من الأول ويعود على أزواجه التسع فقط وفي التأويل الأول تضييق * وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج أي النساء شاء وكان ذلك يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الامن سمي سر نساؤه بذلك وملك اليمين انما يعلقه في النادر وبنات العم ومن ذكر معهن يسير ومن يمكن أن يتزوج منهن محصور عند نسائه ولا سيما وقد قرن بشرط الهجرة والواجب أيضا من النساء قليل فلذلك سر بانحصار الأمر ثم مجيء ترجئ من تشاء منهن اشارة الى ماتقدم ثم مجيء ولا أن تبدل بهن من أزواج اشارة الى أن أزواجه اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل فيأتي الكلام منتظما مطردا أكثر من اطراده على التأويل الآخر * وبنات عمك قالت أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم نزلت هذه الآية فحرمتني عليه لأني لم أهاجر معه وانما كنت من الطلقاء والتخصيص باللاتي هاجرن معك لان من هاجر معه من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات وقيل شرط الهجرة في التحليل منسوخ * وحكى الماوردي في ذلك قولين أحدهما ان الهجرة شرط في احلال الأزواج على الاطلاق * والثاني انه شرط في احلال قرابات المذكورات في الآية دون الأجنبيات والمعية هنا الاشتراك في الهجرة لافي الصحبة فيها فيقال دخل فلان معي وخرج معي أي كان عمله كعملي وان لم يقترنا في الزمان ولو قلت فرجعنا معا اقتضى المعنيان الاشتراك في الفعل والاقتران في الزمان وأفرد العم والخال لانه اسم جنس والعمه والخالة كذلك وهذا حرف لغوي قاله أبو بكر بن العربي القاضي * وامرأة مؤمنة * قال ابن عباس وقتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك * وقال عروة والشعبي هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الانصار * وقال عروة أيضا هي خولة بنت حكيم بن الاوقص السلمية * واختلف في ذلك وعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد منهن بالهبة * وقيل الموهبات أربع ميمونة بنت الحرث ومن ذكر معها قبل * وقرأ الجمهور وامرأة بالنصب ان وهبت بكسر الهمزة أي أحللناها لك ان وهبت ان أراد فهنا سرطان والثاني في معنى الحال شرط في الاحلال هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح النبي كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها لأن ارادته هي قبوله الهبة ومابه تتم وهذان النرطان نظير السرطين في قوله ولا

ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم واذا اجتمع شرطان فالثاني شرط في الاول متأخر في اللفظ متقدم في الوقوع مالم تدل قرينة على الترتيب نحو ان تزوجتك أو طلقتك فعبدي حر واجتماع الشرطين مسألة فيها خلاف وتفصيل وقد استوفينا ذلك في شرح التسهيل في باب الجوازم * وقرأ أبو حيوة وامرأة مؤمنة بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي أحللناها لك * وقرأ أبي والحسن والشعبي وعيسى وسلام أن بفتح الهمزة وتقديره لان وهبت وذلك حكم في امرأة بعينها فهو فعل ماض وقراءة الكسر استقبال في كل امرأة كانت تهب نفسها دون واحدة بعينها * وقرأ زيد بن علي اذ وهبت اذ ظرف لما مضى فهو في امرأة بعينها وعدل عن الخطاب الى الغيبة في النبي ان أراد النبي ثم رجع الى الخطاب في قوله خالصة لك للايذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له لاجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه والجمهور على ان التزويج لايجوز بلفظ الاجارة ولا بلفظ الهبة * وقال أبو الحسن الكرخي يجوز بلفظ الاجارة لقوله اللاتي آتيت أجورهن وحجة من منع ان عقد الاجارة مؤقت وعقد النكاح مؤبد فتنافيا وذهب أبو حنيفة وصاحباه الى جواز عقد النكاح بلفظ الهبة اذا وهبت فأشهد على نفسه بمهر لان رسول الله وأمته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وحجة الجمهور انه عليه السلام خص بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ يحتاج الى دليل * وقرأ الجمهور خالصة بالنصب وهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله أي أخلص لك اخلاصا أحللنا لك خالصة بمعنى خلوصا ويجيء المصدر على فاعل وعلى فاعلة * وقال الزمخشري والفاعل والفاعلة في المصادر على غير عزيز بن كالخارج والقاعد والعاقبة والكاذبة انتهى وليس كما ذكر بل هما عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى قول الفرزدق * ولا خارجا من في زور كلام * والقاعد الى أحد التأويلين في قوله * أقاعدا وقد سار الركب * والكاذبة الى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد تتأول هذه الألفاظ على انها ليست مصادر وقرئ خالصة بالرفع فمن جعله مصدرا قدره ذلك خلوص لك وخلوص من دون المؤمنين والظاهر ان قوله خالصة لك من صفة الواهبة نفسها لك فقراءة النصب على الحال قاله الزجاج أي أحللناها خالصة لك والرفع خبر مبتدا أي هي خالصة لك أي هبة النساء أنفسهن مختص بك لايجوز أن تهب المرأة نفسها لغيرك وأجمعوا على ان ذلك غير جائز لغيره عليه السلام ويظهر من كلام أبي بن كعب ان معنى قوله خالصة لك يراد به جميع هذه الاباحة لان المؤمنين قصروا على مثنى وثلاث ورباع * وقال الزمخشري والدليل على انها وردت في أثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين في الأزواج الاماء وعلى أي حد وصفه يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اختصه به ففعل * ومعنى لكيلا يكون عليك حرج أي لكيلا يكون عليك ضيق في دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختصاص ماهو أولى وأفضل في دنياك حيث أحللنا لك أجناس المنكوحات وزدناك الواهبة نفسها ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم انتهى والظاهر ان لكيلا متعلق بقوله أحللنا لك أزواجك * وقال ابن عطية لكيلا يكون أي بينا هذا البيان

(الدر)

(ش) والفاعل والفاعلة في المصادر غير عزيز بن كالخارج والقاعد والعاقبة والكاذبة انتهى (ح) ليس كما ذكر بل هما عزيزان وتمثيله كالخارج يشير الى قول الفرزدق ولا خارجا من في زور كلام والفاعل الى أحد التأويلين في قوله أقاعدا وقد سار الركب والكاذبة الى قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة وقد تتأول هذه الألفاظ على انها ليست مصادر

وشرحها هذا الشرح لكي لا يكون عليك حرج ويظن بك انك قد أثمت عند ربك ثم آنس جميع المؤمنين بغفرانه ورحمته * وقال الزمخشري غفور الواقع في الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده انتهى وفيه دسيسة اعتزالية * قد علمنا ما فرضنا عليهم الآية معناه ان ما ذكرنا فرضك وحكمك مع نسائك وأما حكم أمتك فعندنا علمه وسنبينه لهم وانما ذكر هذا لئلا يحمل واحد من المؤمنين نفسه على ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم فان له في النكاح والتسري خصائص ليست لغيره * وقال مجاهد ما فرضنا عليهم هو أن لا يجاوزوا أربعا * وقال قتادة هو الولي والشهود والمهر * وقيل ما فرضنا من المهر والنفقة والكسوة * وما ملكت أيمانهم * قيل لا يثبت الملك الا اذا كانت ممن يجوز سبيها * وقيل ما أبحنا لهم من ملك اليمين مع الاربع الحرائر من غير عدد محصور والمعنى قد علمنا اصلاح كل منك ومن أمتك وما هو الأصلح لك ولهم فشرعنا في حقك وحقهم على وفق ما علمنا * روى ان ازواجه عليه السلام لما تغايرن وابتغين زيادة النفقة فهجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقن فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وتقدم الكلام في معنى ترجي في قوله وآخرون مرجون لأمر الله في سورة براءة والظاهر ان الضمير في منهن عائد على أزواجه عليه السلام والارجاء الايواء * قال ابن عباس والحسن في طلاق ممن تشاء ممن حصل في عصمتك وامساك من تشاء * وقالت فرقة في تزوج من تشاء من الواهبات وتأخير من تشاء * وقال مجاهد وقتادة والضحاك وتقرر من شئت في القسمة لها وتؤخر عنك من شئت وتقلل لمن شئت وتكثر لمن شئت لا حرج عليك في ذلك فاذا علمن ان هذا حكم الله وقضاؤه زالت الاحنة والغيرة عنهن ورضين وقرت أعينهن وهذا مناسب لما روى في سبب هذه الآية المتقدم ذكره * ومن ابتغيت ممن عزلت أي ومن طلبتها من المعزولات ومن المفردات فلا جناح عليك في ردها وايوائها اليك ويجوز أن يكون ذلك توكيدا لما قبله أي ومن ابتغيت ممن عزلت ومن عزلت سواء لا جناح عليك كما تقول من لقيك ممن لم يلقك جميعهم لك شاكر تريد من لقيك ومن لم يلقك وفي هذا الوجه حذف المعطوف وغرابة في الدلالة على هذا المعنى بهذا التركيب والراجح القول الأول * وقال الحسن المعنى من مات من نسائك اللواتي عندك أو خليت سبيلها فلا جناح عليك أن تستبدل عوضها من اللاتي أحللت لك فلا تزداد على عدة نسائك اللاتي عندك * وقال الزمخشري بمعنى تترك مضاجع من تشاء منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن شئت أو تترك من تشاء من أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك فاذا أمسك ضاجع أو ترك وقسم أو لم يقسم واذا طلق وعزل فاما أن يخلي المعزولة لا يتبعها أو يتبعها * وروى انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن أوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجأ خمسا وأوى أربعا * وروى انه كان يسوي بينهن مع ما أطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت نفسها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى أحشر في زمرة نسائك انتهى ذلك التفويض الى مشيئتك أدنى الى قرة عيونهن وانتفاء حزنهن ووجود رضاهن اذا علمت أن ذلك التفويض من عند الله لحالة كل منهن كحالة الأخرى في ذلك * وقرأ الجمهور أن تقر أعينهن مبنيا للفاعل من قرت العين وابن محيصن يقر من أقر أعينهن بالنصب وفاعل تقر ضمير الخطاب أي أنت * وقرئ تقر مبنيا للمفعول وأعينهن بالرفع * وقرأ الجمهور كلهن بالرفع

تأكيد النون يرضين وأبو إياس حوبة بن عائذ بالنصب تأكيد الضمير النصب فى آتيتهن * والله يعلم ما فى قلوبكم عام * قال ابن عطية والاشارة به ههنا الى ما فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبة شخص دون شخص ويدخل فى المعنى المؤمنون * وقال الزمخشرى وعبيدة من لم يرض منهن بما يريد الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه طيب نفسه انتهى * وكان الله عليما بما انطوت عليه القلوب حليما يصفح عما يغلب على القلب من المسؤل اذهى مما لا يملك غالبا واتفقت الروايات على أنه عليه الصلاة والسلام كان يعدل بينهن فى القسمة حتى مات ولم يستعمل شيأ مما أبيح له ضبطا لنفسه وأخذا بالفضل غير ما جرى لسودة مما ذكرناه * لا تحل لك النساء من بعد الظاهر انها محكمة وهو قول أبى بن كعب وجماعة منهم الحسن وابن سيرين واختاره الطبرى * ومن بعد المحذوف منه مختلف فيه فقال أبى وعكرمة والضحاك ومن بعد اللواتى أحللنا لك فى قوله انا أحللنا لك أزواجك فعلى هذا المعنى * لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتى نص عليهن انهن يحللن لك من الأصناف الأربعة لا اعرابية ولا عربية ولا كتابية ولا أمة بنكاح * وقال ابن عباس وقتادة من بعد لان التسع نصاب رسول الله من الأزواج كما أن الأربع نصاب أمته منهن قال لما خيرن فاخترن الله ورسوله جازاهن الله أن حظر عليه النساء غيرهن وتبديلهن ونسخ بذلك ما أباحه له قبل من التوسعة فى جميع النساء * وقال مجاهد وابن جبير وروى عن عكرمة من بعد أى من بعد اباحة النساء على العموم ولا تحل لك النساء غير المسلمات من يهودية ولا نصرانية وكذلك ولا تبدل بهن من أزواج أى بالمسلمات من أزواج يهوديات ونصرانيات وقيل فى قوله ولا أن تبدل هو من البدل الذى كان فى الجاهلية كان يقول الرجل بادلنى بامرأتك وأبادلك بامرأتى فينزل كل واحد منهما عن امرأته للآخر قال معناه ابن زيد وانه كان فى الجاهلية وأنكر هذا القول الطبرى وغيره فى معنى الآية وما فعلت العرب قط هذا وما روى من حديث عيينة بن حصن انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل عليه بغير استئذان وعنده عائشة من هذه الحميراء فقال عائشة فقال عيينة يا رسول الله ان شئت نزلت لك عن سيدة نساء العرب جمالا ونسبا فليس بتبديل ولا أراد ذلك وانما احتقر عائشة لانها كانت صبية ومن فى من أزواج زائدة لتأكيد النفى وفائدته استغراق جنس الأزواج بالتحريم وقيل الآية منسوخة واختلف فى الناسخ فقيل بالسنة قالت عائشة ما مات حتى حل له النساء * وروى ذلك عن أم سلمة وهو قول على وابن عباس والضحاك وقيل بالقرآن وهو قوله ترجئ من تشاء منهن الآية * قال هبة الله الضرير فى الناسخ والمنسوخ له وقال ليس فى كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ سوى هذا * قال ابن عطية وكلامه يضعف من جهات انتهى وقيل قوله انا أحللنا لك أزواجك الآية فترتيب النزول ليس على ترتيب كتابة المصحف وقد روى عن ابن عباس القولان انها محكمة وانها منسوخة * ولو أعجبك حسنهن قيل منهن أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن أبى طالب والجملة قال الزمخشرى فى موضع الحال من الفاعل وهو الضمير فى تبدل لا من المفعول الذى هو من أزواج لانه موغل فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك لهن وتقدم لنا فى مثل هذا التركيب انه معطوف على حال محذوفة أى ولا ان تبدل بهن من أزواج على كل حال ولو فى هذه الحال التى تقتضى التبدل وهى حالة الاعجاب بالحسن * قال ابن عطية وفى هذا اللفظ أعجبك حسنهن دليل على جواز أن ينظر الرجل الى من يريد زواجها انتهى وقد جاء ذلك فى السنة من

﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي ﴾ الآية فى الصحيحين عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فأخذ كانه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة فجاء فدخل فاذا القوم جلوس فرجع وانهم قاموا وانطلقوا وجئت فأخبرته أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل وذهبت أدخل فالقى الحجاب بيني و بينه وأنزل الله عليه هذه الآية * وقرئ غير بالنصب على الحال والعامل فيه محذوف تقديره ادخلوا بالاذن غير ناظرين وقرئ بالكسر صفة لطعام ثم أمر بالانتشار اذا طعموا * قال الزمخشرى ﴿ الا أن يؤذن ﴾ فى معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لاتدخلوا بيوت النبى الاوقت الاذن ولاتدخلوها الاغير ناظرين اناه انتهى اما أن يؤذن لكم فى معنى الظرف وتقديره وقت أن يؤذن لكم وانه أوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح وقد نصوا على أن أن المصدرية لاتكون فى معنى الظرف تقول أجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز أجيئك أن يصيح الديك ولا أن يقدم الحاج وأما ان الاستثناء وقع على الوقت والحال معا فلا يجوز على مذهب الجمهور ولا يقع بعد الا فى الاستثناء الا المستثنى أو المستثنى منه أو صفة لمستثنى منه وأجاز الاخفش والكسائى ذلك فى الحال أجاز ماذهب القوم الا يوم الجمعة راحلين عنا فيجوز ماقاله الزمخشرى فى الحال وأما قوله الا أن يؤدن فلا يتعين أن يكون ظرفا لانه يكون التقدير الا بأن يؤذن لكم فيكون الباء للسبب كقوله فأخرجنا به من كل الثمرات أو للحال أى مصحوبين بالاذن ﴿ ولا مستأنسين ﴾ معطوف على غير فهو منصوب أى لاتدخلوها لاناظرين ولا مستأنسين

حديث المغيرة بن شعبة وحديث محمد بن مسلمة * الا ماملكت يمينك أى فانه يحل لك وأما إن كانت موصولة واقعة على الجنس فهو استثناء من الجنس يختار فيه الرفع على البدل من النساء ويجوز النصب على الاستثناء وان كانت مصدرية ففى موضع نصب لانه استثناء من غير جنس الاول قاله ابن عطية وليس بجيد لانه قال والتقدير الا ملك اليمين وملك بمعنى مملوك فاذا كان بمعنى مملوك صار من جملة النساء لانه لم يرد حقيقة المصدر فيكون الرفع هو أرجح ولانه قال وهو فى موضع نصب ولا يتحتم أن يكون فى موضع نصب ولو فرضنا انه من غير الجنس حقيقة بل الحجاز تنصب وتميم تبدل لانه مستثنى يمكن توجه العامل عليه وانما يكون النصب متحتما حيث كان المستثنى لا يمكن توجه العامل عليه نحو مازاد المال الا النقص فلا يمكن توجه الزيادة على النقص ولانه قال استثناء من غير الجنس وقال ملك بمعنى مملوك فناقض * وكان الله على كل شئ رقيبا أى راقبا أو مراقبا ومعناه حافظ وشاهد ومطلع وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطى حلاله وحرامه ﴿ يأأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ماملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ

﴿ ذلكم ﴾ اشارة الى السؤال من وراء الحجاب ﴿ أطهر ﴾ يريد من الخواطر التى تخطر للرجال فى أمر النساء والنساء فى أمر الرجال اذ الرؤية سبب التعلق والفتنة ألا ترى قول الشاعر

والمرء مادام ذا عين يقلبها * فى أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ماساء مهجته * لامرحبا بانتفاع جاء بالضرر

﴿ ان تبدوا شيأ أو تخفوه ﴾ وعيد لمن تقدم التعريض به فى الآية ممن أشير اليه بقوله ذلكم أطهر ومن أشير اليه ﴿ وما كان لكم أن تؤذوا ﴾ فقيل ان تبدوا شيأ على ألسنتكم أو تخفوه فى صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه ويجازى عليه روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب أونحن يارسول الله أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزل لا جناح عليهن أى لا اثم عليهن والظاهر من قوله أو ماملكت أيمانهن دخول العبيد والاماء دون ماملك غيرهن وقيل مخصوص بالاماء وقيل جميع العبيد ممن فى ملكهن أو فى ملك غيرهن وقال النخعى يباح لعبدها النظر الى مالا يوارى الدرع من ظاهر بدنها ﴿ واتقين الله ﴾ أمر بالتقوى وخروج من الغيبة الى الخطاب أى واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل فيه الوحى من الاستتار وكان فى الكلام جملة حذفت تقديره اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه الى غيره ثم توعد بقوله ﴿ ان الله كان على كل شئ ﴾ أى من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه وغير ذلك

وعلى آل ابراهيم وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت وباركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد

(الدر)

(ش) الاأن يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لاتدخلوا وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبي الاوقت الاذن ولاتدخلوها الاغير ناظرين اناه انتهى (ح) اما ان يؤذن لكم في معنى الظرف وتقديره وقت أن يؤذن لكم وانه أوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح وقد نصوا على أن المصدرية لاتكون في معنى الظرف تقول أجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولا يجوز أجيئك أن يصيح الديك ولا أن يقدم الحاج وأما ان الاستثناء وقع على الوقت والحال معا فلا يجوز على مذهب الجمهور ولا يقع بعد الا في الاستثناء الا المستثنى أو المستثنى منه أو صفة المستثنى منه وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال أجاز ماذهب القوم الايوم الجمعة راحلين ...

شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدلهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴿ في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون وأخذ كأنه يتهيأ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من القوم من قام وقعد ثلاثة فجاء فدخل فاذا القوم جلوس فرجع وانهم قاموا فانطلقوا وجئت فأخبرته انهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل وذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه وأنزل عليه هذه الآية ﴿ قال ابن عباس كان ناس يتحينون طعامه عليه الصلاة والسلام فيدخلون عليه قبل الطعام الى أن يدرك ثم يأكلون ولايخرجون وكان يتأذى بهم فنزلت وأما سبب الحجاب فعمر قال يارسول الله ان نساءك يدخل عليهن البار والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت ﴿ وقال مجاهد طعم معه بعض أصحابه ومعهم عائشة فمست يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك عليه السلام فنزلت آية الحجاب ولما كان نزول الآية في شئ خاص وقع للصحابة لم يدل ذلك على أنه لايجوز دخول بيوت النبي الا ان كان عن اذن الى طعام غير ناظرين اناه بل لايجوز دخول بيوته عليه السلام الا باذن سواء كان لطعام أم لغيره وأيضا اذا كان النهي الا باذن الى طعام وهو ماتمس الحاجة اليه فجهة الاولى وبيوت جمع وان كانت الواقعة في بيت واحد خاص يعم جميع بيوته ﴿ والاأن يؤذن ﴿ قال الزمخشري الاأن يؤذن في معنى الظرف تقديره وقت أن يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لاتدخلوا أوقع الاستثناء على الوقت والحال معا كأنه قيل لاتدخلوا بيوت النبي الاوقت الاذن ولاتدخلوها الاغير ناظرين اناه انتهى فقوله الاأن يؤذن في معنى الظرف وتقديره وقت ان يؤذن لكم وانه أوقع الاستثناء على الوقت فليس بصحيح وقد نصوا على أن المصدرية لاتكون في معنى الظرف تقول أجيئك صياح الديك وقدوم الحاج ولايجوز أجيئك ان يصيح الديك ولا ان يقدم الحاج وأما أن الاستثناء وقع على الوقت والحال معا فلايجوز على مذهب الجمهور ولا يقع بعد الا في الاستثناء الا المستثنى أو المستثنى منه أو صفة المستثنى منه وأجاز الأخفش والكسائي ذلك في الحال أجاز ماذهب القوم الايوم الجمعة راحلين فيجوز ماقاله الزمخشري في الحال وأما قوله الاأن يؤذن لكم فلا يتعين أن يكون ظرفا لانه يكون التقدير الا بأن يؤذن لكم فتكون الباء السببية كقوله فأخرجنا به من كل الثمرات أو للحال أي مصحوبين بالاذن وأما غير ناظرين كما قرر في قوله بالبينات والزبر أرسلناهم بالبينات والزبر يدل عليه لاتدخلوا كما دل عليه أرسلناهم قوله وما أرسلنا ومعنى غير ناظرين حال والعامل فيه محذوف تقديره ادخلوا بالاذن غير ناظرين كما قرر في قوله بالبينات والزبر أي غير منتظرين وقته أي وقت استوائه وتهيئته ﴿ وقرأ الجمهور غير بالنصب على الحال وابن أبي عبلة بالكسر صفة لطعام ﴿ قال الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى على غير من هوله فمن حق ضميره ماهو له أن يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه أنتم كقوله هند زيد ضاربته هي انتهى وحذف هذا نص ... ليس ... الطعام ادراكه يقال أنى الطعام أنى كقوله قلاه قلى وقيل وقته أي غير ناظرين ساعة أكله ﴿ وقرأ الجمهور اناه مفردا والأعمش اناه ممدة بعد النون ... على ... ان لاتقدمون عليه الدخول حين يدعوا

القوم الايوم الجمعة راحلين فيجوز ماقاله (ش) في الحال وأما قوله الاأن يؤذن لكم فلا يتعين أن يكون ظرفا لانه يكون

ثم أمر بالاستئناء اذا طعموا * ولا مستأنسين لحديث معطوف على ناظرين فهو مجرور أو معطوف على غير فهو منصوب أي لا تدخلوها الا ناظرين ولا مستأنسين وقيل ثم حال محذوفة أي لا تدخلوها أجمعين ولا مستأنسين فيعطف عليه واللام في لحديث اما لام العلة نهوا أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به أو للام المقوية لطلب اسم الفاعل للمفعول فنهوا أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه سمعه وتوحشه * ان ذلكم أي انتظاركم واستئناسكم يؤذي النبي فيستحيي منكم أي من انهاضكم من البيوت أو من اخراجكم منها بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني أن اخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيا منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع وجاء ذلك على سبيل المقابلة لقوله فيستحيي منكم * وعن عائشة وابن عباس حسبك في الثقلاء أن الله لم يحتملهم وقرئت هذه الآية بين يدي اسمعيل بن أبي حكيم فقال هذا أدب أدب الله به الثقلاء * وقرأت فرقة فيستحي بكسر الحاء مضارع استحا وهي لغة بني تميم واختلفوا اما المحذوف أعين الكلمة أم لامها فان كان العين فوزنها يستفل وان كان اللام فوزنها يستفع والترجيح مذكور في النحو * وقرأ الجمهور بياء ين وسكون الحاء والمتاع عام في ما يمكن أن يطلب على عرف السكنى والمحاورة من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا * ذلكم أي السؤال من وراء الحجاب أطهر يريد من الخواطر التي تخطر للرجال في أمر النساء والنساء في أمر الرجال اذ الرؤية سبب التعلق والفتنة ألا ترى الى قول الشاعر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها * في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ساء مهجته * لا مرحبا بانتفاع جاء بالضرر

وذكر أن بعضهم قال أننهى ان نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لاتزوجن فلانة * وقال ابن عباس وبعض الصحابة وفلانة عائشة * وحكى مكي عن معمر أنه قال هو طلحة بن عبيد الله * قال ابن عطية وهذا عندي لا يصح على طلحة فان الله عصمه منه وفي التحرير أنه طلحة ونزلت ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا فتاب وأعتق رقبة وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله وحج ماشيا * وروي أن بعض المنافقين قال حين تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بعد أبي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج نساءنا والله لو قد مات لأجلنا السهام على نسائه ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتد العرب ثم رجعت تزوج عكرمة ابن أبي جهل قتيلة بنت الأشعث بن قيس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوجها ولم يبن بها فصعب ذلك على أبي بكر وقلق فقال له عمر مهلا يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انه لم يبن بها ولا أرخى عليها حجابا وقد أبانتها منه ردتها مع قومها فسكن أبو بكر وذهب عمر الى أن لا يشهد جنازة زينب الا ذو محرم منها مراعاة للحجاب فدلته أسماء بنت عميس على سترها في النعش في القبة وأعلمته أنها رأت ذلك في بلاد الحبشة وصنعه عمر * وروي أنه صنع ذلك في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله عام في كل ما يتأذى به ولا أن تنكحوا خاص بعد عام لان ذلك يكون أعظم الأذى فحرم الله نكاح أزواجه بعد وفاته * ان ذلكم أي اذايته ونكاح أزواجه * كان عند الله عظيما وهذا من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجابه حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به المرء نفسه ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وخصوصا العرب فانهم أشد الناس

غيرة * وحكى الزمخشري أن بعض الفتيان قبل جارية كان يحبها في حكاية قال تصور الماعسي أن يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره انتهى فقال الماعسي بجعل عسى صلة للموصول وقد كثر منه هذا وهو لا يجوز وعن بعض الفقهاء ان الزوج الثاني في هدير الثلث يجري مجرى العقوبة فصني رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا يلاحظ ذلك * ان تبدوا شيأ أو تخفوه وعيد لما تقدم التعرض به في الآية ممن أشير اليه بقوله ذلكم أطهر ومن أشير اليه وما كان لكم أن تؤذوا فقيل ان تبدوا شيأ على ألسنتكم أو تخفوه في صدوركم مما يقع عليه العقاب فالله يعلمه فيجازي عليه وقال شيأ ليدخل فيه ما يؤذيه عليه السلام من نكاحهن وغيره وهو صالح للكل باد وخاف * وروى أنه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب أونحن يا رسول الله أيضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت لا جناح عليهن أي لا اثم عليهن * قال قتادة في ترك الحجاب * وقال مجاهد في وضع الجلباب وابداء الزينة * وقال الشعبي لم يذكر العم والخال وان كانا من المحارم لئلا يصفا للابناء وليسوا من المحارم وقد كره الشعبي وعكرمة أن تضع المرأة خمارها عند عمها أو خالها وقيل لأنهما يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا وذكرهنا بعض المحارم والجميع في سورة النور ودخل في ولا نسائهن الأمهات والأخوات وسائر القرابات ومن يتصل بهن من المتطرفات لهن * وقال ابن زيد وغيره أراد جميع النساء المؤمنات وتخصيص الاضافة انما هي في الايمان * وقال مجاهد من أهل دينهن وهو كقول ابن زيد والظاهر من قوله أو ما ملكت أيمانهن دخول العبيد والاماء دون ما ملك غيرهن وقيل مخصوص بالاماء وقيل جميع العبيد ممن في ملكهن أو ملك غيرهن * وقال النخعي يباح لعبدها النظر الى ما يواريه الدرع من ظاهر بدنها واذا كان العبد المكاتب ما يؤدي فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب الحجاب دونه وفعلته أم سلمة مع مكاتبها نبهان * واتقين الله أمر بالتقوى وخروج من الغيبة الى الخطاب أي واتقين الله فيما أمرتن به من الاحتجاب وأنزل الله فيه الوحي من الاستتار وكأن في الكلام جملة حذفت تقديره اقتصرن على هذا واتقين الله فيه أن تتعدينه الى غيره * ثم توعد بقوله ان الله كان على كل شئ شهيدا من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه وغير ذلك * شهيدا لا تتفاوت الأحوال في علمه * وقرأ الجمهور وملائكته نصبا وابن عباس وعبد الوارث عن أبي عمرو رفعا فعند الكوفيين غير الفراء هو عطف على موضع اسم ان والفراء يشترط خفاء اعراب اسم ان وعند البصريين هو على حذف الخبر أي يصلي على النبي وملائكته يصلون وتقدم الكلام على كيفية اجتماع الصلاتين في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته فالضمير في يصلون عائد على الله وملائكته وقيل في الكلام حذف أي يصلي وملائكته يصلون فرارا من اشتراك الضمير والظاهر وجوب الصلاة والسلام عليه وقيل سنة واذا كانت الصلاة واجبة فقيل كلما جرى ذكره قيل في كل مجلس مرة * وقد ورد في الحديث في الصلاة عليه فضائل كثيرة * وروى انه لما نزلت هذه الآية قال قوم من الصحابة السلام عليك يا رسول الله عرفناه فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وارحم محمدا وآل محمد كما رحمت وباركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد وفي بعض الروايات زيادة ونقص * ان الذين يؤذون الله ورسوله * قال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي زوجا انتهى والطاعن في تأمير اسامة بن زيد ان إيذاءه عليه السلام وإيذاء الله والرسول فعل ما نهى الله ورسوله عنه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة

(الدر)

التقدير الا بان يؤذن لكم فتكون الباء للسبب كقوله فاخرجنا به من كل الثمرات أو للحال أي مصحوبين بالاذن

(ش) ويحكى ان بعض الفتيان قبل جارية له كان يحبها ثم قال تصور الماعسي يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره انتهى (ح) قال الماعسي بجعل عسى صلة للموصول وقد كثر منه هذا وهو لا يجوز

الشرع وما يصيبون به الرسول من أنواع الأذى ولا يتصور الأذى حقيقة فى حق الله فقيل هو على حذف مضاف أى يؤذون أولياء الله وقيل المراد يؤذون رسول الله وقيل فى أذى الله هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه * وعن عكرمة فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون خلقا مثل خلق الله وقيل فى أذى رسول الله قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم أحد وأطلق إيذاء الله ورسوله وقيد إيذاء المؤمنين بقوله بغير ما اكتسبوا لأن إيذاءهما لا يكون إلا بغير حق بخلاف إيذاء المؤمن فقد يكون بحق ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق أذى * وقال مقاتل نزلت فى ناس من المنافقين يؤذون عليا كرم الله وجهه ويسمعونه وقيل فى الذين أفكوا على عائشة * وقال الضحاك والسدى والكلبى فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وقيل فى عمر رأى من الريبة على جارية من جوارى الأنصار ما كره فضربها فأذوى أهل عمر باللسان فنزلت * قال ابن عباس وروى ان عمر قال يوما لأبى قرأت البارحة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ففزعت منها وإنى لأضربهم وأنهرهم فقال له لست منهم إنما أنت معلم ومقوم ﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا

﴿يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك﴾ كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرة والأمة مكشوفتى الوجه فى درع وخمار وكان الزناة يتعرضون إذا خرجن بالليل لقضاء الحوائج فى النخيل والغيطان للإماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الإماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن ولا يطمع فيهن طامع والجلابيب الأردية التى تستر من فوق إلى أسفل وقيل غير ذلك ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ تأنيس للنساء فى ترك الاستتار قبل أن يؤمرن بذلك ولما ذكر حال المشرك الذى يؤذى الله ورسوله والمجاهر الذى يؤذى المؤمنين ذكر حال المسر الذى يظهر الحق ويضمر الباطل وهو المنافق ولما كان المؤذون ثلاثة باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين كان المشركون ثلاثة منافق ومن فى قلبه مرض ومرجف فالمنافق يؤذى سرا والثانى يؤذى المؤمن باتباع نسائه والثالث يرجف بالرسول يقول غلب سيخرج من المدينة سيؤخذ هزمت سراياه وظاهر العطف التغاير

بالشخص فيكون المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء ويشيعونه ﴿لنغرينك بهم﴾ أى لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ أى فى المدينة وثم لا يجاورونك معطوف على لنغرينك ولم يكن العطف بالفاء لأنه لم يقصد أنه متسبب عن الإغراء بل كونه جوابا للقسم أبلغ وكان العطف بثم لأن الجلاء عن الوطن كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حالة الجلاء عن حالة الإغراء ﴿إلا قليلا﴾ أى إلا جوارا قليلا وانتصب ﴿ملعونين﴾ على الذم ومعنى ثقفوا

حصروا وظفر بهم أخذوا أسروا والأخيذ الأسير ﴿سنة الله﴾ مصدر مؤكد أى سن الله فى الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيث ما ظفر بهم ﴿يسألك الناس﴾ أى المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود على سبيل الامتحان إذ كانت معمى وقتها فى التوراة فنزلت الآية بأن يردها العلم إلى الله إذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا ولما ذكر حالهم فى الدنيا أنهم ملعونون مهانون مقتولون بين حالهم فى الآخرة ﴿وما يدريك﴾ ما استفهام فى موضع رفع بالابتداء أى وأى شىء يدريك بها ومعناه النفى أى ما يدريك بها أحد ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ بين قرب الساعة وفى ذلك تبكيت للممتحن وتهديد للمستعجل وانتصب قريبا على الظرف أى فى زمن قريب إذ استعماله ظرفا كثير ﴿يوم تقلب وجوههم فى النار﴾ يجوز أن ينتصب يوم بقوله لا يجدون ويكون يقولون استئناف إخبار عنهم أو تم الكلام عند قوله ولا نصيرا وينتصب يوم بقوله يقولون والوجه أشرف ما فى الإنسان فإذا قلب فى النار كان تقليب ما سواه أولى أو عبر بالوجه عن الجملة وتمنيهم حيث لا ينفع وتشكيهم من كبرائهم لا يجدى وقرئ ساداتنا وسادة على الجمع ولما لم يجد تمنيهم

الايمان وطاعة الله ورسوله ولا قام لهم عـذر فى تشكيهم ممن أضلهم دعوا على ساداتهم بقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب ضعفا على ضلالهم فى أنفسهم وضعفا على اضلال من أضلوا ﴿ كالذين آذوا موسى ﴾ قيل نزلت فى شأن زيد و زينب وماسمع فيه من مقالة بعض الناس وقيل المراد حديث

 قيل ما أوذى نبى مثل ما أوذى رسول الله صلى

السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ كان دأب الجاهلية أن تخرج الحرة والامة مكشوفتى الوجه فى درع وخمار وكان الزناة يتعرضون اذا خرجن بالليل لقضاء حوائجهن فى النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الأمة يقولون حسبناها أمة فأمرن أن يخالفن بزيهن عن زى الاماء بلبس الأردية والملاحف وستر الرؤس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن * وروى انه كان فى المدينة قوم يجلسون على الصعدات لرؤية النساء ومعارضتهن ومراودتهن فنزلت قيل والجلابيب الأردية التى تستر من فوق الى أسفل وقال ابن جبير المقانع وقيل الملاحف وقيل الجلباب كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها وقيل كل ما تستتر به من كساء أو غيره * قال أبو زيد * تجلببت من سواد الليل جلبابا * وقيل الجلباب أكبر من الخمار * وقال عكرمة تلقى جانب الجلباب على غيرها ولا يرى * وقال أبو عبيدة السلمانى حين سئل عن ذلك فقال أن تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على أنفها * وقال السدى تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين انتهى وكذا عادة بلاد الاندلس لا يظهر من المرأة الا عينها الواحدة * وقال الكسائى يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن أراد بالانضمام معنى الادناء * وقال ابن عباس وقتادة وذلك أن تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه والظاهر ان قوله ونساء المؤمنين يشمل الحرائر والاماء والفتنة بالاماء أكثر لكثرة تصرفهن بخلاف الحرائر فيحتاج اخراجهن من عموم النساء الى دليل واضح ومن فى من جلابيبهن للتبعيض وعليهن شامل لجميع أجسادهن أو عليهن على وجوههن لأن الذى كان يبدو منهن فى الجاهلية هو الوجه * ذلك أدنى أن يعرفن لتسترهن بالعفة فلا يتعرض لهن ولا يلقين بما يكرهن لأن المرأة اذا كانت فى غاية التستر والانضمام لم يقدم عليها بخلاف المتبرجة فانها مطموع فيها * وكان الله غفورا رحيما تأنيس للنساء فى ترك الاستتار قبل أن يؤمرن بذلك ولما ذكر حال المشرك الذى يؤذى الله ورسوله والمجاهر الذى يؤذى المؤمنين ذكر حال المسر الذى يؤذى الله ورسوله ويظهر الحق ويضمر النفاق ولما كان المؤذون ثلاثة باعتبار إذايتهم لله ولرسوله وللمؤمنين كان المشركون ثلاثة منافق ومن فى قلبه مرض ومرجف فالمنافق يؤذى سرا والثانى يؤذى المؤمن باتباع نسائه والثالث يرجف بالرسول يقول غلب سيخرج من المدينة سيؤخذ هزمت سراياه وظاهر العطف التغاير بالشخص فيكون المعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم والمرجفون عما يقولون

الله عليه وسلم فى حديث القسمة فصبر وقال رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر وان اذايته موسى عليه السلام قولهم فيه انه آدر وقيل غير ذلك ﴿ انا عرضنا الأمانة ﴾ لما أرشد المؤمنين الى ما أرشد من ترك الأذى واتقاء الله وسداد القول ورتب على الطاعة ما رتب تبين ان ما كلفه الانسان أمر عظيم فقال انا عرضنا الامانة تعظيما لامر التكليف والامانة الظاهر انها كل ما يؤمن عليه من أمر ونهى وشأن دين ودنيا فالشرع كله أمانة والظاهر عرض الامانة على هذه المخلوقات العظام وهى الاوامر والنواهى فتثاب ان أحسنت وتعاقب ان أساءت فابت وأشفقت ويكون ذلك بادراك خلقه الله تعالى فيها وهذا غير مستحيل اذ قد سبح الحصى فى كفه عليه السلام وحن الجذع اليه وكلمته الذراع فيكون هذا العرض والاباء حقيقة

قال ابن عباس أعطيت الجمادات فهما وتمييزا فخيرت فى الحمل وذكر الجبال مع أنها من الارض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيما للامر ﴿ انه كان ظلوما ﴾ وصفه بالظلم تاركا لاداء الامانة و بالجهل لاخطائه ما يسعده * واللام فى ﴿ ليعذب ﴾ لام الصيرورة لانه لم يحملها لان يعذب لكنه حملها فآل الامر الى أن يعذب من نافق وأشرك و يتوب على من آمن

من أخبار السوء ويشيعونه ويجوز أن يكون التغاير بالوصف فيكون واحدا بالشخص ثلاثه بالوصف كما جاء ان المسلمين والمسلمات فذكر أوصافا عشرة والموصوف بها واحد ونص على هذين الوصفين من المنافقين لشدة ضررهما على المؤمنين * قال عكرمة الذين في قلوبهم مرض هو الغزل وحب الزنا ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض * وقال السدي المرض النفاق ومن في قلوبهم مرض * وقال ابن عباس هم الذين آذوا عمر * وقال الكلبي من آذى المسلمين * وقال ابن عباس المرجفون ملتمسوا الفتن * وقال قتادة الذين يؤذون قلوب المؤمنين بايهام القتل والهزيمة * لنغرينك بهم أي لنسلطنك عليهم قاله ابن عباس * وقال قتادة لنحرشنك بهم ثم لا يجاورونك فيها أي في المدينة وثم لا يجاورونك معطوف على لنغرينك ولم يكن العطف بالفاء لأنه لم يقصد انه متسبب عن الاغراء بل كونه جوابا للقسم أبلغ وكان العطف بثم لأن الجلاء عن الوطن كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا به فتراخت حالة الجلاء عن حالة الاغراء * الا قليلا أي جوارا قليلا أو زمانا قليلا أو عددا قليلا وهذا الأخير استثناء من المنطوق وهو ضمير الرفع في يجاورونك أو ينتصب قليلا على الحال أي الا قليلين والأول استثناء من المصدر الدال عليه يجاورونك والثاني من الزمان الدال عليه يجاورونك والمعنى انهم يضطرون الى طلب الجلاء عن المدينة خوف القتل وانتصب ملعونين على الذم قاله الطبري وأجاز ابن عطية أن يكون بدلا من قليلا قال هو من اقلاء الذي قدرناه وأجاز هو أيضا أن يكون حالا من الضمير في يجاورونك قال كأنه قال ينتفون من المدينة ملعونين فلا يقدر لا يجاورونك فقدر ينتفون حسن هذا انتهى * وقال الزمخشري والحوفي وتبعهما أبو البقاء يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يجاورونك كما قال ابن عطية * قال الزمخشري وهذا نصه ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولا يصح أن ينتصب من أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها انتهى وتقدم الكلام معه في مجئ الحال مما قبل الا مذكورة بعد ما استثنى بالا فيكون الاستثناء منصبا عليهما وان جمهور البصريين منعوا من ذلك وأما تجويز ابن عطية أن يكون بدلا فالبدل بالمشتق قليل وأما قول الزمخشري لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها فليس هذا مجمعا عليه لأن ما بعد كلمة الشرط شيئان فعل الشرط والجواب فأما فعل الشرط فأجاز الكسائي تقديم معموله على الكلمة أجاز زيدا ان يضرب اضرب به وأما الجواب فقد أجاز أيضا تقديم معموله عليه نحو ان يقم زيد عمرا يضرب * وقد حكى عن بعض النحويين انه قال المعنى أينما ثقفوا أخذوا ملعونين والصحيح ان ملعونين صفة لقليل أي الا قليلين ملعونين ويكون قليلا مستثنى من الواو في لا يجاورونك والجملة الشرطية صفة أيضا أي مقهورين مغلوبا عليهم ومعنى ثقفوا حصروا وظفر بهم ومعنى أخذوا أسروا والأخيذ الأسير * وقرأ الجمهور قتلوا بتشديد التاء وفرقة بتخفيفها فيكون تقتيلا مصدرا على غير قياس المصدر والظاهر ان المنافقين انتهوا عما كانوا يؤذون به الرسول والمؤمنين وتستر جميعهم وكفوا خوفا من أن يقع بهم ما وقع القسم عليه وهو الاغراء والجلاء والاخذ والقتل وقيل لم يمتثلوا للانتهاء جملة ولا نفذ عليهم الوعيد كاملا ألا ترى الى اخراجهم من المسجد ونهيه عن الصلاة عليهم وما نزل فيهم في سورة براءة وأبعد من ذهب الى أنه لم ينته هؤلاء الأصناف ولم ينفذ الله الوعيد عليهم وما نزل
فيهم في سورة براءة وأبعد من ذهب الى أنه لم ينته هؤلاء الأصناف ولم ينفذ الله الوعيد عليهم ففيه

(الدر)

(ش) ملعونين نصب على الشتم أو الحال أي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب من أخذوا لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبل انتهى (ح) تقدم الكلام معه في مجيء الحال مما قبله الا مذكورة بعد ما استثنى بالا فيكون الاستثناء منصبا عليهما وان جمهور البصريين منعوا من ذلك وأما قوله لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها فليس هذا مجمعا عليه لأن ما بعد كلمة الشرط شيئان فعل الشرط والجواب فأما فعل الشرط فأجاز الكسائي تقديم معموله على الكلمة أجاز زيد ان يضرب اضرب به وأما الجواب فقد أجاز أيضا تقديم معموله عليه نحو ان يقم زيد عمرا يضرب

دليل على بطلان القول بانفاذ الوعيد في الآخرة ويكون هذا الوعيد مفروضا ومشروطا بالمشيئة
* سنة الله مصدر مؤكد أي سن الله في الذين ينافقون الأنبياء أن يقتلوا حيثما ظفر بهم وعن مقاتل
كما قتل أهل بدر وأسروا فالذين خلوا يشمل أتباع الأنبياء الذين نافقوا ومن قتل يوم بدر * يسألك
الناس أي المشركون عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود على سبيل الامتحان
اذ كانت معمى وقتها في التوراة فنزلت الآية بأن يرد العلم الى الله اذ لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا ولما
ذكر حالهم في الدنيا انهم ملعونون مهانون مقتولون بين حالهم في الآخرة * وما يدريك ما استفهام
في موضع رفع بالابتداء أي وأي شئ يدريك بها ومعناه النفي أي ما يدريك بها أحد * لعل الساعة
تكون قريبا بين قرب الساعة وفي ذلك تسلية للممتحن وتهديد للمستعجل وانتصب قريبا على
الظرف أي في زمان قريب اذ استعماله ظرفا كثير ويستعمل أيضا غير ظرف تقول ان قريبا
منك زيد فجاز أن يكون التقدير شيأ قريبا أو تكون الساعة بمعنى الوقت فذكر قريبا على المعنى
أو يكون التقدير لعل قيام الساعة فلوحظ الساعة في تكون فأنث ولوحظ المضاف المحذوف وهو
قيام في قريبا فذكر * يوم تقلب وجوههم في النار يجوز أن ينتصب يوم بقوله لا يجدون ويكون
يقولون استئناف اخبار عنهم أو تم الكلام عند قولهم ولا نصيرا وينتصب يوم بقوله يقولون أو
بمحذوف أي اذكر ويقولون حال * وقرأ الجمهور تقلب مبنيا للمفعول والحسن وعيسى وأبو
جعفر الرواسي بفتح التاء أي تتقلب وحكاها ابن عطية عن أبي حيوة * وقال ابن خالويه عن أبي
حيوة نقلب بالنون وجوههم بالنصب وحكاها ابن عطية عن أبي حيوة أيضا وخارجة زاد صاحب
اللوامح انها قراءة عيسى البصري وقرأ عيسى الكوفي كذلك الا أن بدل النون تاء وفاعل تقلب
ضمير يعود على سعيرا وعلى جهنم أسند إليهما اتساعا * وقراءة ابن أبي عبلة تتقلب بتاءين وتقليب
الوجوه في النار تحركها في الجهات أو تغيرها عن هيئاتها أو القاؤها في النار منكوسة والظاهر
هو الأول والوجه أشرف ما في الانسان فاذا قلب في النار كان تقليب ما سواه أولى وعبر بالوجه عن
الجملة وتمنيهم حيث لا ينفع وتشكيهم من كبرائهم لا يجدى * وقرأ الجمهور سادتنا جمعا على وزن
فعلة أصله سودة وهو شاذ في جمع فيعل فان جعلت جمع سائد قرب من القياس * وقرأ الحسن
وأبو رجاء وقتادة والسلمي وابن عامر والعامة في الجامع بالبصرة ساداتنا على الجمع بالألف والتاء
وهو لا ينقاس كسوقات وموالي بني هاشم وسادتهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر
وزينوه لهم * قال قتادة سادتنا رؤساؤنا * وقال طاوس أشرافنا وقال أبو أسامة أمراؤنا * وقال
الشاعر نسلسل قوم سادة ثم رادة * يبدون أهل الجمع يوم المحصب
ويقال ضل السبيل وضل عن السبيل فاذا دخلت همزة النقل تعدى لاثنين وتقدم الكلام على
اثبات الألف في الرسولا والسبيلا في قوله وتظنون بالله الظنونا ولما لم يجد تمنيهم الايمان بطاعة الله
ورسوله ولا قام لهم عذر في تشكيهم ممن أضلهم دعوا على ساداتهم * ربنا آتهم ضعفين من
العذاب ضعفا على ضلالهم في أنفسهم وضعفا على اضلال من أضلوا * وقرأ الجمهور كثيرا بالثاء المثلثة
* وقرأ حذيفة بن اليمان وابن عامر وعاصم والأعرج بخلاف عنه بالباء * كالذين آذوا موسى قيل
نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من قاله بعض الناس وقيل المراد حديث الافك على أنه
ما أوذي نبي مثل ما أوذيت وفي حديث الرجل الذي قال لقسم قسمه رسول الله ان هذه لقسمة ما
أريد بها وجه الله فغضب وقال رحم الله أخي موسى لقد أوذي أكثر من هذا فصبر واذاية موسى قولهم

انه أبرص وآدر وانه حسد أخاه هرون وقتله أوحديث المومسة المستأجرة لان تقول ان موسى زنى بها أوما نسبوه اليه من السحر والجنون أقوال * مما قالوا أى من وصم ما قالوا وما موصولة أو مصدرية وقرأ الجمهور * وكان عند الله الظرف معمول لوجيها أى ذا وجه ومنزلة عند الله تعالى تميط عنه الأذى وتدفع التهم * وقرأ عبد الله والأعمش وأبو حيوة عبدا من العبودية لله جر بلام الجر وعبدا خبر كان ووجيها صفته له * قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ فى شهر رمضان فسمعته يقرأ وكان عبد الله على قراءة ابن مسعود * قال ابن زيد وجيها مقبولا * وقال الحسن مستجاب الدعوة ما سأل شيأ الا أعطى الا الرؤية فى الدنيا * وقال قطرب رفيع القدر وقيل وجاهته انه كلمه ولقبه كليم الله والسديد تقدم شرحه فى أوائل النساء * وقال ابن عباس هنا صوابا * وقال مقاتل وقتادة سديدا فى شأن زيد وزينب والرسول * وقال ابن عباس وعكرمة أيضا لا اله الا الله وقيل ما يوافق ظاهره باطنه وقيل ما هو اصلاح من تسديد السهم ليصيب الغرض وقيل السديد يعم الخيرات ورتب على القول السديد صلاح الأعمال وغفران الذنوب * قال الزمخشرى وهذه الآية مقررة للتى قبلها بنيت تلك على النهى عما يؤذى به رسول الله وهذه على الأمر باتقاء الله فى حفظ اللسان ليترادف عليهم النهى والأمر مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى واتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعى الى تركه انتهى وهو كلام حسن * انا عرضنا الأمانة لما أرشد المؤمنين الى ما أرشد من ترك الأذى واتقاء الله وسداد القول ورتب على الطاعة ما رتب بين ان ما كلفه الانسان أمر عظيم فقال انا عرضنا الامانة تعظيما لأمر التكليف والامانة الظاهر انها كل ما يؤتمن عليه من أمر ونهى وشأن دين ودنيا والشرع كله أمانة وهذا قول الجمهور ولذلك قال أبىّ بن كعب من الامانة أن اؤتمنت المرأة على فرجها * وقال أبو الدرداء غسل الجنابة أمانة والظاهر عرض الأمانة على هذه المخلوقات العظام وهى الأوامر والنواهى فتثاب ان أحسنت وتعاقب ان أساءت فأبت وأشفقت ويكون ذلك بادراك خلقه الله فيها وهذا غير مستحيل اذ قد سبح الحصى فى كفه عليه الصلاة والسلام وحن الجذع اليه وكلمته الذراع فيكون هذا العرض والاباء حقيقة * قال ابن عباس أعطيت الجمادات فهما وتمييزا فخيرن فى الحمل وذكر الجبال مع انها من الارض لزيادة قوتها وصلابتها تعظيما للامر * وقال ابن الانبارى عرضت بمسمع من آدم عليه الصلاة والسلام وأسمع من الجمادات الاباء ليتحقق العرض عليه فيتجاسر على الحمل غيره ويظهر فضله على الخلائق حرصا على العبودية وتشريفا على البرية بعلو الهمة وقيل هو مجاز فقيل من مجاز الحذف أى على من فيها من الملائكة وقيل من باب التمثيل * قال الزمخشرى ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على أعظم ما خلق الله من الاجرام وأقواه وأشده أن يتحمله ويستقل به فأبى محمله والاستقلال به وحملها الانسان على ضعفه ورخاوة قوته * انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف بها ونحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب وما جاء به القرآن الا على طرقهم وأساليبهم من ذلك قول العرب لو قيل للشحم أين تذهب لقيل أسوى العوج وكم لهم من أمثال على ألسنة البهائم والجمادات وتصور مقالة الشحم محال ولكن العرض أن السمن فى الحيوان مما يحسن قبحه كما أن العجف مما يقبح حسنه فصوّر أثر السمن فيه تصويرا هو أوقع فى نفس السامع وهى به آنس وله أقبل وعلى حقيقته أوقف وكذلك تصوير عظم الامانة وصعوبة أمرها وثقل محملها والوفاء بها (فان قلت) قد علم وجه التمثيل فى قولهم للذى لا يثبت على رأى واحد أراك تقدم رجلا وتؤخر

أخرى لأنه مثلت حال تميله وترجحه بين الرأيين وتركه المضى على احداهما بحال من يتردد فى ذهابه فلا يجمع رجليه للمضى فى وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شئ مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة فليس كذلك ما فى الآية فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه محال فى نفسه غير مستقيم فكيف صح بها التمثيل على المحال وما مثال هذا الا أن تشبه شيأ والمشبه به غير معقول (قلت) الممثل به فى الآية وفى قولهم لو قيل للشحم أين تذهب وفى نظائره مفروض والمفروض أن يتخيل فى الذهن كما أن المحققات مثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحال المفروض لو عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها انتهى * وقال أيضا ان هذه الاجرام العظام قد انقادت لأمر الله انقياد مثلها وهو ما تأتى من الجمادات حيث لم يمتنع على مشيئته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة وأشكال متنوعة كما قال قالتا أتينا طائعين وأما الانسان فلم يكن حاله فيما يصح منه من الانقياد لأوامر الله ونواهيه وهو حيوان صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح منها و يليق بها من الانقياد والمراد بالأمانة الطاعة لانها لازمة للوجود كما أن الامانة لازمة للأداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز وحمل الامانة من قولك فلان حامل للأمانة ومحتمل لها يريد أنه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها وهو حامل لها ألا تراهم يقولون ركبته الديون ولى عليه حق فأبين أن لا يؤدونها وأبى الانسان أن لا يكون محتملا لها لا يؤديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لأداء الامانة وبالجهل لخطئه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها انتهى وفيه بعض حذف وقال قوم الآية من المجاز أى اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض والجبال رأيتهما أنهما لا تطيقها وانها لو تكلمت لأبتها وأشفقت عنها فعبر عن هذا المعنى بقوله إنا عرضنا الآية وهذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فأباه وأنت تريد بذلك مقارنة قوته بثقل الحمل فرأيتها تقصر عنه ونحوه قول ابن بحر معنى عرضنا عارضناها وقابلناها بها * فأبين أن يحملنها أى قصرن ونقصن عنها كما تقول أبت الصنجة أن تحمل ما قابلها * وحملها الانسان * قال ابن عباس وابن جبير التزم القيام بحقها والانسان آدم وهو فى ذلك ظلوم لنفسه جهول بقدر ما دخل فيه * وقال ابن عباس ما تم له يوم حتى أخرج من الجنة * وقال الضحاك والحسن وحملها معناه خان فيها والانسان الكافر والمنافق والعاصى على قدره * وقال ابن مسعود وابن عباس أيضا ابن آدم قابيل الذى قتل أخاه هابيل وكان قد تحمل لأبيه أمانة أن يحفظ الاهل بعده وكان آدم مسافرا عنهم الى مكة فى حديث طويل ذكره الطبرى * وقال ابن اسحق عرض الامانة وضع شواهد الوحدانية فى المصنوعات والحمل الخيانة كما تقول حمل خفى واحتمله أى ذهب به * قال الشاعر

اذا أنت لم تبرح تؤدى أمانة * وتحمل أخرى أخرجتك الودائع

انتهى وليس وتحمل أخرى نصا فى الذهاب بها بل يحتمل لأنك تحمل أخرى فتؤدى واحدة وتحمل أخرى فلا تزال دائما ذا أمانات فتخرج إذ ذاك * واللام فى ليعذب لام الصيرورة لانه لم يحملها لان يعذب لكنه حملها فآل الامر الى أن يعذب من نافق وأشرك و يتوب على من آمن * وقال الزمخشرى لام التعليل على طريق المجاز لان نتيجة حمل الامانة العذاب كما أن التأديب فى ضربته للتأديب نتيجة الضرب وقرأ الاعمش فيتوب يعنى بالرفع بجعل العلة قاصرة على فعل الحامل و يبتدئ و يتوب ومعنى قراءة العامة ليعذب الله حامل الامانة و يتوب على غيره ممن لم

يحملها لانه اذا ثبت على أن الواو فى وكان ذلك نوعان من عذاب القتال انتهى وذهب صاحب اللوامح أن الحسن قرأ ويتوب بالرفع

﴿ مفردات سورة سبأ ﴾

* المزق خرق الشئ يقال منه ثوب ممزوق ومزيق ومتمزق وممزق اذا صار قطعا باليا ومنه قول العبدى

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركنى ولما أمزق

* السابغات الدروع وأصله الوصف بالسبوغ وهو التمام والكمال وغلب على الدروع فصار كالابطح وقال الشاعر

عليها أسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لا يخرقها النبل

* السرد اتباع الشئ بالشئ من جنسه قال الشماخ

فظن تباعا خيلنا فى بيوتكم * كما تابعت سرد الطعان الخوارز

ويقال للدرع مسرودة لأنه توبع فيها الحلق بالحلق قال الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أوصنع السوابغ تبع

ويقال لصانع ذلك سراد وزراد تبدل من السين الزاى كما قالوا سراط وزراط ويقال للاشفى مسرد ومسراد وسرد القرآن والكلام اذا حدر فيه اذا تابعه مستعجلا فيه * سال من سال الوادى والدمع جرى لسرعة مافيه من الماء والدمع * القطر النحاس وقيل الفلز النحاس والحديد وماجرى مجراه * الجفان جمع جفنة وهى معروفة * الجوابى الحياض العظام واحدها جابية لانه يجبى فيها الماء أى يجمع * قال الشاعر

بجفان تعترى ناديا * من سديف حين قد هاج الضبر

كالجوابى لا تنى مترعة * لقرى الاضياف أو للمحتظر

* وقال الاعشى

نفى الذم عن آل المحلق جفنة * كجابية السيح العراقى تفهق

* وقال الافوه الاودى

وقدور كالربا راسيات * وجفان كالجوابى مترعه

* القدر اناء يطبخ فيه من فخار أوغيره وهو على شكل مخصوص * المنسأة العصى تهمز ولا تهمز ووزنها مفعلة من نسأت أى أخرت وطردت ويقال منساءة بالمد والهمز على وزن مفعالة كما قالوا ميضاءة وميضاة * وقال الشاعر

ضربنا بمنساءة وجهه * فصار بذاك مهينا دليلا

* وقال آخر

اذا دببت على المنساة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقياس تخفيف همزتها أن يكون بين بين وأما ابدالها ألفا أوحذفها فغير قياس * العرم اما صفة للسيل أضيف فيه الموصوف الى صفته كقولهم مسجد الجامع واما اسم لسئ ويأتى القول فيه فى تفسير المركبات * الخمط قال أبو عبيدة كل شجرة مرة ذات شوك * وقال ابن الاعرابى الخمط ثمر شجرة على صورة الخشخاش لا ينتفع به * وقال لغوى يقال للحمضة خمطة اللبن اذا أخذ شيأ من

﴿سورة سبأ﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿الحمد لله الذي ما في السموات وما في الارض الآية﴾ هذه السورة مكية وقيل فيها غير مكي وسبب نزولها أن أباسفيان قال لكفار قريش لما سمعوا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات محمد يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويخوفنا بالبعث واللات والعزى لاتأتينا الساعة أبدا ولانبعث فقال الله تعالى قل يا محمد بلى وربي لتبعثن وباقي السورة تهديد لهم وتخويف * ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها والحمد لله مستغرق لجميع المحامد كلها ﴿وله الحمد في الآخرة﴾ ظاهره الاستغراق ولما كانت نعم الآخرة مخبرا بها غير مرئية لنا في الدنيا ذكرها لتقاس نعم الدنيا قياس الغائب على الشاهد وان اختلفا في الفضيلة والديمومة

الريح فهو خامط وخيط وتخمط الفحل هدر والرجل تعصب وتكسر والخمر أخذت ريح الأراك كرائحة التفاح ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة قاله الجوهري * الأثل شجر وهو ضرب من الطرفاء قاله أبو حنيفة اللغوي في كتاب النبات له ويأتي ما قال فيه المفسرون * السدر قال الفراء هو السمر * وقال الازهري السدر سدران سدر لاينتفع به ولا يصلح ورقه للغسول وله ثمرة عفصة لا تؤكل وهو الذي يسمى الضال وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه ورق شجر العناب * التناوش تناول سهل لشئ قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم وتناوشوا في الحرب ناش بعضهم بعضا بالسلام * وقال الراجز

فهي تنوش الحوض نوشا من غلا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وأما بالهمز فقال الفراء من ناشت أي تأخرت * قال الشاعر

تمنى نئيشا أن يكون أطاعني * وقد حدثت بعد الأمور أمور

﴿ وقال آخر ﴾

وجئت نئيشا بعد ما * فاتك الخبز نئيشا أخيرا

﴿ سورة سبأ خمس وخمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد أفترى على الله

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ أي من المياه ﴿وما يخرج منها﴾ أي من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ أي من المطر وغير ذلك ﴿وما يعرج فيها﴾ من أعمال الخلق وبلى جواب للنفي السابق من قولهم لاتأتينا الساعة أي بلى لتأتينكم واتبع القسم بقوله عالم الغيب وما بعده ليعلم أن اتيانها من الغيب الذي انفرد به تعالى وجاء القول بقوله وروى مضافا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ليدل على شدة القسم اذ لم يأت به في الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة وهو لفظ الله تعالى ﴿وقال الذين كفروا﴾ هم قريش قال بعضهم لبعض على سبيل التعجب والاستهزاء كما يقول الرجل لمن يريد أن يعجبه هل أدلك على قصة غريبة نادرة لما كان البعث عندهم من المحال جعلوا من يخبر عن وقوعه في حيز من يتعجب منه وأتوا باسمه عليه السلام نكرة في قولهم هل ندلكم على رجل واسمه أشهر علم في قريش في الدنيا واخباره بالبعث أشهر خبر لأنهم أخرجوا ذلك مخرج الاستهزاء والتحلي ببعض الاحاجي المعمولة للتلهي والتعمية فلذلك نكروا اسمه واذا الشرطية مختلف في العامل فيها وقد بيناه في شرح التسهيل فان الصحيح أن يعمل فيها فعل الشرط كسائر أدوات الشرط والجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة لينبئكم لانه في معنى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق ثم أكد ذلك بقوله انكم لفي خلق جديد ويحتمل أن يكون انكم لفي خلق جديد معمولا لينبئكم وينبئكم معلق ولولا اللام في خبر ان لكانت مفتوحة والجملة سدت مسد المعمولين والجملة الشرطية على هذا التقدير اعتراض وقد منع قوم التعليق في باب أعلم والصحيح جوازه وقال الشاعر

حذار فقد نبئت أنك للذى * ستجزى بما تسعى فتسعد أو تشقى * وممزق مصدر جاء على زنة اسم المفعول على القياس فى اسم المصدر من كل فعل زائد على الثلاثة والظاهر أن قوله افترى من قول بعضهم لبعض أى أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من أمر البعث أم به جنون يوهم ذلك ويلقيه

على لسانه عادلوا بين الافتراء والجنون لأن هذا القول عندهم انما يصدر عن أحد هذين لانه ان كان يعتقد خلاف ما أنبأ به فهو مفتر وان كان لا يعتقده فهو مجنون فأضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى ليس الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنسبتم اليه بل أنتم فى عذاب النار أو فى عذاب الدنيا بما تكابدونه من ابطال الشرع وهو بحق واطفاء نور الله وهو يتم * ولما كان الكلام فى البعث قال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فرتب العذاب على انكار البعث وتقدم الكلام فى وصف الضلال بالبعد وهو من أوصاف المحال استعير للمعنى ومعنى بعده أنه لا يقتضى خبره الملتبس به ﴿ أفلم يروا ﴾ أى هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴿ الى ما بين أيديهم ﴾ أى حيث ما تصرفوا فالسماء والارض قد أحاطتا بهم لا يقدرون أن ينفذوا من اقطارهما ولا يخرجوا عن ملكوت الله فيهما ﴿ ان نشأ نخسف بهم الارض ﴾ كما فعلنا بقارون ﴿ أو نسقط عليهم كسفا من السماء ﴾ كما فعلنا بأصحاب الظلة ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى فى النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله تعالى ﴿ لآية ﴾ لعلامة ودلالة ﴿ لكل عبد منيب ﴾ راجع الى ربه مطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله تعالى على أنه قادر على كل شئ من البعث ومن عقاب من يكفر به

كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب * هذه السورة قال فى التحرير مكية باجماعهم * قال ابن عطية مكية إلا قوله ويرى الذين أوتوا العلم فقالت فرقة مدنية فيمن أسلم من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأشباهه انتهى * وسبب نزولها أن أباسفيان قال لكفار مكة لما سمعوا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ان محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويخوفنا بالبعث واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا ولا نبعث فقال الله قل يا محمد بلى وربى لتبعثن قاله مقاتل وباقى السورة تهديد لهم وتخويف * ومن ذكر هذا السبب ظهرت المناسبة بين هذه السورة والتى قبلها * الحمد لله مستغرق لجميع المحامد * وله الحمد فى الآخرة ظاهره الاستغراق ولما كانت نعمة الآخرة مخبرا بها غير مرئية لنا فى الدنيا ذكرها ليقاس نعمها بنعم الدنيا قياس الغائب على الشاهد وان اختلفا فى الفضيلة والديمومة * وقيل أل للعهد والاشارة الى قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله أو الى قوله وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده * وقال الزمخشرى الفرق بين الحمدين وجوب الحمد فى الدنيا لانه على نعمه متفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهى الثواب وحمد الآخرة ليس بواجب لانه على نعمة واجبة الاتصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به انتهى وفيه بعض تلخيص * يعلم ما يلج فى الارض من المياه * وقال الكلبى من الاموات والدفائن وما يخرج منها من النبات * وقال الكلبى من جواهر المعادن وما ينزل من السماء من المطر والثلج والبرد والصاعقة والرزق والملك وما يعرج فيها من أعمال الخلق * وقال الكلبى وما ينزل من الملائكة * وقيل من الاقضية والاحوال والادعية والاعمال * وقيل من الانعام والعطاء * وقرأ على والسلمى وما ينزل بضم الياء وفتح النون وشد الزاى أى الله تعالى وبلى جواب للنفى السابق من قولهم لا تأتينا الساعة أى بلى لتأتينكم * وقرأ الجمهور لتأتينكم بتاء التأنيث أى الساعة التى أنكرتم مجيئها * وقرأ طلق عن أشياخه بياء الغيبة أى ليأتينكم البعث لانه مقصودهم من نفى الساعة أنهم لا يبعثون * وقال الزمخشرى أو على معنى الساعة أى اليوم أو على اسناده الى الله على معنى ليأتينكم أمر عالم الغيب كقوله أو يأتى ربك أى أمره وبعد أن يكون ضمير الساعة لانه مذهوب به مذهب التذكير لا يكون الا فى الشعر نحو قوله * ولا أرض أبقل ابقالها * ثم أكد الجواب بالقسم على البعث واتبع القسم بقوله عالم الغيب وما بعده ليعلم ان اتيانها من الغيب الذى تفرد به تعالى وجاء القسم بقوله وربى مضافا الى الرسول ليدل على شدة القسم اذ لم يأت به فى الاسم المشترك بينه وبين من أنكر الساعة وهو لفظ الله * وقرأ نافع وابن عامر ورويس وسلام والجحدرى وقعنب عالم بالرفع على اضمار هو وجوز الحوفى وأبو البقاء أن يكون مبتدأ

والخبر لا يعزب * وقال الحوفي أو خبره محذوف أي عالم الغيب هو وباقي السبعة عالم بالجر * قال ابن عطية وأبو البقاء وذلك على البدل وأجاز أبو البقاء أن تكون صفة ويعني ان عالم الغيب يجوز أن يتعرف وكذا كل ما أضيف الى معرفة مما كان لا يتعرف بذلك يجوز أن يتعرف بالاضافة الا الصفة المشبهة فلا تتعرف باضافة ذكر ذلك سيبويه في كتابه وقل من يعرفه * وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي علام على المبالغة والخفض وتقدمت قراءة يعزب في يونس * وقرأ الجمهور ولا أصغر من ذلك ولا أكبر برفع الراءين واحتمل أن يكون معطوفا على مثقال وأن يكون مبتدا والخبر في قوله الا في كتاب وعلى الاحتمال الأول يكون الا في كتاب مبين توكيدا لما تضمن النفي في قوله لا يعزب وتقديره لكنه في كتاب مبين وهو كناية عن ضبط الشيء والتحفظ به فكأنه في كتاب وليس ثم كتاب حقيقة وعلى التخريج الاول يكون الكتاب هو اللوح المحفوظ * وقرأ الأعمش وقتادة بفتح الراءين * قال ابن عطية عطفا على ذرة ورويت عن أبي عمرو وعزاها أيضا الى نافع ولا يتعين ما قال بل تكون لا النفي الجنس وهو مبتدا أعني مجموع لا وما بني معها على مذهب سيبويه والخبر الا في كتاب مبين وهو من عطف الجمل لا من عطف المفردات كما قال ابن عطية * وقال الزمخشري جوابا لسؤال من قال هل جاز عطف ولا أصغر على مثقال وعطف ولا أصغر على ذرة * قلت يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لأن اثباتها في اللوح نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزول عنه الا مسطورا في اللوح انتهى ولا يحتاج الى هذا التأويل اذا جعلنا الكتاب المبين ليس اللوح المحفوظ * وقرأ زيد بن على ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بخفض الراءين بالكسرة كانه نوى مضافا اليه محذوفا التقدير ولا أصغره ولا أكبره ومن ذلك ليس متعلقا بأفعل بل هو بتبيين لأنه لما حذف المضاف اليه أبهم لفظا فبينه بقوله من ذلك أي عنى من ذلك وقد جاء من مع كون أفعل التفضيل مضافا في قول الشاعر *

نحن نفوس الورى وأعلمنا * بنا بركض الجياد في السدف

وخرج على انه أراد علم بنا فاضاف ناوباطرح المضاف اليه فاحتملت قراءة زيد هذا التوجيه الآخر انه لما أضاف أصغر وأكبر على اعرابهما حالة الاضافة وهذا كله توجيه شذوذ وناسب وصفه تعالى بعالم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات فاندرج في ذلك وقت قيام الساعة وصار ذلك دليلا على صحة ما أقسم عليه لأن من كان عالما بجميع الأشياء كلها وجزئها وكانت قدرته ثابتة كان قادرا على اعادة ما فني من جميع الأرواح والأشباح * قيل وقوله مثقال ذرة في السموات اشارة الى علمه بالأرواح ولا في الارض اشارة الى علمه بالأشياء وكما أبرزهما من العدم الى الوجود أولا فكذلك يعيدهما ثانيا * وقال الزمخشري فان قلت كيف يكون بمعنى اليمين مصححة لما أنكروه قلت هذا لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب انتهى وفي السؤال بعض اختصار وفيه دسيسة الاعتزال والظاهر ان قوله ليجزي متعلق بقوله لا يعزب وقيل بقوله لتأتينكم وقيل بالعامل في كتاب مبين أي الامستقرا في كتاب مبين ليجزي * وقرأ الجمهور معجزين مخففا وابن كثير وأبو عمرو والجحدري وأبو السماك منقلا وتقدم في الحج أي معجزين قدرة الله في زعمهم * وقال ابن الزبير معناه مثبطين عن الايمان من أراده مدخلين عليه العجز

فى نشاطه وهذا هو سعيهم فى الآيات أى فى شأن الآيات * وقال قتادة مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا * وقال عكرمة مراغمين * وقال ابن زيد مجاهدين فى ابطالها * وقرأ ابن كثير وحفص وابن أبى عبلة أليم هنا وفى الجاثية بالرفع صفة للعذاب وباقى السبعة بالجر صفة للرجز والرجز العذاب السيء والظاهر أن قوله والذين سعوا مبتدأ والخبر فى الجملة الثانية وهى أولئك وقيل هو منصوب عطفا على الذين آمنوا أى وليجزى الذين سعوا واحتمل ان تكون الجملتان المصدرتان بأولئك هما نفس الثواب والعقاب واحتمل أن تكونا مستأنفتين والثواب والعقاب ما تضمنتاه مما هو أعظم كرضا الله عن المؤمن دائما وسخطه على الفاسق دائما قال العتبى والظاهر أن قوله ويرى استئناف اخبار عمن أوتى العلم يعلمون القرآن المنزل عليك هو الحق وقيل ويرى منصوب عطفا على ليجزى وقاله الطبرى والثعلبى وتقدم الخلاف فى الذين أوتوا العلم فى ذلك المكان الذى نزلت فيه هذه السورة * وقال الزمخشرى أى وليعلم أولو العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه فى الاتفاق ويحتجوا به على الذين كفروا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الأحبار انه هو الحق فيزداد حسرة وغما انتهى وانما قال عند مجيء الساعة لانه علق ليجزى بقوله لتأتينكم فبنى التخريج على ذلك * وقرأ الجمهور الحق بالنصب مفعولا ثانيا ليرى وهو فصل وابن أبى عبلة بالرفع جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة فى موضع المفعول الثانى ليرى وهى لغة تميم يجعلون ما هو فصل عند غيرهم مبتدأ قاله أبو عمر الجرمى والظاهر أن الفاعل ليهدى هو ضمير الذى أنزل وهو القرآن وهو استئناف اخبار وقيل هو فى موضع الحال على اضمار وهو يهدى ويجوز أن يكون معطوفا على الحق عطف الفعل على الاسم كقوله صافات ويقبضن أى قابضات كما عطف الاسم على الفعل فى قوله

فألفيته يوما يبير عدوه * وبحر عطاء يستحق المعابرا

عطف وبحر على يبير وقيل الفاعل بيهدى ضمير عائد على الله وفيه بعد * وقال الذين كفروا هم قريش قال بعضهم لبعض على جهة التعجب والاستهزاء كما يقول الرجل لمن يريد أن يعجبه هل أدلك على قصة غريبة نادرة لما كان البعث عندهم من المحال جعلوا من يخبر عن وقوعه فى حيز من يتعجب منه وأتوا باسمه عليه السلام نكرة فى قوله هل ندلكم على رجل وكان اسمه أشهر علم فى قريش بل فى الدنيا واخباره بالبعث أشهر خبر لانهم أخرجوا ذلك مخرج الاستهزاء والتحلى ببعض الأحاجى المعمولة للتلهى والتعمية فلذلك نكروا اسمه * وقرأ الجمهور ينبئكم بالهمز وزيد بن على بابدال الهمزة ياء محضة * وحكى عنه الزمخشرى ينبئكم بالهمز من أنبأ واذا جوابها محذوف تقديره تبعثون وحذف لدلالة ما بعده عليه وهو العامل اذا على قول الجمهور وقال الزجاج ذلك وقال أيضا هو والنحاس العامل مزقتم * قال ابن عطية هو خطأ وافساد للمعنى انتهى وليس بخطأ ولا افساد للمعنى واذا الشرطية مختلف فى العامل فيها وقد بينا ما كتبناه فى شرح التسهيل أن الصحيح ان يعمل فيها فعل الشرط كسائر أدوات الشرط والجملة الشرطية يحتمل أن تكون معمولة لينبئكم لانه فى معنى يقول لكم اذا مزقتم كل ممزق تبعثون ثم أكد ذلك بقوله انكم لفى خلق جديد ويحتمل أن يكون انكم لفى خلق جديد معمولا لينبئكم وينبئكم متعلق ولولا اللام فى خبر ان لكانت مفتوحة فالجملة سدت مسد المفعولين والجملة الشرطية على هذا التقدير اعتراض وقد منع قوم التعليق فى باب أعلم والصحيح جوازه * قال الشاعر

حذار فقد نبئت أنك للذى * ستجزى بما تسعى فتسعد أو تشقى

وممزق مصدر جاء على زنة اسم المفعول على القياس فى اسم المصدر من كل فعل زائد على الثلاثة * كقوله

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيابهن ولا اجتلابا

أى تسريحى القوافى وأجاز الزمخشرى أن يكون ظرف مكان أى اذا مزقتم فى مكان من القبور وبطون الطير والسباع وماذهبت به السيول كل مذهب وماذ سفته الرياح فطرحته كل مطرح انتهى وجديد عند البصريين بمعنى فاعل تقول جد فهو جاد وجديد وبمعنى مفعول عند الكوفيين من جده اذا قطعه والظاهر أن قوله افترى من قول بعضهم لبعض أى هو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من أمر البعث * أم به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه عادلوا بين الافتراء والجنون لان هذا القول عندهم انما يصدر عن أحد هذين لانه اذا كان يعتقد خلاف ما أتى به فهو مفتر وان كان لا يعتقده فهو مجنون ويحتمل أن يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم ردد بين الشيئين ولم يجزم بأحدهما حيث جوز هذا وجوز هذا ولم يجزم بانه افتراء محض احترازا من أن ينسب الكذب لعاقل نسبة قطعية اذ العاقل حتى الكافر لا يرضى بالكذب لا من نفسه ولا من غيره وأضرب تعالى عن مقالتهم والمعنى ليس للرسول كما نسبتم ألسنة بل أنتم فى عذاب النار أو فى عذاب الدنيا بما تكابدونه من ابطال الشرع وهو بحق واطفاء نور الله وهو متم ولما كان الكلام فى البعث قال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فرتب العذاب على انكار البعث وتقدم الكلام فى وصف الضلال بالبعد وهو من أوصاف المحال استعير للمعنى ومعنى بعده انه لا ينقضى خبره المتابس به * أفلم يروا أى هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة الى ما بين أيديهم أى حيث ما تصرفوا فالسماء والأرض قد أحاطتا بهم ولا يقدرون أن ينفذوا من أقطارهما ولا يخرجوا عن ملكوت الله فيهما * وقال الزمخشرى أعموا فلم ينظروا جعل بين الفاء والهمزة فعلا يصح العطف عليه وهو خلاف ما ذهب اليه النحويون من أنه لا محذوف بينهما وأن الفاء للعطف على ما قبل همزة الاستفهام وان التقدير فألم لكن همزة الاستفهام لما كان لها الصدر قدمت وقد رجع الزمخشرى الى مذهب النحويين فى ذلك وقد رددنا عليه هذا المذهب فيما كتبناه فى شرح التسهيل ووقفهم تعالى على قدرته الباهرة وحذرهم احاطتهما بهم على سبيل الاهلاك لهم وكان ثم حال محذوفة أى أفلا يرون الى ما يحيط بهم من سماء وأرض مقهورتحت قدرتنا نتصرف فيه كما نريد * ان نشأ نخسف بهم الأرض كما فعلنا بقارون أو نسقط عليهم كسفا من السماء كما فعلنا باصحاب الظلة أو أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم محيطا بهم وهم مقهورون تحت قدرتنا ان فى ذلك النظر الى السماء والأرض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية لعلامة ودلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له * قال مجاهد مخبت * وقال الضحاك مستقيم * وقال أبو روق مخلص فى التوحيد * وقال قتادة مقبل الى ربه بقلبه لأن المنيب لا يخلو من النظر فى آيات الله على انه قادر على كل شئ من البعث ومن عقابه من يكفر به * وقرأ الجمهور ان نشأ نخسف ونسقط بالنون فى الثلاثة وحمزة والكسائى وابن وثاب وعيسى والأعمش وابن مطرف بالياء فيهن وأدغم الكسائى الفاء فى الباء فى نخسف بهم * قال أبو على وذلك لا يجوز لان الباء أضعف فى الصوت من الفاء فلا تدغم فيها وان كانت الباء تدغم فى الفاء نحو اضرب فلانا وهذا ما تدغم الباء فى الميم كقولك اضرب مالكا ولا تدغم الميم فى الباء كقولك اصمم لك لأن الباء انحطت عن الميم بفقد الغنة التى فى الميم

﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ مناسبة قصة داود وسليمان لما قبلهما هي أن أولئك الكفار أنكروا البعث لاستحالته عندهم فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا يمكنهم انكاره اذ طفحت ببعضه أخبارهم ونطقت به شعراؤهم على ما يأتي ذكره من تأويب الجبال والطير مع داود وإلانة الحديد وهو الجرم المستعصي وتسخير الريح لسليمان واسالة النحاس له كما ألان الحديد لابيه وتسخير الجن في ما شاء من الاعمال الشاقة وغير ذلك * أوبي معه أي سبحي قاله ابن عباس وقرئ والطير بالنصب عطفا على موضع ياجبال وبالرفع عطفا على لفظ ياجبال * والانة الحديد قال ابن عباس حتى صار كالشمع وروي أن داود عليه السلام كان يتنكر فيسأل الناس عن حاله فعرض له ملك في صورة انسان فسأله فقال نعم العبد لولا خلة فيه فقال وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله فدعا الله تعالى أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة الدروع ألان له الحديد فأثري وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين ﴿وقدر في السرد﴾ قال ابن زيد هو في قدر الحلقة أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها ﴿ولسليمان الريح﴾ أبدله الله تعالى من الخيل الريح تجري بأمره ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ الظاهر انه جعله أي النحاس له عليه السلام في معدنه عينا تسيل كعيون الماء دلالة على نبوته يستعملها فيما يريد وعن ابن عباس أجريت له ثلاثة أيام بلياليهن وكانت بأرض اليمن قال مجاهد سالت من صنعاء ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله وكان لا يذوب ﴿باذن ربه﴾ أي بأمر ربه لقوله ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ أي ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ مضارع زاغ وقرئ بالضم من أزاغ أي ومن يمل وعذاب السعير عذاب الآخرة قاله ابن عباس * والمحاريب قال مجاهد المساجد والتماثيل الصور والجفان جمع جفنة وهي معروفة والجوابي الحياض العظام واحدها جابية لأنه يجبى فيها الماء أي يجمع قال الأعشى *

نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية السيح العراقي تفهق

* والراسيات الثابتات على الأثافي فلا تنقل ولا تحمل لعظمها وقدمت المحاريب على التماثيل لان النفوس تكون في الأبنية وقدم الجفان على القدور مع ان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل والطبخ قبل الأكل لما بين الابنية الملكية أراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور وأشار الى الجفان لانها تكون فيها والقدور لا يكون فيها ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات ولما بين حال الجفان سرى الذهن الى عظمة ما يطبخ فيها فذكر القدور للمناسبة وذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب لاحتياجه الى قتال أعدائه وفي حق سليمان من المحاريب والتماثيل لانه كان ملكا ابن ملك قد وطد له أبوه الملك أي مهده له فكانت حاله حالة سلم اذ لم يكن أحد يقدر على محاربته وقال عقب أن اعمل سابغات اعملوا صالحا وعقب ما يعمله الجن ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾ عقب كل جملة بما يناسبها وروي ان مصلى داود عليه السلام لم يخل قط من قائم يصلي ليلا أو نهارا وكانوا يتناوبونه وكان سليمان عليه السلام يأكل الشعير ويطعم أهله الخشكار والمساكين الدرمك وما شبع قط وقيل له في ذلك فقال اني أخاف ان شبعت ان أنسى الجياع والشكور صيغة مبالغة وأريد به الجنس ﴿فلما قضينا عليه الموت﴾ أي أنفذنا عليه ما قضينا في الازل من الموت وأخرجناه الى حيز الوجود والضمير في دلهم عائد على الجن الذين كانوا يعملون له وكان سليمان قد أمر الجن ببناء صرح فبنوه ودخل فيه تخليا ليصفو له يوم من الدهر من الكدر فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استئذان فقال انما دخلت باذن قال ومن أذن لك قال رب هذا الصرح فعلم سليمان عليه السلام أنه ملك الموت أتى لقبض روحه فقال سليمان سبحان الله هذا اليوم الذي طلبت فيه الصفاء فقال له طلبت ما لم يخلق فاستوثق من الاتكاء على العصا فقبض روحه وبقيت الجن تعمل على عادتها وكان سليمان قصد تعمية موته لانه كان قد بقي من تمام بناء المسجد عمل سنة فسأل الله تعالى تمامها على يد الانس والجن وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون

* وقال الزمخشري وقرأ الكسائي نخسف بهم بالادغام وليست بقوية انتهى والقراءة سنة متبعة ويوجد فيها الفصيح والافصح وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر فلا التفات لقول أبي علي ولا الزمخشري * ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت

انه يحنث أي يتعبد وقيل ان ملك الموت أعلمه أنه بقي من حياته ساعة فدعا الجن فبنوا الصرح وقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم اليه في صلاته الا احترق فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا هو خر ميتا وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاث عشرة سنة وكان أبوه قد أسس بنيان المسجد موضع فسطاط موسى عليه السلام فمات قبل أن يتمه و وصى به الى ابنه فأمر الشياطين باتمامه ومات قبل تمامه ودابة الارض هي سوسة الخشب وهي الارضة وقيل غير ذلك والمنسأة العصا وكانت فيما روي من خرنوب وذلك أنه كان يتعبد في بيت المقدس فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بمنافعها فيأمر فتقلع وتصرف في منافعها وتغرس لتتناسل فلما قرب موته نبتت له شجرة و ألها فقالت أنا الخرنوب خرجت (٢٦٢) لخراب ملكك فعرف أنه حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم أنه يتغذى بالليل ﴿منسأته﴾ على وزن مفعلة كمطرقة وهي العصا سميت بذلك لانها ينسأ بها الاشياء أي تؤخر وقرئ منسأته على وزن مفعلة بهمزة مفتوحة بعد السين وبابدالها ألفا على غير قياس وباسكانها على غير قياس والاصل فتحها لانها لام الكلمة ﴿فلما خر﴾ الضمير عائد على سليمان عليه السلام أي سقط عن العصا ميتا وقرئ تبينت مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول وأن هي المخففة من الثقيلة و ينسبك منها مصدر أي تبينت الجن جهلها أي جهل الجن والمعنى ان الجن لو كانت تعلم الغيب ما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر أنه خفي عليها بدوامها في الخدمة والصعة

مادلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين ﴾ مناسبة قصة داود وسليمان عليهما السلام لما قبلها هي ان أولئك الكفار أنكروا البعث لاستحالته عندهم فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا يمكنهم انكاره اذ طفحت ببعضه أخبارهم وشعرائهم على ما يأتي ذكره ان شاء الله من تأويب الجبال والطير مع داود والانة الحديد وهو الجرم المستعصي وتسخير الريح لسليمان واسالة النحاس له كما ألان الحديد لابيه وتسخير الجن فيما شاء من الاعمال الشاقة وقيل لما ذكر من ينيب من عباده ذكر من جملتهم داود كما قال فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وبين ما آتاه الله على انابته فقال ولقد آتينا داود منا فضلا وقيل ذكر نعمته على داود وسليمان عليهما السلام احتجاجا على ما منح محمدا صلى الله عليه وسلم أي لا تستبعدوا هذا فقد تفضلنا على عبيدنا قديما بكذا وكذا فلما فرغ التمثيل لمحمد عليه السلام رجع التمثيل لهم بسبأ وما كان من هلاكهم بالكفر والعتو انتهى والفضل الذي أوتي داود الزبور والعدل في القضاء والثقة بالله وتسخير الجبال والطير وتليين الحديد أقوال * ياجبال هو اضمار القول اما مصدر أي قولنا ياجبال فيكون بدلا من فضلا واما فعلا أي قلنا فيكون بدلا من آتينا واما على الاستئناف أي قلنا ياجبال وجعل الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا أمرهم أطاعوا وأذعنوا واذا دعاهم سمعوا وأجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته ودلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالوهية حيث نادى الجبال وأمرها * وقرأ الجمهور أوبي مضاعف آب يؤوب ومعناه سبحي معه قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وقال مؤرج وأبو ميسرة أوبي سبحي بلغة الحبشة أي يسبح هو وترجع هي معه التسبيح أي تردد بالذكر وضعف الفعل للمبالغة قاله ابن عطية ويظهر ان التضعيف للتعدية فليس للمبالغة اذ أصله آب وهو لازم بمعنى رجع اللازم فعدي بالتضعيف اذ شرحوه بقولهم رجعي معه التسبيح * قال الزمخشري ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها

(الدر) ﴿ سورة سبأ ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ش) ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير بأصواتها انتهى (ح) قوله كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح الى آخره يعني أن الذي سمع موسى هو ما خلقه الله في الشجرة من الكلام لا أنه كلام الله حقيقة وهو مذهب المعتزلة وأما قوله تساعده أي الجبال على نوحه باصدائها فليس بشئ لأن الصدى ليس بصوت الجبال حقيقة والله تعالى نادى الجبال وأمرها بان تؤوب معه والصدى لا تؤمر الجبال أن تفعله اذ ليس فعلا لها وانما هو من آثار صوت المتكلم على ما تقدم عليه البرهان

مايسمع من المسبح معجزة لداود قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها انتهى وقوله كما خلق الكلام فى الشجرة يعنى ان الذى يسمع موسى هو مما خلقه الله فى الشجرة من الكلام لا أنه كلام الله حقيقة وهو مذهب المعتزلة وأما قوله تساعده الجبال على نوحه باصدائها فليس بشئ لان الصدى ليس بصوت الجبال حقيقة والله تعالى نادى الجبال وأمرها بان تؤوب معه والصدى لا تؤمر الجبال بان تفعله اذ ليس فعلا لها وانما هو من آثار صوت المتكلم على مايقوم عليه البرهان * وقال الحسن معنى أوبى معه سيرى معه أين سار والتأويب سير النهار كان الانسان يسير الليل ثم يرجع للسير بالنهار أى يردده وقال تميم بن مقبل

لحقنا بحى أوبوا السير بعدما * دفعنا شعاع الشمس والطرف تجنح

﴿ وقال آخر ﴾

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وقيل أوبى تصرفى معه على ما يتصرف فيه فكان اذا قرأ الزبور صوتت الجبال معه وأصغت اليه الطير فكأنها فعلت ما فعل * وقرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبى اسحق أوبى أمر من أوب أى رجعى معه فى التسبيح أو فى السير على القولين وامر الجبال كامر الواحدة المؤنثة لان جمع مالا يعقل يجوز فيه ذلك ومنه ياخيل الله اركبى ومنه يارب أخرى وقد جاء ذلك فى جميع ما يعقل من المؤنث قال الشاعر

تركنا الخيل والنعم المفدى * وقلنا للنساء بها أقيمى

لكن هذا قليل * وقرأ الجمهور والطير بالنصب عطفا على موضع ياجبال * قال سيبويه وقال أبو عمرو باضمار فعل تقديره وسخرنا له الطير * وقال الكسائى عطفا على فضلا أى وتسبيح الطير * وقال الزجاج نصبه على انه مفعول معه انتهى وهذا لا يجوز لان قبله معه ولا يقتضى الفعل اثنين من المفعول معه الا على البدل أو العطف فكما لا يجوز جاء زيد مع عمرو ومع زينب الا بالعطف كذلك هذا * وقرأ السلمى وابن هرمز وأبو يحيى وأبو نوفل ويعقوب وابن أبى عبلة وجماعة من أهل المدينة وعاصم فى رواية والطير بالرفع عطفا على لفظ ياجبال وقيل عطفا على الضمير فى أوبى وسوغ ذلك الفصل بالظرف وقيل رفعا بالابتداء والخبر محذوف أى والطير تؤوب * والانا له الحديد * قال ابن عباس وقتادة صار كالشمع * وقال الحسن كالعجين وكان يعمله من غير نار * وقال السدى كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف شاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وقيل أعطى قوة يلين بها الحديد * وقال مقاتل وكان يفرغ من الدرع فى بعض يوم أو فى بعض ليلة ثمنها ألف درهم وكان داود يتنكر فيسأل الناس عن حاله فعرض له ملك فى صورة انسان وسأله فقال نعم العبد لولا خلة فيه فقال وما هى فقال يرتزق من بيت المال ولو أكل من عمل يده تمت فضائله فدعا الله أن يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة الدروع والان له الحديد فأثرى وكان ينفق ثلث المال فى مصالح المسلمين * وأن فى أن اعمل مصدرية وهى على اسقاط حرف الجر أى ألناه لعمل سابغات وأجاز الحوفى وغيره أن تكون مفسرة ولا يصح لان من شرطها أن يتقدمها معنى القول وأن ليس فيه معنى القول وقدر بعضهم قبلها فعلا محذوفا حتى يصح أن تكون مفسرة وتقديره وأمرناه أن اعمل أى اعمل ولا ضرورة تدعو الى هذا المحذوف وقرئ صابغات بالصاد بدلا من السين وتقدم ذلك لغة فى قوله وأسبغ عليكم نعمه

* وقدر في السرد * قال ابن زيد هو في قدر الحلقة أي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولا كبيرة فينال لابسها من خلالها * وقال ابن عباس هو في المسمار لا يرق فينكسر ولا يغلظ فيقصم بالفاء وبالقاف * وقال قتادة ان الدروع كانت قبل صفائح كانت ثقالا وهو أول من صنع الدرع حلقا والظاهر ان الأمر في قوله اعملوا آل داود ولآل داود وان لم يجر لهم ذكر ويجوز أن يكون أمر الداود شرفه الله بأن خاطبه خطاب الجمع * ولسليمان الريح * قال الحسن عقر سليمان الخيل على ما فوتته من صلاة العصر فأبدله الله خيرا منها وأسرع الريح تجري بأمره * وقرأ الجمهور الريح بالنصب أي ولسليمان سخرنا الريح وأبو بكر بالرفع على الابتداء والخبر في المجرور ويكون الريح على حذف مضاف أي تسخير الريح أو على اضمار الخبر أي الريح مسخرة * وقرأ الحسن وأبو حيوة وخالد بن الياس الرياح بالرفع جمعا * وقال قتادة كانت تقطع في الغدو الى قرب الزوال مسيرة شهر وفي الرواح من بعد الزوال الى الغروب مسيرة شهر * وقال الحسن تخرج من مستقره بالشام يريد تدمر التي بنتها الجن بالصفاح والعمد فيقيل في اصطخر ويروح منها فيبيت في كابل من أرض خراسان والغدو ليس الشهر هو على حذف مضاف أي جري غدوها أي جريها في الغدو مسيرة شهر وجري رواحها أي جريها في الرواح مسيرة شهر وأخبر هنا في الغدو عن الرواح بالزمان وهو شهر ويعني شهرا واحدا كاملا ونصب شهر جائز ولكنه لم يقرأ به فيما أعلم * وقرأ ابن أبي عبلة غدوتها وروحتها على وزن فعلة وهي المرة الواحدة من غدا وراح * وقال وهب كان مستقر سليمان عليه السلام بتدمر وكانت الجن قد بنتها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والأشقر * وفيه يقول النابغة

الا سليمان قد قال الاله له * قم في البرية فاصددها عن العبد
وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ووجد أبياتا منقورة في صخرة بأرض يشكر انشاها لبعض أصحاب سليمان عليه السلام وهي

ونحن ولا حول سوى حول ربنا * نروح من الاوطان من أرض تدمر
اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا * مسيرة شهر والغدو لآخر
أناس أعز الله طوعا نفوسهم * بنصر ابن داود النبي المطهر
لهم في معاني الدين فضل ورفعة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر
وان ركبوا الريح المطيعة أسرعت * مبادرة عن يسرها لم تقصر
تظلهم طير صفوف عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تنسر

انتهى ما حكى وهب * وأسلنا له عين القطر * الظاهر انه جعله له في معدنه عينا تسيل كعيون الماء دلالة على نبوته * قال قتادة يستعملها فيما يريد وعن ابن عباس ومجاهد والسدي أجريت له ثلاثة أيام لياليهن وكانت بأرض اليمن * قال مجاهد سالت من صنعاء ولم يذب النحاس فيما روي لأحد قبله وكان لا يذوب * وقالت فرقة المعنى أذبنا له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام قالوا وكانت الأعمال تتأتى منه وهو بارد دون نار وعين بمعنى الذات وقالوا لم يكن أولا ذاب لاحد قبله * وقال الزمخشري أراد بها معدن النحاس نبعه له كما ألان الحديد لداود ونبعه كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني أراني أعصر خمرا انتهى ويحتمل من يعمل أن يكون في موضع نصب أي وسخرنا من الجن من يعمل وان يكون في موضع رفع على الابتداء وخبره في الجار والمجرور وقبله باذن ربه لقوله ومن يزغ منهم عن أمرنا * وقرأ الجمهور يزغ

مضارع زاغ أي ومن يعدل عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ بضم الياء من أزاغ أي ومن يمل ويصرف نفسه عن أمرنا وعذاب السعير عذاب الآخرة قاله ابن عباس * وقال السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني ولبعض الباطنية أو من يشبههم تحريف في هذه الجمل ان تسبيح الجبال هو من نوع قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وان تسخير الريح هو انه راض الخيل وهي كالريح وان غدوها شهر يكون فرسخا لان من يخرج للتفرج لا يسير في غالب الأمر أشد من فرسخ والانة الحديد واسالة القطر هو استخراج ذوبهما بالنار واستعمال الآلات منهما * ومن الجن هم ناس من بني آدم أقوياء شبهوا بهم في قواهم وهذا تأويل فاسد وخروج بالجملة عما يقوله أهل التفسير في الآية وتعجيز للقدرة الالهية نعوذ بالله من ذلك *والمحاريب * قال مجاهد المشاهد سميت باسم بعضها تجوزا * وقال ابن عطية القصور وقال قتادة كلهما وقال ابن زيد مساكن وقيل ما يصعد اليه بالدرج كالغرف والتماثيل الصور وكانت لغير الحيوان * وقال الضحاك كانت تماثيل حيوان وكان عملها جائزا في ذلك الشرع * وقال الزمخشري هي صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل في المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وهذا مما يجوز أن يختلف فيه الشرائع لانه ليس من مقبحات الفعل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذذاك محرما أو صورا محذوفة الرؤس انتهى وفيه بعض حذف وقيل التماثيل طلسمات فيعمل تمثالا للتمساح أو للذباب أو للبعوض ويأمر أن لا يتجاوز ذلك الممثل به مادام ذلك التمثال والتصوير حرام في شرعنا وقد ورد تشديد الوعيد على المصورين ولبعض العلماء استثناء في شيء منها وفي حديث سهل بن حنيف لعن الله المصورين ولم يستثن عليه الصلاة والسلام * وحكى مكي في الهداية أن قوما أجازوا التصوير وحكاه النحاس عن قوم واحتجوا بقوله وتماثيل قاله ابن عطية وما أحفظ من أئمة العلم من يجوزه * وقرئ كالجواب بلا ياء وهو الأصل اجتزاء بالكسرة واجراء الألف واللام مجرى ما عاقبها وهو التنوين وكما يحذف مع التنوين يحذف مع ما عاقبه وهو أل والراسيات الثابتات على الاثافي فلا تنقل ولا تحمل لعظمها وقدمت المحاريب على التماثيل لان النقوش تكون في الأبنية وقدم الجفان على القدور لان القدور آلة الطبخ والجفان آلة الأكل والطبخ قبل الأكل لما بين الأبنية الملكية وأراد بيان عظمة السماط الذي يمد في تلك الدور وأشار الى الجفان لانها تكون فيها والقدور لا تكون فيها ولا تحضر هناك ولهذا قال راسيات ولما بين حال الجفان سرى الذهن الى عظمة ما يطبخ فيه فذكر القدور للمناسبة وذكر في حق داود اشتغاله بآلة الحرب لاحتياجه الى قتال الأعداء وفي حق سليمان المحاريب والتماثيل لانه كان ملكا ابن ملك قد وطد له أبوه الملك فكانت حاله حالة سلم إذ لم يكن أحد يقدر على محاربته وقال عقب أن اعمل سابغات واعملوا صالحا وعقب ما يعمله الجن اعملوا آل داود شكرا اشارة الى ان الانسان لا يستغرق في الدنيا ولا يلتفت الى زخارفها وأنه يجب أن يعمل صالحا اعملوا آل داود وقيل مفعول اعملوا محذوف أي اعملوا الطاعات وواظبوا عليها شكرا لربكم على ما أنعم به عليكم فقيل انتصب شكرا على الحال وقيل مفعول من أجله وقيل مفعول له باعملوا أي اعملوا عملا هو الشكر كالصلاة والصيام والعبادات كلها في أنفسها هي الشكر اذا سدت مسده وقيل على المصدر لتضمينه اعملوا اشكروا وبالعمل لله شكرا * روي ان مصلى آل داود لم يخل قط من قائم يصلي ليلا ونهارا وكانوا يتناوبونه وكان سليمان عليه السلام يأكل الشعير

ويطعم أهله الخشكار والمساكين الدرمك وماشبع قط فقيل له في ذلك فقال أخاف ان شبعت أن أنسى الجياع والشكور صيغة مبالغة وأريد به الجنس * قال ابن عباس الشكور من يشكر على أحواله كلها * وقال السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وهذه الجملة تحتمل أن تكون خطابا لآل داود وهو الظاهر وان تكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم وفيها تنبيه وتحريض على الشكر * فلما قضينا عليه الموت أى أنفذنا عليه ماقضينا عليه في الأزل من الموت وأخرجناه الى حيز الوجود وجواب لما النفى الموجب وهذا يدل على ان لما حرف لاظرف خلافا لمن زعم ذلك لانه لو كان ظرفا لكان الجواب هو العامل وما دخلت عليه وهي نافية ولا يعمل ماقبلها فيما بعدها وقد مضى لنا نظير هذا في يوسف في قوله * ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغنى عنهم من الله من شئ فالضمير في دلهم عائد على الجن الذين كانوا يعملون له وكان سليمان قد أمر الجن ببناء صرح له فبنوه له ودخله مختليا ليصفوله يوم من الدهر من الكدر فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت على بغير اذن فقال انما دخلت باذن قال ومن أذن لك قال رب هذا الصرح فعلم أنه ملك الموت أتى بقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم الذى طلبت فيه الصفا فقال له طلبت مالم يخلق فاستوثق من الاتكاء على العصا فقبض روحه وبقيت الجن تعمل على عادتها وكان سليمان قصد تعمية موته لانه كان بقى من تمام بناء المسجد عمل سنة فسأل الله تمامها على يد الانس والجن وكان يخلو بنفسه الشهرين والثلاثة فكانوا يقولون انه يتحنث وقيل ان ملك الموت أعلمه أنه بقى من حياته ساعة فدعا الشياطين فبنوا له الصرح وقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه فلا ينظر أحد منهم اليه في صلاته الا احترق فمر واحد منهم فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا هو قد خر ميتا وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة ملك بعد موت أبيه وهو ابن ثلاثة عشر سنة وكان أبوه قد أسس بنيان المسجد موضع بساط موسى فمات قبل أن يتمه ووصى به ابنه فأمر الشياطين باتمامه ومات قبل تمامه * ودابة الارض تأكل هي سوسة الخشب وهي الارضة وقيل ليست سوسة الخشب لان السوسة ليست من دواب الارض بل هذه حيوان من الارض شأنه أن يأكل الخشب وذلك موجود وقالت فرقة منها أبو حاتم الارض هنا مصدر أرضت الأبواب والخشب أكلتها الارضة فكأنه قال دابة الاكل الذى هو بتلك الصورة واذا كان الارض مصدرا كان فعله أرضت الدابة الخشب تأرضه أرضا فأرض بكسر الراء نحو جدعت انفه فجدع ويقال انه مصدر لفعل مفتوح العين قراءة ابن عباس والعباس بن الفضل الارض بفتح الراء لان مصدر فعل المطاوع لفعل يكون على فعل نحو جدع انفه جدعا وأكلت الاسنان أكلا مطاوع أكلت وقيل الارض بفتح الراء جمع أرضة وهو من اضافة العام الى الخاص لان الدابة أعم من الارض وقراءة الجمهور بسكون الراء فالمتبادر انها الارض المعروفة وتقدم أنها مصدر لأرضت الدابة الخشب وتأكل حال أى أكلت منسأته وهى حال مصاحبة وتقدم ان المنسأة هي العصا وكانت فيما روى من خرنوب وذلك انه كان يتعبد في بيت المقدس فتنبت له في محرابه كل سنة شجرة تخبره بما فعها فيأمر فتقلع ويتصرف في منافعها وتغرس لتتناسل فلما قرب موته نبتت شجرة وسألها فقالت أنا الخرنوب خرجت لخراب ملكك فعرف انه حضر أجله فاستعد واتخذ منها عصا واستدعى بزاد سنة والجن تتوهم انه يتغذى بالليل * وروى ان سليمان كان في قبة وأوصى بعض أهله بكتمان موته عن الانس والجن سنة ليتم البناء الذى بدئ في زمن داود فلما مضى لموته

سنةخرعن العصاونظر الى مقدار ماتأكله الارضة يوماوقيس عليه فعلم انها أكلت العصا منه سنة * وقرأ نافع وأبو عمرو وجماعة منساته بألف وأصله منسأته أبدلت الهمزة ألفا بدلا غير قياسي *وقال أبو عمرو وأنا لا أهمزها لأني لا أعرف لها اشتقاقا فان كانت مما لا تهمز فقد احتطت وان كانت تهمز فقد يجوز لي ترك الهمزة فيما يهمز * وقرأ ابن ذكوان وجماعة منهم بكار والوليد ان بن عتبة وابن مسلم منسأته بهمزة ساكنة وهو من تسكين المتحرك تخفيفا وليس بقياس وضعف النحاة هذه القراءة لانه يلزم فيها أن يكون ماقبل التأنيث ساكنا غير الفاء وقيل قياسها التخفيف بين بين والراوي لم يضبط وأنشد هرون بن موسى الأخفش الدمشقي شاهدا على سكون هذه القراءة قول الراجز

صريع خمر قام من وكأته * كقومة الشيخ الى منسأته

* وقرأ باقي السبعة بالهمزة مفتوحة وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وعلى وزن مفعالة منساءة * وقرأت فرقة منهم عمر بن ثابت عن ابن جبير مفصولة حرف جر وسأته بجر التاء قيل ومعناه من عصاه يقال لها ساة القوس وسيتها معا وهي يدها العليا والسفلى سميت العصا ساة القوس على الاستعارة ولاسيما ان صح النقل انه اتخذها من شجر الخروب قبل موته فيكون حين اتكأ عليها وهي كما قطعت من شجرة خضراء قد اعوجت حتى صارت كالقوس ألا ترى أنك اذا اتكأت على غصن أخضر كيف يعوج حتى يكاد يلتقي طرفاه فيها لغتان ساة وسية كما يقال قحة وقحاة والمحذوف من ساة وسية * فلما خر أي سقط عن العصا ميتا والظاهر ان الضمير في خر عائد على سليمان وقيل انه لم يمت الى ان وجد في سفر مضطجعا ولكنه كان في بيت مبني عليه وأكلت الارضة عتبة الباب حتى خر الباب فعلم موته * وقال ابن عباس مات في متعبده على فراشه وقد أغلق الباب على نفسه فأكلت الارضة المنسأة أي عتبة الباب فلما خر أي الباب انتهى وهذا فيه ضعف لانه لو كانت المنسأة هي العتبة وعاد الضمير عليها لكان التركيب فلما خرت بتاء التأنيث ولا يجيء حذف مثل هذه التاء الا في ضرورة الشعر ولا يكون من ذكر المعنى على معنى العود لانه قليل * وقرأ الجمهور تبينت مبنيا للفاعل فاحتمل أن يكون من تبين بمعنى بان أي ظهرت الجن والجن فاعل وان ومابعدها بدل من الجن كما تقول تبين زيد جهله أي ظهر جهل زيد فالمعنى ظهر للناس جهل الجن علم الغيب وان ماادعوه من ذلك ليس بصحيح واحتمل أن يكون من تبين بمعنى علم وأدرك والجن هنا خدم الجن وضعفتهم ان لو كانوا أي لو كان رؤساؤهم وكبراؤهم يعلمون الغيب قاله قتادة * وقال الزمخشري أو علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما أريد بهم التهكم كما يتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله كقولك هل تبينت انك مبطل وأنت لا تعلم انه لم يزل لذلك متبينا انتهى ويجيء تبين بمعنى بان وظهر لازما وبمعنى علم متعديا موجودا في كلام العرب * قال الشاعر

تبين لي ان القماءة ذلة * وان أعزاء الرجال طيالها

﴿ وقال آخر ﴾

أفاطم اني ميت فتبيني * ولا تجزعي كل الأنام يموت

أي فتبيني ذلك أي اعلميه * وقال ابن عطية ذهب سيبويه الى ان أن لا موضع لها من الاعراب انما هي موزونة نحو ان مايتنزل منزلة القسم من الفعل الذي معناه التحقيق واليقين لان هذه الافعال

﴿لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية﴾ لما ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها على ما جرى لمن كفر أنعم الله تعالى وتقدم الكلام فى سبأ فى النمل ولما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على ان ترجع فأبت فقالوا لترجعن أو لنقتلنك فقالت لهم لا عقول لكم ولا تطيعونى فقالوا نطيعك فرجعت الى واديهم وكانوا اذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاث أيام فأمرت به فسد ما بين الجبلين بمساة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبقيت من دونه بركة فيها اثنا عشر مخرجا على عدة أنهارهم وكان الماء يخرج لهم بالسوية الى ان كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ما سبق ذكره فى النمل وقرئ مساكنهم جمعا ومفردا بفتح الكاف وكسرها آية أى علامة دالة على الله تعالى وعلى قدرته ووجوب شكره وخبر كان لسبأ وآية اسمها وفى مساكنهم متعلق بما تعلق به لسبأ والتقدير لقد كانت آية كائنة لسبأ فى مساكنهم جنتان خبر مبتدأ محذوف تقديره هى جنتان قال ابن عطية جنتان مبتدأ وخبره عن يمين وشمال انتهى لا يظهر ذلك لأنه نكرة لا مسوغ للابتداء بها الا ان اعتقد أن ثم صفة محذوفة أى جنتان لهم أو عظيمتان عن يمين وشمال وعلى ذلك يبقى الكلام مفلتا مما قبله وجنتان جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين فى تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة قال ابن زيد لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابهم وكانت المرأة تمشى تحت الاشجار وعلى رأسها المكتل فيمتلئ ثمارا من غير أن تتناول بيدها شيأ كلوا من رزق ربكم قول الله لهم على ألسنة الانبياء المبعوثين اليهم وفيه اشارة الى تكميل النعمة عليهم حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض ﴿واشكروا له﴾ على ما أنعم به عليكم ﴿بلدة طيبة﴾ أى كريمة التربة حسنة الهواء سليمة من الهوام والمضار ﴿ورب غفور﴾ لا عقاب على التمتع بنعمه فى الدنيا ولا عذاب فى الآخرة فأعرضوا عما جاء به اليهم أنبياؤهم وكانوا ثلاثة عشر نبيا دعوهم الى الله وذكروهم نعمه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فسلط الله تعالى عليهم الجرذ فارا أعمى توالد فيه ويسمى الخلد فخرقه شيأ بعد شئ وأرسل سيلا فى ذلك الوادى فحمل ذلك السد وروى أنه كان من العظم وكثرة الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيرا من الناس ممن لم يمكنهم الفرار وروى أنه لما خرق السد كان ذلك سبب يبس الجنات فهلكت بهذا وقال ابن عباس العرم الشديد فاحتمل أن يكون صفة للسيل أضيف الموصوف الى صفته التقدير السيل العرم أو صفة لموصوف محذوف أى سيل المطر الشديد الذى كان عنه السيل أو سيل الجرذ العرم فالعرم صفة للجرذ وقيل العرم اسم الجرذ بنفسه وأضيف السيل اليه لكونه كان السبب فى خراب السد الذى حمله السيل والاضافة تكون بادنى ملابسة ولما غرق من غرق منهم ونجا من نجا تفرقوا وتمزقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا تفرقوا أيدى سبأ وأيادى سبأ قيل والأوس والخزرج منهم وعن ابن عباس كان سيل ذلك الوادى يصل الى مكة وينتفع به وكان سيل العرم فى ملك ذى الادعار بن حسان فى الفترة التى بين عيسى عليه السلام وبين نبينا صلى الله عليه وسلم ودخلت الباء فى بجنتيهم على الزائل وانتصب ما كان بدلا وهو قوله جنتين على المعهود فى لسان العرب ويسمى هذا المعوض جنتين على سبيل المقابلة لان ما كان فيه خمط وأثل وسدر لا يسمى جنة لأنها أشجار لا يكاد ينتفع بها وجاءت تثنية ذات على الأفصح فى التثنية فى ردعينها فقال ذواتى أكل كما جاء ذواتا أفنان وقرئ أكل خمط فالاضافة على حذف مضاف أى ثمر خمط وقرئ بالتنوين وجعله بدلا من أكل وقرئ بالنصب خمطا ونصب ما بعدها بدلا من قوله جنتين قال أبو عبيدة الخمط كل شجرة مرة ذات شوك والاثل شجر وهو ضرب من الطرفاء والسدر قال الفراء هو السمر وقال الأزهرى السدر

(٢٦٨)

التى هى تحققت وتيقنت وعلمت ونحوها تحل محل القسم فلبثوا جواب القسم لا جواب لو وعلى الأقوال الاول جواب لو وفى كتاب النحاس اشارة الى انه يقرأ تبينت الجن بنصب الجن أى تبينت الانس الجن والمعنى أن الجن لو كانت تعلم الغيب ما خفى عليها موته أى موت سليمان وقد ظهر انه خفى عليها بدوامها فى الخدمة والضعة وهو ميت * وقرأ ابن عباس فيما ذكر ابن خالويه ويعقوب بخلاف عنه تبينت مبنيا للمفعول وعن ابن عباس وابن مسعود وأبى وعلى بن الحسن والضحاك قراءة فى هذا الموضع مخالفة لسواد المصحف ولما روى عنهم ذكرها المفسرون أضربت عن ذكرها صفحا على عادتنا فى ترك نقل الشاذ الذى يخالف السواد مخالفة كثيرة ﴿لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور

سدران سدر لاينتفع به ولايصلح ورقه للغسول وله ثمرة عفصة لاتؤكل وهو الذى يسمى الضال وسدر ينبت على الماء وثمره النبق وورقه الغسول يشبه شجر العناب ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ارسال السيل وتبديل الجنتين وما مصدرية والباء سببية ﴿ وهل يجازى ﴾ أى بذلك الجزاء ﴿ الا الكفور وجعلنا بينهم ﴾ الآية جاءت هذه الجملة بعد قوله وبدلناهم وذلك أنه لما ذكر ما أنعم به عليهم من جنتيهم وذكر تبديلها بالخمط والاثل والسدر ذكر ما أنعم به عليهم من اتصال قراهم وذكر تبديلها بالمفاوز والبرارى ووصف تعالى حالهم قبيل مجىء السيل وهى انه مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كان قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم أربابها وقدر السير بان قرب بعضها من بعض قال ابن عطية حتى كان المسافر من مأرب الى الشام يبيت فى قرية ويقيل فى أخرى ولايحتاج الى حمل زاد والقرى المدن قال الزمخشرى ولا قول ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه انتهى ودخول الفاء فى قوله فكأنهم لايجوز والصواب كأنهم لانه خبر لكنهم وقرئ ربنا على النداء باعد فعل أمر من باعد وبعد فعل أمر من بعد وقرئ ربنا بالرفع على الابتداء باعد فعلا ماضيا فى موضع الخبر ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾ بتكذيب الرسل ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ أى عظات وعبرا يتحدث بها ويتمثل ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾ أى تفريقا اتخذه الناس مثلا مصروبا قال كثير عزه أيادى سبا ياعز ما كنت بعدكم * فلم يحل للعينين بعدك منظر * ﴿ ان فى ذلك لآيات ﴾ أى من قصص هؤلاء لآيات أى علامات ﴿ لكل صبار ﴾ عن المعاصى وعلى الطاعات ﴿ شكور ﴾ للنعم والظاهر أن الضمير فى عليهم عائد على من قبله من أهل سبأ وقيل هو لبنى آدم وقرئ صدق بشد الدال وانتصب ظنه على أنه مفعول به لصدق والمعنى وجد ظنه صادقا أى ظن شيأ فوقع ماظن ﴿ وما كان له ﴾ أى لابليس ﴿ عليهم من سلطان ﴾ أى من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء وعلل التسلط بالعلم والمراد ماتعلق به العلم وهى تميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها

فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ ﴾ لما ذكر تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان بين حال الكافرين بأنعمه بقصة سبأ موعظة لقريش وتحذيرا وتنبيها على ماجرى لمن كفر أنعم الله وتقدم الكلام فى سبأ فى النمل ولما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها وسكنت قصرها وراودوها على أن ترجع فأبت فقالوا لترجعن أو لنقتلنك فقالت لهم لاعقول لكم ولاتطيعونى فقالوا انطيعك فرجعت الى واديهم وكانوا اذا مطروا أتاهم السيل من مسيرة ثلاثة أيام فأمرت به فسد مابين الجبلين بمسناة بالصخر والقار وحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة فيها اثناعشر مخرجا على عدد أنهارهم وكان الماء يخرج لهم بالسوية الى أن كان من شأنها مع سليمان عليه السلام ماسبق ذكره فى سورة النمل وقيل الذى بنى لهم السد هو حمير أبو القبائل اليمنية وعن الضحاك كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم قيل وكان لهم رئيس يلقب بالحمار وكان فى الفترة فمات ولده فرفع رأسه الى السماء فبزق وكفر فلذا يقال فى المثل أكفر من حمار ويقال بركة جوف حمار أى كوادى حمار لما حل بهم السيل * وقرأ الجمهور فى مساكنهم جمعا والنخعى وحمزة وحفص مفردا بفتح الكاف والكسائى مفردا بكسرها وهى قراءة الأعمش وعلقمة وقال أبو الحسن كسر الكاف لغة فاشية وهى لغة الناس اليوم والفتح لغة الحجاز وهى اليوم قليلة * وقال الفراء هى لغة يمانية فصيحة فمن قرأ الجمع فظاهر لان كل أحد له مسكن ومن أفرد ينبغى أن يحمل على المصدر أى فى سكناهم حتى لا يكون مفردا يراد به الجمع لان سيبويه يرى ذلك ضرورة نحو كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ير يد بطونكم * وقوله * قد عض أعناقهم جلد الجواميس * أى جلود * آية أى علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره أو جعل قصتهم لأنفسهم آية إذ أعرض أهلها عن شكر الله عليهم فخربهم وأبدلهم عنها الخمط والاثل ثمرة لهم وجنتان خبر مبتدا محذوف أى هى جنتان قاله الزجاج أو بدل قال معناه الفراء قال رفع لانه تفسير لآية * وقال مكى وغيره وضعفه ابن عطية ولم يذكر جهة تضعيفه

وقال جنتان ابتداء وخبره في قوله عن يمين وشمال انتهى ولا يظهر لانه نكرة لا مسوغ للابتداء بها الا ان اعتقدان ثم صفة محذوفة أي جنتان لهم أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مفلتا مما قبله * وقرأ ابن أبي عبلة جنتين بالنصب على ان آية اسم كان وجنتين الخبر قيل ووجه كون الجنتين آية نبات الخمط والاثل والسدر مكان الأشجار المثمرة * قال قتادة كانت بساتينهم ذات أشجار وثمار تسر الناس بظلالها ولم يرد جنتين ثنتين بل أراد من الجهتين يمنه ويسرة انتهى * قال الزمخشري وانما أراد جماعة من البساتين عن يمين بلدتهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجماعتين في تقاربها وتضامها كأنها جنة واحدة كما يكون بلاد الريف العامرة وبساتيها أو أراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب انتهى * قال ابن زيد لا يوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا تقمل ثيابهم ولا تعيا دوابهم وكانت المرأة تمشي تحت الأشجار وعلى رأسها المكتل فيمتلئ ثمارا من غير أن تتناول بيدها شيأ * وروى نحو هذا عن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس كلوا من رزق ربكم قول الله لهم على ألسنة الأنبياء المبعوثين اليهم وروى ذلك مع الايمان بالله أو قول لسان الحال لهم كانوا انعما كثيرة وأرزاقا مبسوطة وفيه اشارة الى تكميل النعمة عليهم حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض * واشكروا له على ما أنعم به عليكم بلدة طيبة أي كريمة التربة حسنة الهواء رغدة النعم سلمة من الهوام والمضار ورب غفور لا عقاب على التمتع بنعمه في الدنيا ولا عذاب في الآخرة فهذه لذة كاملة خالية عن المفاسد العاجلة والمآلية * وقرأ رويس بنصب الاربعة قال أحمد بن يحيى اسكنوا بلدة طيبة واعبدوا ربا غفورا * وقال الزمخشري منصوب على المدح ولما ذكر تعالى ما كان من جانبه من الاحسان اليهم ذكر ما كان من جانبهم في مقابلته فقال فأعرضوا أي عما جاء به اليهم أنبياؤهم وكانوا ثلاثة عشر نبيا دعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعمه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة فبين كيفية الانتقام منهم كما قال ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون فسلط الله عليه الجرذ فارا أعمى توالد فيه ويسمى الخلد وخرقه شيأ بعد شئ وأرسل سيلا في ذلك الوادي فحمل ذلك السد وروى أنه كان من العظم وكثرة به الماء بحيث ملأ ما بين الجبلين وحمل الجنات وكثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار * وروى أنه لما خرق السد كان ذلك سبب يبس الجنات فهلكت بهذا الوجه * وقال المغيرة بن حكيم وأبو ميسرة العرم في لغة اليمن جمع عرمة وهي كل ما بني أو سنم ليمسك الماء * وقال ابن جبير العرم المسناة بلسان الحبشة * وقال الأخفش هو عربي ويقال لذلك البناء بلغة الحجاز المسناة كأنها الجسور والسداد ومن هذا المعنى قول الاعشى

وفي ذاك للمؤتسي أسوة * مأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير * اذا جاش دفاعه لم يرم
فأروى الزروع وأشجارها * على سعة ماؤه اذ قسم
فصاروا أيادي لا يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

* وقال آخر

ومن سبأ الحاضرين مأرب * اذ يبنون من دونه سيل العرم

وقال ابن عباس وقتادة والضحاك العرم اسم وادي ذلك الماء بعينه الذي كان السد بني به انتهى ويمكن

(الدر)

(ع) جنتان ابتداء وخبره عن يمين وشمال انتهى (ح) لا يظهر ذلك لأنه نكرة لا مسوغ للابتداء بها الا ان اعتقدان ثم صفة محذوفة أي جنتان لهم أو عظيمتان لهم عن يمين وشمال وعلى تقدير ذلك يبقى الكلام مفلتا مما قبله

ان يسمى الوادي بذلك البناء لمجاورته له فصار علماً عليه * وعن ابن عباس أيضاً العرم الشديد فاحتمل أن يكون صفة للسيل أضيف فيه الموصوف الى صفته والتقدير السيل العرم أو صفة لموصوف محذوف أي سيل المطر الشديد الذي كان عنه السيل أو سيل الجرذ العرم فالعرم صفة للجرذ وقيل العرم اسم للجرذ وأضيف السيل اليه لكونه كان السبب في خراب السد الذي حمله السيل والاضافة تكون بأدنى ملابسة * وقرأ عروة بن الورد فيما حكى ابن خالويه العرم باسكان الراء تخفيف العرم كقولهم في الكبد الكبد ولما غرق من غرق ونجا من نجا تفرقوا وتحرفوا حتى ضربت العرب بهم المثل فقالوا تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا قيل الأوس والخزرج منهم وعن ابن عباس كان سيل ذلك الوادي يصل الى مكة وينتفع به وكان سيل العرم في ملك ذي الاذعار بن حسان في الفترة بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ودخلت الباء في بجنتيهم على الزائل وانتصب ما كان بدلا وهو قوله جنتين على المعهود في لسان العرب وان كان كثيرا لمن ينتمي للعلم يفهم العكس حتى قال بعضهم ولو أبدل ضادا بظاء لم تصح صلاته وهو خطأ في لسان العرب ولو أبدل ظاء بضاد وقد تكلمنا على ذلك في البقرة في قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان وسمى هذا المعوض جنتين على سبيل المقابلة لان ما كان فيه خمط وأثل وسدر لا يسمى جنة لأنها أشجار لا يكاد ينتفع بها وجاء تثنية ذات على الأصح في ردعينها في التثنية فقال ذواتي أكل كما جاء ذواتا أفنان ويجوز أن لا ترد فتقول ذاتا كذا على لفظ ذات وتقدم ذكر الخلاف في ضم كاف أكل وسكونها * وقرأ الجمهور أكل منونا والأكل الثمر المأكول فخرجه الزمخشري على أنه على حذف مضاف أي أكل خمط قال أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتي أكل شبع انتهى والوصف بالاسماء لا يطرد وان كان قد جاء منه شئ نحو قولهم مررت بقاع عرفج كله * وقال أبو علي البدل في هذا لا يحسن لان الخمط ليس بالأكل نفسه انتهى وهو جائز على ماقاله الزمخشري لان البدل حقيقة هو ذلك المحذوف فلما حذف أعرب ماقام مقامه باعرابه * قال أبو علي والصفة أيضا كذلك يريد لا بجنتين لان الخمط اسم لا صفة وأحسن مافيه عطف البيان كأنه بين أن الاكل هذه الشجرة ومنها انتهى وهذا لا يجوز على مذهب البصريين اذ شرط عطف البيان أن يكون معرفة وماقبله معرفة ولا يجيز ذلك في النكرة من النكرة الا الكوفيون فأبو علي أخذ بقولهم في هذه المسئلة * وقرأ أبو عمرو أكل خمط بالاضافة أي ثمر خمط * وقرئ وأثلا وشيأ بالنصب حكاه الفضل بن ابراهيم عطفا على جنتين * وقليل صفة لسدر وقلله لانه كان أحسن أشجاره وأكرم قاله الحسن وذلك اشارة الى ما أجراه عليهم من تخريب بلادهم واغراق أكثرهم وتمزيقهم في البلاد وابدالهم بالأشجار الكثيرة الفواكه الطيبة المستلذة الخمط والأثل والسدر ثم ذكر سبب ذلك وهو كفرهم بالله وانكار نعمه * وهل يجازى بذلك العقاب الا الكفور أي المبالغ في الكفر يجاري بمثل فعله قدرا بقدر وأما المؤمن فجزاؤه بتفضل وتضعيف * وقرأ الجمهور بضم الياء وفتح الزاي الكفور رفعا وحمزة والكسائي بالنون وكسر الزاي الكفور نصبا * وقرأ مسلم بن جندب يجزى مبنيا للمفعول الكفور رفعا وأكثر مايستعمل الجزاء في الخير والمجازاة في الشر لكن في تقييدهما قد يقع كل واحد منهما موقع الآخر * وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة جاءت هذه الجملة بعد قوله وبدلناهم وذلك انه لما ذكر ما أنعم به عليهم من جنتيهم وذكر تبديلها بالخمط والأثل والسدر ذكر ما كان أنعم به عليهم من اتصال قراهم وذكر تبديلها بالمفاوز والبراري وقوله وجعلنا وصف تعالى حالهم قبل مجيء السيل وهو أنه

معما كان منهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم كان قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم أربابها وقدّر السير بأن قرب القرى بعضها من بعض * قال ابن عطية حتى كان المسافر من مأرب الى الشام يبيت فى قرية ويقيل فى أخرى ولا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن ويقال للجمع الصغير أيضا قرية والقرى التى بورك فيها بلاد الشام باجماع من المفسرين والقرى الظاهرة هى التى بين الشام ومأرب وهى الصغار التى هى البوادى انتهى وماذكره من أن القرى التى بورك فيها هى قرى الشام باجماع ليس كما ذكر قال مجاهد هى السراوى * وقال وهب قرى صنعاء * وقال ابن جبير قرى مأرب * وقال ابن عباس قرى بيت المقدس وبركتها كثرة أشجارها أو ثمارها ووصف قرى بظاهرة * قال قتادة متصلة على الطريق يغدون فيقيلون فى قرية ويروحون فيبيتون فى قرية فيل كان كل ميل قرية بسوق وهو سبب أمن الطريق * وقال المبرد ظاهرة مرتفعة أى فى الآكام والظراب وهو أشرف القرى وقيل ظاهرة اذا خرجت من هذه ظهرت لك الاخرى وقيل ظاهرة معروفة يقال هذا أمر ظاهر أى معروف وقيل ظاهرة عامرة * وقال ابن عطية والذى يظهر لى أن معنى ظاهرة خارجة عن المدة فهى عبارة عن القرى الصغار التى هى فى ظواهر المدن كأنه فصل بهذه الصفة بين القرى الصغار وبين القرى المطلقة التى هى المدن وظواهر المدن ماخرج عنها فى الفيافى والفحوص ومنه قولهم نزلنا بظاهر فلان أى خارجا عنها وقوله ظاهرة تظهر تسميه الناس إياها بالبادية والضاحية ومن هذا قول الشاعر

فلو شهدتنى من قريش عصابة * قريش البطاح لا قريش الظواهر

يعنى الخارجين من بطحاء مكة وفى الحديث وجاء أهل الضواحى يسكنون الغرق * وقدّرنا فيها السير فذكر أن الغادى يقيل فى قرية والرائح فى أخرى الى أن يصل الى مقصوده آمنا من عدو وجوع وعطش وآفات المسافر * وقال الضحاك مقادير المراحل كانت القرى على مقاديرها * وقال الكلبى مقادير المقيل والمبيت وقال القتبى بين كل قرية وقرية مقدار واحد معلوم وقيل بين كل قريتين نصف يوم وهذه أقوال متقاربة والظاهر أن قوله سيروا أمر حقيقة على لسان أنبيائهم * وقال الزمخشرى ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه انتهى ودخول الفاء فى قوله فكأنهم لا يجوز والصواب كأنهم لأنه خبر لكنهم * وقال قتادة كانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر فى أمان ولو وجد الرجل قاتل ابنه لم يهجه وكان المسافر لا يأخذ زادا ولا سقاء مما بسط الله لهم من النعم * وقال الزمخشرى سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الأمن فيها لا يختلف باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين ولا تخافون وان تطاولت مدة أسفاركم فيها وامتدت أياما وليالى أو سيروا فيها لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فانكم فى كل حين وزمان لا تلقون فيها الا آمنين انتهى وقدم الليالى لأنها مظنة الخوف لمن قال ومن عليهم بالامن حتى يساوى الليل النهار فى ذلك ولما طالت بهم مدة النعمة بطروا وملوا العافية وطلبوا استبدال الذى هو أدنى بالذى هو خير كما فعلت بنو اسرائيل وقالوا لو كان جنى ثمارنا أبعد لكان أشهى وأغلى قيمة فتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا * وقرأ جمهور السبعة ربنا بالنصب على النداء باعد طلب وابن كثير وأبو عمرو وهشام كذلك الا انهم شددوا العين وابن عباس وابن الحنفية وعمرو بن فائد ربنا رفعا بعد فعلا ماضيا مشدد العين وابن عباس أيضا وابن الحنفية أيضا وأبو رجاء والحسن ويعقوب وأبو حاتم وزيد بن على

(الدر)

(ش) ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه انتهى (ح) دخول الفاء فى قوله فكأنهم لا يجوز والصواب كأنهم لانه خبر لكنهم

وابن يعمر أيضا وأبو صالح وابن أبي ليلى والكلبي ومحمد بن علي وسلام وأبو حيوة كذلك الا انه بألف بين الباء والعين وسعيد بن أبي الحسن أخي الحسين وابن الحنفية أيضا وسفيان بن حسين وابن السميفع ربنا بالنصب بعد بضم العين فعلا ماضيا بين بالنصب الاسعيدا منهم فضم نون بين جعله فاعلا ومن نصب فالفاعل ضمير يعود على السير أي أبعد السير بين أسفارنا فمن نصب ربنا جعله نداء فان جاء بعده طلب كان ذلك أشرا منهم وبطرا وان جاء بعده فعلا ماضيا كان ذلك شكوى مما أحل بهم من بعد الأسفار التي طلبوها أولا ومن رفع ربنا فلا يكون الفعل الا ماضيا وهي جملة خبرية فيها شكوى بعضهم الى بعض مما حل بهم من بعد الاسفار ومن قرأ باعد أو بعد بالالف والتشديد فبين مفعول به لانهما فعلان متعديان وليس بين ظرفا ألا ترى الى قراءة من رفعه كيف جعله اسما فكذلك اذا نصب وقرئ بعد مبنيا للمفعول * وقرأ ابن يعمر بين سفرنا مفردا والجمهور بالجمع * وظلموا أنفسهم عطف على فقالوا * وقال الكلبي هو حال أي وقد ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل * فجعلناهم أحاديث أي عظاة وعبرا يتحدث بهم ويتمثل * وقيل لم يبق منهم الا الحديث ولو بقي منهم طائفة لم يكونوا أحاديث * ومزقناهم كل ممزق أي تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا فقال كثير

أيادي سبايا عز ما كنت بعدكم * فلم يحل للعينين بعدك منظر

وقال قتادة فرقناهم بالتباعد * وقال ابن سلام جعلناهم ترابا تذروه الرياح * وقال الزمخشري غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان وفي التحرير وقع منهم قضاعة بمكة وأسد بالبحرين وخزاعة بتهامة وفي الحديث ان سبأ أبو عشرة قبائل فلما جاء السيل على مأرب وهو اسم بلدهم تيامن منهم ستة قبائل أي تبددت في بلاد اليمن كندة والازد والسفر ومذحج وأنمار التي منها بجيلة وخثعم وطائفة قيل لها حجير بقي عليها اسم الأب الاول وتشاءمت أربعة لخم وجذام وغسان وخزاعة ومن هذه المتشائمة أولاد قتيلة وهم الأوس والخزرج ومنها عاملة وغير ذلك * ان في ذلك لآية أي في قصص هؤلاء لآية أي علامة * لكل صبار عن المعاصي وعلى الطاعات * شكور للنعم والظاهر أن الضمير في عليهم عائد على من قبله من أهل سبأ وقيل هو لبني آدم وقرأ ابن عباس وقتادة وطلحة والأعمش وزيد بن علي والكوفيون صدّق بتشديد الدال وانتصب ظنه على انه مفعول بصدق والمعنى وجد ظنه صادقا أي ظن شيئا فوقع ماظن * وقرأ باقي السبعة بالتخفيف فانتصب ظنه على المصدر أي يظن ظنا أو على اسقاط الحرف أي في ظنه أو على المفعول به نحو قولهم أخطأت ظني وأصبت ظني وظنه هذا كان حين قال لاضلنهم ولاغوينهم وهذا مما قاله ظنا منه فصدق هذا الظن * وقرأ زيد بن علي والزهري وجعفر بن محمد وأبو الجهجاه الاعرابي من فصحاء العرب وبلال بن أبي برزة بنصب ابليس ورفع ظنه أسند الفعل الى ظنه لأنه ظن ظنا فصار ظنه في الناس صادقا كأنه صدقه ظنه ولم يكذبه وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو ابليس ظنه برفعهما فظنه بدل من ابليس بدل اشتمال * فاتبعوه أي في الكفر * الا فريقا هم المؤمنون ومن لبيان الجنس ولا يمكن أن تكون للتبعيض لاقتضاء ذلك ان فريقا من المؤمنين اتبعوا ابليس وفي قوله الا فريقا تقليل لان المؤمنين بالاضافة الى الكفار قليل كما قال لاحتنكن ذريته الا قليلا * وما كان له أي لابليس عليهم من سلطان أي من تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستواء ولا حجة الا الحكمة بينه وبين تميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها وعلل التسلط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم قاله الزمخشري * وقال ابن عطية الا لنعلم موجودا الان العلم متقدم أولا انتهى وقال معناه ابن قتيبة قال لنعلم حادثا

﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ قل أمر لمحمد صلى الله عليه وسلم أي قل للشركين ادعوا الذين زعمتم وهي معبوداتهم من الملائكة والاصنام وهو أمر بدعاء هو تعجيز واقامة حجة وروى ان ذلك نزل عند الجوع الذى أصاب قريشا أي ادعوهم ليكشفوا عنكم ماحل بكم والتجئوا اليهم فيما يعن لكم وزعم من الافعال التى تتعدى الى اثنين اذا كانت اعتقادية والمفعول الاول هو الضمير المحذوف العائد على الذين والثانى محذوف أيضا لدلالة المعنى عليه ونابت صفته منابه التقدير الذين زعمتموهم آلهة من دونه لايملكون ملك أحقر الأشياء وهو مثقال درة ثم نفى الشركة ثم نفى الاعانة بقوله من ظهير وهو المعين ولما كان من العرب من يعبد الملائكة لتشفع له نفى ان شفاعتهم تنفع والنفى منسحب على الشفاعة أي لاشفاعة لهم فتنفع ﴿الالمن أذن له﴾ استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف تقديره ولاتنفع الشفاعة الالمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عطية تظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله حتى اذا فزع انما هي فى الملائكة اذا سمعت الوحى الى جبريل عليه السلام وبالأمر يأمر الله تعالى به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة ﴿قل من يرزقكم﴾ الآية خطاب الكفار وسؤال لهم عمن يرزقهم وأمره تعالى أن يجيب عاجلا بقوله قل الله اذ قد يصدر منهم العناد فلايقولون الله ولا يمكن أن يقولوا آلهتهم * قوله وانا الضمير عائد للمؤمنين * أو اياكم ضمير الكفار (٢٧٤) * لعلى هدى راجع للمؤمنين أو فى ضلال راجع للكفار وأورد ذلك باو التى تقتضى الترديد بين شيئين وان كان فى العقل التميز بين الشيئين ومعلوم أن المؤمن لايتساوى مع الكافر ومما يشبه هذا قول الشاعر

فأيى ما وأيك كان شرا ... فسيق الى المقادة فى هوان

فردد بينه وبين مخاطبه فى الشر ومعلوم عنده أن صاحبه هو الشر ﴿قل لاتسألون عما أجرمنا﴾ أطلق على عمل المؤمن

كما علمناه قبل حدوثه * وقال قتادة ليعلم الله به المؤمن من الكافر علما ظاهرا يستحق به العقاب والثواب وقيل ليعلم أولياؤنا وحزبنا * وقال الحسن والله ما كان له سوط ولا سيف ولكنه استمالهم فاتبعوه فكانوا اتبعوه فيما بينه انتهى كما قال تعالى عنه ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى * وقرأ الزهرى الاليعلم بضم الياء وفتح اللام مبنيا للمفعول * وقال ابن خالويه الاليعلم من يؤمن بالياء * وربك على كل شئ حفيظ إما للبالغة عدل اليها عن حافظ واما بمعنى محافظ كجليس وخليل والحفظ يتضمن العلم والقدرة لان من جهل الشئ وعجز لا يمكنه حفظه ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ومالهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده الالمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أواياكم لعلى هدى أوفى ضلال مبين قل لاتسئلون عما أجرمنا ولانسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لايعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم

اجراما باعتقاد الكافر فيه ذلك ﴿قل يجمع بيننا ربنا﴾ أي يوم القيامة ﴿ثم يفتح﴾ أي يحكم بالحق بالعدل فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار والفتاح والعليم صيغتا مبالغة وهذا فيه تهديد وتوبيخ ﴿الا كافة﴾ قيل هو حال من الضمير فى أرسلناك والهاء للمبالغة كقولهم علامة للرجل كثير العلم والمعنى الاجامعا للناس فى الابلاغ وقيل فيه تقديم وتأخير والتقدير الا للناس كافة ومعناها جميعا فيكون حالا من الناس ومعناها التوكيد كانه قيل للناس كلهم قال الزمخشرى الا كافة للناس أى الارسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه فى الاحاطة بمنزلة تقدم المجرور على الجار ولم ترنى من مرتكب هذا الخطأ ثم لاينتفع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لأنه لايستوى له الخطأ الاول الاالخطأ الثانى فلابد له من ارتكاب الخطأين انتهى أما قوله كافة بمعنى عامة والمنقول عن النحويين انها لاتكون الاحالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لموصوف محذوف * وأما قول الزمخشرى ومن جعله حالا الخ فذلك مختلف فيه ذهب الاكثرون الى أن ذلك لايجوز وذهب أبو على وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك الى أنه يجوز وهو الصحيح ومن أمثلة أبى على زيد خيرما يكون خيرمنك التقدير زيد خيرمنك خير ما يكون فجعل خير ما يكون حالا من الكاف فى منك وقدمها عليه وقال الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا ... فطلبها كهلا عليه شديد * أى فطلبها عليه كهلا شديد وقال آخر

تسليت طرا عنكم بعد بينكم * بذكراكم حتى كأنكم عندي

أي تسليت عنكم طرا أي جميعا وقد جاء تقدم الحال على صاحبه المجرور وعلى ما يتعلق به ومن ذلك قول الشاعر

مشغوفة بك قد شغفت وإنما * حتم الفراق فما إليك سبيل وقال آخر غافلا تعرض المنية للمر * ء فيدعى ولات حين اباء

أي شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا وإذا جاز تقديمها على المجرور والعامل فتقديمها عليه دون العامل أجوز

وقول الزمخشري وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ الخ تشنيع لأن قائل ذلك لا يحتاج أن يتأول اللام بمعنى الى وأرسل تتعدى

باللام كقوله وأرسلناك للناس رسولا ولو تأول اللام بمعنى الى لم يبن ذلك خطأ لأن اللام قد جاءت بمعنى الى وإلى جاءت بمعنى

اللام وأرسل مما جاء متعديا بهما الى المجرور والظاهر أن الميعاد اسم على وزن مفعال استعمل بمعنى المصدر أي قل لكم وقوع يوم

ونحوه ﴿وقال الذين كفروا﴾ هم مشركو قريش ومن جرى مجراهم والمشهور أن الذي بين يديه التوراة والانجيل وما تقدم

من الكتب الالهية ﴿ولو ترى اذ الظالمون﴾ أخبر عن حالهم في صيغة التعجب منها وترى في معنى رأيت

صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴿ لما بين حال الشاكرين وحال الكافرين وذكر قريشا ومن لم يؤمن بمن مضى عاد الى خطابهم فقال قل يا محمد للمشركين الذين ضرب لهم المثل بقصة سبأ المعروفة عندهم بالنقل في أخبارهم وأشعارهم ادعوا الذين زعمتم وهم معبوداتهم من الملائكة والاصنام وهو أمر بدعاء هو تعجيز واقامة للحجة وروى ان ذلك نزل عند الجوع الذي أصاب قريشا أي ادعوهم ليكشفوا عنكم ما حل بكم والجئوا اليهم فيما يعن لكم وزعم من الافعال التي تتعدى الى اثنين اذا كانت اعتقادية والمفعول الاول هو الضمير المحذوف العائد على الذين والثاني محذوف أيضا لدلالة المعنى ونابت صفته منابه التقدير الذين زعمتموهم آلهة من دونه وحسن حذف الثاني قيام صفته مقامه ولولا ذلك ما حسن اذ في حذف احدى مفعولي ظن وأخواتها اختصارا خلاف منع ذلك ابن ملكون وأجازه الجمهور وهو مع ذلك قليل ولا يجوز أن يكون الثاني من دونه لأنه لا يستقل كلاما لو قلت هم من دونه لم يصح ولا الجملة من قوله لا يملكون مثقال ذرة لأنه لو كانت هذه النسبة مزعومة لهم لكانوا معترفين بالحق قائلين له ولو

لاعمالها في الظرف الماضي ومفعول ترى محذوف أي حال الظالمين اذهم موقوفون وجواب لو محذوف أي لرأيت لهم حالة منكرة من ذلهم وتحاورهم وتجادلهم حيث لا ينفعهم شئ من ذلك ثم فسر ذلك الرجوع والجدل بان الأتباع وهم الذين استضعفوا قالوا لرؤسائهم على جهة التذنيب والتوبيخ ورد اللائمة عليهم لولا أنتم لكنا مؤمنين أي أنتم أغويتمونا وأمرتمونا بالكفر فقال لهم رؤساؤهم أنحن

صددناكم فاتوا بالاسم بعد أداة الاستفهام انكارا لأن يكونوا هم الذين صدوهم بل صددتم من قبل أنفسكم وباختياركم فكأنهم قالوا أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين الذكر بعد أن صممتم على الدخول في الايمان بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى فكنتم مجرمين كافرين باختياركم لا بقولنا وتسويلنا ولما أنكر رؤساؤهم أنهم السبب في كفرهم وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان كفرهم هو من قبل أنفسهم قابلوا اضرابا باضراب فقال لاتباع بل مكر الليل والنهار أي ما كان اجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دائما بخداعتكم لنا ليلا ونهارا اذ تأمروننا ونحن أتباع لا نقدر على مخالفتكم مطيعون لكم لاستيلائكم علينا بالكفر بالله واتخاذ الانداد وأضيف المكر الى الليل والنهار واتسع في الظرفين فهما في موضع نصب على المفعول به على السعة أو في موضع رفع على الاسناد المجازي كما قالوا ليل نائم والاولى أن يرتفع مكر على الفاعلية أي بل صدنا مكركم بالليل والنهار اذ معمول لمكر ﴿وأسروا﴾ الضمير عائد للجميع وهم الظالمون الموقوفون وأسروا تقدم الكلام عليه والذين كفروا هم الذين سبقت منهم المحاورة وجعل الاغلال اشارة الى كيفية العذاب قطعوا بانهم واقعون في ﴿ هل يجزون ﴾ استفهام معناه النفي ولذلك دخلت الا بعد النفي

كان ذلك توحيدا منهم وان آلهتهم ومعبوداتهم لا يملكون شيأ باعترافهم ثم أخبر عن آلهتهم انهم لا يملكون مثقال ذرة وهو أحقر الأشياء واذا انتفى ملك الأحقر عنهم فملك الأعظم أولى ثم ذكر مقر ذلك المثقال وهو السموات والارض ثم أخبر انهم مالهم فى السموات ولا فى الأرض من شركة فنفى نوعى الملك من الاستبداد والشركة ثم نفى الاعانة منهم له تعالى فى شئ مما أنشأ بقوله وماله منهم من ظهير فبين عجز معبوداتهم من جميع الجهات ولما كان من العرب من يعبد الملائكة لتشفع له نفى أن شفاعتهم تنفع والنفى منسحب على الشفاعة أى لا شفاعة لهم فتنفع وليس المعنى انهم يشفعون ولا تنفع شفاعتهم أى لا يقع من معبوداتهم شفاعة أصلا ولان عابديهم كفار فان كان المعبودون أصناما أو كفارا كفرعون فسلب الشفاعة عنهم ظاهر وان كانوا ملائكة أو غيرهم ممن عبد كعيسى عليه السلام فشفاعتهم اذا وجدت تكون لمؤمن * والا لمن أذن له استثناء مفرغ فالمستثنى منه محذوف تقديره ولا تنفع الشفاعة لاحد الا لمن أذن له واحتمل قوله لأحد أن يكون مشفوعا له وهو الظاهر فيكون قوله الا لمن أذن له أى المشفوع أذن لأجله أن يشفع فيه والشافع ليس بمذكور وانما دل عليه المعنى واحتمل أن يكون شافعا فيكون قوله الا لمن أذن له بمعنى الا الشافع أذن له أن يشفع والمشفوع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى وعلى هذا الاحتمال تكون اللام فى أذن له لام التبليغ لا لام العلة * وقال الزمخشرى يقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع كما يقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له أن يكون على أحد هذين الوجهين أى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أى لشفيعه أو هى اللام الثانية فى قولك أذن لزيد لعمرو أى لأجله وكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى فجعل الا لمن أذن له استثناء مفرغا من الاحوال ولذلك قدره الا كائنة وعلى ماقررناه استثناء من الدوات * وقال أبو عبد الله الرازى المذاهب المفضية الى الشرك أربعة قائل ان الله خلق السموات وجعل الأرض والأرضيات فى حكمها ونحن من جملة الأرضيات فنعبد الكواكب والملائكة السماوية وهم آلهتنا والله الههم فأبطل بقوله لا يملكون فى السموات كما اعترفتم ولا فى الأرض خلاف مازعمتم وقائل السموات من الله استبدادا والأرضيات منه بواسطة الكواكب فانه تعالى خلق العناصر والتركيبات التى فيها بالاتصالات وحركات وطوالع فجعلوا مع الله شركاء فى الارض و الأولون جعلوا الارض لغيره فأبطل بقوله ومالهم فيهما من شرك أى الأرض كالسماء لله لا لغيره ولا لغيره فيهما نصيب وقائل التركيبات والحوادث من الله لكن فوض الى الكواكب وفعل المأذون ينسب الى الآذن ويسلب عن المأذون له فيه جعلوا السموات معينة لله فأبطل بقوله وماله منهم من ظهير وقائل نعبد الأصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا فأبطل بقوله ولا تنفع الشفاعة الجملة ولى فى الشفاعة الظاهر انها للعموم أى شفاعة جميع الخلق وقيل للعهد أى شفاعة الملائكة التى زعموها شركاء وشفعاء انتهى وفيه بعض تلخيص * وقال أبو البقاء اللام فى لمن أذن له يجوز أن تتعلق بالشفاعة لأنك تقول أشفعت له وأن تتعلق بتنفع انتهى وهذا فيه قلة لان المفعول متأخر وحرف اللام عليه قليل * وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى أذن بضم الهمزة و[illegible] نسبه [illegible] أى أذن الله . والظاهر أن الضمير فى قوله فلو بهم عائد على ماعادت عليه

لمن اذن له واحتمل قوله لأحد ان يكون مشفوعا له وهو الظاهر فيكون قوله الا لمن أذن له أى المشفوع اذن لأجله أن يشفع فيه والشافع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى واحتمل ان يكون شافعا فيكون قوله الا لمن أذن له يعنى الا لشافع أذن له ان يشفع والمشفوع ليس بمذكور انما دل عليه المعنى وعلى هذا الاحتمال تكون اللام فى اذن له لام التبليغ لا لام العلة

(ش) تقول الشفاعة لزيد على معنى أنه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ان يكون على أحد هذين الوجهين أى لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له من الشافعين ومطلقة له أو لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن أذن له أى لشفيعه أو هى اللام الثانية فى قوله اذن لزيد لعمرو وأى لأجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لأجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم

هؤلاء شفعاؤنا عند الله (ح) جعل الا لمن أذن له [illegible] ولذلك قدره الا كائنة وعلى ماقررناه استثناء من الذوات

 في الكلام حذف يدل عليه الظاهر كأنه قال ولا هم شفعاء كما تحبون أنتم بل هم عبدة أو مسلمون أبدا يعني منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم قال وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل وبالأمر يأمر الله به سمعت كجر سلسلة

الضمائر التي للغيبة في قوله لا يملكون وفي مالهم وماله منهم وهم الملائكة الذين دعوهم آلهة وشفعاء ويكون التقدير الالمن أذن له منهم * وحتى تدل على الغاية وليس في الكلام عائد على ان حتى غاية له فقال ابن عطية في الكلام حذف يدل عليه الظاهر كأنه قال ولا هم شفعاء كما تحبون أنتم بل هم عبدة أو مسلمون أبدا يعني منقادون حتى اذا فزع عن قلوبهم * قال وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي أي جبريل وبالأمر يأمر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة وقيل خوف أن تقوم الساعة فاذا فزع ذلك عن قلوبهم أي أطير الفزع عنها وكشف يقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسؤلون قال الحق وهو العلي الكبير وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من أول قوله الذين زعمتم لم تتصل له هذه الآية بما قبلها فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها حتى قال بعضهم في الكفار بعد حلول الموت فزع عن قلوبهم بفقد الحياة فرأوا الحقيقة وزال فزعهم مما يقال لهم في حياتهم فيقال لهم حينئذ ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق يقرون حين لا ينفعهم الاقرار وقالت فرقة الآية في جميع العالم وقوله حتى يريد في الآخرة والتأويل الاول في الملائكة هو الصحيح وهو الذي تظاهرت به الاحاديث وهذا بعيد انتهى واذا كان الضمير في عن قلوبهم لا يعود على الذين زعمتم كان عائدا على من عاد عليه الضمير في قوله ولقد صدق عليهم ابليس ويكون الضمير في عليهم عائدا على جميع الكفار ويكون حتى غاية لقوله فاتبعوه ويكون التفزيع حالة مفارقة الحياة أو يجعل اتباعهم اياه مستصحبا لهم الى يوم القيامة مجازا والجملة بعد من قوله قل ادعوا اعتراضية بين المغيا والغاية * قال ابن زيد اقروا بالله حين لا ينفعهم الاقرار فالمعنى فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم ما كان يطلبهم به قالوا ماذا قال ربكم * وقال الحسن وانما يقال للمشركين ماذا قال ربكم على لسان الأنبياء فاقروا حين لا ينفع وقيل حتى غاية متعلقة بقوله زعمتم أي زعمتم الكفر الى غاية التفزيع ثم تركتم مازعمتم وقلتم قال الحق انتهى فيكون في الكلام التفات من خطاب في زعمتم الى غيبة في فزع عن قلوبهم وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا أذن فزع ودام فزعه حتى اذا أزيل التفزيع عن قلوبهم قال بعض الشافعين من الملائكة لبعض الملائكة ماذا قال ربكم في قبول شفاعتنا فيجيب بعضهم لبعض قال أي الله الحق أي القول الحق وهو قبول شفاعتهم اذ كان تعالى أذن لهم في ذلك ولا يأذن الا وهو يريد القبول الشفاعة * وقال الزمخشري (فان قلت) بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاتي وقعت حتى غاية له (قلت) بما فهم من هذا الكلام من ان ثم انتظار الاذن وتوقفا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمن وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب

الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة وقيل خوف ان تقوم الساعة فاذا فزع ذلك عن قلوبهم اى أطير الفزع عنها وكشف يقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسؤلون قال الحق وهو العلي الكبير وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآثار تتسق هذه الآية على الاولى ومن لم يشعر ان الملائكة مشار اليهم من أول قوله الذين زعمتم لم تتصل له هذه الآية بما قبلها فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها ثم ذكر كلاما آخر (ح) ماقدره (ع) لا يصح ان يغيا لان مابعد الغاية مخالف لما قبلها وهم عبدة أوثان منقادون دائما لا ينفكون عن ذلك لا اذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع وحمل ذلك على الملائكة حال الوحي لا يناسب الآية وكون النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الوحي قال فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم لا يدل على ان هذه الآية في الملائكة حالة تكلم الله بالوحي والحديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفوان فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك قال فيقول الحق فينادون الحق الحق.

السموات والارض ومابينهما الرحمن لايملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الامن أذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل متى يبعثون ويتوقفون مليا فزعين وهلين *حتى اذا فزع عن قلوبهم أي كشف الفزع من قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق أي القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى انتهى وتلخص من هذا ان حتى غائية اما للمطوف وهو زعمتم ويكون الضمير في عن قلوبهم التفاتا وهو للكفار أوهو فاتبعوه وفيه تناسق الضمائر للغائب والفصل بالاعتراض والضمير أيضا للكفار والضمير في قالوا للملائكة وضمير الخطاب في ربكم والغائب في قالوا الثانية للكفار واما المحذوف فاقدره ابن عطية لايصح أن يعيا لان مابعد الغاية مخالف لماقبلها وهم عبدة منقادون دائما لاينفكون عن ذلك لااذا فزع عن قلوبهم ولا اذا لم يفزع وجعل ذلك على الملائكة حال الوحي لايناسب الآية وكون النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الوحي قال فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم لايدل على ان هذه الآية في الملائكة حالة تكلم الله بالوحي والحديث رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا تكلم الله عز وجل بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلايزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام فاذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم فيقولون ياجبريل ماذا قال ربك قال فيقول الحق فينادون الحق وماقدره الزمخشري يحتمل الاان فيه تخصيص الذين زعمتم من دونه بالملائكة والذين عبدوهم ملائكة وغيرهم يحتمل الاان فيه تخصيص الذين زعمتم من دونه بالملائكة والذين عبدوهم ملائكة وغيرهم وتخصيص من أذن له بالملائكة أيضا والمأذون لهم في الشفاعة الملائكة وغيرهم ألاترى الى ماحكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشفاعة في قوله عز وجل (١)

* وقرئ فزع مشددا من الفزع مبنيا للمفعول أي أطير الفزع عن قلوبهم وفعل تأتي لمعان منها الازالة وهذا منه نحو قردت البعير أي أزلت القراد عنه * وقرأ ابن مسعود وابن عباس وطلحة وأبو المتوكل الناجي وابن السميفع وابن عامر مبنيا للفاعل من الفزع أيضا والضمير الفاعل في فزع ان كان الضمير في عن قلوبهم للملائكة فهو لله وان كان للكفار فالضمير لمغويهم * وقرأ الحسن فزع من الفزع بتخفيف الزاي مبنيا للمفعول وعن قلوبهم في موضع رفع به كقولك انطلق بزيد * وقرأ الحسن أيضا وأبو المتوكل أيضا وقتادة ومجاهد فرغ مشددا مبنيا للفاعل من الفرغ *وقرأ الحسن أيضا كذلك الا انه خفف الراء وقرأ عبد الله بن عمر والحسن أيضا وأيوب السختياني وقتادة أيضا وأبو مجلز فرغ من الفراغ مشدد الراء مبنيا للمفعول وقرأ ابن مسعود وعيسى افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وقيل تفرق * وقال الزمخشري والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب قمطر من حروف القمط مع زيادة الراء انتهى فان عنى الزمخشري ان العين من حروف الزيادة وكذلك الراء وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لان العين والراء ليستا من حروف الزيادة وان عنى أن الكلمة فيها حروف ومادة كروا زائدا الى ذلك العين والراء كمادة فرقع وقطر فهو صحيح ولولا ايهام ماقاله الزمخشري في هذه الكلمة لم أذكر هذه القراءة لمخالفتها سواد المصحف وقرئ أيضا في قوله تعالى حتى اذا فزع قولا عن مسموع كعب اذا تكلم الله عز وجل بلا كيف ضربت الملائكة بأجنحتها وخرت فزعا قالوا فيما بينهم ماذا قال ربكم قالوا الحق وقيل اذا دعاهم [illegible] كما قال زهير

(الدر)

(ش) وقرأ ابن مسعود وعيسى افرنقع عن قلوبهم والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين كما ركب قمطر من حروف القمط مع زيادة الراء انتهى (ح) ان عنى (ش) ان العين من حروف الزيادة وكذلك الواو وهو ظاهر كلامه فليس بصحيح لأن العين والراء ليستا من حروف الزيادة وان عنى أن الكلمة فيها حروف ومادة كروا زائدا الى ذلك العين والراء فالمادة فرقع وقطر فهو صحيح ولولا ايهام ماقاله (ش) في هذه الكلمة لم أذكر هذه القراءة لمخالفتها سواد المصحف

(١) بياض بجميع الأصول

اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم * طوال الرماح لاضعاف ولاعزل

وقيل هو فزع ملائكة أدنى السموات عند نزول المدبرات الى الارض وقيل لما كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وبعث الله محمدا أنزل الله جبريل بالوحي فظننت الملائكة أنه قد نزل بشيء من أمر الساعة وصعقوا لذلك فجعل جبريل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع ويخبرهم أنه الوحي قاله قتادة ومقاتل وابن السائب وقيل الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى أهل الارض ويكتبون أعمالهم اذا أرسلهم الله فانحدروا واسمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرون سجدا يصعقون رواه الضحاك عن ابن مسعود وهذه الاقوال والتي قبلها لاتكاد تلائم ألفاظ القرآن فالله أسأل أن يرزقنا فهم كتابه وأقربها عندي أن يكون الضمير في قلوبهم عائدا على من عاد عليه اتبعوه وعليهم وممن هو منها في شك وتكون الجملة بعد ذلك اعتراضا وقوله قالوا أي الملائكة لاولئك المتبعين الشاكين يسألونهم سؤال توبيخ ماذا قال ربكم على لسان من بعث اليكم بعد ان كشف الغطاء عن قلوبهم فيقرون اذ ذاك أن الذي قاله وجاءت به أنبياؤه هو الحق لا الباطل الذي كانوا فيه من اتباع ابليس وشكا في البعث ماذا يحتمل أن تكون ما منصوبة بقال أي أي شيء قال ربكم وأن يكون في موضع رفع على أن ذا موصولة أي ما الذي قال ربكم وذا خبره ومعمول قال ضمير محذوف عائد على الموصول * وقرأ ابن أبي عبلة قالوا الحق برفع الحق خبر مبتدأ أي مقوله الحق وهو العلي الكبير تنزيه منهم له تعالى وتمجيد ثم رجع الى خطاب الكفار فسألهم عمن يرزقهم محتجا عليهم بان رازقهم هو الله اذلا يمكن أن يقولوا إن آلهتهم ترزقهم وسألهم أنهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وأمره بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله قل الله لانهم قد لا يجيبون حيا في العناد وايثار الشرك ومعلوم أنه لا جواب لهم ولا لاحد الا بان يقول هو الله * وانا أي الموحدين الرازق العابدين أو اياكم المشركين العابدين الاصنام والجمادات * لعلى هدى أي طريقة مستقيمة أو في حيرة واضحة بينة والمعنى أن أحد الفريقين منا ومنكم لعلى أحد الامرين من الهدى والضلال أخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال ومعلوم أن من عبد الله ووحده هو على الهدى وأن من عبد غيره من جماد أو غيره في ضلال وهذه الجملة تضمنت الانصاف واللطف في الدعوى الى الله وقد علم من سمعها أنه جملة انصاف والرد بالتورية والتعريض أبلغ من الرد بالتصريح ونحوه قول العرب أخزى الله الكاذب مني ومنك يقول ذلك من يتيقن أن صاحبه هو الكاذب ونظيره قول الشاعر

فأيي ما وأيك كان شرا * فسيق الى المقادة في هوان

* وقال حسان أتهجوه ولست له بكفؤ * فشركما لخيركما الفداء

وهذا النوع يسمى في علم البيان استدراج المخاطب بذكر له أمرا يسلمه وان كان بخلاف ما ذكر حتى يصغي اليه الى ما يلقيه اليه اذ لو بدأه بما يكره لم يصغ ولا يزال ينقله من حال الى حال حتى يتبين له الحق ويقبله وهذا لما سمعوا الترديد بينه وبينهم ظهر لهم أنه غير جازم أن الحق معه فقال لهم بطريق الاستدلال ان آلهتكم لا تملك مثقال ذرة ولا تنفع ولا تضر لانها جماد وهم يعلمون ذلك فتحقق أن الرازق لهم والنافع والضار هو الله سبحانه وقيل معنى الجملة استنقاص المشركين والاستهزاء بهم وقد سوا أن آلهتهم لا ترزقهم شيأ ولا تنفع ولا تضر فأرادوا الله من نعمه وأمره أن يوبخهم ويستنقصهم ويكذبهم بقول غير مكشوف ان كان ذلك أبلغ في استنقاصهم كقولك ان أحدنا لكاذب وقد

علمت أن من خاطبته هو الكاذب ولكنك وبخته بلفظ غير مكشوف وأوهما على موضوعها لكونها لاحد الشيئين أو الاشياء وخبرا نا أو ايا كم هو لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولا يحتاج الى تقدير حذف اذ المعنى أن أحدنا لفى أحد هذين كقولك زيد أو عمرو فى القصر أو فى المسجد لا يحتاج هذا الى تقدير حذف اذ معناه أحد هذين فى أحد هذين وقيل الخبر محذوف فقيل خبر الاول والتقدير وانا لعلى هدى أو فى ضلال مبين فحذف لدلالة خبر ما بعده عليه فلعلى هدى أو فى ضلال مبين المثبت خبر عنه أو ايا كم اذ هو على تقدير انا ولكنها لما حذفت اتصل الضمير وقيل خبر الثانى والتقدير أو ايا كم لعلى هدى أو فى ضلال مبين وحذف لدلالة خبر الاول عليه وهو هذا المثبت لعلى هدى أو فى ضلال مبين ولا حاجة لهذا التقدير من الحذف لو كان ما بعد أو غير معطوف بها نحو زيد أو عمرو وقائم كان يحتاج الى هذا التقدير وان مع ما يصلح أن يكون خبر الان اسمها عطف عليه بأو والخبر معطوف بأو فلا يحتاج اليه وذهب أبو عبيدة الى أن أو بمعنى الواو فيكون من باب اللف والنشر والتقدير وانا لعلى هدى وايا كم فى ضلال مبين فأخبر عن كل بما ناسبه ولا حاجة الى اخراج أو عن موضوعها وجاء فى الهدى بعلى لان صاحبه ذو استعلاء وتمكن مما هو عليه يتصرف حيث شاء وجاء فى الضلال بعن لانه منغمس فى حيرة مرتبك فيها لا يدرى أين يتوجه قل لا تسألون عما أجرمنا هذا أدخل فى الانصاف وأبلغ من الاول وأكثر تلطفا واستدراجا حيث سمى فعله جرما كما يزعمون مع أنه مثاب مشكور وسمى فعلهم عملا مع أنه مزجور عنه محظور وقد يراد بأجرمنا دسبة ذلك الى المؤمنين دون الرسول وذلك مالا يكاد يخلو المؤمن منه من الصغائر والذى تعملون هو الكفر وما دونه من المعاصى الكبائر قيل وهذه الآية منسوخة بآية السيف * قل يجمع بيننا ربنا أى يوم القيامة ثم يفتح أى يحكم بالحق بالعدل فيدخل المؤمنين الجنة والكفار النار * وهو الفتاح الحاكم الفاصل العليم بأعمال العباد والفتاح والعليم صيغتا مبالغة وهذا فيه تهديد وتوبيخ تقول لمن نصحته وخوفته فلم يقبل ستري سوء عاقبة الامر * وقرأ عيسى الفاتح اسم فاعل والجمهور الفتاح * قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء الظاهر ان أرى هنا بمعنى أعلم فيتعدى الى ثلاثة الضمير للمتكلم هو الاول والذين الثانى وشركاء الثالث أى أرونى بالحجة والدليل كيف وجه الشركة وهل يملكون مثقال ذرة أو يرزقونكم وقيل هى رؤية بصر وشركاء نصب على الحال من الضمير المحذوف فى ألحقتم اذ تقديره ألحقتموهم به فى حال توهمهم شركاء له * قال ابن عطية وهذا ضعيف لان استدعاء رؤية العين فى هذا لا غناء له * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما معنى قوله أرونى وكان يراهم ويعرفهم (قلت) أراد بذلك ان يريهم الخطأ العظيم فى الحاق الشركاء بالله وان يقايس على أعينهم بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على حالة القياس اليه والاشراك به * وكلا ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسة كما قال ابراهيم أف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز الحكيم كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده أو هو ضمير الشأن كما فى قوله قل هو الله أحد انتهى وقول ابن عطية لان استدعاء رؤية العين فى هذا لا غناء له أى لا نفع له ليس بجيد بل فى ذلك تبكيت لهم وتوبيخ ولا يريد حقيقة الأمر بل المعنى ان الذين هم شركاء الله على زعمكم هم ممن ان أريتموهم افتضحتم لانهم خشب وحجر وغير ذلك من الحجارة والجماد كما تقول للرجل الخسيس الاصل أذكر لى أباك الذى قايست به ولا يريد حقيقة الذكر وانما أردت

(ش) الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم لن يخرج منها أحد منهم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لان تقدم حال المجرور عليه فى الاصالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لايقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لايستوى له الخطأ الاول الا بالخطأ الثانى فلابد له من ارتكاب الخطأين

(٢٨١)

انتهى (ح) أما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لاتكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لموصوف محذوف وأما قول الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

أى فطلبها عليه كهلا شديد وقال آخر

تسليت طرا عنك بعد بينكم * بذكراكم حتى كأنكم عندى *

أى تسليت عنكم طرا أى جميعا وقد جاء تقديم الحال على صاحبه المجرور وعلى ما يتعلق به ومن ذلك قول الشاعر

مشغوفة بك قد شغفت وانما * حتم الفراق فما اليك سبيل *

وقال آخر

غافلا تعرض المنية للمر * ء فيدعى ولات حين اباء

أى شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا

واذا كان تقديمها على المجرور والعامل فتقديمها عليه دون العامل أجوز وقول (ش) وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ الى آخر كلامه تشنيع لان قائل ذلك لايحتاج الى أن يتأول اللام بمعنى الى لأن أرسل يتعدى بالى ويتعدى باللام كقوله * وأرسلناك للناس رسولا * ولو تأول اللام بمعنى الى لم يكن ذلك خطأ لأن اللام قد جاءت بمعنى الى والى قد جاءت بمعنى اللام وأرسل مما جاء متعديا بهما الى المجرور

تبكيته وانه ان ذكر أباه افتضح وكافة اسم فاعل من كف وقيل مصدر كالعاقبة والعافية فيكون على حذف مضاف أى الا ذا كافة أى ذا كف للناس أى منع لهم من الكفر أو ذا منع من أن يشذوا عن تبليغك واذا كان اسم فاعل فقال الزجاج وغيره هو حال من الكاف فى أرسلناك والمعنى الا جامعا للناس فى الابلاغ والكافة بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهى فى علامة وراوية * وقال الزمخشرى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم قال ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد أخطأ لأن تقدم حال المجرور عليه فى الاصالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لايقنع به حتى يضم اليه أن يجعل اللام بمعنى الى لأنه لايستوى له الخطأ الأول الا بالخطأ الثانى فلابد من ارتكاب الخطأين انتهى أما كافة بمعنى عامة فالمنقول عن النحويين انها لاتكون الا حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ أيضا استعماله صفة لموصوف محذوف وأما قول الزجاج ان كافة بمعنى جامعا والهاء فيه للمبالغة فان اللغة لاتساعد على ذلك لان كف ليس بمحفوظ ان معناه جمع وأما قول الزمخشرى ومن جعله حالا الى آخره فذلك مختلف فيه ذهب الاكثرون الى ان ذلك لايجوز وذهب أبو على وابن كيسان وابن برهان ومن معاصرينا ابن مالك الى أنه يجوز وهو الصحيح ومن أمثلة أبى على زيد خيرما يكون خير منك التقدير زيد خير منك خيرما يكون فجعل خيرما يكون حالا من الكاف فى منك وقدمها عليه قال الشاعر

اذا المرء أعيته المروءة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال آخر

تسليت طرا عنكم بعد بينكم * بذكركم حتى كأنكم عندى

أى تسليت عنكم طرا أى جميعا وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به ومن ذلك قول الشاعر

مشغوفة بك قد شغفت وانما * حتم الفراق فما اليك سبيل

وقال آخر

غافلا تعرض المنية للمر * ء فيدعى ولات حين اباء

أى شغفت بك مشغوفة وتعرض المنية للمرء غافلا واذا جاز تقديمها على المجرور والعامل فتقديمها عليه دون العامل أجوز وعلى ان كافة حال من الناس حمله ابن عطية وقال قدمت للاهتمام والمقول عن ابن عباس قوله أى الى العرب والعجم وسائر الامم وتقديره الى الناس كافة انتهى * وقول الزمخشرى وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ الى آخر كلامه تشنيع لان قائل ذلك لايحتاج الى أن

يتأول اللام بمعنى الى لان أرسل يتعدى بالى و يتعدى باللام كقوله وأرسلناك للناس رسولا ولو تأول اللام بمعنى الى لم يكن ذلك خطأ لان اللام قد جاءت بمعنى الى والى قد جاءت بمعنى اللام وأرسل مما جاء متعديا بهما الى المجرور ثم حكى تعالى مقالتهم فى الاستهزاء بالبعث واستعجالهم على سبيل التكذيب ولم يجابوا بتعيين الزمان اذ ذاك مما انفرد تعالى بعلمه بل أجيبوا بأن ماوعدوا به لابد من وقوعه وهو ميعاد يوم القيامة وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة ويجوز أن يكون سؤالهم عما وعدوا به من العذاب فى الدنيا واستعجلوا به استهزاء منهم * وقال أبو عبيد الوعد والوعيد والميعاد بمعنى * وقال الجمهور الوعد فى الخير والوعيد فى الشر والميعاد يقع لهذا ولهذا والظاهر ان الميعاد اسم على وزن مفعال استعمل بمعنى المصدر أى قل لكم وقوع وعد يوم وتنجيزه * وقال الزمخشرى الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم انتهى ولا يتعين ماقال اذ يكون بدلا على تقدير محذوف أى قل لكم ميعاد يوم فلما حذف أعرب ماأقام مقامه باعرابه وقرأ الجمهور ميعاد يوم بالاضافة ولما جعل الزمخشرى الميعاد ظرف زمان قال أما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب و بعير سانية * وقرأ ابن أبى عبلة واليزيدى ميعاد يوما بنصبهما * قال الزمخشرى وأما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد أعنى يوما وأريد بوما من صفته أعنى كيت وكيت ويجوز أن يكون انتصابه على حذف مضاف و يجوز أن يكون الرفع على هذا التعظيم انتهى لما جعل الميعاد ظرف زمان خرج لرفع والنصب على ذلك ويجوز أن يكون انتصابه على الظرف على حذف مضاف أى انجاز وعد يوم من صفته كيت وكيت * وقرأ عيسى ميعاد منونا ويوم بالنصب من غير تنوين مضافا الى الجملة فاحتمل تخريج الزمخشرى على التعظيم واحتمل تخريجا على الظرف على حذف مضاف أى انجاز وعد يوم كذا وجاء هذا الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجئ السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم مرصدون بيوم القيامة يفاجئهم فلا يستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه واليوم يوم القيامة وهو السابق الى الذهن أو يوم مجئ حتفهم سدحضور منيتهم أو يوم بدر أقوال * ولن نؤمن بهذا القرآن يعنى الذى تضمن التوحيد والرسالة والبعث المتقدم ذكرها فيه * ولا بالذى بين يديه هو مانزل من كتب الله المبشرة برسول الله روى ان كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتبهم وأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن ماتقدم من كتب الله فى الكفر ويكون الذين كفروا مشركى قريش ومن جرى مجراهم والمشهور ان الذى بين يديه التوراة ولانجيل ومانقدم من الكتب وهو مروى عن ابن جريج وقالت فرقة الذى بين يديه [illegible] أمر بين ليدقق لمعقوبه المتقدم فى زمان وقد [illegible] فى صفة لتعجيب وترى فى معنى رأيت لاعمالها فى الظرف الماضى ومفعول ترى محذوف [illegible] موقوفون وجواب لو محذوف أى لرأيت [illegible] من ذلك [illegible] ثم فسر [illegible] لاتباعهم [illegible] ولا [illegible] الكفر [illegible] ضمير رفع على الافصح وحكى [illegible] ضمير الجر [illegible] لاستفت [illegible] كلمة ما [illegible] فيه [illegible]

(الدر)

(ش) الميعاد ظرف الوعد من مكان أو زمان وهو ههنا الزمان الدليل عليه قراءة من قرأ ميعاد يوم فأبدل منه اليوم انتهى (ح) لايتعين ماقال إذ يكون بدلا على تقدير محذوف أى قل لكم ميعاد يوم فلما حذف أعرب ماأقام مقامه باعرابه

بدأ الاتباع بتوبيخ مضليهم اذ التقوهم رؤساءهم ولم يمكنهم أن ينكروا أنهم ماجاءهم رسول بل هم
مقرون ألا ترى الى قول المتبوعين بعد اذ جاءكم فالجمع المقرون بان الذكر قد جاءهم فقال لهم
رؤساؤهم أنحن صددناكم فأتوا بالاسم بعد أداة الاستفهام انكارا لان يكونوا هم الذين صدوهم
صددتم من قبل أنفسكم وباختياركم بعد أداة الاستفهام كأنهم قالوا أنحن أخبرناكم وحلنا بينكم
وبين الذكر بعد أن هممتم على الدخول في الايمان بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلالة على
الهدى فكنتم مجرمين كافرين باختياركم لا لقولنا وتسويلنا ولما أنكر رؤساؤهم انهم السبب في
كفرهم وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين ان كفرهم هو من قبل أنفسهم قابلوا اضرابا باضراب فقال
الاتباع بل مكر الليل والنهار أي ما كان اجرامنا من جهتنا بل مكركم لنا دائما وخداعكم لنا ليلا
ونهارا اذ تأمروننا ونحن اتباع لا نقدر على مخالفتكم مطيعون لكم لاستيلائكم علينا بالكفر بالله
واتخاذ الأنداد وأضيف المكر الى الليل والنهار اتساعا في الظرفين فهما في موضع نصب على المفعول
به على السعة أو في موضع رفع على الاسناد المجازي كما قالوا ليل نائم والأولى عندي أن يرتفع مكر
على الفاعلية أي بل صدنا مكركم بالليل والنهار ونظيره قول القائل أضربت زيدا بل ضربه
عمرو فيقول بل ضربه غلامك والأحسن في التقدير أن يكون المعنى ضربه غلامك وقيل
يجوز أن يكون مبتدأ وخبرا أي سبب كفرنا * وقرأ قتادة ويحيى بن يعمر بل مكر بالتنوين
الليل والنهار نصب على الظرف * وقرأ سعيد بن جبير بن محمد وأبو رزين وابن يعمر أيضا بفتح
الكاف وشد الراء مضافة ومعناه كرور الليل والنهار واختلافهما ومعناها الاحالة
على طول الأمل والاغترار بالأيام مع أمر هؤلاء الرؤساء بالكفر بالله * وقرأ ابن جبير أيضا
وطلحة وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج كذلك الا أنهم نصبوا الراء على
الظرف وناصبه فعل مضمر أي صددتمونا مكر الليل والنهار أي في مكرهما ومعناه دائما * وقال
صاحب اللوامح يجوز أن ينتصب [illegible] تأمروننا مكر الليل والنهار انتهى وهذا وهم لان ما بعد اذ
لا يعمل فيما قبلها * وقال الزمخشري بل يكون الاغراء مكرا دائما لا يفترون عنه انتهى * وجاء
قال الذين استكبروا بغير واو لأنه جواب لكلام المستضعفين واستؤنف وعطف وقال الذين
استضعفوا على ما سبق من كلامهم والضمير في وأسروا للجميع المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون الموقوفون وتقدم الكلام في وأسروا الندامة لما رأوا العذاب في سورة يونس
والندامة من المعاني القلبية فلا تظهر انما يظهر ما يدل عليها وما يدل على غيره وقيل هو من الاضداد
* وقال ابن عطية هذا لم يثبت قط في لغة ان أسر من الاضداد وندامة الذين استكبروا على ضلالهم
في أنفسهم وضلالهم وندامة الذين استضعفوا على ضلالهم واتباعهم المضلين وجعلنا الاغلال في
أعناق الذين كفروا ظاهره عموم الذين كفروا فيدخل فيه المستكبرون والمستضعفون لان من
الكفار من لا يكون له اتباع مراجعة القول في الآخرة ولا يكون أيضا تابعا لرئيس له كافر كالغلام
الذي قتله خضر وقيل الذين كفروا هم الذين سبقت منهم المحاورة وجعل الاغلال اشارة الى
كيفية العذاب قطعوا انهم واقعون فيه فتركوا التندم * هل يجزون معناه النفي ولذلك دخلت
الا بعد التي ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن
أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر
الناس لا يعلمون وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك

﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه قريش من الكفر والافتخار بالاموال والاولاد وان ماذكروا من ذلك هو عادة المترفين مع أنبيائهم فلا يهمك أمرهم ومن نذير عام أي ينذرهم بعذاب الله تعالى ان لم يوحدوه و﴿قال مترفوها﴾ جملة حالية ونص على المترفين لأنهم أول المكذبين للرسل لما شغلوا به من زخرف الدنيا بخلاف الفقراء فانهم خالون من مستلذات الدنيا و﴿بما﴾ متعلق بكافرين و﴿به﴾ متعلق بأرسلتم وما عامة فيما جاءت به النذر من طلب الايمان بالله تعالى وافراده بالعبادة والاخبار بأنهم رسله اليهم والبعث والجزاء على الأعمال والظاهر أن الضمير في قالوا عائد على المترفين وقيل عائد على قريش ويدل عليه ما بعده من الخطاب في قوله بالتي تقربكم والظاهر أن هذا الموصول أريد به الأموال والأولاد ﴿الا من آمن﴾ الظاهر أنه استثناء منقطع وهو منصوب على الاستثناء أي لكن من

آمن وعمل صالحا فإيمانه وعمله يقربانه وقال الزجاج الا من آمن هو بدل من الكاف والميم في تقربكم وقال النحاس هذا غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رأيتك زيدا وقول أبي اسحق هذا هو قول الفراء انتهى ومذهب الأخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم لكن البدل في الآية لا يصح ألا ترى أنه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل الزجاج أن الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية أنه يجوز البدل وليس بجائز الا فيما يصح التفريغ قال الزمخشري الا من استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة انتهى * اتبع الزجاج في ذلك وهو لا يجوز كما ذكرنا لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا أخوه وما زيد بالذي يضرب الا عمرا ولا ما زيد بالذي يمر الا ببكر ولتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله لا تقرب أحدا إلا المؤمن غير موافق للتركيب القرآني ففي الذي ركبه يجوز ما قال وفي لفظ القرآن لا يجوز وأجاز الفراء أن يكون من في موضع رفع وتقدير الكلام عنده ما هذا المقرب الا من آمن انتهى وقوله كلام لا يتحصل منه معنى كأنه كان نائما حين قال ذلك وقرئ جزاء مضافا الى الضعف ومعناه يجزيهم الله الضعف أي يضاعف لهم الحسنات وقرئ جزاء منونا الضعف بالرفع فالضعف بدل ﴿وهم في الغرفات﴾ أي في العلالي ولما ذكر جزاء من آمن ذكر عقاب من كفر ليظهر تفاوت ما بين الشيئين ﴿والذين سعوا﴾ تقدم الكلام عليه ومعنى فهو يخلفه أي يأتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ من عباده مشعرا للمؤمنين وكذلك الخطاب في وما أنفقتم بقصد هنا رزق المؤمنين فليس مساق قل إن ربي يبسط الرزق مساق ما قبل للكفار بل مساق الوعظ والتزهيد في الدنيا والحض على النفقة في طاعة الله تعالى واخلاف ما أنفق اما معجلا في الدنيا واما مؤجلا في الآخرة وهو مشروط بقصد وجه الله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم جميعا ﴾ أي المكذبين من تقدم ومن تأخر وخطاب الملائكة تقريع للكفار وقد علم تعالى ان الملائكة منزهون برآء مما وجه عليهم من السؤال وانما ذلك على طريق توقيف الكفار على سوء ما ارتكبوه من عبادة غير الله تعالى وأن من عبدوه مفتري منهم وهؤلاء مبتدأ وخبره كانوا يعبدون ﴿وإياكم﴾ مفعول يعبدون لما تقدم انفصل وانما قدم لانه أبلغ في الخطاب ولكون يعبدون فاصلة فلو أتى بالضمير متصلا كان التركيب يعبدونكم ولم يكن فاصلة واستدل بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان جملة ولما أجابوا الله تعالى بدؤا بتنزيهه وبراءته من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام ثم نسبوا الى موالاته دون أولئك الكفرة أي أنت ولينا اذ لا موالاة بيننا وبينهم وفي قولهم بل كانوا يعبدون الجن اشعار أنهم ما عبدوهم وان لم يصرح به ولكن الاضراب ببل يدل عليه وذلك لان المعبود اذا لم يكن راضيا بعبادة عابده مريدا لها لم يكن ذلك العابد عابدا له حقيقة فلذلك قالوا بل كانوا يعبدون الجن لان أفعالهم القبيحة هي من وساوس الشياطين وعن أمرهم ومراداتهم فهم عابدون لهم حقيقة اذ الشياطين راضون بذلك تعالى والاشارة بقوله ما هذا الا رجل الى تالي الآيات المفهوم من قوله واذا تتلى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكى عنهم مطاعنهم عند تلاوة القرآن عليهم فبدؤا أولا بالطعن في التالي بأنه يقدح في معبودات آلهتكم ثم ثانيا فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن بأنه كذب مختلق من عنده ونسبه الى عند الله تعالى وثالثا بأن ما جاء به سحر واضح لما اشتمل عليه من حسن الاستمالة وتأثير النفوس به وجه تطعنوا في الرسول عليه السلام وفيما جاء به وفي وصفه واحتمل أن يكون صدر من مجموعهم وجاز أن يكون كل جملة قالها قوم غير من قال الأخرى وفي قوله لما جاءهم دليل على انه حين جاءهم لم يفكروا فيه بل بادروه بالانكار وبتسميته سحرا ولم يكتفوا بقولهم انه سحر حتى وصفوه بأنه واضح لمن يتأمله رقيقا لكل ذلك القرآن والمعجزة كان متعلقا شبهين من مشركين وأهل الكتاب فقال تعالى * وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم

لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى

(الدر) (ح) وقرأ الجمهور بالتي وجمع التكسير من العقلاء وغيرهم يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة (ش) ويجوز أن تكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب انتهى

عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا الارجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا الاافك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الاسحر مبين * وما أرسلنا الآية هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني به من قومه قريش من الكفر والافتخار بالاموال والاولاد وان ما ذكروا من ذلك هو عادة المترفين مع أنبيائهم فلا يهمنك أمرهم ومن نذير عام أي تنذرهم بعذاب الله ان لم يوحدوه وقال مترفوها جملة حالية ونص على المترفين لانهم أول المكذبين للرسل لما شغلوا به من زخرفة الدنيا وما غلب على عقولهم منها فقلوبهم أبدا مشغولة منهمكة بخلاف الفقراء فانهم خالون من مستلذات الدنيا فقلوبهم أقبل للخير ولذلك هم اتباع الانبياء كما جاء في حديث هرقل وبما متعلق بكافرون وبه متعلق بارسلتم وما عامة في ما جاءت به النذر من طلب الايمان بالله وافراده بالعبادة والاخبار بانهم رسله اليهم والبعث والجزاء على الاعمال والظاهر ان الضمير في وقالوا عائد على المترفين وقيل عائد على قريش ويدل عليه ما بعده من الخطاب في قوله قل لان من تقدم من المترفين الهالكين لا يخاطبون فلا يقول الا الموجودون وقوله وما أموالكم ولا أولادكم واحتجوا على رضا الله عنهم باحسانه تعالى اليهم فلو لم يكن راضيا عنهم ما أوسع علينا وأما أنتم فلهوانكم عليه حرمكم أيها التابعون الرسل ثم نقول ان يعذبوا يعذبوا مع اعتقادهم لأن الانبياء قد ينذرون بعذاب عاجل في الدنيا أو آجل في الآخرة فنفوا عنهم جميع ذلك اما أن يكونوا منكرين للآخرة فقد نفوا تعذيبهم فيها لأنها اذا لم تكن فلا يكون فيها عذاب واما أن يكونوا مقرين بها حقيقة أو على سبيل الفرض فيقولون كما أنعم علينا في الدنيا ينعم علينا في الآخرة على حالة الدنيا قياسا فاسدا فابطل الله ذلك بان الرزق فضل منه يقسم علينا في الآخرة على حالة الدنيا كما شاء لمن يشاء فقد يوسع على العاصي ويضيق على الطائع وقد يوسع عليهما والوجود شاهد بذلك فلا تقاس التوسعة في الدنيا الان ذلك في الآخرة انما هو على الاعمال الصالحة وقرأ الأعمش ويقدر في الموضعين مشددا والجمهور مخففا ومعناه ويضيق مقابل يبسط * ولكن أكثر الناس مثل هؤلاء الكفرة لا يعلمون أن الرزق مصروف بالمشيئة وليس دليلا على الرضا ثم أخبر تعالى ان أموالهم وأولادهم التي افتخروا بها ليست بمقربة من الله وانما يقرب الايمان والعمل الصالح * وقرأ الجمهور بالتي وجمع التكسير من العقلاء وغيرهم يجوز أن يعامل معاملة الواحدة المؤنثة * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم تلك الموضوعة للتقريب انتهى فجعل التي نعتا لموصوف محذوف وهي التقوى انتهى ولا حاجة الى تقدير هذا الموصوف والظاهر أن التي راجع الى الاموال والاولاد وقاله الفراء * وقال أيضا هو والزجاج حذف من الأول لدلالة الثاني عليه والتقدير وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى انتهى ولا حاجة لتقدير هذا المحذوف اذ يصح أن يكون التي لمجموع الاموال والاولاد وقرأ الحسن باللاتي جمعا وهو أيضا راجع للاموال والاولاد وقرئ بالذي وزلفى مصدر كالقربى وانتصابه على المصدرية من المعنى أي تقربكم * وقرأ الضحاك زلفا بفتح اللام وتنوين لفى جمع زلفة وهي القربة * الا من آمن الظاهر انه استثناء منقطع وهو منصوب على الاستثناء أي لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه

(ح) جعل التي نعتا لموصوف محذوف وهي التقوى ولا حاجة الى تقدير هذا الموصوف والظاهر أن التي راجع الى الأموال والأولاد قاله الفراء وقال أيضا هو والزجاج حذف من الاول لدلالة الثاني عليه والتقدير وما أموالكم ولا أولادكم التي تقربكم عندنا زلفى انتهى ولا حاجة لتقدير هذا المحذوف اذ يصح أن يكون التي لمجموع الأموال والأولاد (ح) الامن آمن الظاهر أنه استثناء منقطع وهو منصوب على الاستثناء أي لكن من آمن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه وقال الزجاج الامن آمن هو بدل من الكاف والميم في تقربكم وقال النحاس وهذا غلط لأن الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رأيتك زيدا وقول أبي اسحق هذا هو قول الفراء انتهى ومذهب الأخفش والكوفيين انه يجوز أن يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم لكن البدل في الآية لا يصح ألا ترى انه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل الزجاج ان الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية انه يصح البدل وليس يجائز الا ويصح التفريغ له

* وقال الزجاج هو بدل من الكاف والميم في تقربكم * وقال النحاس وهذا غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رأيتك زيدا وقول أبي اسحق هذا هو قول الفراء انتهى ومذهب الاخفش والكوفيين أنه يجوز أن يبدل من ضمير المخاطب والمتكلم لكن البدل في الآية لا يصح ألا ترى أنه لا يصح تفريغ الفعل الواقع صلة لما بعد الا لو قلت ما زيد بالذي يضرب الا خالدا لم يصح وتخيل الزجاج أن الصلة وان كانت من حيث المعنى منفية أنه يصح البدل وليس بجائز الا فيما يصح التفريغ له وقد اتبعه الزمخشري فقال الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الاموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة انتهى وهو لا يجوز كما ذكرنا لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا أخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا ولا ما زيد بالذي يمر الا ببكر والتركيب الذي ركبه الزمخشري من قوله لا يقرب أحدا الا المؤمن غير موافق للقرآن ففي الذي ركبه يجوز ما قال وفي لفظ القرآن لا يجوز وأجاز الفراء أن تكون من في موضع رفع وتقدير الكلام عنده ما هو المقرب الا من آمن انتهى وقوله كلام لا يتحصل منه معنى كأنه كان ناعما حين قال ذلك * وقرأ الجمهور جزاء الضعف على الاضافة أضيف فيه المصدر الى المفعول وقدره الزمخشري مبنيا للمفعول الذي لم يسم فاعله فقال ان يجازوا الضعف والمصدر في كونه يبنى للمفعول الذي لم يسم فاعله فيه خلاف والصحيح المنع وتقديرها أن يجازيهم الله الضعف أي يضاعف لهم حسناتهم الحسنة بعشر أمثالها وبأكثر الى سبعمائة لمن يشاء * وقرأ قتادة جزاء الضعف برفعهما فالضعف بدل ويعقوب في رواية بنصب جزاء ورفع الضعف وحكى هذه القراءة الداني عن قتادة ونصب جزاء على الحال كقولك في الدار قائما زيد * وقرأ الجمهور في الغرفات جمعا مضموم الراء والحسن وعاصم بخلاف عنه والاعمش ومحمد بن كعب باسكانها وبعض القراء بفتحها وابن وثاب والاعمش وطلحة وحمزة [illegible] في الغرفة على التوحيد مسكنة الراء وابن وثاب أيضا بفتحها على التوحيد ولما ذكر حال من آمن ذكر حال الكافرين وتقدم تفسير نظيرها [illegible] ولما كان افتخارهم بكثرة الاموال والاولاد ذكر أن ذلك على مشيئة الله وكرر ذلك لمعنى تأكيد أن ذلك جار على مشيئة الله لا أن ذلك على حسب استحقاق لا لكرامة ولا هوان ومعنى فهو يخلفه أي يأتي بالخلف والعوض منه وكان لفظ من عباده مشعرا بالمؤمنين وكذلك الخطاب في وما أنفقتم يقصد به رازق المؤمنين فليس مساق قوله قل ان ربي يبسط مساق ما قبله للكفار بل مساق الوعظ والتزهيد في الدنيا والحض على النفقة في طاعة الله واخلاف ما أنفق اما منجز في الدنيا واما مؤجل في الآخرة وهو مشروط بقصد وجه الله * وقال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه وخير الرازقين من حيث ان كل رازق حقيقة هو من عنده لانه يقال الرجل يرزق عياله والامير جنده والسيد عبده والرازقون جمع بهذا الاعتبار لكن أولئك يرزقون مما رزقهم الله وملكهم فيه التصرف والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ومن خرج من عدم الى وجود * ويوم يحشرهم جميعا أي المستكبرين والمستضعفين من تقدم منهم ومن تأخر وقرأ الجمهور نحشرهم نقول بالنون فيهما وحفص بالياء وتقدمت في الانعام وخطاب الملائكة تقريع للكفار وقد علم تعالى أن للملائكة

(الدر)

(ش) الا من آمن استثناء من كم في تقربكم والمعنى ان الأموال لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله والاولاد لا تقرب أحدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة انتهى (ح) اتبع الزجاج في ذلك وهو لا يجوز كما ذكرنا لا يجوز ما زيد بالذي يخرج الا أخوه ولا ما زيد بالذي يضرب الا عمرا ولا ما زيد بالذي يمر الا ببكر والتركيب الذي ركبه (س) من قوله لا تقرب أحدا لا المؤمن غير موافق للتركيب القرآني ففي الذي ركبه يجوز ما قال وفي لفظ القرآن لا يجوز وأجاز الفراء أن من في موضع رفع وتقدير الكلام عنده ما هو المؤمن الا من آمن انتهى وقوله كلام لا يتحصل منه معنى كأنه كان ناعما حين قال ذلك

منزهون برآء مما وجه عليهم من السؤال وانما ذلك على طريق توقيف الكفار وقد علم سوء ما ارتكبوه من عبادة غير الله وان من عبدوه متبرىء منهم وهؤلاء مبتدأ وخبره كانوا يعبدون واياكم مفعول يعبدون ولما تقدم انفصل وانما قدم لانه أبلغ في الخطاب ولكون يعبدون فاصلة فلو أتى بالضمير منفصلا كان التركيب يعبدونكم ولم تكن فاصلة واستدل بتقديم هذا المعمول على جواز تقديم خبر كان عليها اذا كان جملة وهي مسئلة خلاف أجاز ذلك ابن السراج ومنع ذلك قوم من النحويين وكذلك منعوا توسطه اذا كان جملة * وقال ابن السراج القياس جواز ذلك ولم يسمع ووجه الدلالة من الآية أن تقديم المعمول مؤذن بتقديم العامل فكما جاز تقديم اياكم جاز تقديم يعبدون وهذه القاعدة ليست مطردة والاولى منع ذلك الى أن يدل على جوازه سماع من العرب ولما أجابوا الله بدؤا بتنزيهه وبراءته من كل سوء كما قال عيسى عليه السلام سبحانك ثم انتسبوا الى موالاته دون أولئك الكفرة أي أنت ولينا اذ لا موالاة بيننا وبينهم وفي قولهم بل كانوا يعبدون الجن اشعار لهم بما عبدوه وان لم يصرح به لكن الاضراب ببل يدل عليه وذلك لان المعبود اذا لم يكن راضيا بعبادة عابده مريدا لها لم يكن ذلك العابد عابدا له حقيقة فلذلك قالوا بل كانوا يعبدون الجن لان أفعالهم القبيحة من وسوسة الشياطين واغوائهم ومراداتهم عابدون لهم حقيقة فلذلك قالوا بل كانوا يعبدون الجن اذ الشياطين راضون تلك الافعال وقيل صورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها * وقال ابن عطية لم تنف الملائكة عبادة البشر اياها وانما أقروا انها لم يكن لها في ذلك مشاركة وعبادة البشر الجن هي فيما يقرون بطاعتهم اياهم وسماعهم من وسوستهم واغوائهم فهذا نوع من العبادة وقد يجوز أن يكون في الامم الكافرة من عبد الجن وفي القرآن آيات يظهر منها أن الجن عبدت في سورة الانعام وغيرها انتهى واذا هم قد عبدوا الجن فاوجه قولهم أكثرهم مؤمنون ولم يقولوا جميعهم وقد أخبروا أنهم كانوا يعبدون الجن والجواب أنهم لم يدعوا الاحاطة اذ قد يكون في الكفار من لم يطلع الملائكة عليهم أو انهم حاموا على الاكثر بايمانهم بالجن لان الايمان من عمل القلب فلم يذكروا الاطلاع على جميع أعمال قلوبهم لان ذلك لله تعالى ومعنى مؤمنون مصدقون أنهم معبودوهم وقيل مصدقون أنهم بنات الله وأنهم ملائكة وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وأما من قال بان الاكثر بمعنى الجميع فلا يرد عليه شئ لكنه ليس موضوع اللغة فاليوم هو يوم القيامة والخطاب في بعضكم قيل للملائكة لانهم المخاطبون في قوله أهؤلاء اياكم ويكون ذلك تبكيتا للكفار حين بين لهم ان من عبدوه لا ينفع ولا يضر ويؤيده ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان بعده ويقول للذين ظلموا ذوقوا [illegible] خطاب للكفار لكن [illegible] التركيب فوقه وقيل الخطاب للكفار لان ذكر اليوم يستدعي حضورهم ويكون قوله ويقول تأكيدا لبيان حالهم في الظلم وقيل هو خطاب من الله لمن عبد ومن عبد وقوله نفعا [illegible] ولا ضرا بالتعذيب وقيل هذا التي كنتم بها تكذبون [illegible] التي كنتم تكذبون [illegible] من [illegible] ومن [illegible] لم يكونوا ملتبسين بالعذاب [illegible] النار [illegible] فوصفت لهم [illegible] التي كنتم تكذبون [illegible] في السعداء [illegible] مترددون فيه [illegible] أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فوصفت لهم [illegible] هم مباشروه وهو العذاب [illegible] [illegible] المفهوم من قوله [illegible] وهو رسول الله

﴿ وما آتيناهم من كتب ﴾ أي أهل مكة من كتب من عندنا فيعلموا بدراستها بطلان ما جئت به ومعنى قبلك أي ما أرسلنا من نذير شافههم بشيء ولا باشر أهل عصرهم ولا من قرب من آبائهم وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وغيره ودعوة الله تعالى قائمة لا تخلو الأرض من داع اليه ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ عدلهم بمن تقدمهم من الأمم السالفة وما آل اليه أمرهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عادتهم في التكذيب عادة الأمم السابقة وسيحل بهم ما حل بأولئك والظاهر أن الضميرين في بلغوا وفي آتيناهم عائدان على الذين من قبلهم ليتناسق مع قوله فكذبوا أي ما بلغوا في شكر النعمة وجزاء المنة معشار ما آتيناهم من النعم والاحسان اليهم وحين كذبوا رسلي جاءهم انكاري بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهم ما كانوا فيه من القوة والمعشار مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما العشر والربع وقال قوم المعشار عشر العشر ﴿ قل انما أعظكم بواحدة ﴾ قال السدي هي لا إله إلا الله وقيل غير ذلك والمعنى انما أعظكم بواحدة فيها اصابتكم الحق وخلاصكم وهي أن تقوموا لوجه الله تعالى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا قال الزمخشري بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله أن تقوموا على انه عطف بيان لها انتهى وهذا لا يجوز لان بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة لتقديره قيامكم لله وعطف البيان فيه مذهبان أحدهما انه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة وهو مذهب البصريين والثاني أن يتبع ما قبله في التعريف والتنكير وهو مذهب الكوفيين وأما التخالف فلم يذهب اليه ذاهب انما هو وهم من قائله وقد رد النحويون على الزمخشري في قوله ان مقام ابراهيم عطف بيان من قوله آيات بينات وذلك لأجل التخالف فكذلك هذا ﴿ ثم تتفكروا ﴾ أي في أمر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وانما قال مثنى وفرادى لان الجماعة يكون مع اجتماعها تشويش الخاطر والمنع من الفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذاهب وانتصب مثنى وفرادى على الحال وقدم مثنى لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجرى من فكرة واحدة فاذا انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد بعد ذلك فيزيد بصيرة قال الشاعر

اذا اجتمعوا جاؤا بكل غريبه * فيزداد بعض القول من بعضهم علما *

ثم تتفكروا عطف على أن تقوموا والفكرة هنا في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسبوه اليه فان الفكرة تهدي غالبا الى الصواب والوقف عند أبي حاتم عند قوله ثم تتفكروا وما بصاحبكم من جنة نفي مستأنف والذي يظهر أن الفعل معلق على الجملة المنفية فهو في موضع نصب على اسقاط في ﴿ قل ما سألتكم من أجر ﴾ فيه التبري من طلب الدنيا وطلب الاجر على الهداية الى الله والتوكل على الله والاجر عنده واحتمل ما أن تكون موصولة مبتدأ والعائد من الصلة محذوف تقديره سألتكموه وفهو لكم الخبر ودخلت الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واحتمل أن تكون ما شرطية مفعولة بسألتكم وفهو لكم جملة هي جواب الشرط والظاهر ان الحق هو المقذوف فالحق هو المقذوف قال الزمخشري رفع علام محمول على محل ان واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى أما الحمل على محل ان واسمها فهو غير مذهب سيبويه وليس بصحيح عند أصحابنا على ما قرر في كتب النحو وأما قوله على المستكن في يقذف [illegible] وكأنه يريد انه بدل من الضمير [illegible] ذكر أنه تعالى يقذف الحق بصيغة المضارع أخبر أن الحق قد جاء وهو [illegible] والوحي [illegible] ما سوى من [illegible] فلا يحتاج على

صلى الله عليه وسلم * وحكى تعالى مطاعنهم عند تلاوة القرآن عليهم فبدؤا أولا بالطعن في التالي فانه يقدح في معبودات آلهتكم ثانيا فيما جاء به الرسول من القرآن بانه كذب مختلق من عنده وليس من عند الله وثالثا بأن ما جاء به سحر واضح لما اشتمل على ما يوجب الاستمالة وتأثير النفوس له واجابته وطعنوا في الرسول وفيما جاء به وفي وصفه واحتمل أن يكون ذلك صدر من مجموعهم واحتمل أن تكون كل جملة منها قالها قوم غير من قال الجملة الأخرى وفي قوله لما جاءهم دليل على أنه حين جاءهم لم يفكروا فيه بل بادروه بالانكار ونسبته الى السحر ولم يكتفوا بقولهم انه سحر حتى وصفوه بانه واضح لمن يتأمله وقيل انكار القرآن والمعجزة كان متفقا عليه من المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى * وقال الذين كفروا للحق على وجه العموم ﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان

الاسلام مايبطله ﴿وان اهتديت﴾ ثم محذوف تقديره فاهتدائي وهو مبتدأ خبره بما يوحي الى ربي أي كائن بما يوحي وما مصدرية أي بايحاء ربي أو موصولة بمعنى الذي ويوحي صلته والضمير محذوف تقديره يوحيه والظاهر أن قوله ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ انه وقت البعث وقيام الساعة وعبر بفزعوا وأخذوا وقالوا وحيل بلفظ الماضي لتحقق وقوعه بالخبر الصادق وقال ابن عباس والضحاك هذا في عذاب الدنيا ومفعول ترى محذوف أي ولو ترى الكفار إذ فزعوا ﴿فلا فوت﴾ أي لا يفوتون الله تعالى ولا مهرب لهم عما يريده بهم ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ أي من مساكنهم

والضمير في ﴿به﴾ عائد على الله تعالى ﴿وأنى لهم التناوش﴾ قال ابن عباس الرجوع الى الدنيا وهذا تمثيل لطلبهم مالا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعد كما يتناوله الآخر من قرب وقرئ التناوش بالواو وبهمزة بدلها ﴿وقد كفروا﴾ به الضمير في به عائد على ماعاد عليه آمنا به والجملة حالية و﴿من قبل﴾ أي من قبل نزول القرآن وقرئ ﴿ويقذفون﴾ مبنيا للفاعل حكاية حال متقدمة قال الحسن قولهم لاجنة ولانار ﴿بعيد﴾ أي من جهة بعيدة لان نسبته الى الشيء من ذلك أبعد الأشياء وقرأ مجاهد وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول معناه يؤمنون بالغيب من حيث لا يعلمون ومعناه يجازون على سوء أعمالهم ﴿وحيل﴾ هو مبني للمفعول وقبل البناء كان حالا وهو فعل لا يتعدى وقال الشاعر

وقد حال همّ دون ذلك شاغل * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

فعلى هذا يكون المقام مقام الفاعل ضمير المصدر المفهوم من قوله حيل كأنه قيل وحيل هو أي الحول والذي يشتهون الرجوع الى الدنيا قاله ابن عباس ﴿كما فعل بأشياعهم﴾ أي بأشباههم من كفرة الأمم أي حيل بينهم وبين مشتهياتهم ومن قبل يصح أن يكون متعلقا بأشياعهم أي من اتصف بصفاتهم من قبل أي في الزمان الأول ويترجح بأن ما يفعل بجميعهم انما هو في وقت واحد ويصح أن يكون متعلقا بفعل اذا كانت الحيلولة في الدنيا والله أعلم

أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد * قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب * قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد * قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الى ربي انه سميع قريب * ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب * وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد * وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد * وحيل بينهم وبين مايشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب﴾ وما آتيناهم أهل مكة من كتب قال السدي من عندنا فيعلموا بدراستها بطلان ماجئت به * وقال ابن زيد فيقضوا أن الشرك جائز وهو كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون * وقال قتادة ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى من أين كذبوا ولم يأتهم كتاب ولا نذير بذلك * وقيل وصفهم بأنهم قوم آمنون أهل جاهلية ولا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متبت ولا شبهة تعلق كما يقول أهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن أهل الكتاب والشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله وقيل المعنى انهم يقولون بآرائهم في كتاب الله يقول بعضهم سحر وبعضهم افتراء ولا يسندون فيه الى أثارة من علم ولا الى خبر من يقبل خبره * فما آتيناهم كتبا يدرسونها ولا أرسلنا اليهم رسولا ولا نذيرا فيمكنهم أن يدعوا ان أقوالهم تستند الى أمره * وقرأ الجمهور يدرسونها مضارع درس مخففا وأبو حيوة بفتح الدال وشدها وكسر الراء مضارع ادّرس افتعل من الدرس ومعناه تتدارسونها وعن أبي حيوة أيضا يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس أو من درس الكتاب مخففا ودرّس الكتاب مشددا التضعيف باعتبار الجمع ومعنى قبلك * قال ابن عطية أي وما أرسلنا من نذير يشافههم بشيء ولا يباشر أهل عصرهم ولا من قرب من آبائهم وقد كانت النذارة في العالم وفي العرب مع شعيب وصالح وهود ودعوة الله وتوحيده قائم لم تخل الارض من داع اليه وانما المعنى من نذير يختص بهؤلاء الذين بعثت اليهم وقد كان عند العرب كثير من نذارة اسماعيل والله تعالى يقول انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ولكن لم يتجرد للنذارة وقاتل عليها الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى * وكذب الذين من قبلهم توعد لهم ممن تقدمهم من الأمم وما آل اليه أمرهم وتسلية لرسوله بان عادتهم في التكذيب عادة الأمم السابقة وسيحل بهم ما حل بأولئك وأن الضميرين في بلغوا وفي ما آتيناهم عائدان على الذين من قبلهم ليتناسق قوله تعالى فكذبوا أي ما بلغوا في شكر

النعمة وجزاء المنة معشار ما آتيناهم من النعم والاحسان اليهم * وقال ابن عباس وقتادة وابن زيد الضمير فى بلغوا لقريش وفى ما آتيناهم للامم الذين من قبلهم والمعنى وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الاعمار وقوة الاجسام وكثرة الأموال وحيث كذبوا رسلى جاءهم انكارى بالتدمير والاستئصال ولم يغن عنهما كانوا فيه من القوة فكيف حال هؤلاء اذا جاءهم العذاب والهلاك * وقيل الضمير فى بلغوا عائد على الذين من قبلهم وفى آتيناهم على قريش وما بلغ الامم المتقدمة معشار ما آتينا قريشا من الآيات والبينات والنور الذى جئتهم به * وأورد ابن عطية هذه الاقوال احتمالات والزمخشرى ذكر الثانى وأبو عبد الله الرازى اختار الثالث قال أى الذين من قبلهم ما بلغوا معشار ما آتينا قوم محمد من البرهان وذلك لأن كتاب محمد عليه السلام أكمل من سائر الكتب وأوضح ومحمد عليه السلام أفضل من جميع الرسل وأفصح وبرهانه أوفى وبيانه أشفى ويؤيد ما ذكرنا وما آتيناهم من كتب يدرسونها تغنى عن القرآن فلما كان المؤتى فى الآية الأولى هو الكتاب حمل الايتاء فى الآية الثانية على ايتاء الكتاب وكان أولى انتهى * وعن ابن عباس فليس انه أعلم من أمته ولا كتاب أبين من كتابه والمعشار مفعال من العشر ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره وغير المرباع ومعناهما العشر والربع * وقال قوم المعشار عشر العشر * قال ابن عطية وهذا ليس بشئ انتهى * وقيل والعشر فى هذا القول عشر المعشرات فيكون جزأ من ألف جزء * قال الماوردى وهو الأظهر لأن المراد به المبالغة فى التقليل * وقال الزمخشرى فان قلت ما معنى فكذبوا رسلى وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم (قلت) لما كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب وأقدموا عليه جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره أن يقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله ما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه * فكيف كان نكير للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله انتهى وفكيف تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفيه تهديد لقريش أى انهم معرضون لنكير مثله ونكير مصدر كالانكار وهو من المصادر التى جاءت على وزن فعيل والفعل على وزن أفعل كالنذير والعذير من أنذر وأعذر وحذفت الى من نكير تخفيفا لأنها آخر آية * قل انما أعظكم بواحدة * قال هى طاعة الله وتوحيده * وقال السدى هى لا اله الا الله * قال قتادة هى أن تقوموا قال أبو على أن تقوموا فى موضع خفض على البدل من واحدة * وقال الزمخشرى بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله أن تقوموا على انه عطف بيان لها انتهى * وهذا لا يجوز لأن بواحدة نكرة وان تقوموا معرفة لتقديره قيامكم لله وعطف البيان فيه مذهبان أحدهما أنه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة وهو مذهب الكوفيين وأما التخالف فلم يذهب اليه ذاهب انما هو وهم من قائله وقد رد النحويون على الزمخشرى فى قوله ان مقام ابراهيم عطف بيان من قوله آيات بينات وذلك لأجل التخالف فكذلك هذا والظاهر أن القيام هو الانتصاب فى الامر والنهوض فيه بالهمة لا القيام الذى يراد به المثول على القولين ويبعد أن يراد به ما جوزه الزمخشرى من القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده والمعنى انما أعظكم بواحدة فيها اصابتكم الحق وخلاصكم وهى أن تقوموا لوجه الله متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا فى أمر محمد وما جاء به وانما قال مثنى وفرادى لأن الجماعة يكون مع اجتماعهم تشويش الخاطر والمنع من التفكر وتخليط الكلام والتعصب للمذهب وقلة الانصاف كما هو مشاهد فى الدروس التى يجتمع فيها الجماعة فلا

وبه التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

(الدر)

(ش) بواحدة بخصلة واحدة وهو فسرها بقوله أن تقوموا على أنه عطف بيان لها انتهى (ح) هذا لا يجوز لان بواحدة نكرة وأن تقوموا معرفة لتقديره قيامكم لله وعطف البيان فيه مذهبان أحدهما أنه يشترط فيه أن يكون معرفة من معرفة وهو مذهب بصرى والثانى أن يتبع ما قبله فى التعريف والتنكير وهو مذهب كوفى وأما التخالف فلم يذهب اليه ذاهب انما هو وهم من قائله وقد زاد النحويون على (ش) فى قوله ان مقام ابراهيم عطف بيان على قوله آيات بينات وذلك لأجل التخالف فكذلك هنا

يوقف فيها على تحقيق وأما الاثنان اذا نظر انظر انصاف وعرض كل واحد منهما على صاحبه ما ظهر له فلا يكاد الحق أن يعدوهما وأما الواحد اذا كان جيد الفكر صحيح النظر عاريا عن التعصب طالبا للحق فبعيد أن يعدوه وانتصب مثنى وفرادى على الحال وقدم مثنى لأن طلب الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة اذا انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك فيزيد بصيرة قال الشاعر

اذا اجتمعوا جاؤا بكل غريبة * فيزداد بعض القوم من بعضهم علما

ثم تتفكروا واعطف على أن تقوموا والفكرة هنا في حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما نسبوه اليه فان الفكرة تهدي غالبا الى الصواب اذا عرى صاحبها عما يشوش النظر والوقف عند أبي حاتم عند قوله ثم تتفكروا * ما بصاحبكم من جنة نفي مستأنف * قال ابن عطية وهو عند سيبويه جواب ما ينزل منزلة القسم لأن تفكر من الافعال التي تعطي التمييز كتبين ويكون التفكر على هذا في آيات الله والايمان به انتهى واحتمل أن يكون تتفكروا معلقا والجملة المنفية في موضع نصب وهو محط التفكر أي ثم تتفكروا في انتفاء الجنة عن محمد صلى الله عليه وسلم فان اثبات ذلك لا يصح أن يتصف به من كان أرجح قريش عقلا وأثبتهم ذهنا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا ومن ظهر على يديه هذا القرآن المعجز فيعلمون بالفكرة أن نسبته للجنون لا يمكن ولا يذهب الى ذلك عاقل وأن من نسبه الى ذلك فهو مفتر كاذب والظاهر أن ما للنفي كما شرحنا وقيل ما استفهام وهو استفهام لا يراد به حقيقته بل يؤل معناه الى النفي التقدير أي شئ بصاحبكم من الجنون أي ليس به شئ من ذلك ولما نفى تعالى عنه الجنة أثبت أنه نذير بين يدي عذاب شديد أي هو متقدم في الزمان على العذاب الذي توعدوا به وبين يدي يشعر بقرب العذاب * قل ما سألتكم من أجر الآية في التبري من طلب الدنيا وطلب الأجر على النور الذي أتى به والتوكل على الله فيه واحتملت ما أن تكون موصولة مبتدأ والعائد من الصلة محذوف تقديره سألتكموه وفهو لكم الخبر ودخلت الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط واحتملت أن تكون شرطية مفعولة بسألتكم وفهو لكم جملة هي جواب الشرط وقوله ما سألتكم من أجر فهو لكم على معنيين أحدهما نفي مسألة الاجر كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ولكنه أراد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن ويؤيده إن أجري الا على الله والثاني أن يريد بالاجر ما في قوله قل ما سألتكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم ما فيه نفعهم وكذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمت واياهم قاله الزمخشري وفيه بعض زيادة * قال ابن عباس الأجر المودة في القربى * وقال قتادة فهو لكم أي ثمرته وثوابه لاني سألتكم صلة الرحم * وقال مقاتل تركته لكم * وهو على كل شئ شهيد مطلع حافظ يعلم أني لا أطلب أجرا على نصحكم ودعائكم اليه الا منه ولا أطمع منكم في شئ والقذف الرمي بدفع واعتماد ويستعار لمعنى الالقاء لقوله فاقذفيه في اليم وقذف في قلوبهم الرعب * قال قتادة يقذف بالحق يبين الحجة ويظهرها * وقال ابن القشيري يبين الحجة بحيث لا اعتراض عليها لأنه علام الغيوب وأنا مستمسك بما يقذف الى من الحق وأصل القذف الرمي بالسهم أو الحصا والكلام * وقال ابن عباس يقذف الباطل بالحق والظاهر أن بالحق هو المفعول فالحق هو المقذوف محذوفا أي يقذف أي يلقي ما يلقي الى أنبيائه من الوحي والشرع بالحق لا بالباطل فتكون الباء اما للمصاحبة واما للسبب ويؤيد هذا

(الدر)

(ش) رفع محمول على محل ان واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى (ح) أما الحمل على محل ان واسمها فهو غير مذهب سيبويه وليس بصحيح عند أصحابنا على ما قررناه في كتب النحو وأما قوله على المستكن في يقذف فلم يبين وجه حمله وكأنه يريد انه بدل من ضمير يقذف

الاحتمال كون قذف متعدّيا بنفسه فاذا جعلت بالحق هو المفعول كانت الباء زائدة في موضع لا تطرد زيادتها * وقرأ الجمهور علام بالرفع فالظاهر انه خبر ثان وهو ظاهر قول الزجاج قال هو رفع لان تأويل قل رب علام الغيوب * وقال الزمخشري رفع محمول على محل ان واسمها أو على المستكن في يقذف أو هو خبر مبتدأ محذوف انتهى أمّا الحمل على محل ان واسمها فهو غير مذهب سيبويه وليس بصحيح عند أصحابنا على ماقررناه في كتب النحو وأمّا قوله على المستكن في يقذف فلم يبين وجه حمله وكأنه يريد أنه بدل من ضمير يقذف * وقال الكسائي هو نعت لذلك الضمير لان مذهبه جواز نعت المضمر الغائب * وقرأ عيسى وابن أبي اسحق وزيد بن علي وابن أبي عبلة وأبو حيوة وحرب عن طلحة علام بالنصب فقال الزمخشري صفة لربي * وقال أبو الفضل الرازي وابن عطية بدل وقال الحوفي بدل أو صفة وقيل نصب على المدح * وقرئ الغيوب بالجر أمّا الضم فجمع غيب وأمّا الكسر فكذلك استثقلوا ضمتين والواو فكسر والتناسب الكسر مع الياء والضمة التي هي على الياء مع الواو وأمّا الفتح ففعول للمبالغة كالصبور وهو الشيء الذي غاب وخفي جدا ولما ذكر تعالى أنه يقذف بالحق بصيغة المضارع أخبر أن الحق قد جاء وهو القرآن والوحي وبطل ماسواه من الاديان فلم يبق لغير الاسلام ثبات لا في بدء ولا في عاقبة فلا يخاف على الاسلام مايبطله كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه * وقال قتادة الباطل الشيطان لا يخلق شيأ ولا يبعثه * وقال الضحاك الاصنام لا تفعل ذلك * وقال أبو سليمان لا يبتدئ لصنم من عنده كلاما فيجاب ولا يرد ماجاء من الحق بحجة وقيل الباطل الذي يضاد الحق فالمعنى ذهب الباطل بمجيء الحق فلم يبق منه بقية وذلك أن الجائي اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فصار قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول الشاعر

أفقر من أهيله عبيد * فاليوم لا يبدي ولا يعيد

والظاهر أن ما نفي وقيل استفهام ومآله الى النفي كأنه قال أي شيء يبدئ الباطل أي ابليس ويعيده قاله الزجاج وفرقة معه وعن الحسن لا يبدئ أي ابليس لاهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك وقيل الحق السيف عن ابن مسعود دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبقة ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد * وقرأ الجمهور قل ان ضللت بفتح اللام فانما أضل بكسر الضاد * وقرأ الحسن وابن وثاب وعبد الرحمن المقري بكسر اللام وفتح الضاد وهي لغة تميم وكسر عبد الرحمن همزة أضل * وقال الزمخشري لغتان نحو ضللت أضل وظللت أظل وان اهتديت فبما يوحي الى ربي وأن تكون مصدرية أي فبوحي ربي والتقابل اللفظي وان اهتديت فانما أهتدي لها كما قال ومن أساء فعليها مقابل من عمل صالحا فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها مقابل فمن اهتدى فلنفسه أو يقال فانما أضل بنفسي وأما في الآية فالتقابل معنوي لأن النفس كل ماعليها فهو لها أي كل وبال عليها فهو بسببها ان النفس لأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وأمر رسوله أن يسنده الى نفسه لانه اذا دخل تحته مع جلالة محله وسر طريقته كان غيره أولى به انتهى وهو من كلام الزمخشري * انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله والظاهر أن قوله ولو ترى اذ فزعوا أنه وقت البعث وقيام الساعة وكثيرا جاء ولو ترى

اذوقفوا على النار ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم وكل ذلك فى يوم القيامة وعبر بفزعوا وأخذوا وقالوا وحيل بلفظ الماضى لتحقق وقوعه بالخبر الصادق * وقال ابن عباس والضحاك هذا فى عذاب الدنيا * وقال الحسن فى الكفار عند خروجهم من القبور * وقال مجاهد يوم القيامة وقال ابن زيد والسدّى فى أهل بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فرارا من العذاب ولا رجوعا الى التوبة * وقال ابن جبير وابن أبى أبزى فى جيش لغزو الكعبة فيخسف بهم فى بيداء من الارض ولا ينجو الا رجل من جهينة فيخبر الناس بما ناله قالوا وله قيل * وعند جهينة الخبر اليقين * وروى فى هذا المعنى حديث طويل عن حذيفة * وذكر الطبرى أنه ضعيف السند مكذوب فيه على رواية ابن الجراح * وقال الزمخشرى وعن ابن عباس نزلت فى خسف البيداء وذلك أن ثمانين ألفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وذكر فى حديث حذيفة أنه تكون فتنة بين أهل المشرق والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حين ينزل دمشق فيبعث جيشا الى المدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ثم يخرجون الى مكة فيأتيهم جبريل عليه السلام فيضرب بها أى الارض برجله ضربة فيخسف الله بهم فى بيداء من الارض ولا ينجو الا رجل من جهينة فيخبر الناس بما ناله فذلك قوله فلا فوت ولا ينفلت منهم الا رجلان من جهينة ولذلك جرى المثل وعند جهينة الخبر اليقين اسم أحدهما بشير يبشر أهل مكة والآخر نذير ينقلب بخبر السفيانى وقيل لا ينقلب الا رجل واحد يسمى ناجية من جهينة ينقلب وجهه الى قفاه ومفعول ترى محذوف أى ولو ترى الكفار اذ فزعوا فلا فوت أى لا يفوتون الله ولا يهرب لهم عما يريد بهم * وقال الحسن فلا فوت من صيحة النشور وأخذوا من بطن الارض الى ظهرها انتهى أو من الموقف الى النار اذ بعثوا أو من ظهر الارض الى بطنها اذ ماتوا أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم اذا خسف بهم وهذه أقوال مبنية على تلك الاقوال السابقة فى عود الضمير فى فزعوا ووصف المكان بالقرب من حيث قدرة الله عليهم فحيث ما كانوا هو قريب * وقرأ الجمهور فلا فوت مبنى على الفتح وأخذوا فعلا ماضيا والظاهر عطفه على فزعوا وقيل على فلا فوت لان معناه فلا يفوتوا وأخذوا * وقرأ عبد الرحمن مولى بنى هاشم عن أبيه وطلحة فلا فوت وأخذ مصدرين منونين * وقرأ أبى فلا فوت مبنيا وأخذ مصدرا منونا ومن رفع وأخذ فخبر مبتدأ أى وحالهم أخذ مبتدأ أى وهناك أخذ * وقال الزمخشرى وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل فلا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك أخذ انتهى كأنه يقول لا فوت مجموع لا والمبنى معها فى موضع مبتدأ وخبره هناك فكذلك وأخذ مبتدأ وخبره هناك فهو من عطف الجمل وان كانت احداهما تضمنت النفى والاخرى تضمنت الايجاب والضمير فى به عائد على الله قاله مجاهد أى يقولون ذلك عندما يرون العذاب * وقال الحسن على البعث * وقال مقاتل على القرآن * وقيل على العذاب * وقال الزمخشرى وغيره على الرسول لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة * وأنى لهم التناوش * قال ابن عباس التناوش الرجوع الى الدنيا وأنشد ابن الانبارى

تمنى أن تؤوب الى مى * وليس لى تناوشها سبيل

أى تمنى وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو أن ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشئ من بعد كما يتناوله الآخر من قرب * وقرأ الجمهور التناوش بالواو * وقرأ حمزة والكسائى وأبو عمرو وأبو بكر بالهمز ويجوز أن

الدر

(ش) وقرئ وأخذ وهو معطوف على محل فلا فوت ومعناه فلا فوت هنالك وهنالك أخذ انتهى (ح) كأن يقول لا فوت مجموع لا والمبنى معها فى موضع مبتدأ وخبره هنالك فكذلك وأخذ مبتدأ وخبره هنالك فهو من عطف الجمل وان كانت احداهما تضمنت النفى والأخرى تضمنت الايجاب

يكونا مادتين احداهما النون والواو والشين والأخرى النون والهمزة والشين وتقدّم شرحهما في المفردات ويجوز أن يكون أصل الهمزة الواو على ماقاله الزجاج وتبعه الزمخشري وابن عطية والحوفي وأبو البقاء * وقال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار ان شئت تثبت همزتها وان شئت تركت همزتها تقول ثلاث أدور بلا همز وأدؤر بالهمز قال والمعنى من أين لهم تناول ماطلبوه من التوبة بعد فوات وقتها لأنها انما تقبل في الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت على بعد من الآخرة وذلك قوله تعالى من مكان بعيد * وقال الزمخشري همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وأدؤر * وقال ابن عطية وأمّا التناؤش بالهمز فيحتمل أن يكون من التناوش وهمزت الواو لما كانت مضمومة ضمة لازمة كما قالوا أقتيت * وقال الحوفي ومن همز احتمل وجهان أحدهما أن يكون من الناش وهو الحركة في ابطاء ويجوز أن يكون من ناش ينوش همزت الواو لانضمامها كما همزت اقتيت وأدؤر * وقال أبو البقاء ويقرأ بالهمز من أجل ضمة الواو وقيل هي أصل من ناشه انتهى * وماذكروه من أن الواو اذا كانت مضمومة ضمة لازمة يجوز أن تبدل همزة ليس على اطلاقه بل لا يجوز ذلك في المتوسطة اذا كانت مدغمة فيها ونحو يعود ويقوم (٣) مصدرين ولا اذا صحت في الفعل نحو ترهوك ترهوكا وتعاون تعاونا ولم يسمع همزتين من ذلك فلا يجوز والتناوش مثل التعاون فلا يجوز همزه لأن واوه قد صحت في الفعل اذ يقول تناوش *وقد كفروا به الضمير في به عائد على ماعاد عليه آمنا به على الأقوال والجملة حالية ومن قبل نزول العذاب * وقرأ الجمهور ويقذفون مبنيا للفاعل حكاية حال متقدّمة * قال الحسن قولهم لاجنة ولانار وزاد قتادة ولا بعث ولانار * وقال ابن زيد طاعنين في القرآن بقولهم أساطير الأوّلين * وقال مجاهد في الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم شاعر وساحر وكاهن * من مكان بعيد أي في جهة بعيدة لأن نسبته الى شيء من ذلك من أبعد الاشياء * قال الزمخشري وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد أتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لأن أبعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وأبعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور انتهى * وقيل هو مستأنف أي يتلفظون بكلمة الايمان حين لا ينفع نفسا ايمانها فمثلت حالهم في طلبهم تحصيل ماعطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا في الآخرة وذلك مطلب مستبعد ممن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للنظر في لحوقه حيث يريد أن يقع فيه لكونه غائبا عنه بعيدا والغيب الشيء الغائب * وقرأ مجاهد وأبو حيوة ومحبوب عن أبي عمرو ويقذفون مبنيا للمفعول * قال مجاهد ويرجمهم بما يكرهون من السماء * وقال أبو الفضل الرازي يرمون بالغيب من حيث لا يعلمون ومعناه يجازون بسوء أعمالهم ولا علم لهم بما أتاه إما في حال تعذر التوبة عند معاينة الموت وإما في الآخرة * وقال الزمخشري أي يأتيهم به يعني بالغيب شياطينهم ويلقنونهم اياه وقيل يرمون في النار وقيل هو مثل لأن من ينادي من مكان بعيد لا يسمع أي هم لا يعقلون ولا يسمعون * وحيل بينهم قال الحوفي الظرف قائم مقام اسم ما لم يسم فاعله انتهى ولو كان على ماذكر لكان مرفوعا بينهم كقراءة من قرأ لقد تقطع بينكم في أحد المعنيين لا يقال إنه أضيف الى مبني وهو الضمير فبني فهو في موضع رفع وإن كان مبنيا كما قال بعضهم في قوله وإذ مثلهم يتسير ني إنه في موضع رفع لاضافته الى الضمير وإن كان مفتوحا لأنا نقول هذا يجوز أن تقول مررت بغلامك وقام غلامك بالفتح وهذا لا يقوله أحد لأن البناء لأجل الاضافة الى مبني ليس مطلقا بل له مواضع أحكمت في

النحو ومايقول قائل ذلك فى قول الشاعر وقد حيل بين العير والنزوان * فانه نصب بين وهى مضافة الى معرب وانما يخرج ماورد من نحو هذا على أن القائم مقام الفاعل هو ضمير المصدر الدال عليه وحيل هو أى الحول ولكونه أضمر لم يكن مصدرا مؤكدا فجاز أن يقام مقام الفاعل وعلى ذلك يخرج قول الشاعر

وقالت متى يخل عليك ويعتلل * بسوء وان يكشف غرامك تدرب

أى ويعتلل هو أى الاعتلال والذى يشتهون الرجوع الى الدنيا قاله ابن عباس أو الأهل والمال والولد قاله السدى أو بين الجيش وتخريب الكعبة أو بين المؤمنين أو بين النجاة من العذاب أو بين نعيم الدنيا ولذتها قاله مجاهد أيضا كما فعل بأشياعهم من كفرة الأمم أى حيل بينهم وبين مشتهياتهم ومن قبل يصح أن يكون متعلقا بأشياعهم أى من اتصف بصفتهم من قبل أى فى الزمان الأول ويترجح بأن مايفعل بجميعهم انما هو فى وقت واحد ويصح أن يكون متعلقا بفعل اذا كانت الحيلولة فى الدنيا * وقال الضحاك أشياعهم أصحاب الفيل يعنى أشياع قريش وكأنه أخرجه مخرج التمثيل وأما التخصيص فلا دليل عليه انهم كانوا فى شك مريب يعنى فى الدنيا ومريب اسم فاعل من أراب الرجل أى بريبة ودخل فيها وأربت الرجل أوقعته فى ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز * قال الزمخشرى الأأن بينهما فرقا وهو أن المريب من المتعدى منقول ممن يصح أن يكون مريبا من الأعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر انتهى وفيه بعض تبيين قيل ويجوز أن يكون أردفه على الشك وهما بمعنى لتناسق آخر الآية بالتى قبلها من مكان قريب كما تقول عجب عجيب وشناشاب وليلة ليلاء * وقال ابن عطية الشك المريب أقوى ما يكون من الشك وأشده اظلاما

﴿ سورة فاطر مكية وهى خمس وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق مايشاء ان الله على كل شئ قدير * مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم * ياأيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لاإله الاهو فأنى تؤفكون * وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور * ياأيها الناس إن وعد الله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور * إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير * الذين كفروا لهم عذاب شديد * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلاتذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون * والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور * من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور * والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وماتحمل من أنثى ولا تضع الابعلمه ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الافى كتاب ان ذلك على الله يسير *

وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير * يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد * إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز * ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير * وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور * وما يستوي الاحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ان أنت الا نذير * انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا * وان من أمة الا خلا فيها نذير * وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير * ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور * ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور * والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير * ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور * الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ القطمير المشهور أنه القشرة الرقيقة التي على نوى التمر وبأتي ما قال المفسرون * الجدد جمع جدة وهي الطريقة تكون من الأرض والجبل كالقطعة العظيمة المتصلة طولا * وقال الزمخشري والجدد الخطط والطرائق * وقال لبيد أو مذهب جدد على ألواحه ويقال جدة الحمار الخطة السوداء التي على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه انتهى * وقال الشاعر

كأن سراته وجدة ظهره * كنائن يجري بينهن دليص

الجدة الخط الذي في وسط ظهره يصف حمار وحش * الغربيب الشديد السواد * لغب يلعب لغوبا أعيا ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل

وشكره لنعمائه ومعنى رسلا بالوحي وغيره من أوامره ولا يريد جميع الملائكة لانهم ليسوا كلهم رسلا فمن الرسل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام والملائكة المتعاقبون والملائكة المسددون حكام العدل وغيرهم كالملك الذي أرسله الله تعالى الى الأعمى والأبرص والاقرع وأجنحة جمع جناح وتقدم الكلام على مثنى وثلاث ورباع في النساء ﴿ يزيد في الخلق ما يشاء ﴾ تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب من خبر الملائكة أولي الاجنحة أي ليس هذا ببدع في قدرة الله تعالى فانه يزيد في خلقه ما يشاء ﴿ ما يفتح الله ﴾ الفتح والارسال استعارة للاطلاق ﴿ فلا مرسل له ﴾ مكان لا فاتح له والمعنى أي شيء يطلق الله من رحمته أي من نعمه رزق أو مطر أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها والعموم مفهوم من اسم الشرط

ومن رحمة لبيان ذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتزئ فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحمات ومن في موضع الحال أي كائنا من الرحمات ولا يكون في موضع الصفة لأن اسم الشرط لا يوصف والظاهر أن قوله وما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها بدل المبهم الدال على العموم في كل ما يمسك فان كان تفسيره من

من بعده وهو العزيز الحكيم * يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله الا هو فانى تؤفكون * وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور * يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور * ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير * الذين كفروا لهم عذاب شديد * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون ﴾ هذه السورة مكية ولما ذكر تعالى فى آخر السورة التى قبلها هلاك المشركين أعداء المؤمنين وأنزلهم منازل العذاب تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه كما فى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * وقرأ الضحاك والزهرى فطر جعله فعلا ماضيا ونصب ما بعده * قال أبو الفضل الرازى فاما على اضمار الذى فيكون نعتا لله عز وجل واما بتقدير قد فيما قبله فيكون بمعنى الحال انتهى وحذف الموصول الاسمى لا يجوز عند البصريين وأما الحال فيكون حالا محكية والأحسن عندى أن يكون خبر مبتدأ محذوف أى هو فطر وتقدم شرح فاطر السموات والأرض وأن المعنى خالقها بعد أن لم تكن والسموات والارض عبارة عن العالم * وقال أبو عبد الله الرازى الحمد يكون فى غالب الامر على النعمة ونعم الله عاجلة والحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى أن النعمة العاجلة ودليله هو الذى خلقكم من طين ثم قضى أجلا والحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب اشارة إليها أيضا وهى الاتقاء فان الاتقاء والصلاح بالشرع والكتاب والحمد فى سورة سبأ اشارة الى نعمة الايجاد والحشر ودليله يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وقوله وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة وهنا اشارة الى نعمة البقاء فى الآخرة دليله وتتلقاهم الملائكة ففاطر السموات والارض شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض دليله جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة أى فى ذلك اليوم فاول هذه السورة متصل بآخر ما مضى لان كما فعل باشياعهم من قبل بيان لانقطاع رجاء من كان فى شك مريب ولما ذكر حالهم ذكر حال المؤمن وبشره بارسال الملائكة إليهم مبشرين وانه يفتح لهم أبواب الرحمة * وقرأ الحسن جاعل بالرفع أى هو جاعل وعبد الوارث عن أبى عمرو وجاعل رفعا بغير تنوين الملائكة نصبا حذف التنوين لالتقاء الساكنين * وقرأ ابن يعمر وخليد بن نشيط جعل فعلا ماضيا الملائكة نصبا وذلك بعد قراءته فاطر بالف والجر كقراءة من قرأ فالق الاصباح وجعل الليل سكنا * وقرأ الحسن وحميد بن قيس رسلا باسكان السين وهى لغة تميم * وقال الزمخشرى وقرئ الذى فطر السموات والارض وجعل الملائكة فمن قرأ فطر وجعل فينبغى أن تكون هذه الجمل إخبارا من العبد الى ما أسداه اليه من النعم كما تقول الفضل لزيد احسن الينا بكذا خولنا كذا يكون ذلك جهة بيان لفعله الجميل كذلك يكون فى قوله فطر جعل لان فى ذلك نعما لا تحصى ومن قرأ وجاعل فالاظهر أنهما اسما

رحمة وحذفت لدلالة الأول عليه فيكون تذكير الضمير فى فلا مرسل له من بعده حملا على لفظ ما وأنث فى فلا ممسك لها حملا على معنى ما لان معناها الرحمة وقرئ فلا مرسل لها بتأنيث الضمير وهو دليل على أن التفسير هو من رحمة وحذف لدلالة ماقبله عليه ﴿ يا أيها الناس ﴾ خطاب لقريش وهو متجه لكل مؤمن وكافر ثم استفهم على جهة التقرير ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ أى فلا إله إلا الخالق لا ما تعبدون أنتم من الاصنام وقرئ غير بالخفض نعتا على اللفظ وغير بالرفع نعتا على الموضع ومن زائدة وخالق مبتدأ وخبره محذوف لدلالة المعنى تقديره لكم ﴿ وان يكذبوك ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ ان وعد الله حق ﴾ شامل لجميع ما وعد من ثواب وعقاب وغير ذلك ﴿ فلا تغرنكم ﴾ تقدم الكلام عليه فى لقمان ﴿ ان الشيطان لكم عدو ﴾ عداوته سبقت لأبينا آدم عليه السلام ﴿ وليكونوا من أصحاب السعير ﴾ اللام فيه للتعليل فدعاؤه حزبه ليشتركوا معه فى النار ولتظهر ثمرة اغوائه ثم اتبع حزبه بما أعد لهم من العذاب وذكر بعد ذلك ما أعد لأهل الايمان ليظهر التباين بين الفريقين ﴿ أفمن زين له ﴾ من مبتدأ موصول بمعنى الذى وخبره محذوف تقديره كمن لم يزين له سوء عمله ﴿ فان الله يضل من يشاء ﴾ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ الحسرة هم النفس على فوات أمر وانتصب حسرات على أنه مفعول من أجله أى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات

فاعل بمعنى المضي فيكون نعتاً صفة لله ويجيء الخلاف في نصب رسلا فمذهب السيرافي أنه منصوب باسم الفاعل وإن كان ماضياً لما لم يمكن إضافته إلى اسمين نصب الثاني ومذهب أبي علي أنه منصوب بإضمار فعل والترجيح بين المذهبين مذكور في النحو وأما من نصب الملائكة فيتخرج على مذهب الكسائي وهشام في جواز إعمال الماضي النصب ويكون إذ ذاك إعرابه بدلا وقيل هو مستقبل تقديره يجعل الملائكة رسلا ويكون أيضاً إعرابه بدلا ومعنى رسلا بالوحي وغيره من أوامره ولا يريد جميع الملائكة لأنهم ليسوا كلهم رسلا فمن الرسل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والملائكة المتعاقبون والملائكة المسددون حكام العدل وغيرهم كالملك الذي أرسله الله إلى الأعمى والأبرص والأقرع وأجنحة جمع جناح صيغة جمع القلة وقياس جمع الكثرة فيه جنح على وزن فعل فإن كان لم يسمع كان أجنحة مستعملا في القليل والكثير وتقدم الكلام على مثنى وثلاث ورباع في أول النساء مشبعاً ولكن المفسرون تعرضوا للكلام فيه هنا * فقال الزمخشري مثنى وثلاث ورباع صفات الأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرار العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الأعداد من صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما بالوصفية فلا تقترن الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها انتهى فجعل المانع للصرف هو تكرار العدل فيها والمشهور أنها امتنعت من الصرف للصفة والعدل وأما قوله ألا تراك فإنه قاس الصفة في هذا المعدول على الصفة في أفعل وفي ثلاثة وليس بصحيح لأن مطلق الصفة لم يعدوه علة بل اشترطوا فيه فليس الشرط موجوداً في أربع لأن شرطه أن لا يقبل تاء التأنيث وليس شرطه في ثلاثة موجوداً لأنه لم يجعل علة مع التأنيث فقياس الزمخشري قياس فاسد إذ غفل عن شرط كون الصفة علة * وقال ابن عطية عدلت عن حال لتنكير فتعرفت بالعدل فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة انتهى وهذا الثاني هو المشهور والأول قول لبعض الكوفيين والظاهر أن الملك لواحد من صنف له جناحان وآخر ثلاثة وآخر أربعة وآخر أكثر من ذلك لما روي أن لجبريل ستمائة جناح منها اثنان يبلغ بهما المشرق إلى المغرب * قال قتادة وأخذ الزمخشري يتكلم على كيفية هذه الأجنحة وعلى صورة الثلاثة بما لا يجدي فالا يطالع ذلك في كتابه وقالت فرقة المعنى أن في كل جانب من الملك جناحان ولبعضهم ثلاثة ولبعضهم أربعة وإلا فلو كانت ثلاثة لواحد لما اعتدلت في معتاد ما رأينا نحن من الأجنحة وقيل بل هي ثلاثة لواحد كما يوجد لبعض الحيوان والظاهر أن المراد من الأجنحة ما وضعت له في اللغة * وقال أبو عبد الله الرازي ما معناه في قوله الحمد لله فاطر السموات والأرض وهو الذي حكينا عنه أن قوله جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع أقل ما يكون لذي الجناح إشارة إلى الجهة وبيانه أن الله ليس شيء فوقه وكل شيء تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه إلى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم مما أخذوه بإذن الله كما قال تعالى نزل به الروح الأمين على قلبك وقوله علمه شديد القوى وقال تعالى في حقهم فالمدبرات أمرا فهما جناحان وفيهم من يفعل ما يفعل من الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيهم من له ثلاث جهات ومنهم من له أربع جهات وأكثر انتهى وبحثه في هذه وفي فاطر السموات والأرض بحث عجيب وليس على طريقة العرب من مدلولات الألفاظ التي جاءهم بها والظاهر أن مثنى وما بعده من صفات الأجنحة وقيل أولي أجنحة معترض ومثنى حال والعامل فعل محذوف يدل عليه رسلا أي يرسلون مثنى

عليه حزنا والحو بيان للتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات لأنه مصدر فلا يتقدم معموله عليه

(الدر)

﴿ سورة فاطر ﴾

(ش) مثنى وثلاث ورباع صفات لأجنحة وإنما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألفاظ الاعداد من صيغ إلى صيغ أخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير إلى غير تكرير وأما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها ألا تراك تقول مررت بنسوة أربع وبرجال ثلاثة فلا يعرج عليها انتهى (ح) جعل المانع للصرف هو تكرار العدل فيها والمشهور أنها امتنعت الصرف للصفة والعدل وأما قوله ألا تراك فإنه قاس الصفة في هذا المعدول على الصفة في أفعل وفي ثلاثة وليس بصحيح لأن مطلق الصفة لم يعدوه علة بل اشترطوا فيه فليس الشرط موجود في أربع لأن شرطه أن لا يقبل تاء التأنيث وليس شرطه في ثلاثة موجوداً لأنه لم يجعل علة مع التأنيث فقياس (ش) قياس فاسد إذ غفل عن كون الصفة علة

وثلاث ورباع قيل وانما جعلهم أولي أجنحة لأنه لما جعلهم رسلا جعل لهم أجنحة ليكون أسرع لنفاذ الأمر وسرعة انفاذ القضاء فان المسافة التي بين السماء والأرض لا تقطع بالأقدام الا في سنين فجعلت لهم الأجنحة حتى ينالوا المكان البعيد في الوقت القريب كالطير * يزيد في الخلق ما يشاء تقرير لما يقع في النفوس من التعجب والاستغراب من خبر الملائكة أولي أجنحة أي ليس هذا ببدع في قدرة الله فانه يزيد في خلقه ما يشاء والظاهر عموم الخلق * وقال الفراء هذا في الأجنحة التي للملائكة أي يزيد في خلق الملائكة الأجنحة وقالوا في هذه الزيادة الخلق الحسن أو حسن الصوت أو حسن الخط أو الملاحة في العينين أو الأنف أو خفة الروح أو الحسن أو جعودة الشعر أو العقل أو العلم أو الصنعة أو العفة في الفقراء والحلاوة في الفم وهذه الأقوال على سبيل التمثيل لا الحصر والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق وقد شرحوا هذه الزيادة بالأشياء المستحسنة وما يشاء عام لا يخص مستحسنا دون غيره وختم الآية بالقدرة على كل شيء يدل على ذلك والفتح والارسال استعارة للاطلاق فلا مرسل له مكان لا فاتح له والمعنى أي شيء يطلق الله من رحمة أي نعمة و رزق أو مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وما روى عن المفسرين المتقدمين من تفسير رحمة بشيء معين فليس على الحصر منه انما هو مثال * قال الزمخشري وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال من أية رحمة كانت سماوية أو أرضيه فلا يقدر أحد على امساكها وحبسها وأي شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على اطلاقه انتهى والعموم مفهوم من اسم الشرط ومن رحمة لبيان ذلك العام من أي صنف هو وهو مما اجتزئ فيه بالنكرة المفردة عن الجمع المعرف المطابق في العموم لاسم الشرط وتقديره من الرحاب ومن في موضع الحال أي كائنا من الرحاب ولا يكون في موضع الصفة لأن اسم الشرط لا يوصف والظاهر أن قوله وما يمسك عام في الرحمة وفي غيرها لأنه لم يذكر له تبيين فهو باق على العموم في كل ما يمسك فان كان تفسيره من رحمة وحذفت لدلالة الأول عليه فيكون تذكير الضمير في فلا مرسل له من بعده حملا على لفظ ما وأنث في فلا ممسك لها على معنى ما لأن معناها الرحمة وقرئ فلا مرسل لها بتأنيث الضمير وهو دليل على أن التفسير هو من رحمة وحذف لدلالة ما قبله عليه * وعن ابن عباس من رحمة من باب توبة فلا ممسك لها أي يتوبون ان شاؤا وان أبوا وما يمسك من باب فلا مرسل له من بعده فهم لا يتوبون وعنه أيضا من رحمة من هداية * قال الزمخشري (فان قلت) فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس (قلت) أراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي أراده ابن عباس ان قاله فمقبول وان أراد أنه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لأن الله تعالى يشاء التوبة أبدا ولا يجوز عليه أن لا يشاءها انتهى وهو على طريقة الاعتزال من بعده هو على حذف مضاف أي من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله أي من بعد اضلال الله اياه لان قبله وأضله الله على علم كقوله ومن يضلل الله فلا هادي له وقدره الزمخشري من بعد هدايته الله وهو تقدير فاسد لا يناسب الآية جرى فيه على طريقه الاعتزال وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما اقتضته حكمته * يا أيها الناس خطاب لقريش وهو متجه لكل مؤمن وكافر ولاسيما من عبد غير الله وذكرهم بنعمه في ايجادهم واذكروا ليس أمرا بذكر اللسان ولكن به و بالقلب وبحفظ النعمة من كفرانها وشكرها كقولك لمن أنعمت عليه اذكر أيادي عندك تريد حفظها وشكرها والجميع مغمورون في نعمة الله فالخطاب عام اللفظ وان كان نزل ذلك بسبب قريش ثم استفهم على

جهة التقرير هل من خالق غير الله أي فلا اله الا الخالق ماتعبدون أنتم من الأصنام * وقرأ ابن وثاب وشقيق وأبو جعفر وزيد بن علي وحمزة والكسائي غير بالخفض نعتا على اللفظ ومن خالق مبتدأ ويرزقكم جوزوا أن يكون خبر المبتدأ وأن يكون صفته وأن يكون مستأنفا والخبر على هذين الوجهين محذوف تقديره لكم * وقرأ شيبة وعيسى والحسن وباقي السبعة غير بالرفع وجوزوا أن يكون نعتا على الموضع كما كان الخبر نعتا على اللفظ وهذا أظهر لتوافق القراءتين وأن يكون خبر المبتدأ وأن يكون فاعلا باسم الفاعل الذي هو خالق لأنه قد اعتمد على أداة الاستفهام فحسن إعماله كقولك أقائم زيد في أحد وجهيه وفي هذا نظر وهو أن اسم الفاعل أو ما جرى مجراه اذا اعتمد على أداة الاستفهام وأجرى مجرى الفعل فرفع ما بعده هل يجوز أن تدخل عليه من التي للاستغراق فتقول هل من قائم الزيدون كما تقول هل قائم الزيدون والظاهر أنه لا يجوز ألا ترى أنه اذا جرى مجرى الفعل لا يكون فيه عموم خلافه اذا أدخلت عليه من ولا أحفظ مثله في لسان العرب وينبغي أن لا يقدم على اجازة مثل هذا الا بسماع من كلام العرب * وقرأ الفضل بن ابراهيم النحوي غير بالنصب على الاستثناء والخبر اما يرزقكم وإما محذوف ويرزقكم مستأنف واذا كان يرزقكم مستأنفا كان أولى لانتفاء صدق خالق على غير الله بخلاف كونه صفة فان الصفة تقيد فيكون ثم خالق غير الله لكنه ليس برازق ومعنى من السماء بالمطر والأرض بالنبات لا اله الا هو جملة مستقلة لا موضع لها من الاعراب فأنى يؤفكون أي كيف يصرفون على التوحيد الى الشرك وان يكذبوك الى الأمور تقدم الكلام على ذلك ان وعد الله حق شامل لجميع ما وعد من ثواب وعقاب وغير ذلك * وقرأ الجمهور الغرور بفتح الغين وفسره ابن عباس بالشيطان * وقرأ أبو حيوة وأبو السمال بضمها جمع غار أو مصدرا كقوله فدلاهما بغرور وتقدم الكلام على ذلك في آخر لقمان * ان الشيطان لكم عدو عداوته سبقت لابينا آدم وأي عداوة أعظم من أن يقول في بنيه لاغوينهم أجمعين ولاضلهم * فاتخذوه عدوا أي بالمقاطعة والمخالفة باتباع الشرع ثم بين أن مقصوده في دعاء حزبه انما هو تعذيبهم في النار يشترك هو وهم في العذاب فهو حريص على ذلك أشد الحرص حتى يبين صدق قوله في فلاغوينهم ولاضلهم لأن الاشتراك فيما يسوء مما قد يتسلى به بخلاف المنفرد بالعذاب ثم ذكر الفريقين وما أعد لهما من العقاب والثواب وبدأ بالكفار لمجاورة قوله انما يدعو حزبه فاتبع خبر الكافر بحاله في الآخرة * قال ابن عطيه واللام في ليكونوا لام الصيرورة لانه لم يدعهم الى السعير انما اتفق ان صار أمرهم عن دعائه الى ذلك انتهى ونقول هو مما عبر فيه عن السبب بما تسبب عنه دعاؤهم الى الكفر وتسبب عنه العذاب والذين كفروا والذين آمنوا مبتدآن وجوز بعضهم في الذين كفروا أن يكون في موضع خفض بدلا من أصحاب السعير أو صفة وفي موضع نصب بدلا من حزبه وفي موضع رفع بدلا من ضمير ليكونوا وهذا كله بمعزل من فصاحة التقسيم وجزالة التركيب * أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا أي فرأى سوء عمله حسنا ومن مبتدأ موصول وخبره محذوف فالذي يقتضيه النظر أن يكون التقدير كمن لم يزين له كقوله أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى أومن كان ميتا فأحييناه ثم قال كمن مثله في الظلمات وقدره الكسائي أي تقديره تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم وقيل التقدير فرآه حسنا فأضله الله كمن هداه الله فحذف ذلك لدلالة فان الله يضل من يشاء وذكره من الوجهين الزجاج وشرح الزمخشري هذا يضل من يشاء على

﴿ والله الذى أرسل الرياح ﴾ الآية لما ذكر أشياء من الأمور السماوية وارسال الملائكة ذكر أشياء من الأمور الأرضية الرياح وارسالها وفى هذا احتجاج على منكرى البعث ودلهم على المثال الذى يعاينوه وهو واحياء الموتى سيان وفى الحديث أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بوادى أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته فى خلقه والكلم الطيب التوحيد والتحميد وذكر الله ونحو ذلك وصعود الكلم اليه تعالى مجاز فى الفاعل وفى المنتهى اليه لانه تعالى ليس فى جهة ولان الكلم ألفاظ لا توصف بالصعود لان الصعود انما يكون من الاجرام وانما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شأنه ومنه ترافعوا الى الحاكم ورفع الامر اليه وليس هناك علو فى الجهة ومكر لازم والسيئات (٣٠١) نعت لمصدر محذوف أى المكرات السيئات أو لمضاف الى المصدر أى أصناف المكر السيئات أو ضمن يمكرون معنى يكتسبون فنصب السيئات مفعولا به واذا كانت السيئات نعتا للمصدر أو لمضاف للمصدر فالظاهر انه عنى به مكرات قريش فى دار الندوة اذ تذاكروا احدى ثلاث مكرات وهى المذكورة فى الانفال اثباته أو قتله أو اخراجه و ﴿ أولئك ﴾ اشارة الى الذين مكروا تلك المكرات ﴿ يبور ﴾ أى يفسد ويهلك ويكسدون مكر الله تعالى بهم اذ أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم فى قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ومن فى من معمر زائدة وسماه بما يؤول اليه وهو الطويل العمر والظاهر أن الضمير فى من عمره عائد على معمر لفظا ومعنى * قال الزمخشرى ويجوز فى حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبر لولا أن المعنى يأباه انتهى أما كونه صفة فلا يجوز لان اسم الله علم والعلم لا يوصف به وليس اسم جنس كرجل فتتخيل فيه الصفة وأما قوله لولا أن المعنى يأباه فلا يأباه المعنى لانه يكون قد أخبر بأن المشار

طريقته فى غير موضع من كتابه من أن الاضلال هو خذلانه وتخليته وشأنه وأتى بألفاظ كثيرة فى هذا المعنى * وقرأ الجمهور أفمن زين مبنيا للمفعول سوء رفع * وقرأ عبيد بن عمير زين له سوء مبنيا للفاعل ونصب سوء وعنه أيضا أسوأ على وزن أفعل منصوبا وأسوأ عمله هو الشرك وقراءة طلحة أمن بغير فاء قال صاحب اللوامح للاستخبار بمعنى العامة للتقرير ويجوز أن يكون بمعنى حرف النداء فحذف التمام كما حذف من المشهور الجواب انتهى ويعنى بالجواب خبر المبتدأ وبالتمام ما يؤدى لاجله أى تفكر وارجع الى الله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء تسلية للرسول عن كفر قومه ووجوب التسليم لله فى اضلاله من يشاء وهدايته من يشاء * وقرأ الجمهور فلا تذهب نفسك مبنيا للفاعل من ذهب ونفسك فاعل * وقرأ أبو جعفر وقتادة وعيسى والاشهب وشيبة وأبو حيوة وحميد والاعمش وابن محيصن تذهب من أذهب مسند الضمير المخاطب نفسك نصب ورويت عن نافع والحسرة هم النفس على فوات أمر وانتصب حسرات على أنه مفعول من أجله أى فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم متعلق بتذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا أو هو بيان للمتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات لانه مصدر فلا يتقدم معموله * وقال الزمخشرى ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا

يريد رجعن كلاكلا وصدورا أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله

فعلى إثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام

انتهى وما ذكر من أن كلاكلا وصدورا حالان هو مذهب سيبويه * وقال المبرد هو تمييز منقول من الفاعل أى حتى ذهبت كلاكلها وصدورها * ثم توعدهم بالعقاب على سوء صنعهم فقال ان الله عليم بما يصنعون أى فيجازيهم عليه ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور * من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور * والله خلقكم

(الدر) (ش) ويجوز أن يكون حالا كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير

مشق الهواجر لحمهن مع السرى * حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا أى لم يبق الا كلاكلها وصدورها * ومنه قوله فعلى إثرهم تساقط نفسى * حسرات وذكرهم لى سقام انتهى (ح) ما ذكره من أن كلاكلا وصدورا حالان هو مذهب سيبويه وقال المبرد هو تمييز منقول من الفاعل أى حتى ذهبت كلاكلها وصدورها

من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير * وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه مايملكون من قطمير * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير * لما ذكر أشياء من الأمور السماوية وارسال الملائكة ذكر أشياء من الأمور الارضية الرياح وارسالها وفى هذا احتجاج على منكرى البعث دلهم على المثال الذى يعاينونه وهو واحياء الموتى سيان وفى الحديث انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال هل مررت بوادى أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا فقالوا نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته فى خلقه قيل أرسل فى معنى يرسل ولذلك عطف عليه فتثير وقيل جىء بالمضارع حكاية حال يقع فيها اثارة الرياح السحاب ويستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية ومنه فتصبح الارض مخضرة * قال الزمخشرى وكذا يفعلون بكل فعل فيه نوع تمييز خصوصية بحال يستغرب أو يتهم المخاطب أو غير ذلك كما قال تأبط شرا

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بشهب كالصحيفة صحصحان

فأضربها بلادهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

لانه قصد أن يصور لقومه الحالة التى يتشجع فيها ابن عمه على ضرب الغول كأنه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراءته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا وأحيينا معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ماهو أدخل فى الاختصاص وأدل عليه انتهى * وقال أبو عبد الله الرازى ما ملخصه أى أرسل بلفظ الماضى لما أسند الى الله وما يفعله تعالى بقوله كن لا يبقى زمانا ولا جزء زمان فلم يأت بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة كونه ولأنه فرغ من كل شئ فهو قدر الارسال فى الاوقات المعلومة والى المواضع المعينة ولما أسند الاثارة الى الريح وهى تؤلف فى زمان قال فتثير وأسند أرسل الى الغائب وفى فسقناه وفأحيينا الى المتكلم لانه فى الاول عرف نفسه بفعل من الأفعال وهو الارسال ثم لما عرف قال أنا الذى عرفتنى سقت السحاب فاحييت الارض ففى الاول تعريف بالفعل العجيب وفى الثانى تذكير بالبعث وفسقناه وفأحيينا بصيغة الماضى يؤيد ماذكرنا من الفرق بين فتثير وأرسل انتهى وهذا الذى ذكر من الفرق بين أرسل وفتثير لا يظهر ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة الروم الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا وفى الاعراف وهو الذى يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته كيف جاء فى الارسال بالمضارع وانما هذا من التفنن فى الكلام والتصرف فى البلاغة وأما الخروج من ضمير الغائب الى ضمير المتكلم المعظم نفسه فهو من باب الالتفات وكذلك ما فى الاعراف فسقناه الى بلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات وأما قوله وما يفعله تعالى الى آخره وكل فعل وان كان أسند الى غيره مجازا فهو فعله حقيقة ولا فرق بين مايسنده الى ذاته وبين مايسنده الى غيره لان جميع ذلك هو يحدثه وخلقه و لنشور مصدر نشر الميت واحيى قال الاعشى

اليه بتلك الصفات والافعال المذكورة ربكم أى مالككم ومصلحكم وهذا معنى لائق سائغ والقطمير هو القمع الذى فى رأس الثمرة وقال مجاهد لفافة النواة وقيل غير ذلك ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ الخبير هنا أراد به تعالى نفسه فهو الخبير الصادق الخبر نبأ بهذا فلاشك فى وقوعه

حتى يقول الناس مما رأوا * ياعجبا للميت الناشر

والنشر مبتدأ والجار والمجرور قبله في موضع الجر والتشبيه وقع لجهات لما قبلت الارض الميتة الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة أو كما أن الريح يجمع قطع السحاب كذلك تجمع أجزاء الاعضاء وأبعاض الاشياء أو كما يسوق الرياح والسحاب الى البلد الميت يسوق الروح والحياة الى البدن * من كان يريد العزة أي المغالبة فلله العزة أي ليست لغيره ولا تتم الا به والمغالب مغلوب ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الاوثان وهذا تمثيل لقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * وقال قتادة من كان يريد العزة وطريقها القويم ويحب نيلها فلله العزة أي به وعن أمره لاتنال عزته الابطاعته * وقال الفراء من كان يريد علم العزة فلله العزة أي هو المتصف بها وقيل من كان يريد العزة أي لايعقبها ذلة ويصاربها للذلة * وقال الزمخشري كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالستهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين أن لاعزة الالله ولاوليائه وقال فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين انتهى * ولاتنافي بين قوله فان العزة لله جميعا وان كان الظاهر أنها له لالغيره وبين قوله فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين وان كان يقتضي الاشتراك لأن العزة في الحقيقة لله بالذات وللرسول بواسطة قربه من الله وللمؤمنين بواسطة الرسول فالمحكوم عليه أولا غير المحكوم عليه ثانيا ومن اسم شرط وجملة الجواب لابد أن يكون فيها ضمير يعود على اسم الشرط اذا لم يكن ظرفا والجواب محذوف تقديره على حسب تلك الاقوال السابقة فعلى قول مجاهد فهو مغلوب وعلى قول قتادة فيطلبها من الله وعلى قول الفراء فلينسب ذلك الى الله وعلى القول الرابع فهو لاينالها وحذف الجواب استغناء عنه بقوله فلله العزة جميعا لدلالته عليه والظاهر من هذه الاقوال قول قتادة فليطلبها من العزة له يتصرف فيها كما يريد كما قال تعالى وتعز من تشاء وتذل من تشاء وانتصب جميعا على المراد والمراد عزة الدنيا وعزة الآخرة والكلم الطيب التوحيد والتمجيد وذكر الله ونحو ذلك * وقال ابن عباس شهادة أن لااله الا الله وقيل ثناؤ بالخير على صالحي المؤمنين * وقال كعب ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوي النحل بذكر صاحبها * وقرأ الجمهور يصعد مبنيا للفاعل من صعد الكلم الطيب مرفوعا الكلم جمع كلمة * وقرأ علي وابن مسعود والسلمي وابراهيم يصعد من أصعد الكلام الطيب على البناء للمفعول انتهى * وقرأ زيد بن علي يصعد من صعد الكلام رفي وصعود الكلام اليه تعالى مجاز في الفاعل وفي المسمى اليه لانه تعالى ليس في جهة ولان الكلم ألفاظ لاتوصف بالصعود لان الصعود من الاجرام يكون وانما ذلك كناية عن القبول ووصفه بالكمال كما يقال علا كعبه وارتفع شأنه ومنه ترافعوا الى الحاكم ورفع الامر اليه وليس هناك علو في الجهة * وقرأ الجمهور والعمل الصالح يرفعه فالعمل مبتدأ ويرفعه الخبر وفاعل يرفعه ضمير يعود على العمل الصالح وضمير النصب يعود على الكلم أي يرفع الكلم الطيب قاله ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد والضحاك * وقال الحسن يعرض القول على الفعل فان وافق القول الفعل قبل وان خالف رد * وعن ابن عباس نحوه قال اذا ذكر الله العبد وقال كلاما طيبا وأدى فرائضه ارتفع قوله مع عمله واذا قال ولم يؤد فرائضه رد قوله على عمله وقيل عمله أولى به * قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولايصح عن ابن عباس والحق أن

القاضي لفراشه اذا ذكر الله وقال كلاماطيبا فانه مكتوب له متقبل وله حسناته وعليه سيئاته والله يتقبل من كل من اتقى الشرك * وقال أبو صالح وشهر بن حوشب عكس هذا القول ضمير الفاعل يعود على الكلم وضمير النصب على العمل الصالح أي يرفعه الكلم الطيب * وقال قتادة ان الفاعل هو ضمير يعود على الله والهاء للعمل الصالح أي يرفعه الله اليه أي يقبله * وقال ابن عطية هذا أرجح الاقوال من ابن عباس والعمل الصالح يرفع عامله ويشرفه فجعله على حذف مضاف ويجوز عندي أن يكون العمل معطوفا على الكلم الطيب أي يصعدان الى الله ويرفعه استئناف اخبار أي يرفعهما الله ووحد الضمير لاشتراكهما في الصعود والضمير قد يجري مجرى اسم الاشارة فيكون لفظه مفردا والمراد به التثنية فكأنه قيل ليس صعودهما من ذاتهما بل ذلك برفع الله اياهما وقرأ عيسى وابن أبي عبلة والعمل الصالح بنصبهما على الاشتغال فالفاعل ضمير الكلم أو ضمير الله ومكر لازم والسيئات نعت لمصدر محذوف أي المكرات السيئات أو المضاف الى المصدر أي أضاف المكر الى السيئات أوضمن يمكرون معنى يكتسبون فنصب السيئات مفعولا به واذا كانت السيئات نعتا لمصدر أو لمضاف لمصدر فالظاهر أنه عنى به مكرات قريش في دار الندوة اذ تذاكروا احدى ثلاث مكرات وهي المذكورة في الانفال اثباته أو قتله أو اخراجه وأولئك اشارة الى الذين مكروا تلك المكرات * يبور أي يفسد ويهلك دون مكر الله بهم اذ أخرجهم من مكة وقتلهم وأثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وهو مبتدأ ويبور خبره والجملة خبر عن قوله ومكر أولئك * وأجاز الحوفي وأبو البقاء أن يكون هو فاصلة ويبور خبر ومكر أولئك والفاصلة لا يكون ما بعدها فعلا ولم يذهب الى ذلك أحد فيما علمناه الا عبد القاهر الجرجاني في شرح الايضاح له فانه أجاز في كان زيد هو يقوم أن يكون هو فصلا ورد ذلك عليه * والله خلقكم من تراب من حيث خلق أبينا آدم * ثم من نطفة أي بالتناسل * ثم جعلكم أزواجا أي أصنافا ذكرانا واناثا كما قال أو يزوجهم ذكرانا واناثا * وقال قتادة قدر بينكم الزوجية وزوج بعضكم بعضا ومن في من معمر زائدة وسماه بما يؤول اليه وهو الطويل العمر والظاهر أن الضمير في من عمره عائد على معمر لفظا ومعنى * وقال ابن عباس وغيره يعود على معمر الذي هو اسم جنس والمراد غير الذي يعمر فالقول تضمن شخصين يعمر أحدهما مائة سنة وينقص من الآخر * وقال ابن عباس أيضا وابن جبير وأبو مالك المراد شخص واحد أي يحصى ما مضى منه اذا مر حول كتب ذلك ثم حول فهذا هو النقص وقال الشاعر

حياتك أنفاس تعد فكلما * مضى نفس منك انتقصت به جزأ

وقال كعب الاحبار معنى ولا ينقص من عمره لا يخترم بسببه قدرة الله ولو شاء لأخر ذلك السبب * وروى أنه قال لما طعن عمر رضي الله عنه لو دعا الله لزاد في أجله فانكر المسلمون عليه ذلك وقالوا ان الله تعالى يقول فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فاحتج بهذه الآية * قال ابن عطية وهو قول ضعيف مردود يقتضي القول بالأجلين وبنحوه تمسك المعتزلة * وقرأ الجمهور ولا ينقص مبنيا للمفعول وقرأ يعقوب وسلام وعبد الوارث وهرون كلاهما عن أبي عمرو ولا ينقص مبنيا للفاعل * وقرأ الحسن من عمره الا في كتاب * قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ * وقال الزمخشري يجوز أن يريد بكتاب الله علم الله أو صحيفة الانسان انتهى * وما يستوي البحران هذه آية أخرى يستدل بها على كل عاقل انه مما لا مدخل لصنم فيه وتقدم شرح هذا

عذب فرات وشرح وهذا ملح أجاج في سورة الفرقان وهنا بين القسمين صفة العرب و بين قوله سائغ شرابه * وقرأ الجمهور سائغ اسم فاعل من ساغ * وقرأ عيسى سيغ على وزن فيعل كيت وجاء كذلك عن أبي عمرو وعاصم وقرأ عيسى أيضا سيغ مخففا من المشدد كميت مخفف ميت * وقرأ الجمهور ملح وأبو نهيك وطلحة بفتح الميم وكسر اللام وقال أبو الفضل الرازي وهي لغة شاذة ويجوز أن يكون مقصورا من مالح فحذف الألف تخفيفا وقد يقال ماء ملح في الشذوذ وفي المستعمل مملوح * وقال الزمخشري ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على صفة الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته وعطائه ومن كل من شرح الزمخشري ألفاظا من الآية تكررن في سورة النحل ثم قال ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو أن يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الأجاج على الكافر بأنه قد شارك العذب في منافع من السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك الآية انتهى لتبتغوا من فضله يريد التجارات والحج والغزو أو كل سفر له وجه شرعي * يولج الليل في النهار تقدم شرح هذه الجمل ولما ذكر أشياء كثيرة تدل على قدرته الباهرة من ارسال الرياح والايجاد من تراب وما عطف عليه وايلاج الليل في النهار وتسخير الشمس والقمر أشار الى أن المتصف بهذه الأفعال الغريبة هو الله فقال ذلكم الله ربكم له الملك وهي أخبار مترادفة والمبتدأ ذلكم والله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأ في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير * قال الزمخشري ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة وعطف بيان وربكم خبر لولا أن المعنى يأباه انتهى أما كونه صفة فلا يجوز لأن الله علم والعلم لا يوصف به وليس اسم جنس كالرجل فتتخيل فيه الصفة وأما قوله لولا ان المعنى يأباه فلا يظهر ان المعنى يأباه لانه يكون قد أخبر بأن المشار اليه بتلك الصفات والأفعال المذكورة ربكم أي مالككم أو مصلحكم وهذا معنى لائق سائغ والذين يدعون من دونه هي الأوثان * وقرأ الجمهور تدعون بتاء الخطاب وعيسى وسلام ويعقوب بياء الغيبة * وقال صاحب الكامل أبو القاسم بن جبارة يدعون بالياء اللؤلؤي عن أبي عمرو وسلام والنهاوندي عن قتيبة وابن الجلاء عن نصير وابن حبيب وابن يونس عن الكسائي وأبو عمارة عن حفص * والقطمير تقدم شرحه * وقال جويبر عن رجاله والضحاك هو القمع الذي في رأس الثمرة * وقال مجاهد لفافة النواة وقيل الذي بين قمع الثمرة والنواة وقيل قشر الثوم وأياما كان فهو تمثيل للقليل وقال الشاعر

وأبوك يخصف نعله متوركا * ما يملك المسكين من قطمير

لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا هذا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لانهم لا يدعون لهم من الالهية ويتبرؤون منها وقيل ما نفعوكم وأضاف المصدر في شرككم أي باشراككم لهم مع الله في عبادتكم اياهم كقوله ما كنتم إيانا تعبدون فهي اضافة الى الفاعل وقوله يكفرون يحتمل أن يكون بما يظهر هنالك من جمودها وبطئها عند حركة ناطق ومدافعة كل محتج فيجيء هذا على طريق التجوز كقول ذي الرمة

وقفت على ربع لمية ناطق * تخاطبني آثاره وأخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمني أحجاره وملاعبه

ولا ينبئك مثل خبير * قال قتادة وغيره من المفسرين الخبير هنا أراد به تعالى نفسه فهو الخبير

الدر

(ش) ويجوز في حكم الاعراب ارتفاع اسم الله صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبر لولا ان المعنى يأباه انتهى (ح) أما كونه صفة فلا يجوز لان الله علم والعلم لا يوصف به وليس اسم جنس كالرجل فتتخيل فيه الصفة وأما قوله لولا أن المعنى يأباه فلا يظهر أن المعنى يأباه لانه يكون قد أخبر بأن المشار اليه بتلك الصفة والأفعال المذكورة ربكم أي مالككم أو مصلحكم وهذا معنى لائق سائغ

﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله﴾ هذه آية موعظة وتذكير وان بجميع الناس محتاجون الى احسان الله تعالى والعامه فى جميع أحوالهم ﴿ان يشأ يذهبكم﴾ تقدم الكلام عليه وعلى ولا تزر وازرة ﴿وان تدع مثقلة﴾ أى نفس مثقلة بحملها ﴿الى حملها﴾ أى الى حمل حملها ﴿لا يحمل منه شئ﴾ أى لا غياث يومئذ لمن استغاث ولا اعانة حتى أن نفسا قد أثقلتها الأوزار لو دعت أن يخفف عنها بعض وزرها لم تجب لذلك وان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ والآية قبلها فى الدلالة على عدل الله تعالى فى حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وهذه فى نفى الاغاثة والحمل ما كان على الظهر من الاجرام فاستعير للمعانى كالذنوب ونحوها فيجعل كل محمول متصلا بالظهر كقوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم كما جعل كل اكتساب منسوبا الى اليد واسم كان ضمير يعود على المدعو المفهوم من قوله وان تدع ﴿وما يستوى الأعمى والبصير﴾ الآية قال أبو عبد الله الرازى وترتيب هذه المنفى هنا الاستواء فى غاية الفصاحة ذكر الاعمى والبصير مثلا للمؤمن والكافر ثم البصير ولو كان حديد النظر لا يبصر الا فى ضوء فذكر ماهو فيه الكافر من ظلمة الكفر وماهو فيه المؤمن من نور الايمان ثم ذكر مآلهما وهو أن المؤمن بايمانه فى ظل وراحة والكافر بكفره فى حر وتعب ثم ذكر مثلا آخر فى حق المؤمن والكافر وذلك أن حال المؤمن والكافر فوق حال الاعمى والبصير اذ الأعمى قد يشارك البصير فى ادراك ما والكافر غير مدرك ادراكا نافعا فهو كالميت ولذلك أعاد الفعل فقال وما يستوى الاحياء ولا الاموات كانه جعله مقام سؤال وكرر لا فيما كرر لتأكيد المنافاة فالظلمات تنافى النور وتضاده والظل والحرور كذلك والأعمى والبصير ليسا كذلك لان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يعرض له العمى فلا منافاة الا من حيث الوصف والمنافاة بين الظل والحرور دائمة لان المراد من الظل عدم الحر والبرد فلما كانت المنافاة أتم أكد بالتكرار وأما الاحياء والأموات من حيث أن الجسم الواحد يكون محلا للحياة فيصير بالموت فالمنافاة بينهما أتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لان هذين قد يشتركان فى ادراك ما ولا كذلك الحى والميت فالميت يخالف الحى فى الحقيقة لا فى الوصف على ماتبين فى الحكمة الالهية وقدم الاشرف فى مثلين وهو الظل والحى وأخر فى مثلين وهما البصير والنور فلا يقال لاجل السجع لان معجزة القرآن ليست فى مجرد اللفظ بل فيه وفى المعنى ثم لما ذكر المثال والمرجع قدم مايتعلق بالرحمة على مايتعلق بالغضب كما جاء سبقت رحمتى غضبى فقدم الظل على الحرور ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الاعمى وشابه الاموات فى عدم ادراك الحق فقال ومايستوى الاحياء وهم الذين آمنوا أى بما أنزل الله ولا الاموات الذين تليت عليهم الآيات البينات ولم ينتفعوا بها وهؤلاء كانوا بعدا بمان من آمن فأخرهم لوجود حياة المؤمنين قبل ممات الكافرين وأفرد الأعمى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس اذ قد يوجد فى أفراد العميان مايساوى به بعض أفراد البصراء كأعمى عنده من الذكاء مايساوى به البصير البليد فالتفاوت بين الجنسين مقطوع به لا بين الافراد وجمعت الظلمات لان طرق الكفر متعددة وأفرد النور لان التوحيد والحق واحد والتفاوت بين كل فرد من تلك الافراد وبين هذا الواحد فقال الظلمات كلها لا تجد فيها مايساوى هذا النور وأما الاحياء والاموات فالتفاوت بينهم أكبر إذ ما ميت يساوى فى الادراك حيا فذكر أن الاحياء لا يساوون الاموات سواء قابلت الجنس بالجنس أم قابلت الفرد بالفرد

الصادق الخبر نبأ بهذا فلا شك فى وقوعه * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون قوله ولا ينبئك مثل خبير من تمام ذكر الاصنام كأنه قال فلا يخبرك مثل من يخبرك عن نفسه أى لا يصدق فى تبرئها من شرككم منها فيريد بالخبير على هذا المثل لهما كأنه قال ولا ينبئك مثل خبير عن نفسه وهى قد أخبرت عن نفسها بالكفر بهؤلاء * وقال الزمخشرى لا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد أن الخبير بالامر هو الذى يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى أن هذا الذى أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لانى خبير بما أخبر به * وقال فى التجريد يحتمل وجهين أن يكون ذلك خطابا للرسول لما أخبر بأن الخشب والحجر يوم القيامة ينطق ويكذب عابده وهو أمر لا يعلم بالعقل المجرد لولا اخبار الله عنه قال تعالى انهم بربهم يكفرون أى يكفرون بهم يوم القيامة وهذا القول مع كون المخبر عنه أمرا عجيبا هو كما قال لان المخبر عنه خبير والثانى أن يكون خطابا ليس مختصا بأحد أى هذا الذى ذكرهو كما ذكر لا ينبئك أيها السامع كائنا من كنت مثل خبير ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد * ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز * ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير * وما يستوى

الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات ان الله
يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور * ان أنت الا نذير * انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
وان من أمة الا خلا فيها نذير * وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر
وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ هذه آية موعظة وتذكير وأن جميع
الناس محتاجون الى احسان الله تعالى وانعامه فى جميع أحوالهم لا يستغنى أحد عنه طرفة عين وهو
الغنى عن العالم على الاطلاق وعرّف الفقراء ليريهم شدة افتقارهم اليه اذهم جنس الفقراء وان
كان العالم بأسره مفتقرا اليه فلضعفهم جعلوا كأنهم جميع هذا الجنس ولو نكر لكان المعنى أنتم
بعض الفقراء وقوبل الفقراء بالغنى ووصف بالحميد دلالة على أنه جواد منعم فهو محمود على ما يسديه
من النعم مستحق للحمد ولما ذكر أنه الغنى على الاطلاق ذكر ما يدل على استغنائه عن العالم وأنه
ليس بمحتاج اليهم فقال ان يشأ يذهبكم أى ان يشأ اذهابكم يذهبكم وفى هذا وعيد باهلاكهم * وما
ذلك أى اذهابكم والاتيان بخلق جديد بعزيز أى بممتنع عليه اذ هو المتصف بالقدرة التامة فلا يمتنع
عليه شئ مما يريده ومعنى بخلق جديد بدلكم لقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم * وعن ابن
عباس بخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيأ * وقد جاء هذا المعنى من ذكر الاذهاب بعد وصفه تعالى
بالغنى فى قوله تعالى وربك الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء وجاء أيضا
تعليق الاذهاب مختوما آخر الآية بذكر القدرة الدالة على ذلك فى قوله ان يشأ يذهبكم أيها الناس
ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا * روى أن الوليد بن المغيرة قال لقوم من المؤمنين
اكفروا بمحمد وعلىّ وزركم فنزلت وأخبر تعالى لا يحمله أحد عن أحد * قال ابن عباس ومجاهد
وقتادة هذه الآية فى الذنوب والجرائم ويقال وزر الشئ حمله ووازرة صفة لمحذوف أى نفس وازرة
حملة وذكر الصفة ولم يذكر الموصوف مقتصرا عليه لأن المعنى أن كل نفس لا ترى الا حاملة وزرها
لا وزر غيرها فلا يؤاخذ نفسا بذنب نفس كما يأخذ جبابرة الدنيا الجار بالجار والصديق بالصديق
والقريب بالقريب * وقال ابن عطية ومن تطرف من الحكام الى أخذ قريب بقريبه فى جريمة
كفعل زياد ونحوه فانما ذلك ظلم لان المأخوذ ربما أعان المجرم بموازرة ومواصلة أو اطلاع على حاله
وتقرير له فهو قد أخذ من الجرم بنصيب انتهى * وكأن ابن عطيه تأول أفعال زياد وما فعل فى
الاسلام وكانت سيرته قريبة من سيرة الحجاج ولا منافاة بين هذه الآية والتى فى العنكبوت لأن تلك
فى الضالين المضلين يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم فكل ذلك أثقالهم ما فيها من ثقل
غيرهم شئ ألا ترى وما هم بحاملين من خطاياهم من شئ * وان تدع مثقلة أى نفس مثقلة بحملها الى
حملها لا يحمل منه شئ أى لا غياث يومئذ لمن استغاث ولا اعانة حتى ان نفسا قد أثقلتها الأوزار لو
دعت الى أن يخفف بعض وزرها لم تجب وان كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ والآية
قبلها فى الدلالة على عدل الله فى حكمه وانه لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها وهذه فى نفى الاعانة والحمل ما كان
على الظهر فى الأجرام فاستعير للمعانى كالذنوب ونحوها فيجعل كل محمول متصلا بالظهر كقوله وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم كما جعل كل اكتساب منسوبا الى اليد * وقرأ الجمهور لا يحمل
بالياء مبنيا للمفعول وأبو السمال عن طلحة وابراهيم بن زاذان عن الكسائى بفتح التاء من فوق
وكسر الميم وتقتضى هذه القراءة نصب شئ كما قتضت قراءة الجمهور رفعه والفاعل يحمل ضمير
عائد على مفعول تدع المحذوف أى وان تدع مثقلة نفسا أخرى الى حملها لم تحمل منه شيأ واسم كان

انتهى كلامه ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿ ان الله يسمع من يشاء ﴾ أى اسماع هؤلاء منوط بمشيئتنا وكنى بالاسماع عن الذى تكون عنده الاجابة للايمان ولما ذكر انه ما يستوى الاحياء ولا الاموات قال ﴿ وما أنت بمسمع من فى القبور ﴾ أى هؤلاء من عدم اصغائهم الى سماع الحق بمنزلة من قد ماتوا وأقاموا فى قبورهم فكما أن من مات لا يمكن أن يقبل منه قول الحق فكذلك هؤلاء لأنهم أموات القلوب ﴿ وان من أمة ﴾ المعنى أن الدعاء الى الله تعالى لم ينقطع عن كل أمة اما بمباشرة من أنبيائهم واما بنقل الى وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وان يكذبوك ﴾ مسلاة له عليه السلام وتقدم الكلام عليه ﴿ فكيف كان نكير ﴾ توعد لقريش بما جرى لمكذبى رسلهم

﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾ الآية لما قرر تعالى وحدانيته بأدلة قررها وأمثال ضربها أتبعها بأدلة سماوية وأرضية فقال ألم تر وجدد جمع جدة كدرة ودرر وهو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقال مختلف ألوانها لان البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف فأبيض لا يشبه أبيض وأحمر لا يشبه أحمر وان اشتركا فى القدر المشترك لكنه مشكك والظاهر عطف وغرابيب على حمر عطف ذى لون على ذى لون والظاهر أنه لما ذكر الغربيب وهو الشديد السواد لم يذكر فيه مختلف ألوانه لانه من حيث جعله شديد السواد وهو البالغ فى غاية السواد لم يكن له ألوان بل هذا لون واحد بخلاف البيض والحمر فانها تختلف والظاهر أن قوله بيض وحمر ليسا مجموعين فى جدة واحدة بل المعنى جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب ويقال أسود حلكوك واسود غربيب وسود توكيد لغرابيب ﴿ومن الناس والدواب﴾ عموم بعد خصوص ﴿والانعام﴾ خصوص بعد عموم ﴿كذلك﴾ أى كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله والوقف عليه حسن

وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون من الكلام الثانى يخرج مخرج السبب كأنه قال كما جاءت القدرة فى هذا كله ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ أى المخلصون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى وهذا الاحتمال لا يصح لان ما بعد انما لا يمكن أن يتعلق به المجرور قبلها ولو خرج مخرج السبب لكان التركيب كذلك يخشى الله من عباده أى كذلك الاعتبار والنظر فى مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله ولكن التركيب جاء بانما وهى تقطع هذا المجرور عما بعدها

﴿إن الذين يتلون﴾ ... يقرؤن كتاب الله أى يداومون تلاوته ولما ذكر تعالى وصفهم بالخشية وهى عمل القلب ذكر أنهم يتلون كتاب الله وهو عمل اللسان ويقيمون الصلاة وهى عمل الجوارح وينفقون وهو العمل المالى ﴿يرجون﴾ خبر ان وهذا اشارة الى الاخلاص أى ينفقون لا يقصدون بذلك الا وجه الله تعالى لا للرياء والسمعة ﴿لن تبور﴾ ولن تكسد ولا يتعذر الربح فيها بل ينفق عند الله تعالى ﴿ليوفيهم﴾ تعلق بيرجون ﴿ثم أورثنا﴾ وثم للمهلة فى الاخبار لا فى الزمان قال ابن عباس هم هذه الأمة أورثت أمة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب أنزله الله تعالى ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ وهو العاصى المسرف والمقتصد متقى الكبائر والسابق المتقى على الاطلاق والضمير فى فمنهم عائد على الذين أورثنا الكتاب واصطفاء هذه الأمة وجنات على هذا مبتدأ ويدخلونها الخبر و ... أن الضمير المرفوع فى يدخلونها عائد على الاصناف الثلاثة وقرأ عمر رضى الله عنه هذه الآية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له والحزن جمع الاحزان من أحزان ... الى ... أنه

ونذير بالوعيد انتهى ولا يمكن أن يتعلق بالحق هذا بشير ونذير معا بل ينبغى أن يتأول كلامه على أنه أراد أن ثم محذوفا والتقدير بالوعد الحق بشيرا وبالوعيد الحق نذيرا فحذف المقابل لدلالة مقابله عليه * وان من أمة الا خلا فيها نذير الامة الجماعة الكثيرة والمعنى أن الدعاء الى الله لم ينقطع عن كل أمة اما بمباشرة من أنبيائهم وما ينقل الى وقت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والآيات التى تدل على أن قريشا ما جاءهم نذير معناه لم يباشرهم ولا آباؤهم القريبين وأما أن النذارة انقطعت فلا ولما شرعت آثار النذارة تندرس بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وما ذكره أهل علم الكلام من حال أهل الفترات فان ذلك على حسب الفرض لانه واقع ولا توجد أمة على وجه الارض الا وقد عمت الدعوة الى الله وعبارته واكتفى بذكر نذير عن بشير لانها مشفوعة بها فى قوله بشيرا ونذيرا فدل ذلك على أنه مراد وحذف للدلالة عليه * وان يكذبوك تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على نظير هذه الجمل فى أواخر آل عمران وقوله فكيف كان نكير توعد لقريش بما جرى لمكذبى رسلهم * ﴿ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور * ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور * ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور * والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير * ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير * جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا

دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ لما قرر تعالى وحدانيته بأدلة قررها وأمثال ضربها أتبعها بأدلة سماوية وأرضية فقال ألم تر وهذا الاستفهام تقريري ولا يكون الا في الشيء الظاهر جدا والخطاب للسامع وتر من رؤية القلب لان اسناد انزاله تعالى لا يستدل عليه الا بالعقل الموافق للنقل وان كان انزال المطر مشاهدا بالعين لكن رؤية القلب قد تكون مسندة لرؤية البصر ولغيرها وخرج من ضمير الغيبة الى ضمير المتكلم في قوله فأخرجنا لما في ذلك من الفخامة اذ هو مسند للمعظم المتكلم ولأن نعمة الاخراج أتم من نعمة الانزال لفائدة الاخراج فأسند الاتم الى ذاته بضمير المتكلم وما دونه بضمير الغائب والظاهر أن الالوان ان أريد بها ما يتبادر اليه الذهن من الحمرة والصفرة والخضرة والسواد وغير ذلك والالوان بهذا المعنى أوسع وأكثر من الالوان بمعنى الاصباغ * وقرأ الجمهور مختلفا ألوانها على حد اختلف ألوانها * وقرأ زيد بن علي مختلفة ألوانها على حد اختلفت ألوانها وجمع التكسير يجوز فيه ان تلحق التاء وان لا تلحق * وقرأ الجمهور جدد بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة * قال ابن بحر قطع من قولك جددت الشيء قطعته * وقرأ الزهري كقراءة الجمهور * وقال صاحب اللوامح جمع جدة وهي ما تخالف من الطريق في الجبال لون ما يليها وعنه أيضا بضم الجيم والدال جمع جديدة وجدد وجدائد كما يقال في الاسم سفينة وسفن وسفائن * قال أبو ذؤيب * جون السراة أم جدائد أربع * وعنه أيضا بفتح الجيم والدال ولم يجزه أبو حاتم في المعنى ولا صححه أثرا * وقال غيره هو الطريق الواضح المبين وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض * وقال أبو عبيدة يقال جدد في جمع جديد ولا مدخل لمعنى الجديد في هذه الآية * وقال صاحب اللوامح جدد جمع جديد بمعنى آثار جديدة واضحة الألوان انتهى وقال مختلف ألوانها لان البياض والحمرة تتفاوت بالشدة والضعف فأبيض لا يشبه أبيض وأحمر لا يشبه أحمر وان اشتركا في القدر المشترك لكنه مشكل والظاهر عطف وغرابيب على حمر عطف ذي لون على ذي لون * وقال الزمخشري معطوف على بيض أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد وقال بعد ذلك ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ذو جدد بيض وحمر وسود حتى تؤول الى قولك ومن الجبال مختلف ألوانه كما قال ثمرات مختلفا ألوانها ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه يعني ومنهم بعض مختلف ألوانه * وقرأ ابن السميقع ألوانها انتهى والظاهر أنه لما ذكر الغرابيب وهو الشديد السواد لم يذكر فيه مختلف ألوانه لأنه من حيث جعله شديد السواد وهو المبالغ في غاية السواد لم يكن له ألوان بل هذا لون واحد بخلاف البيض والحمر فانها مختلفة والظاهر أن قوله بيض وحمر ليسا مجموعين بجدة واحدة بل المعنى جدد بيض وجدد حمر وجدد غرابيب ويقال أسود حلكوك وأسود غربيب ومن حق الواضح الغاية في ذلك اللون أن يكون تابعا * فقال ابن عطية قدم الوصف الابلغ وكان حقه أن يتأخر وكذلك هو في المعنى لكن كلام العرب الفصيح يأتي كثيرا على هذا * وقال الزمخشري الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك ووجهه أن يظهر المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة * والمؤمن العائذات الطير * وانما يفعل لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا انتهى وهذا لا يصح الا على مذهب من يجيز حذف المؤكد ومن النحاة من منع ذلك وهو اختيار ابن مالك وقيل هو على التقديم والتأخير

كثيرا الحسنات والمقامة هي الاقامة أي الجنة لانها دار اقامة دائما لا يرحل عنها ﴿من فضله﴾ من عطائه ﴿لا يمسنا فيها نصب﴾ أي تعب بدن ﴿ولا يمسنا فيها لغوب﴾ أي تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن

(الدر)

(ش) الغربيب تأكيد للاسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصفر فاقع وأبيض يقق وما أشبه ذلك ووجهه أنه تضمن المؤكد قبله فيكون الذي بعده تفسيرا لما أضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريق الاظهار والاضمار جميعا انتهى (ح) هذا لا يصح الا على مذهب من يجيز حذف المؤكد ومن النحاة من منع ذلك وهو اختيار ابن مالك

أي سود غرابيب وقيل سود بدل من غرابيب وهذا أحسن ويحسنه كون غرابيب لم يلزم فيه أن يستعمل تأكيدا ومنه ما جاء في الحديث ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذي يخضب بالسواد * وقال الشاعر

العين طامحة واليد سابحة * والرجل لائحة والوجه غربيب

﴿ وقال آخر ﴾

ومن تعاجيب خلق الله غالية * البعض منها ملاحي وغربيب

* وقرأ الجمهور والدواب مشدد الباء والزهري بتخفيفها كراهية التضعيف اذ فيه التقاء الساكنين كما همز بعضهم ولا الضألين فرارا من التقاء الساكنين فحذف هنا آخر المضعفين وحرك أول الساكنين ومختلفة صفة لمحذوف أي خلق مختلف ألوانه كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله والوقف عليه حسن * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب كأنه قال كما جاءت القدرة في هذا كله انما يخشى الله من عباده العلماء أي المخلصون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى وهذا الاحتمال لا يصح لان ما بعد انما لا يمكن أن يتعلق بهذا المجرور قبلها ولو خرج مخرج السبب لكان التركيب كذلك يخشى الله من عباده أي لذلك الاعتبار والنظر في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله ولكن التركيب جاء بانما وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها والعلماء هم الذين علموه بصفاته وتوحيده وما يجوز عليه وما يجب له وما يستحيل عليه فعظموه وقدروه حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به أقل كان آمن وقد وردت أحاديث وآثار في الخشية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه ومن ادعى أن انما للحصر قال المعنى ما يخشى الله الا العلماء فغيرهم لا يخشاه وهو قول الزمخشري * وقال ابن عطية وانما في هذه الآية تخصيص العلماء لا للحصر وهي لفظة تصلح للحصر وتأتي أيضا دونه وانما ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه انتهى وجاءت هذه الجملة بعد قوله انما تنذر ظاهره خطاب الرسول حيث عدد آياته وأعلام قدرته وآثار صنعته وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته فكأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته * وقرأ الجمهور بنصب الجلالة ورفع العلماء وروي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكس ذلك وتؤولت هذه القراءة على أن الخشية استعارة للتعظيم لأن من خشي وهاب أجل وعظم من خشيه وهاب ولعل ذلك لا يصح عنهما وقد رأينا كتبا في الشواذ ولم يذكروا هذه القراءة وانما ذكرها الزمخشري وذكرها عن أبي حيوة أبو القاسم يوسف بن جبارة في كتابه الكامل * ان الله عزيز غفور تعليل للخشية اذ العزة تدل على عقوبة العصاة وقهرهم والمغفرة على اثابة الطائعين والعفو عنهم * ان الذين يتلون ظاهره يقرؤن كتاب الله أي يداومون تلاوته * وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه آية القراء ويتبعون كتاب الله فيعملون بما فيه وعن الكلبي يأخذون بما فيه * وقال السدي هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم وقال عطاء هم المؤمنون ولما ذكر تعالى وصفهم بالخشية وهي عمل القلب ذكر أنهم يتلون كتاب الله وهو عمل اللسان وأقاموا الصلاة وهو عمل الجوارح وينفقون وهو العمل المالي وعامة الصلاة والانفاق يقصدون بذلك وجه الله لا للرياء والسمعة * تجارة لن تبور لن تكسد ولا يتعذر الربح فيها بل ينفق عند الله * ليوفيهم متعلق بيرجون

(الدر)

(ح) كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله والوقف عليه حسن (ع) ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مخرج السبب كأنه قال كما جاءت القدرة في هذا كله انما يخشى الله من عباده العلماء أي المخلصون لهذه العبر الناظرون فيها انتهى (ح) هذا الاحتمال لا يصح لان ما بعد انما لا يمكن أن يتعلق بهذا المجرور قبلها ولو خرج مخرج السبب لكان التركيب كذلك يخشى الله من عباده أي كذلك الاعتبار والنظر في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يخشى الله ولكن التركيب جاء بانما وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها

أو بلن تبور أو بضمر تقديره فعلوا ذلك أقوال * وقال الزمخشري وإن شئت فقلت يرجون في موضع الحال على وأنفقوا راجين ليوفيهم أي فعلوا جميع ذلك لهذا الغرض وخبر إن قوله إنه غفور شكور لأعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة انتهى وأجورهم هي التي رتبها تعالى على أعمالهم وزيادته من فضله * قال أبو وائل بتشفيعهم فيمن أحسن اليهم * وقال الضحاك بتفسيح القلوب وفي الحديث بتضعيف حسناتهم وقيل بالنظر الى وجهه والكتاب هو القرآن ومن للتبيين أو الجنس أو التبعيض تخريجات للزمخشري ومصدقا حال مؤكدة لما بين يديه من الكتب الالهية التوراة والانجيل والزبور وغيره وفيه اشارة الى كونه وحيا لأنه عليه السلام لم يكن قارئا كاتبا وأتى ببيان ما في كتب الله ولا يكون ذلك الا من الله تعالى * ان الله بعباده لخبير بصير عالم بدقائق الأشياء وبواطنها بصير بما ظهر منها وحيث أهلك لوحيه واختارك برسالته وكتابه الله أعلم حيث يجعل رسالاته * ثم أورثنا الكتاب وثم قيل بمعنى الواو وقيل للمهلة إما في الزمان وإما في الاخبار على ما يأتي بيانه والكتاب فيه قولان أحدهما أن المعنى أنزلنا الكتب الالهية والكتاب على هذا اسم جنس والمصطفون على ما يأتي بيانه أن المعنى الأنبياء واتباعهم قاله الحسن * وقال ابن عباس هم هذه الأمة أورثت أمة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب أنزله الله وقال ابن جرير أورثهم الايمان فالكتب تأمر باتباع القرآن فهم مؤمنون بها عاملون بمقتضاها يدل عليه والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم أتبعه بقوله ثم أورثنا الكتاب فعلمنا أنهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان معنى الميراث انتقال شيء من قوم الى قوم ولم تكن أمة انتقل اليها كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته فاذا قلنا هم الأنبياء وأتباعهم كان المعنى أورثنا كل كتاب أنزل على نبي ذلك النبي واتباعه والقول الثاني أن الكتاب هو القرآن والمصطفون أمة الرسول ومعنى أورثنا قال مجاهد أعطينا لان الميراث عطاء ثم قسم الوارثين الى هذه الأقسام الثلاثة قال مكي فقيل هم المذكورون في الواقعة فالسابق بالخيرات هو المقرب والمقتصد أصحاب الميمنة والظالم لنفسه أصحاب المشأمة وهو قول يروى معناه عن عكرمة والحسن وقتادة قالوا الضمير في منهم عائد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمنافق والمقتصد المؤمن العاصي والسابق التقي على الاطلاق وقالوا هو نظير ما في الواقعة والأكثرون على أن هؤلاء الثلاثة هم في أمة الرسول ومن كان من أصحاب المشأمة مكذبا ضالا لا يورث الكتاب ولا اصطفاه الله وانما الذي في الواقعة أصناف الخلق من الأولين والآخرين * قال عثمان ابن عفان سابقنا أهل جهاد ومقتصدنا أهل حضرنا وظالمنا أهل بدونا لا يشهدون جمعة ولا جماعة * وقال معاذ الظالم لنفسه الذي مات على كبيرة لم يتب منها والمقتصد من مات على صغيرة ولم يصب كبيرة لم يتب منها والسابق من مات تائبا عن كبيرة أو صغيرة أو لم يصب ذلك وقيل الظالم لنفسه العاصي المسرف والمقتصد متقي الكبائر والسابق المتقي على الاطلاق * وقال الحسن الظالم من خفت حسناته والمقتصد من استوت والسابق من رجحت * وقال الزمخشري قسمهم الى ظالم مجرم وهو المرجأ لأمر الله ومقتصد وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيأ وسابق من السابقين انتهى وذكر في التحرير ثلاثة وأربعين قولا في هؤلاء الأصناف الثلاثة * وقرأ أبو عمران الجوني وعمر ابن أبي شجاع ويعقوب في رواية والقراءة عن أبي عمرو سباق والجمهور سابق قيل وقدم الظالم لأنه لا يتكل الا على رحمة الله * وقال الزمخشري للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصد قليل بالاضافة إليهم والسابقون أقل من القليل انتهى * باذن الله بتيسيره وتمكينه أي أن

سبقه ليس من جهة ذاته بل ذلك منه تعالى والظاهر أن الاشارة بذلك الى إيراث الكتاب واصطفاء هذه الأمة * وجنات على هذا مبتدأ و يدخلونها الخبر وجنات قراءة الجمهور جمعا بالرفع ويكون ذلك إخبارا بمقدار أولئك المصطفين * وقال الزمخشرى وابن عطية جنات بدل من الفضل * قال الزمخشرى (فان قلت) فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذى هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب فى نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن انتهى و يدل على أنه مبتدأ قراءة الجحدرى وهارون عن عاصم جنات منصوبا على الاشتغال أى يدخلون جنات عدن يدخلونها * وقرأ زر بن حبيش والزهرى جنة على الأفراد * وقرأ أبو عمرو يدخلونها مبنيا للمفعول ورويت عن ابن كثير والجمهور مبنيا للفاعل والظاهر أن الضمير المرفوع فى يدخلونها عائد على الأصناف الثلاثة وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبى الدرداء وعقبة بن عامر وأبى سعيد وعائشة ومحمد ابن الحنفية وجعفر الصادق وأبى اسحق السبيعى وكعب الأحبار * وقرأ عمر هذه الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ومن جعل ثلاثة الاصناف هى التى فى الواقعة لان الضمير فى يدخلونها عائد عنده على المقتصد والسابق * وقال الزمخشرى هو عائد على السابق فقط ولذلك جعل ذلك اشارة الى السبق بعد التقسيم فذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين مافيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة فعسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك فى مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخداع انتهى وهو على طريق المعتزلة * وقرأ الجمهور يحلون بضم الياء وفتح الحاء وشد اللام مبنيا للمفعول * وقرئ بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف اللام من حليت المرأة فهى حال اذا لبست الحلى و يقال جيد حال اذا كان فيه الحلى وتقدم فى سورة الحج الكلام على يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقرأ الجمهور الحزن بفتحتين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاى ذكره جناح بن حبيش والحزن يعم جميع الاحزان وقد خص المفسرون هنا أكثر وا و ينبغى أن يحمل ذلك على التمثيل لا على التعيين فقال أبو الدرداء حزن أهوال يوم القيامة ومايصيب هنالك من ظلم نفسه من الغم والحزن * وقال سمرة بن جندب معيشة الدنيا الخبز ونحوه * وقال قتادة حزن الدنيا فى الخوف ان لا يتقبل أعمالهم * وقال مقاتل حزن الانتقال يقولونها اذا استقروا فيها * وقال الكلبى خوف الشيطان * وقال ابن زيد حزن نظالم الآخرة والوقوف عن قبول الطاعات وردها وطول المكث على الصراط * وقال القاسم بن محمد حزن زوال النعم وتقلب القلب وخوف العاقبة وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذا * ان ربنا لغفور شكور لغفور فيه اشارة الى دخول الظالم لنفسه الجنة وشكور فيه اشارة الى السابق وأنه كثير الحسنات والمقامة هى الاقامة أى الجنة لأنها دار اقامة دائما لا يرحل عنها من وصلها من عطائه * لا يمسنا فيها نصب أى تعب بدن ولا يمسنا فيها لغوب أى تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن * وقال قتادة لغوب وجع * وقال الزمخشرى النصب التعب والمشقة التى تصيب المنتصب للامر المزاول له وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم﴾ لما ذكر حال المؤمنين ومقرهم ذكر حال الكافرين ﴿لا يقضى عليهم﴾ أي لا يجهز عليهم فيموتوا لأنهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا وهو في جواب النفي وهو على أحد معنيي النصب فالمعنى انتفاء القضاء عليهم فانتفى مسببه أي لا يقضى عليهم ولا يموتون ﴿وهم يصطرخون﴾ بني من الصراخ يفتعل وأبدلت من التاء طاء ﴿ربنا أخرجنا﴾ أي قائلين ربنا أخرجنا منها أي من النار وردنا الى الدنيا نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا إله إلا الله ﴿غير الذي كنا نعمل﴾ أي من الشرك ﴿أولم نعمركم﴾ هو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير وما مصدرية ظرفية أي مدة تذكر ﴿خلائف في الأرض﴾ تقدم الكلام عليه والمقت أشد الاحتقار والبغض والغضب والخسار خسار العمر ﴿قل أرأيتم﴾ تقدم الكلام عليه قال الزمخشري أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الالهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله تعالى شركة في خلق السموات أو معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله ﴿بل ان يعد الظالمون بعضهم﴾ وهم الرؤساء ﴿بعضا﴾ وهم الأتباع ﴿الا غرورا﴾ وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى أما قوله ان أروني بدل من أرأيتم فلا يصح لأنه اذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلا بد من دخول الاداة على البدل وأيضا فابدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتأتى ذلك هنا لأنه عامل في أرأيتم فيستحيل دخوله على أروني والذي أذهب اليه هنا ان أرأيتم بمعنى أخبروني وهي تطلب معمولين أحدهما منصوب والآخر مشتمل على الاستفهام كقول العرب أرأيت زيدا ما صنع فالأول هنا شركاءكم والثاني ماذا خلقوا وأروني جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد ويحتمل أن يكون ذلك من باب الاعمال لأنه توارد على ماذا خلقوا أرأيتم وأروني لأن أروني قد تعلق عن مفعولها الثاني كما علقت رأى التي لم تدخل عليها همزة النقل عن مفعولها في قولهم أما ترى أي فرق هاهنا ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند البصريين ولما بين تعالى فساد أمر الأصنام ووقف على الحجة في بطلانها عقب بذكر عظمته وقدرته ليبين الشيء بضده وتتأكد حقارة الأصنام بذكر عظمة الله تعالى فقال ﴿إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا﴾ والظاهر أن معناه ان تنتقلا عن أماكنهما وتسقط السموات عن علوها وقال الزمخشري وإن أمسكهما

النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة انتهى (فان قلت) اذا انتفى السبب انتفى مسببه فما حكمه اذا نفى السبب وانتفى مسببه وأنت تقول ما شبعت ولا أكلت ولا يحسن ما أكلت ولا شبعت لأنه يلزم من انتفاء الاكل انتفاء الشبع ولا ينعكس فلو جاء على هذا الاسلوب لكان التركيب لا يمسنا فيها اعياء ولا مشقة (فالجواب) أنه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان أماكنها على قسمين موضع يمس فيه المشاق والمتاعب كالبراري والصحاري وموضع يمس فيه الاعياء كالبيوت والمنازل التي فيها الصغار فقال لا يمسنا فيها نصب لأنها ليست مظان المتاعب لدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب أي ولا نخرج منها الى موضع نصب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعياء * وقرأ الجمهور لغوب بضم اللام وعلي بن أبي طالب والسلمي بفتحها * قال الفراء هو ما يلغب به كالفطور والسحور وجاز أن يكون صفة للمصدر المحذوف كأنه لغوب كقولهم موت مائت * وقال صاحب اللوامح يجوز أن يكون مصدرا كالقبول وان شئت جعلته صفة لمضمر أي أمر لغوب واللغوب أيضا في غير هذا الاحمق قال اعرابي أن فلانا لغوب جاءته كتابي فاحتقرها أي أحمق فقيل له لم أنثته فقال أليس صحيفة * والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير * فذوقوا فما للظالمين من نصير * ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور * هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا * قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا * ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده أنه كان حليما غفورا * لما ذكر حال المؤمنين ومقرهم

ذكر حال الكافرين وهذا يدل على أن أولئك الثلاثة هم في الجنة والذين كفروا هم مقابلوهم لا يقضى عليهم أي لا يجهز عليه فيموتوا لانهم اذا ماتوا بطلت حواسهم فاستراحوا * وقرأ الجمهور فيموتوا بحذف النون منصوبا في جواب النفي وهو على أحد معنيي النصب فالمعنى انتفى القضاء عليهم فانتفى مسببه أي لا يقضى عليهم ولا يموتون كقولك ما تأتينا فتحدثنا أي ما يكون حديث انتفى الاتيان فانتفى الحديث ولا يصح أن يكون على المعنى الثاني من معنى النصب لان المعنى ما تأتينا محدثا انما تأتي ولا تحدث وليس المعنى هنا لا يقضى عليهم ميتين انما يقضى عليهم ولا يموتون * وقرأ عيسى والحسن فيموتون بالنون وجهها أن تكون معطوفة على لا يقضى * وقال ابن عطية وهي قراءة ضعيفة انتهى * وقال أبو عثمان المازني هو عطف أي فلا يموتون لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون أي فلا يعتذرون ولا يخفف عنهم نوع عذابهم والنوع في نفسه يدخله أن يحيوا ويسعدوا * قال ابن عطية وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو ولا يخفف باسكان الفاء شبه المنفصل بالمتصل كقوله

* فاليوم أشرب غير مستحقب * وقرأ الجمهور نجزي كل مبنيا للفاعل ونصب كل وأبو عمرو وأبو حاتم عن نافع بالياء مبنيا للمفعول كل بالرفع * وهم يصطرخون بني من الصرخ يفتعل وأبدلت من التاء طاء وأصله يصرخون والصراخ شدة الصياح * قال الشاعر

* صرخت حبلى أسلمتها قبيلها * واستعمل في الاستغاثة لجهة المستغيث صوته * قال الشاعر

وطول اصطراخ المرء في بعد قعرها * وجهد شقي طال في النار ما عوى

ربنا أخرجنا أي قائلين ربنا أخرجنا منها أي من النار وردنا الى الدنيا نعمل صالحا * قال ابن عباس نقل لا اله الا الله غير الذي كنا نعمل أي من الشرك ونمتثل أمر الرسل فنؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية * وقال الزمخشري هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في ارجعنا نعمل صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه * قلت فائدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما الوهم فزائل بظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فعمله انتهى * روى أنهم يجابون بعد مقدار الدنيا أولم نعمركم وهو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير وما مصدرية ظرفية أي مدة يذكر * وقرأ الجمهور ما يتذكر فيه من تذكر * وقرأ الأعمش ما يذكر فيه من اذكر بالادغام واجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج وهذه المدة * قال الحسن البلوغ يريد أنه أول حال التذكر وقيل سبع عشرة سنة * وقال قتادة ثمان عشرة سنة * وقال عمر بن عبد العزيز عشرون * وقال ابن عباس أربعون وقيل خمسون * وقال علي ستون * وروى ذلك عن ابن عباس وجاءكم معطوف على أو لم نعمركم لان معناه قد عمرناكم كقوله ألم نربك فينا وليدا وقوله ألم نشرح لك صدرك ثم قال ولبثت فينا وقال ووضعنا لان المعنى قد ربيناك وشرحنا والنذير جنس وهم الانبياء كل نبي نذير أمته * وقرئ النذر جمعا وقيل النذير الشيب قاله ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسن بن الفضل والفراء والطبري وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال العقل * فذوقوا أي عذاب جهنم * وقرأ جناح بن حبيش عالم منونا غيب نصبا والجمهور على الاضافة ومجيء هذه الجملة عقيب ما قبلها هو أنه تعالى ذكر ان الكافرين يعذبون دائما مدة كفرهم كانت مدة يسيرة منقطعة فأخبر انه تعالى عالم غيب السموات والارض فلا يخفى عليه ما تنطوي عليه الصدور من المضمرات وكان يعلم من الكافر أنه تمكن

جواب القسم في ولئن زالتا سدّ مسدّ الجوابين انتهى يعني انه دل على الجواب المحذوف وان أخذ كلامه على ظاهره لم يصح لأنه لو سدّ مسدّهما لكان له موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط ولا موضع له من الاعراب باعتبار جواب القسم والشيء الواحد لا يكون معمولا غير معمول ومن في من أحد لتأكيد الاستغراق وفي من بعده لابتداء الغاية أي من بعد تركه امساكهما وان نافية في جواب القسم المحذوف

(الدر) (ش) أروني بدل من أرأيتم لان معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الالهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة و برهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله بل أن يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الاغرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى (ح) أما قوله ان أروني بدل من أرأيتم فلا يصح لانه اذا أبدل من مادخل عليه الاستفهام فلا بد من دخول الاداة على البدل وأيضا فابدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتأتى ذلك هنا لانه لا عامل في أرأيتم فيتحيل دخوله على أروني والذي أذهب اليه هنا أن أرأيتم بمعنى أخبروني وهي تطلب مفعولين أحدهما منصوب والآخر مشتمل على الاستفهام كقول العرب أرأيت زيدا ماصنع فالاول هنا هو شركاءكم والثاني ماذا خلقوا وأروني جملة اعتراضية فيها تأكيد الكلام وتسديد ويحتمل أن يكون ذلك من باب الاعمال لانه توارد على ماذا خلقوا أرأيتم وأروني لان أروني قد تعلق عن مفعولها في قولهم أما ترى أي ترى هاهنا ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند البصريين

الكفر في قلبه بحيث لو دام الى الابد ما آمن بالله ولا عبده وخلائف جمع خليفة وخلفاء جمع خليف ويقال للمستخلف خليفة وخليف وفي هذا تنبيه على انه تعالى استخلفهم بدل من كان قبلهم فلم يتعظوا بحال من تقدمهم من مكذبي الرسل وما حل بهم من الهلاك ولا اعتبروا بمن كفر ولم يتعظوا بمن تقدم * فعليه كفره أي عقاب كفره والظاهر انه خطاب عام وقيل لاهل مكة والمقت أشد الاحتقار والبغض والغضب والخسار خسار العمر كان العمر رأس مال فان انقضى في غير طاعة الله فقد خسره واستعاض به بدل الربح بما يفعل من الطاعات سخط الله وغضبه بحيث صاروا الى النار * قل أرأيتم شركاءكم * قال الحوفي ألف الاستفهام ذلك للتقرير وفي التحرير أرأيتم المراد منه أخبروني لان الاستفهام يستدعي ذلك يقول القائل أرأيت ماذا فعل زيد فيقول السامع باع واشترى ولو لا تضمنه معنى أخبروني لكان الجواب نعم أو لا * وقال ابن عطية أرأيتم ينزل عند سيبويه بمنزلة أخبروني وقال الزمخشري أروني بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبروني كأنه قال أخبروني عن هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الالهية والشركة أروني أي جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله شركة في خلق السموات أم معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة و برهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير في آتيناهم للمشركين لقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع الاغرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى أما قوله أروني بدل من أرأيتم فلا يصح لانه اذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلابد من دخول الاداة على البدل وأيضا فابدال الجملة من الجملة لم يعهد في لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتأتى ذلك هنا لانه لا عامل في أرأيتم فيتحيل دخوله على أروني وقد تكلمنا في الانعام على أرأيتم كلاما شافيا والذي أذهب اليه أن أرأيتم بمعنى أخبرني وهي تطلب مفعولين أحدهما منصوب والآخر مشتمل على استفهام تقول العرب أرأيت زيدا ماصنع فالاول هنا هو شركاءكم والثاني ماذا خلقوا وأروني جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد ويحتمل أن يكون ذلك أيضا من باب الاعمال لانه توارد على ماذا خلقوا أرأيتم وأروني لان أروني قد تعلق على مفعولها في قولهم أما ترى أي ترى هاهنا ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند البصريين وقيل يحتمل أن يكون أرأيتم استفهاما حقيقيا وأروني أمر تعجيز للتبيين أي أعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العجز أو تتوهمون فيها قدرة فان كنتم تعلمونها عاجزة فكيف تعبدونها أو توهمتم لها قدرة فأروني قدرتها في أي شيء هي أهي في الارض كما قال بعضهم ان الله إله في السماء وهؤلاء آلهة في الارض قالوا وفيها من الكواكب والاصنام صورها أم في السموات كما قال بعضهم ان السماء خلقت باستعانة الملائكة فالملائكة شركاء في خلقها وهذه الاصنام صورها أم قدرتها في الشفاعة لكم كما قال بعضهم ان الملائكة ما خلقوا شيئا ولكنهم مقربون عند الله فنعبدهم لتشفع لنا فهل معهم من الله كتاب فيه اذنه لهم بالشفاعة انتهى وأضاف الشركاء اليهم من حيث هم جعلوهم شركاء الله أي ليس للاصنام شركة بوجه الا بقولهم وجعلهم وقيل ويحتمل شركاءكم في النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والظاهر أن الضمير في آتيناهم عائد على الشركاء

لتناسب الضمائر أي هل مع ما جعل شركاء الله كتاب من الله فيه ان له شفاعة عنده فانه لا يشفع عنده الا باذنه وقيل عائد على المشركين ويكون التفاتا خرج من ضمير الخطاب الى ضمير الغيبة اعراضا عنهم وتنزيلا لهم منزلة الغائب الذي لا يحصل للخطاب ومعناه ان عبادة هؤلاء أما بالعقل ولا عقل لمن يعبد ما لا يخلق من الارض جزأ من الاجزاء ولا له شرك في السماء واما بالنقل ولم نؤت المشركين كتابا فيه أمر بعبادة هؤلاء فهذه عبادة لا عقلية ولا نقلية انتهى * وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة وأبو عمرو وابن كثير وحفص وابان عن عاصم على بينة بالافراد وباقي السبعة بالجمع ولما بين تعالى فساد أمر الاصنام ووقف الحجة على بطلانها عقبه بذكر عظمته وقدرته ليتبين الشئ بضده وتتأكد حقارة الاصنام بذكر عظمة الله فقال ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا والظاهر ان معناه ان تنتقلا عن أماكنهما وتسقط السموات عن علوها وقيل معناه أن تزولا عن الدوران انتهى ولا يصح أن الارض لا تدور ويظهر من قول ابن مسعود أن السماء لا تدور وانما تجري فيها الكواكب * وقال كفى بها زوالا أن تدور ولو دارت لكانت قد زالت وأن تزولا في موضع المفعول له وقدر لئلا تزولا * وكراهة أن تزولا وقال الزجاج يمسك يمنع من أن تزولا فيكون مفعولا ثانيا على اسقاط حرف الجر ويجوز أن يكون بدلا أي يمنع زوال السموات والارض بدل اشتمال ولئن زالتا ان تدخل غالبا على الممكن فان قدر دخولها على الممكن فيكون ذلك باعتبار يوم القيامة اذا طوي السماء ونسف الجبال فان ذلك ممكن ثم واقع بالخبر الصادق أي ولئن جاء وقت زوالهما ويجوز أن يكون ذلك على سبيل الفرض أي ولئن فرض زوالهما فيكون مثل لو في المعنى وقد قرأ ابن أبي عبلة ولو زالتا وان نافية وأمسكهما في معنى المضارع جواب للقسم المقدر قبل لام التوطئة في لئن وانما هو في معنى المضارع لدخول ان الشرطية كقوله ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك أي ما يتبعون وكقوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا أي ليظلوا فيقدر هذا كله مضارعا لأجل ان الشرطية وجواب إن في هذه المواضع محذوف لدلالة جواب القسم عليه قال الزمخشري وان أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين انتهى يعني انه دل على الجواب المحذوف وان أخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط ولا موضع له من الاعراب باعتبار جواب القسم والشئ الواحد لا يكون معمولا غير معمول ومن في من أحد لتأكيد الاستغراق ومن في من بعده لابتداء الغاية أي من بعد تركه امساكه وسأل ابن عباس رجلا أقبل من الشام من لقيت قال كعبا قال وما سمعته يقول قال ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب أما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية * وقال ابن مسعود لجندب البجلي وكان رحل أي كعب الاحبار في كلام آخره ما تنكست اليهودية في قلب وكادت أن تفارقه وقالت طائفة اتصافه بالحلم والغفران في هذه الآية انما هو اشارة الى أن السماء كادت تزول والارض كذلك لاشراك الكفرة فيمسكها حلما منه عن المشركين وتربصا ليغفر لمن آمن منهم كما قال في آخر آية أخرى تكاد السموات يتفطرن منه الآية * وقال الزمخشري حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بأن تهدهدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه الآية ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا * استكبارا في الارض ومكر السيئ﴾

للرسل قبل وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حيث كذبوا رسلهم وقالوا لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من احدى الأمم فلما بعث محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه ﴿لئن جاءهم﴾ حكاية لمعنى كلامهم لا للفظهم اذ لو كان اللفظ لكان التركيب لئن جاءنا نذير من احدى الأمم أي من واحدة مهتدية من الأمم أو من الامة التي يقال فيها احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها كما قالوا هو أحد الأحدين وهي احدى الأحد يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له ﴿فلما جاءهم نذير﴾ هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ما زادهم﴾ أي مجيئه ﴿الا نفورا﴾ بعدا من الحق وهربا منه واسناد الزيادة اليه مجاز لأنه هو

(الدر)

(ش) وان أمسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين انتهى (ح) يعني أنه دل على الجواب المحذوف وان أخذ كلامه على ظاهره لم يصح لانه لو سد مسدهما لكان له موضع من الاعراب باعتبار جواب الشرط ولا موضع له من الاعراب باعتبار جواب القسم والشئ الواحد لا يكون معمولا غير معمول

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا * ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا * الضمير في وأقسموا لقريش ولما بين انكارهم للتوحيد بين تكذيبهم للرسل * قيل وكانوا يلعنون اليهود والنصارى حيث كذبوا رسلهم وقالوا لئن أتانا رسول ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه * لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا للفظهم اذ لو كان اللفظ لكان التركيب لئن جاءنا نذير من احدى الأمم أي من واحدة مهتدية من الأمم أو من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها كما قالوا هو أحد الاحدين وهو أحد الاحد يريدون التفضيل في الدهاء والعقل بحيث لا نظير له وقال الشاعر

حتى استثاروا بي احدى الاحد * شاهد براذا سلاح معد

* فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وهو الظاهر * وقال مقاتل هو انشقاق القمر * ما زادهم أي ما زادهم هو أو مجيئه * الا نفورا ابتعادا من الحق وهربا منه واسناد الزيادة اليه مجاز لانه هو السبب في ان زادوا أنفسهم نفورا كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وصاروا أضل مما كانوا وجواب لما ما زادهم وفيه دليل واضح على حرفيتها لا ظرفيتها اذ لو كانت ظرفا لم يجز أن يتقدم على عاملها المنفي بما وقد ذكرنا ذلك في قوله فلما قضينا عليه الموت ما دلهم وفي قوله ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم والظاهر أن استكبارا مفعول من أجله أي سبب النفور وهو الاستكبار ومكر السيء معطوف على استكبارا فهو مفعول من أجله أيضا أي الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار والمكر السيء وهو الخداع الذي ترومونه برسول الله صلى الله عليه وسلم والكيد له * وقال قتادة المكر السيء هو الشرك وقيل استكبارا بدل من نفورا وقاله الاخفش * وقيل حال يعني مستكبرين وماكرين برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ومكر السيء من اضافة الموصوف الى صفته ولذلك جاء على الاصل ولا يحيق المكر السيء * وقيل يجوز أن يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا * وقرأ الجمهور ومكر السيء بكسر الهمزة والاعمش وحمزة باسكانها فاما اجراء للوصل مجرى الوقف واما اسكانا لتوالي الحركات واجراء للمنفصل مجرى المتصل كقوله لنا ابلان * وزعم الزجاج أن هذه القراءة لحن * قال أبو جعفر وانما صار لحنا لانه حذف الاعراب منه * وزعم محمد بن يزيد أن هذا لا يجوز في كلام ولا شعر لان حركات الاعراب دخلت للفرق بين المعاني وقد أعظم بعض النحويين أن يكون الاعمش يقرأ بهذا وقال انما كان يقف على من أدى عنه والدليل على هذا أنه تمام الكلام وأن الثاني لما لم يكن تمام الكلام أعربه والحركة في الثاني أثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين * وقال الزجاج أيضا قراءة حمزة ومكر السيء موقوفا عند الحذاق بياء بين لحن لا يجوز وانما يجوز في الشعر للاضطرار * وأكثر أبو علي في الحجة من الاستشهاد ولا يحتاج للاسكان من أجل توالي الحركات والاضطرار والوصل بنية

السبب وان زادوا أنفسهم نفورا والظاهر أن استكبارا مفعول من أجله أي سبب النفور هو الاستكبار ومكر السيء معطوف على استكبارا فهو مفعول من أجله أيضا أي الحامل لهم على الابتعاد من الحق هو الاستكبار والمكر السيء هو الخداع الذي يرومونه بالرسول صلى الله عليه وسلم والكيد له واستكبارا بدل من نفورا ومكر السيء من اضافة الموصوف الى صفته ولذلك جاء على الأصل ﴿ولا يحيق المكر السيء الا بأهله﴾ وقرأ حمزة السيء باسكان الهمزة أجرى الوصل مجرى الوقف ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ أي ليفوته من شيء أي شيء ومن لاستغراق الأشياء ﴿انه كان عليما قديرا﴾ فبعلمه تعالى يعلم جميع الأشياء فلا يغيب عن علمه شيء وبقدرته لا يتعذر عليه شيء ثم ذكر تعالى حلمه عن عباده في تعجيل العقوبة فقال ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾ أي من الشرك وتكذيب الرسل وهو المعنى في الآية التي في النحل وهو قوله بظلمهم وتقدم الكلام عليها في النحل وهناك عليها وهنا على ظهرها والضمير عائد على الأرض الا أن هناك يدل عليه بسياق الكلام وهنا يمكن أن يعود على ملفوظ به وهو قوله في السموات ولا في الأرض ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظهر كالدابة الحاملة للاثقال ولانه أيضا هو الظاهر بخلاف باطنها ﴿فان الله كان بعباده بصيرا﴾ توعد للمكذبين أي فيجازيهم بأعمالهم

الوقف قال فاذا ساغ بما ذكرناه في هذه القراءة من التأويل لم يسغ أن يقال لحن * وقال ابن القشيري ما ثبت بالاستفاضة أو التواتر أنه قرئ به فلابد من جوازه ولا يجوز أن يقال لحن * وقال الزمخشري لعله اختلس فظن سكونا أو وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ ولا يحيق * وروى عن ابن كثير ومكر السئ بهمزة ساكنة بعد السين وياء بعدها مكسورة وهو مقلوب السيئ المخفف من السي كما قال الشاعر

ولا يجزون من حسن بسيء * ولا يجزون من غلظ بلين

وقرأ ابن مسعود ومكرا سيأ عطف نكرة على نكرة ولا يحيق أي يحيط ويحل ولا يستعمل الا في المكروه * وقرئ يحيق بالضم أي بضم الياء المكر السيئ بالنصب ولا يحيق الله الا باهله أما في الدنيا فعاقبة ذلك على أهله * وقال أبو عبد الله الرازي (فان قلت) كثيرا نرى الماكر يفيده مكره ويغلب خصمه بالمكر والآية تدل على عدم ذلك (فالجواب) من وجوه * أحدها ان المكر في الآية هو المكر بالرسول من العزم على القتل والاخراج ولا يحيق الا بهم حيث قتلوا ببدر * وثانيها انه عام وهو الأصح فانه عليه السلام نهى عن المكر وقال لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فانه تعالى يقول ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فعلى هذا يكون ذلك الممكور به أهلا فلا يرد نقضا * وثالثها ان الأمور بعواقبها ومن مكر به غيره ونفذ فيه المكر عاجلا في الظاهر ففي الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك انتهى * وقال كعب لابن عباس في التوراة من حفر حفرة لأخيه وقع فيها فقال له ابن عباس انا وجدنا هذا في كتاب الله ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله انتهى وفي أمثال العرب من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وسنة الأولين انزال العذاب على الذين كفروا برسلهم من الأمم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وسنة الأولين أضاف فيه المصدر وفي لسنة الله اضافة الى الفاعل فأضيفت أولا اليهم لاهاسة بهم وثانيا اليه لانه هو الذي سنها وبين تعالى الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها بغيرها ولا يحولها الى غير أهلها وان كان ذلك كائن لا محالة واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشأم والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم وديارهم كديار ثمود ونحوها وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في سورة الروم وهناك كانوا أشد منهم قوة استئناف إخبار عن ما كانوا عليه وهنا وكانوا أي وقد كانوا فالجملة حال فهما مقصدان * وما كان الله ليعجزه أي ليفوته ويسبقه من شيء أي شيء ومن لاستغراق الأشياء انه كان عليما قديرا فبعلمه يعلم جميع الأشياء فلا يغيب عن عمه شيء وبقدرته لا يتعذر عليه شيء ثم ذكر تعالى حلمه تعالى على عباده في تعجيل العقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا أي من الشرك وتكذيب الرسل وهو المعنى في الآية التي في النحل وهو قوله بظلمهم وتقدم الكلام على نظير هذه الآية في النحل وهناك عليها وهنا على ظهرها والضمير عائد على الأرض الا أن هناك يدل عليه سياق الكلام وهنا يمكن أن يعود على ملفوظ به وهو قوله في السموات ولا في الأرض ولما كانت حاملة لمن عليها استعير لها الظهر كالدابة الحاملة للأثقال ولانه أيضا هو الظاهر بخلاف باطنها * فانه كان بعباده بصير توعد للمكذبين أي فيجازيهم بأعمالهم

﴿ سورة يس عليه الصلاة والسلام ثلاث وثمانون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يس والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الأذقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم * إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين * واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون * ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون * إني إذا لفي ضلال مبين * إني آمنت بربكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين * وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين * ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون * ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن * ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون * وان كل لما جميع لدينا محضرون * وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون * وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون * وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون * إلا رحمة منا ومتاعا الى حين * واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين * واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان إنتم إلا في ضلال مبين * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون * قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون * ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكؤن * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب

﴿سورة يس﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ الآية هذه السورة مكية وقرئ تنزيل بالنصب على المصدر وبالرفع خبر مبتدأ محذوف أي هو تنزيل ﴿لتنذر﴾ متعلق بتنزيل والظاهر أن قوله أغلالا هي حقيقة لا استعارة لما أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون أخبر عن شئ من أحوالهم في الآخرة اذا دخلوا النار والظاهر عود الضمير في فهي الى الاغلال لانها هي المذكورة والمحدث عنها أي هي عريضة (٣٢٢) تبلغ بحرفها الادقان والذقن مجمع اللحيين فيضطر المغلول الى رفع وجهه الى السماء وذلك هو الاقماح * وقال الفراء القمح الذي يغض بصره بعد رفع رأسه * وقال الزجاج يقال أقمح البعير رأسه عن ري وقمح هو وقال أبو عبيد قمح فهو قامح رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب والجمع قماح ومنه قول بشر يصف سفينة أخذهم الميد فيها

* ونحن على جوانبها قعود *

* نغض الطرف كالابل القماح *

﴿ومن بين أيديهم سدا﴾ مبالغة في عدم ايصال الخير اليهم والسد تقدم شرحه وقرئ بضم السين وفتحها فيهما ﴿فأغشيناهم﴾ أي أغشينا أبصارهم جعلنا عليها غشاوة ﴿وسواء عليهم﴾ تقدم الكلام عليه ولما ذكر تعالى أمر الرسالة وهي أحد الأصول الثلاثة التي يصير بها المكلف مؤمنا ذكر الحشر وهو أحد الأصول الثلاثة والثالث هو التوحيد فقال ﴿إنا نحن نحيي الموتى﴾ أي بعد اماتتهم ﴿ونكتب ما قدموا﴾ كناية عن المجازاة أي ونحصر فعبر عن احاطته وعلمه بالكتابة التي تضبط بها الاشياء ﴿وآثارهم﴾ أي خطاهم الى المساجد والسير الحسنة والسيئة وما قدموا من النيات الصالحة ﴿وكل شئ﴾ نصب على الاشتغال والامام المبين اللوح المحفوظ

رحيم * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد اليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون * ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون * ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون * وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين * أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون * واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون * فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون * أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون * أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ﴾ * قمح البعير رأسه رفعه أثر شرب الماء وبأتي الكلام فيه مستوفى * العرجون عود العذق من بين الشمراخ الى منبته من النخلة * وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف * الجدث القبر وسمع فيه جدف بابدال الثاء فاء كما قالوا فم في ثم وكما أبدلوا من الفاء ثاء فالوا في معفور معثور وهو ضرب من الكمأة * المسخ تحويل من صورة الى صورة منكرة * الرميم البالي المفتت ﴿يس والقرآن الحكيم * انك لمن المرسلين * على صراط مستقيم * تنزيل العزيز الرحيم * لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون * لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون * انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الادقان فهم مقمحون * وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون * وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم * انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه في امام مبين ﴾ هذه السورة مكية لا أن فرقة زعمت أن قوله ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد الرسول وليس زعما صحيحا وقيل الا قوله واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله الآية وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في أول البقرة قال ابن جبير هنا انه

اسم من أسماء محمد صلى الله عليه وسلم ودليله انك لمن المرسلين * قال السيد الحموى

يانفس لاتمحضى بالود جاهدة * على المودة الا آل ياسينا

* وقال ابن عباس معناه ياانسان بالحبشية وعنه هو فى لغة طيء وذلك أنهم يقولون ايسان بمعنى انسان و يجمعونه على اياسين فهذا منه وقالت فرقة ياحرف نداء والسين مقامه مقام انسان انتزع منه حرف فأقيم مقامه * وقال الزمخشرى ان صح أن معناه ياانسان فى لغة طيء فوجهه أن يكون أصله ياأنيسين فكثر النداء على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله انتهى والذى نقل عن العرب فى تصغيرهم انسان أنيسيان بياء بعدها ألف فدل على أن أصله أنيسان لأن التصغير يرد الأشياء الى أصولها ولانعلمهم قالوا فى تصغيره أنيسين وعلى تقدير أنه بقية أنيسين فلا يجوز ذلك الا أن يبنى على الضم ولايبقى موقوفا لأنه منادى مقبل عليه مع ذلك فلا يجوز لأنه تحقير و يمتنع ذلك فى حق النبوة وقوله كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله هذا قول ومن النحويين من يقول ان م حرف قسم وليس مبقى من أيمن * وقرئ بفتح الياء وإمالتها محضا و بين اللفظين * وقرأ الجمهور بسكون النون مدغمة فى الواو ومن السبعة الكسائى وأبو بكر وورش وابن عامر مظهرة عند باقى السبعة * وقرأ ابن أبى اسحق وعيسى بفتح النون * وقال قتادة يس قسم قال أبو حاتم فقياس هذا القول فتح النون كما تقول الله لأفعلن كذا وقال الزجاج النصب كأنه قال اتل يس وهذا على مذهب سيبويه أنه اسم للسورة * وقرأ الكلبى بضم النون وقال هى بلغة طيء ياانسان *وقرأ السماك وابن أبى اسحق أيضا بكسرها قيل والحركة لالتقاء الساكنين فالفتح كأن طلبا للتخفيف والضم كحيث والكسر على أصل التقائهما وإذا قيل انه قسم فيجوز أن يكون معربا بالنصب على ماقال أبو حاتم والرفع على الابتداء نحو أمانة الله لأقومن والجر على اضمار حرف الجر وهو جائز عند الكوفيين والحكيم إما فعيل بمعنى مفعل كما تقول عقدت العسل فهو عقيد أى معقد واما للمبالغة من حاكم وإما على معنى السبب أى ذى حكمة على صراط خبر ثان أو فى موضع الحال منه عليه السلام أو من المرسلين أو متعلق بالمرسلين والصراط المستقيم شريعة الاسلام * وقرأ طلحة والأشهب وعيسى بخلاف عنهما وابن عامر وحمزة والكسائى تنزيل بالنصب على المصدر وباقى السبعة وأبو بكر وأبو جعفر وشيبة والحسن والأعرج والأعمش بالرفع خبر مبتدأ محذوف أى هو تنزيل وأبو حيوة واليزيدى والقورصى عن أبى جعفر وشيبة بالخفض إما على البدل من القرآن وإما على الوصف بالمصدر لتنذر متعلق بتنزيل أو بأرسلنا مضمرة * ماأنذر قال عكرمة بمعنى الذى أى السئ الذى أنذره آباؤهم من العذاب فما مفعول ثان كقوله انا أنذرناكم عذابا قريبا * قال ابن عطية ويحتمل أن تكون ما مصدرية أى ماأنذر آباؤهم والآباء على هذا هم الاقدمون من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم وفهم على هذا التأويل بمعنى فانهم دخلت الفاء لقطع الجملة من الجملة الواقعة صلة فتتعلق بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل أو فهو غافل * وقال قتادة مانافية أى أن آباءهم لم ينذروا فالمعنى أن آباؤهم على هذا هم القريبون منهم وما أنذر فى موضع الصفة أى غير منذر آباؤهم وفهم غافلون متعلق بالنفى أى لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وباعتبار الآباء فى القدم والقرب يزول التعارض بين لاثبات النذر ونفيه * لقد حق القول على أكثرهم المشهور أن القول لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقيل لقد سبق فى علمه وجوب العذاب وقيل حق القول

(الدر)

(ش) ان صح أن معناه ياانسان فى لغة طيء فوجهه أن يكون أصله ياأنيسين فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله انتهى (ح) الذى نقل عن العرب فى تصغير انسان انما هو أنيسيان بياء بعدها ألف فدل على أن أصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ولا نعلمهم قالوا فى تصغيره أنيسين وعلى تقدير أنه بقية أنيسين فلا يجوز ذلك الا أن يبنى على القسم ولا يبقى موقوفا لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير و يمتنع ذلك فى حق النبوة وقوله كما قالوا فى القسم م الله فى أيمن الله فهذا قول ومن النحويين من يقول ان م حرف قسم وليس مبقى من أيمن

سبقه ليس من جهة ذاته بل ذلك منه تعالى والظاهر أن الاشارة بذلك الى إيراث الكتاب واصطفاء هذه الأمة * وجنات على هذا مبتدأ و يدخلونها الخبر وجنات قراءة الجمهور جمعا بالرفع و يكون ذلك إخبارا بمقدار أولئك المصطفين * وقال الزمخشري وابن عطية جنات بدل من الفضل * قال الزمخشري (فان قلت) فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق بالخيرات المشار اليه بذلك (قلت) لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب كأنه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن انتهى و يدل على أنه مبتدأ قراءة الجحدري وهارون عن عاصم جنات منصوبا على الاشتغال أي يدخلون جنات عدن يدخلونها * وقرأ زر بن حبيش والزهري جنة على الأفراد * وقرأ أبو عمرو يدخلونها مبنيا للمفعول و رويت عن ابن كثير والجمهور مبنيا للفاعل والظاهر أن الضمير المرفوع في يدخلونها عائد على الأصناف الثلاثة وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبي الدرداء وعقبة بن عامر وأبي سعيد وعائشة ومحمد ابن الحنفية وجعفر الصادق وأبي اسحق السبيعي وكعب الأحبار * وقرأ عمر هذه الآية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ومن جعل ثلاثة الاصناف هي التي في الواقعة لان الضمير في يدخلونها عائد عنده على المقتصد والسابق * وقال الزمخشري هو عائد على السابق فقط ولذلك جعل ذلك اشارة الى السبق بعد التقسيم فذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين مافيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة نعسى الله أن يتوب عليهم وقوله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطلع على حقيقة الأمر ولم يعلل نفسه بالخداع انتهى وهو على طريق المعتزلة * وقرأ الجمهور يحلون بضم الياء وفتح الحاء وشد اللام مبنيا للمفعول * وقرئ بفتح الياء وسكون الحاء وتخفيف اللام من حليت المرأة فهي حال اذا لبست الحلي و يقال جيد حال اذا كان فيه الحلي وتقدم في سورة الحج الكلام على يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقرأ الجمهور الحزن بفتحتين وقرئ بضم الحاء وسكون الزاي ذكره جناح بن حبيش والحزن يعم جميع الاحزان وقد خص المفسرون هاوأ كثروا و ينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل لا على التعيين فقال أبو الدرداء حزن أهوال يوم القيامة ومايصيب هنالك من ظلم نفسه من الغم والحزن * وقال سمرة بن جندب معيشة الدنيا الخبز ونحوه * وقال قتادة حزن الدنيا في الخوف ان لا يتقبل أعمالهم * وقال مقاتل حزن الانتقال يقولونها اذا استقروا فيها * وقال الكلبي خوف الشيطان * وقال ابن زيد حزن نظالم الآخرة والوقوف عن قبول الطاعات و ردها وطول المكث على الصراط * وقال القاسم بن محمد حزن زوال النعم وتقلب القلب وخوف العاقبة وقد أكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه أنه يعم كل حزن من أحزان الدين والدنيا حتى هذ * ان ربنا الغفور شكور الغفور فيه اشارة الى دخول الظالم لنفسه الجنة وشكور فيه اشارة الى السابق وأنه كثير الحسنات والمقامة هي الاقامة أي الجنة لانهاد ار اقامة دائما لا يرحل عنها من فضله من عطائه * لا يمسنا فيها نصب أي تعب بدن ولا يمسنا فيها لغوب أي تعب نفس وهو لازم عن تعب البدن * وقال قتادة اللغوب الوجع * وقال الزمخشري النصب التعب والمشقة التي تصيب المنتصب لمزاوله وأما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم﴾ لما ذكر حال المؤمنين ومقرهم ذكر حال الكافرين ﴿لا يقضى عليهم﴾ أى لا يجهز عليهم فيموتوا لانهم لو ماتوا لبطلت حواسهم فاستراحوا وهو فى جواب النفى وهو على أحد معنيى النصب فالمعنى انتفاء القضاء عليهم فانتفى مسببه أى لا يقضى عليهم ولا يموتون ﴿وهم يصطرخون﴾ بنى من الصراخ يفتعل وأبدلت من التاء طاء ﴿ربنا أخرجنا﴾ أى قائلين ربنا أخرجنا منها أى من النار وردنا الى الدنيا نعمل صالحا قال ابن عباس نقل لا إله إلا الله ﴿غير الذى كنا نعمل﴾ أى من الشرك ﴿أولم نعمركم﴾ هو استفهام توبيخ وتوقيف وتقرير وما مصدرية ظرفية أى مدة تذكرو ﴿خلائف فى الأرض﴾ تقدم الكلام عليه والمقت أشد الاحتقار والبغض والغضب والخسار خسار العمر ﴿قل أرأيتم﴾ تقدم الكلام عليه قال الزمخشرى أرونى بدل من أرأيتم لأن معنى أرأيتم أخبرونى كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعن ما استحقوا به الالهية والشركة أرونى أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله أم لهم مع الله تعالى شركة فى خلق السموات أو معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة و برهان من ذلك الكتاب أو يكون الضمير فى آتيناهم للمشركين كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا أم آتيناهم كتابا من قبله ﴿بل ان يعد الظالمون بعضهم﴾ وهم الرؤساء ﴿بعضا﴾ وهم الأتباع ﴿الا غرورا﴾ وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انتهى أما قوله ان أرونى بدل من أرأيتم فلا يصح لأنه اذا أبدل مما دخل عليه الاستفهام فلابد من دخول الاداة على البدل وأيضا فابدال الجملة من الجملة لم يعهد فى لسانهم ثم البدل على نية تكرار العامل ولا يتأتى ذلك هنا لأنه عامل فى أرأيتم فيستحيل دخوله على أرونى والذى أذهب اليه هنا ان أرأيتم بمعنى أخبرونى وهى تطلب مفعولين أحدهما منصوب والآخر مشتمل على الاستفهام كقول العرب أرأيت زيدا ما صنع فالأول هنا شركاءكم والثانى ماذا خلقوا وأرونى جملة اعتراضية فيها تأكيد للكلام وتسديد و يحتمل أن يكون ذلك من باب الاعمال لأنه توارد على ماذا خلقوا أرأيتم وأرونى لأن أرونى قد تعلق عن مفعولها الثانى كما علقت رأى التى لم تدخل عليها همزة النقل عن مفعولها فى قولهم أما ترى أى فرق ههنا و يكون قد أعمل الثانى على المختار عند البصريين ولما بين تعالى فساد أمر الأصنام و وقف على الحجة فى بطلانها عقب بذكر عظمته وقدرته ليبين الشئ بضده وتتأكد حقارة الأصنام بذكر عظمة الله تعالى فقال ﴿إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا﴾ والظاهر أن معناه ان تنتقلا عن أماكنهما وتسقط السموات عن علوها وقال الزمخشرى وان أمسكهما

النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة انتهى (فان قلت) اذا انتفى السبب انتفى مسببه فما حكمه اذا نفى السبب وانتفى مسببه وأنت تقول ما شبعت ولا أكلت ولا يحسن ما أكلت ولا شبعت لانه يلزم من انتفاء الاكل انتفاء الشبع ولا ينعكس فلو جاء على هذا الاسلوب لكان التركيب لا يمسنا فيها اعياء ولا مشقة (فالجواب) أنه تعالى بين مخالفة الجنة لدار الدنيا فان أماكنها على قسمين موضع يمس فيه المشاق والمتاعب كالبرارى والصحارى وموضع يمس فيه الاعياء كالبيوت والمنازل التى فيها الصغار فقال لا يمسنا فيها نصب لانها ليست مظان المتاعب لدار الدنيا ولا يمسنا فيها لغوب أى ولا نخرج منها الى موضع نصب ونرجع اليها فيمسنا فيها الاعياء * وقرأ الجمهور لغوب بضم اللام وعلى بن أبى طالب و السلمى بفتحها * قال الفراء هو ما يلغب به كالفطور والسحور وجاز أن يكون صفة للمصدر المحذوف كأنه لغوب كقولهم موت مائت * وقال صاحب اللوامح يجوز أن يكون مصدرا كالقبول وان شئت جعلته صفة لمضمر أى أمر لغوب واللغوب أيضا فى غير هذا الاحمق قال اعرابى أن فلانا لغوب جاءت كتابى فاحتقرها أى أحمق فقيل له لم أنثته فقال أليس صحيفة * والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور * وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير * فذوقوا فما للظالمين من نصير * ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور * هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا * قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا * ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده أنه كان حليما غفورا ﴾ لما ذكر حال المؤمنين ومقرهم

بكم ﴾ أى تشاءمنا بكم قال مقاتل احتبس عليهم المطر وقيل أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم الرسل ﴿ لنرجمنكم ﴾ أى بالحجارة و ﴿ عذاب أليم ﴾ هو الحريق ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ أى حظكم وما صار لكم من خير أو شر معكم أى من أفعالكم أى ليس هو من أجلنا بل بكفركم ﴿ أئن ذكرتم ﴾ ثم محذوف تقديره تطيرتم ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ اسمه حبيب قاله ابن عباس قيل وهو ابن اسرائيل وكان قصارا وقيل غير ذلك ومن أقصى المدينة أى من أبعد مواضعها وقيل كان مجذوما عبد الأصنام سبعين سنة يدعوهم لكشف ضره فلما دعاه الرسل الى عبادة الله تعالى قال هل من آية قال نعم ندعو ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال ان هذا العجيب لى سبعون سنة ادعوا هذه الآلهة فلم تستطع يفرجه ربكم فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع شيأ ولا تضر فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به كأن لم يكن به بأس فاقبل على التكسب فاذا أمسى تصدق بكسبه نصف لعياله ونصف يطعمه فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم فقال ياقوم اتبعوا المرسلين وحبيب هذا ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن

به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره أحد الا بعد ظهوره ومعنى يسعى يمشى على قدميه ﴿ قال ياقوم اتبعوا المرسلين ﴾ الظاهر انه لا يقول ذلك الا بعد تقدم ايمانه كما سبق فى قصته وقيل جاء يسعى وسمع قولهم وفهمه فلما فهمه روى انه تعقب أمرهم وسبره بان قال لهم أتطلبون أجرا على دعوتكم هذه قالوا لا فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايمان بهم واحتج عليهم بقوله ﴿ اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ أى وهم على هدى من الله تعالى أمرهم أولا باتباع المرسلين أى هم

بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون * ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون * أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون * انى اذا لفى ضلال مبين * انى آمنت بربكم فاسمعون * قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون * بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾

تقدم الكلام على اضرب مع المثل فى قوله أن يضرب مثلا ما بعوضة والقرية انطاكية فلا خلاف فى قصة أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون هم ثلاثة جمعهم فى المجىء وان اختلفوا فى زمن المجىء اذ أرسلنا اليهم اثنين الظاهر من أرسلنا أنهم أنبياء أرسلهم الله ويدل عليه قول المرسل اليهم ما أنتم الا بشر مثلنا وهذه المحاورة لا تكون الا مع من أرسله الله وهذا قول ابن عباس وكعب * وقال قتادة وغيرهم من الحواريين بعثهم عيسى عليه السلام حين رفع وصلب الذى ألقى عليه الشبه فافترق الحواريون فى الآفاق فقص الله قصة الذين ذهبوا الى انطاكية وكان أهلها عباد أصنام صادق وصدوق قاله وهب وكعب الاحبار * وحكى النقاش بن سمعان ويحنا * وقال مقاتل تومان ويونس * فكذبوهما أى دعواهم الى الله وأخبرا انهما رسولا الله فكذبوهما فعززنا بثالث أى قويناوشددنا قاله مجاهد وابن قتيبة وقال يقال تعزز لحم الناقة اذا صلب وقال غيره يقال المطر يعزز الأرض اذا لبدها وشدها ويقال للارض الصلبة القرآن هذا على قراءة تشديد الزاى وهى قراءة الجمهور * وقرأ الحسن وأبو حيوة وأبو بكر والمفضل وابان بالتخفيف * قال أبو على فغلبنا انتهى وذلك من قولهم من عزنى وقوله تعالى وعزنى فى الخطاب * وقرأ عبد الله

رسل الله اليكم فاتبعوهم ثم أمرهم ثانيا بجملة جامعة فى الترغيب فى كونهم لا ينقص منهم من حطام الدنيا شئ وفى كونهم يهتدون بهداهم فيشتملون على خير الدنيا وخير الآخرة وقد أجاز بعض النحويين من أن تكون بدلا من المرسلين ظهر فيه العامل كما ظهر اذا كان حرف جر كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن وجمهور لا يعربون ما صرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلا بل يجعلون ذلك مخصوصا بحرف الجر وأذكر الرافع والناصب سموا ذلك بالتتبيع لا بالبدل ﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى ﴾ موضع ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ولذلك قال ﴿ واليه ترجعون ﴾ ولولا انه قصد ذلك لقال واليه أرجع ثم أتبع الكلام كذلك مخاطبا لنفسه فقال ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ﴾ فأصرح من كل شئ لا تنفع ولا تضر ولا تنفع فان أرادكم الله بضر وشفعت لكم لم تنفع ﴿ شفاعتهم ﴾ [illegible] ولا ينقذ [illegible] فى كون شفاعتهم لا تنفع ثم نابيا بانتفاء الانقاذ عنه اذ هو نتيجته ثم صرح [illegible] وصدع بالحق فقال مخاطبا [illegible] ﴿ انى آمنت بربكم ﴾ أى الذى كفرتم به ﴿ فاسمعون ﴾ أى اسمعوا قولى وأطيعون [illegible] خطاب [illegible] على جهة المبالغة والتنبيه ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾

بالثالث بالف ولام والثالث شمعون الصفا قاله ابن عباس * وقال كعب ووهب شاوم وقيل يونس وحذف مفعول فعززنا مشددا أي قويناهما بثالث مخففا فغلبناهم أي بحجة ثالث وما يلطف به من التوصل الى الدعاء الى الله حتى من الملك على ما ذكر في قصتهم وستأتي هي أو بعض منها ان شاء الله وجاء أولا مرسلون بغير لام لانه ابتداء إخبار فلا يحتاج الى توكيد بعد المحاورة لمرسلون بلام التوكيد لانه جواب عن انكار وهؤلاء أمة أنكرت النبوات بقولها وما أنزل الرحمن من شيء وراجعتهم الرسل بان ردوا العلم الى الله وقنعوا بعلمه وأعلموهم أنهم انما عليهم البلاغ فقط وما عليهم من هداهم وضلالهم وفي هذا وعيد لهم ووصف البلاغ بالمبين وهو الواضح بالآيات الشاهدة بصحة الارسال كما روي في هذه القصة من المعجزات الدالة على صدق الرسل من ابراء الاكمه والابرص واحياء الميت قالوا انا تطيرنا بكم أي تشاءمنا * قال مقاتل احتبس عليهم المطر * وقال آخر أسرع فيهم الجذام عند تكذيبهم الرسل * قال ابن عطية والظاهر أن تطير هؤلاء كان سبب ما دخل فيهم من اختلاف الكلمة وافتتان الناس وهذا على نحو تطير قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى نحو ما خوطب به موسى عليه السلام * وقال الزمخشري وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه فان أصابتهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك انتهى وعن قتادة ان أصابنا شيء كان من أجلكم لنرجمنكم بالحجارة قاله قتادة عذاب أليم هو الحريق * قالوا طائركم معكم أي حظكم وما صار لكم من خير أو شر معكم أي من أفعالكم ليس هو من أجلنا بل بكفركم * وقرأ الحسن وابن هرمز وعمرو بن عبيد وزر بن حبيش طيركم بياء ساكنة بعد الطاء * وقرأ الحسن فيما نقل اطيركم مصدر اطير الذي أصله تطير فادغمت التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل في الماضي والمصدر * وقرأ الجمهور طائركم على وزن فاعل * وقرأ الجمهور أئن ذكرتم بهمزتين الاولى همزة الاستفهام والثانية همزة ان الشرطية فحققها الكوفيون وابن عامر وسهلها باقي السبعة * وقرأ زر بهمزتين مفتوحتين وهي قراءة أبي جعفر وطلحة الا انهما لينا الثانية بين بين * وقال الشاعر في تحقيقها

أإن كنت داود بن أحوى مرحلا * فلست براع لابن عمك محرما

الماجشوني وهو أبو سلمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سلمة المدني بهمزة واحدة مفتوحة والحسن بهمزة مكسورة وأبو عمرو في رواية وزر أيضا بمدة قبل الهمزة المفتوحة استثقل اجتماعهما ففصل بينهما بألف * وقرأ أبو جعفر أيضا والحسن أيضا وقتادة وعيسى الهمداني والأعمش أين بهمزة مفتوحة وياء ساكنة وفتح النون ظرف مكان * وروي هذا عن عيسى الثقفي أيضا فالقراءة الأولى على معنى أئن ذكرتم تتطيرون فجعل المحذوف مصب الاستفهام على مذهب سيبويه وجعله للشرط على مذهب يونس فان قدره مضارعا كان مجزوما والقراءة الثانية على معنى ألأن ذكرتم تطيرتم فأن مفعول من أجله وكذلك المكسورة والمفتوحة والتي بمدة قبل الهمزة المفتوحة وقراءة الهمزة المكسورة وحدها حرف شرط بمعنى الاخبار أي ان ذكرتم تطيرتم والقراءة الثانية الأخيرة أين ظرف أداة شرط حذف جزاؤه لدلالة ما قبله وتقديره أين ذكرتم صحبكم طائركم ويدل عليه قوله طائركم معكم ومن جوز تقديم الجزاء على الشرط وهم

طاهره انه أمر حقيقي بدخول الجنة وقت البعث

الكوفيون وأبو زيد والمبرد يجوز أن يكون الجواب طائركم معكم وكان أصله أين ذكرتم فطائركم معكم فلما قدم حذفت الفاء * وقرأ الجمهور ذكرتم بتشديد الكاف وأبو جعفر وخالد بن الياس وطلحة والحسن وقتادة وأبو حيوة والأعمش من طريق زائدة والأصمعي عن نافع بتخفيفها بل أنتم قوم مسرفون مجاوزون الحد في ضلالكم فمن ثم أتاكم الشؤم * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى اسمه حبيب قاله ابن عباس وأبو مجلز وكعب الأحبار ومجاهد ومقاتل قيل وهو ابن اسرائيل وكان قصارا وقيل اسكافا وقيل كان ينحت الأصنام ويمكن أن يكون جامعا لهذه الصنائع ومن أقصى المدينة أي من أبعد مواضعها فقيل كان في خارج المدينة يعاني زرعاله * وقيل كان في غار يعبد ربه * وقيل كان مجذوما فنزل له أقصى باب من أبوابها عبد الأصنام سبعين سنة يدعوهم لكشف ضره فلما دعاه الرسل الى عبادة الله قال هل من آية قالوا نعم ندعو ربنا القادر يفرج عنك مابك فقال ان هذا لعجيب لي سبعون سنة أدعو هذه الآلهة فلم تستطع يفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على مايشاء قدير وهذه لاتنفع شيأ ولا تضر فآمن ودعوا ربهم فكشف الله مابه كأن لم يكن به بأس فأقبل على التكسب فاذا مشى تصدق بكسبه نصف لعياله ونصف يطعمه فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم فقال ياقوم اتبعوا المرسلين وحبيب هذا ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره أحد إلا بعد ظهوره * وقال ابن أبي ليلى سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا قط طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون * وأورد الزمخشري قول ابن أبي ليلى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم قبل من حاله انه كان مجذوما عابد الأصنام سبعين سنة فالله أعلم وهنا تقدم من أقصى المدينة وفي القصص تأخر وهو من التفنن في البلاغة رجل يسعى يمشي على قدميه قال ياقوم اتبعوا المرسلين الظاهر أنه لايقول ذلك إلا بعد تقدم ايمانه كما سبق في قصة * وقيل جاء عيسى وسمع قولهم وفهمه فيما فهمه * روى انه تعقب أمرهم وسبره بان قال لهم أتطلبون أجرا على دعوتكم هذه قالوا لا فدعا عند ذلك قومه الى اتباعهم والايمان بهم واحتج عليهم بقوله اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون أي وهم على هدى من الله أمرهم أولا باتباع المرسلين أي هم رسل الله اليكم فاتبعوهم ثم أمرهم ثانيا بجملة جامعة في الترغيب في كونهم لاينقص منهم من حطام دنياهم شيء وفي كونهم يهتدون بهداهم فيشتملون على خيري الدنيا والآخرة وقد أجاز بعض النحويين في من أن تكون بدلا من المرسلين ظهر فيه العامل كما ظهر اذا كان حرف جر كقوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم والجمهور لايعربون ماصرح فيه بالعامل الرافع والناصب بدلا بل يجعلون ذلك مخصوصا بحرف الجر واذا كان الرافع والناصب سموا ذلك بالتتبيع لا بالبدل وفي قوله اتبعوا من لايسألكم أجرا دليل على نقص من يأخذ أجرا على شيء من أفعال الشرع التي هي لازمة له كالصلاة ولما أمرهم باتباع المرسلين أخذ يبدي الدليل في اتباعهم وعبادة الله فأبرزه في صورة نصحه لنفسه وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ويراد بهم ولانه أدخل في امحاض النصح حيث لايريد لهم الا ما يريد لنفسه فوضع قوله ومالي لاأعبد الذي فطرني موضع ومالكم لاتعبدون الذي فطركم ولذلك قال واليه ترجعون ولولا أنه قصد ذلك لقال واليه أرجع ثم أتبع الكلام كذلك مخاطبا لنفسه فقال أأتخذ من دونه آلهة قاصرة عن كل شيء لاتنفع ولا تضر فان أرادكم الله بضر ونفعت لكم لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على انقاذكم فيه ولا انتفاء خلاص عن كون شفاعتهم لاتنفع ثم ديانا انتفاء لقدرة فعبر

بانتفاء الانقاذ عنه اذهو تتبعته وفتح ياء المتكلم فى يردنى مع طلحة السمان كذا فى كتاب ابن عطية وفى كتاب ابن خالويه طلحة بن مطرف وعيسى الهمدانى وأبو جعفر وورويت عن نافع وعاصم وأبى عمرو * وقال الزمخشرى وقرىء ان يردنى الرحمن بضر بمعنى ان يجعلنى موردا للضر انتهى وهذا والله أعلم رأى فى كتب القرا آت يردنى بفتح الياء فتوهم انها ياء المضارعة بجعل الفعل متعديا بالياء المعدية كالهمزة فلذلك أدخل عليه همزة التعدية ونصب به اثنين والذى فى كتب القراء الشواذ انها ياء الاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقاء الساكنين * قال فى كتاب ابن خالويه بفتح ياء الاضافة * وقال فى اللوامح ان يردنى الرحمن بالفتح وهو أصل الياء عند البصرية لكن هذه محذوفة يعنى البصرية أى المثبتة بالخط البرى بالبصر لكونها مكتوبة بخلاف المحذوفة خطا ولفظا فلا ترى بالبصر * انى اذا ان لم أعبد الذى فطرنى واتخذت آلهة من دونه فى حيرة واضحة لكل ذى عقل صحيح ثم صرح بايمانه وصدع بالحق فقال مخاطبا لقومه انى آمنت بربكم أى الذى كفرتم به فاسمعون أى اسمعوا قولى وأطيعون فقد نبهتكم على الحق وان العبادة لاتكون إلا لمن منه نشأتكم واليه مرجعكم والظاهر أن الخطاب بالكاف والميم و بالواو وهو لقومه والأمر على جهة المبالغة والتنبيه قاله ابن عباس وكعب ووهب * وقيل خاطب بقوله فاسمعون الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ للأمر عندهم * وقيل الخطاب فى بربكم وفى فاسمعون للرسل لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل فقال ذلك أى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به قيل ادخل الجنة ظاهره أنه أمر حقيقى * وقيل معناه وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخولها ولا يكون الا بعد البعث ولم يأت فى القرآن انه قتل فقال الحسن لما أراد قومه قتله رفعه الله الى السماء فهو فى الجنة لا يموت الا بفناء السموات وهلاك الجنة فاذا أعاد الله الجنة دخلها * وقيل لما قال ذلك رفعوه الى الملك فطول معهم الكلام ليشغلهم عن قتل الرسل الى ان صرح لهم بايمانه فوثبوا عليه فقتلوه بوطء الأرجل حتى خرج قلبه من دبره وألقى فى بئر وهى الرس * وقال السدى رموه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى مات * وقال الكلبى رموه فى حفرة وردوا التراب عليه فمات وعن الحسن حرقوه حرقا وعلقوه فى باب المدينة وقبره فى سور انطاكية وقيل نشروه بالمناشير حتى خرج من بين رجليه وعن قتادة أدخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق أراد قوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وفى النسخة التى طالعنا من تفسير ابن عطية مانصه * وقرأ الجمهور فاسمعون بفتح النون * قال أبو حاتم هذا خطأ لا يجوز لانه أمر فاما حذف النون واما كسرها على جهة البناء انتهى يعنى ياء المتكلم والنون للوقاية وقوله وقرأ الجمهور وهم فاحش ولا يكون والله أعلم الا من الناسخ بل القراء مجمعون فيما أعلم على كسر النون سبعتهم وشواذهم الا ماروى عن عصمة عن عاصم من فتح النون ذكره فى الكامل مؤلف أبى القاسم الهذلى ولعل ذلك وهم من عصمة * وقال ابن عطية هنا محذوف تواترت به الاحاديث والروايات وهو أنهم قتلوه فقيل له عند موته ادخل الجنة وذلك والله أعلم بان عرض عليه مقعده منها وتحقق أنه من ساكنيها فرأى ما أقر عينه فلما حصل ذلك تمنى أن يعلم قومه بذلك انتهى وقوله قيل ادخل الجنة كأنه جواب لسائل عن حاله عند لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه فقيل ادخل الجنة ولم يأت التركيب قيل له لانه معلوم انه المخاطب وتمنيه علم قومه بذلك هو مرتب على تقدير سؤال عن ماوجد من قوله عند ذلك استيفاقا ونصحا لهم أى لو علموا ذلك لآمنوا بالله وفى الحديث نصح قومه حيا وميتا

(الدر)

(ش) وقرىء ان يردنى الرحمن بضر يعنى أن يوردنى ضرا أى يجعلنى موردا للضر انتهى (ح) هذا والله أعلم رأى فى القرا آت يردنى بفتح الياء فتوهم أنها ياء المضارعة لجعل الفعل متعديا بالياء المعدية كالهمزة فلذلك أدخل عليه همزة التعدية ونصب به اثنين والذى فى كتب القرا آت الشواذ أنها بالاضافة المحذوفة خطا ونطقا لالتقاء الساكنين قال فى كتاب ابن خالويه بفتح الياء بالاضافة وقال فى اللوامح ان يردنى الرحمن بالفتح وهو أصل الياء عند البصرية لكن هذه محذوفة يعنى البصرية أى المثبتة فى الخط التى ترى بالبصر لكونها مكتوبة بخلاف المحذوفة خطا ولفظا فلا ترى بالبصر

[illegible]

انه لم ينزل عليهم لاهلاكهم ﴿ جندا من السماء ﴾ كالحجارة والريح وغير ذلك وقوله من بعده يدل على ابتداء الغاية أي لم يرسل اليهم رسولا ولا عاتبهم بعد بقتله بل عاجلهم بالهلاك والظاهر أن ما في قوله ﴿ وما كنا منزلين ﴾ نافية فالمعنى قريب من معنى الجملة قبلها أي وما كان يصح في حكمنا أن ننزل في اهلاكنا جندا من السماء ﴿ صيحة واحدة ﴾ كان ناقصة واسمها مضمر أي ان كانت الأخذة أو العقوبة الاصيحة واحدة ﴿ فاذا هم خامدون ﴾ أي فاجأهم الخمود اثر الصيحة لم يتأخر وكنى بالخمود عن سكونهم بعد حياتهم كنار خمدت بعد توقد ونداء الحسرة على معنى هذا وقت حضورك وظهورك هذا تقدير نداء مثل هذا عند سيبويه وهو منادى منكور قال ابن عطية وكم هنا خبرية وانهم بدل منها والرؤية رؤية البصر انتهى هذا لا يصح لأنها اذا كانت خبرية فهي في موضع نصب بأهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع أن تكون بدلا منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت أهلكنا على انهم لم يصح ألا ترى أنك لو قلت أهلكنا انتفاء رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم أن يروا مفعوله كم فتوهم أن قوله أنهم لا يرجعون بدل لانه يسوغ أن يتسلط عليه فيقول ألم يروا أنهم لا يرجعون هذا وأمثاله دليل على ضعفه في علم العربية وقرئ لما بالتشديد والتخفيف فمن شدد جعلها بمعنى الا وان نافية أي ما كل أي كلهم الا ﴿ جميع لدينا محضرون ﴾ أي محشورون ولا تستعمل لما بمعنى الا الا في الأماكن المسموعة عن العرب فلا تقع في الاستثناء لا تقول قام القوم لما زيدا بمعنى الا زيدا لان هذا التركيب لم يسمع من العرب ومن خفف لما جعل ان المخففة من الثقيلة وكل مبتدأ وما زائدة واللام في لما هي الفارقة بين ان المخففة من الشديدة وبين ان النافية وجميع خبر عن كل هذا على مذهب البصريين وأما الكوفيون فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وما زائدة والضمير في لهم عائد على كفار قريش ومن يجري مجراهم في انكار الحشر و ﴿ أحييناها ﴾ استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك سلخ قال الزمخشري ويجوز أن توصف الارض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل بأعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه * ولقد أمر على اللئيم يسبني * انتهى هذا هدم لما استقر عند أئمة النحو من أن

وقيل تمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ في أمره وهو على صواب فيندموا ويحزنهم ذلك ويبشر بذلك وموجود في طباع البشر أن من أصاب خيرا في غير موطنه ود أن يعلم بذلك جيرانه وأترابه الذين نشأ فيهم وبلغنا أن الوزير ذلك الدين المسيري وكان وزير الملك مصر راح الى قريته التي كان منها وهي مسير وهي من أصغر قرى مصر فقيل له في ذلك فقال أردت أن يراني عجائز مسير في هذه الحالة التي أنا فيها قال الشاعر

والعز مطلوب وملتمس * وأحبه ما نيل في الوطن

والظاهر أن ما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية جوزوا أن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف تقديره بالذي غفره لي ربي من الذنوب وليس هذا بجيد اذ يؤول الى تمني علمهم بالذنوب المغفرة والذي يحسن تمني علمهم بمغفرة ذنوبه وجعله من المكرمين وأجاز الفراء أن تكون ما استفهاما * وقال الكسائي لو صح هذا يعني الاستفهام لقال بم من غير ألف * وقال الفراء يجوز أن يقال بما بالألف وأنشد فيه أبياتا * وقال الزمخشري ويحتمل أن تكون استفهامية يعني بأي شيء غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز دين الله حتى قيل ان قولك بما غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم بطرح الألف أجود وان كان اثباتها جائزا فقال قد علمت بما صنعت هذا وبم صنعت انتهى * والمشهور أن اثبات الالف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر مختص بالضرورة نحو قوله

على ما قام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في رماد

وحذفها هو المعروف في الكلام نحو قوله

علام يقول الرمح يثقل كاهلي * اذا أنا لم أطعن اذا الخيل كرت

وقرئ من المكرمين مشدد الراء مفتوح الكاف والجمهور باسكان الكاف وتخفيف الراء ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين * ان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم خامدون * ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون * ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون * وان كل لما جميع لدينا محضرون * وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من

النكرة لاتنعت الابالنكرة والمعرفة لاتنعت الابالمعرفة ولادليل لمن ذهب الى ذلك وأمايسبني فقال أي سابا وقد تبع الزمخشري ابن مالك على ذلك فى التسهيل من تأليفه والضمير فى من ثمره عائد على الماء لدلالة العيون عليه أو على حذف مضاف أى من ماء العيون ﴿وماعملته أيديهم﴾ ان كانت ماموصولة فتكون معطوفة على ثمره تقديره ومن الذى والضمير فى عملت محذوف يعود على ماتقديره عملته وان كانت مانافية فالضمير يعود على الثمر ﴿الازواج﴾ الانواع من جميع الاشياء ﴿مماتنبت الارض﴾ وكل صنف زوج مختلف لوناوطعماوشكلا ﴿ومن مالايعلمون﴾ أى وأنواعا ممالايعلمون أعلموا بوجوده أولم يعلموا ولما ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الارض وهى المكان الكلى ذكر الاستدلال بالليل والنهار وهو الزمان الكلى و بينهما مناسبة لان المكان لايستغنى عنه الجواهر والزمان لاتستغنى عنه الاعراض ونسلخ معناه نكشط ونقشر وهو استعارة لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل ومظلمون داخلون فى الظلام ومستقر الشمس بين يدى العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء فى حديث أبى ذر يقال لها اطلعى من حيث طلعت فاذا كان يوم طلوعها من مغربها يقال لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها وقرئ ﴿والقمر﴾ بالرفع على الابتداء وبالنصب على الاشتغال و ﴿قدرناه﴾ على حذف مضاف أى قدرنا سيره و ﴿منازل﴾ ظرف أى فى منازل وهذه المنازل معروفة عند العرب وهى ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لايتخطاه ولايتقاصر عنه على تقدير مستو

لايتفاوت يسير فيهامن ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أوليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى السرطان الخ فاذا كان فى آخر منازله دق واستقوس واصفر فيشبه العرجون القديم ﴿لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر﴾ ينبغى هنامستعملة فيما لا يمكن خلافه أى لم يجعل لها قدرة على ذلك وهذا الادراك المنفى هو أن الله تعالى جعل لكل واحد من الليل والنهار وآنيهما قسمامن الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب قال ابن عباس اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء ﴿كل فى فلك﴾ تقدم شرحه فى الانبياء والظاهر من الذرية أن يراد بها الابناء ومن نشأ منهم والضمير فى لهم وفى ذرياتهم عائد على شئ واحد فالمعنى أنه تعالى حمل ذريات هؤلاء وهم آباؤهم الاقدمون فى سفينة نوح عليه السلام ﴿المشحون﴾ المملوء ﴿وخلقنالهم من مثله مايركبون﴾ يعنى الابل والخيل والبغال والحمير والمماثلة فى أنه مركوب مبلغ للاوطان فقط والظاهر أن قوله ﴿فلاصريخ لهم﴾ أى لامغيث لهؤلاء الذين شاء الله اغراقهم قال الزمخشري فلاصريخ لهم أى فلااغاثة انتهى كأنه جعله مصدرا من أفعل ويحتاج الى نقل أن صريخا يكون مصدرا بمعنى اصراخ ﴿ولاهم ينقذون﴾ أى ينجون من الموت بالغرق نفى ولا الصريخ وهو خاص ثم نفى ثانيا انقاذهم بصريخ أوغيره وانتصب رحمة على الاستثناء المفرغ للمفعول من أجله أى لرحمة منا والظاهر أن رحمة ومتاعا الى حين تكون للذين ينقذون فلايفيد الدوام بل ينقذه الله رحمة له ويمتعه الى حين ثم يميته

العيون ليأكلوا من ثمره وماعملته أيديهم أفلايشكرون * سبحان الذى خلق الأزواج كلهامماتنبت الارض ومن أنفسهم وممالايعلمون * وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون * والشمس تجرى لمستقر لهاذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لاالشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولاالليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون * وآية لهم أناحملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنالهم من مثله مايركبون * وان نشأنغرقهم فلاصريخ لهم ولاهم ينقذون * الارحمةمناومتاعا الى حين ﴾ أخبرتعالى باهلاك قوم حبيب بصيحة واحدة صاح بهم جبريل وفى ذلك توعد لقريش أن يصيبهم ماأصابهم اذهم المضروب لهم المثل وأخبرتعالى أنه لم ينزل عليهم لاهلاكهم جندامن السماء كالحجارة والريح وغير ذلك وكانوا أهون عليه وقوله من بعده يدل على ابتداء الغاية أى لم يرسل اليهم رسولا ولاعاتبهم بعد قتله بل عاجلهم بالهلاك والظاهر أن ما فى قوله وما كنامنزلين نافية فالمعنى قريب من معنى الجملة قبلها أى وما كان يصح فى حكمنا أن ننزل فى اهلاكهم جندامن السماء لانه تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض كما قال فكلا أخذنا بذنبه الآية وقالت فرقة ما اسم معطوف على جند * قال ابن عطية أى من جند ومن

(الدر) (ع) أى من جند ومن الذى كنا منزلين على الامم مثلهم انتهى (ح) هذا تقدير لايصح لان من فى من جند زائدة ومذهب البصريين غير الأخفش أن لزيادتها شرطين أحدهما أن يكون قبلها نفى أو نهى أو استفهام والثانى أن يكون بعدها

الذى كنامنزلين على الأمم مثلهم انتهى وهو تقدير لايصح لان من فى من جند زائدة ومذهب البصريين غير الاخفش أن لزيادتها شرطين أحدهما أن يكون قبلها نفى أو نهى أو استفهام والثانى أن يكون بعدها نكرة وان كان كذلك فلا يجوز أن يكون المعطوف على النكرة معرفة لايجوز ماضربت من رجل ولازيد وانه لايجوز ولامن زيد وهو قدر المعطوف بالذى وهو معرفة فلا يعطف على النكرة المجرورة بمن الزائدة * وقال أبو البقاء ويجوز أن تكون مازائدة أى وقد كنامنزلين وقوله ليس بشئ * وقرأ ان كانت الاصيحة بنصب الصيحة وكان ناقصة واسمها مضمر أى ان كانت الأخذة أو العقوبة * وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ بن الحرث القارئ صيحة بالرفع فى الموضعين على ان كانت تامة أى ماحدثت أو وقعت الاصيحة وكان الاصل أن لايلحق التاء لانه اذا كان الفعل مسندا الى مابعد الامن المؤنث لم تلحق العلامة للتأنيث فيقول ماقام الاهند ولايجوز ماقامت الاهند عند أصحابنا الافى الشعر وجوزه بعضهم فى الكلام على قلة ومثله قراءة الحسن ومالك بن دينار وأبى رجاء والجحدرى وقتادة وأبى حيوة وابن أبى عبلة وأبى بحرية لاترى الامساكنهم بالتاء والقراءة المشهورة بالياء وقول ذى الرمة * ومابقيت الاالضلوع الجراشع *

﴿ وقول الآخر ﴾

مابرئت من ريبة وذم * فى حربنا الابنات العم

فانكر أبو حاتم وكثير من النحويين هذه القراءة بسبب لحوق تاء التأنيث فاذاهم خامدون أى فاجأهم الخمود إثر الصيحة لم يتأخر وكنى بالخمود عن سكوتهم بعد حياتهم كنار خمدت بعد توقدها ونداء الحسرة على معنى هذا وقت حضورك وظهورك هذا تقدير نداء مثل هذا عند سيبويه وهو منادى منكور على قراءة الجمهور * وقرأ أبى وابن عباس وعلى بن الحسين والضحاك ومجاهد والحسن ياحسرة العباد على الاضافة فيجوز أن تكون الحسرة منهم على مافاتهم ويجوز أن تكون الحسرة من غيرهم عليهم لمافاتهم من اتباع الرسل حين أحضر والعذاب وطباع البشر تتأثر عند معاينة عذاب غيرهم وتتحسر عليهم * وقرأ أبو الزناد وعبدالله بن ذكوان المدنى وابن هرمز وابن جندب ياحسرة على العباد بسكون الهاء فى الحالين حمل فيه الوصل على الوقف ووقفوا على الهاء مبالغة فى التحسر لمافى الهاء من التأهه كالتأوه ثم وصلوا على تلك الحال قاله صاحب اللوامح * وقال ابن خالويه ياحسرة على العباد بغير تنوين قاله ابن عباس انتهى ووجهه أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف التى هى بدل من ياء المتكلم فى النداء كما اجتزأ بالكسرة عن الياء فيه وقد قرئ ياحسرتا بالألف أى ياحسرتى ويكون من الله على سبيل الاستعارة فى معنى تعظيم ماجنوه على أنفسهم وفرط انكاره وتعجيبه منه والظاهر أن العباد هم مكذبو الرسل تحسرت عليهم الملائكة قاله الضحاك * وقال الضحاك أيضا المعنى ياحسرة الملائكة على عبادنا الرسل حتى لم ينفعهم الايمان لهم * وقال أبو العالية المراد بالعباد الرسل الثلاثة وكان هذا التحسر هو من الكفار حين رأوا عذاب الله تلهفوا على مافاتهم قال ابن عطية وقوله مايأتيهم الآية يدفع هذا التأويل انتهى * قال الزجاج الحسرة أمر يركب الانسان من كثرة الندم على مالانهاية له حتى يبقى حسيرا وقيل المنادى محذوف وانتصب حسرة على المصدر أى ياهؤلاء تحسر واحسرة وقيل ياحسرة على العباد من قول الرجل الذى جاء من أقصى المدينة يسعى لما وثب القوم لقتله وقيل هو من قول الرسل الثلاثة قالوا ذلك حين قتلوا ذلك الرجل وحل بهم العذاب فلو ياحسرة على هؤلاء كانهم تمنوا أن يكونوا قد آمنوا انتهى فالألف

(الدر)

نكرة واذا كان كذلك فلايجوز أن يكون المعطوف على النكرة معرفة لايجوز ماضربت من رجل ولازيد لانه لايجوز من زيد وهو قدر المعطوف بالذى وهو معرفة فلا يعطف على النكرة المجرورة بمن الزائدة

واللام للعهد اذا قلنا ان العباد المراد بهم الرسل الثلاثة أو من أرسلوا اليه وهم الهالكون بسبب كفرهم وتكذيبهم اياهم والظاهر أنها لتعريف جنس الكفار المكذبين وتلخص أن المتحسر الملائكة أو الله تعالى أو المؤمنون أو الرسل الثلاثة أو ذلك الرجل أقوال ما يأتيهم الى آخر الآية تمثيل لقريش وهم الذين عاد عليهم الضمير فى قوله ألم يروا كم أهلكنا * قال ابن عطية وكم هنا خبرية وانهم بدل منها والرؤية رؤية البصر انتهى فهذا لا يصح لانها اذا كانت خبرية فهى فى موضع نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع أن يكون انهم بدل منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت أهلكنا على أنهم لم يصح ألا ترى أنك لو قلت أهلكنا انتفاء رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن ابن عطية توهم أن يروا مفعوله كم فتوهم أن قولهم انهم لا يرجعون بدل لانه يسوغ أن يتسلط عليه فتقول ألم يروا أنهم لا يرجعون وهذا وأمثاله دليل على ضعفه فى علم العربية * وقال الزجاج هو بدل من الجملة والمعنى ألم يروا أن القرون التى أهلكناها اليهم لا يرجعون لان عدم الرجوع والهلاك بمعنى النهى وهذا الذى قاله الزجاج ليس بشئ لانه ليس بدلا صناعيا وانما فسر المعنى ولم يلحظ صنعة النحو * وقال أبو البقاء انهم اليهم انتهى وليس بشئ لان كم ليس بمعمول ليروا ونقل عن الفراء أنه يعمل يروا فى الجملتين من غير ابدال وقولهم فى الجملتين تجوز لان انهم وما بعده ليس بجملة ولم يبين كيفية هذا العمل * وقال الزمخشرى ألم يروا ألم يعلموا وهو معلق عن العمل فى كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام أو للخبر لان أصلها الاستفهام الا أن معناها نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك ألم يروا أن زيدا لمنطلق وان لم تعمل فى لفظه وأنهم اليهم لا يرجعون بدل من أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم انتهى فجعل يروا بمعنى يعلموا وعلقها على العمل فى كم وقوله لأن كم لا يعمل فيها ما قبلها كانت للاستفهام أو للخبر وهذا ليس على اطلاقه لأن العامل اذا كان حرف جر أو اسما مضافا جاز أن يعمل فيها نحو كم على كم جذع بيتك وأين كم رئيس صحبت وعلى كم فقير تصدقت أرجو الثواب وأين كم شهيد فى سبيل الله أحسنت اليه وقوله أو للخبر الخبرية فيها لغتان الفصيحة كما ذكر لا يتقدمها عامل الا ما ذكرنا من الجار واللغة الأخرى حكاها الأخفش يقولون فيها ملكت كم غلام أى ملكت كثيرا من الغلمان فكما يجوز أن يتقدم العامل على كثير كذلك يجوز أن يتقدم على كم لانها بمعناها وقوله لان أصلها الاستفهام ليس أصلها الاستفهام بل كل واحدة أصل فى بابها لكنها لفظ مشترك بين الاستفهام والخبر وقوله الا أن معناها نافذ فى الجملة يعنى معنى يروا نافذ فى الجملة لان جعلها معلقة وشرح يروا بيعلموا وقوله كما تقدم فى قولك ألم يروا أن زيدا لمنطلق فان زيدا لمنطلق معمول من حيث المعنى ليروا ولو كان عاملا من حيث اللفظ لم تدخل اللام وكانت ان مفتوحة فان وفى خبرها اللام من الادوات التى تعلق أفعال القلوب وقوله وأنهم لا يرجعون الى آخر كلامه لا يصح أن يكون بدلا لا على اللفظ ولا على المعنى أما على اللفظ فانه زعم أن يروا معلقة فيكون كم استفهاما وهو معمول لأهلكنا وأهلكنا لا تتسلط على أنهم اليهم لا يرجعون وتقدم لنا ذلك وأما على المعنى فلا يصح أيضا لانه قال تقديره أى على المعنى ألم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم فكونهم غير كذا ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل من كل ولا بعضا من الاهلاك ولا يكون بدل بعض من كل ولا يكون بدل اشتمال لان بدل الاشتمال يصح أن يضاف الى ما أبدل منه وكذلك بدل بعض من كل وهذا لا يصح هنا لا تقول ألم يروا انتفاء رجوع كثرة

(الدر)

(ع) وكم هنا خبرية وانهم بدل منها والرؤية رؤية البصر انتهى (ح) هذا لا يصح لأنها اذا كانت خبرية فهى فى موضع نصب باهلكنا ولا يسوغ فيها الا ذلك واذا كان كذلك امتنع أن يكون أنهم بدلا منها لان البدل على نية تكرار العامل ولو سلطت أهلكنا على أنهم لم يصح ألا ترى انك لو قلت أهلكنا انتفاء رجوعهم أو أهلكنا كونهم لا يرجعون لم يكن كلاما لكن (ع) توهم أن يروا مفعوله كم فتوهم أن قوله انهم لا يرجعون بدل لانه يسوغ أن يتسلط عليه فتقول ألم يروا أنهم لا يرجعون وهذا وأمثاله دليل على ضعفه فى علم العربية

أهلا كنا القرون من قبلهم وفي بدل الاشتمال نحو أعجبني الجارية ملاحتها وسرق زيد ثوبه يصح أعجبني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد وتقدم لنا الكلام على اعراب مثل هذه الجملة في قوله ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن في سورة الانعام والذي تقتضيه صناعة العربية أن أنهم معمول لمحذوف ودل عليه المعنى وتقديره قضينا أو حكمنا أنهم اليهم لا يرجعون * وقرأ ابن عباس والحسن انهم بكسر الهمزة على الاستئناف وقطع الجملة عن ماقبلها من جهة الاعراب ودل ذلك على أن قراءة الفتح مقطوعة عن ماقبلها من جهة الاعراب لتتفق القراءتان ولا تختلفا والضمير في انهم عائد على معنى كم وهم القرون واليهم عائد على من أسند اليه يروا وهم قريش فالمعنى أنهم لا يرجعون الى من في الدنيا وقيل الضمير في انهم عائد على من أسند اليه يروا وفي اليهم عائد على المهلكين والمعنى أن الباقين لا يرجعون الى المهلكين بنسب ولا ولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم والاهلاك مع قطع النسل أتم وأعم * وقرأ عبد الله ألم يروا من أهلكنا وانهم على هذا بدل اشتمال وفي قولهم أنهم لا يرجعون رد على القائلين بالرجعة وقيل لابن عباس ان قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فقال ليس القوم نحن اذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه * وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر بتثقيل لما وباقي السبعة بتخفيفها فمن ثقلها كانت عنده بمعنى الا وان نافية أي ما كل أي كلهم الا جميع لدينا محضرون أي محشورون قاله قتادة وقال ابن سلام معذبون وقيل التقدير لمن ما وليس بشئ ومن خفف لما جعل ان المخففة من الثقيلة وما زائدة أي ان كل لجميع وهذا على مذهب البصريين وأما الكوفيون فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وما زائدة ولما المشددة بمعنى الا ثابت في لسان العرب بنقل الثقاة فلا يلتفت الى زعم الكسائي انه لا يعرف ذلك * وقال أبو عبد الله الرازي في كون لما بمعنى الا معنى مناسب وهو أن لما كأنها حرفا نفي جميعا وهما لم وما فتأكد النفي والا كأنها حرفا نفي ان ولا فاستعمل أحدهما مكان الآخر انتهى وهذا أخذه من قول الفراء في الا في الاستثناء انها مركبة من ان ولا الا أن الفراء جعل ان المخففة من الثقيلة وما زائدة أي ان كل لجميع وهذا على مذهب البصريين وأما الكوفيون فان عندهم نافية واللام بمعنى الا وما زائدة ولما المشددة بمعنى الا ثابت حرف نفي وهو قول مردود عند النحاة تركيبا وما تركب منه وزاد تحريفا أن لك منه وكل بمعنى الاحاطة وجميع فعيل بمعنى مفعول ويدل على الاجتماع وجميع محضرون هنا على المعنى كما أفرد منتصر على اللفظ وكلاهما بعد جميع راعى فيه الفواصل وجاءت هذه الجملة تعدد كر الاهلاك تبيينا انه تعالى ليس من أهلك يترك بل بعد اهلاكهم جمع وحساب وثواب وعقاب ولذلك أعقب هذا بما يدل على الحشر من قوله وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وما بعده من الآيات وبدأ بالأرض لأنها مستقرهم حركة وسكونا حياة وموتا وموت الأرض جدبها واحياؤها بالغيث والضمير في لهم عائد على كفار قريش ومن يجري مجراهم في انكار الحشر وأحييناها استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية وكذلك نسلخ وقيل أحييناها في موضع الحال والعامل فيها آية بما فيها من معنى الاعلام ويكون آية خبرا مقدما والأرض الميتة مبتدأ فالنية بآية التأخير والتقدير والأرض الميتة آية لهم محياة كقولك قائم زيد مسرعا أي زيد قائم مسرعا ولهم متعلق بآية لا بصفة * وقال الزمخشري ويجوز أن يوصف الأرض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالأفعال ونحوه * ولقد أمر على اللئيم يسبني * انتهى وهذا هدم لما استقر عند أئمة النحو من أن النكرة لا تنعت الا بالنكرة والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة

(الدر)

(ش) ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل لانه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض وليل باعيانهما فعوملا معاملة النكرات في وصفها بالافعال ونحوه * ولقد أمر على اللئيم يسبني * انتهى (ح) هذا هدم لما استقر عند أئمة النحو من أن النكرة لا تنعت الا بالنكرة والمعرفة لا تنعت الا بالمعرفة ولا دليل لمن ذهب الى ذلك وأما يسبني فحال أي سابالي وقد تبع (ش) ابن مالك على ذلك في التسهيل من تأليفه

ولا دليل لمن ذهب الى ذلك وأما يسبني فحال أي سالمي وقد تبع الزمخشري ابن مالك على ذلك في التسهيل من تأليفه وفي هذه الجمل تعداد نعم احياؤها بحيث تصير مخضرة تبهج النفس والعين واخراج الحب منها حيث صار ما يعيشون به في المكان الذي هم فيه مستقرون لا في السماء ولا في الهواء وجعل الجنات لانهم أكلوا من الحب وربما تاقت النفس الى النقلة فالأرض يوجد منها الحب والشجر يوجد منه الثمر وتفجير العيون يحصل به الاعتماد على تحصيل الزرع والثمر ولو كان من السماء لم يدر أين يغرس ولا أين يقع المطر * وقرأ جناح بن حبيش وفجرنا بالتخفيف والجمهور بالتشديد ومن ثمره بفتحتين وطلحة وابن وثاب وحمزة والكسائي بضمتين والاعمش بضم الثاء وسكون الميم والضمير في ثمره عائد على الماء قيل لدلالة العيون عليه ولكونه على حذف مضاف أي من ماء العيون وقيل على النخيل واكتفى به للعلم في اشتراك الاعيان فيما علق به النخيل من أكل ثمره أو يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال الشاعر

فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له كيف قلت بعيون كأنه والذي تقدم خطوط فقال أردت كان ذاك وقيل عائد الى التفجير الدال عليه وفجرنا الآية أقرب مذكور وعنى بثمره فوائده كما تقول ثمرة التجارة الربح * وقال الزمخشري وأصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريق الالتفات والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الأعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه وبان أكله يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم ويجوز أن تكون ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون على خلقه * وقرأ الجمهور وما عملته بالضمير فان كانت ما موصولة فالضمير عائد عليها وان كانت نافية فالضمير عائد على الثمر * وقرأ طلحة وعيسى وحمزة والكسائي وأبو بكر بغير ضمير مفعول عملت على التقدير بن محذوفة وجوز في هذه القراءة أن تكون ما مصدرية أي وعمل أيديهم وهو مصدر أريد به المعمول فيعود الى معنى الموصول ولما عدد تعالى هذه النعم حض على الشكر فقال أفلا تشكرون ثم نزه تعالى نفسه عن كل ما يلحد به ملحد أو يشرك به مشرك فذكر انشاء الازواج وهي الأنواع من جميع الأشياء مما تنبت الأرض من النخل والشجر والزرع والثمر وغير ذلك وكل صنف زوج مختلف لونا وطعما وشكلا وصغرا وكبرا ومن أنفسهم ذكورا وإناثا ومما لا يعلمون أي وأنواعا مما لا يعلمون أعلموا بوجوده ولم يعلموا ما هو اذ لا يتعلق علمهم بماهيته أمر محتاج اليه في دين ولا دنيا وفي إعلامه بكثرة مخلوقاته دليل على اتساع ملكه وعظم قدرته ولما ذكر تعالى الاستدلال بأحوال الأرض وهي المكان الكلي ذكر الاستدلال بالليل والنهار وهو الزمان الكلي وبينهما مناسبة لأن المكان لا تستغني عنه الجواهر والزمان لا تستغني عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان ومثله مذكور في قوله ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ثم قال بعده ومن آياته انك ترى الأرض هامدة الآية وبدأ هنا بالزمان لأن المقصود اثبات الوحدانية بدليل قوله لا تسجدوا للشمس ولا للقمر الآية ثم الحشر بقوله ان الذي أحياها لمحيي الموتى وهنا المقصود الحشر أولا لأن ذكره فيها أكثر وذكر التوحيد في فصلت أكثر بدليل قوله قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض انتهى وهو من كلام أبي عبد الله الرازي وفيه تلخيص ونسلخ معناه نكشط ونقشر وهو استعارة لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل ومظلمون داخلون في الظلام

كما تقول أعتمنا وأسحرنا دخلنا فى العتمة وفى السحر واستدل قوم بهذا على أن الليل أصل والنهار فرع طارئ عليه ومستقر الشمس بين يدى العرش تسجد فيه كل ليلة بعد غروبها كما جاء فى حديث أبى ذر ويقال لها اطلعى من حيث طلعت فاذا كان طلوعها من مغربها يقال لها اطلعى من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا * وقال ابن عباس اذا غربت وانتهت الى الموضع الذى لا تتجاوزه استوت تحت العرش الى أن تطلع * وقال الحسن للشمس فى السنة ثلاثمائة وستون مطلعا تنزل كل يوم مطلعا ثم لا تنزل الى الحول وهى تجرى فى فلك المنازل أو يوم القيامة أو غيبوبتها لأنها تجرى كل وقت الى حد محدود تغرب فيه أو أحد مطالعها فى المنقلبين لانهما نهايتا مطالعها فاذا استقر وصولها كرت راجعة والا فهى لا تستقر عن حركتها طرفة عين ونحا الى هذا ابن قتيبة أو وقوفها عند الزوال كل يوم ودليل استقرارها وقوف ذلك الظلام حينئذ * وقال الزمخشرى بمستقر لها لحد لها موقت مقدر تنتهى اليه من فلكها فى آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره أو كمنتهى لها من المشارق والمغارب لأنها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ أقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لأنها لا تعدوه أولا بعد لها من مسيرها كل يوم فى مرأى عيوننا وهو المغرب * وقيل مستقرها محلها الذى أقر الله عليه أمرها فى جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذى تستقر فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة * وقال أبو عبد الله الرازى ما ملخصه فى المستقر وجوه فى الزمان وفى المكان ففى الزمان الليل أو السنة أو يوم القيامة وفى المكان غاية ارتفاعها فى الصيف وانخفاضها فى الشتاء وتجرى الى ذلك الموضع فترجع أو غاية مشارقها فلها فى كل يوم مشرق الى ستة أشهر ثم تعود على تلك المقنطرات وهذا هو ما تقدم فى الارتفاع فان اختلاف المشارق سبب اختلاف الارتفاع أو وصولها الى بيتها فى الاسد أو الدائرة التى عليها حركتها حيث لا تميل عن منطقة البروج على مرور الشمس ويحتمل أن يقال تجرى مجرى مستقرها فان أصحاب الهيئة قالوا الشمس فى فلك والفلك يدور فيدير الشمس فالشمس تجرى مجرى مستقرها انتهى * وقرئ الى مستقر لها * وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطاء بن رباح وزين العابدين والباقر وابنه الصادق وابن أبى عبدة لا مستقر لها نفيا مبنيا على الفتح فيقتضى انتفاء كل مستقر وذلك فى الدنيا أى هى تجرى دائما فيها لا تستقر الا ابن أبى عبلة فانه قرأ برفع مستقر وتنوينه على إعمالها إعمال ليس نحو قول الشاعر

تعز فلا شئ على الأرض باقيا * ولا وزر مما قضى الله واقيا

الاشارة بذلك الى جرى الشمس أى ذلك الجرى على ذلك التقدير والحساب الدقيق تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم * وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه والقمر بالرفع على الابتداء وباقى السبعة بالنصب على الاشتغال وقدرناه على حذف مضاف أى قدرنا سيره ومنازل ظرف أى منازله وقيل قدرنا نوره فى منازل فيزيد مقدار النور كل يوم فى المنازل الاجتماعية وينقص فى المنازل الاستقبالية وقيل قدرناه جعلناه أجرى حريه عكس منازل أنوار الشمس ولا يحتاج الى حذف حرف الصفة فان جرم القمر مظلم ينزل فيه النور لقبوله عكس ضياء الشمس مثل المرآة المجلوة اذا قوبل بها الشعاع وهذه المنازل معروفة عند العرب وهى ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يسير

ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي * الشرطين * البطين * الثريا * الدبران * الهقعة * الهنعة * الذراع * النثرة * الطرف * الجبهة * الدبرة * الصرفة * العواء * السماك * الغفر * الزباني * الاكليل * القلب * الشولة * النعائم * البلدة * سعد الذابح * سعد بلع * سعد السعود * سعد الاخبية * فرع الدلو المقدم * فرع الدلو المؤخر * بطن الحوت * ويقال له الرشاء فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس واصفر فشبه بالعرجون القديم من ثلاثة الاوجه * وقرأ سليمان التيمي كالعرجون بكسر العين وفتح الجيم والجمهور بضمهما وهما لغتان كالبريون والقديم ما مر عليه زمان طويل وقيل أقل عدة الموصوف بالقدم حول فلو قال رجل كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول وأكثر انتهى والقدم أمر نسبي وقد يطلق على ما ليس له سنة ولا سنتان فلا يقال العالم قديم وانما تعتبر العادة في ذلك * لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ينبغي لها مستعملة فيما لا يمكن خلافه أي لم يجعل لها قدرة على ذلك وهذا الادراك المنبغي هو قال الزمخشري ان الله تعالى جعل لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر أمرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس أن لا يستهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على العاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله أن يدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الأمر على هذا الترتيب الى أن يبطل الله ما دبر من ذلك وينقص ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر فتطلع الشمس من مغربها انتهى * وقال ابن عباس والضحاك اذا طلعت لم يكن للقمر ضوء واذا طلع لم يكن للشمس ضوء * وقال مجاهد لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر * وقال قتادة لكل أحد حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا * وقال ابن عباس أيضا اذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها * وقال الحسن لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة أي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت طلع * وقال يحيى بن سلام لا تدركه ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها * وقيل لا يمكنها أن تدركه في سرعته لان دائرة فلك القمر داخلة في فلك عطارد وفلك عطارد داخل في فلك الزهرة وفلك الزهرة داخل في فلك الشمس فاذا كان طريق الشمس أبعد قطع القمر جميع أجزاء فلكه أي من البروج الاثنى عشر في زمان تقطع الشمس فيه برجا واحدا من فلكه * وقال النحاس ما قيل فيه وأبينه ان مسير القمر مسير سريع والشمس لا تدركه في السير انتهى وهو ملخص القول الذي قبله ولا الليل سابق النهار لا يعارض قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا لان ظاهر قوله يطلبه حثيثا أن النهار سابق أيضا فيوافق الظاهر وفهم أبو عبد الله الرازي من قوله يطلبه حثيثا أن النهار يطلب الليل والليل سابقه وفهم من قوله ولا الليل سابق النهار ان الليل مسبوق لا سابق فأورده سؤالا * وقال كيف يكون الليل سابقا مسبوقا * وأجاب بان المراد من الليل هنا سلطان الليل وهو القمر وهو لا يسبق الشمس بالحركة اليومية السريعة والمراد من الليل هناك نفس الليل وكل واحد لما كان في عقب الآخر كان طالبه انتهى وعرض له هذا السؤال لكونه جعل الضمير الفاعل في يطلبه عائدا على النهار وضمير المفعول عائدا على الليل والظاهر أن ضمير الفاعل عائد على ما هو الفاعل في المعنى وهو الليل لانه كان قبل دخول

همزة النقل يغشي الليل النهار وضمير المفعول عائد على النهار لانه المفعول قبل النقل وبعده * وقرأ عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الخطفي سابق بغير تنوين النهار بالنصب * قال المبرد سمعته يقرأ فقلت ماهذا قال أردت سابق النهار فحذفت لانه أخف انتهى وحذف التنوين فيه لالتقاء الساكنين وتقدم شرح وكل في فلك يسبحون في سورة الأنبياء والظاهر من الذرية أنه يراد به الأبناء ومن نشأ منهم * وقيل ينطلق على الآباء وعلى الأبناء قاله أبو عثمان * وقال ابن عطية هذا تخليط ولا يعرف هذا في اللغة انتهى وتقدم الكلام في الذرية في آل عمران والظاهر أن الضمير في لهم وفي ذرياتهم عائد على شئ واحد فالمعنى انه تعالى حمل ذريات هؤلاء وهم آباؤهم الأقدمون في سفينة نوح عليه السلام قاله ابن عباس وجماعة ومن مثله للسفن الموجودة في جنس بني آدم الى يوم القيامة أو أريد بقوله ذرياتهم حذف مضاف أي ذريات جنسهم وأريد بالذرية من لا يطيق المشي والركوب من الذرية والضعفاء فالفلك اسم جنس من عليهم بذلك وكون الفلك مرادا به الجنس قاله ابن عباس أيضا ومجاهد والسدي ومن مثله الابل وسائر ما يركب * وقيل الضميران مختلفان أي ذرية القرون الماضية قاله علي بن سليمان وكان آية لهؤلاء إذهم نسل تلك الذرية * وقيل الذرية النطف والفلك المشحون بطون النساء ذكره الماوردي ونسب الى علي بن أبي طالب وهذا لا يصح لانه من نوع تفسير الباطنية وغلاة المتصوفة الذين يفسرون كتاب الله على شئ لا يدل عليه اللفظ بجهة من جهات الدلالة يحرفون الكلم عن مواضعه ويدل على أنه أريد ظاهر الفلك قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعني الابل والخيل والبغال والحمير والمماثلة في أنه مركوب مبلغ للأوطان فقط هذا إذا كان الفلك جنسا وأما ان أريد به سفينة نوح فالمماثلة تكون في كونها سفنا مثلها وهي الموجودة في بني آدم ويبعد قول من قال الذرية في الفلك قوم نوح في سفينته والمثل الأجل وما يركب لانه يدفعه قوله وان نشأ نغرقهم * وقرأ نافع وابن عامر والأعمش وزيد بن علي وأبان بن عثمان ذرياتهم بالجمع وكسر زيد وأبان الذال وباقي السبعة وطلحة وعيسى بالافراد * وقال الزمخشري ذريتهم أولادهم ومن يهمهم حمله * وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن مزارعها * وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء * من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفائن البر * وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها أنه حمل فيها آباؤهم الأقدمون وفي أصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن انتهى * وقال أبو عبد الله الرازي انما خص الذريات بالذكر لان الموجودين كانوا كفارا لا فائدة في وجودهم أي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما في أصلابهم من المؤمنين * وقال أيضا الضمير في وآية لهم عائد على العباد في قوله ياحسرة على العباد ثم قال بعد وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وآية لهم الليل وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ذريات العباد ولا يلزم أن يكون الضمير في الموضعين لمعنيين فهو كقوله لاتقتلوا أنفسكم انما يريد لا يقتل بعضكم بعضا فكذلك هذا وآية لهم أي آية كل بعض منهم أنا حملنا ذرية كل بعض منهم أو ذرية بعض منهم انتهى والظاهر في قوله وخلقنا أنه أريد الانشاء والاختراع فالمراد الابل وما يركب وتكون من للبيان وان كان ما يصنعه الانسان قد ينسب الى الله خلقا لكن الأكثر ما ذكرناه وان أريد به السفن تكون من للتبعيض ولهم الظاهر عوده على ما عاد عليه وآية لهم لانه المحدث عنهم وجوز أن يعود على الذرية والظاهر أن الضمير في مثله عائد على

﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾ الآية الضمير في لهم لقريش وما بين أيديكم أي من عذاب الأمم قبلكم وما خلفكم عذاب الآخرة ﴿وما تأتيهم من آية﴾ أي دأبهم الاعراض عن كل آية تأتيهم ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا﴾ لما أسلم حواشي الكفار من أقربائهم ومواليهم من المستضعفين قطعوا عنهم ما كانوا يواسونهم به وكان ذلك بمكة أولا قبل نزول آيات القتال فندبهم المؤمنون الى صلة قراباتهم فقالوا ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ وجواب لو قوله أطعمه وورود الموجب بغير لام فصيح ومنه أن لو نشاء أصبناهم لو نشاء جعلناه أجاجا والاكثر

مجيئه باللام والتصريح بالوصفين من الكفر والايمان دليل على أن المقول لهم هم الكافرون والقائل لهم هم المؤمنون وان كل وصف حامل صاحبه على ما صدر منه * إذ كل اناء بالذي فيه يرشح * ولما كانت هذه الصيحة لابد من وقوعها جعلوا كأنهم منتظروها وهذه هي النفخة الاولى تأخذهم فيهلكون وهم يخاصمون في معاملاتهم وأسواقهم في أماكنهم من غير امهال لتوصية ولا رجوع الى أهل وقرئ يخصمون بكسر الخاء وشد الصاد وقرئ يخصمون اتباعا لحركة الخاء ويخصمون بفتح الخاء وكسر الصاد وفي هذه القراآت هو مضارع خصم وكان أصله اختصم وقرئ باسكان الخاء وتخفيف الصاد وهو مضارع خصم ﴿ومن الاجداث﴾ أي من القبور ﴿الى ربهم﴾ الى جزاء ربهم ﴿ينسلون﴾ أي يسرعون ﴿قالوا يا ويلنا﴾ الظاهر أن هذا ابتداء كلام فقيل من الله تعالى على سبيل التوبيخ والتوقيف على انكارهم لما رأوا البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك والاستفهام بمن سؤال عن الذي بعثهم وتضمن قوله ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ ذكر الباعث أي الرحمن الذي وعدكموه وما يجوز أن تكون مصدرية على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق وبمعنى الذي أي هذا الذي وعده الرحمن والذي

الفلك * وقيل يعود على معلوم غير مذكور وتقديره من مثل ما ذكرنا من المخلوقات في قوله سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض كما قالوا في قوله من ثمره أي من ثمر ما ذكرنا * وقرأ الحسن نغرقهم مشددا والجمهور مخففا والصريخ فعيل بمعنى صارخ أي مستغيث وبمعنى مصرخ أي مغيث وهذا معناه هنا أي فلا مغيث لهم ولا معين * وقال الزمخشري فلا صريخ لهم أي فلا اغاثة لهم انتهى كأنه جعله مصدرا من أفعل ويحتاج الى نقل أن صريخا يكون مصدرا بمعنى صراخ والظاهر ان قوله فلا صريخ لهم أي لا مغيث لهؤلاء الذين شاء الله اغراقهم ولاهم ينقذون أي ينجون من الموت بالغرق نفي أولا الصريخ وهو خاص ثم نفي ثانيا انقاذهم بصريخ أو غيره * وقال ابن عطية وقوله فلا صريخ لهم استئناف اخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا أو مغرقين فهم في هذه الحال لا نجاة لهم إلا برحمة الله وليس قوله فلا صريخ لهم مربوطا بالمغرقين وقد يصح ربطه به والأول أحسن فتأمله انتهى وليس بحسن ولا أحسن والفاء في فلا صريخ لهم تعلق الجملة بما قبلها تعليقا واضحا وترتبط به ربطا لا تخاو الخلاص من العذاب بما يدفعه من أصله فنفي بقوله فلا صريخ لهم وما يرفعه بعد وقوعه فنفي بقوله ولاهم ينقذون وانتصب رحمة على الاستثناء المفرغ للمفعول من أجله أي لرحمتنا * وقال الكسائي والزجاج الى حين أي الى حين الموت قاله قتادة * وقال الزمخشري اما لرحمة منا وليتمتع بالحياة الى حين أي الى أجل يموتون فيه لابد لهم منه بعد النجاة من موت الغرق انتهى * وانما قال لابد لهم من موت الغرق لانه تعالى قال وان نشأ أي اغراقهم نغرقهم فمن شاء اغراقه لابد أن يموت بالغرق والظاهر أن رحمة ومتاعا الى حين يكون للذين ينقذون فلا يفيد الدوام بل ينقذه الله رحمة له ويمتعه الى حين ثم يميته * وقيل فيه تقسيم الا رحمة لمن علم أنه يؤمن فينقذه الله رحمة ومن علم أنه لا يؤمن يمتعه زمانا ويزداد اثما ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون * وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين * وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين * ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين * ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون * فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون * ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون * قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس

(الدر) (ش) فلا صريخ لهم أي فلا اغاثة انتهى (ح) كأنه جعله مصدرا من أفعل ويحتاج الى نقل أن صريخا يكون مصدرا بمعنى اصراخ

شيأولاتجزون الاما كنتم تعملون * ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون * هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون ﴾ الضمير فى لهم لقريش وما بين أيديكم قال قتادة ومقاتل عذاب الأمم قبلكم وما خلفكم عذاب الآخرة * وقال مجاهد عكسه * وقال الحسن خوفوا بما مضى من ذنوبهم وما يأتى منها * وقال مجاهد أيضا كقول الحسن ماتقدم من ذنوبكم وماتأخر لعلكم ترحمون وجواب اذا محذوف يدل عليه مابعده أى أعرضوا وما تأتيهم من آية أى دأبهم الاعراض عند كل آية تأتيهم واذا قيل لهم أنفقوا لما أسلم حواشى الكفار من أقربائهم ومواليهم من المستضعفين قطعوا عنهم ما كانوا يواسونهم به وكان ذلك بمكة أولا قبل نزول آيات القتال فندبهم المؤمنون الى صلة قرابتهم فقالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وقيل سحق قريش بسبب أذية المساكين من مؤمن وغيره فندبهم النبى صلى الله عليه وسلم الى النفقة عليهم فقالوا هذا القول * وقيل قال فقراء المؤمنين أعطونا مازعمتم من أموالكم انها لله فحرموهم وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء * وقال ابن عباس كان بمكة زنادقة اذا أمروا بالصدقة قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن أو كانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الافعال بمشيئة الله لوشاء الله لأغنى فلانا ولوشاء لأعزه ولوشاء لكان كذا فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولون * وقال القشيرى نزلت فى قوم من الزنادقة لا يؤمنون بالصانع استهزاء بالمسلمين بهذا القول * وقال الحسن واذا قيل لهم أى اليهود أمروا باطعام الفقراء وجواب لو نشاء قوله اطعمهم وورود الموجب بغير لام فصيح ومنه أن لو نشاء أصبنا لو نشاء جعلناه أجاجا والا كثر مجيئه باللام والتصريح بالموضعين من الكفر والايمان دليل على أن المقول لهم هم الكافرون والقائل لهم هم المؤمنون وان كل وصف حامل صاحبه على ماصدر منه اذ كل اناء بالذى فيه يرشح * وأمروا بالانفاق مما رزقكم الله وهو عام فى الاطعام وغيره فأجابوا بغاية المخالفة لان نفى اطعامهم يقتضى نفى الانفاق العام فكأنهم قالوا لا ننفق ولا أقل الأشياء التى كانوا يسمحون بها ويؤثرون بها على أنفسهم وهو الاطعام الذى به يفتخرون وهذا على سبيل المبالغة كمن يقول لشخص أعط لزيد دينارا فيقول لا أعطيه درهما فهذا أبلغ من لا أعطيه دينارا والظاهر أن قوله ان أنتم الا فى ضلال مبين من تمام كلام الكفار يخاطبون المؤمنين أى حيث طلبتم أن نطعموا من لا يريد الله اطعامه اذلو أراد الله اطعامه لأطعمه هو ويجوز أن يكون من قول الله لهم استأنف زجرهم به أو من قول المؤمنين لهم ثم حكى تعالى عنهم مايقولون على سبيل الاستهزاء والتعجيل لما توعدون به أى متى يوم القيامة الذى أنتم توعدوننا به أو متى هذا العذاب الذى تهددوننا به وهو سؤال على سبيل الاستهزاء منهم لما أمروا بالتقوى ولا يتقى الا مما يخاف وهم غير مؤمنين سألوا متى يقع هذا الذى تخوفونا به استهزاء منهم * ماينظرون أى ماينتظرون ولما كانت هذه الصيحة لابد من وقوعها جعلوا كأنهم منتظروها وهذه هى النفخة الأولى تأخذهم فيهلكون وهم يتخاصمون أى فى معاملاتهم وأسواقهم فى أماكنهم من غير امهال لتوصية ولا رجوع الى أهل وفى الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يخفض ميزانه ويرفعه والرجل يرفع أكلته الى فيه فما تصل الى فيه حتى تقوم * وقيل لا يرجعون الى أهلهم قولا وقيل ولا الى أهلهم يرجعون أبدا * وقرأ أبى يختصمون على الاصل وخرميان وأبو عمرو والاعرج وشبل وابن قسطنطين بادغام التاء فى الصاد ونقل حركتها الى الخاء وأبو عمرو أيضا وقالون بخلاف بالاختلاس وتشديد الصاد وعنهما

صدقه المرسلون ﴿ إن أصحاب الجنة ﴾ الآية لما ذكر أهوال يوم القيامة أعقب ذلك بحال السعداء والاشقياء والظاهر أن الشغل هو النعيم الذى قد شغلهم عن كل مايخطر بالبال ﴿ هم ﴾ مبتدأ ﴿ وأزواجهم ﴾ معطوف عليه و ﴿ فى ظلال ﴾ الخبر ويجوز أن يكون هم تأكيدا للضمير المستكن فى فاكهون وأزواجهم معطوف عليه وفى ظلال فى موضع الحال ﴿ على الارائك ﴾ أى الاسرة ﴿ متكئون ﴾ صفة لفاكهون وعلى الارائك متعلق به والارائك جمع أريكة وهى الاسرة ويدعون مضارع ادعى وهو افتعل من دعا ومعناه ولهم مايتمنون قال أبو عبيدة العرب تقول ادّع على ماشئت بمعنى تمن على

إسكان الخاء وتخفيف الصاد من خصم وباقي السبعة بكسر الخاء وشد الصاد وفرقة بكسر الياء اتباعا لكسرة الخاء وشد الصاد * وقرأ ابن محيصن يرجعون بضم الياء وفتح الجيم * وقرأ الأعرج في الصور بفتح الواو والجمهور بإسكانها * وقرئ من الأجداف بالفاء بدل الثاء * وقرأ الجمهور بالثاء وينسلون بكسر السين وابن أبي إسحق وأبو عمرو بخلاف عنه بضمها وهذه النفخة هي الثانية التي يقوم الناس أحياء عنها ولا تنافر بين ينسلون وبين فإذا هم قيام ينظرون لأنه لا ينسل إلا قائما ولأن تفاوت الزمانين يجعله كأنه زمان واحد * وقرأ ابن أبي ليلى ياويلتنا بتاء التأنيث وعنه أيضا ياويلتي بالتاء بعدها ألف بدل من ياء الإضافة ومعنى هذه القراءة أن كل واحد منهم يقول ياويلتي والجمهور ومن بعثنا من استفهام وبعث فعل ماض وعلي وابن عباس والضحاك وأبو نهيك من حرف جر وبعثنا مجرور به والمرقد استعارة عن مضجع الميت واحتمل أن يكون مصدرا أي من رقادنا وهو أجود أو يكون مكانا فيكون المفرد فيه يراد به الجمع أي من مراقدنا وما روي عن أبي بن كعب ومجاهد وقتادة من أن جميع البشر ينامون نومة قبل الحشر فقالوا هو غير صحيح الإسناد وقيل قالوا من مرقدنا لأن عذاب القبر كان كالرقاد في جنب ما صاروا إليه من عذاب جهنم والظاهر أن هذا ابتداء كلام فقيل من الله على سبيل التوبيخ والتوقيف على إنكارهم * وقال الفراء من قول الملائكة * وقال قتادة ومجاهد من قول المؤمنين للكفار على سبيل التقريع * وقال ابن زيد من قول الكفرة أي البعث الذي كانوا يكذبون به في الدنيا قالوا ذلك والاستفهام بمن سؤال عن الذي بعثهم وتضمن قوله هذا ما وعد الرحمن ذكر الباعث أي الرحمن الذي وعدكموه وما يجوز أن تكون مصدرية على تسمية الموعود والمصدر فيه بالوعد والصدق وبمعنى الذي أي هذا الذي وعده الرحمن والذي صدق المرسلون أي صدق فيه من قولهم صدقت زيدا الحديث أي صدقته فيه ومنه قولهم صدقني سن بكره أي في سن بكره * وقال الزجاج ويجوز أن يكون إشارة إلى المرقد ثم استأنف ما وعد الرحمن ويضمر الخبر حق أو نحوه وتبعه الزمخشري فقال ويجوز أن يكون هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف أي هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم انتهى وتقدمت قراءة الأصيحة بالرفع وتوجيهها فاليوم هو يوم القيامة وانتصب على الظرف والعامل فيه لا يظلم والظاهر أن الخطاب لجميع العالم ويندرج فيه من تقدم ذكره * قيل والصيحة قول إسرافيل عليه السلام أيتها العظام النخرة والأوصال المنقطعة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهذا معنى قوله تعالى يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولا من رب رحيم * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون * اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون * اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون * ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا

﴿سلام﴾ قال ابن عباس الملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين ﴿وامتازوا اليوم﴾ أي انفردوا عن المؤمنين لأن الحشر يجمع البر والفاجر فأمر المجرمون أن يكونوا على حدة من المؤمنين والظاهر أن ثم قولا محذوفا والمذكور ما يقال للمؤمنين في قوله سلام قيل للمجرمين امتازوا ولما امتثلوا ما أمروا به قال لهم على جهة التوبيخ والتقريع ﴿ألم أعهد إليكم﴾ وفقهم على عهده إليهم ومخالفتهم إياه وقرئ جبلا بكسرتين وتخفيف اللام وقرئ بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ جبلا بضم الجيم وإسكان الباء وقرئ بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام والجبل الأمة العظيمة * وقال الضحاك أقله عشرة آلاف خاطب تعالى الكفار بما فعل معهم الشيطان تقريعا لهم ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ في الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز عليّ إلا شاهدا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكنّ وسحقا فعنكن كنت أناضل وقال ابن عباس أراد أعين البصائر والمعنى ولو نشاء لختمنا عليهم بالكفر فلا يهتدي منهم أحد أبدا والطمس إذهاب الشيء وأثره جملة حتى كأنه لم يوجد فإن أريد بالأعين الحقيقة فالظاهر أنه يطمس بمعنى يمسخ حقيقة وقرأ عيسى فاستبقوا على الأمر وهو على إضمار القول أي فيقال لهم استبقوا الصراط وهو أمر على سبيل التعجيز إذ لا يمكنهم الاستباق

مع طمس الاعين ﴿فأنى يبصرون﴾ أى كيف يبصر من طمس على عينه ولماذكر تعالى الطمس والمسخ على تقدير المشيئة ذكر تعالى دليلا على باهر قدرته فى تنكيس المعمر وان ذلك لايفعله الا هو تعالى وتنكيسه قلبه وجعله على عكس ماخلقه أولا وهو أنه خلقه على ضعف فى جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعله يتزايد و ينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده فاذا انتهى نكسه فى الخلق فتناقص فى حال شيخوخته الى الحال الأول وهى النشأة ﴿وما علمناه الشعر﴾ الضمير فى علمناه للرسول عليه السلام كانوا يقولون فيه شاعر وكان صلى الله عليه وسلم لايقول الشعر واذا أنشد بيتا أحرز المعنى دون الوزن ﴿وماينبغى له﴾ أى ولايمكن له ولا يصح ولايناسب لأنه صلى الله عليه وسلم فى طريق جد محض والشعر أكثره فى طريق هزل وتحسين

الصراط فأنى يبصرون * ولونشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون * ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون * وماعلمناه الشعر وماينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين * لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ﴾ لماذكر تعالى أهوال يوم القيامة أعقب ذلك بحال السعداء والأشقياء والظاهر أنه اخبار لما يكونون فيه اذا صاروا الى ماأعدلهم من الثواب والعقاب * وقيل هو حكاية مايقال فى ذلك اليوم وفى مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود له فى النفوس وترغيب الى الحرص عليه وفيما يثمره والظاهر أن الشغل هو النعيم الذى قد شغلهم عن كل مايخطر بالبال * وقال قريبا منه مجاهد وبعضهم خص هذا الشغل بافتضاض الأبكار قاله ابن عباس وعنه أيضا سماع الأوتار * وعن الحسن شغلوا عن مافيه أهل النار * وعن الكلبى عن أهاليهم من أهل النار لايذكرونهم لئلا يتنغصوا * وعن ابن كيسان الشغل التزاور * وقيل ضيافة الله وأفرد الشغل ملحوظا فيه النعيم وهو واحد من حيث هو نعيم * وقرأ الحرميان وأبو عمرو بضم الشين وسكون الغين وباقى السبعة بضمها ومجاهد وأبو السمال وابن هبيرة فيما نقل ابن خالويه عنه بفتحتين ويزيد النحوى وابن هبيرة فيما نقل أبو الفضل الرازى بفتح الشين واسكان الغين * وقرأ الجمهور فاكهون بالألف والحسن وأبو جعفر وقتادة وأبو حيوة ومجاهد وشيبة وأبو رجاء ويحيى بن صبيح ونافع فى رواية بغير ألف وطلحة والأعمش فاكهين بالألف وبالياء نصبا على الحال وفى شغل هو الخبر فبالألف أصحاب فاكهة كما يقال لابن وتامر وشاحم ولاحم وبغير ألف معناه فرحون طربون مأخوذ من الفكاهة وهى المزحة وقرئ فكهين بغير ألف وبالياء * وقرئ فكهون بضم الكاف يقال رجل فكه وفكه نحو يدس ويدس ويحور فى هم أن يكون مبتدأ وخبره فى ضلال ومتكئون خبر ثان أو خبره متكئون وفى ظلال متعلق به أو يكون تأكيدا للضمير المستكن فى فاكهون وفى ظلال حال ومتكئون خبر ثان أو يكون تأكيدا للضمير المستكن فى شغل المنتقل اليه من العامل فيه وعلى هذا الوجه والذى قبله يكون لأزواج قد شاركوهم فى التفكه والشغل والاتكاء على الأرائك وذلك من جهة المنطوق وعلى الأول شاركوهم فى الظلال والاتكاء على الأرائك من حيث المنطوق وهن قد شاركهم فى التفكه والشغل من حيث المعنى * وقرأ الجمهور فى ظلال * قال ابن عطية وهو جمع ظل إذ الجنة لاشمس فيها وانماهو اهاسجسج كوقت الاسفار قبل طلوع الشمس انتهى * وجمع فعل على فعال فى الكثرة نحو ذئب وذئاب وأما ان وقت الجنة كوقت الاسفار قبل طلوع الشمس فيحتاج هذا الى نقل صحيح وكيف يكون ذلك وفى الحديث مايدل على حوراء من حور الجنة لوظهرت لأضاءت منها الدنيا أو نحو من هذا * قال ويحتمل أن يكون جمع ظلة * قال أبو على كبرمة وبرام * وقال منذر بن سعيد جمع ظلة بكسر الظاء * قال ابن عطية وهى لغة فى ظلة انتهى فيكون مثل لقحة ولقاح وفعال لاينقاس فى فعلة بل يحفظ * وقرأ عبد الله والسلمى وطلحة وحمزة والكسائى فى ظلل جمع ظلة وجمع فعلة على فعل مقيس وهى عبارة عن الملابس ونحوها من الحجال والستور ونحوها من الأشياء التى تظل * وقرأ عبد الله متكئين نصب على الحال ويدعون مضارع دعى وهو افتعل من دعا ومعناه ولهم مايتمنون * قال أبوعبيدة العرب تقول ادع على ماشئت بمعنى تمن على وتقول فلان فى خير مايدعى * قال الزجاج وهو من الدعاء أى مايدعونه أهل الجنة يأتيهم * وقيل يدعون به لأنفسهم * وقيل يتداعونه لقوله

ارتموه وتراموه * وقرأ الجمهور سلام بالرفع *قيل وهو صفة لما أي مسلم لهم وخالص انتهى ولا يصح
ان كان ما بمعنى الذى لانها تكون إذ ذاك معرفة وسلام نكرة ولا تنعت المعرفة بالنكرة فان
كانت ما نكرة موصوفة جاز الا أنه لا يكون فيه عموم كحالها بمعنى الذى *وقيل سلام مبتدا
ويكون خبره ذلك الفعل الناصب لقوله قولا أى سلام يقال قولا من رب رحيم أو يكون عليكم
محذوفا أى سلام عليكم قولا من رب رحيم *وقيل خبر مبتدا محذوف أى هو سلام *وقال الزمخشرى
سلام قولا بدل من ما يدعون كأنه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله
يسلم عليهم بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه
* قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين انتهى واذا كان سلام بدلا من
ما يدعون كان ما يدعون خصوصا والظاهر أنه عموم فى كل ما يدعون واذا كان عموما لم يكن
سلام بدلا منه *وقيل سلام خبر لما يدعون وما يدعون مبتدأ أى ولهم ما يدعون سلام خالص
لاشرب فيه وقولا مصدر مؤكد كقوله ولهم ما يدعون سلام أى عدة من رحيم * قال الزمخشرى
والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه انتهى ويكون لهم متعلقا على هذا الاعراب
بسلام *وقرأ محمد بن كعب القرظى سلم بكسر السين وسكون اللام ومعناه سلام *وقال أبو الفضل
الرازى مسالم لهم أى ذلك مسالم ، وقرأ أبى وعبد الله وعيسى والقنوى سلاما بالنصب على المصدر
* وقال الزمخشرى نصب على الحال أى لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم أى انفردوا عن المؤمنين
لان المحشر جمع البر والفاجر وأمر المجرمون بأن يكونوا على حدة من المؤمنين والظاهر أن ثم قولا
محذوفا لما ذكر تعالى ما يقال لمؤمنين فى قوله سلام قولا من رب رحيم قيل ويقال للمجرمين امتازوا
ولما امتثلوا ما أمروا به قال لهم على جهة التوبيخ والتقريع ألم أعهد اليكم ووقفهم على عهده اليهم
ومخالفتهم إياه * وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى فعلى هذا معناه
ن بعضهم من بعض *وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير والعهد الوصية عهد اليه اذا وصاه وعهد الله
اليهم ما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل اليهم من أدلة السمع وعبادة الشيطان طاعته فيما يغويه به ويزينه
*وقرأ الجمهور أعهد بفتح الهمزة والهاء *وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفى بكسر الهمزة
قاله صاحب اللوامح وقال لغة تميم وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعنى
اعهد ونعهد *وقال ابن خالويه ألم أعهد يحيى بن وثاب ألم أحد لغة تميم *وقال ابن عطية وقرأ الهذيل
ابن وثاب ألم اعهد بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهى على لغة من كسر أول المضارع سوى الياء
* وروى عن ابن وثاب ألم أعهد بكسر الهاء يقال عهد يعهد انتهى وقوله بكسر الميم والهمزة يعنى ان
كسر الميم يدل على كسر الهمزة لان الحركة التى فى الميم هى حركة نقل الهمزة المكسورة وحذفت
الهمزة حين نقلت حركتها الى الساكن قبلها وهو الميم اعهد الهمزة المقطوعة المكسورة لفظا لان
هذا لا يجوز * وقال الزمخشرى وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف
مضارعته الكسر الا فى الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب
يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا انتهى وقوله الا فى الياء لغة لبعض
كلب انهم يكسرون أيضا فى الياء يقولون هل يعلم وقوله دحا محا يريدون دعها معها أدغموا العين فى
الحاء والاشارة بهذا الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن * وقرأ نافع وعاصم جبلا
بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وهى قراءة أبى حيوة وسهيل وأبى جعفر وشيبة وأبى رجاء والحسن

(الدر)

(ش) وقرئ اعهد بكسر الهمزة وباب فعل كله يجوز فى حروف مضارعته الكسر الا فى الياء وأعهد بكسر الهاء وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب وأحهد بالحاء وأحد وهى لغة تميم ومنه قولهم دحا محا انتهى (ح) قوله الا فى الياء لغة بعض كلب انهم يكسرون أيضا فى الياء يقولون هم يعلم وقوله دحا محا يريدون دعها معها أدغموا العين فى الحاء

بخلاف عنه * وقرأ العربيان والهذيل بن شرحبيل بضم الجيم واسكان الباء وباقي السبعة بضمها وتخفيف اللام والحسن بن أبي اسحق والزهري وابن هرمز وعبد الله بن عبيد بن عمير وحفص بن حميد بضمتين وتشديد اللام والاشهب العقيلي واليماني وحماد بن سلمة عن عاصم بكسر الجيم وسكون الباء والاعمش جبلا بكسرتين وتخفيف اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام جمع جبلة نحو فطرة وفطر فهذه سبع لغات قرئ بها * وقرأ علي بن أبي طالب وبعض الخراسانيين جيلا بكسر الجيم بعدها ياء آخر الحروف واحد الاجيال والجبل بالباء بواحده من أسفل الأمة العظيمة * وقال الضحاك أقله عشرة آلاف * خاطب تعالى الكفار بما فعل معهم الشيطان تقريعا لهم * وقرأ الجمهور أفلم تكونوا بتاء الخطاب وطلحة وعيسى بياء الغيبة عائدا على جبل ويروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد عليهم جيرانهم وعشائرهم وأهاليهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة اني لا أجيز على شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقال بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل * وقرئ يختم مبنيا للمفعول وتتكلم أيديهم بتاءين وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على أن الله يأمر الاعضاء بالكلام والشهادة * وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن أبيه عن جده طلحة أنه قرأ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى وكذلك يختم على أفواههم والظاهر أن الاعين هي الاعضاء المبصرة والمعنى لأعميناهم فلا يرون كيف يمشون قاله الحسن وقتادة ويؤيده مناسبة المسخ فهم في قبضة القدرة وبروج العذاب ان شاء الله لهم * وقال ابن عباس أراد عين البصائر والمعنى ولو نشاء لختمنا عليهم بالكفر فلا يهتدي منهم أحد أبدا والطمس اذهاب الشيء وأثره جملة حتى كأنه لم يوجد فان أريد بالاعين الحقيقة فالظاهر أن الطمس بمعنى المسح حقيقة ويجوز أن يكون الطمس يراد به العمى من غير اذهاب العضو وأثره * وقرأ الجمهور فاستبقوا فعلا ماضيا معطوفا على لطمسنا وهو على الفرض والتقدير والصراط منصوب على تقدير الى حذفت ووصل الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط أو مفعولا به على تضمين استبقوا معنى تبادروا وجعله مسبوقا لا مسبوقا اليه * قال الزمخشري أو ينتصب على الظرف وهذا لا يجوز لان الصراط هو الطريق وهو ظرف مكان مختص لا يصل اليه الفعل الا بوساطة في الا في شذوذ كما أنشد سيبويه

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

ومذهب ابن الطراوة أن الصراط والطريق والمحرم وما أشبهها من الظروف المكانية ليست مختصة فعلى مذهبه يسوغ ما قاله الزمخشري * وقرأ عيسى فاستبقوا على الأمر وهو على اضمار القول أي فيقال لهم استبقوا الصراط وهذا على سبيل التعجيز اذ لا يمكنهم الاستباق مع طمس الاعين فأنى يبصرون أي كيف يبصر من طمس على عينيه والظاهر أن المسخ حقيقة وهو تبديل صورهم بصور شنيعة * قال ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير كما تقدم في بني اسرائيل وقيل حجارة * وقال الحسن وقتادة لأقعدناهم وأزمناهم فلا يستطيعون تصرفا والظاهر أن هذا لو كان يكون في الدنيا وقال ابن سلام هذا التمثيل كله يوم القيامة * وقرأ الحسن على مكانتهم بالافراد وهي المكان [illegible] ومقام ومقامة * وقرأ الجمهور وأبو بكر بالجمع والجمهور مضيا بضم الميم وأبو حيوة وأحمد بن جبير الانطاكي عن الكسائي بكسرها اتباعا لحركة الضاد كالعتي والعتي وروي عنه فعول

(ش) أو ينتصب على الظرف انتهى (ح) هذا لا يجوز لان الصراط هو الطريق وهو ظرف مكان مختص لا يصل اليه الفعل الا بوساطة في الا في شذوذ كما أنشد سيبويه

لدن بهز الكف يعسل متنه
فيه كما عسل الطريق الثعلب

ومذهب ابن الطراوة أن الصراط والطريق والمحرم وما أشبهها من الظروف المكانية ليست مختصة فعلى مذهبه يسوغ ما قاله الزمخشري

التقت واو ساكنة وياء فأبدلت الواو ياء وأدغمت فى الياء وكسر ماقبلها لتصح الياء * وقرئ مضيا بفتح الميم فيكون من المصادر التى جاءت على فعيل كالرسيم والوجيف ولما ذكر تعالى الطمس والمسخ على تقدير المشيئة ذكر تعالى دليلا على باهر قدرته فى تنكيس المعمر وان ذلك لايفعله الا هو تعالى وتنكيسه قلبه وجعله على عكس ماخلقه أولا وهو أنه خلقه على ضعف فى جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعله يتزايد وينتقل من حال الى حال الى أن يبلغ أشده وتستكمل قوته ويعقل ويعلم ماله وماعليه فاذا انتهى نكسه فى الخلق فيتناقص حتى يرجع فى حال شبيهة بحال الصبا فى ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من الفهم كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله وفى هذا كله دليل على أن من فعل هذه الافاعيل قادر على أن يطمس وأن يفعل بهم ماأراد * وقرأ الجمهور ننكسه مشددا وعاصم وحمزة مخففا * وقرأ نافع وابن ذكوان وأبو عمرو فى رواية عباس تعقلون بتاء الخطاب وباقى السبعة بياء الغيبة * وماعلمناه الشعر الضمير فى علمناه للرسول صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون فيه شاعر وروى أن القائل عقبة بن أبى معيط فنفى الله ذلك عنه وقولهم فيه شاعر أمامن كان فى طبعه الشعر فقوله مكابرة وايهام للجاهل بالشعر وأمامن ليس فى طبعه فقوله جهل محض وأين هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى تنتخبه الشعراء من كثرة التخييل وتزويق الكلام وغير ذلك مما يتورع المتدين عن انشاده فضلا عن انشائه وكان عليه السلام لايقول الشعر واذا أنشد بيتا أحرز المعنى دون وزنه كما أنشد

ستبدى لك الايام ماكنت جاهلا * ويأتيك من لم تزود بالاخبار

وقيل من أشعر الناس فقال الذى يقول

ألم ترياني كلما جئت طارقا * وجدت بها وان لم تطيب طيبا

أتجعل نهبى ونهب العبيد * بين الاقرع وعيينة

وأنشد يوما * كفى بالاسلام والشيب ناهيا * فقال أبو بكر وعمر نشهد أنك رسول الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام وربما أنشد البيت متزنا فى النادر * وروى عنه أنشد بيت ابن رواحة بيبت يجافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ولايدل اجراء البيت على لسانه متزنا أنه يعلم الشعر وقد وقع فى كلامه عليه السلام مايدخله الوزن كقوله أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وكذلك قوله هل أنت الا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت

وهو كلام من جنس كلامه الذى كان يتكلم به على طبيعته من غير صنعة فيه ولا قصد لوزن ولا تكلف كما يوجد فى القرآن شئ موزون ولا يعد شعرا كقوله تعالى * لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون * وقوله * فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر * وفى كثير من النثر الذى تنشئه الفصحاء ولايسمى ذلك شعرا ولايخطر ببال المنشى ولا السامع أنه شعر * ومايبغى له أى ولا يمكن له ولا يصح ولايناسب لانه عليه السلام فى طريق جد محض والشعر أكثره فى طريق هزل وتحسين لماليس حسنا وتقبيح لماليس قبيحا ومغالاة مفرطة جعله تعالى لايقرض الشعر كما جعله أميا لايخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض * وقيل فى هذه الآية دلالة على غضاضة الشعر وقد قال عليه السلام ماأنا بشاعر ولا ينبغى لى وذهب قوم الى أنه لاغضاضة فيه وانما منعه الله نبيه عليه الصلاة والسلام وان كان حلية جليلة ليجئ القرآن من قبله أغرب فانه لو كان له ادراك الشعر لقيل فى القرآن هذا من تلك

﴿ أولم يروا أنا خلقنا ﴾ لما كانت الأشياء المصنوعة لا يباشرها البشر الا باليد عبر لهم بما يقرب من أفهامهم بقوله مما عملت أيدينا أي مما تولينا عمله ولا يمكن لغيرنا أن يعمله فبقدر تناول ارادتنا برزت هذه الأشياء لم يشركنا فيها أحد والباري سبحانه وتعالى منزه عن اليد التي هي الجارحة وعن كل ما اقتضى التشبيه بالمحدثات ثم عنفهم واستجهلهم في اتخاذهم آلهة لطلب الاستنصار ﴿ لا يستطيعون ﴾ أي الآلهة نصر متخذيهم وهذا هو الظاهر لما اتخذوهم آلهة للاستنصار بهم رد تعالى عليهم بأنهم ليست لهم قدرة على نصرهم والظاهر أن الضمير في وهم عائد على ما هو الظاهر في لا يستطيعون أي والآلهة للكفار جند محضرون في الآخرة عند الحساب على جهة التوبيخ والنقمة وسماهم جندا اذ هم معدون للنقمة من عابديهم وللتوبيخ ثم آنس تعالى نبيه عليه السلام بقوله ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ أي لا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم وتوعد الكفار بقوله ﴿ انا نعلم ما يسرون وما يعلنون ﴾ فنجازيهم على ذلك ﴿ أولم ير الانسان ﴾ قبح تعالى انكار الكفرة البعث حيث قرر أن عنصره الذي خلقه منه هو نطفة من ماء مهين خارج من مخرج النجاسة أفضى به مهانة أصله الى أن تطور أطوارا وصار ذا تمييز ينكر قدرة الله تعالى ويقول من يحيي الميت بعد ما رم مع علمه أنه منشأ من موات وقائل ذلك العاصي بن وائل وقيل غيره وقد كان لأبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مراجعات ومقامات جاء بالعظم الرميم بمكة ففتته في وجه الكريم وقال من يحيي هذا يا محمد

القوة * قال ابن عطية وليس الأمر عندي كذلك وقد كان عليه السلام من الفصاحة والبيان في النثر في الرتبة العليا ولكن كلام الله يبين باعجازه ويندر بوصفه ويخرجه احاطة علم الله عن كل كلام وانما منع الله نبيه من الشعر ترفيعا له عن ما في قول الشعراء من التخييل والتزويق للقول وأما القرآن فهو ذكر بحقائق وبراهين فما هو بقول شاعر وهذا كان أسلوب كلامه عليه السلام قولا واحدا انتهى والضمير في له للرسول أي وما ينبغي الشعر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبعد من ذهب الى أنه عائد على القرآن أي وما ينبغي الشعر للقرآن ولم يجر له ذكر لكن له أن يقول بدل الكلام عليه ويبينه عود الضمير عليه في قوله ان هو الا ذكر وقرآن مبين أي كتاب سماوي يقرأ في المحاريب وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي أكثره من همزات الشياطين * وقرأ نافع وابن عامر لتنذر بتاء الخطاب للرسول وباقي السبعة بالياء للغيبة فاحتمل أن يعود على الرسول واحتمل أن يعود على القرآن * وقرأ اليماني لينذر بالياء مبنيا للمفعول ونقلها ابن خالويه عن الجحدري * وقال عن أبي السمال واليماني انهما قرآ لينذر بفتح الياء والذال مضارع نذر بكسر الذال اذا علم بالشئ فاستعد له * من كان حيا أي غافلا قاله الضحاك لان الغافل كالميت ويريد به من حتم عليه بالايمان وكذلك قابله بقوله ويحق القول أي كلمة العذاب على الكافرين المحتوم لهم بالموافاة على الكفر ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون * واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون * لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون * فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون * أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون * أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم

فقال عليه السلام الله يحييه ويميتك ويحييك ويدخلك جهنم ثم نزلت الآية وأبي هذا قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة بالحربة فخرجت من عنقه فمات بها ﴿ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴾ ذكر ما هو أغرب من خلق الانسان من نطفة وهو ابراز الشئ من ضده وذلك أبدع شئ وهو اقداح النار من الشجر الأخضر ألا ترى أن الماء يطفئ النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء والاعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنقدح النار باذن الله تعالى وعن ابن عباس ليس شجر الا وفيه نار الا العناب ثم ذكر ما هو أبدع وأغرب من خلق الانسان ومن اعادة من الموتى وهو انشاء هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صرف العدم الى الوجود فقال ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ قال الزمخشري مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في

انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ﴾ الاخبار وتنبيه الاستفهام لقريش واعراضها عن عبادة الله وعكوفها على عبادة الأصنام ولما كانت الأشياء المصنوعة لا يباشرها البشر الا باليد عبر لهم بما يقرب من أفهامهم بقوله مما عملت أيدينا أي مما تولينا عمله ولا يمكن لغيرنا أن يعمله فبقدرتنا وارادتنا برزت هذه الأشياء لم يشركنا فيها أحد والباري تعالى منزه عن اليد التي هي الجارحة وعن كل ما اقتضى التشبيه بالمحدثات وذكر الانعام لها لانها كانت جل أموالهم ونبه على ما يجعل لهم من منافعها لها مالكون أي ملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها أو مالكون ضابطون لها قاهرونها من قوله

أصبحت لا أحمل السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرا

أي لا أضبطه وهو من جملة النعم الظاهرة فلولا تذليله تعالى اياها وتسخيره لم يقدر عليها ألا ترى الى ماند منها لا يكاد يقدر على رده لذلك أمر بتسبيح الله راكبها وشكره على هذه النعمة بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وقرأ الجمهور ركوبهم وهو فعول بمعنى مفعول كالحضور والحلوب والقدوع وهو مما لا ينقاس * وقرأ أبي وعائشة ركوبتهم بالتاء وهي فعولة بمعنى مفعولة وقال الزمخشري وقيل الركوبة جمع انتهى ويعني اسم جمع لان فعولة بفتح الفاء ليس بجمع تكسير وقد عد بعض أصحابنا أبنية أسماء الجموع فلم يذكر فيها فعولة فينبغي أن يعتقد فيها انها اسم مفرد لا جمع تكسير ولا اسم جمع أي مركوبتهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة * وقرأ الحسن وأبو البرهسم والأعمش ركوبهم بضم الراء وبغير تاء وهو مصدر حذف مضافه أي ذو ركوبهم أو الحسن منافعها ركوبهم فيحذف ذو أو يحذف منافع * قال ابن خالويه العرب تقول ناقة ركوب حلوب وركوبة حلوبة وركباة حلباة وركبوب حلبوب وركبى حلبى وركبوتا حلبوتا كل ذلك محكى وأنشد

ركبانة حلبانة زفوف * تخلط بين وبر وصوف

وأجمل المنافع هنا وفصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام الآية والمشارب جمع مشرب وهو اما مصدر أي شرب أو موضع الشرب ثم عنفهم واستجهلهم في اتخاذهم آلهة لطلب الاستنصار لا يستطيعون أي الآلهة نصر متخذيهم وهذا هو الظاهر لما تخذوهم آلهة للاستنصار بهم رد تعالى عليهم أنهم ليس لهم قدرة على نصرهم * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون الضمير في يستطيعون عائدا للكفار وفي نصرهم للاصنام انتهى والظاهر أن الضمير في وهم عائد على ما هو الظاهر في لا يستطيعون أي والآلهة للكفار جند محضرون في الآخرة عند الحساب على جهة التوبيخ والنقمة وسماهم جندا إذ هم معدون للنقمة من عابديهم وللتوبيخ أو محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقودا للنار * قيل ويجوز أن يكون الضمير في وهم عائدا على الكفار وفي لهم عائد على الأصنام أي وهم للاصنام جند محضرون متعصبون لهم متحيرون يذبون عنهم يعني في الدنيا ومع ذلك لا يستطيعون أي الكفار التناصر وهذا القول مركب على أن الضمير في لا يستطيعون للكفار ثم آنس تعالى نبيه بقوله فلا يحزنك قولهم أي لا يهمك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم وتوعد الكفار بقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون فنجازيهم على ذلك * أولم ير الانسان قبح تعالى انكار الكفرة البعث حيث قرر أن عنصره الذي خلق منه هو نطفة ماء مهين خارج من مخرج النجاسة أفضى به مهانة أصله الى أن يخاصم الباري تعالى ويقول من يحيي الميت بعد ما رم مع علمه أنه منشأ من موات وقائل ذلك

الصغر والمهانة بالاضافة الى السموات والأرض أو أن يعيدهم لأن المعاد مثل المبتدأ وليس به انتهى الذي نقوله ان المعاد هو عين المبتدأ ولو كان مثله لم يسم ذلك اعادة بل يكون إنشاء مستأنفا ﴿ انما أمره ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ فسبحان ﴾ تنزيه عام له تعالى عن جميع النقائص والمعنى أنه متصرف فيه على ما أراد وقضى ﴿ الملكوت ﴾ ملك ﴿ كل شئ واليه ترجعون ﴾ أي الى جزائه ترجعون

(الدر)

(ش) وقيل الركوبة جمع انتهى (ح) يعني اسم جمع لان فعولة بفتح الفاء ليس بجمع تكسير وقد عد بعض أصحابنا ابنية أسماء الجموع فلم يذكر فيها فعولة فينبغي أن يعتقد فيها انها اسم مفرد لا جمع تكسير ولا اسم جمع أي مركوبتهم كالحلوبة بمعنى المحلوبة

العاصي بن وائل أو أمية بن خلف أو أبي بن خلف أقوال أصحها انه أبي بن خلف رواه ابن وهب عن مالك وقاله ابن اسحق وغيره والقول أنه أمية قاله مجاهد وقتادة ويحتمل أن كلا منهم واقع ذلك منه وقد كان لأبي مع الرسول مراجعات ومقامات جاء بالعظم الرميم بمكة ففتته في وجهه الكريم وقال من يحيي هذا يا محمد فقال الله يحييه و يميتك و يحييك و يدخلك جهنم ثم نزلت الآية وأبي هذا قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد بالحربة فخرجت من عنقه ووهم من نسب الى ابن عباس أن الجائي بالعظم هو عبد الله بن أبي بن سلول لان السورة والآية مكية باجماع ولان عبد الله بن أبي لم يهاجر قط هذه المهاجرة وبين قوله فاذا هو خصيم مبين وبين خلقناه من نطفة جمل محذوفة تبين أكثرها في قوله في سورة المؤمنون ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وانما اعتقب قوله فاذا هو خصيم مبين الوصف الذي آل اليه من التمييز والادراك الذي يتأتى معه الخصام أي فاذا هو بعدما كان نطفة رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه * وضرب لنا مثلا ونسي خلقه أي نشأته من النطفة فذهل عنها وترك ذكرها على طريق اللدد والمكابرة والاستبعاد لما لا يستبعد وقرأ زيد بن علي ونسي خالقه اسم فاعل والجمهور خلقه أي نشأته وسمى قوله من يحيي العظام وهي رميم لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار قدرة الله على احياء الموتى كما هم عاجزون عن ذلك * وقال الزمخشري والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفاة فلا يقال لم لم يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل أو مفعول انتهى واستدل بقوله قل يحييها على أن الحياة تحلها وهذا الاستدلال ظاهر ومن قال ان الحياة لا تحلها قال المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حسن حساس * وهو بكل خلق عليم يعلم كيفيات ما يخلق لا يتعاظمه شئ من المنشآت والمعادات جنسا ونوعا دقة وجلالة * الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ذكر ما هو أغرب من خلق الانسان من النطفة وهو ابراز الشئ من ضده وذلك أبدع شئ وهو اقتداح النار من الشئ الأخضر لا ترى أن الماء يطفئ النار ومع ذلك خرجت مما هو مشتمل على الماء * والاعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار وفي أمثالهم في كل شئ نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر والعفار وهي أنثى ينقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس ليس شجر الا وفيه نار الا العناب * وقرأ الجمهور الأخضر وقرئ الخضراء وأهل الحجاز يؤنثون الجنس المميز واحده بالتاء وأهل نجد يذكرون ألفاظا واستثنيت في كتب النحو ثم ذكر ما هو أبدع وأغرب من خلق الانسان من نطفة ومن اعادة الموتى وهو انشاء هذه المخلوقات العظيمة الغريبة من صرف العدم الى الوجود فقال أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم * وقرأ الجمهور بقادر بباء الجر داخلة على اسم الفاعل * وقرأ الجحدري وابن أبي اسحق والأعرج وسلام ويعقوب يقدر فعلا مضارعا أي من قدر على خلق السموات والأرض من عظم شأنهما كان على خلق الأناس قادرا والضمير في مثلهم عائد على الناس قاله الرماني * وقال جماعة من المفسرين عائد على السموات والأرض وعاد الضمير عليهم كضمير من يعقل من حيث كانت متضمنة من يعقل من الملائكة والثقلين * وقال الزمخشري مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والأرض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدا وليس به انتهى ويقول ان المعاد هو عين المبتدا ولو كان مثله لم يسم ذلك اعادة بل يكون انشاء مستأنفا * وقرأ الجمهور الخلاق بصيغة

(الدر)

(ش) مثلهم يحتمل معنيين أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض أو أن يعيدهم لان المعاد مثل المبتدأ وليس به انتهى (ح) الذي نقوله ان المعاد هو عين المبتدأ ولو كان مثله لم يسم ذلك اعادة بل يكون إنشاء مستأنفا

المبالغة لكثرة مخلوقاته * وقرأ الحسن والجحدري ومالك بن دينار وزيد بن علي الخالق اسم فاعل
* إنما أمره إذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون تقدم شرح مثل هذه الجملة والخلاف في فيكون
من حيث القراءة نصبا ورفعا * فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه عام له تعالى من جميع
النقائص * وقرأ الجمهور ملكوت وطلحة والأعمش ملكة على وزن شجرة ومعناه ضبط كل
شيء والقدرة عليه وقرئ مملكة على وزن مفعلة وقرئ ملك والمعنى أنه متصرف فيه على
ما أراد وقضى والجمهور ترجعون مبنيا للمفعول وزيد بن علي مبنيا للفاعل

﴿ سورة الصافات مكية وهي مائة واثنان وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والصافات صفا * فالزاجرات زجرا * فالتاليات ذكرا * إن إلهكم لواحد * رب السموات
والأرض وما بينهما ورب المشارق * إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل
شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب *
إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب * فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين
لازب * بل عجبت ويسخرون * وإذا ذكروا لا يذكرون * وإذا رأوا آية يستسخرون * وقالوا
إن هذا إلا سحر مبين * أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل نعم
وأنتم داخرون * فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا
يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون * احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون
الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنهم مسؤلون * ما لكم لا تناصرون * بل هم اليوم
مستسلمون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل
لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين * فحق علينا قول ربنا
إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين * فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون * إنا كذلك
نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أءنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين * إنكم لذائقوا العذاب الأليم * وما تجزون
إلا ما كنتم تعملون * إلا عباد الله المخلصين * أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون * في
جنات النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها
غول ولا هم عنها ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون * فأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أءنك لمن المصدقين *
أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه في سواء الجحيم *
قال تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * إلا موتتنا
الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون * أذلك خير
نزلا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه
رؤس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون * ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم *
ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم * إنهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون * ولقد ضل
قبلهم أكثر الأولين * ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد الله

المخلصين * ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين * وإن من شيعته لإبراهيم * إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم * فقال إني سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * ما لكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين * فأقبلوا إليه يزفون ﴾ الزجر الدفع عن الشيء بتسليط وصياح والزجرة الصيحة من قولك زجر الراعي الابل والغنم اذا صاح عليهما فرجعت لصوته * قال الشاعر

زجر أبي عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

يريد تصويته بها * الثاقب الشديد النفاذ * اللازب اللازم ما جاوره واللاصق به * اللذيذ المستطاب يقال لذ الشيء يلذ فهو لذيذ ولذ على وزن فعل كطلب * قال الشاعر

تلذ بطعمه وتخال فيه * اذا نبهتها بعد المنام

﴿ وقال ﴾

ولذ كطعم الصرخدي تركته * بأرض العدا من خشية الحدثان

يريد النوم ﴿ وقال ﴾

بحديثك اللذ الذي لو كلمت * أسد الفلاة به أتين سراعا

* الغول اسم عام في الأذى تقول غاله كذا وكذا اذا صرعه في خفاء ومنه الغيلة في العقل والغيلة في الرضاع وغاله الشيء أهلكه وأفسده ومنه الغول التي في أكاذيب العرب وفي أمثالهم الغضب غول الحلم * وقال الشاعر

مضى أولونا ناعمين بعيشهم * جميعا وغالتني بمكة غول

أي عاقتني عوائق * وقال

وما زالت الخمر تغتالنا * وتذهب بالأول فالأول

نزف الشارب الخمر وأنزف هو ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف الثلاثي متعد والرباعي لازم نحو كببت الرجل وأكب وقشعت الريح السحاب وقشع هو أي دخل في الكشع وانقشع * قال الشاعر وهو الاسود

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم * لبئس الندامى كنتم آل أبجر

ونزف الشارب بضم الزاي ويقال نزف المطعون [illegible] كله مبنيا للمفعول ونزحت الركية حتى نزفتها [illegible] ويقال أنزف الرجل [illegible] نزف [illegible] بين السكر [illegible] البيض معروف وهو اسم جنس [illegible] واحده بيضة [illegible] ويجمع على بيوض [illegible] قال الشاعر

[illegible] فقد [illegible] بيوضها

[illegible] في [illegible] أمر [illegible]

[illegible] الشيء يشوبه [illegible]

[illegible] وأرب دخل في رقيف

[illegible] رقيب [illegible] وقال

﴿ سورة والصافات ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ ﴿ والصافات صفا ﴾ الآية هذه السورة مكية ومناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على احياء الموتى وانه هو منشئهم واذا تعلقت ارادته بشئ كان ذكر تعالى وحدانيته اذلا يتم ما تعلقت به الارادة وجودا وعدما الا بكون المريد واحدا وأقسم تعالى باشياء من مخلوقاته والصافات قال ابن مسعود هم الملائكة تصف فى السماء فى العبادة والذكر صفوفا ﴿ والزاجرات ﴾ قال مجاهد الملائكة تزجر السحاب وغيرها من مخلوقات الله تعالى ﴿ والتاليات ﴾ القارئات قال مجاهد الملائكة تتلو ذكره وذكر المشارق لأنها مطالع الأنوار والأبصار بها أكلف وذكرها يغنى عن ذكر المغارب اذ ذاك مفهوم من المشارق والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم فى مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وقرأ الجمهور بزينة الكواكب بالاضافة فاحتمل المصدر مضافا للفاعل أى بأن زانت السماء الكواكب أو مضافا للمفعول أى بأن زين الله الكواكب وقرئ بزينة منونا الكواكب بالخفض بدلا من زينة وقرئ بزينة منونا الكواكب بالنصب فاحتمل أن تكون بزينة مصدرا والكواكب مفعول به واحتمل أن تكون الكواكب بدلا من السماء أى زينا كواكب السماء ﴿ وحفظا ﴾ مصدر منصوب باضمار فعل تقديره وحفظناها حفظا ﴿ مارد ﴾ اسم فاعل وفى النساء مريدا للمبالغة وموافقة الفواصل هنالك ﴿ لايسمعون الى الملأ الأعلى ﴾ كلام منقطع مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون ان يتسمعوا أو يسمعون وهم مقذوفون بالشهب مبعدون عن ذلك الا من أمهل حتى خطف لخطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الملائكة بالشهاب الثاقب وقرئ لايسمعون مضارع سمع وتعدى بالى ضمن معنى لا ينتهون بالسمع الى الملأ وقرئ يسمعون مضارع تسمع أرادوا ادغام التاء فى السين وسكنوا التاء وأبدلوها سينا كما أبدلوها فى الناس فقالوا النات واجتلبوا همزة الوصل لأنه لا يمكن الادغام الا بسكون التاء فصار اسمع وصار المضارع يسمع بادغام التاء فى السين ﴿ ويقذفون ﴾ يرجمون ﴿ من كل جانب ﴾ جهة يصعدون الى السماء منها والمرجوم بها هى التى يراها الناس تنقض وليست بالكواكب الجارية فى السماء لان تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا ودحورا مصدر فى موضع الحال أى مطرودين والواصب الدائم والثاقب هو النافذ بضوئه وشعاعه المنير

الشاعر وهو الفرزدق

لجاء فزبع الشول قبل افالها * يزف وجاءت خلفه وهى زفف

﴿ والصافات صفا * فالزاجرات زجرا * فالتاليات ذكرا * ان الهكم لواحد * رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق * انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لايسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب * الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ﴾ هذه السورة مكية * ومناسبة أولها لآخر يس أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى وأنه هو منشئهم واذا تعلقت ارادته بشئ كان ذكر تعالى وحدانيته اذ لا يتم ما تعلقت به الارادة وجودا وعدما الا بكون المريد واحدا وتقدم الكلام على ذلك فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وأقسم تعالى بأشياء من مخلوقاته فقال والصافات * قال ابن مسعود وقتادة ومسروق هم الملائكة تصف فى السماء فى العبادة والذكر صفوفا وقيل تصف أجنحتها فى الهواء واقفة منتظرة لأمر الله * وقيل من يصف من بنى آدم فى قتال فى سبيل الله أو فى صلاة وطاعة * وقيل والطير صافات * والزاجرات قال مجاهد والسدى الملائكة تزجر السحاب وغيرها من مخلوقات الله تعالى * وقال قتادة آيات القرآن لتضمنه النواهى الشرعية وقيل كل مازجر عن معاصى الله والتاليات القارئات * قال مجاهد الملائكة يتلون ذكره * وقال قتادة بنو آدم يتلون كلامه المنزل وتسبيحه وتكبيره * وقال مجاهد الملائكة يتلون ذكره * قال الزمخشرى ويجوز أن يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات أقدامها فى التهجد وسائر الصلوات وصفوف الجماعات فالزاجرات بالموعظة والنصائح فالتاليات آيات الله والدارسات شرائعه أو بنفوس قراء القرآن فى سبيل الله التى تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلوا الذكر مع ذلك لا يشغلها عنه تلك الشواغل انتهى * وقال ما معناه ان الفاء العاطفة فى الصافات إما ان تدل على ترتب معانيها فى الوجود كقوله يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب أى الذى صبح فغنم فآب واما على ترتبها فى التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الافضل فالافضل واعمل الاحسن فالاجمل وإما على ترتيب

موصوفاتها فى ذلك كقولك رحم الله المحلقين فالمقصرين فاما هنا فان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصافات فى التفاضل فاذا كان الموحد الملائكة فيكون الفضل للصف ثم الزجر ثم التلاوة واما على العكس وان تليت الموصوف فترتب فى الفضل فتكون الصافات ذوات فضل والزاجرات أفضل والتاليات أبهر فضلا أو على العكس انتهى ومعنى العكس فى المكانين انك ترتقى من أفضل الى فاضل الى مفضول أو تبدأ بالأدنى ثم بالفاضل ثم بالأفضل وأدغم ابن مسعود ومسروق والأعمش وأبو عمرو وحمزة التاآت الثلاث والجملة المقسم عليها تضمنت وحدانيته تعالى أى هو واحد من جميع الجهات التى ينظر فيها المتفكرون خبر بعد خبر على مذهب من يجيز تعداد الاخبار أو خبر مبتدأ محذوف وهو أمدح أى هو رب وذكر المشارق لأنها مطالع الانوار والابصار بها أكلف وذكرها يغنى عن ذكر المغارب اذ ذاك مفهوم من المشارق والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب تشرق الشمس كل يوم من مشرق منها وتغرب فى مغرب ولا تطلع ولا تغرب فى واحد يومين وثنى فى رب المشرقين ورب المغربين باعتبار مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما * وقال ابن عطية أراد تعالى مشارق الشمس ومغاربها وهى مائة وثمانون فى السنة فيما يزعمون من أطول أيام السنة الى أقصرها ثم أخبر تعالى عن قدرته بتزيين السماء بالكواكب وانتظام التزيين ن جعلها حفظا وحذرا من الشيطان انتهى والزينة مصدر كالسنة واسم لما يزان به الشئ كالليقة اسم لما يلاق به الدواة * وقرأ الجمهور بزينة الكواكب بالاضافة فاحتمل المصدر مضافا للفاعل أى بأن زانت السماء الكواكب ومضافا للمفعول أى بأن زين الله الكواكب واحتمل أن يكون ما يزان به والكواكب بيان للزينة لان الزينة مبهمة فى الكواكب وغيرها مما يزان به أو مما زينت الكواكب من اضاءتها وثبوتها * وقرأ ابن مسعود ومسروق بخلاف عنه وأبو زرعة وابن وثاب وطلحة بزينة منونا الكواكب بالخفض بدلا من زينة * وقرأ ابن وثاب ومسروق بخلاف عنهما والأعمش وطلحة وأبو بكر بزينة منونا الكواكب نصبا فاحتمل أن يكون بزينة مصدرا والكواكب مفعول به كقوله أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما واحتمل أن يكون الكواكب بدلا من السماء أى زينا كواكب السماء * وقرأ زيد بن على بتنوين زينة ورفع الكواكب على خبر مبتدأ أى هى الكواكب أو على الفاعلية بالمصدر أى بأن زينت الكواكب ورفع الفاعل بالمصدر المنون زعم الفراء أنه ليس بمسموع وأجاز البصريون ذلك على قلة * وقال ابن عباس بزينة الكواكب بضوء الكواكب قيل ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل الثريا وبنات نعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومسايرها وخص السماء الدنيا بالذكر لانها التى [illegible] الابصار وحفظا من الشياطين [illegible] وحفظا على المصدر أى حفظ [illegible] خير العامل أى وحفظناها زيناها [illegible] الكواكب [illegible] السماء وحفظا وكل هذه [illegible] وهنالك [illegible] وهنا مارد [illegible] فتصل المستترقة [illegible] عن ذلك الامن [illegible] الشهاب الثاقب ولا يجوز [illegible] الشياطين لأن الوصف

كونهم لايسمعون أو الجواب لامعنى للحفظ من الشياطين على تقديرهما اذ يصير المعنى مع الوصف وحفظا من كل شيطان مارد غير سامع أو مسمع وكذلك لايستقيم مع كونه جوابا وقول من قال إن الأصل لان لايسمعوا فحذفت اللام وان فارتفع الفعل قول متعسف يصان كلام الله عنه * وقرأ الجمهور لايسمعون نفى سماعهم وان كانوا يسمعون بقوله انهم عن السمع لمعزولون وعداه بالى لتضمنه معنى الاصغاء * وقرأ ابن عباس بخلاف عنه وابن وثاب وعبد الله بن مسلم وطلحة والأعمش وحمزة والكسائى وحفص بشد السين والميم بمعنى لايتسمعون أدغمت التاء فى السين وتقتضى نفى التسمع وظاهر الأحاديث أنهم يتسمعون حتى الآن لكنهم لايسمعون وان سمع أحد منهم شيأ لم يفلت حرسا وشهبا من وقت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرجم فى الجاهلية أخف فأما كانت ثمرة التسمع هو السمع وقد انتفى السمع بنفى التسمع فى هذه القراءة لانتفاء ثمرته وهو السمع والملأ الاعلى يعم الملائكة والانس والجن هم الملأ الاسفل لانهم سكان الأرض * وقال ابن عباس هم أشراف الملائكة وعنه كتابهم ويقذفون يرمون ويرجمون من كل جانب أى من كل جهة يصعدون الى السماء منها والمرجوم بها هى التى يراها الناس تنقض وليست بالكواكب الجارية فى السماء لان تلك لاترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لقربها منا قاله مكى والنقاس وقرأ محبوب عن ابن عمرو ويقذفون مبنيا للفاعل ودحورا مصدر فى موضع الحال * قال مجاهد مطرودين أو مفعول من أجله أى ويقذفون للطرد أو مصدر ليقذفون لانه متضمن معنى الطرد أى ويدحرون من كل جانب دحورا ويقذفون من كل جانب قذفا فاما أن يكون التجوز فى ويقذفون وإما فى دحورا * وقرأ على والسلمى وابن أبى عبلة والطبرانى عن رجاله عن أبى جعفر دحورا بنصب الدال أى قذفا دحورا بنصب الدال ويجوز أن يكون مصدرا كالقبول والولوغ الا أن هذه ألفاظ ذكر أنها محصورة والواصب الدائم قاله السدى وأبو صالح وتقدم فى سورة النحل ويقال وصب الشئ وصوبا دام * وقال مجاهد الموجع ومنه الوصب كأن المعنى انهم فى الدنيا مرجومون وفى الآخرة معذبون ويجوز أن يكون هذا العذاب الدائم لهم فى الدنيا وهو رجمهم دائما وعدم بلوغهم مايقصدون من استراق السمع * إلا من خطف الخطفة من بدل من الضمير فى لايسمعون ويجوز أن يكون منصوبا على الاستثناء أى لايسمع الشياطين الا الشيطان الذى خطف * وقرأ الجمهور خطف ثلاثيا بكسر الطاء * وقرأ الحسن وقتادة بكسر الخاء والطاء مشددة * قال أبو حاتم ويقال هى لغة بكر بن وائل وتميم بن مرة وقرئ خطف بفتح الخاء وكسر الطاء مشددة ونسبها ابن خالويه الى الحسن وقتادة وعيسى وعن الحسن أيضا التخفيف وأصله فى هاتين القراءتين اختطف ففى الأول لما سكنت للادغام والخاء ساكنة كسرت لالتقاء الساكنين فذهبت ألف الوصل وكسرت الطاء اتباعا لحركة الخاء * وعن ابن عباس خطف بكسر الخاء والطاء مخففة اتبع حركة الخاء لحركة الطاء كما قالوا نعم * وقرئ فاتبعه مخففا ومشددا * والثاقب قال السدى وقتادة هو النافذ بضوئه وشعاعه المنير ﴿ فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من طين لازب * بل عجبت ويسخرون * واذا ذكروا لايذكرون * واذا رأوا آية يستسخرون * وقالوا إن هذا

﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا﴾ الاستفتاء نوع من السؤال والهمزة فى أم وان خرجت الى معنى التقرير فهى فى الاصل لمعنى الاستفهام أى فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة وقيل نزلت فى أبى الأشد بن كلدة وكنى بذلك لشدة بطشه وقوته وعادل فى هذا الاستفهام التقريرى فى الأشدية بينهم وبين ما خلق من غيرهم من الأمم من الجن والملائكة والافلاك والأرضين ﴿من طين لازب﴾ اللازب اللازم ماجاوره واللاصق به ﴿بل عجبت﴾ خطاب للرسول عليه الصلاة والسلام وقرئ عجبت وعجبت والظاهر أن ضمير المتكلم هو لله تعالى والعجب لايجوز على الله تعالى ﴿ويسخرون﴾ روى ان ركانة رجلا من المشركين من أهل مكة لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جبل خال يرعى غنما له وكان من أقوى الناس فقال له ياركانة أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله قال نعم فصرعه صلى الله عليه وسلم ثلاثا ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة واقبالها فلم يؤمن وجاء الى أهل مكة فقال يابنى هاشم ساحروا بصاحبكم أهل الارض فنزلت فيه وفى نظرائه ﴿واذا رأوا آية﴾ الآية قال الزمخشرى أو آباؤنا معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل انتهى أما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه لأن قولك ان زيدا

إلا سحر مبين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون * قل نعم وأنتم داخرون * فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون * وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ الاستفتاء نوع من السؤال والهمزة وان خرجت الى معنى التقرير فهي في الأصل لمعنى الاستفهام أي فاستخبرهم والضمير لمشركي مكة * وقيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته وعادل في هذا الاستفهام التقريري في الأشدية بينهم وبين من خلق من غيرهم من الأمم والجن والملائكة والأفلاك والأرضين وفي مصحف عبد الله أم من عددنا وهو تفسير لمن خلقنا أي من عددنا من الصافات وما بعدها من المخلوقين وغلب العاقل على غيره في قوله من خلقنا واقتصر على الفاعل في خلقنا ولم يذكر متعلق الخلق اكتفاء ببيان ما تقدمه وكأنه قال أم من خلقنا من غرائب المصنوعات وعجائبها * وقرأ الأعمش أمن بتخفيف الميم دون أم جعله استفهاما ثانيا تقريرا أيضا فهما جملتان مستقلتان في التقرير ومن مبتدأ والخبر محذوف تقديره أشد فعلى أم من هو تقرير واحد ونظيره أأنتم أشد خلقا أم السماء * قال الزمخشري وأشد خلقا يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة وأصعب خلقا وأشد خلقا وأشقه يحتمل أقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي خلقه شدة على معنى الرد لانكارهم البعث والنشأة الأخرى وان من هان عليه خلق هذه الخلائق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان خلق البشر عليه أهون وخلقهم من طين لازب إما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف بالصلابة والقوة أو احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه تراب فمن أين استنكروا أن يخلقوا من تراب مثله قالوا أئذا كنا ترابا وهذا المعنى يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث انتهى والذي يظهر الاحتمال الأول * وقيل أم من خلقنا من الأمم الماضية كقوله وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا وقوله وكانوا أشد منكم قوة وأضاف الخلق من الطين اليهم والمخلوق منه هو أبوهم آدم اذ كانوا نسله * وقال الطبري خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء وهذا كله اذا خلط صار طينا لازبا يلزم ما جاوره * وعن ابن عباس اللازب الجر أي الكريم الجيد * وقرأ الجمهور بل عجبت بتاء الخطاب أي من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك ومن تعجبك ومما تريهم من آثار قدرة الله أو عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون من أمر البعث أو عجبت من اعراضهم عن الحق وعماهم عن الهدى وأن يكونوا كافرين مع ما جئتهم به من عند الله * وقرأ حمزة والكسائي وابن سعدان وابن مقسم بياء المتكلم ورويت عن علي وعبد الله وابن عباس والنخعي وابن وثاب وطلحة وشقيق والأعمش وأنكر شريح القاضي هذه القراءة وقال الله لا يعجب فقال ابراهيم كان شريح معجبا بعلمه وعبد الله أعلم منه يعني عبد الله ابن مسعود والظاهر أن ضمير المتكلم هو لله تعالى والعجب لا يجوز على الله تعالى لانه روعة تعتري المتعجب من الشئ * وقد جاء في الحديث اسناد العجب الى الله تعالى وتؤول على انه صفة فعل يظهرها الله تعالى في صفة المتعجب منه من تعظيم أو تحقير حتى يصير الناس متعجبين منه فالمعنى بل عجبت من ضلالتهم وسوء عملهم وجعلتها للناظرين فيها وفيما اقترن فيها من شرعي وهداي متعجبا * وقال الزمخشري أي بلغ من عظيم آياتي وكثرة خلائقي أني عجبت منها فكيف بعبادي وهؤلاء

عطفه على الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد لانه اذا عطف على المفرد كان الفعل عاملا في المفرد بواسطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها وقوله وآباؤنا مبتدأ خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت أقام زيد أو عمرو فعمرو مبتدأ محذوف الخبر واستفهامهم تضمن انكارا واستبعادا فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بنعم ﴿وأنتم داخرون﴾ أي صاغرون وهي جملة حالية العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون وزادهم في الجواب ان بعثهم وهم ملتبسون بالصغار والذل وهي كناية عن البعثة أي فانما بعثتهم زجرة أي صيحة وهي النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت اياها مجازا ﴿فاذا هم ينظرون﴾ أي ينظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به والظاهر أن قوله وقالوا يا ويلنا من كلام بعض الكفار لبعض الى آخر

الآيتين قرو ... يوم الجزاء و ... يوم نقص وحط ... بعضهم بعضا ويوم الدين يوم الجزاء والمعاوضة ويوم الفصل يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضلال ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾ توبيخ لهم وتقريع

الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل انتهى (ح) أما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه لان قولك ان زيدا قائم وعمرو وعمرو فيه مرفوع على الابتداء وخبره محذوف وأما قوله أو على الضمير فى مبعوثون الى آخره فلا يجوز عطفه على الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد لانه اذا عطف على المفرد كان الفعل عاملا فى المفرد بوساطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما بعدها ما قبلها وقوله أو آباؤنا مبتدأ خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت أقام زيد أو عمرو فعمرو مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا (ش) هى مبهمة يوضحها خبرها انتهى (ح) كثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير يفسره الخبر وجعل من ذلك ابن مالك ان هى الا حياتنا الدنيا وتكلمنا معه فى ذلك فى شرح التسهيل (ش) فانما جواب شرط مقدر تقديره اذا كان ذلك فما هى الا زجرة واحدة انتهى (ح) كثيرا ما تضمر جملة الشرط قبل فاء اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعو الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل فى الذى يطلق عليه انه جواب الامر والنهى وما معهما على قول بعضهم أما ابتداء فلا يجوز حذفه

لجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتى أو عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون بمن يصف الله بالقدرة عليه قال ويجرد العجب لمعنى الاستعظام أو يخيل العجب ويفرض * وقيل هو ضمير الرسول أى قل بل عجبت * قال مكى وعلى بن سليمان وهم يسخرون من نبوتك والحق الذى عندك واذا ذكروا ووعظوا لا يذكرون ولا يتعظون * وذكر جناح بن حبيش ذكروا بتخفيف الكاف * روى أن ركانة رجلا من المشركين من أهل مكة لقيه الرسول فى جبل خال يرعى غنماله وكان من أقوى الناس فقال له يا ركانة أرأيت ان صرعتك أتؤمن بى قال نعم فصرعه ثلاثا ثم عرض عليه آيات من دعاء شجرة واقبالها فلم يؤمن وجاء الى مكة فقال يا بنى هاشم ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فنزلت فيه وفى نظرائه واذا رأوا آية يستسخرون * قال مجاهد وقتادة يسخرون يكون استفعل بمعنى المجرد وقيل فيه معنى الطلب أى يطلبون أن يكونوا ممن يسخرون * وقال الزمخشرى يبالغون فى السخرية أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها وقرئ يستسحرون بالحاء المهملة وهو عبارة عن ما قال ركانة لأسحر الرسول والاشارة بهذا الى ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز وتقدم الخلاف فى كسر ميم متنا وضمها ومن قرأ أئذا بالاستفهام فجواب اذا محذوف أى نبعث ويدل عليه إنا لمبعوثون أو يعرى عن الشرط ويكون ظرفا محضا ويقدر العامل أنبعث اذا متنا * وقرأ الجمهور أو آباؤنا بفتح الواو فى أو * وقرأ أبو جعفر وشيبة وابن عامر ونافع فى رواية قالون بالسكون فهى حرف عطف ومن فتح فالواو حرف عطف دخلت عليه همزة الاستفهام * قال الزمخشرى أو آباؤنا معطوف على محل ان واسمها أو على الضمير فى مبعوثون والذى جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وأبطل انتهى أما قوله معطوف على محل ان واسمها فمذهب سيبويه خلافه لان قولك ان زيدا قائم وعمرو فيه مرفوع على الابتداء وخبره محذوف وأما قوله أو على الضمير فى مبعوثون الى آخره فلا يجوز عطفه على الضمير لان همزة الاستفهام لا تدخل الا على الجمل لا على المفرد لانه اذا عطف على المفرد كان الفعل عاملا فى المفرد بوساطة حرف العطف وهمزة الاستفهام لا يعمل فيما بعدها ما قبلها فقوله أو آباؤنا مبتدأ خبره محذوف تقديره مبعوثون ويدل عليه ما قبله فاذا قلت أقام زيد أو عمرو فعمرو مبتدأ محذوف الخبر لما ذكرنا واستفهامهم تضمن انكارا واستبعادا فأمر الله نبيه أن يجيبهم بنعم وأنتم داخرون أى صاغرون وهى جملة حالية العامل فيها محذوف تقديره نعم تبعثون وزادهم فى الجواب أن بعثهم وهم ملتبسون بالصغار والذل * وقرأ ابن وثاب نعم بكسر العين وتقدم الخلاف فيها فى سورة الاعراف وهى كناية عن البعثة فانما بعثتهم زجرة أى صيحة وهى النفخة الثانية لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت اياها مجازا * وقال الزمخشرى هى مبهمة يوضحها خبرها انتهى * وكثيرا ما يقول هو وابن مالك ان الضمير يفسره الخبر وجعل من ذلك ابن مالك ان هى الا حياتنا الدنيا وتكلمنا معه فى ذلك فى شرح التسهيل * وقال الزمخشرى فانما جواب شرط مقدر وتقديره اذا كان ذلك فما هى الا زجرة واحدة انتهى * وكثيرا ما تضمن

خطاب من الله للملائكة أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض أى اجمعوا الظالمين ... فاهدوهم أى عرفوهم وقودوهم الى طريق النار حتى يسلكوها والجحيم طبقة من طبقات جهنم ﴿ انهم مسؤلون ﴾ قال الجمهور عن أعمالهم وفى الحديث لا تزول قدما عبد حتى يسأل ... وعن ماله كيف اكتسبه وفيما أنفقه وعن ما عمل فيما علم ﴿ مالكم لاتناصرون ﴾ جواب ... متنصر (٣٥٦) ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أى قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز

... منتصر ... يتساءلون ﴾ أى الجن والانس ... التقريع والندم والسخط ﴿قالوا﴾ أى قالت الانس للجن أو ضعفة الانس الكفرة لكبرائهم وقادتهم واليمين الجارحة وليست مرادة هنا فقيل استعيرت لجهة الخير أو للشدة والقوة ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ أى لزمنا قول ربنا أى وعيده لنا بالعذاب والظاهر أن قوله انا لذائقون اخبار منهم أنهم ذائقون العذاب جميعهم الرؤساء والأتباع ﴿فأغويناكم﴾ دعوناكم الى الغى وكانت فيكم قابلية له فغويتم ﴿انا كنا غاوين﴾ فأردنا أن تشاركونا فى الغى ﴿فانهم يومئذ﴾ أى يوم اذ يتساءلون ويرجعون فى القول وهذا اخبار منه تعالى

أنهم كما ... كونوا فى ... من العذاب ﴿انا كذلك﴾ أى مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكل مجرم فيترتب ... ثم أ... بما كان جرمهم وهو الشرك بالله تعالى واستكبارهم عن توحيده وافراده بالالوهية ثم ذكر ... فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نسبته الى الشعر وغير ذلك ثم أضرب تعالى عن كلامهم وأخبر بانه عليه ... بالحق وهو ... لا يلحقه ... فليس ماجاء به شعرا بل هو الحق الذى لاشك فيه ثم أخبر أنه صدق من تقدمه من ... عليهم السلام وهم على طريقة واحدة فى دعوى الامم الضالة الى التوحيد وترك عبادة غير الله تعالى

... الشرط قبلها اذا ساغ تقديره ولا ضرورة تدعو الى ذلك ولا يحذف الشرط ويبقى جوابه الا اذا انجزم الفعل فى الذى يطلق عليه أنه جواب الامر والنهى وماذكر معهما على قول بعضهم أما ابتداء فلا يجوز حذفه * وينظرون من النظر أى فاذاهم بصراء ينظرون أو من الانتظار أى فاذاهم ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به والظاهر أن قوله ياويلنا من كلام بعض الكفار لبعض الى آخر الجملتين أقروا بانه يوم الجزاء وأنه يوم الفصل وخاطب بعضهم بعضا * ووقف أبوحاتم على قوله ياويلنا وجعل هذا يوم الدين الى آخره من قول الله لهم أو الملائكة * وقيل هذا يوم الدين من كلام الكفرة وهذا يوم الفصل ليس من كلامهم وانما المعنى يقال لهم هذا يوم الفصل ويوم الدين يوم الجزاء والمعاوضة ويوم الفصل يوم الفرق بين فرق الهدى وفرق الضلال وفى الذى كنتم به تكذبون توبيخ لهم وتقريع ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم * وقفوهم انهم مسئولون * مالكم لاتناصرون * بل هم اليوم مستسلمون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين * قالوا بل لم تكونوا مؤمنين * وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين * فحق علينا قول ربنا انا لذائقون * فأغويناكم انا كنا غاوين * فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون * انا كذلك نفعل بالمجرمين * انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون * بل جاء بالحق وصدق المرسلين * انكم لذائقوا العذاب الأليم * وماتجزون الا ما كنتم تعملون ﴾ احشروا خطاب من الله للملائكة أو خطاب الملائكة بعضهم لبعض أى اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات قاله ابن عباس ورجحه الرمانى وأنواعهم وضرباؤهم قاله عمر وابن عباس أيضا أو أشباههم من العصاة وأهل الزنا مع أهل الزنا وأهل السرقة أو قرناؤهم الشياطين * وقرأ عيسى بن سليمان الحجازى وأزواجهم مرفوعا عطفا على ضمير ظلموا أى وظلم أزواجهم فاهدوهم أى عرفوهم وقودوهم الى طريق النار حتى يصطلوها والجحيم طبقة من طبقات جهنم * وقفوهم كما قال ولو ترى اذ وقفوا على النار وهو توبيخ لهم انهم مسئولون * وقرأ عيسى أنهم بفتح الهمزة قال عبد الله يسألون عن شرب الماء البارد على طريق الهزء بهم وعنه أيضا يسألون عن لا اله الا الله * وقال الجمهور وعن أعمالهم ويوقفون على قبحها وفى الحديث لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن خمس شبابه فيما أبلاه وعن عمره فيما أفناه وعن ماله كيف اكتسبه وفيما أنفقه وعن ما عمل فيما علم * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون المعنى على نحو ما فسره بقوله مالكم لاتناصرون أى انهم مسئولون

عن امتناعهم عن التناصر وهذا على سبيل التوبيخ فى الامتناع * وقال الزمخشرى هذا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعدما كانوا على خلاف ذلك فى الدنيا متعاضدين متناصرين * وقال الثعلبى مالكم لاتناصرون جواب أبى جهل حين قال فى بدر نحن جميع منتصر وقرئ لاتناصرون بتاء واحدة وبتاءين وبادغام إحداهما فى الأخرى * بل هم اليوم مستسلمون أى قد أسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز وكل واحد منهم مستسلم غير منتصر * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قتادة هم جن وانس وتساؤلهم على معنى التقريع والندم والسخط قالوا أى قالت الانس للجن * قال مجاهد وابن زيد أوضعفة الانس الكفرة لكبرائهم وقادتهم واليمين الجارحة وليست مرادة هنا فقيل استعيرت لجهة الخير أوللقوم والشدة أولجهة الشهوات أولجهة التمويه والاغواء واظهار أنها رشد أوالحلف ولكل من هذه الاستعارات وجه فأما استعارتها لجهة الخير فلان الجارحة أشرف العضوين وأيمنها وكانوا يتيمنون بها حتى فى السانح ويصافحون ويماسحون ويناولون ويزاولون بها أكثر الأمور ويباشرون بها أفاضل الاشياء وجعلت لكاتب الحسنات ولأخذ المؤمن كتابه بها والشمال بخلاف ذلك وأما استعارتها للقوة والشدة فانها يقع بها البطش فالمعنى أنكم تغروننا بقوتكم وتحملوننا على طريق الضلال وأما استعارتها لجهة الشهوات فلأن جهة اليمين هى الجهة الثقيلة من الانسان وفيها كبده وجهة شماله فيها قلبه ومكره وهى أخف والمنهزم يرجع على شقه الايسر اذهو أخف شقيه وأما استعارتها لجهة التمويه والاغواء فكأنهم شبهوا أقوال المغوين بالسوانح التى هى عندهم محمودة كأن التمويه فى اغوائهم أظهر مايحمدونه وأما الحلف فانهم يحلفون لهم ويأتونهم اتيان المقسمين على حسن مايتبعونهم فيه * قالوا أى المخاطبون اما الجن واما قادة الكفر بل لم تكونوا مؤمنين أى لم نقركم على الكفر بل أنتم من ذواتكم أبيتم الايمان * وقال الزمخشرى وأعرضتم مع تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما على الكفر غير ملجئين وما كان لنا عليكم من تسلط نسلبكم به تمكنكم واختياركم بل كنتم قوما مختارين الطغيان انتهى ولفظة التمكن والاختيار ألفاظ المعتزلة جريا على مذهبهم * فحق علينا قول ربنا أى لزمنا قول ربنا أى وعيده لنا بالعذاب والظاهر أن قوله انا لذائقون اخبار منهم أنهم ذائقون العذاب جميعهم الرؤساء والاتباع * وقال الزمخشرى فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعنى وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لامحالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة ولوحكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن أنفسهم ونحوه قول القائل: * لقد زعمت هوازن قل مالى *
ولوحكى قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف لاخرجن ولتخرجن الهمزة لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على الحلف انتهى فأغويناكم دعوناكم الى الغى فكانت فيكم قابلية له فغويتم انا كنا غاوين فأردنا أن تشاركونا فى الغى * فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون أى يوم اذ تساءلوا وتراجعوا فى القول وهذا اخبار منه تعالى كما اشتركوا فى الغى اشتركوا فيما ترتب عليه من العذاب * انا كذلك أى مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكل مجرم فيترتب على اجرامه عذابه ثم أخبر عنهم بأكبر إجرامهم وهو الشرك بالله واستكبارهم عن توحيده وافراده بالالهية ثم ذكر عنهم ماقدحوا به فى الرسول وهو نسبته الى الشعر والجنون وأنهم ليسوا بتاركى آلهتهم له ولما جاء به فجمعوا بين انكار الوحدانية وانكار الرسالة وقولهم لشاعر مجنون تخليط فى كلامهم وارتباك فى

﴿الا عباد الله المخلصين﴾ استثناء منقطع لما ذكر شيأ من أحوال الكفار وعذابهم ذكر شيأ من أحوال المؤمنين ونعيمهم والمخلصين صفة مدح ووصف رزق بمعلوم أى عندهم ﴿فواكه﴾ بدل من رزق وهو ما يتلذذ به ولا يتقوتون لحفظ الصحة ذكر أولا الرزق وهو ما تتلذذ به الأجسام وثانيا الاكرام وهو ما تتلذذ به النفوس ثم ذكر المحل الذى هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر ثم لذة التأنس بأن بعضهم يقابل بعضا وهو أتم السرور وآنسه ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم ﴿بل يطاف عليهم﴾ بالكؤوس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهى أبلغ الملاذ وهو التأنس بالنساء والتقابل أن لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وفى الحديث أنه فى أحيان ترفع عنهم الستور فينظر بعضهم الى بعض والكاس ما كان من الزجاج فيه خمر أو نحوه من الأنبذة ولا يسمى كاسا الا وفيه خمر وقد يسمى الخمر كأسا تسمية للشئ بمحله قال الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وقال ابن عباس كل كأس فى القرآن فهو خمر ﴿من معين﴾ من شراب معين أى من نهر معين وهو الجارى على وجه الأرض كما يجرى الماء ومعين اسم فاعل من معن بضم العين كشريف من (٣٥٨) شرف ﴿بيضاء﴾ صفة للكاس أو للخمر وقال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ولذة صفة بالمصدر على سبيل المبالغة أو على حذف أى ذات لذة أو على تأنيث لذ بمعنى لذيذ ﴿لا فيها غول﴾ قال ابن عباس وغيره هو صداع الرأس ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يقال نزف الشارب الخمر وأنزف هو أى ذهب عقله من السكر فهو نزيف ومنزوف وقرئ ينزفون بفتح الزاى من نزفته الخمر وبكسر الزاى وضم الياء مضارع أنزف قال أبو حيان قال سيدى و [illegible] قرأت على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير رحمه الله فى قصيدة علقمة بن عبدة قوله

تشفى الصداع ولا يؤذيك طالبها * ولا يخالطها فى الرأس تدويم

فقال لى هذه صفة خمر الجنة لا خمر الدنيا ﴿قاصرات الطرف﴾ قصرن الطرف على أزواجهن لا يمتد طرفهن الى أجنبى كقوله تعالى عربا أترابا وقال الشاعر

من القاصرات الطرف لو دب محول * من الذر فوق الاتب منها لأثرا

والمحول الصغير من الذر والذى مضى عليها من السنين حول والأتب القميص و﴿عين﴾ جمع عيناء وهى الواسعة العين فى جمال ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ شبههن ببيض النعام المكنون فى عشه وهو الأدحية ولونها بياض به صفرة حسنة وبها تشبه النساء فيقال فيهن بيضات الخدور * ومنه قول امرئ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

كبكر مقاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

[illegible] ﴿فأقبل﴾ معطوف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشرب كعادة الشرب فى الدنيا قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا أحاديث الكرام على المدام

وجئ به ماضيا لصدق الاخبار به فكأنه قد وقع [illegible] الايمان واعتقاده وقوع البعث والثواب

غيهم فان الشاعر هو عنده من الفهم والحذق وجودة الادراك ما ينظم به المعانى الغريبة ويصوغها فى قالب الالفاظ البديعة ومن كان مجنونا لا يصل الى شئ من ذلك ثم أضرب تعالى عن كلامهم وأخبر بانه جاء بالحق وهو اثبات الذى لا يلحقه اضمحلال فليس ما جاء به شعرا بل هو الحق الذى لا شك فيه ثم أخبر أنه صدق من تقدمه من المرسلين اذ هو وهم على طريقة واحدة فى دعوى الأمم الى التوحيد وترك عبادة غيره * وقرأ عبد الله وصدق بتخفيف الدال المرسلون بالواو رفعا أى وصدق المرسلون فى التبشير به وفى اتيانه بأتى آخرهم * وقرأ الجمهور لذائقو العذاب بحذف النون للاضافة وأبو السمال وأبان عن ثعلبة عن عاصم بحذفها لالتقاء لام التعريف ونصب العذاب كما حذف بعضهم التنوين لذلك فى قراءة من قرأ أحد الله ونقل ابن عطية عن أبى السمال أنه قرأ لذائق منونا العذاب بالنصب ويخرج على أن التقدير جمع والاسم يتطابق المفرد وضمير الجمع فى الاسم وقول الشاعر

فألفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا

وقرئ لذائقون بالنون العذاب بالنصب وما ترون الاجزاء مثل عملكم اذ هو ثمرة عملكم ﴿الا عباد الله المخلصين * أولئك لهم رزق معلوم * فواكه وهم مكرمون * فى جنات النعيم * على سرر متقابلين * يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون * وعندهم قاصرات الطرف عين * كأنهن بيض مكنون * فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون * قال قائل

والعقاب وهو مثال للتحفظ من قرناء السوء والبعد عنهم قال ابن عباس هذا القائل وقرينه من البشر قال فرات بن ثعلبة البهرانى كانا شريكين بثمانية آلاف درهم أحدهما يعبد الله ويقصر من التجارة (٣٥٩) والنظر والآخر كافر مقبل على ماله فانفصل من شريكه لتقصيره فكلما اشترى دارا أوجارية أو بستانا عرضه على المؤمن وفخر به عليه ويتصدق المؤمن بنحو ذلك ليشترى به فى الجنة فكان من أمرهما فى الآخرة ما قصه الله تعالى ﴿ أئنا لمدينون ﴾ قال ابن عباس لمجازون محاسبون والضمير فى ﴿ قال هل أنتم ﴾ عائد على قائل فى قوله قال قائل والخطاب فى هل أنتم لرفقائه فى الجنة الذين كان هو واياهم يتساءلون وهذا هو الظاهر لما كان قرينه ينكر البعث علم انه فى النار ﴿ فاطلع فرآه فى سواء الجحيم ﴾ أى وسطها و﴿ تالله ﴾ قسم فيه التعجب من سلامته منه ﴿ لتردين ﴾ أى لتهلكنى باغوائك ﴿ ولولا نعمة ربى ﴾ وهى توفيقه للايمان والبعد من قرين السوء ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ العذاب كما أحضرته أنت ﴿ أفما نحن بميتين ﴾ الظاهر انه من كلام القائل يسمع قرينه على جهة التوبيخ أى لسنا أهل الجنة بميتين لكن الموتة الاولى كانت لنا فى الدنيا بخلاف أهل النار فانهم فى كل ساعة يتمنون الموت ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ كحال أهل النار بل نحن منعمون دائما ويكون خطابه فى ذلك مشكلا به مقرعا له محزنا له بما أنعم الله عليه من دخول الجنة ﴿ ان هذا ﴾ أى الأمر الذى نحن فيه من النعم والنجاة من النار

منهم انى كان لى قرين * يقول أإنك لمن المصدقين * أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون * قال هل أنتم مطلعون * فاطلع فرآه فى سواء الجحيم * قال تالله ان كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين * الا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * ان هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ الا عباد الله استثناء منقطع * لما ذكر شيأ من أحوال الكفار وعذابهم ذكر شيأ من أحوال المؤمنين ونعيمهم والمخلصين صفة مدح لان كونهم عباد الله يلزم منه أن يكونوا مخلصين ووصف رزق بمعلوم أى عندهم فقد قرت عيونهم بما يستدر عليهم من الرزق و بأن شهواتهم تأتيهم بحسبها * وقال الزمخشرى معلوم بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله فى جنات النعيم يأباه انتهى * فواكه بدل من رزق وهى ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعنى ان رزقهم كله فواكه لاستغنائهم عن حفظ الصحة بالاقوات لانهم أجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما يأكلونه فهو على سبيل التلذذ * وقرأ ابن مقسم مكرمون بفتح الكاف مشدد الراء ذكر أولا الرزق وهو ما يتلذذ به الاجسام وثانيا الاكرام وهو ما يتلذذ به النفوس ورزق باهانة تنكيد ثم ذكر المحل الذى هم فيه وهو جنات النعيم ثم أشرف المحل وهو السرر ثم لذة التأنس بأن بعضهم يقابل بعضا وهو أتم السرور وآنسه ثم المشروب وأنهم لا يتناولون ذلك بأنفسهم بل يطاف عليهم بالكؤس ثم وصف ما يطاف عليهم به من الطيب وانتفاء المفاسد ثم ذكر تمام اللذة الجسمانية وختم بها كما بدأ باللذة الجسمانية من الرزق وهى أبلغ الملاذ وهى التأنس بالنساء * وقرأ الجمهور على سرر بضم الراء وأبو السمال بفتحها وهى لغة بعض تميم وكلب يفتحون ما كان جمعا على فعل من المضعف اذا كان اسما واختلف النحويون فى الصفة فمنهم من قاسها على الاسم ففتح فيقول ذلك بفتح اللام على تلك اللغة الثانية فى الاسم ومنهم من خص ذلك بالاسم وهو مورد السماع فى تلك اللغة وقيل التقابل لا ينظر بعضهم الى قفا بعض وفى الحديث انه فى أحيان ترفع عنهم ستور فينظر بعضهم الى بعض ولا محالة أن أكثر أحيانهم فيها قصورهم و يطاف مبنى للمفعول وحذف الفاعل وهو المثبت فى آية أخرى فى قوله ويطوف عليهم ولدان مخلدون و يطوف عليهم غلمان لهم ولعلهم من مات من أولاد المشركين قبل التكليف وفى صحيح البخارى انهم خدم أهل الجنة والكاس ما كان من الزجاجة فيه خمر أو نحوه من الانبذة ولا يسمى كاسا الا وفيه ذلك وقد سمى الخمر نفسها كاسا تسمية للشئ باسم محله قال الشاعر

وكاس شربت على لذة * وأخرى تداويت منها بها

وقال ابن عباس والضحاك والاخفش كل كاس فى القرآن فهو خمر وقيل الكاس هيئة مخصوصة فى الأوانى وهو كل ما اتسع فمه ولم يكن له مقبض ولا يراعى كونه لخمر أولا * من معين أى من شراب معين أو من نهر معين وهو الجارى على وجه الارض كما يجرى الماء و بيضاء صفة للكاس أو للخمر * وقال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن وفى قراءة عبد الله صفراء كما قال بعض المولدين

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

ولذة صفة بالمصدر على سبيل المبالغة أو على حذف أى ذات لذة أو على تأنيث لذ بمعنى لذيذ * لا فيها غول

قال ابن عباس وقتادة هو صداع فى الرأس * وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وابن زيد وجع فى البطن انتهى والاسم يشمل أنواع الفساد الناشئة عن شرب الخمر فينتفى جميعها من مغص وصداع وخمار وعربدة ولغو وتأثيم ونحو ذلك ولما كان السكر أعظم مفاسدها أفرده بالذكر فقال ولاهم عنها ينزفون * وقرأ الحرميان والعربيان بضم الياء وفتح الزاى هنا وفى الواقعة وبذهاب العقل فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وحمزة والكسائى بكسرها فيهما وعاصم بفتحها هنا وكسرها فى الواقعة وابن أبى اسحق بفتح الياء وكسر الزاى وطلحة بفتح الياء وضم الزاى * قال ابن عباس ومجاهد وابن زيد قاصرات الطرف قصرن الطرف على أزواجهن لا يمتد طرفهن الى أجنبى بقوله تعالى عربا وقال الشاعر

من القاصرات الطرف لودب محول * من الذر فوق الخد منها الأثرا

والعين جمع عيناء وهى الواسعة العين فى جمال * كأنهن بيض مكنون شبههن قال الجمهور ببيض النعام المكنون فى عشه وهو الأدحية ولونها بياض به صفرة حسنة وبها تشبه النساء فقال * مضينات الخدود * ومنه قول امرئ القيس

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

كبكر مغاناة البياض بصفرة * غذاها نمير الماء غير المحلل

وقال السدى وابن جبير شبه ألوانهن بلون قشر البيضة الداخل وهو غرقئ البيضة وهو المكنون فى كن ورجحه الطبرى وقال وأما خارج قشر البيضة فليس بمكنون * وعن ابن عباس البيض المكنون الجوهر المصون واللفظ ينبو عن هذا القول وقالت فرقة هو تشبيه عام جملة المرأة بجملة البيضة أراد بذلك تناسب أجزاء المرأة وأن كل جزء منها نسبته فى الجودة الى نوعه نسبة الآخر من أجزائها الى نوعه فنسبة شعرها الى عينها مستوية اذ هما غاية فى نوعها والبيضة أشد الأشياء تناسب أجزاء لانها من حيث حسنها فى النظر واحد كما قال بعض الادباء يتغزل

تناسبت الاعضاء فيه فلا ترى * بهن اختلافا بل أتين على قدر

وتساؤلهم فى الجنة سؤال راحة وتنعم يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا والايمان وثمرته وفأقبل معطوف على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحدثون على الشراب كعادة الشراب فى الدنيا * قال الشاعر وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام

وجىء به ماضيا الصدق الاخبار به فكأنه قد وقع ثم حكى تعالى عن بعضهم ما حكى يتذكر بذلك نعمه تعالى عليه حيث هداه الى الايمان واعتقاد وقوع البعث والثواب والعقاب وهو مثال للتحفظ من قرناء السوء والبعد منهم * قال ابن عباس وغيره كان هذا القائل وقرينه من البشر وقالت فرقة هما اللذان فى قوله ياليتنى لم أتخذ فلانا خليلا * وقال مجاهد كان انسيا وجنيا من الشياطين الكفرة * وقرأ الجمهور من المصدقين بتخفيف الصاد من التصديق وفرقة بشدها من التصدق قال فرة بن نعبة لهرانى كانا شريكين بثمانية آلاف درهم يعبد الله أحدهما ويقصر فى التجارة والنظر والآخر كان مقبلا على ماله فانفصل من شريكه لتقصيره فكلما اشترى دارا أو جارية أو بستانا ونحوه عرضه على المؤمن وفخر عليه فيتصدق المؤمن بنحو من ذلك ليشترى به فى الجنة فكان من أمرهما فى الآخرة ما قصه الله * وذكر الزمخشرى رلت فى رجل تصدق بماله لوجه الله فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال وأين مالك فقال تصدقت به ليعوضنى الله فى الآخرة خيرا منه فقال أئنك لمن المصدقين

بيوم الدين أو من المتصدقين لطلب الثواب والله لا أعطيك شيأ أئنا لمدينون قال ابن عباس وقتادة والسدي لمجازون محاسبون وقيل لمسوسون مدبونون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه والظاهر أن الضمير في قال هل أنتم عائد على قائل في قوله قال قائل قيل وفي الكلام حذف تقديره فقال لهذا القائل حاضروه من الملائكة ان قرينك هذا في جهنم يعذب فقال عند ذلك هل أنتم مطلعون والخطاب في هل أنتم مطلعون يجوز أن يكون للملائكة وأن يكون لرفقائه في الجنة الذين كان هو واياهم يتساءلون أو لخدمته وهذا هو الظاهر لما كان قرينه ينكر البعث علم أنه في النار فقال هل أنتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين وعلى هذا القول لا يحتاج الكلام الى حذف ولا القول الملائكة ان قرينك في جهنم يعذب قيل ان في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى أهل النار وقيل القائل هل أنتم مطلعون الله تعالى وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة بل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار * وقرأ الجمهور مطلعون بتشديد الطاء المفتوحة وفتح النون واطلع بشد الطاء فعلا ماضيا * وقرأ أبو عمرو في رواية حسين الجعفي مطلعون باسكان الطاء وفتح النون فأطلع بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر اللام فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وهي قراءة ابن عباس وابن محيصن وعمار بن أبي عمار وأبي سراج وقرئ فأطلع مشددا مضارعا منصوبا على جواب الاستفهام وقرئ مطلعون بالتخفيف فأطلع مخففا فعلا ماضيا وفأطلع مخففا مضارعا منصوبا * وقرأ أبو البرهسم وعمار بن أبي عمار فيما ذكره خلف عن عمار مطلعون بتخفيف الطاء وكسر النون فاطلع ماضيا مبنيا للمفعول ورد هذه القراءة أبو حاتم وغيره لجمعها بين نون الجمع وياء المتكلم والوجه مطلعي كما قال أو مخرجي هم ووجهها أبو الفتح على تنزيل اسم الفاعل منزلة المضارع وأنشد الطبري على هذا قول الشاعر

وما أدري وظني كل ظن * أمسلمني الى قومي شراحي

* قال الفراء يريد شراحيل * وقال الزمخشري يريد مطلعون إياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله * هم الفاعلون الخير والآمرونه * أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع إلا في الشعر انتهى والتخريج الثاني تخريج أبي الفتح وتخريجه الأول لا يجوز لانه ليس من مواضع الضمير المنفصل فيكون المتصل وضع موضعه لا يجوز هند زيد ضارب إياها ولا زيد ضارب إياي وكلام الزمخشري يدل على جوازه فالأولى تخريج أبي الفتح وقد جاء منه * أمسلمني الى قومي شراحي * وقول الآخر

فهل فتى من سراة القوم يحملني * وليس حاملني إلا ابن حمال

* وقال الآخر * وليس بمعييني * فهذه أبيات ثبت التنوين فيها مع ياء المتكلم فكذلك ثبتت نون الجمع معها اجراء للنون مجرى التنوين لاجتماعهما في السقوط للاضافة ويقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد ومن قرأ فأطلع مبنيا للمفعول فضميره القائل الذي هو المفعول الذي لم يسم فاعله وهو متعد بالهمزة اذ يقول طلع زيد وأطلعه غيره * وقال صاحب اللوامح طلع واطلع اذا بدا وظهر واطلع اطلاعا اذا أقبل وجاء مبنيا ومعنى ذلك هل أنتم مقبلون فأقبل وان أقيم المصدر فيه مقام الفاعل بتقدير فاطلع الاطلاع أو حرف الجر المحذوف أي فاطلع به لان اطلع لازم كما أن أقبل كذلك انتهى وقد ذكرنا ان أطلع عدي بالهمزة من طلع اللازم وأما قوله أو حرف الجر المحذوف أي فاطلع به فهذا لا يجوز لان مفعول ما لم يسم فاعله لا يجوز حذفه لانه نائب عن الفاعل فكما أن

(الدر)

(ش) أراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم لفاعلون الخير والآمرونه أو شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع لتآخ بينهما كأنه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر انتهى (ح) التخريج الثاني تخريج أبي الفتح وتخريجه الاول لا يجوز لأنه ليس من مواضع الضمير المنفصل فيكون المتصل وضع موضعه لا يجوز هند زيد ضارب اياها ولا زيد ضارب اياي وكلام (ش) يدل على جوازه فالاولى تخريج أبي الفتح وقد جاء منه وما أدري وظني كل ظن * أمسلمني الى قومي شراحي وقول الآخر

فهل فتى من سراة القوم يحملني
وليس حاملني الا ابن حمال

فهذه أبيات ثبت التنوين فيها مع ياء المتكلم فكذلك تثبت نون الجمع معها اجراء للنون مجرى التنوين لاجتماعهما في السقوط للاضافة

﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم﴾ لما انقضت قصة المؤمن وقرينه وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شئ الى شئ عاد الى ذكر الجنة والرزق الذى أعد الله تعالى فيها لأهلها فقال أذلك خير نزلا وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم ولاستواء الرزق المعلوم تحصل به اللذة والسرور وشجرة الزقوم يحصل بها الألم والغم ﴿انا جعلناها﴾ أى الشجرة ﴿فتنة﴾ قال قتادة قال أبو جهل وتطراوه لما نزلت للكفار محمد يخبر عن النار انها تنبت الأشجار وهى تأكلها وتذهبها ففتنوا بذلك أنفسهم وقال أبو جهل انما الزقوم التمر بالزبد ونحن نتزقه واستعير الطلع وهو للنخلة لما تحمل هذه الشجرة وشبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال لثمرها رؤس الشياطين وهى بناحية اليمن يقال لها الأستن ذكرها النابغة فى قوله

تحيد من أستن سود أسافله
مشى الاماء الغوادى تحمل الحزما *

وهو شجر مر منكر الصورة سمت العرب ثمره بذلك تشبيها برؤس الشياطين ثم صار أصلا يشبه به والضمير فى منها عائد على الشجرة ﴿ثم ان مرجعهم لالى الجحيم﴾ أى لالى النار ثم ذكر تعالى حالهم فى تقليد آبائهم والضمير لقريش أى وجدوا آباءهم ضالين فاتبعوهم على ضلالتهم ثم أخبر بضلال أكثر من تقدم من الأمم وفى قوله فانظر ما تقتضى اهلاكهم وسوء عاقبتهم واستثنى المخلصين من عباده وهم الأقل المقابل لقوله أكثر الأولين والمعنى الا عباد الله فانهم نجوا ولما ذكر ضلال الأولين ذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح عليه السلام ونداؤه عليه السلام تضمن أشياء منها الدعاء على قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة واللام فى فلنعم جواب القسم كقول الشاعر *

الفاعل لا يجوز حذفه دون عامله فكذلك هذا لو قلت زيد ممدودا أو مغضوب تريد به أو عليه لم يجز وسواء الجحيم وسطها تقول تعبت حتى انقطع سوائى * قال ابن عباس سمى سواء لاستواء المسافة منه الى الجوانب يعنى سواء الجحيم * وقال خليل العصرى رآه تبدلت حاله فلولا ما عرفه الله به لم يعرفه قال له عند ذلك تالله ان كدت لتردين أى لتهلكنى باغوائك وان مخففة من الثقيلة يلتقى بها القسم وتالله قسم فيه التعجب من سلامته منه اذا كان قرينه قارب أن يرديه * ولولا نعمة ربى وهى توفيقه للايمان والبعد من قرين السوء لكنت من المحضرين العذاب كما أحضرته أنت * أفما نحن بميتين قرأ زيد بن على بمائتين والظاهر أنه من كلام القائل يسمع قرينه على جهة التوبيخ له أى لسنا أهل الجنة بميتين لكن الموتة الأولى كانت لنا فى الدنيا بخلاف أهل النار فانهم فى كل ساعة يتمنون فيها الموت وما نحن بمعذبين كحال أهل النار بل نحن منعمون دائما ويكون فى خطابه ذلك منكلا له مقرعا محزناله بما أنعم الله به عليه من دخول الجنة معاماله بنبا بين حاله فى الآخرة بحاله كما كانتا تتباينان فى الدنيا من انه ليس بعد الموت جزاء طهر له خلافه يعذب بكفره بالله وانكار البعث ويجوز أن يكون خطابا من القائل لرفقائه لما رأى ما نزل بقرينه وقفهم على نعمه تعالى فى ديمومة خلودهم فى الجنة ونعيمهم فيها ويتصل قوله ان هذا الى قوله العاملون بهذا التأويل أيضا لا واضحا خطابا لرفقائه ويجوز أن يكون تم كلامه عند قوله لتردين ويكون أفما نحن الى بمعذبين من كلامه وكلام رفقائه وكذلك ان هذا الى العاملون أى ان هذا الأمر الذى نحن فيه من النعيم والنجاة من النار * وقيل هو من قول الله تعالى تقريرا لقولهم وتصديقا له وخطابا لرسول الله وأمته ويقوى هذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون والآخرة ليست بدار عمل ولا يناسب ذلك قول المؤمن فى الآخرة الا على تجوز كأنه يقول لمثل هذا ينبغى أن يعمل العاملون * وقال الزمخشرى الذى عطف عليه الفاء محذوف معناه أنحن مخلدون أى منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين انتهى وتقدم من مذهبه أنه اذا تقدمت همزة الاستفهام وجاء بعدها حرف العطف بضمير ما يصح به اقرار الهمزة والحرف فى محليهما اللذين وقعا فيهما ومذهب الجماعة أن حرف العطف هو المقدم فى التقدير والهمزة بعده ولكنه لما كانت الهمزة لها صدر الكلام قدمت فالتقدير عند الجماعة فأما وقد رجع الزمخشرى الى مذهب الجماعة وتقدم الكلام معه فى ذلك ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم * إنا جعلناها فتنة للظالمين * انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤس الشياطين * فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم * ثم ان مرجعهم لالى الجحيم * انهم ألفوا آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون * ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين * ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين * إلا عباد الله المخلصين * ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون * ونجيناه وأهله من الكرب العظيم * وجعلنا ذريته هم الباقين *

وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين * إنا كذلك نجزي المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين ﴾ لما انقضت قصة المؤمن وقرينه وكان ذلك على سبيل الاستطراد من شئ الى شئ عاد الى ذكر الجنة والرزق الذي أعده الله فيها لأهلها فقال أذلك الرزق خير نزلا والنزل مايعد للأضياف وعادل بين ذلك الرزق وبين شجرة الزقوم فلا استواء الرزق المعلوم يحصل به اللذة والسرور وشجرة الزقوم يحصل بها الألم والغم فلا اشتراك بينهما في الخيرية والمراد تقريرقريش والكفار وتوقيفهم على شيئين أحدهما فاسد ولو كان الكلام استفهاما حقيقة لم يجز اذ لا يتوهم أحد أن في شجرة الزقوم خيرا حتى يعادل بينهما وبين رزق الجنة ولكن المؤمن لما اختار ماأدى الى رزق الجنة والكافر اختار ماأدى الى شجرة الزقوم قيل ذلك توبيخا للكافرين وتوقيفا على سوء اختيارهم * انا جعلناها فتنة للظالمين قال قتادة ومجاهد والسدي أبو جهل ونظراؤه لما نزلت قال الكفار يخبر محمد عن النار انها تنبت الأشجار وهي تأكلها وتذهبها ففتنوا بذلك أنفسهم وجهلة أتباعهم * وقال أبو جهل انما الزقوم التمر بالزبد ونحن نتزقه * وقيل منبتها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها واستعير الطلع وهي النخلة لما تحمل هذه الشجرة وشبه طلعها بثمر شجرة معروفة يقال لثمرها رؤس الشياطين وهي بناحية اليمن يقال لها الاستن وذكرها النابغة في قوله

تحيد من استن سود أسافله * مشي الاماء الغوادي تحمل الحزما

وهو شجر خشن مر منكر الصورة سمت ثمره العرب بذلك تشبيها برؤس الشياطين ثم صار أصلا يشبه به * وقيل هو شجرة يقال لها الصوم ذكرها ساعدة بن حوبة الهذلي في قوله

موكل بشدوف الصوم يرقبها * من المناظر مخطوف الحشا زرم

وقيل الشياطين صنف من الحيات ذوات أعراف ومنه

عجيز تحلف حين أحلف * كمثل شيطان الحماط أعرف

وقيل شبه بما اشتهر في النفوس من كراهة رؤس الشياطين وقبحها وان كانت غير مرئية ولذلك يصورون الشيطان في أقبح الصور واذا رأوا أشعث منتفش الشعر قالوا كأنه وجه شيطان وكان رأسه رأس شيطان وهذه بخلاف الملك يشبهون به الصورة الحسنة وكأنه امرؤ القيس المسنونة الزرق بأنياب الغول في قوله * ومسنونة زرق كأنياب أغوال * وان كان لم يشاهد تلك الانياب وهذا كله تشبيه تخييلي والضمير في منها يعود على الشجرة أي من طلعها * وقرأ الجمهور لشوبا بفتح الشين وشيبان النحوي بضمها * وقال الزجاج الفتح للمصدر والضم للاسم يعني أنه فعل بمعنى مفعول أي مشوب كالنقص بمعنى المنقوص وفسر بالخلط والحميم الماء السخن جدا وقيل يراد به هنا شرابهم الذي هو طينة الخبال صديدهم وماساح منهم ولما ذكر أنهم يملؤون بطونهم من شجرة الزقوم للجوع الذي يلحقهم أولا كراههم على الاكل وملء البطون زيادة في عذابهم ذكر مايسقون لغلبة العطش وهو مايمرح لهم من الحميم ولما كان الاكل يعتقبه ملء البطن كان العطف بالفاء في قوله فمالئون ولما كان الشرب يكثر تراخيه عن الاكل أتى بلفظ ثم المقتضية المهلة أو لما امتلأت بطونهم من ثمرة الشجرة وهو حار أحرق بطونهم وعطشهم فأخر سقيهم زمانا ليزدادوا بالعطش عذابا الى عذابهم ثم سقوا ماهو أحر وآلم وأكره * ثم ان مرجعهم لالى الجحيم لماذهب بهم من منازلهم التي أسكنوها في النار الى شجرة الزقوم للاكل والتملؤ منها والسقي من

بئس النعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فلنعم المجيبون نحن والكرب العظيم الغرق وركوب الماء وهو له ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي في الباقين غابر الدهر ومفعول تركنا محذوف تقديره ثناء حسنا جيلا الى آخر الدهر قاله ابن عباس وسلام رفع بالابتداء مستأنف سلم الله تعالى عليه ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره أحد من العالمين بسوء وقيل جملة في موضع نصب بتركنا وهذا هو المتروك عليه فكأنه قال وتركنا على نوح تسليما يسلم به عليه الى يوم القيامة

﴿وإن من شيعته لإبراهيم﴾ الظاهر عود الضمير في من شيعته على نوح عليه السلام أي ممن شايعه في أصول الدين والتوحيد وإن اختلفت شرائعهما أو اتفق أكثرها قال الزمخشري (فإن قلت) بم تعلق الظرف (قلت) بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني وإن ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لإبراهيم أو بمحذوف وهو اذكر انتهى أما التخريج الأول فلا يجوز لأن فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبي وهو قوله لإبراهيم لأنه أجنبي من شيعته ومن إذ وزاد المنع إذ قدره ممن شايعه حين جاء ربه لإبراهيم لأنه يقدر ممن شايعه فجعل العامل صلة الموصول وفصل بينه وبين إذ بأجنبي وهو قوله لإبراهيم وأيضا فلام التأكيد تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت إن ضاربا لقادم علينا زيدا لم يجز وأما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين وأجازوا في نصب أئفكا وجوها * أحدها أن يكون مفعولا بتريدون وآلهة بدلا منه هو استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكر الزمخشري فقال فسر الإفك بقوله آلهة من دون الله على أنها إفك في أنفسها والثاني أن يكون مفعولا من أجله أي أتريدون آلهة من دون الله إفكا وآلهة مفعول به وقدمه عناية وقدم المفعول له على المفعول به لأنه كان الأهم عنده أن يكافحهم بأنهم على إفك وباطل في شركهم وبدأ بهذا الوجه الزمخشري والثالث أن يكون حالا أي أتريدون آلهة من دون الله آفكين قاله الزمخشري وجعل المصدر حالا لا يطرد إلا مع أما نحو أما علما فعالم ﴿فما ظنكم﴾ استفهام توبيخ وتحذير وتوعد أي أي شيء ظنكم بمن هو مستحق لأن تعبدوه إذ هو رب العالمين حتى تركتم عبادته وعدلتم به الأصنام ﴿فنظر نظرة في النجوم﴾ الظاهر أنه أراد علم الكواكب وما يعزى إليها من التأثيرات التي جعلها الله تعالى لها والظاهر أن نظره كان فيها أي في علمها قيل وكانوا يعانون ذلك فأتاهم من الجهة التي

الجحيم ونواحي رجوعهم إلى منازلهم دخلت ثم للدلالة على ذلك والرجوع دليل على الانتقال في وقت الأكل والشرب إلى مكان غير مكانهما ثم ذكر تعالى حالهم في تقليد آبائهم والضمير لقريش وأن ذلك التقليد كان سبب استحقاقهم تلك الشدائد أي وجدوا آباءهم ضالين فاتبعوهم على ضلالتهم مسرعين في ذلك لا يثبطهم شيء ثم أخبر بضلال أكثر من تقدم من الأمم هذا وما خلت أزمانهم من إرسال الرسل وإنذارهم عواقب التكذيب وفي قوله فانظر ما يقتضي إهلاكهم وسوء عاقبتهم واستثنى المخلصين من عباده وهم الأقل المقابل لقوله أكثر الأولين والمعنى إلا عباد الله فإنهم نجوا ولما ذكر ضلال الأولين وذكر أولهم شهرة وهم قوم نوح عليه السلام تضمن أشياء * منها الدعاء على قومه وسؤاله النجاة وطلب النصرة وأجابه تعالى في كل ذلك إجابة بلغ بها مراده واللام في فلنعم جواب قسم كقوله * يمينا لنعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف تقديره فلنعم المجيبون نحن وجاء بصيغة الجمع للعظمة والكبرياء لقوله فقدرنا فنعم القادرون * والكرب العظيم قال السدي الغرق ومنه تكذيب الكفرة وركوب الماء وهوله وهم فصل متعين للفصلية لا يحتمل غيره * قال ابن عباس وقتادة أهل الأرض كلهم من ذرية نوح وفي الحديث أنه عليه السلام قرأ وجعلنا ذريته هم الباقين فقال سام وحام ويافث وقال الطبري العرب من أولاد سام والسودان من أولاد حام والترك وغيرهم من أولاد يافث وقالت فرقة أبقى الله ذرية نوح ومد في نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل في الأمم من لا يرجع إليه * وتركنا عليه في الآخرين أي في الباقين غابر الدهر ومفعول تركنا محذوف تقديره ثناء حسنا جميلا في آخر الدهر قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وسلام رفع بالابتداء مستأنف سلم الله عليه ليقتدي بذلك البشر فلا يذكره أحد من العالمين بسوء سلم تعالى عليه جزاء على ما صبر طويلا من أقوال الكفرة وإذايتهم له * وقال الزمخشري وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقولك قرأت سورة أنزلناها انتهى وهذا قول الفراء وغيره من الكوفيين وهذا هو المنزول عليه وكأنه قال وتركنا على نوح تسليما يسلم به عليه إلى يوم القيامة انتهى وفي قراءة عبد الله سلاما بالنصب ومعنى في العالمين ثبوت هذه التحية مثبوتة فيهم جميعا مدامة عليه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه عن آخرهم ثم علل هذه التحية بأنه كان محسنا ثم علل إحسانه بكونه مؤمنا فدل على جلالة الإيمان ومحله عند الله * ثم أغرقنا الآخرين أي من كان مكذبا له من قومه ولما ذكر تحيته ونجاة أهله إذ كانوا مؤمنين ذكر هلاك غيرهم بالغرق * وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم * إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون * أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين * فنظر نظرة في النجوم *

يعانونها وأوهمهم به لأنه استدل بامارات فى علم النجوم انه سقيم قيل وهو الطاعون قيل وكان أغلب الاسقام عليهم اذ ذاك وخافوا العدوى فهربوا منه الى عيدهم ولذلك قال ﴿فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم﴾ أى أصنامهم التى هى فى زعمهم آلهة وعرض الأكل عليها واستفهامها عن النطق هو على سبيل الهزء لانها منحطة عن رتبة عابديها اذهم يأكلون وينطقون وروى أنهم كانوا يضعون عندها طعاما ويعتقدون انها تصيب منه شيأ وانما يأكله خدمتها ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين﴾ أى

فقال انى سقيم * فتولوا عنه مدبرين * فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين * فأقبلوا اليه يزفون * قال أتعبدون ما تنحتون * والله خلقكم وما تعملون * قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم * فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين﴾ والظاهر عود الضمير فى من شيعته على نوح قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى أى ممن شايعه فى أصول الدين والتوحيد وان اختلفت شرائعهما أو اتفق أكثرها أو ممن شايعه فى التصلب فى دين الله ومصابرة المكذبين وكان بين نوح وابراهيم ألفا سنة وستمائة وأربعون سنة وبينهما من الأنبياء هود وصالح عليهما السلام * وقال الفراء الضمير فى من شيعته يعود على محمد صلى الله عليه وسلم والاعرف ان المتأخر فى الزمان هو شيعة للمتقدم وجاء عكس ذلك فى قول الكميت

ومالى الا آل أحمد شيعة * ومالى الا مشعب الحق مشعب

جعلهم شيعة لنفسه * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم يتعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر انتهى أما التخريج الأول فلا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبى وهو قوله لابراهيم لانه أجنبى من شيعته ومن إذ وزاد المنع اذ قدره ممن شايعه حين جاء لابراهيم وأيضا فلام التوكيد يمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا وتقديره ان ضاربا زيدا لقادم علينا لم يجز وأما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين * ومجيئه ربه بقلب سليم اخلاصه الدين لله وسلامة قلبه براءته من الشرك والشك والنقائص التى تعترى القلوب من الغل والحسد والخبث والمكر والكبر ونحوها * قال عروة بن الزبير لم يلعن شيأ قط * وقيل سليم من الشرك ولا معنى للتخصيص وأجازوا فى نصب أئفكا وجوها * أحدها أن يكون مفعولا بتريدون والتهديد لأمته وهو استفهام تقرير ولم يذكر ابن عطية غير هذا الوجه وذكره الزمخشرى قال فسر الافك بقوله آلهة من دون الله على أنها إفك فى أنفسهم * والثانى أن يكون مفعولا من أجله أى تريدون آلهة من دون الله إفكا وآلهة مفعول به وقدمه عناية به وقدم المفعول له على المفعول به لانه كان الأهم عنده أن يكافحهم بانهم على إفك وباطل فى شركهم وبدأ بهذا الوجه الزمخشرى * والثالث أن يكون حالا أى أتريدون آلهة من دون الله آفكين قاله الزمخشرى وجعل المصدر حالا لا يطرد إلا مع أما فى نحو أما علما فعالم * فما ظنكم برب العالمين استفهام توبيخ وتحذير وتوعد أى أى شئ ظنكم بمن هو يستحق لان تعبدوه إذ هو رب العالمين حتى تركتم عبادته وعدلتم به الأصنام أى أى شئ ظنكم بفعله معكم من عقابكم إذ قد عبدتم غيره كما تقول أساء آل فلان فما ظنك به أن يوقع بك خيرا أما أساء

أقبل عليهم مستخفيا ضاربا باليمين وقرئ يزفون من زف أى أسرع وقرئ يزفون بضم الياء وبين قوله فراغ عليهم وبين قوله فأقبلوا اليه جمل محذوفة مذكورة فى سورة الانبياء ﴿قال أتعبدون﴾ استفهام توبيخ وانكار عليهم كيف هم يعبدون صورا صوروها بايديهم وشكلوها على ما يريدون من الاشكال ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ الظاهر أن ما موصولة بمعنى الذى معطوفة على الضمير فى خلقكم أى انشأ ذواتكم وذوات ما تعملون من الاصنام والعمل هنا التصوير والتشكيل كما تقول عمل الصائغ الخلخال وقيل ما مصدرية أى خلقكم وعملكم ﴿قالوا ابنوا له بنيانا﴾ أى فى موضع ايقاد النار ﴿وأرادوا به كيدا﴾ فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين

(الدر) (ش) فان قلت بم يتعلق الظرف (قلت) بما فى الشيعة من معنى المشايعة يعنى وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابراهيم أو بمحذوف وهو اذكر انتهى (ح) أما التخريج الاول فلا يجوز لان فيه الفصل بين العامل والمعمول بأجنبى وهو قوله لابراهيم لأنه أجنبى من شيعته ومن اذ وزاد المنع أن قدره ممن شايعه حين جاء لابراهيم لأنه قدر ممن شايعه فجعل العامل صلة لموصول وفصل بينه وبين اذ بأجنبى وهو قوله لابراهيم وأيضا فلام التوكيد تمنع أن يعمل ما قبلها فيما بعدها لو قلت ان ضاربا لقادم علينا زيدا وتقديره ان ضاربا زيدا لقادم علينا لم يجز وأما تقديره اذكر فهو المعهود عند المعربين

اليه ولما وبخهم على عبادة غير الله أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تنفع ولا تضر فعهد الى ما يجعله منفرداً بها حتى يكسرها ويبين لهم حالها وعجزها * فنظر نظرة فى النجوم والظاهر أنه أراد علم الكواكب وما يعزى اليها من التأثيرات التى جعلها الله لها والظاهر أن نظره كان فيها أى فى علمها أو فى كتابها الذى اشتمل على أحوالها وأحكامها * قيل وكانوا يعانون ذلك فأتاهم من الجهة التى يعانونها وأوهمهم بانه استدل بأمارة فى علم النجوم أنه سقيم أى يشارف السقم * قيل وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهم إذ ذاك وخافوا العدوى وهربوا منه الى عيدهم ولذلك قال فتولوا عنه مدبرين قال معناه ابن عباس وتركوه فى بيت الأصنام ففعل ما فعل * وقيل كانوا أهل رعاية وفلاحة وكانوا يحتاجون الى علم النجوم * وقيل أرسل اليهم ملكهم ان غدا عيدنا فاحضر معنا فنظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمى * وقيل معنى فنظر نظرة فى النجوم أى فيما نجم اليه من أمور قومه وحاله معهم ومعنى فتولوا عنه مدبرين أى لكفرهم به واحتقارهم له وقوله انى سقيم من المعاريض عرض أنه يسقم فى المآل أى يشارف السقم * قيل وهو الطاعون وكان أغلب وفهموا منه انه ملتبس بالسقم وابن آدم لا بد أن يسقم والمثل كفى بالسلامة داء * قال الشاعر

فدعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء

ومات رجل فجأة فاكتنف عليه الناس فقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابى أصحيح من الموت فى عنقه * فراغ الى آلهتهم أى أصنامهم التى هى فى زعمهم آلهة كقوله أين شركائى وعرض الأكل عليها واستفهامها عن النطق هو على سبيل الهزء لكونها منحطة عن رتبة عابديها إذ هم يأكلون وينطقون * وروى أنهم كانوا يضعون عندها طعاما ويعتقدون انها تصيب منه شيأ وانما يأكله خدمتها * فراغ عليهم ضربا باليمين أى أقبل عليهم مستخفيا ضاربا فهو مصدر فى موضع الحال أو يضربهم ضربا فهو مصدر فعل محذوف أو ضمن فراغ عليهم معنى ضربهم وباليمين أى يمين يديه * قال ابن عباس لانها أقوى يديه أو بقوته لانه قيل كان يجمع يديه فى الآلة التى يضربها بها وهى الفأس وقيل سبب الحلف الذى هو وتالله لأكيدن أصنامكم * وقرأ الجمهور يزفون بفتح الياء من زف أسرع أو من زفاف العروس وهو التمهل فى المشية اذ كانوا فى طمأنينة أن ينال أصنامهم شئ لعزتهم * وقرأ حمزة ومجاهد وابن وثاب والأعمش بضم الياء من أزف دخل فى الزفيف فهى للتعدى قاله الأصمعى * وقرأ مجاهد أيضا وعبد الله بن يزيد والضحاك ويحيى بن عبد الرحمن المقرى وابن أبى عبلة يزفون مضارع زف بمعنى أسرع * وقال الكسائى والفراء لا نعرفها بمعنى زف * وقال مجاهد الوزيف السيلان * وقرئ يزفون مبنيا للمفعول * وقرئ يزفون بسكون الزاى من زفاه اذا حداه فكأن بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه وبين قوله فراغ عليهم ضربا باليمين وبين قوله فأقبلوا اليه يزفون جمل محذوفة هى مذكورة فى سورة اقترب ولا تعارض بين قوله فأقبلوا اليه يزفون وبين سؤالهم من فعل هذا بآلهتنا واخبار من عرض بانه براهيم كان يذكر أصنامهم لان هذا الاقبال كان يقتضى تلك الجمل المحذوفة أى فأقبلوا اليه أى الى الانكار عليه فى كسر أصنامهم وتأنيبه على ذلك وليس هذا الاقبال من عندهم بل بعد مجيئهم من عندهم جرت تلك المفاوضات المذكورة فى سورة اقترب واستسلف الزمخشرى فى كلامه أشياء لم تتضمنها الآيات صارت الآيات عنده بها كالمتناقضة * قال حيث ذكر ههنا انهم أدبروا عنه خيفة العدوى فلما أبصروه يكسر أصنامهم أقبلوا اليه متبادرين ليكفوه ويوقعوا به وذكرتم أنهم سألوا عن الكاسر حتى قيل سمعنا ابراهيم

بذمهم فلعله هو الكاسر ففي إحداهما انهم شاهدوه يكسرها وفي الأخرى انهم استدلوا بذمه على انه الكاسر انتهى ماأبدى من التناقض وليس في الآيات مايدل على انهم أبصروه يكسرهم فيكون فيه كالتناقض ولماقرر انه كالتناقض قال قلت فيه وجهان * أحدهما أن يكون الذين أبصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلمارجع الجمهور والعلية من عندهم الى بيت الأصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه عندها التبرك عليه ورأوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا بها لم ينم عليه أولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم لبعض الصوارف * والثاني أن يكسرها ويذهب ولايشعر بذلك أحد ويكون اقبالهم اليه يزفون بعدرجوعهم من عيدهم وسؤالهم عن الكاسر وقولهم قالوا فأتوا به على أعين الناس انتهى وهذا الوجه الثاني الذي ذكرهو الصحيح * قال أتعبدون ماتنحتون استفهام توبيخ وانكار عليهم كيف هم يعبدون صورا صوّروها بأيديهم وشكلوها على مايريدون من الاشكال * والله خلقكم وماتعملون الظاهر أن ماموصولة بمعنى الذي معطوفة على الضمير في خلقكم أي أنشأ ذواتكم وذوات ماتعملون من الأصنام والعمل هناهو التصوير والتشكيل كما يقول عمل الصائغ الخلخال وعمل الحداد القفل والنجار الخزانة ويحمل ذلك على أن مابمعنى الذي يتم الاحتجاج عليهم بان كلامن الصنم وعابده هو مخلوق لله تعالى والعابد هو المصور ذلك المعبود فكيف يعبد مخلوق مخلوقا وكلاهما خلق الله وهو المنفرد بانشاء ذواتهما والعابد مصور الصنم معبوده ومافي وماتنحتون بمعنى الذي فكذلك في وماتعملون لان نحتهم هو عملهم * وقيل مامصدرية أي خلقكم وعملكم وجعلوا ذلك قاعدة على خلق الله أفعال العباد وقد بدد الزمخشري تقابل هذه المقالة بما يوقف عليه في كتابه وقيل ماا استفهام إنكاري أي وأي شئ تعملون في عبادتكم أصناما تنحتونها أي لاعمل لكم يعتبر وقيل مانافية أي وماأنتم تعملون شيأ في وقت خلقكم ولاتقدرون على شئ وكون مامصدرية واستفهامية ونعتا أقوال متعلقة خارجة عن طريق البلاغة ولماغلبهم ابراهيم عليه السلام بالحجة مالوا الى الغلبة بقوة الشوكة والجمع فقالوا ابنوا له بنيانا أي في موضع ايقاد النار * وقيل هو المنجنيق الذي رمى عنه وأرادوا به كيدا فأبطل الله مكرهم وجعلهم الأخسرين الأسفلين وكذا عادة من غلب بالحجة رجع الى الكيد * وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن ياابراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين * ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالبين * وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم * وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين * وإن إلياس لمن المرسلين * إذقال لقومه ألاتتقون * أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الاولين * فكذبوه فانهم لمحضرون * إلاعباد الله المخلصين * وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من

﴿ وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ﴾ الآية لما سلمه الله تعالى منهم ومن النار التى ألقوه فيها عزم على مفارقتهم وعبر بالذهاب عن هجرته الى أرض الشام فهاجر من أرض بابل من مملكة نمروذ الى أرض الشام سيهدين يوفقنى الى ما فيه صلاحى هب لى أى ولدا يكون من عداد الصالحين ولفظ الهبة غلب فى الولد ﴿فلما بلغ معه السعى﴾ بين هذه الجملة والتى قبلها محذوف

عبادنا المؤمنين * وإن لوطا لمن المرسلين * إذ نجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا فى الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون * وإن يونس لمن المرسلين * إذ أبق إلى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم إلى حين * فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * مالكم كيف تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين * فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين * وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين * فإنكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * إلا من هو صال الجحيم * وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون * وإن كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكرا من الأولين * لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون * ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون * فتول عنهم حتى حين * وأبصرهم فسوف يبصرون * أفبعذابنا يستعجلون * فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين * وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون * سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴾ تل الرجل الرجل صرعه على شقه وقيل وضعه بقوة * وقال ساعدة بن حوية * وتل تليلا للجبين وللفم * والجبينان ما اكتنف من هنا ومن هنا وشذ جمع الجبين على أجبن وقياسه فى القلة أجبنة كـكثيب وأكثبة وفى الكثرة جبناب وجبن كـكثبان وكثب * الذبح اسم ما يذبح كالرعى اسم ما يرعى * أبق هرب * ساهم قارع * المدحض المغلوب * الحوت معروف * ألام أتى بما يلام عليه قال الشاعر

وكم من مليم لم يصب بملامة * ومتبع بالذنب ليس له ذنب

* العراء الأرض الفيحاء لا شجر فيها ولا يعلم قال الشاعر

رفعت رجلا لا أخاف عثارها * ونبذت بالمتن العراء ثيابى

* اليقطين يفعيل كاليفصيد من قطن أقام بالمكان وهو بالمكان وهو ما كان من الشجر لا يقوم على ساق من عود كشجر البطيخ والحنظل والقثاء * الساحة الفناء وجمعها سوح قال الشاعر

فكان سيان أن لا يسرحوا نعما * أو يسرحوه بها واغبرت السوح

﴿ وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين * فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر

تقديره ولدله وشب ﴿فلما بلغ معه﴾ أى بلغ أن يسعى مع أبيه فى أشغاله وحوائجه وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة ﴿قال يا بنى﴾ نداء شفقة وترحم ﴿انى أرى فى المنام انى أذبحك﴾ أى بأمر من الله تعالى ويدل عليه افعل ما تؤمر ورؤيا الانبياء عليهم السلام وحى كاليقظة وذكر له الرؤيا تجسيرا على احتمال تلك البلية العظيمة وشاوره بقوله فانظر ماذا ترى وان كان حتما من الله تعالى ليعلم ما عنده من تلقى هذا الامتحان العظيم ويصبره ان جزع قيل حين بشرته الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله تعالى فلما بلغ حد السعى معه قيل له أوف بنذرك وقيل رأى ليلة التروية قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله تعالى هذا الحلم فمن ثم سمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فمن ثم سمى يوم عرفة ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فمن ثم سمى يوم النحر وانظر معلقة وماذا استفهام فان كانت ذا موصولة بمعنى الذى فما مبتدأ والذى بعدها صلة وان كانت ماذا مركبة فى موضع نصب بافعل بعدها والجملة واسم الاستفهام الذى هو معمول لافعل بعده فى موضع نصب لانظر ولم يكن خطاب الابن على سبيل الرحم قال هو ﴿يا أبت﴾ على سبيل التعظيم والتوقير ﴿افعل ما تؤمر﴾ أى ما تؤمره حذف وهو منصوب وأصله ما تؤمر به فحذف الحرف واتصل

ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتله للجبين * وناديناه أن يا ابراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين * إن هذا لهو البلاء المؤمنين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم * إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين * وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين ﴾ لما سلمه الله منهم ومن النار التي ألقوه فيها عزم على مفارقتهم وعبر بالذهاب الى ربه عن هجرته الى أرض الشام كما قال اني مهاجر إلى ربي ليتمكن من عبادة ربه و يتضرع له من غير أن يلقى من يشوش عليه فهاجر من أرض بابل من مملكة نمروذ إلى الشأم وقيل الى أرض مصر و يبعد قول من قال ليس المراد بذهابه الهجرة وانما مراده لقاء الله بعد الاحراق طانا منه أنه سيموت في النار فقالها قبل أن يطرح في النار وسيهدين أي إلى الجنة نحا الى هذا قتادة لان قوله رب هب لي من الصالحين يدفع هذا القول والمعتقد أنه يموت في النار لا يدعو بأن يهب الله له ولدا صالحا سيهدين يوفقني الى ما فيه صلاحي من الصالحين أي ولدا يكون في عداد الصالحين ولفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الأخ كقوله ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا واشتملت البشارة على ذكورية المولود و بلوغه سن الحلم ووصفه بالحلم وأي حلم أعظم من قوله وقد عرض عليه أبوه الذبح ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما بلغ معه السعي بين هذه الجملة والتي قبلها محذوف تقديره فولد له وشب فلما بلغ أي بلغ أن يسعى مع أبيه في اشغاله وحوائجه * وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد والسعي هنا العمل والعبادة والمعونة * وقال قتادة السعي على القدم يريد سعيا متمكنا وفيه قال الزمخشري لا يصح تعلقه ببلغ به بلوغهما معا حد السعي ولا بالسعي لان أصله المصدر لا يتقدم عليه فبقي أن يكون بيانا كأنه لما قال فلما بلغ معه السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في احتصاص الأب أنه أرفق الناس وأعطفهم عليه وعلى غيره و بما عنف عليه في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم يستحكم قوله ولم يطلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلاث عشرة سنة انتهى * قال يا بني نداء شفقة وترحم * إني أرى في المنام أني أذبحك أي بأمر من الله و يدل عليه افعل ما تؤمر ورؤيا الأنبياء وحي كاليقظة وذكره له الرؤيا تجسير على احتمال تلك البلية العظيمة وشاوره بقوله فانظر ماذا ترى وان كان حتما من الله ليعلم ما عنده من تلقي هذا الامتحان العظيم و يصبره ان جزع و يوطن نفسه على ملاقاة هذا البلاء وتسكن نفسه لما لا بد منه اذ مفاجأة البلاء قبل الشعور به أصعب على النفس وكان ما رآه في المنام ولم يكن في اليقظة كرؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول المسجد الحرام ليدل على أن حالتي الأنبياء يقظة ومناما سواء في الصدق متظافرتان عليه قيل انه حين بشرت الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما بلغ حد السعي معه قيل له أوف بنذرك قيل رأى ليلة التروية قائلا يقول له إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر * وقرأ الجمهور

يقال تل الرجل الرجل اذا صرعه على شقه وقيل وضعه بقوة أوقعه على أحد جنبيه في الارض تواضعا مباشر الامر بصبر وذلك عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف مقدر بعد وتله للجبين أي أجزلنا أجرهما ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ قال الجمهور كبش أبيض أقرن أعين ووصف بالعظم لانه متقبل يقينا وقال عمرو بن عبيد لانه جرت به السنة وصار دينا باقيا الى آخر الدهر والذبح بمعنى المذبوح كالطحن بمعنى المطحون قال ابن عباس وابن جبير عظمه كونه من كباش الجنة رعى فيها أربعين خريفا وفي قوله وفديناه دليل على أن ابراهيم عليه السلام لم يذبح ابنه اذ قد فدى ﴿وبشرناه باسحاق﴾ الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة وأن الغلام الحليم المبشر به ابراهيم هو اسماعيل وانه هو الذبيح

لا اسحق واستدل بظاهر هذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وقول الاعرابي له يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام يعني اسماعيل وأباه عبد الله وكان عبد المطلب نذر ذبح أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ولدك بمائة من الابل

ترى بفتح التاء والراء وعبدالله والاسود بن يزيد وابن وثاب وطلحة والأعمش ومجاهد وحمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء والضحاك والأعمش أيضا بضم التاء وفتح الراء فالأول من الرأي والثاني ماذا تربنيه وماتبديه لانظر فيه والثالث ما الذي يخيل اليك و يوقع في قلبك وانظر معلقة وماذا استفهام فان كانت ذا موصولة بمعنى الذي فما مبتدأ والفعل بعد ذا صلة وان كانت ذا مركبة ففي موضع نصب بالفعل بعدها والجملة واسم الاستفهام الذي هو معمول للفعل بعده في موضع نصب لانظر ولما كان خطاب الأب يابني على سبيل الترحم قال هو ياأبت على سبيل التعظيم والتوقير افعل ماتؤمر أي ماتؤمره حذفه وهو منصوب وأصله ماتؤمر به فحذف الحرف واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه لوجود شرائط الحذف فيه * وقال الزمخشري أوأمرك على اضافة المصدر الى المفعول الذي لم يسم فاعله وفي ذلك خلاف هل يعتقد في المصدر العامل أن يجوز أن يبنى للمفعول فيكون مابعده مفعولا لم يسم فاعله أم لا يكون ذلك * ستجدني ان شاء الله من الصابرين كلام من أوتي الحلم والصبر والامتثال لامر الله والرضا بأمر الله * فلما أسلما أي لامر الله و يقال استسلم وسلم بمعناها * وقرأ الجمهور أسلما * وقرأ عبدالله وعلي وابن عباس ومجاهد والضحاك وجعفر بن محمد والأعمش والثوري سلما أي فوضا اليه في قضائه وقدره وقرئ استسلما ثلاث قراآت * وقال قتادة في أسلما أسلم هذا ابنه وأسلم هذا نفسه فجعل أسلما متعديا وغيره جعله لازما بمعنى انقاد لأمر الله وخضعاله وتله للجبين أي أوقعه على أحد جنبيه في الارض مباشرا الامر بصبر وجلد وذلك عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في الموضع المشرف على مسجد منى وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم وجواب لما محذوف يقدر بعد وتله للجبين أي أجزلنا أجرهما قاله بعض البصريين أوبعد الرؤيا أي كان ما كان مما تنطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما وحمدهما الله على ما أنعم به الى ألفاظ كثيرة ذكرها الزمخشري على عادته في خطابته أوقبل وتله تقديره فلما أسلما وتله * قال ابن عطية وهو قول الخليل وسيبويه وهو عندهم كقول امرئ القيس

* فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى * وقال الكوفيون الجواب مثبت وهو وناديناه على زيادة الواو وقالت فرقة هو وتله على زيادة الواو وذكر الزمخشري في قصة ابراهيم وابنه وماجرى بينهما من الاقوال والافعال فصولا الله أعلم بصحتها يوقف عليها في كتابه وأن مفسرة أي قد صدقت * وقرأ زيد ابن علي وناديناه قد صدقت بحذف أن وقرئ صدقت بتخفيف الدال وقرأ فياض الريا بكسر الراء والادغام وتصديق الرؤيا قال الزمخشري بذل وسعه وفعل مايفعل الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه لكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضي فيه وهذا لايقدح في فعل ابراهيم ألا ترى أنه لايسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرى الاوداج وأنهرت الدم وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولاقبل أوان الفعل في شئ كما يسبق الى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه * وقال ابن عطية قد صدقت يحتمل أن يريد بقلبك على معنى كانت عندك رؤياك صادقة حقا من الله فعملت بحسبها حين آمنت بها واعتقدت صدقها ويحتمل أن يريد صدقت بقلبك ماحصل عن الرؤيا في نفسك كأنه قال قد وفيتها حقها من العمل انتهى انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ماخولهما الله من الفرج بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس * إن هذا أي ما أمر به ابراهيم من ذبح ابنه لهو البلاء المبين أي الاختبار البين الذي يتميز فيه المخلصون وغيرهم أوالمحنة البينة الصعوبة التي لا محنة أصعب منها * وفديناه بذبح قال ابن عباس هو

فداه بها قيل وكان قرنا الكبش منوطين في الكعبة في أيدي بني اسماعيل الى أن احترق البيت قال الشعبي رأيتهما معلقين في الكعبة

(الدر)

(ح) ماتؤمر أي ماتؤمره حذفه وهو منصوب وأصله ماتؤمر به فحذف الحرف واتصل الضمير منصوبا فجاز حذفه لوجود شرائط الحذف فيه (ش) أوأمرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسميته المأمور به أمرا انتهى (ح) ويعني على اضافة المصدر الى المفعول أي الذي لم يسم فاعله وفي ذلك خلاف هل يعتقد في المصدر العامل انه يجوز ان يبنى للمفعول فيكون مابعده مفعولا لم يسم فاعله أم لا يكون ذلك

الكبش الذى قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى فى الجنة حتى فدى به اسماعيل * وقال أيضا هو والحسن فدى بوعل أهبط عليه من ثبير * وقال الجمهور كبش أبيض أقرن أقنى * ووصف بالعظم * قال مجاهد لانه متقبل يقينا * وقال عمرو بن عبيد لانه جرت السنة به وصار دينا باقيا الى آخر الدهر * وقال الحسن بن الفضل لانه كان من عند الله * وقال أبو بكر الوراق لانه لم يكن عن نسل بل عن التكوين * وقال ابن عباس وابن جبير عظمته كونه من كباش الجنة رعى فيها أربعين خريفا وفى قوله وفديناه بذبح عظيم دليل على أن ابراهيم لم يذبح ابنه وقد فدى * وقالت فرقة وقع الذبح والتأم بعد ذلك * قال ابن عطية وهذا كذب صراح * وقالت فرقة لم ير ابراهيم فى منامه الامرار بالشفرة فقط فظن أنه ذبح مجهز فنفذ لذلك فلما وقع الذى رآه وقع النسخ قال ولا اختلاف ان ابراهيم عليه السلام أمر الشفرة على حلق ابنه فلم تقطع انتهى والذى دل عليه القرآن أنه تله للجبين فقط ولم يأت فى حديث صحيح أنه أمر الشفرة على حلق ابنه * وتركنا عليه الى المؤمنين تقدم تفسير نظيره فى آخر قصة نوح قبل قصة ابراهيم هنا وقال هنا كذلك دون انا اكتفاء بذكر ذلك قبل وبعد * وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة وأن الغلام الحليم المبشر به ابراهيم هو اسماعيل وأنه هو الذبيح لا اسحق وهو قول ابن عباس وابن عمر ومعاوية بن أبى سفيان ومحمد بن كعب القرظى والشعبى والحسن ومجاهد وجماعة من التابعين واستدلوا بظاهر هذه الآيات وبقوله عليه السلام انا ابن الذبيحين وقول الاعرابى له يا ابن الذبيحين فتبسم عليه السلام يعنى اسماعيل وأباه عبد الله وكان عبد المطلب نذر ذبح أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ابنك بمائة من الابل ففداه بها وفيما أوحى الله لموسى فى حديث طويل وأما اسماعيل فانه جاد بدم نفسه وسأل عمر بن عبد العزيز يهوديا أسلم عن ذلك فقال ان يهود ليعلم ولكنهم يحسدونكم معشر العرب وكان قرنا الكبش منوطين فى الكعبة وسأل الاصمعى أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وهو الذى بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة انتهى ووصفه تعالى بالصبر فى قوله واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح وبصدق الوعد فى قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به * وذكر الطبرى أن ابن عباس قال الذبيح اسماعيل ويزعم اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود ومن أقوى ما يستدل به أن الله تعالى بشر ابراهيم باسحق وولد اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان ذلك الاخبار غير مطابق للواقع وهو محال فى اخبار الله تعالى وذهبت جماعة الى أن الذبيح هو اسحق منهم العباس بن عبد المطلب وابن مسعود وعلى وعطاء وعكرمة وكعب وعبيد بن عمير وابن عباس فى رواية وكان أمر ذبحه بالشأم * وقال عطاء ومقاتل ببيت المقدس وقيل بالحجاز جاء مع أبيه على البراق * وقال عبيد بن عمير وابن عباس فى رواية وكان أمر ذبحه بالشأم كان بالمقام * وقال ابن عباس والبشارة فى قوله وبشرناه باسحق هى بشارة نبوته وقالوا أخبر تعالى عن خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بأنه استوهبه ولدا ثم أتبع تلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف عليهما السلام من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله ومن جعل الذبيح اسحق جعل هذه البشارة بشارة بنبوته كما ذكرنا عن ابن عباس وقالوا لا يجوز أن يبشره الله بولادته ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بأنه سيكون نبيا ومن جعله اسماعيل جعل البشارة بولده اسحق وانتصب نبيا على

الحال وهي حال مقدرة فان كان اسحق هو الذبيح وكانت هذه البشارة بولادة اسحق فقد جعل الزمخشري ذلك محل سؤال (فان قلت) فرق بين هذا وقوله فادخلوها خالدين وذلك أن المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر به فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به أوجب عدم حاله لان الحال حلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين وجد لم توجد النبوة أيضا بوجوده بل تراخت عنه مدة طويلة فكيف يجعل نبيا حالا مقدرة والحال صفة الفاعل والمفعول عند وجود الفعل منه أو به فالخلود وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود وليس كذلك النبوة فانه لا سبيل الى أن تكون موجودة وقت وجود البشارة باسحق لعدم اسحق (قلت) هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل الاشكال أنه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قوله وبشرناه بوجود اسحق نبيا أي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد أن يكون من الصالحين انتهى ﴿وباركنا عليه وعلى اسحق﴾ أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وبان أخرجنا أنبياء بني اسرائيل من صلبه ﴿ومن ذريتهما محسن وظالم﴾ فيه وعيد لليهود ومن كان من ذريتهما لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على أن البر قد يلد الفاجر ولا يلحقه من ذلك عيب ولا منقصة ﴿ولقد مننا على موسى وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالبين * وآتيناهما الكتاب المستبين * وهديناهما الصراط المستقيم * وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين * انهما من عبادنا المؤمنين * وان الياس لمن المرسلين * اذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين * فكذبوه فانهم لمحضرون * الا عباد الله المخلصين * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على آل ياسين * انا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وان لوطا لمن المرسلين * اذ نجيناه وأهله أجمعين * الا عجوزا في الغابرين * ثم دمرنا الآخرين * وانكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون﴾ الكرب العظيم تعبد القبط لهم ثم خوفهم من جيش فرعون ثم البحر بعد ذلك والضمير في ونصرناهم عائد على موسى وهرون وقومهما وقيل عائد على موسى وهرون فقط تعظيما لهما بكناية الجماعة وهم يجوز أن يكون فصلا وتوكيدا أو بدلا والكتاب المستبين التوراة كما قال تعالى إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور والصراط المستقيم هو الاسلام وشرع الله ﴿والياس﴾ قال ابن مسعود وقتادة هو ادريس عليه السلام ونقلوا عن ابن مسعود وابن وثاب والأعمش والمنهال بن عمرو والحكم بن عتيبة الكوفي أنهم قرأوا وإن ادريس لمن المرسلين وهي محمولة عندي على تفسيره لان المستفيض عن ابن مسعود أنه قرأ وان الياس وأيضا تفسيره الياس بانه ادريس لعله لا يصح عنه لان ادريس في التاريخ المنقول كان قبل نوح وفي سورة الانعام ذكر الياس وأنه من ذرية ابراهيم

﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ الآية الكرب العظيم تعبد القبط لهم ثم خوفهم من جيش فرعون ثم البحر بعد ذلك والضمير في ونصرناهم عائد على موسى وهرون وقومهما وهم يجوز أن يكون فصلا أو توكيدا أو بدلا والكتاب المستبين التوراة والصراط المستقيم هو الاسلام وشرع الله تعالى ﴿وآتيناهما﴾ الضمير عائد على موسى وهرون والكتاب وان كان نازلا على موسى وحده فهرون كان مقتديا به اذ كان قومهما قد عبدوا العجل فجمع مع موسى عليه السلام في الضمير لأجل الاقتداء به ﴿أتدعون بعلا﴾ أي أتعبدون بعلا وثم محذوف تقديره الها وبعل علم لصنم لهم قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك وقرئ الله ربكم بالرفع ورفع ما بعده وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هو الله وقرئ بالنصب ونصب ما بعده وهو بدل من قوله أحسن الخالقين أو عطف بيان وقرئ آل ياسين مفصولة اللام فيكون ياسين والياس اسمين لهذا النبي وقرئ الياسين بهمزة مكسورة أي الياسين جمع المنسوبين الى الياس معه كما قالوا في جمع أشعري الاشعرين بحذف ياء النسب ﴿مصبحين﴾ حال أي داخلين في الصباح والخطاب في وانكم لقريش وكانت متاجرهم الى الشام على مدائن قوم لوط ﴿أفلا تعقلون﴾ فتعتبرون بما جرى على من كذب الرسل

ومن ذرية نوح على ما يحتمله قوله تعالى و وهبنا له اسحق و يعقوب كلا هدينا ومن ذريته داود ذكر في جملة هذه الذرية الياس وقيل الياس من أولاد هرون * قال الطبرى هو الياس بن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هرون * وقرأ الجمهور و إن إلياس بهمزة قطع مكسورة * وقرأ عكرمة والحسن بخلاف عنهما والأعرج وأبو رجاء وابن عامر وابن محيصن بوصل الالف فاحتمل أن يكون وصل همزة القطع واحتمل أن يكون اسمه ياسا ودخلت عليه أل كما دخلت على اليسع وفي حرف أبي ومصحفه وان ايليس بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة بعدها لام مكسورة بعدها ياء ساكنة وسين مفتوحة * وقرئ وان ادراس لغة في ادريس كابراهام في ابراهيم * أتدعون بعلا أي أتعبدون بعلا وهو علم لصنم لهم قاله الضحاك والحسن وابن زيد * قيل وكان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك * وقال عكرمة وقتادة البعل الرب بلغة اليمن * وسمع ابن عباس رجلا ينشد ضالة فقال له رجل أنا بعلها فقال ابن عباس الله أكبر أتدعون بعلا و يقال من بعل هذه الدار أي ربها والمعنى على هذا أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله * وقالت فرقة ان بعلا اسم امرأة أتتهم بضلالة فاتبعوها وقرئ أتدعون بعلاء بالمد على وزن حمراء ويؤنس هذه القراءة قول من قال انه اسم امرأة * وقرأ الكوفيون و زيد بن علي الله ربكم ورب آبائكم بالنصب في الثلاثة بدلا من أحسن أو عطف بيان ان قلنا ان اضافة التفضيل محضة وباقي السبعة بالرفع أي هو الله أو يكون استئنافا مبتدأ وربكم خبره * وروى عن حمزة أنه اذا وصل نصب واذا قطع رفع * فكذبوه أي كذبه قومه إما في قوله الله ربكم هذه النسب أو فكذبوه فيما جاء به من عند الله من الأمر بالتوحيد وترك الصنم والايمان بما جاءت به الرسل ومحضرون مجموعون للعذاب * إلا عباد الله المخلصين استثناء يدل على أن من قومه مخلصين لم يكذبوه فهو استثناء متصل من ضمير فكذبوه ولا يجوز أن يكون استثناء من فانهم لمحضرون لانهم كانوا يكونون مندرجين فيمن كذب و يكونون عباد الله المخلصين وذلك لا يمكن ولا يناسب أن يكون استثناء منقطعا إذ يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير قومه لا يحضرون للعذاب ولا مسيس لهؤلاء المسوسين بالآية التي فيها قصة الياس هذه * وقرأ زيد بن علي ونافع وابن عامر على آل ياسين * وزعموا أن آل مفصولة في المصحف وياسين اسم لالياس * وقيل اسم لأبي الياس لانه الياس بن ياسين وآل ياسين هو ابنه الياس * وقيل ياسين هو اسم محمد صلى الله عليه وسلم * وقرأ باقي السبعة على الياسين بهمزة مكسورة أي الياسين جمع المنسوبين الى الياس معه فسلم عليهم وهذا يدل على أن من قومه من كان اتبعه على الدين وكل واحد ممن نسب اليه كأنه الياس فلما جمعت خففت ياء النسبة بحذف احداهما كراهة التضعيف فالتقى ساكنان الياء فيه وحرف العلة الذي للجمع فحذفت لالتقائهما كما قالوا الأشعرون والأعجمون والخبيبون والمهلبون * وحكى أبو عمرو أن مناديا نادى يوم الكلاب هلك اليزيديون * وقال الزمخشري لو كان جمعا لعرف بالألف واللام * وقرأ أبو رجاء والحسن على الياسين بوصل الألف على انه جمع يراد به الياس وقومه المؤمنون وحذفت ياء النسب كما قالوا الأشعرون والألف واللام دخلت على الجمع واسمه على هذا ياس * وقرأ ابن مسعود ومن ذكر معه أنه قرأ ادريس سلام على ادراسين * وعن

﴿وان يونس لمن المرسلين﴾ هو يونس بن متى من بنى اسرائيل روى أنه نبي وهو ابن ثمان وعشرين سنة بعثه الله الى قومه فدعاهم مرة فخالفوه فوعدهم بالعذاب وأعلمه الله تعالى بيومه فحدده يونس لهم ثم ان قومه لما رأوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم قيل ولحقت يونس غضبة فابق الى ركوب السفينة فرارا من قومه وعبر عن الهرب بالاباق اذ هو عبد الله تعالى خرج فارا من قومه وروى أنه لما بعدت السفينة في البحر ويونس فيها ركدت فقال أهلها ان فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع فاخذوا لكل سهما على أن من طفا سهمه فهو الذي يرمى به ومن غرق سهمه فليس اياه فطفا سهم يونس ففعلوا ذلك ثلاث مرات تقع القرعة فيها عليه فأزمعوا على أن يطرحوه في الماء فجاء الى ركن منها ليقع منه فاذا بدابة من دواب البحر ترقبه وترصد له فانتقل الى الركن الآخر فوجدها حتى استدار بالمركب كلها وهي لا تفارقه فعلم أن ذلك من عند الله تعالى فترامى اليها فالتقمته وفي قصة يونس عليه السلام هنا جمل محذوفة مقدرة قبل ذكر فراره الى الفلك كما في الانبياء وبمجموع القصص يتبين ما حذف في كل قصة منها ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ أي من المغلوبين وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر في الاستهام ﴿وهو مليم﴾ آتى بما يلام عليه واللوم العتب ﴿من المسبحين﴾ من الذاكرين الله بالتسبيح والتقديس ﴿للبث في بطنه الى يوم يبعثون﴾ أى بطن الحوت روى أنه كان يرفع لحم الحوت بيديه ويقول لابنين لك مسجدا حيث لم يبنه أحد قبلي وروى أن الحوت مشى به البحار كلها حتى قذفه في نصيبين من ناحية الموصل (٣٧٤) وروى أن الحوت سافر مع السفينة رافعا رأسه يتنفس ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فاسلموا والظاهر أن قوله للبث في بطنه يريد حيا الى يوم البعث ﴿بالعراء﴾ المكان الخالى ﴿وهو سقيم﴾ روى انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد واليقطين القرع خاصة قيل وهي التي كانت أنبتها الله تعالى عليه وتجمع خصالا هي برد الظل ونعومة الملمس وعظم الورق وان الذباب لا يقربها وماء ورقه اذا رش به مكان لم يقرب به ذباب أصلا ﴿وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال الجمهور رسالته هذه هي الأولى التى أبق بعدها ذكرها في آخر القصة تنبيها على رسالته ويدل عليه فآمنوا فمتعناهم الى حين وتمتيع تلك الأمة هو الذى أغضب يونس عليه السلام حتى أبق وأو للابهام على المخاطب لا للشك والضمير في فاستفتهم لقريش كما في قوله أول السورة ويستفتهم والاستفتاء هنا سؤال على جهة التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله حيث جعلوا لله الاناث في قولهم الملائكة بنات الله تعالى مع كراهتهم لهن ووأدهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن وارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر التجسيم لأن الولادة مختصة بالاجسام وتفضيل أنفسهم حيث جعلوا أرفع الجنسين لهم وغيره لله تعالى واستهانتهم بمن هو مكرم عند الله تعالى حيث أنثوهم وهم الملائكة بدأ أولا بتوبيخهم على تفضيل أنفسهم بقوله ﴿ألربك البنات﴾ وعدل عن قولهم ألربكم لما في ترك الاضافة اليهم من تخسيسهم وتشريف نبيه عليه السلام بالاضافة اليه وثنى بان نسبة الأنوثة الى الملائكة تقتضى المشاهدة فانكر عليهم بقوله ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون﴾ أى خلقناهم وهم لا يشهدون شيأ من حالهم ثم أخبر عنهم بالثالث أعظم الكفر وهو ادعاؤهم أنه تعالى قد ولد فهو من افكهم أى نسبة الولد اليه تعالى وتقدس ولما كان هذا أفحش قال ﴿وانهم لكاذبون﴾ واحتمل أن تختص هذه الجملة بقولهم ولد الله ويكون تأكيدا لقوله من إفكهم وقرئ أصطفى بهمزة الاستفهام على طريقة الانكار والاستبعاد وسقطت همزة الوصل ولا تقف ﴿مالكم كيف

قتادة وان ادريس * وقرأ على ادرسين * وقرأ ابن علي ايليس كقراءته وان ابليس لمن المرسلين إلا عجوزا هي امرأة لوط وكانت كافرة إما مستترة بالكفر وإما معلنة به وكان نكاح الوثنيات عندهم جائزا مصبحين أى داخلين في الاصباح والخطاب في وانكم لقريش وكانت متاجرهم الى الشأم على مدائن قوم لوط * أفلا تعقلون فتعتبرون بما جرى على من كذب الرسل ﴿وان يونس لمن المرسلين * إذ أبق الى الفلك المشحون * فساهم فكان من المدحضين * فالتقمه الحوت وهو مليم * فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه الى يوم يبعثون * فنبذناه بالعراء وهو سقيم * وأنبتنا عليه شجرة من يقطين * وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون * فآمنوا فمتعناهم الى حين * فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون * أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون * ألا إنهم من إفكهم ليقولون * ولد الله وانهم لكاذبون * أصطفى البنات على البنين * مالكم كيف

تحكمون * أفلا تذكرون * أم لكم سلطان مبين * فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين﴾ يونس بن متى من بنى اسرائيل * وروى أنه نبئ وهو ابن ثمان وعشرين سنة بعثه الله الى قومه فدعاهم فخالفوه فوعدهم بالعذاب فأعلمهم الله بيومه فحدده يونس لهم ثم ان قومه لما رأوا مخايل العذاب قبل أن يباشرهم تابوا وآمنوا فتاب الله عليهم وصرف العذاب عنهم وتقدم شرح قصته وأعد ناظر فامنها ليفيد ما بين الذكرين * قيل ولحق يونس غضب فأبق الى ركوب السفينة فرارا من قومه وعبر عن الهروب بالاباق إذ هو عبد الله خرج فارا من غير اذن من الله * وروى عن ابن مسعود انه لما أبعدت السفينة فى البحر ويونس فيها ركدت فقال أهلها ان فيها لمن يحبس الله السفينة بسببه فلنقترع فأخذوا لكل سهما على أن من طفا سهمه فهو ومن غرق سهمه فليس إياه فطفا سهم يونس فعلوا ذلك ثلاثا تقع القرعة عليه فأجمعوا على أن يطرحوه فجاء الى ركن منها ليقع منها فاذا بدابة من دواب البحر ترقبه وترصده فانتقل الى الركن الآخر فوجدها حتى استدار بالمركب وهى لا تفارقه فعلم أن ذلك من عند الله فترامى اليها فالتقمته ففى قصة يونس عليه السلام هنا جمل محذوفة مقدرة قبل ذكر فراره الى الفلك كما فى قصته فى سورة الأنبياء فى قوله إذ ذهب مغاضبا هو ما بعد هذا وقوله فنادى فى الظلمات جمل محذوفة أيضا وبمجموع القصص يتبين ما حذف فى كل قصة منها * فساهم فكان من المدحضين من المغلوبين وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر فى الاستهام * وقرئ وهو مليم بفتح الميم وقياسه ملوم لانه من لمته ألومه لوما فهو من ذوات الواو ولكنه جىء به على أليم كما قالوا مشيب ومدعى فى مشوب ومدعو بناء على شيب ودعى * من المسبحين من الذاكرين الله تعالى بالتسبيح والتقديس والظاهر أنه يريد ما ذكر فى قوله فى سورة الأنبياء فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * وقال ابن جبير هو قوله سبحان الله وقالت فرقة تسبيحه صلاة التطوع فقال ابن عباس وقتادة وأبو العالية صلاته فى وقت الرخاء تنفعه فى وقت الشدة * وقال الضحاك بن قيس على منبره اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة ان يونس كان عبدا ذاكرا فلما أصابته الشدة نفعه ذلك قال الله عز وجل فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون * وقال الحسن تسبيحه صلاته فى بطن الحوت * وروى انه كان يرفع لحم الحوت بيديه يقول لابنين لك مسجدا حيث لم يبنه أحد قبلى * وروى أن الحوت سافر مع السفينة رافعا رأسه ليتنفس ويونس يسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شئ فأسلموا والظاهر أن قوله للبث فى بطنه الى يوم البعث * وعن قتادة لكان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة * وذكر فى مدة لبثه فى بطن الحوت أقوال الامتكاد به ضربنا عن ذكرها صفحا * وهو سقيم * روى أنه عاد بدنه كبدن الصبى حين يولد قاله ابن عباس والسدى * وقال ابن عباس وأبو هريرة وعمرو بن ميمون اليقطين القرع خاصة قيل وهى التى أنبتها الله عليه وتجمع خصالا * برد الظل * ونعومة الملمس * وعظم الورق * والذباب لا يقربها * قيل وماء ورقه اذا رش به مكان لم يقرب به ذباب وقال أمية بن أبى الصلت

فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا الله ألفى ضاحيا

وفيما روى انك لتحب القرع قال أجل هى شجرة أخى يونس * وقيل هى شجرة الموز تغطى بورقها واستظل بأغصانها وأفطر على ثمارها ومعنى أنبتنا عليه شجرة فى كلام العرب ما كان على ساق من عود فيحتمل أن يكون الله أنبتها ذات ساق يستظل بها وبورقها خرقا للعادة فنبت وصح وحسن

تحكمون ﴾ تقرير وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة ﴿ أم لكم سلطان ﴾ أى حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله ﴿ فأتوا بكتابكم ﴾ الذى أنزل عليكم

وجهلان ورق القرع أنفع شئ لمن ينسلخ جلده *وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون *قال الجمهور في رسالته هذه هي الأولى التي أبق بعدها ذكرها آخر القصص تنبيها على رسالته ويدل عليه فآمنوا فمتعناهم وتمتيع تلك الأمة هو الذي أغضب يونس عليه السلام حتى أبق * وقال ابن عباس وقيل هي رسالة أخرى بعد أن نبذه بالعراء وهي الى أهل نينوى من ناحية الموصل وقال الزمخشري المراد به ماسبق من ارساله الى قومه وهم أهل نينوى *وقيل هو ارسال ثان بعدما جرى اليه الى الأولين أو الى غيرهم * وقيل أسلموا فسألوه أن يرجع اليهم فأبى لان النبي اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم فقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا *وقرأ الجمهور أو وقال ابن عباس بمعنى بل *وقيل بمعنى الواو وبالواو وقرأ جعفر بن محمد * وقيل للابهام على المخاطب * وقال المبرد وكثير من البصريين المعنى على نظر البشر وحزرهم ان من رآهم قال هم مائة ألف أو يزيدون وهذا القول لم يذكر الزمخشري غيره * قال أو يزيدون في مرأى الناظر اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة والزيادة ثلاثون ألفا قاله ابن عباس أو سبعون ألفا قاله ابن جبير أو عشرون ألفا رواه أبي عن النبي صلى الله عليه وسلم واذا صح بطل ماسواه *فآمنوا روي أنهم خرجوا بالاطفال والاولاد والبهائم وفرقوا بينها وبين الامهات وناحوا وضجوا وأخلصوا فرفع الله عنهم والتمتع هنا هو بالحياة والحين آجالهم السابقة في الأزل قاله قتادة والسدي والضمير في فاستفتهم قال الزمخشري معطوف على مثله في أول السورة وان تباعدت بينهما المسافة أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى انتهى ويبعد ماقاله من العطف واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة مثل قولك كل لحما واضرب زيدا وخبزا من أقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة فالقول بالعطف لايجوز والاستفتاء هنا سؤال على جهة التوبيخ والتقريع على قولهم البهتان على الله حيث جعلوا لله الاناث في قولهم الملائكة بنات الله مع كراهتهم لهن ووأدهم اياهن واستنكافهم من ذكرهن وارتكبوا ثلاثة أنواع من الكفر التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام وتفضيل أنفسهم حيث نسبوا أرفع الجنسين لهم وغيره لله تعالى واستهانتهم بمن هو مكرم عند الله حيث أنثوهم وهم الملائكة بدأ أولا بتوبيخهم على تفضيل أنفسهم بقوله ألربك البنات وعدل عن قوله ألربكم لما في ترك الاضافة اليهم من تحسينهم وسرف نبيه بالاضافة اليه وثنى بأن نسبة الانوثة الى الملائكة يقتضي المشاهدة فأنكر عليهم بقوله أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون أي خلقناهم وهم لايشهدون شيأ من حالهم كما قال في الاخرى أشهدوا خلقهم وكما قال ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق أنفسهم ثم أخبر عنهم ثالثا بأعظم الكفر وهو ادعاؤهم انه تعالى قد ولد فبلغ افكهم الى نسبة الولد ولما كان هذا فاحشا قال وانهم لكاذبون واحتمل أن تختص هذه الجملة بقولهم ولد الله ويكون تأكيدا لقوله من افكهم واحتمل أن يعم هذا القول (فان قلت) لم قال وهم شاهدون فخص علمهم بالمشاهدة (قلت) ماهو الا استهزاء وتجهيل كقوله أشهدوا خلقهم وذلك انهم كما لم يعلموا ذلك بطريق المشاهدة لم يعلموه بخلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار صادق ولا بطريق استدلال ولا نظر ويجوز أن يكون المعنى انهم يقولون ذلك كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمأنينة نفس لافراط جهلهم كأنهم قد شاهدوا خلقهم وقرأ ولد الله أي الملائكة ولده والولد فعل بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي انتهى * وقرأ الجمهور

(الدر)

(ش) فاستفتهم معطوف على مثله في أول السورة وان تباعدت المسافة بينهما أمر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث أولا ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى انتهى (ح) يبعد ماقاله من جهة العطف واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة مثل قولك كل لحما واضرب زيدا وخبزا من أقبح التركيب فكيف بجمل كثيرة وقصص متباينة فالقول بالعطف لايجوز

* وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا * الجنة الظاهر أنهم الشياطين وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة منها أنه تعالى صاهر سروات الجن فولد منهم الملائكة وهم فرقة من بني مدلج وشافه بذلك بعضهم أبا بكر الصديق * ولقد علمت الجنة * أي الشياطين انها محضرة أمر الله تعالى من ثواب وعقاب ثم نزه تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به * الا عباد الله * استثناء منقطع قالوا إما من يصفون أي الا عباد الله فانهم يصفونه بصفاته العلا وإما من لمحضرون أي الا عباد الله فانهم ناجون من العذاب وتكون جملة التنزيه اعتراضا وعلى كلا القولين فالاستثناء منقطع والظاهر أن الواو في وما تعبدون للعطف عطفت ما تعبدون على الضمير في إنكم وان الضمير في عليه عائد على ما والمعنى قل لهم يا محمد انكم وما تعبدون من الأصنام ما أنتم وهم وغلب الخطاب كما تقول أنت وزيد تخرجان عليه أي على عبادة معبودكم بفاتنين أي بحاملين بالفتنة على عبادته الا من قدر الله تعالى في سابق علمه أنه من أهل النار وقرئ صال بغير واو فمن أثبت الواو فهو جمع سلامة سقطت النون للاضافة حمل أولا على لفظ من فأفرد ثم ثانيا على معناها فجمع * وما منا الا له مقام معلوم * هو من قول الملائكة قال الزمخشري وما منا أحد الا له مقام معلوم حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه كقوله

* أنا ابن جلا وطلاع الثنايا *

بكفي كان من أرمى البشر *

انتهى وليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لأن أحدا المحذوف مبتدأ والا له مقام معلوم خبره ولانه لا ينعقد كلام من قوله وما منا أحد فقوله الا له مقام معلوم هو محط الفائدة وان تخيل ان الا له مقام في موضع الصفة فقد نصوا على أن الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك لتمكن غير في الوصف وقلة تمكن الا فيه وجعل نظير ذلك قوله أنا ابن جلا أي أنا ابن رجل جلا وبكفي كان أي بكفي رجل كان وهذا عند النحويين من أقبح الضرورات حيث حذف الموصوف وأقام الجملة مقامه ولم يتقدمه من * وانا لنحن الصافون * أي أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء * وانا لنحن المسبحون * أي المنزهون الله تعالى عما نسبت اليه الكفرة والضمير في ليقولن لكفار قريش * لو أن عندنا ذكرا * أي كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله تعالى ولم نكذب كما كذبوا * فكفروا به * أي بما جاءهم من الذكر الذي كانوا يتمنونه وهو أشرف الأذكار لاعجازه من بين الكتب * فسوف يعلمون * عاقبة كفرهم وما يحل بهم من الانتقام وأكدوا قولهم بان المخففة وباللام لكونهم كانوا جادين في ذلك ثم ظهر منهم التكذيب والنفور البليغ * فتول عنهم * أي اعرض عنهم * حتى حين * أي الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال * وأبصرهم * أي انظر الى عاقبة أمرهم * فسوف يبصرون * ما يحل بهم من العذاب والأسر والقتل وأمره بابصارهم اشارة الى الحالة المنتظرة الكائنة لامحالة وانها قريبة كأنها

أصطفى بهمزة الاستفهام على طريقة الانكار والاستبعاد * وقرأ نافع في رواية اسمعيل وابن جماز وجماعة واسماعيل عن أبي جعفر وشيبة بوصل الالف وهو من كلام الكفار حكى الله تعالى شنيع قولهم وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا ولد الله حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله والله تعالى اختارهم على البنين * وقال الزمخشري بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة والأعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي أضعفها أن الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون مالكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين وليست دخيلة بين نسيبين بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله وأما قوله وانهم لكاذبون فهي جملة اعتراض بين مقالتي الكفر جاءت للتشديد والتأكيد في كون مقالتهم تلك هي من إفكهم * مالكم كيف تحكمون تقريع وتوبيخ واستفهام عن البرهان والحجة * وقرأ طلحة بن مصرف تذكرون بسكون الذال وضم الكاف * أم لكم سلطان أي حجة نزلت عليكم من السماء وخبر بأن الملائكة بنات الله * فأتوا بكتابكم الذي أنزل عليكم بذلك كقوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون * وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون * سبحان الله عما يصفون * الا عباد الله المخلصين * فانكم وما تعبدون * ما أنتم عليه بفاتنين * الا من هو صال الجحيم * وما منا الا له مقام معلوم * وانا لنحن الصافون * وانا لنحن المسبحون * وان كانوا ليقولون * لو أن عندنا ذكرا من الاولين * لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون * ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * انهم لهم المنصورون * وأن جندنا لهم الغالبون * فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون *

بين ناظر به بحيث هو يبصرها وفي ذلك تسلية وتنفيس عنه عليه السلام ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ استفهام توبيخ ﴿فإذا نزل﴾ هو أي العذاب مثل العذاب النازل بهم ﴿فساء صباح المنذرين﴾ المخصوص بالذم محذوف تقديره فساء صباح المنذرين صباحهم ﴿وتول عنهم﴾ كرر الأمر بالتولي تأنيسا

له عليه السلام وتأكيدا لوقوع الميعاد ولم يقيد أمره بالإبصار كما قيده في الاول إما لاكتفائه به في الاول فحذفه اختصارا وإما لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الابصار من صنوف المسرات والابصار منهم من صنوف المساءآت ﴿وختم تعالى هذه السورة بتنزيهه عما يصفه به المشركون وأضاف الرب الى نبيه عليه السلام تشريفا له بإضافته وخطابه ثم الى العزة وهي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء عليهم السلام والمؤمنين

أفبعذابنا يستعجلون * فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون * سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ﴾ الظاهر أن الجنة هم الشياطين وعن الكفار في ذلك مقالات شنيعة * منها أنه تعالى صاهر سروات الجن فولد منهم الملائكة وهم فرقة من بني مدلج وشافه بذلك بعض الكفار أبا بكر الصديق * ولقد علمت الجنة أي الشياطين انها محضرة أمر الله من ثواب وعقاب قاله ابن عطية * وقال الزمخشري اذا فسر الجنة بالشياطين فيجوز أن يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى أن الشياطين عالمون ان الله يحضرهم النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم وقيل الضمير في وجعلوا لفرقة من كفار قريش والعرب والجنة الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم وخفائهم * وقال الزمخشري وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتصغيرا لهم وان كانوا معظمين في أنفسهم أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها اليهم وفيه اشارة الى أن من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصح أن يناسب من لا يجوز عليه ذلك انتهى ولقد علمت الجنة أي الملائكة انهم اي الكفرة المدعين نسبة بين الملائكة وبين الله تعالى محضرون النار يعذبون بما يقولون وأضيف ذلك الى علم من نسبوا الذلك مبالغة في تكذيب الناسبين ثم نزه تعالى نفسه عن الوصف الذي لا يليق به الا عباد الله فانهم يصفونه بصفاته واما من المحضرون أي الا عباد الله فانهم ناجون مدة العذاب وتكون جملة التنزيه اعتراضا على كلا القولين فالاستثناء منقطع والظاهر أن الواو في وما تعبدون للعطف عطفت ما تعبدون على الضمير في انكم وأن الضمير في عليه عائد على ما والمعنى قل لهم يا محمد وما تعبدون من الأصنام ما أنتم وهم وغلب الخطاب كما تقول أنت وزيد تخرجان عليه أي على عبادة معبودكم بفاتنين أي بحاملين بالفتنة عبادة الا من قدر الله في سابق علمه أنه من أهل النار والضمير في عليه عائد على ما على حذف مضاف كما قلنا أي على عبادته وضمن فاتنين معنى حاملين بالفتنة ومن مفعولة بفاتنين فرع له العامل اذ لم يكن بفاتنين مفعولا وقيل عليه بمعنى أي ما أنتم بالذي تعبدون بفاتنين وبه متعلق بفاتنين المعنى ما أنتم فاتنين بذلك الذي عبدتموه الا من سبق عليه القدر أنه يدخل النار وجعل الزمخشري الضمير في عليه عائدا على الله قال (فان قلت) كيف يفتنونهم على الله (قلت) يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على فلان امرأته كما تقول أفسدها عليه وخببها عليه ويجوز أن تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونهم ثم قال ما أنتم عليه أي على ما تعبدون بفاتنين باعثين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم انتهى وكون الواو في وما تعبدون واو مع غير متبادر الى الذهن وقطع ما

(الدر)

(ش) ويجوز أن تكون الواو في وما تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته فكما جاز السكوت على كل رجل وضيعته جاز أن يسكت على قوله فانكم وما تعبدون لأن قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لأن معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم أي فانكم قرناؤهم وأصحابهم لا تبرحون تعبدونها ثم قال ما أنتم عليه أي ما تعبدون بفاتنين باعثين أو حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو ضال مثلكم انتهى (ح) كون الواو في وما تعبدون واو مع غير متبادر الى الذهن وقطع ما أنتم عليه بفاتنين عن إنكم وما تعبدون ليس بجيد لأن اتصاله به هو السابق الى الفهم مع صحة المعنى فلا ينبغي العدول عنه

ماأنتم عليه بفاتنين عن انكم وماتعبدون ليس بجيد لان اتصافه به هو السابق الى الفهم مع صحة المعنى فلا ينبغي العدول عنه * وقرأ الحسن وابن أبي عبلة صالوا الجحيم بالواو وهكذا في كتاب الكامل للهذلي وفي كتاب ابن خالويه عنهما صال مكتوبا بغير واو وفي كتاب ابن عطية * وقرأ الحسن صالوا مكتوبا بالواو وفي كتاب اللوامح وكتاب الزمخشري عن الحسن صال مكتوبا بغير واو فمن أثبت الواو فهو جمع سلامة سقطت النون للاضافة حمل أولا على لفظ من فأفرد ثم ثانيا على معناها فجمع كقوله ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين حمل في يقول على لفظ من وفي وماهم على المعنى واجتمع الحمل على اللفظ والمعنى في جملة واحدة وهي صلة للموصول كقوله الامن كان هودا أونصارى * وقول الشاعر * وأيقظ من كان منكم نياما * ومن لم يثبت الواو احتمل أن يكون جمعا وحذفت الواو خطا كما حذفت في حالة الوصل لفظا لاجل التقاء الساكنين واحتمل أن يكون صال مفردا حذفت لامه تخفيفا وجرى الاعراب في عينه كما حذف من قوله وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت برفع النون والجوار وقالوا ماباليت به بالة أي بالية من بالى كعافية من عافى فحذفت لام باليت وبالية وقالوا بالة وبال بحذف اللام فيهما * وقال الزمخشري وقد وجه نحوا من الوجهين السابقين وجعلهما أولا وثالثا قال والثاني أن يكون أصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك انتهى * ومامنا أي أحد الا له مقام معلوم أي مقام في العبادة والانتهاء الى أمر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روى فمنهم راكع لا يقيم ظهره وساجد لا يرفع رأسه وهذا قول الملائكة وهو يقوى قول من جعل الجنة هم الملائكة تبرؤا عن مانسب اليهم الكفرة من كونهم بنات الله وأخبروا عن حال عبوديتهم وعلى أي حالة هم فيها وفي الحديث ان السماء مافيها موضع الا وفيه ملك ساجد أو واقف يصلي وعن ابن مسعود موضع شبر الا وعليه جبهة ملك أو قدماه وحذف المبتدأ مع من جيد فصيح كما في قوله وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن أي وأن من أهل الكتاب أحد وقال العرب مناظعن ومنا أقام يريد منا فريق ظعن ومنا فريق أقام * وقال الزمخشري ومامنا أحد الا له مقام معلوم حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه كقوله

* أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * * بكفي كان من أرمى البشر *

انتهى وليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان أحدا المحذوف مبتدأ والا له مقام معلوم خبره ولأنه لا ينعقد كلام من قوله ومامنا أحد فقوله الا له مقام معلوم هو محط الفائدة وان تخيل أن الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على أن الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك لتمكن غيره في الوصف وقلة تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله أنا ابن جلا أي ابن رجل جلا وبكفي كان أي رجل كان وهذا عند النحويين من أقبح الضرورات وانا لنحن الصافون أي أقدامنا في الصلاة أو أجنحتنا في الهواء أو حول العرش داعين للمؤمنين وقال الزهراوي قيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلاة منذ نزلت هذه الآية ولا يصطف أحد من الملل غير المسلمين * وانا لنحن المسبحون أي المنزهون الله عن مانسب اليه الكفرة أو المنزهون بلفظ التسبيح أو المصلون وينبغي أن يجعل قوله سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة فتطرد الجمل وتتناسق لقائل واحد فكأنه قيل ولقد علمت الملائكة ان ناسبي ذلك لمحضرون للعذاب وقالوا سبحان الله فنزهوا عن ذلك واستثنوا من أخلص من عباد الله وقالوا للكفرة فانكم وآلهتكم الى آخره وكيف نكون مناسبيه ونحن عبيد بين يديه لكل منا مقام من الطاعة الى ماوصفوا

(الدر)

(ش) ومامنا أحد الا له مقام معلوم حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه كقوله

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
بكفي كان من أرمى البشر

انتهى (ح) ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لأن أحدا المحذوف مبتدأ والا له مقام معلوم خبره ولانه لا ينعقد كلام من قوله ومامنا أحد فقوله الا له مقام معلوم هو محط الفائدة وان تخيل أن الا له مقام معلوم في موضع الصفة فقد نصوا على أن الا لا تكون صفة اذا حذف موصوفها وانها فارقت غيرا اذا كانت صفة في ذلك لتمكن غير في الوصف وقلة تمكن الا فيه وجعل ذلك كقوله أنا ابن جلا أي ابن رجل جلا وبكفي كان أي بكفي رجل كان وهذا عند النحويين من أقبح الضرورات حيث حذف الموصوف وأقام الجملة مقامه ولم تتقدمه من

به أنفسهم من رتبة العبودية وقيل ومامنا الا له مقام معلوم هو من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ومامن المرسلين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر أعمالهم وانهم المصطفون في الصلاة المنزهون الله عن مايقول أهل الضلال والضمير في ليقولون لكفار قريش لو أن عندنا ذكرا أي كتابا من كتب الأولين الذين نزل عليهم التوراة والانجيل لأخلصنا العبادة لله ولم نكذب كما كذبوا * فكفروا به أي لجاءهم الذكر الذي كانوا يتمنونه وهو أشرف الاذكار لاعجازه من بين الكتب فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ومايحل بهم من الانتقام وأكدوا قولهم بان المخففة وباللام كونهم كانوا جادين في ذلك ثم ظهر منهم التكذيب والنفور البليغ كقوله فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به * ولقد سبقت كلمتنا قرأ الجمهور بالافراد لما انتظمت في معنى واحد عبر عنها بالافراد * وقرأ الضحاك بالجمع والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقامات الحجاج وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة * وقال الحسن ماغلب نبي في الحرب ولاقتل فيها * فتول عنهم حتى حين أي الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر ورجحه الطبري * وقال قتادة الى موتهم * وقال ابن زيد الى يوم القيامة * وأبصرهم أي انظر الى عاقبة أمرهم فسوف يبصرونها ومايحل بهم من العذاب والاسر والقتل أوسوف يبصرونك ومايتم لك من الظفر بهم والنصر عليهم وأمره بابصارهم اشارة الى الحالة المنتظرة الكائنة لامحالة وانها قريبة كانها بين ناظريه بحيث هو يبصرها وفي ذلك تسلية وتنفيس عنه عليه السلام أفبعذابنا يستعجلون استفهام توبيخ * فاذا نزل هو أي العذاب مثل العذاب النازل بهم بعدما أنذره فانكروه بجيش أنذر بهجومه قومه وبعض صباحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبته ولادبروا أمرهم تدبيرا ينجيهم حتى أناخ بفنائهم فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم وكانت عادة مغازيهم أن يغير واصباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت لها الروعة التي تحس بها ويرونك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على طريقة التمثيل قاله الزمخشري * وقرأ الجمهور مبنيا للفاعل وابن مسعود مبنيا للمفعول وساحتهم هو القائم مقام الفاعل ونزل بساحة فلان يستعمل فيما ورد على الانسان من خير أوشر وسوء الصباح يستعمل في حلول الغارات والرزايات ومثل قول الصارخ ياصباحاه وحكم ساء هنا حكم بئس * وقرأ عبد الله فبئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره فساء صباح المنذرين صباحهم وتول عنهم حتى حين كرر الأمر بالتولي تأنيسا له عليه الصلاة والسلام وتسليه وتأكيدا لوقوع الميعاد ولم يقيد أمره بالابصار كما قيده في الأول امالا كتفائه به في الأول فحذفه اختصارا واما لما في ترك التقييد من جولان الذهن فيما يتعلق به الابصار منه من صنوف المسرات والابصار منهم من صنوف المساآت وقيل أريد بالأول عذاب الدنيا وبالآخرة عذاب الآخرة وختم تعالى هذه السورة بتنزيهه عن مايصفه به المشركون وأضاف الرب الى نبيه تشريفا له اضافة وخطابا ثم الى العزة وهي العزة المخلوقة الكائنة للانبياء والمؤمنين وكذلك قال الفقهاء من جهة انها مربوبة * وقال محمد بن سحنون وغيره من حلف بعزة الله تعالى يريد عزته التي خلقها بين عباده وهي التي في قوله رب العزة فليست بيمين * وقال الزمخشري أضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها كانه قيل ذو العزة كما تقول صاحب صدق لاختصاصه بالصدق انتهى فعلى هذا تحقيق يمين بعزة الله ذات صفة من صفاته قال ويجوز أن يراد أنه مامن عزة لأحد من الملوك

﴿سورة ص﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾ الآية هذه السورة مكية بلا خلاف * ومناسبتها لآخر ماقبلها انه لما ذكر عن الكفار أنهم كانوا يقولون لوأن عندنا ذكرا من الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى وأخبر أنهم أتاهم الذكر فكفروا به فبدأ فى هذه السورة بالقسم بالقرآن ذى الذكر الذى جاءهم وأخبر عنهم انهم كافرون به وانهم فى تعزز ومشاقة للرسول الذى جاء به ثم ذكر من أهلك من القرون التى شاقت (٣٨١) الرسل ليتعظوا بذلك وروى انه لما مرض أبو طالب جاءت قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند رأس أبى طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كى يمنعه منه وشكوه الى أبى طالب فقال يا ابن أخى ما تريد من قومك فقال ياعم انما أريد منهم كلمة تذل بها لهم العرب وتؤدى اليهم الجزية بها العجم فقال وما الكلمة قال كلمة واحدة قال وماهى قال لا اله الا الله قال فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذى الذكر حتى بلغ ان هذا الا اختلاق وجواب القسم فيه أقوال ضعيفة ذكرت فى البحر وينبغى ان يقدر هنا ما أثبت جوابا للقرآن حين أقسم به وذلك فى قوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فيكون التقدير هنا ص والقرآن ذى الذكر انك لمن المرسلين ويقوى هذا التقدير ذكر النذارة هنا فى قوله وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال هنالك لتنذر قوما فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة و بل للانتقال من هذا القسم والمقسم عليه الى حال تعزز الكفار ومشاقتهم فى قبول رسالتك وامتثال ماجئت به واعتراف بالحق وكم خبرية مفعولة باهلكنا أى كثيرا أهلكنا ﴿فنادوا﴾ أى استغاثوا ونادوا بالتوبة ورفعوا أصواتهم يقال فلان أندى صوتا أى أرفع وذلك بعد معاينة العذاب فلم يك وقت نفع ولات حين على قول سيبويه عملت عمل ليس واسمها محذوف تقديره ولات الحين حين فوت ولا فرار وعلى قول

وغيرهم الاوهو ربها ومالكها القوله وتعز من تشاء وعن على كرم الله وجهه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة

﴿سورة ص ثمان وثمانون آية وهى مكية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿ص والقرآن ذى الذكر * بل الذين كفروا فى عزة وشقاق * كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص * وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا الشئ عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشئ يراد * ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب * أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما فليرتقوا فى الأسباب * جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب * كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب * ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب﴾ لات هى لا ألحقت بها التاء كما ألحقت فى ثم ورب فقالوا ثمت وربت وهى تعمل عمل ليس فى مذهب سيبويه وعمل ان فى مذهب الاخفش فان ارتفع مابعدها فعلى الابتداء عنده ولها أحكام ذكرت فى علم النحو ويأتى شئ منها هنا عند ذكر القراآت التى فيها * والمناص المنجا والغوث يقال ناصه ينوصه اذا فاته * قال الفراء النوص التأخر يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا أى فر وراغ وأنشد لامرئ القيس

* أمن ذكر سلمى ان نأتك تنوص * واستناص طلب المناص * قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه * بيدى استناص ورام جرى المسحل

وقال الجوهرى استناص تأخر * وقال النحاس ناص ينوص تقدم * الوتد معروف وكسر التاء أشهر من فتحها * ويقال وتد واتد كما يقال شغل شاغل * قال الأصمعى وأنشد

لاقت على الماء جذيلا واتدا * ولم يكن يخلفها المواعدا

وقالوا ود فأدغموه * قال الشاعر

تخرج الود اذا ما أشحذت * وتواريه اذا ما تشتكر

وقالوا فيه دت فأدغموا بابدال الدال تاء وفيه قلب الثانى للأول وهو قليل ﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق * كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾

الاخفش تسكون حين اسم لات عملت عمل ان نصبت الاسم و رفعت الخبر والخبر محذوف تقديره ولات حين مناص لهم أي كائن لهم والمناص الملجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته وقال الفراء النوص التأخر يقال ناص عن قرينه ينوص نوصا ومناصا اذا فر و راغ والضمير في وعجبوا عائد على الكفار أي استغربوا مجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفسهم وعجاب بناء مبالغة كرجل طوال وسراع في طويل وسريع والذي قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا قال ابن عباس صناديد قريش وهم ستة وعشرون رجلا ﴿ وانطلق الملأ منهم ﴾ الظاهر انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنده وشكوه على ما تقدم في سبب النزول ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون ﴿أن امشوا﴾ وتكون أن مفسرة لذلك المحذوف وامشوا أمر بالمشي وهو نقل الاقدام عن ذلك المجلس ﴿واصبروا﴾ أمر بالصبر على الآلهة أي على عبادتها والتمسك بها والاشارة بقوله ﴿إن هذا﴾ ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة ﴿ لشيء يراد ﴾ أي يراد منا الانقياد اليه أو يريده الله تعالى ويحكم بامضائه فليس فيه الا الصبر ﴿ما سمعنا بهذا ﴾ أي بتوحيد المعبود وهو الله تعالى ﴿في الملة الآخرة﴾ قال ابن عباس ملة النصارى لأن فيها التثليث ولا توحد ﴿إن هذا الا اختلاق﴾ أي افتعال وكذب ﴿أأنزل عليه الذكر

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد * ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق * أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب * أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب * أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب * جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب * كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب * إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ هذه السورة مكية ومناسبتها لآخر ما قبلها أنه لما ذكر عن الكفار انهم كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لأخلصوا العبادة لله وأخبر أنهم أتاهم الذكر فكفروا به بدأ في هذه السورة بالقسم بالقرآن لانه الذكر الذي جاءهم وأخبر عنهم انهم كافرون وانهم في تعزز ومشاقة للرسول الذي جاء به ثم ذكر من أهلك من القرون التي شاقت الرسل ليتعظوا * وروى انه لما مرض أبو طالب جاءت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند رأس أبي طالب مجلس رجل فقام أبو جهل كي يمنعه وشكوه الى أبي طالب فقال يا ابن أخي ما تريد من قومك فقال يا عم انما أريد منهم كلمة تذل لهم بها العرب وتؤدي اليهم الجزية بها العجم قال وما الكلمة قال كلمة واحدة قال وما هي قال لا إله إلا الله قال فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلها

من بيننا ﴾ أنكروا أن يختص بالشرف من بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم وهذا الانكار هو ناشئ عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت به ألسنتهم ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أي من القرآن الذي أنزلته على رسولي يرتابون فيه والاخبار بانهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم ان هذا الا اختلاق ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ أي بعد فاذا ذاقوه عرفوا ان ما جاء به حق وزال عنهم الشك ونفي الذوق بلما وهي تقتضي النفي الى زمان الاخبار وعذابي مضاف لياء المتكلم وحذفت وتحذف كثيرا في الفواصل كقوله أهانن وأكرمن ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ أي ليسوا متصرفين في خزائن الرحمة فيعطوا ما شاؤا لمن شاؤا ويمنعوا من شاؤا ما شاؤا ويصطفوا للرسالة من أرادوا وانما يملكها ويتصرف فيها ﴿العزيز﴾ الذي لا يغالب ﴿الوهاب﴾ ما شاء لمن شاء لما تضمن استفهام انكار في قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك وكان ذلك دليلا على انتفاء تصرفهم في خزائن رحمة الله تعالى أتى بالانكار والتوبيخ بانتفاء ما هو أعم فقال ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾ أي ليس لهم شيء من ذلك ﴿ فليرتقوا ﴾ أي إن لهم شيء من ذلك فليصعدوا ﴿في الاسباب﴾ الموصلة الى السماء والمعارج التي يتوصل بها الى تدبير العالم فيضعون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم وحقرهم وأخبر بما يؤول اليه أمرهم من الهزيمة والخيبة فقال ﴿جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب﴾ فيس ما زائدة ويجوز أن تكون صفة أريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم أو التحقير لأن ما الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر أنه يشار به لمكان الذي تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو مكة وسيكون ذلك حيث الحسن عن هزيمتهم بمكة وهو يوم الفتح فالمعنى انهم يصيرون مهزومين بمكة يوم

واحـدافال فنزل فيهـم القرآن ص والقرآن ذى الذكر حتى بلغ ان هـذا إلا اختلاق * قرأ الجهور ص بسكون الدال * وقرأ أبى والحسـن وابن أبى اسحق وأبو السمال وابن أبى عبـلة ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال والظاهر أنه كسر لالتقاء الساكنين وهو حرف من حروف المعجم نحو ق ونون * وقال الحسن هو أمر من صادى أى عارض ومنه الصدى وهو مايعارض الصوت فى الأماكن الصلبة الخاليـة من الأجسام أى عارض بعملك القرآن وعنـه أيضا صاديت حادثت أى حادث وهو قريب من القول الأول * وقرأ عيسى ومحبوب عن أبى عمـرو وفرقة صاد بفتح الدال وكذا قرأ قاف ونون بفتح الفاء والنون فقيـل الفتح لالتقاء الساكنين طلبا للتخفيف وقيـل انتصب على أنه مقسم به حذف منـه حرف القسم نحو قوله ألله لأفعلن وهو اسم للسورة وامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث وقد صرفها من قرأ صادا بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وهو ابن أبى اسحق فى رواية * وقرأ الحسـن أيضا صاد بضم الدال فان كان اسما للسورة فخبر مبتدا محذوف أى هـذه ص وهى قراءة ابن السميقع وهرون الأعور وقرأ ق ونون بضم الفاء والنون * وقيل هو حرف دال على معنى من فعـل أو من اسم فقال الضحاك معناه صـدق الله * وقال محمد بن كعب مفتاح أسماء الله محمد صادق الوعد صانع المصنوعات * وقيل معناه صدق محمد قال ابن عباس وابن جبير والسدى ذى الذكر ذى الشرف الباقى المخلد * وقال قتادة ذى التذكرة للناس والهداية لهم * وقيـل ذى الذكر للأمم والقصص والغيوب والشرائع وجواب القسم قيـل مذكور فقال الكوفيون والزجاج هو قوله ان ذلك لحق تخاصم أهـل النار * وقال الفراء لانجده مستقيما فى العربية لتأخره جدا عن قوله والقرآن * وقال الأخفش هو ان كل الا كذب الرسـل وقال قوم كم أهلكنا وحذف اللام أى لكم لما طال الكلام كما حذفت فى والشمس ثم قال قد أفلح حكاه الفراء وثعلب وهذه الأقوال يجب اطراحها * وقيل هو صاد إذ معناه صدق محمد وصـدق الله وكون صاد جواب القسم قاله الفراء وثعلب وهذا مبنى على تقدم جواب القسم واعتقاد أن الصاد يدل على ما ذكروه * وقيل الجواب محذوف فقدره الحوفى لقد جاءكم الحق ونحوه والزمخشرى انه لمعجز وابن عطية ما الأمر كما تزعمون ونحو هذا من التقدير ونقل ان قتادة والطبرى قالا هو محذوف قبل بل قال وهو الصحيح وقدره ماذكرناه عنـه وينبغى أن يقدر ما أثبت هنا جوابا للقـرآن حين أقسم به وذلك فى قوله تعالى يس والقـرآن الحكيم انك لمن المرسلين ويقوى هـذا التقدير ذكر النذارة هنا فى قوله وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال هناك لتنذر قوما فالرسالة تتضمن النذارة والبشارة وبل للانتقال من هـذا القسم والمقسم عليـه الى حالة تعزز الكفار ومشاقهم فى قبول رسالتك وامتثال ماجئت به واعترافى بالحق * وقرأ حماد بن الزبرقان وسورة عن الكسائى وميمون عن أبى جعفر والجحدرى من طريق العقيلى فى غرة بالغيـن المعجمة والراء أى فى غفـلة ومشاقة قبلهم أى قبـل هؤلاء ذوى المنعة الشديدة والشقاق وهـذا وعيد لهم * فنادوا أى استغاثوا ونادوا بالتوبة قاله الحسن أو رفعوا أصواتهم يقال فلان أندى صوتا أى أرفع وذلك بعد معاينة العذاب فلم يك وقت نفع * وقرأ الجمهور ولات حين بفتح التاء ونصب النون فعلى قول سيبويه عملت عمل ليس واسمها محـذوف تقديره ولات الحين حين فوات ولا فرار وعلى قول الأخفش يكون حين اسم لات عملت عمل ان نصبت الاسم ورفعت الخبر والخبر محذوف تقـديره ولات أرى حين مناص * وقرأ أبو السمال ولات حـين بضم التاء ورفع النون فعـلى قول سيبويه حين مناص اسم لات والخـبر

الفتح * وذوا الاوتاد أى صاحب الاوتاد وأصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال الأفوه الأودى

والبيت لايبتنى الاعلى عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر

(الدر) ﴿سورة ص﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ح) قرأ عيسى بن عمرو ولات حين بكسر التاء وجر النون من حين بعد لات وتخريجه مشكل وقد تمحل (ش) في تخريج (٣٨٤) الجر في قوله * طلبوا صلحنا ولات حين أوان * فاجبنا أن لات حين بقاء

قال شبه أوان باذ في قوله وأنت اذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان صلح * فان قلت فاتقول في حين مناص والمضاف اليه قائم * قلت نزل قطع المضاف اليه من مناص لأن الأصل حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى هذا التمحل (ح) والذي يظهر لي في تخريج هذه القراءة الشاذة والبيت النادر في جر ما بعد لات أن الجر هو على اضمار من كأنه قال لات من حين مناص ولات من أوان صلح كما جروا بها في قولهم على كم جذع بيتك أي من جذع في أصح القولين وكما قالوا لا رجل جزاه الله خيرا يريدون لا من رجل ويكون موضع من مناص رفعا على أنه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل

محذوف وعلى قول الأخفش مبتدأ والخبر محذوف * وقرأ عيسى بن عمر ولات حين بكسر التاء وجر النون خبر بعد لات وتخريجه مشكل وقد تمحل الزمخشري في تخريج الخبر في قوله

طلبوا صلحنا ولات حين أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

قال شبه أوان باذ في قوله وأنت اذ صحيح في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض لان الأصل ولات أوان صلح (فان قلت) فاتقول في حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن انتهى هذا التمحل والذي ظهر لي في تخريج هذه القراءة الشاذة والبيت النادر في جر ما بعد لات أن الجر هو على اضمار من كأنه قال لات من حين مناص ولات من أوان صلح كما جروا بها في قولهم على كم جذع بيتك أي من جذع في أصح القولين وكما قالوا لا رجل جزاه الله خيرا يريدون لا من رجل ويكون موضع من حين مناص رفعا على انه اسم لات بمعنى ليس كما تقول ليس من رجل قائما والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه أو على انه مبتدأ والخبر محذوف على قول الأخفش * وقال بعضهم ومن العرب من يخفض بلات وأنشد الفراء * ولتندمن ولات ساعة مندم *
وخرج الاخفش ولات أوان على اضمار حين أي ولات حين أوان حذف حين وأبقى أوان على جره وقال أبو اسحق ولات أوان انما لحذف المضاف اليه فوجب أن لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين وهذا هو الوجه الذي قرره الزمخشري أخذه من أبي اسحق الزجاج وأنشده المبرد ولات أوان بالرفع وعن عيسى ولات حين بالرفع مناص بالفتح * وقال صاحب اللوامح فان صح ذلك فلعله بنى حين على الضم فيكون في الكلام تقديم وتأخير وأجراه مجرى قبل وبعد في الغاية وبنى مناص على الفتح مع لات على تقدير لات مناص حين لكن لا انما تعمل في النكرات في اتصالها بهن دون أن يفصل بينهما ظرف أو غيره وقد يجوز أن يكون لذلك معنى لا أعرفه انتهى * وقرأ عيسى أيضا ولات بكسر التاء وحين بنصب النون وتقدم تخريج نصب حين ولات روى فيها فتح التاء وضمها وكسرها والوقف عليها بالتاء قول سيبويه والفراء وابن كيسان والزجاج ووقف الكسائي والمبرد بالهاء وقوم على لا وزعموا أن التاء زيدت في حين واختاره أبو عبيدة وذكر أنه رآه في الامام مخلوطا تاؤه بحين وكيف يصنع بقوله ولات ساعة مندم ولات أوان * وقال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص أي عليكم بالفرار فلما أتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص * قال القشيري فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه أي ليس الوقت وقت ندائكم به وفيه نوع تحكم اذ كل من هلك من القرون يقول مناص عند الاضطرار انتهى * وقال الجرجاني أي فنادوا حين لا مناص أي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا وأخر حين اقتضى ذلك الواو كما تقتضي الحال اذا جعل مبتدأ وخبرا مثل جاء زيد راكبا ثم تقول جاء زيد وهو راكب فحين طرف لقوله فنادوا انتهى وكون أصل هذه الجملة فنادوا حين لا مناص وان حين طرف لقوله فنادوا دعوى أعجمية مخالفة لنظم القرآن والمعنى على نظمه في غاية الوضوح والجملة في موضع الحال أي فنادوا وهم لات حين مناص أي لهم ولما أخبر تعالى عن الكفار أنهم في عزة وشقاق أردف بما صدر عنهم

قائما والخبر محذوف وهذا على قول سيبويه أو على أنه مبتدأ والخبر محذوف على قول الأخفش وقال بعضهم ومن العرب من يخفض بلات وأنشد الفراء * ولتندمن ولات ساعة مندم * وخرج الأخفش ولات أوان على اضمار حين أي ولات حين أوان حذف حين

من كلامهم الفاسدة من نسبتهم اليه السحر والكذب ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله وقال الكافرون أي وقالوا تنبيها على الصفة التي أوجبت لهم العجب حتى نسبوا من جاء بالهدى والتوحيد الى السحر والكذب أجعل الآلهة الها واحدا قالوا كيف يكون اله واحد يرزق الجميع وينظر في كل أمورهم وجعل بمعنى صير في القول والدعوى والزعم وذكر تعجبهم مما لا يعجب منه والضمير في وعجبوا لهم أي استغربوا مجيء رسول من أنفسهم * وقرأ الجمهور عجاب وهو بناء مبالغة كرجل طوال وسراع في طويل وسريع * وقرأ علي والسلمي وعيسى وابن مقسم بشد الجيم وقالوا رجل كرام وطعام طياب وهو أبلغ من فعال المخفف * وقال مقاتل عجاب لغة ازدشنوءة والذين قالوا أجعل الآلهة الها واحدا قال ابن عباس صناديد قريش وهم ستة وعشرون * وانطلق الملأ منهم الظاهر انطلاقهم عن مجلس أبي طالب حين اجتمعوا هم والرسول عنده وشكوه على ماتقدم في سبب النزول ويكون ثم محذوف تقديره يتحاورون أن امشوا وتكون ان مفسرة لذلك المحذوف وامشوا أمر بالمشي وهو نقل الاقدام عن ذلك المجلس * وقال الزمخشري وان بمعنى أي لأن المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول والأمر بالمشي أي بعضهم أمر بعضا وقيل أمر الأشراف أتباعهم وأعوانهم ويجوز أن تكون أن مصدرية أي وانطلقوا بقولهم امشوا وقيل الانطلاق هنا الاندفاع في القول والكلام وان مفسرة على هذا والامر بالمشي لا يراد به نقل الخطا انما معناه سيروا على طريقتكم ودوموا على سيرتكم وقيل امشوا دعاء بكسب الماشية قيل وهو ضعيف لانه كان يلزم أن تكون الالف مقطوعة لانه انما يقال أمشى الرجل اذا صار صاحب ماشية وأيضا فهذا المعنى غير متمكن في الآية * وقال الزمخشري ويجوز أنهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل انتهى وأمروا بالصبر على الآلهة أي على عبادتها والتمسك بها والاشارة بقوله ان هذا أي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وعلوه بالنبوة لشيء يراد أي يراد منا الانقياد اليه أو يريده الله ويحكم بامضائه فليس فيه الا الصبر أو أن هذا الامر شيء من نوائب الدهر مراد منا فلا انفكاك عنه وان دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه احتمالات أربعة * وقال القفال هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف المعنى انه ليس غرضه من هذا القول تقرير للدين وانما غرضه أن يستولي علينا فيحكم في أموالنا وأولادنا بما يريد * ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة * قال ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب ومقاتل ملة النصارى لأن فيها التثليث ولا توحد * وقال مجاهد وقتادة ملة العرب قريش ونجدتها * وقال الفراء والزجاج ملة اليهود والنصرانية أشركت اليهود بعزير وثلث النصارى وقيل في الملة الآخرة التي كنا نسمع أنها تكون في آخر الزمان وذلك انه قبل المبعث كان الناس يستشعرون خروج نبي وحدوث ملة ودين ويدل على صحة هذا ما روي من أقوال الاحبار أولي الصوامع وما روي عن الكهان شق وسطيح وغيرهما وما كانت بنو اسرائيل تعتقد من أنه يكون منهم وقيل في الملة الآخرة أي لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله * ماهذا الا اختلاق أي افتعال وكذب * أأنزل عليه الذكر من بيننا أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم وهذا الانكار هو ناشئ عن حسد عظيم انطوت عليه صدورهم فنطقت به ألسنتهم * بل هم في شك من ذكري أي من القرآن الذي أنزلت على رسولي يرتابون فيه والاخبار بأنهم في شك يقتضي كذبهم في قولهم ان هذا الا

(الدر)

وأبقى أوان على جره وقال أبو اسحق ولات أواننا فحذف المضاف اليه فوجب أن لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين وهذا هو الوجه الذي قرره (ش) أخذه من قول أبي اسحق الزجاج وأنشد المبرد ولات أوان بالرفع وروى عن عيسى ولات حين بالرفع مناص بالفتح قال صاحب اللوامح فان صح ذلك فلعله بني حين على الضم فيكون في الكلام تقديم وتأخير وأجراه مجرى قبل وبعد في الغاية وبنى مناص على الفتح مع لا على تقدير لات مناص حين لكن لا انما تعمل في النكرات في اتصالها بهن دون أن يفصل بينهما ظرف أو غيره وقد يجوز أن يكون لذلك معنى لا أعرفه انتهى

اختلاق * بل لما يذوقوا عذاب أى بعد فاذا ذاقوه عرفوا أن ماجاء به حق وزال عنهم الشك * أم عندهم خزائن رحمة ربك أى ليسوا متصرفين فى خزائن الرحمة فيعطون ماشاؤا ويمنعون من شاؤا ماشاؤا ويصطفون للرسالة من أرادوا وانما يملكها ويتصرف فيها العزيز الذى لايغالب الوهاب ماشاء لمن شاء * لما استفهم استفهام انكار فى قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك وكان ذلك دليلا على انتفاء تصرفهم فى خزائن رحمة ربك أتى بالانكار والتوبيخ بانتفاء ماهو أعم فقال أم لهم ملك السموات والارض أى ليس لهم شئ من ذلك * فليرتقوا أى ألهم شئ من ذلك فليصعدوا فى الاسباب الموصلة الى السماء والمعارج التى يتوصل بها الى تدبير العالم فيضعون الرسالة فيمن اختاروا ثم صغرهم وحقرهم فأخبر بما يؤول اليه أمرهم من الهزيمة والخيبة قيل ومازائدة ويجوز أن تكون صفة أريد به التعظيم على سبيل الهزء بهم أو التحقير لان ما الصفة تستعمل على هذين المعنيين وهنالك ظرف مكان يشار به للبعيد والظاهر أنه يشار به للمكان الذى تفاوضوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الكلمات السابقة وهو مكة فيكون ذلك اخبارا بالغيب عن هزيمتهم بمكة يوم الفتح فالمعنى أنهم يصيرون مهزومين بمكة يوم الفتح * وقيل هنالك اشارة الى الارتقاء فى الاسباب أى هؤلاء القوم ان راموا ذلك جند مهزوم وقيل أشير بهنالك الى جملة الاصنام وعضدها أى هم جند مهزوم فى هذه السبيل * وقال مجاهد وقتادة الاشارة الى يوم بدر وكان غيبا أعلم الله به على لسان رسوله وقيل الاشارة الى حصر عام الخندق بالمدينة * وقال الزمخشرى وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك انتهى وهنالك يحتمل أن يكون فى موضع الصفة لجند أى كائن هنالك ويحتمل أن يكون متعلقا بمهزوم وجند خبر مبتدأ محذوف أى هم جند ومهزوم خبره * وقال أبو البقاء جند مبتدأ وما زائدة وهنالك نعت ومهزوم الخبر انتهى وفيه بعد لفصله عن الكلام الذى قبله ومعنى من الاحزاب من جملة الاحزاب الذين تعصبوا فى الباطل وكذبوا الرسل ولما ذكر تعالى انه أهلك قبل قريش قرونا كثيرة لما كذبوا رسلهم سرد منهم هامن له تعلق بعرفانه وذو الأوتاد أى صاحب الأوتاد وأصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده * قال الأفوه العوذى

والبيت لايبتنى الاعلى عمد * ولاعماد اذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الأمر كما قال الاسود * فى ظل ملك ثابت الأوتاد *
قاله الزمخشرى وأخذه من كلام غيره * وقال ابن عباس وقتادة وعطاء كانت له أوتاد وخشب يلعب بها وعليها * وقال السدى كان يقتل الناس بالأوتاد ويسمرهم فى الأرض بها * وقال الضحاك أراد المبانى العظيمة الثابتة وقيل عبارة عن كثرة أخبيته وعظم عساكره وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوارى كل طرف من أطرافه الى سارية مضروبة فيها وتد من حديد ويتركه حتى يموت روى معناه عن الحسن ومجاهد وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد فى الأرض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل يشدهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة فتلقى عليه فتشدخه * وقال ابن مسعود وابن عباس فى رواية عطية الأوتاد الجنود يشدون ملكه كما يقوى الوتد الشئ وقيل بنى منارا يذبح عليها الناس قاله ابن جبير * أولئك الاحزاب أى الذين تحزبوا على أنبيائهم كما تحزب قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أن الاشارة بأولئك الى أقرب مذكور وهم قوم نوح ومن عطف عليهم وفيه تفخيم لشأنهم واعلاء لهم على من تحزب على رسول الله أى هؤلاء العظماء لما كذبوا عوقبوا

وكذلك أنتم * ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب فوجب عقابهم كذبت قوم نوح آذوا نوحا فأغرقوا وقوم هود فأهلكوا بالريح وفرعون فأغرق وثمود بالصيحة وقوم لوط بالخسف والأيكة بعذاب الظلة ومعنى ان كل ما كان من قوم نوح فمن بعدهم فحق عقاب أى وجب عقابهم فكذلك يحق عليكم أيها المكذبون بالرسول * قال الزمخشرى أولئك الاحزاب قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم هم وانهم الذين وجدمنهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعا وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثناء ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه ثم قال فحق عقاب أى فوجب لذلك ان أعاقبهم حق عقابهم انتهى ﴿ وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب * انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق * والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب * وهل أتاك نبؤا الخصم إذ تسوروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط * إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب * ياداود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب * وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار * كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب * ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ﴾ * الفواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذى ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع وفى الحديث العبادة قدر فواق الناقة وأفاقت الناقة افاقة اجتمعت الفيقة فى ضرعها فهى مفيق ومفيقة عن أبى عمرو والفيقة اللبن الذى يجتمع بين الحلبتين ويجمع على أفواق وأفاويق جمع الجمع * وقال أبو عبيدة والفراء ومؤرج الفواق بالفتح الافاقة والاستراحة * القط قال الفراء الحظ والنصيب ومنه قيل للصك القط وقال أبو عبيدة والكسائى القط الكتاب بالجوائز * وقال الأعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بغبطته يعطى القطوط ويأفق

ويروى بأمته أى بنعمته ويأفق يصلح وهو فى الكتاب أكثر استعمالا * قال أمية بن أبى الصلت

قوم لهم ساحة أرض العراق وما * يجبى اليهم بها والقط والعلم

ويجمع أيضا على قططة وفى القليل قط وأقطاط * تسور الحائط والسور وتسنمه والبعير علا أعلاه والسور حائط المدينة وهو غير مهموز * الشطط مجاوزة الحد وتخطى الحق * وقال أبو عبيدة شططت على فلان وأشططت جرت فى الحكم * التسع رتبة من العدد معروفة وكسر التاء أشهر من

﴿وماينظر هؤلاء الاصيحة واحدة﴾ أي ماينظر هؤلاء اشارة الى كفار قريش ومن جرى مجراهم والصيحة مانالهم من قتل وأسر وغلبة كما تقول صاح فيهم الدهر * والفواق بضم الفاء وفتحها الزمان الذي مابين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى من زمان يسير قدر مابين الحلبتين يستريحون فيه من العذاب ﴿عجل لنا قطنا﴾ قال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز وقال ابن عباس قطنا نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا ومعنى قبل يوم الحساب أي الذي تزعمون أنه واقع في العالم اذهم كفرة لايؤمنون بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف أمر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على أذاهم وذكر قصصا للانبياء عليهم السلام داود وسليمان وأيوب وغيرهم وماعرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك الى أحسن مآل ﴿ذا الأيد﴾ أي ذا القوة في الدين

والشرع وفي ذلك تأنيس له صلى الله عليه وسلم بالظفر بأعدائه كما أظفر داود بالاعداء وقتل جالوت * والأواب الرجاع الى طاعة الله تعالى * والاشراق مصدر أشرق أي صفت وأضاءت وشرقت بمعنى طلعت ﴿وشددنا ملكه﴾ تقدم الكلام عليه ﴿وفصل الخطاب﴾ قال ابن عباس القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ مجيء مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة مايجيء معه من القصص كقوله وهل أتاك حديث موسى فيتهيأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتي بعده ويصغى لذلك والخصم مصدر ينطلق على الواحد والجمع ﴿اذ تسوروا المحراب﴾ روى أن الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين وطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحراس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان تسور الحائط والسور وتسنمه والبعير علاه أعلاه قال ابن عباس كان عليه السلام جزأ أيامه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أمره ويوما لجميع بني اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه في غير يوم القضاء ففزع منهم لأنهم نزلوا عليه من فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حوله لايتركون من يدخل عليه فخاف أن يؤذوه وكان ذلك ليلا وكان كل واحد منهما آخذا برأس صاحبه ولما أدركوا منه الفزع ﴿قالوا لاتخف﴾ أي لسنا ممن جاء الا لأجل التحاكم ﴿خصمان﴾ يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهم لاتخف ادرا بالاخبار عما جاؤا اليه ويحتمل أن يكون سألهم ما أمركم فقالوا خصمان أي نحن خصمان ﴿بغى﴾ أي جار

الفتح * النعجة الأنثى من بقر الوحش ومن الضأن ويكنى بها عن المرأة * قال الشاعر

هما نعجتان من نعاج تبالة * لدى جؤذرين أو كبعض لدى هكر

وقال ابن عون

أنا أبوهن ثلاث هنه * رابعة في البيت صغراهنه

ونعجتي خمسا توفيهنه * الافتى سمح يغذيهنه

* عزه غلبه يعزه عزا وفي المثل من عز بز أي من غلب سلب وقال الشاعر

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

* الصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهة * وأنشد الزجاج

ألف الصفون فمايزال كأنه * ممايقوم على الثلاث كسيرا

وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على طرف السنبك فهو المتخيم وقال القتبي الصافن الواقف في الخيل وغيرها وفي الحديث من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أي يديمون له القيام حكاه قطرب * وأنشد النابغة

لناقبة مضروبة بفنائها * عتاق المهاري والجياد الصوافن

وقال الفراء على هذا رأيت العرب وأشعارهم تدل على أنه القيام خاصة * جاد الفرس صار رابضا يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد وأجواد وأجاويد وقيل الطوال الاعناق من الجيد وهو العنق إذ هي من صفات فراهتها وقيل الجياد جمع جود كثوب وثياب * الرخاء اللينة مشتقة من الرخاوة ﴿وماينظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فواق * وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب * اصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب * إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق * والطير محشورة كل له أواب * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب * وهل آتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب * إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق

بعضنا على بعض كما قال الشاعر ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغي مرتعه وخيم وفي أمرهما له ونهيهما له بعض فظاظة على الحكام حمل على ذلك ما هما فيه من التخاصم والتشاجر فاستدعيا عدله من غير ارتياب بأنه يحكم بالعدل ﴿ولا تشطط﴾ من أشط رباعيا * وسواء الصراط وسط طريق الحق لا ميل فيه من هنا ولا هنا والظاهر أنهم كانوا جماعة فلذلك أتى بضمير الجمع فان كان المتحا كمان اثنين فيكون قد جاء معهما غيرهما على جهة المعاضدة والمؤانسة * وأخي بدل والاخوة هنا مستعارة اذ هما ملكان لما ظهرا في صورة انسانين تكلما بالأخوة ومجازها انها اخوة في الدين والايمان ﴿تسع وتسعون نعجة﴾ وكني بالنعجة عن الزوجة والعرب تذكر ذلك كثيرا في شعرها قال الشاعر

أغادي الصبوح عند هر وفرتنا * وليدا وهل أفنى شبابي سوى هر
هما نعجتان من نعاج تبالة * لدى جؤذرين أو كبعض دمى هكر

هر علم لامرأة وفرتنا كذلك وتبالة مكان فيه النعاج الحسان ودمى جمع دمية وهي صور الرخام وهكر

موضع فيه هذه الصور ﴿فقال أكفلنيها﴾ أي ردها في كفالتي وقال ابن كيسان اجعلها كفلي أي نصيبي وكفل يتعدى لواحد ولاثنين بالتضعيف والهمزة فمن التضعيف قراءة من قرأ وكفلها زكريا بالتشديد ونصب زكريا وبالهمزة كقوله أكفلنيها فالنون للوقاية والياء المفعول الاول وها المفعول الثاني والفصيح اتصاله ولو كان في غير القرآن لجاز أن يجيء منفصلا فكان يكون أكفلني اياها والأحسن الاتصال ﴿وعزني﴾ أي غلبني ومضارعه يعز بضم العين وروي ان داود عليه السلام لما سمع كلام الشاكي قال للآخر ما تقول فأقر فقال له لئن لم ترجع الى الحق لاكسرن الذي فيه عيناك وقال الثاني لقد ظلمك فتبسما عند ذلك وذهبا ولم يرهما حينه * وسؤال مصدر أضيف الى المفعول وهو على حذف مضاف والتقدير بسؤال ضم نعجتك الى نعاجه ﴿وان كثيرا من الخلطاء﴾ الظاهر أنه من كلام داود عليه السلام والخلطاء جمع خليط وهو الرفيق قال الشاعر ان الخليط أجد البين فانفرقا * وعلق القلب من أسماء ما علقا ﴿وقليل﴾ خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم والتعجيب وهم مبتدأ ﴿وظن داود﴾ لما كان الظن الغالب يقارب العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصمين ﴿فاستغفر ربه وخر راكعا﴾ حال والخرور الهوي الى الارض فاما انه عبر بالركوع عن السجود واما انه ذكر أول أحوال الخرور رأي راكعا ليسجد وخر ساجدا ورجع الى الله تعالى وانه تعالى غفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله ﴿فغفرنا له ذلك﴾ ولم يتقدم سوى قوله وظن داود انما فتناه ونعلم قطعا ان الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيء منها ولا يجوز نسبة ذلك اليهم

ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط * إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب * فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾ وما ينظر أي ينظر هؤلاء اشارة الى كفار قريش والاشارة بهؤلاء مقوية أن الاشارة بأولئك هي للذين يلونها من قوم نوح وما عطف عليه * وقال الزمخشري ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لانهم كالحضور عند الله انتهى وفيه بعد وهو اخبار منه تعالى صدقه الوجود والصيحة ما نالهم من قتل وأسر وغلبه كما تقول صاح فيهم الدهر * وقال قتادة توعدهم بصيحة القيامة والنفخ في الصور وقيل بصيحة يهلكون بها في الدنيا فالقول الاول فيه الانتظار من الرسول لشيء معين فيهم وعلى هذين القولين هم بمدرج عقوبة وتحت أمر خطر ما ينتظرون فيه الا الهلكة * وقرأ الجمهور من فواق بفتح الفاء والسلمي وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وطلحة بضمها فقيل هما بمعنى واحد كقصاص الشعر وقال ابن زيد والسدي بالفتح افاقة من أفاق واستراح كجواب من أجاب * قال ابن عباس من فواق من ترداد * وقال مجاهد من رجوع * عجل لنا قطنا نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا قاله الحسن وقتادة وابن جبير * وقال قتادة أيضا ومجاهد نصيبنا من العذاب * وقال أبو العالية والكلبي صحفنا بأيماننا * وقال السدي المعنى أرنا منازلنا من الجنة حتى نتابعك وعلى كل قول فانما قالوا ذلك على سبيل الاستخفاف والاستهزاء ومعنى قبل يوم الحساب أي الذين يزعمون أنه واقع في العالم اذ هم كفرة لا يؤمنون بالبعث ولما كانت مقالتهم تقتضي الاستخفاف

أمر تعالى نبيه بالصبر على أذاهم وذكر قصصا للأنبياء داود وسليمان وأيوب وغيرهم وماعرض لهم فصبروا حتى فرج الله عنهم وصارت عاقبتهم أحسن عاقبة فكذلك أنت تصبر ويؤول أمرك الى أحسن مآل وتبلغ ماتريد من اقامة دينك واماتة الضلال وقيل اصبر على مايقولون وعظم امر مخالفتهم لله في أعينهم وذكرهم بقصة داود وماعرض له وهو قد أوتي النبوة والملك فما الظن بكم مع كفركم وعصيانكم انتهى وهو ملتقط من كلام الزمخشري مع تغيير بعض ألفاظه لاتناسب منصب النبوة وقيل أمر بالصبر فذكر قصص الأنبياء ليكون برهانا على صحة نبوته * وقيل اصبر على مايقولون وحافظ على ما كلفت به من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر داود وكرامته على الله وما عرض له ومالقي من عتب الله * ذا الايد أي ذا القوة في الدين والشرع والصدع بأمر الله والطاعة لله وكان مع ذلك قويا في بدنه * والاواب الرجاع الى طاعة الله قاله مجاهد وابن زيد * وقال السدي المسبح ووصفه بانه أواب يدل على أن ذا الايد معناه القوة في الدين ويقال رجل أيد وايد وذو أد وأياد كل بمعنى مايتقوى * والاشراق وقت الاشراق قال ثعلب شرقت الشمس اذا طلعت وأشرقت اذا أضاءت وصفت وفي الحديث أنه عليه السلام صلى صلاة الضحى وقال ياأم هانىء هذه صلاة الاشراق وفي هذين الوقتين كانت صلاة بني اسرائيل وتقدم الكلام في تسبيح الجبال في قصة داود في سورة الأنبياء وأتى بالمضارع باسم الفاعل دلالة على حدوث التسبيح شيأ بعد شيء وحالا بعد حال فكأن السامع محاضر تلك الجبال سمعها تسبح * ومثله قول الأعشى

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار في بقاع تحرق

أي تحرق شيأ فشيأ ولو قال محرق لم يدل على هذا المعنى * وقرأ الجمهور والطير محشورة بنصبهما عطفا على الجبال يسبحن عطف مفعول على مفعول وحال على حال كقولك ضربت هندا مجردة ودعدا لابسة * وقرأ ابن أبي عبلة والجحدري والطير محشورة برفعهما مبتدأ وخبرا وجاء محشورة باسم المفعول لانه لم يرد انها تحشر شيأ اذ حاشرها هو الله تعالى فحشرها جملة واحدة أدل على القدرة والظاهر عود الضمير في له على داود أي كل واحد من الجبل والطير لاجل داود أي لاجل تسبيحه سبح لانها كانت ترجع تسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح وقيل الضمير عائد على الله أي كل من داود والجبال والطير أواب أي مسبح مرجع للتسبيح * وقرأ الجمهور وشددنا مخففا أي قوينا كقوله سنشد عضدك بأخيك والحسن وابن أبي عبلة بشد الدال وهي عبارة شاملة لما وهبه الله تعالى من قوة وجند ونعمة فالتخصيص ببعض الأشياء لايظهر * وقال السدي بالجنود وقيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مسلم يحرسونه وهذا بعيد في العادة وقيل بهيبة قذفها الله له في قلوب قومه * والحكمة هنا النبوة أو الزبور أو الفهم في الدين أو كل كلام ولقن الحق أقوال * وفصل الخطاب قال علي والشعبي ايجاب اليمين على المدعى عليه والبينة على المدعي * وقال ابن عباس ومجاهد والسدي القضاء بين الناس بالحق واصابته وفهمه * وقال الشعبي كلمة أما بعد لانه أول من تكلم بها وفصل بين كلامين * قال الزمخشري لأنه يفتتح اذا تكلم في الامر الذي له شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد بالخطاب القصد الذي ليس له فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ماجاء في صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لانذر ولا هذر انتهى * ولما كان تعالى قد كمل نفس نبيه داود بالحكمة أردفه ببيان كمال خلقه في النطق والعبادة فقال وفصل الخطاب * وهل أتاك نبؤ الخصم

لما أثنى تعالى على داود عليه السلام بما أثنى ذكر قصته هذه ليعلم أن مثل قصته لا يقدح فى الثناء عليه والتعظيم لقدره وان تضمنت استغفاره ربه وليس فى الاستغفار ما يشعر بارتكاب أمر يستغفر منه ومازال الاستغفار شعار الانبياء المشهود لهم بالعصمة ومجيء مثل هذا الاستفهام انما يكون لغرابة ما يجيء معه من القصص كقوله وهل أتاك حديث موسى فيتهيأ المخاطب بهذا الاستفهام لما يأتى بعده ويصغى لذلك وذكر المفسرون فى هذه القصة أشياء لا تناسب مناصب الانبياء ضربنا عن ذكرها صفحا وتكلمنا على ألفاظ الآية والنبأ الخبر والخبر أصله مصدر فلذلك تصلح للفرد والمذكر وفروعهما وهنا جاء للجمع ولذلك قال اذتسوروا اددخلوا كما قال الشاعر

وخصم يعدون الدخول كأنهم * قروم غيارى كل أزهر مصعب

والظاهر أنهم كانوا جماعة فلذلك أتى بضمير الجمع فان كان المتحاكمان اثنين فيكون قد جاء معهم غيرهم على جهة المعاضدة أو المؤانسة ولا خلاف أنهم كانوا ملائكة كذا قال بعضهم وقيل كانا أخوين من بنى اسرائيل لاب وأم والاول أشهر وقيل الخصم هنا اثنان ونجوز فى العبارة فأخبر عنهما اخبار ما زاد على اثنين لان معنى الجمع فى التثنية وقيل معنى خصمان فريقان فيكون تسوروا ودخلوا عائدا على الخصم الذى هو جمع الفريقين ويدل على أن خصمان بمعنى فريقان قراءة من قرأ بغى بعضهم على بعض وقال تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم بمعنى فأما ان هذا أخى وما روى أنه بعث اليه ملكان فالمعنى أن التحاكم كان بين اثنين ولا يمتنع ان يصحبهما غيرهما وأطلق على الجميع خصم وعلى الفريقين خصمان لان من جاء مع متخاصم لمعاضدة فهو فى صورة خصم ولا يبعد أن تطلق عليه التسمية والعامل فى الظرف وهو اذ أتاك قاله الحوفى ورد بان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا فى عهده لا فى عهد داود * وقال ابن عطية وأبو البقاء العامل فيه نبأ ورد بما رد به ما قبله ان النبأ الواقع فى عهد داود عليه السلام لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا أردت بالنبأ القصة فى نفسها لم يكن ناصبا وقيل العامل فيه محذوف تقديره وهل أتاك تحاصم الخصم قاله الزمخشرى ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل واذ دخلوا بدل من اذ الاولى وقيل ينتصب بتسوروا * وروى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما فتسوراعليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان * قال ابن عباس جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما لجميع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير القضاء ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه فخاف أن يؤذوه وقيل كان ذلك ليلا ويحتمل أن يكون فزعه من أجل ان أهل ملكته قد استهانوه حتى ترك بعضهم الاستئذان فيكون فزعه على فساد السيرة لا من الداخلين * وقال أبو الاحوص فزع منهم لانهما دخلا عليه وكل منهما آخذ برأس صاحبه وقيل فزع منهم لما رأى من تسورهم على موضع مرتفع جدا لا يمكن أن يرتقى اليه بعد أشهر مع أعوان وكثرة عدد وقيل انهما قالا لم نتوصل اليك الا بالتسور لمنع الحجاب وخفنا تفاقم الامر بيننا فقبل داود عذرهم ولما أدركوا منه الفزع قالوا لا تخف أى لسنا ممن جاء الا لاجل التحاكم * خصمان يحتمل أن يكون هذا موصولا بقولهم لا تخف بادرا باخبار ما جاآ اليه ويحتمل أن يكون سألهم ما أمركم فقالوا خصمان أى نحن خصمان بغى أى جار بعضنا على بعض كما قال الشاعر

ولكن الفتى حمل بن بدر * بغى والبغى مرتعه وخيم

* وقرأ أبو يزيد الجراد عن الكسائى خصمان بكسر الخاء وفى أمرهم له ونهيهم ببعض فظاظة على الحكام حمل على ذلك ماهم فيه من التخاصم والتشاجر واستدعوا عدله من غير ارتياب فى أنه يحكم بالعدل * وقرأ الجمهور ولا تشطط مفكوكا من أشطر باعيا وأبو رجاء وابن أبى عبلة وقتادة والحسن وأبو حيوة تشطط من شطط ثلاثيا * وقرأ قتادة أيضا تشط مدغما من أشط * وقرأ زر تشاطط بضم التاء وبالألف على وزن تفاعل مفكوكا وعن قتادة أيضا تشطط من شطط وسواء الصراط وسط طريق الحق لاميل فيه من هنا ولا هنا * إن هذا أخى هو قول المدعى منهما وأخى عطف بيان عند ابن عطية وبدل أو خبر لان عند الزمخشرى والاخوة هنا مستعارة إذ هما ملكان لكنهما لما ظهرا فى صورة انسانين تكلما بالاخوة ومجازها انها اخوة فى الدين والايمان أو على معنى الصحبة والمرافقة أو على معنى الشركة والخلطة لقوله وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تقتضى منع الاعتداء ويندب الى العدل وقرأ الجمهور تسع وتسعون بكسر التاء فيهما * وقرأ الحسن وزيد بن على بفتحها * وقرأ الجمهور نعجة بفتح النون والحسن وابن هرمز بكسر النون وهى لغة لبعض بنى تميم قيل وكنى بالنعجة عن الزوجة فقال أكفلنيها أى ردها فى كفالتى * وقال ابن كيسان اجعلها كفلى أى نصيبى وقال ابن عباس أعطنيها وعنه وعن ابن مسعود تحول لى عنها وعن أبى العالية ضمها الى حتى أكفلها * وعزنى فى الخطاب قال الضحاك ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى وقال ابن عطية كان أوجه منى وأقوى فاذا خاطبته كان كلامه أقوى من كلامى وقوته أعظم من قوتى * وقال الزمخشرى جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطيب المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقيل غلبنى بسلطانه لانه لما سأله لم يستطع خلافه * قال الحافظ أبو بكر بن العربى كان ببلادنا أمير يقال له سيرى بن أبى بكر فكلمته فى أن يسأل لى رجلا حاجة فقال لى أما علمت أن طلب السلطان للحاجة غصب لها فقلت أما اذا كان عدلا فلا وقرأ أبو حيوة وطلحة وعزنى بتخفيف الزاى * قال أبو الفتح حذف الزاى الواحدة تخفيفا كما قال أبو زبيد * أحسن به فهن اليه شوس * وروى كذلك عن عاصم * وقرأ عبيد الله وأبو وائل ومسروق والضحاك والحسن وعبيد بن عمير وعازنى بالف وتشديد الزاى أى وغالبنى * والظاهر ابقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن ولا يكنى بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو الى ذلك لأن ذلك الاخبار كان صادرا من الملائكة على سبيل التصوير للمسئلة والفرض لها من غير تلبس بشئ منها فمثلوا بقصة رجل له نعجة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراد انتزاعها منه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده ويدل على ذلك قوله وان كثيرا من الخلطاء وهذا التصوير والتمثيل أبلغ فى المقصود وأدل على المراد * قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ليس هذا ابتداء من داود عليه السلام إثر فراغ لفظ المدعى ولا فتيا بظاهر كلامه قبل ظهور ما يجب فقيل ذلك على تقدير أى ان كان ما تقول لقد ظلمك وقيل ثم محذوف أى فاقر المدعى عليه فقال لقد ظلمك ولكنه لم يحك فى القرآن اعتراف المدعى عليه لأنه معلوم من الشرائع كلها اذ لا يحكم الحاكم الا بعد اجابة المدعى عليه وما قاله الحلبى من أنه رأى فى المدعى مخايل الضعف والهضيمة فحمل أمره

على أنه مظلوم كما تقول فدعاه ذلك الى أن لا يسأل المدعى عليه فاستعجل بقوله لقد ظلمك فقوله ضعيف لا يعول عليه * وروى أن داود عليه السلام لما سمع كلام الشاكى قال للآخر ما تقول فاقر فقال له لئن لم ترجع الى الحق لاكسرن الذى فيه عيناك وقال للثانى لقد ظلمك فتبسما عند ذلك وذهبا ولم يرهما حينه ورأى أنهما ذهبا نحو السماء بمرأى منه وأضاف المصدر الى المفعول وضمن السؤال معنى الاضافة أى باضافة نعجتك على سبيل السؤال والطلب ولذلك عداه بالى * وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض هذا من كلام داود ويدل على أن زمانه كان فيه الظلم والاعتداء كثيرا والخلطاء الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط قصد داود بهذا الكلام الموعظة الحسنة والترغيب فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره اليهم الظلم وأن يسلى المظلوم عن ما جرى عليه من خليطه وان له فى أكثر الخلطاء أسوة * وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير حذف النون الخفيفة وأصله ليبغين كما قال * اضرب عنك الهموم طارقها * يريد اضربن ويكون على تقدير قسم محذوف ذلك القسم وجوابه خبر لان وعلى قراءة الجمهور يكون ليبغى خبرا لان وقرئ ليبغ بحذف الياء كقوله * محمد تفد نفسك كل نفس * أى تفدى على أحد القولين وقليل خبر مقدم وما زائدة تفيد معنى التعظيم والتعجب وهم مبتدأ وظن داود لما كان الظن الغالب يقارب العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن أنا ابتليناه بمحاكمة الخصمين وأنكر ابن عطية مجئ الظن بمعنى اليقين * وقال لسنا نجده فى كلام العرب وانما هو توقيف بين معتقدين غلب أحدهما على الآخر وتوقعه العرب على العلم الذى ليس على الحواس ودلالة ليقين التام ولكن يخلط الناس فى هذا ويقولون ظن بمعنى أيقن وطول ابن عطية فى ذلك بما يوقف عليه فى كتابه * وقرأ الجمهور فتناه وعمر بن الخطاب وأبو رجاء والحسن بخلاف عنه شد التاء والنون مبالغة والضحاك أفتناه كقوله * لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت * وقتادة وأبو عمرو فى رواية يخفف التاء والنون والألف ضمير الخصمين * فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب راكعا حال والخرور الهوى الى الأرض فاما أنه عبر بالركوع عن السجود واما انه ذكر أول أحوال الخرور ورأى راكعا ليسجد * وقال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع * وقال الحسن بن الفضل أخر من ركوعه أى سجد بعد أن كان راكعا * وقال قوم يقال خر لمن ركع وان لم ينته الى الأرض والذى يذهب اليه ما دل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الانس دخلوا عليه من غير المدخل وفى غير وقت جلوسه للحكم وانه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه اذ كان منفردا فى محرابه لعبادة ربه فلما اتضح له أنهم جاؤا فى حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى وان داود عليه السلام ظن دخولهم عليه فى ذلك الوقت ومن تلك الجهة انقاد من الله له أن يغتالوه فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر من ذلك الظن حيث أخلف ولم يكن يقع مظنونه وخر ساجدا أو رجع الى الله تعالى فغفر له ذلك الظن ولذلك أشار بقوله فغفرنا له ذلك ولم يتقدم سوى قوله وظن داود أنما فتناه ويعلم قطعا أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم فى شئ منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيأ من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشئ مما يذكرون أنه أوحى الله به اليهم فما حكى الله تعالى فى كتابه يمر على ما أراده تعالى وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر

ونؤثر حكم العقل فى كل شبهة * اذا آثر الأخبار جلاس قصاص

﴿ياداود انا جعلناك خليفة في الارض﴾ الآية فيضلك منصوب باضمار أن بعد الفاء في جواب النهي والفاعل في فيضلك ضمير الهوى أو ضمير المصدر المفهوم من قوله ولا تتبع بما نسوا اما مصدرية تقديره بنسيانهم ثم ذكر ما بين المؤمن عامل الصالحات والمفسد من التباين وأنهما ليسا سيين وقابل المصلح بالفساد والتقوى بالفجور والاستفهام بأم في الموضعين استفهام انكار والمعنى انه لا يستوي عند الله من أصلح ومن أفسد ولا من اتقى ومن فجر ولما انتفت التسوية بين ما تصلح به لمتبعه السعادة الأبدية وهو كتاب الله فقال كتاب أنزلناه وارتفاعه على اضمار مبتدأ أي هذا كتاب وقرئ مباركا على الحال اللازمة لأن البركة لا تفارقه واللام في ليدبروا لام كي وأسند التدبر الى الجميع وهو التفكر في الآيات والتأمل الذي يفضي بصاحبه الى النظر في عواقب الأشياء وأسند التذكر الى أولي العقول لان ذا العقل فيه ما يهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى ما يذكره فيتذكر ﴿نعم العبد﴾ المخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم العبد هو أي سليمان عليه السلام ﴿اذ عرض عليه بالعشي﴾ قال الجمهور عرضت عليه الخيل تركها أبوه له فأجريت بين يديه عشيا فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له فقال ردوها علي فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر فابدله الله تعالى أسرع منها الريح والصافن من الخيل الذي يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك برجله وهي علامة الفراهة وأنشد الزجاج

ألف الصفون فلا يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا وقال أبو عبيدة الصافن الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على طرف السنبك فهو المخيم والجياد (٣٩٤) جمع جواد وهو الفرس وانتصب حب الخير على أنه مفعول به لتضمن أحببت معنى آثرت والظاهر أن الضمير في توارت للشمس وان لم يجر لها ذكر لدلالة العشي عليها وحتى غاية لما قبلها فالمعنى دوامت حب الخير ذاهلا عن ذكر ربي وطفق من أفعال المقاربة للشروع في الفعل وحذف خبرها لدلالة المصدر عليه

﴿ياداود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب * وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار * كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب * ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد * فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب * ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والاعناق * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب * قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي إنك أنت الوهاب * فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين

أي فطفق يمسح مسحا يمسح اعرافها وسوقها محبة لها وقال ابن عباس مسحه بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف بل بيديه تكريما لها ومحبة والباء في بالسوق زائدة كهي في قوله فامسحوا برؤسكم وحكى سيبويه مسحت برأسه ورأسه بمعنى واحد وقرئ بالسوق على وزن فعل وهو جمع ساق وقرئ بهمزة بعدها واو بالسؤوق على وزن فعول ﴿ولقد فتنا﴾ أي ابتلينا ﴿سليمان﴾ ذكر المفسرون أشياء لا يصح نقلها وأقرب ما قيل فيه أن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال فيه لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة وجاءت بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون والمراد بقوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا هو هذا والجسد الملقى هو المولود شق رجل ﴿ثم أناب﴾ أي بعد امتحاننا اياه داوم الانابة والرجوع ﴿قال رب اغفر لي﴾ هذا دأب الانبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله تعالى هضما للنفس واظهارا للذلة والخشوع وطلبا للترقي في المقامات والظاهر أنه طلب ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته عليه السلام وبالغ في صفة هذا الملك الذي طلبه أتى في صفته تعالى باللفظ الدال على المبالغة فقال ﴿انك أنت الوهاب﴾ أي الكثير الهبات لا تتعاظم عنده هبة ولما طلب الهبة التي اختص بها وهبه تعالى وأعطاه ما ذكر من قوله ﴿فسخرنا له الريح تجري﴾ جملة حالية أي جارية ﴿رخاء﴾ أي لينة مشتقة من الرخاوة حيث أصاب أي حيث قصد وأراد ﴿والشياطين﴾ معطوف على الريح وكل بناء وغواص بدل وأتى ببنية المبالغة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية وقال النابغة

فى الاصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وان له عندنا لزلفى وحسن مآب * جعله تعالى داود خليفة فى الأرض يدل على مكانته عليه السلام عنده واصطفائه و يدفع فى صدر من نسب اليه شيأ مما لا يليق بمنصب النبوّة واحتمل لفظ خليفة أن يكون معناه تخلف من تقدمك من الأنبياء أن يعلى قدرك بجعلك ملكا نافذ الحكم ومنه قيل خلفاء الله فى أرضه واستدل من هذه الآية على احتياج الأرض الى خليفة من الله ولا يلزم ذلك من الآية بل لزومه من جهة الشرع والاجماع * قال ابن عطية ولا يقال خليفة الله إلا لرسول وأما الخلفاء فكل واحد منهم خليفة الذى قبله وما يجىء فى الشعر من تسمية أحدهم خليفة الله فذلك تجوز كما قال قيس الرقيات

خليفة الله فى بريته * حقت بذاك الأقلام والكتب

وقالت الصحابة لأبى بكر خليفة رسول الله و بذلك كان يدعى مدته فلما ولى عمر قالوا خليفة خليفة رسول الله وطال الأمر و زاد انه فى المستقبل فدعوه أمير المؤمنين وقصر هذا الاسم على الخلفاء انتهى * فاحكم بين الناس بالحق أمر بالديمومة وتنبيه لغيره ممن ولى أمور الناس فمن حيث هو معصوم لا يحكم الا بالحق أمر أولا بالحكم ولما كان الهوى قد يعرض لغير المعصوم أمر باجتنابه وذكر نتيجة اتباعه وهو اضلاله عن سبيل الله وفيضلك جواب للنهى والفاعل فى فيضلك ضمير الهوى أو ضمير المصدر المفهوم من ولا تتبع أى فيضلك اتباع الهوى ولماذكر ما ترتب على اتباع الهوى وهو الاضلال عن سبيل الله ذكر عقاب الضال * وقرأ الجمهور يضلون بفتح الياء لانهم لما أضلهم اتباع الهوى صاروا ضالين * وقرأ ابن عباس والحسن بخلاف عنهما وأبو حيوة بضم الياء وهذه القراءة أعم لانه لا يضل الا ضال فى نفسه وقراءة الجمهور أوضح * وبما نسوا متعلق بما تعلق به لهم ونسوا تركوا و يوم يجوز أن يكون منصوبا بنسوا أو بما تعلق به لهم ويكون النسيان عبارة عن ضلالهم عن سبيل الله وانتصب باطلا على أنه نعت لمصدر محذوف أى خلقا باطلا أو على الحال أى مبطلين أو ذوى باطل أو على انه مفعول من أجله * معنى باطلا عبثا * ذلك أى كون خلقها باطلا ظن الذين كفروا وأى مظنونهم وهؤلاء وان كانوا مقرين بان خالق السموات والأرض هو الله تعالى فهم من حيث أنكروا المعاد والثواب والعقاب ظانون أن خلق ذلك ليس بحكمة وأن خلق ذلك انما هو عبث ولذلك قال تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون فنبه على المعاد والرجوع الى جزائه ثم ذكر ما بين المؤمن عامل الصالحات والمفسد من التباين واتهما ليسا سيين وقابل الصلاح بالفساد والتقوى بالفجور * قال ابن عباس هى عامة فى جميع المسلمين والكافرين * وقيل فى قوم من مشركى قريش قالوا نحن لنا فى الآخرة أعظم مما لنا فى الدنيا فأنزل الله هذه الآية * وقيل فى جماعة من المؤمنين والكافرين معينين بارزوا يوم بدر عليا وحمزة وعبيدة بن الحرث رضى الله عنهم وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة و وصف كلا بما ناسبه والاستفهام بأم فى الموضعين استفهام انكار والمعنى أنه لا يستوى عند الله من أصلح ومن أفسد ولا من اتقى ومن فجر وكيف تكون التسوية بين من أطاع ومن عصى اذن كان يبطل الجزاء والجزاء لا محالة واقع والتسوية منتفية ولما انتفت التسوية بين ما تصلح به لمتبعه السعادة الأبدية وهو كتاب الله تعالى فقال كتاب أنزلناه وارتفاعه على اضمار مبتدا أى هذا كتاب * وقرأ الجمهور مبارك على الصفة * وقرئ مباركا على الحال اللازمة أى هذا كتاب * وقرأ الجمهور ليدبروا آياته بياء الغيبة وشد الدال وأصله ليتدبروا * وقرأ على

يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والمعطوف على العام عام فالتقدير وكل غواص أى فى البحر يستخرجون له الحلية وهو أول من استخرج الدر * (وآخرين) * عطف على كل فهو داخل فى البدل اذ هو بدل كل من كل بدل التفصيل أى من الجن وهم المردة أى سخرهم له حتى قرنهم فى الأصفاد لكفرهم وقال النابغة فى ذلك

فمن أطاعك فانفعه بطاعته *
كما أطاعك وادلله على الرشد *
ومن عصاك فعاقبه معاقبة *
تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد *

ومقرنين تقدم الكلام عليه فى سورة ابراهيم * (هذا عطاؤنا) * اشارة لما أعطاه الله تعالى من الملك الضخم وتسخير الانس والجن والطير وأمره بأن يمن على من يشاء و يمسك على من يشاء وقفه على قدر النعمة ثم أباح له التصرف فيها بمشيئته وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرف الا بطاعة الله تعالى و بغير حساب فى موضع الحال من عطاؤنا تقديره كائنا بغير حساب

بهذا الأصل * وقرأ أبو جعفر بتاء الخطاب وتخفيف الدال وجاء كذلك عن عاصم والكسائى بخلاف عنهما والأصل لتتدبروا بتاءين فحذفت احداهما على الخلاف الذى فيها أهى تاء المضارعة أم التاء التى تليها واللام فى ليدبروا لام كى وأسند التدبر فى الجميع وهو التفكر فى الآيات والتأمل الذى يفضى بصاحبه الى النظر فى عواقب الأشياء وأسند التذكر الى أولى العقول لان ذا العقل فيه مايهديه الى الحق وهو عقله فلا يحتاج الا الى مايذكره فيتذكر والمخصوص بالمدح محذوف التقدير نعم العبد هو أى سليمان * وقرئ نعم على الأصل كما قال * نعم الساعون فى القوم الشطر * أثنى تعالى عليه لكثرة رجوعه اليه أو لكثرة تسبيحه * اذ عرض الناصب لاذ قيل أواب وقيل اذكر على الاختلاف فى تأويل هذه الآية * قال الجمهور عرضت عليه آلاف من الخيل تركها أبوه له وقيل ألف واحد فأجريت بين يديه عشيا فتشاغل بحسنها وجريها ومحبتها عن ذكر له فقال ردوها على فطفق يضرب أعناقها وعراقيبها بالسيف لما كانت سبب الذهول عن ذلك الذكر فأبدله الله أسرع منها الريح * وقال قوم منهم الثعلبى كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال فعقرها التوكل على سبيل القربة ونحر الهدى عندنا انتهى وفى هذه القصة ألفاظ فيها غض من منصب النبوة كفيناعنه والخير فى قوله حب الخير أى هذا القول يراد به الخيل والعرب تسمى الخيل الخير قاله قتادة والسدى وقال الضحاك وابن جبير الخير هنا المال وانتصب حب الخير قيل على المفعول به لتضمن أحببت معنى آثرت قاله الفراء * وقيل منصوب على المصدر التشبيهى أى أحببت الخيل كحب الخير أى حبا مثل حب الخير * وقيل عدى بعن فضمن معنى فعل يتعدى بها أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى أو جعلت حب الخير مغنيا عن ذكر ربى * وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان ان أحببت بمعنى لزمت من قوله * مثل بعير السوء اذ أحبا * وقالت فرقة أحببت سقطت الى الأرض مأخوذ من أحب البعير اذا أعيى وسقط * قال بعضهم حب البعير برك وفلان طأطأ رأسه * وقال أبو زيد بعير محب وقد أحب احبابا اذا أصابه مرض أو كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ أو يموت * قال ثعلب يقال للبعير الحسير محب فالمعنى قعدت عن ذكر ربى وحب الخير على هذا مفعول من أجله والظاهر أن الضمير فى توارت عائد على الصافنات أى دخلت اصطبلاتها فهى الحجاب * وقيل حتى توارت فى المسابقة بما يحجبها عن النظر * وقيل الضمير للشمس وان لم يجر لها ذكر لدلالة العشى عليها * وقالت طائفة عرض على سليمان الخيل وهو فى الصلاة فأشار اليهم انى فى صلاتى فأزالوها عنه حتى دخلت فى الاصطبلات فقال هو لما فرغ من صلاته انى أحببت حب الخير أى الذى عند الله فى الآخرة بسبب ذكر ربى كأنه يقول فشغلنى ذلك عن رؤية الخيل حتى أدخلت اصطبلاتها ردوها على فطفق يمسح أعرافها وسوقها محبة لها * وقال ابن عباس والزهرى مسحه بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف بل بيديه تكريما لها ومحبة ورجحه الطبرى وقيل بل غسلا بالماء * وقال الثعلبى ان هذا المسح كان فى السوق والأعناق بوسم حبس فى سبيل الله انتهى وهذا القول هو الذى يناسب مناصب الأنبياء لا القول المنسوب للجمهور فان فى قصته مالا يليق ذكره بالنسبة للأنبياء وحتى توارت غاية فالفعل يكون قبلها متطاولا حتى تصح الغاية فأحببت معناه أردت المحبة * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم اتصل قوله ردوها على (قلت) بمحذوف تقديره فال ردوها على فأضمر واضمير ماهو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا ثم ذكر الزمخشرى لفظا فيه غض من النبوة فتركته وما

(الدر)

(ش) فان قلت بم اتصل قوله ردوها على قلت بمحذوف تقديره قال ردوها على فأضمر واضمير ماهو جواب له كان قائلا قال لماذا سليمان لأنه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا (ح) ماذهب اليه من هذا الاضمار لايحتاج اليه اذ الجملة مندرجة تحت حكاية القول فقال انى أحببت فهذه الجملة وجملة ردوها على محكيتان بقال

ذهب اليه من هذا الاضمار لا يحتاج اليه اذ الجملة مندرجة تحت حكاية القول وهو فقال انى أحببت فهذه الجملة وجملة ردوها على محكيتان بقال وطفق من أفعال المقاربة للشروع فى الفعل وحذف غيرها لدلالة المصدر عليه أى فطفق يمسح مسحا * وقرأ الجمهور مسحا وزيد بن على مساحا على وزن قتال والباء فى بالسوق زائدة كهى فى قوله وامسحوا بوجوهكم وأيديكم * وحكى سيبويه مسحت برأسه ورأسه بمعنى واحد وتقدم الكلام على ذلك فى المائدة وقرأ الجمهور بالسوق بغير همز على وزن فعل وهو جمع ساق على وزن فعل بفتح العين كأسد وأسد وابن كثير بالهمز قال أبو على وهى ضعيفة لكن وجهها فى القياس أن الضمة لما كانت تلى الواو وقدر أنها عليها فهمزت كما يفعلون بالواو المضمومة ووجه همز السوق من السماع أن أباحية النميرى كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة وكان ينشد * حب المؤقدين الى مؤسى * انتهى وليست ضعيفة لان الساق فيه الهمزة ووزن فعل بسكون العين فجاءت هذه القراءة على هذه اللغة وقرأ ابن محيصن بهمزة بعدها الواو رواها بكار عن قنبل وقرأ زيد بن على بالساق مفردا اكتفى به عن الجمع لأمن اللبس ومن غريب القول أن الضمير فى ردوها عائد على الشمس وقد اختلفوا فى عدد هذه الخيل على أقوال متكاذبة سودوا الورق بذكرها * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا نقل المفسرون فى هذه الفتنة والقاء الجسد أقوالا يجب براءة الانبياء منها يوقف عليها فى كتبهم وهى مما لا يحل نقلها واماهى من أوضاع اليهود والزنادقة ولم يبين الله الفتنة ماهى ولا الجسد الذى ألقاه على كرسى سليمان وأقرب ماقيل فيه ان المراد بالفتنة كونه لم يستثن فى الحديث الذى قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة وجاءته بشق رجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فالمراد بقوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا هو هذا والجسد الملقى هو المولود شق رجل وقال قوم مرض سليمان مرضا كالاغماء حتى صار على كرسيه جسدا كأنه بلا روح ولما أمر تعالى نبيه عليه السلام بالصبر على مايقول كفار قريش وغيرهم أمره بان يذكر من ابتلى فصبر فذكر قصة داود وقصة سليمان وقصة أيوب ليتأسى بهم وذكر مالهم عنده من الزلفى والمكانة فلم يكن ليذكر من يتأسى به ممن نسب المفسرون اليه مايعظم أن يتفوه به ويستحيل عقلا وجود بعض ماذكروه كتمثل الشيطان بصورة نبى حتى يلتبس أمره عند الناس ويعتقدون أن ذلك المتصور هو النبى ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بارسال نبى وانما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها * ثم أناب أى بعد امتحاننا اياه أدام الانابة والرجوع * قال رب اغفر لى هذا أدب الانبياء والصالحين من طلب المغفرة من الله هضما للنفس واظهار الذلة والخشوع وطلبا للترقى فى المقامات وفى الحديث انى لأستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة والاستغفار مقدمة بين يدى ماطلب المستغفر بطلب الأهم فى دينه فيترتب عليه أمر دنياه كقول نوح فى ماحكى الله عنه فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية والظاهر أن طلب الملك كان بعد هذه المحنة وذكر المفسرون أنه أقام فى ملكه عشرين سنة قبل هذا الابتلاء وأقام بعدها عشرين سنة فيمكن انه كان فى ملك قبل المحنة ثم سأل بعدها ملكا مقيدا بالوصف الذى بعده وهو كونه لاينبغى لاحد من بعده واختلفوا فى هذا القيد فقال عطاء بن أبى رباح وقتادة الى مدة حياتى لاأسلبه ويصير الى غيرى * قال ابن عطية انما قصد بذلك قصدا جائزا

لان للانسان أن يرغب من فضل الله فيما لا يناله أحد لاسيما بحسب المكانة والنبوة وانظر الى قوله لا ينبغي انما هي لفظة محتملة ليست تقطع في أنه لا يعطى الله نحو ذلك الملك لاحد انتهى * وقال الزمخشري كان سليمان عليه السلام ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب إلفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم ولن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم فيه غيري مقامي ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم أنه لا يطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه بأمر من الله على الصفة التي علم الله أن لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لأحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظمة الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده انتهى ولما بالغ في صفة هذا الملك الذى طلبه أتى في صفته تعالى باللفظ الدال على المبالغة فقال انك أنت الوهاب أي الكثير الهبات لا يتعاظم عنده هبة ولما طلب الهبة التي اختص بطلبها وهبه وأعطاه ما ذكر تعالى من قوله فسخرنا له الريح * وقرأ الجمهور بالافراد والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر الرياح بالجمع وهو أعم لعظم ملك سليمان وان كان المفرد بمعنى الجمع لكونه اسم جنس * تجري يحتمل أن تكون جملة حالية أي جارية وأن تكون تفسيرية لقوله فسخرنا له الريح بأمره أي لا يمتنع عليه اذا أراد جريها * رخاء قال ابن عباس والحسن والضحاك مطيعة * وقال مجاهد طيبة * حيث أصاب أي حيث قصد وأراد حكى الزجاج عن العرب * أصاب الصواب فأخطأ الجواب أي قصد * وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسئلاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال أين تصيبان فقال هذه طلبتنا ويقال أصاب الله بك خيرا وأنشد الثعلبي

أصاب الكلام فلم يستطع * فأخطأ الجواب لدى المفصل

وقال وهب حيث أصاب أي أراد * قيل ويجوز أن يكون أصاب دخلت فيه همزة التعدية من صاب أي حيث وجه جنوده وجعلهم يصوبون صوب السحاب والمطر وقيل أصاب أراد بلغة حمير * وقال قتادة بلغة هجر * والشياطين معطوف على الريح وكل بناء وغواص بدل وأتى ببنية المبالغة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الآية * وقال النابغة

الا سليمان اذ قال الاله له * قم في البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن اني قد أذنت لهم * يبنون تدمر بالصفاح والعمد

والمعطوف على العام عام فالتقدير وكل غواص أي في البحر يستخرجون له الحلية وهو أول من استخرج الدر * وآخرين عطف على كل فهو داخل في البدل اذ هو بدل كل من كل بدل التفصيل أي من الجن وهم المردة سخرهم له حتى قرنهم في الاصفاد لكفرهم * وقال النابغة في ذلك

فمن أطاعك فانفعه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

وتقدم تفسير مقرنين في الاصفاد في آخر سورة ابراهيم عليه السلام وأوصاف من ملك سليمان في

﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه﴾ الآية وأيوب عطف بيان أو بدل من عبدنا بالنصب والنصب كالرشد والرشد وهو التعب والمشقة والعذاب الألم والظاهر أنه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ما روى في الأخبار وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أيوب عليه السلام بقي في محنته ثماني عشرة سنة يتساقط لحمه حتى مله العالم ولم يصبر عليه الا امرأته ولم يبين لنا تعالى السبب المقتضي لعلته وأما اسناده المس الى الشيطان فسبب ذلك أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان أن الله تعالى لا يبتلي الأنبياء والصالحين فحينئذ قال مسني الشيطان نزل عليه السلام لشفقته على المؤمنين مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لمسه لأن المؤمن الخير يتألم برجوع المؤمن الخير الى الكفر وفي الكلام حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا له اركض برجلك فركض فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك فاغتسل فبرأ ووهبنا له ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه ﴿ووهبنا له أهله﴾ قيل وهبه من كان حيا منهم وعافاه من الأسقام وأرغد لهم العيش فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم ورحمة وذكرى مفعولان لهما أي أن الهبة كانت لرحمتنا اياه وليتذكر أرباب العقول ما يحصل للصابر من الخير وما يؤول اليه من الأجر وفي الكلام حذف تقديره وكان حلف ليضربن امرأته مائة ضربة لسبب جرى منها وكانت محسنة له فجعل الله خلاصا من يمينه بقولنا وخذ بيدك ضغثا قال ابن عباس الضغث عثكال النخل ومحصول أقوالهم هو أن الشيطان تمثل لها في صورة ناصح أو مداو وعرض لها بشفاء أيوب على يديه على شرط لا يمكن وقوعه فذكرت ذلك له فعلم أن الذي عرض لها

سورة النمل * هذا عطاؤنا اشارة لما أعطاه الله تعالى من الملك الضخم وتسخير الريح والانس والجن والطير وأمره بأن يمن على من يشاء ويمسك عن من يشاء وقفه على قدر النعمة ثم أباح له التصرف فيها بمشيئته وهو تعالى قد علم أنه لا يتصرف الا بطاعة الله * قال الحسن وغيره وقاله قتادة اشارة الى ما فعله الجن أي فامنن على من شئت منهم وأطلقه من وثاقه وسرحه من خدمته وامسك أمره كما تريد وقال ابن عباس اشارة الى ما وهبه من النساء وأقدره عليهن من جماعهن ولعله لا يصح عن ابن عباس لانه لم يجر هنا ذكر النساء ولا ما أوتي من القدرة على ذلك وبغير حساب في موضع الحال من عطاؤنا أي هذا عطاؤنا جما كثيرا لا تكاد تقدر على حصره ويجوز أن يكون بغير حساب من تمام فامنن أو أمسك أي لا حساب عليك في اعطاء من شئت أو حرمانه وفي اطلاق من شئت من الشياطين أو ايثاقه وختم تعالى قصته بما ذكر في قصة والده وهو قوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب * وقرأ الجمهور وحسن مآب بالنصب عطفا على لزلفى * وقرأ الحسن وابن أبي عبلة بالرفع ويقفان على لزلفى ويبتدآن وحسن مآب وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره وحسن مآب له ﴿ واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب * وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب * واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار * واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار * هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب * إن هذا لرزقنا ماله من نفاد * هذا وإن للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج * هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار ﴾ الضغث حزمة صغيرة من حشيش أو ريحان أو قضبان وقيل القبضة الكبيرة من القضبان ومنه قولهم ضغث على ابالة والابالة الحزمة من الحطب والضغث القبضة عليها من الحطب أيضا ومنه قول الشاعر

وأسفل مني نهدة قد ربطتها * وألقيت ضغثا من خلى متطيب

الحنث فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله * الغساق ما سال يقال غسقت العين والجرح وعن أبي عبيدة أنه البارد المنتن بلغة الترك وقال الأزهري الغاسق البارد ولهذا قيل ليل غاسق لانه أبرد من النهار * الاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة ﴿ واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب * اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب * ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب * وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا

وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب* واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار* إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار * وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار* واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار * لما أمر نبيه بالصبر وذكر ابتلاء داود وسليمان وأثنى عليهما ذكر من كان أشد ابتلاء منهما وأنه كان في غاية الصبر بحيث أثنى الله عليه بذلك وأيوب عطف بيان أو بدل قال الزمخشري واذ بدل اشتمال منه وقرأ الجمهور أني بفتح الهمزة وعيسى بكسرها وجاء بضمير التكلم حكاية لكلامه الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال انه مسه لانه غائب وأسند المس الى الشيطان * قال الزمخشري لما كانت وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الأدب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء فالتجأ الى الله في أن يكفيه ذلك بكشف البلاء أو بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وذكر في سبب بلائه أن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب بكثرة ماله انتهى ولا يناسب مناصب الانبياء ما ذكره الزمخشري من أن أيوب كانت منه طاعة للشيطان فيما وسوس به وان ذلك كان سببا لما مسه الله به من النصب والعذاب ولأن رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه ولأنه داهن كافرا ولأنه أعجب بكثرة ماله وكذلك ما رووا أن الشيطان سلطه الله عليه حتى أذهب أهله وماله لا يمكن أن يصح ولا قدرة له على البشر الا بالقاء الوساوس الفاسدة لغير المعصوم والذي نقوله انه تعالى ابتلى أيوب عليه السلام في جسده وأهله وماله على ما روي في الاخبار * وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أيوب بقي في محنته ثماني عشرة سنة تساقط لحمه حتى ملّه العالم ولم يصبر عليه الا امرأته ولم يبين لنا تواتر السبب المقتضي لعلته وأما اسناده المس الى الشيطان فسبب ذلك انه كان يعوده ثلاث من المؤمنين فارتد أحدهم فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء والصالحين فحينئذ قال مسني الشيطان نزّل لشفقته على المؤمنين مس الشيطان ذلك المؤمن حتى ارتد منزلة مسه لنفسه لان المؤمن الخير يتألم برجوع المؤمن الخير الى الكفر ولذلك جاء بعده اركض برجلك حتى يغتسل ويذهب عنه البلاء فلا يرتد أحد من المؤمنين بسبب طول بلائه ونسويل الشيطان انه تعالى لا يبتلي الانبياء وقيل أشار بقوله مسني الشيطان الى تعريضه لامرأته وطلبه أن تشرك بالله وكأنه تشكى هذا الامر كان عليه أشد من مرضه * وقرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد قيل جمع نصب كوثن ووثن وأبو جعفر وشيبة وأبو عمارة عن حفص والجعفي عن أبي بكر وأبو معاذ عن نافع بضمتين وزيد بن علي والحسن والسدي وابن أبي عبلة ويعقوب والجحدري بفتحتين وأبو حيوة ويعقوب في رواية وهبيرة عن حفص بفتح النون وسكون الصاد * وقال الزمخشري النصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة والعذاب الألم يريد مرضه وما كان يقاسي فيه من أنواع الوصب انتهى * وقال ابن عطية وقد ذكر هذه القراآت وذلك كل بمعنى واحد معناه المشقة وكثيرا ما يستعمل النصب في مشقة الاعياء وفرق بعض الناس بين هذه الالفاظ والصواب انها لغات بمعنى من قولهم أنه بني لأمر ساق عني انتهى * وقال السدي بنصب في الجسد وعذاب في المال وفي الكلام حذف تقديره فاستجبنا له وقلنا اركض برجلك فركض فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك فاغتسل فبرئ ووهبناله ويدل على هذه المحذوفات معنى الكلام وسياقه وتقدم الكلام في

هو الشيطان وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف فحلل الله تعالى يمينه باهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وقرئ عبادنا وعبدنا (أولي الأيدي) لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل هذا انما عملت أيديهم والأبصار عبارة عن البصائر التي يبصرون بها الحقائق وينظرون بنور الله تعالى (إنا أخلصناهم) أي جعلناهم لنا خالصين وقرئ بخالصة بالتنوين وبغير تنوين على الاضافة والدار دار الآخرة

الركض في سورة الأنبياء * وعن قتادة والحسن ومقاتل كان ذلك بأرض الجابية من الشأم ومعنى هذا مغتسل أي ما يغتسل به وشراب أي ما تشرب به فباغتسالك يبرأ ظاهرك وبشربك يبرأ باطنك والظاهر أن المشار اليه كان واحدا والعين التي نبعت له عينان شرب من إحداهما واغتسل من الأخرى * وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل وباليسرى فنبعت باردة فشرب منها وهذا مخالف لظاهر قوله مغتسل بارد فانه يدل على أنه ماء واحد * وقيل أمر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء بجسده * وقال القتبي المغتسل الماء الذي يغتسل به * وقال مقاتل هو الموضع الذي يغتسل فيه * وقال الحسن ركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها ثم مشى نحوا من أربعين دراعا ثم ركض برجله فنبعت عين فشرب منها * قيل والجمهور على أنه ركض ركضتين فنبعت له عينان شرب من احداهما واغتسل من الأخرى والجمهور على انه تعالى أحيا له من مات من أهله وعافى المرضى وجمع عليه من شتت منهم * وقيل رزقه أولادا وذرية قدر ذريته الذين هلكوا ولم يرد أهله الذين هلكوا بأعيانهم وظاهر هذه الهبة أنها في الدنيا * وقيل ذلك وعد وتكون تلك الهبة في الآخرة * وقيل وهبه من كان حيا منهم وعافاه من الأسقام وأرغد لهم العيش فتناسلوا حتى تضاعف عددهم وصار مثلهم * ورحمة وذكرى مفعولان لهما أي ان الهبة كانت لرحمتنا إياه وليتذكر أرباب العقول وما يحصل للصابرين من الخير وما يؤول اليه من الأجر وفي الكلام حذف تقديره وكان حلف ليضربن امرأته مائة ضربة لسبب جرى منها وكانت محسنة له فجعلنا له خلاصا من يمينه بقولنا وخذ بيدك ضغثا * قال ابن عباس الضغث عثكال النخل * وقال مجاهد الأثل وهو نبت له شوك * وقال الضحاك حزمة من الحشيش مختلفة * وقال الأخفش الشجر الرطب واختلفوا في السبب الذي أوجب حلفه ومحصول أقوالهم هو تمثل الشيطان لها في صورة ناصح أو مداو وعرض لها شفاء أيوب على يديه على شرط لا يمكن وقوعه من مؤمن فذكرت ذلك له فعلم أن الذي عرض لها هو الشيطان وغضب لعرضها ذلك عليه فحلف * وقيل غير ذلك من الأسباب وهي متعارضة فحلل الله يمينه بأهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها وقد وقع مثل هذه الرخصة في الاسلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة * وقال بذلك بعض أهل العلم في الايمان قال ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما أطرافها قائمة وإما أعراضها مبسوطة مع وجود صورة الضربة والجمهور على ترك القول في الحدود وأن البر في الايمان لا يقع الا باتمام عدد الضراب ووصف الله تعالى نبيه بالصبر وقد قال مسني الضر فدل على أن الشكوى الى الله تعالى لا تنافي الوصف بالصبر * وقد قال يعقوب انما أشكو بثي وحزني الى الله على أن أيوب عليه السلام طلب الشفاء خيفة على قومه أن يوسوس اليهم الشيطان أنه لو كان نبيا لم يبتل وتألفا لقومه على الطاعة وبلغ أمره في البلاء الى أنه لم يبق منه الا القلب واللسان * ويروى أنه قال في مناجاته إلهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يمنعني ما ملكت يميني ولم آكل إلا ومعي يتيم ولم أبت شبعانا ولا كاسيا ومعي جائع أو عريان فكشف الله عنه * واذكر عبدنا ابراهيم * وقرأ ابن عباس وابن كثير وأهل مكة عبدنا على الافراد وابراهيم بدل منه أو عطف بيان والجمهور على الجمع وما بعده من الثلاثة بدل أو عطف بيان * وقرأ الجمهور أولى الأيدي بالياء * قال ابن عباس ومجاهد القوة في طاعة الله * وقيل احسانهم في الدين وتقدمهم عند الله على عمل صدق فهي

كالأيدي وهو قريب مما قبله * وقيل النعم التي أسداها الله اليهم من النبوة والمكانة * وقيل الأيدي الجوارح المتصرفة في الخير والأبصار الثاقبة فيه * قال الزمخشري لما كانت أكثر الأعمال تباشر بالأيدي غلبت فقيل في كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لايتأتى فيه المباشرة بالأيدي أو كان العمال جذما لا أيدي لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا أولي الأيدي والأبصار يريد أولي الأعمال والفكر كأن الذين لايعملون أعمال الآخرة ولايجاهدون في الله ولايفكرون أفكار ذوي الديانات ولايستبصرون في حكم الزمنى الذين لايقدرون على إعمال جوارحهم والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها انتهى وهو تكثير * وقال أبو عبد الله الرازي اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر والنفس الناطقة لها قوتان عاملة وعالمة فأولي الأيدي والأبصار اشارة الى هاتين الحالتين * وقرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش الأيد بغير ياء فقيل يراد الأيدي حذف الياء اجتزاء بالكسرة عنها ولما كانت أل تعاقب التنوين حذفت الياء معها كما حذفت مع التنوين وهذا تخريج لايسوغ لان حذف هذه الياء مع وجود أل ذكره سيبويه في الضرائر * وقيل الأيدي القوة في طاعة الله والأبصار عبارة عن البصائر التي يبصرون بها الحقائق وينظرون بنور الله تعالى * وقال الزمخشري وتفسير الأيدي من التأييد قلق غير متمكن وانما كان قلقا عنده لعطف الأبصار عليه ولاينبغي أن يعلق لانه فسر أولي الأيدي والأبصار بقوله يريد أولي الأعمال والفكر * وقرئ الأيادي جمع الجمع كأوطف وأواطف * وقرأ أبو جعفر وشيبة والاعرج ونافع وهشام بخالصة بغير تنوين أضيفت الى ذكرى * وقرأ باقي السبعة بالتنوين وذكرى بدل من بخالصة * وقرأ الأعمش وطلحة بخالصتهم وأخلصناهم جعلناهم لنا خالصين وخالصة يحتمل وهو الاظهر أن يكون اسم فاعل عبر به عن مزية أو رتبة أو خصلة خالصة لاشوب فيها ويحتمل أن يكون مصدرا كالعاقبة فيكون قد حذف منه الفاعل أي أخلصناهم بان أخلصوا ذكرى الدار فيكون ذكرى مفعولا أو بان أخلصناهم ذكرى الدار أو يكون الفاعل ذكرى أي بان خلصت لهم ذكرى الدار والدار في كل وجه في موضع نصب بذكرى وذكرى مصدر والدار دار الآخرة * قال قتادة المعنى بان خلص لهم التذكير بالدار الآخرة ودعا الناس اليها وحضهم عليها * وقال مجاهد خلص لهم ذكرهم الدار الآخرة وخوفهم لها والعمل بحسب ذلك * وقال ابن زيد وهبنا لهم أفضل ما في الدار الآخرة وأخلصناهم به وأعطيناهم اياه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يريد بالدار دار الدنيا على معنى ذكر الثناء والتعظيم من الناس والحمد الباقي الذي هو الخلد المجازي فتجيء الآية في معنى قوله لسان صدق وقوله وتركنا عليه في الآخرين انتهى * وحكى الزمخشري هذا الاحتمال قولا فقال وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق انتهى والباء في بخالصة باء السبب أي بسبب هذه الخصلة وبانهم من أهلها ويعضده قراءة بخالصتهم وانهم عندنا لمن المصطفين أي المختارين من بين أبناء جنسهم الاخيار جمع خير وخير كميت وميت وأموات وتقدم الكلام في اليسع في سورة الانعام وذا الكفل في سورة الانبياء وعندنا ظرف معمول لمحذوف دل عليه المصطفين أي وانهم مصطفون عندنا أو معمول للمصطفين وان كان بأل لانهم يتسمحون في الظرف والمجرور ومالاينسمحون

﴿هـذا ذكر﴾ الآية لما كان ماذكر نوعا من أنواع التنزيل قال هذا ذكر كأنه فصل بين ماقبله وما بعده ألا ترى أنه لما ذكر أهل الجنة وأعقبه بذكر أهل النار قال هـذا وان للطاغين وقال الزمخشري جناب معرفة لقوله جنات عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى ولا يتعين ان يكون جنات عدن التي معرفة بالدليل الذي استدل به وهو قوله جناب عدن لانه اعتقد ان التي صفة لجنات عدن ولا يتعين ماذكره اذ يجوز ان يكون التي بدلا من جناب عـدن ألا ترى ان الذي والتي وجوعهما تستعمل استعمال الأسماء فتلي العوامل فلا يلزم ان تكون صفة وأما انتصابها على انها عطف بيان فلا يجوز لأن النحويين في ذلك على مذهبين أحدهما ان ذلك لا يكون الا في المعارف فلا يكون عطف البيان الا تابعا لمعرفة وهو مذهب البصريين والثاني انه يجوز أن يكون في النكرات فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما تكون المعرفة فيـه تابعة لمعرفة وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي وأما تخالفهما في التنكير والتعريف فلم يذهب اليه أحد سوى هذا المصنف وقد أجاز ذلك في قوله تعالى مقام ابراهيم فأعرب ه عطف بيان تابعا لنكرة وهو آيات بينات ومقام ابراهيم معرفة وقد رددنا عليه ذلك في موضعه في آل عمران وأما قـوله وهي مفتحة ضمير الجنات فجمهور النحويين أعربوا الابواب مفعولا لم يسم فاعله مرفوعا بمفتحة وجاء أبو علي فقال اذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضمـير يعود على جناب عدن من الحال ان أعرب مفتحة حال أو من النعت ان أعرب نعتا لجنات عدن فقال في مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى يرتبط الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته والأبواب بدل وقال من أعرب الأبواب مفعولا لم يسم فاعله العائد على الجنات محذوف تقديره الأبواب منها وألزم أبو علي ان البدل في مثل هذا لابد فيـه من الضمير اماملفوظا به أو مقدرا واذا كان الكلام عليه محتاجا الى تقدير واحد كان أولى مما يحتاج الى تقديرين وأما الكوفيون فالرابط عنـدهم هو ال لقيامه مقام الضمير فكأنه قال مفتحة لهم أبوابها وأما قوله وهو بدل الاشتمال فان عني بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وانما هو بدل بعض من كل وان عني الأبواب فقد يصح لأن أبواب الجنات ليست بعضا من الجنات وأما تشبيه ماقدره من قوله مفتحة هي الأبواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه ان الأبواب بدل من ذلك الضمير المستكن كما ان اليد والرجـل بدل من الظاهر الذي هو زيد وقال أبو اسحق وتبعه ابن عطيـة مفتحة نعت لجناب عدن وقال الحوفي مفتحـة حال والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره يدخلونها ﴿أتراب﴾ أي أمثال على سن واحد هذا مبتدأ وحميم خبره وفليذوقوه جملة اعتراض وقرئ وغساق بتخفيف السين وتشديدها فان كانت صفة فتكون مما حذف موصوفها وان كانت اسما ففعال قليل في لأسماء كالفساد وهود كر البوم وقرئ وآخر على الأفراد وأخر على الجمع ﴿من شكله﴾ أي من شكل العذاب ﴿أزواج﴾ أي أصناف والظاهر ان قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسائهم بعضهم لبعض والفوج الجمع الكثير ﴿مقتحم معكم﴾ أي في النار وهم الأتباع ثم دعوا عليهم بقولهم لامرحبا بهم لأن الرئيس اذا رأى الخسيس قد قرن معه في العـذاب ساءه ذلك حيث وقع التساوي في العذاب ولم يكن هو السالم من العذاب واتباعه من العذاب ومرحبا معناه أتيت رحبا وسعة لاضيقا ﴿قالوا﴾ أي الفوج ﴿لامرحبا بكم﴾ ردّ على الرؤساء فدعوا عليهم به ثم ذكروا ان ماوقعوا فيـه من العذاب وصلى النار انما هـو بما ألقيتم اليناوزينتموه من الكفر فكأنكم قدمتم لنا العذاب والصلى ﴿وقالوا مالنا لانرى رجالا﴾ الآية روي ان القائلـين من كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أبو جهـل وأمية بن خلف وأصحاب القليب والذين لم يروهم عمار وصهيب وسلمان

في غيرهما أو على التبيين أي أعني عنـدنا ولا يجوز أن يكون عنـدنا في موضع الخبر ويعني بالعندية المكانة ولمن المصطفين في موضع خبر ثان لوجود اللام لا يجوز أن زيدا قائم لمنطلق ﴿وكل أي وكلهم من الاخيار ﴿ هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الأبواب * متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب * هذا ما توعدون ليوم الحساب * إن هـذا لرزقنا ماله من نفاد * هـذا وان للطاغين لشر مآب * جهنم يصلونها فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق * وآخر من شكله أزواج * هذا فوج مقتحم معكم لامرحبا بهم انهم صالوا النار * قالوا بل أنتم لامرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار * قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار * وقالوا مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار * أتخذناهم سخريا

ومن جرى مجراهم وقرىء أتخذناهم بهمزة الاستفهام لتقرير أنفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف أى اتخذناهم سخريا وقرىء بوصل الهمزة على أنه خبر ثم أضرب بواعن هذا واستفهموا فقالوا بل أزاغت عنهم أبصارنا وهم فيها فنفوا أولا ما يدل على كونهم ليسوا معهم ثم جوزوا أن يكونوا معهم ولكن أبصارهم لم ترهم ﴿ان ذلك﴾ أى التفاوض الذى حكيناه عنهم ﴿لحق﴾ أى ثابت واقع لابد أن يجرى بينهم وتخاصم بدل من لحق ﴿قل انما أنا منذر﴾ أى قل يا محمد انما أنا منذر المشركين عذاب الله وانه لا اله الا الله لا ندله ولا شريك له وهو ﴿الواحد القهار﴾ لكل شئ وانه مالك العالم علوه وسفله ﴿العزيز﴾ الذى لا يغالب ﴿الغفار﴾ لمن تاب وآمن به واتبع دينه

(الدر) (ش) جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها مافى للمتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى (ح) لا يتعين أن تكون جنات عدن معرفة بالدليل الذى استدل به وهو قوله جنات عدن التى لانه اعتقد أن التى صفة لجنات عدن ولا يتعين ماذكره اذ يجوز أن تكون التى بدلا من جنات عدن ألا ترى أن الذى والتى وجوعهما تستعمل استعمال الأسماء (٤٠٤) فتلى العوامل فلا يلزم أن تكون صفة وأما انتصابها على أنها عطف بيان فلا يجوز لأن النحويين فى ذلك على مذهبين أحدهما ان ذلك لا يكون الا فى المعارف فلا يكون عطف البيان الا تابعا للمعرفة وهو مذهب البصريين والثانى أنه يجوز أن يكون فى النكرات فيكون عطف البيان تابعا لنكرة كما تكون المعرفة فيه تابعا للمعرفة وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسى

أم زاغت عنهم الابصار * ان ذلك لحق تخاصم أهل النار * قل انما أنا منذر ومامن إله إلا الله الواحد القهار * رب السموات والأرض ومابينهما العزيز الغفار * لما أمره تعالى بالصبر على سفاهة قومه وذكر جملة من الأنبياء وأحوالهم ذكر مايؤول اليه حال المؤمنين والكافرين من الجزاء ومقر كل واحد من الفريقين ولما كان مايذكره نوعا من أنواع التنزيل قال هذا ذكر كأنه فصل بين ماقبله ومابعده ألا ترى أنه لما ذكر أهل الجنة وأعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقال ابن عباس هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقيل هذا ذكر أى شرف تذكرون به أبدا * وقرأ الجمهور جنات بالنصب وهو بدل فان كان عدن علما فبدل معرفة من نكرة وان كان نكرة فبدل نكرة من نكرة * وقال الزمخشرى جنات عدن معرفة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان بحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها مافى المتقين من معنى الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب لقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال انتهى ولا يتعين أن يكون جنات عدن معرفة بالدليل الذى استدل به وهو قوله جنات عدن التى لانه اعتقد أن التى صفة لجنات عدن ولا يتعين ماذكره إذ يجوز أن تكون التى بدلا من جنات عدن ألا ترى أن الذى والتى وجوعهما تستعمل استعمال الاسماء فتلى

وأما تخالفهما فى التنكير والتعريف فلم يذهب اليه أحد سوى هذا المصنف وقد أجاز ذلك فى قوله مقام ابراهيم فاعربه عطف بيان تابعا لنكرة وهو آيات بينات ومقام ابراهيم معرفة وقد رددنا عليه ذلك فى موضعه فى آل عمران وأما قوله وفى مفتحة ضمير الجنات فجمهور النحويين أعربوا الابواب مفعولا لم يسم فاعله مرفوعا بمفتحة وجاء أبو على فقال اذا كان كذلك لم يكن فى ذلك ضمير يعود على جنات عدن من الحال ان أعرب مفتحة حالا أو من النعت ان أعرب نعتا لجنات عدن فقال فى مفتحة ضمير يعود على الجنات حتى ترتبط الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته والابواب بدل وقال من أعرب الابواب مفعولا لم يسم فاعله العائد على الجنات محذوف تقديره الابواب منها وألزم أبو على البدل فى مثل هذا لا بد فيه من الضمير اما ملفوظا به أو مقدرا واذا كان الكلام محتاجا الى تقدير واحد كان أولى مما يحتاج الى تقديرين وأما الكوفيون فالرابط عندهم هو أل لقيامه مقام الضمير فكأنه قال مفتحة لهم أبوابها وأما قوله وهو من بدل الاشتمال فان عنى بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وانما هو بدل بعض من كل وان عنى الابواب فقد يصح لان أبواب الجنات ليست بعضا من الجنات وأما تشبيهه ماقدره من قوله مفتحة هى الابواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه أن الابواب بدل من ذلك الضمير المستكن كما أن اليد والرجل بدل من الظاهر الذى هو زيد

العوامل ولا يلزم أن تكون صفة وأما انتصابها على أنها عطف بيان فلا يجوز لان النحويين في ذلك
على مذهبين أحدهما أن ذلك لا يكون الا في المعارف فلا يكون عطف البيان الا تابعا لمعرفة وهو
مذهب البصريين والثاني أنه يجوز أن يكون في النكرات فيكون عطف البيان تابعا لنكرة
كما تكون المعرفة فيه تابعة لمعرفة وهذا مذهب الكوفيين وتبعهم الفارسي وأما تخالفهما في
التنكير والتعريف فلم يذهب اليه أحد سوى هذا المصنف وقد أجاز ذلك في قوله مقام ابراهيم
فأعربه عطف بيان تابعا لنكرة وهو آيات بينات ومقام ابراهيم معرفة وقد رددنا عليه ذلك في
موضعه في آل عمران وأما قوله وفي مفتحة ضمير الجنات فجمهور النحويين أعربوا الابواب مفعولا
لم يسم فاعله وجاء أبو علي فقال اذا كان كذلك لم يكن في ذلك ضمير يعود على جنات عدن من
الحالية ان أعرب مفتحة حالا أو من النعت ان أعرب نعتا لجنات عدن فقال في مفتحة ضمير يعود على
الجنات حتى ترتبط الحال بصاحبها أو النعت بمنعوته والابواب بدل * وقال من أعرب الابواب مفعولا
لم يسم فاعله العائد على الجنات محذوف تقديره الابواب منها وألزم أبو علي البدل في مثل هذا لابد
فيه من الضمير إما ملفوظا به أو مقدرا واذا كان الكلام محتاجا الى تقدير واحد كان أولى مما يحتاج
الى تقديرين وأما الكوفيون فالرابط عندهم هو أل لقيامه مقام الضمير فكأنه قال مفتحة لهم أبوابها
وأما قوله وهو من بدل الاشتمال فان عنى بقوله وهو قوله اليد والرجل فهو وهم وانما هو بدل بعض
من كل وان عنى الابواب فقد يصح لان أبواب الجنات ليست بعضا من الجنات وأما تشبيهه ما قدره من
قوله مفتحة هي الابواب بقولهم ضرب زيد اليد والرجل فوجهه أن الابواب بدل من ذلك الضمير
المستكن كما ان اليد والرجل بدل من الظاهر الذي هو زيد * وقال أبو اسحق وتبعه ابن عطية
مفتحة نعت لجنات عدن * وقال الحوفي مفتحة حال والعامل فيها محذوف يدل عليه المعنى تقديره
يدخلونها * وقرأ زيد بن علي وعبد الله بن رفيع وأبو حيوة جنات عدن مفتحة برفع التاءين مبتدأ
وخبرا وكل منهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة والاتكاء من هيآت أهل
السعادة يدعون فيها يدل على أن عندهم من يستخدمونه فيما يستدعون كقوله ويطوف عليهم
ولدان مخلدون ولما كانت الفاكهة يتنوع وصفها بالكثرة وكثرتها باختلاف أنواعها وكثرة كل
نوع منها ولما كان الشراب نوعا واحدا وهو الخمر أفرد وعندهم قاصرات الطرف * قال قتادة معناه
على أزواجهن أتراب أي أمثال على سن واحدة وأصله في بني آدم لكونهم مس أجسادهم التراب
في وقت واحد والاقران أثبت في التحاب والظاهر أن هذا الوصف هو بينهن وقيل بين أزواجهن
أسنانهن كاسنانهم * وقال ابن عباس يريد الآدميات * وقال صاحب الغنيان حور * وقرأ ابن
كثير وأبو عمرو هذا ما يوعدون بياء الغيبة إذ قبله وعندهم وباقي السبعة بتاء الخطاب على الالتفات
والمعنى هذا ما وقع به الوعد ليوم الجزاء * ان هذا أي ما ذكر للمتقين مما تقدم لرزقنا دائما أي لا انفاد له
هذا وان للطاغين لشر مآب * قال الزجاج أي الامر هذا وقال أبو علي هذا للمؤمنين وقال أبو البقاء
مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ أو الطاغون هنا الكفار وقال الجبائي أصحاب الكبائر
كفارا كانوا أو لم يكونوا * وقال ابن عباس المعنى الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مآب أي
مرجع ومصير فبئس المهاد أي هي هذا في موضع رفع مبتدأ خبره جهنم وغساق أو خبر مبتدأ
محذوف أي العذاب هذا وحميم خبر مبتدأ أو في موضع نصب على الاشتغال أي ليذوقوا هذا فليذوقوه
حميم خبر مبتدأ أي هو حميم أو مبتدأ محذوف الخبر أي منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى اذا ما أضاء الصبح فى غلس * وغودر البقل ملوى ومحصود

أي منه ملوى ومنه محصود وهذه الاعاريب مقولة منقولة وقيل هذا مبتدأ وفليذوقوه الخبر وهذا على مذهب الاخفش فى اجازته زيد فاضربه مستدلا بقول الشاعر * وقائلة خولان فانكح فتاتهم * والغساق عن ابن عباس الزمهرير وعنه أيضا وعن عطاء وقتادة وابن زيد ما يجرى من صديد أهل النار وعن كعب عين فى جهنم تسيل اليها حمة كل ذى حمة من حية أو عقرب أو غيرهما يغمس فيها فيتساقط الجلد واللحم عن العظم وعن السدى ما يسيل من دموعهم وعن ابن عمر القيح يسيل منهم فيسقونه * وقرأ ابن أبى اسحق وقتادة وابن وثاب وطلحة وحمزة والكسائى وحفص والفضل وابن سعدان وهارون عن أبى عمرو بتشديد السين فان كان صفة فيكون مما حذف موصوفها وان كان اسما ففعال قليل فى الاسماء جاء منه الكلاء والجبان والفناد والعقار والخطار * وقرأ باقى السبعة بتخفيف السين * وقرأ الجمهور وآخر على الافراد فقيل مبتدأ خبره محذوف تقديره ولهم عذاب آخر وقيل خبره فى الجملة لان قوله أزواج مبتدأ ومن شكله خبره والجملة خبر وآخر وقيل خبره أزواج ومن شكله فى موضع الصفة وجاز أن يخبر بالجمع عن الواحد من حيث هو درجات ورتب من العذاب أو سمى كل جزء من ذلك الآخر باسم الكل وقال الزمخشرى وآخر أي وعذاب آخر أو مذوق آخر وأزواج صفة آخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله انتهى وهو اعراب أخذه من الفراء * وقرأ الحسن ومجاهد والجحدرى وابن جبير وعيسى وأبو عمرو وأخر على الجمع وهو مبتدأ ومن شكله فى موضع الصفة وأزواج خبره أي ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة أزواج أجناس * وقرأ مجاهد من شكله بكسر الشين والجمهور بفتحها وهما لغتان بمعنى المثل والضرب وأما اذا كان بمعنى الغنج فبكسر الشين لاغير وعن ابن مسعود وآخر من شكله هو الزمهرير والظاهر أن قوله هذا فوج مقتحم معكم من قول رؤسائهم بعضهم لبعض والفوج الجمع الكثير مقتحم معكم أي النار وهم الاتباع ثم دعوا عليهم بقولهم لامرحبا بهم لأن الرئيس اذا رأى الخسيس قد قرن معه فى العذاب ساءه ذلك حيث وقع التساوى فى العذاب ولم يكن هو السالم من العذاب واتباعه فى العذاب ومرحبا معناه ائت رحبا وسعة لاضيقا وهو منصوب بفعل يجب اضماره ولأن عاوهم بيان للدعو عليهم وقيل هذا فوج من كلام الملائكة خزنة النار وأن الدعاء على الفوج والتعليل بقوله انهم صالوا النار من كلامهم وقيل هذا فوج مقتحم معكم من كلام الملائكة والدعاء على الفوج والاخبار بانهم صالوا النار من كلام الرؤساء المتبوعين * قالوا أي الفوج لامرحبا بكم رد على الرؤساء ما دعوا به عليهم ثم ذكروا أن ما وقعوا فيه من العذاب وصلى النار انما هو بما ألقيتم الينا وزينتموه من الكفر فكأنكم قدمتم لنا العذاب أو الصلى واذا كان لامرحبا بهم من كلام الخزنة فلم يجىء التركيب قالوا بل هؤلاء لامرحبا بهم بل جاء بخطاب الاتباع للرؤساء لتكون المواجهة لمن كانوا لايقدرون على مواجهتهم فى الدنيا بقبيح أشفى لصدورهم حيث تسببوا فى كفرهم وأنكى للرؤساء فبئس القرار أي النار وهذه المرادة والدعاء كقوله كلما دخلت أمة لعنت أختها ولم يكتف الاتباع برد الدعاء على رؤسائهم ولا بمواجهتهم بقوله أنتم قدمتموه لنا حتى سألوا من الله أن يزيد رؤساءهم ضعفا من النار والمعنى من حملنا على عمل السوء حتى صار جزاؤنا النار فزده عذابا ضعفا كما جاء فى قول الاتباع ربنا آتهم أي ساداتهم ضعفين من العذاب ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار

ولما كان الرؤساء ضلالا فى أنفسهم وأضلوا اتباعهم ناسب أن يدعو عليهم بأن يزيدهم ضعفا كما جاء فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فعلى هذا الضمير فى قوله قالوا للاتباع ومن قدم هم الرؤساء * وقال ابن السائب قالوا ربنا الى آخره قول جميع أهل النار * وقال الضحاك من قدم هو ابليس وقابيل * وقال ابن مسعود الضعف حيات وعقارب * وقالوا أى أشراف الكفار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار أى الارذال الذين لا خير فيهم وليسوا على ديننا كما قال وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا * وروى أن القائلين من كفار عصر الرسول صلى الله عليه وسلم هم أبو جهل وأمية بن خلف وأصحاب القليب والذين لم يروهم عمار وصهيب وسلمان ومن جرى مجراهم قاله مجاهد وغيره قيل يسألون أين عمار أين صهيب أين فلان يعدون ضعفاء المسلمين فيقال لهم أولئك فى الفردوس * وقرأ النحويان وحمزة اتخذناهم وصلا فقال أبو حاتم والزمخشرى وابن عطية صفة لرجال * قال الزمخشرى مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وقال ابن الانبارى حال أى وقد اتخذناهم * وقرأ أبو جعفر والاعرج والحسن وقتادة وباقى السبعة بهمزة الاستفهام لتقرير أنفسهم على هذا على جهة التوبيخ لها والاسف أى اتخذناهم سخريا ولم يكونوا كذلك * وقرأ عبد الله وأصحابه ومجاهد والضحاك وأبو جعفر وشيبة والاعرج ونافع وحمزة والكسائى سخريا بضم السين ومعناها من السخرة والاستخدام * وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى وابن محيصن وباقى السبعة بكسر السين ومعناها المشهور من السخر وهو الهزء * قال الشاعر

انى أتانى لسان لا أسر بها * من علو لا كذب فيها ولا سخر

وقيل بكسر السين من التسخير وأم ان كان اتخذناهم استفهاما امامصرحا بهمزته كقراءة من قرأ كذلك أوموّ ولا بالاستفهام وحذفت الهمزة للدلالة فالظاهر أنها متصلة لتقدم الهمزة والمعنى أى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم ازدراؤهم وتحقيرهم وان أبصارنا كانت تعلوا عنهم وتقتحم ويكون استفهاما على معنى الانكار على أنفسهم للاستسخار والزيغ جميعا * وقال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم وان اتخذناهم ليس استفهاما فأم منقطعة ويجوز أن تكون منقطعة أيضا مع تقدم الاستفهام يكون كقولك أزيد عندك أم عندك عمرو واستفهمت عن زيد ثم أضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو فالتقدير بل أزاغت عنهم الابصار ويجوز أن يكون قولهم أم زاغت عنهم الأبصار له تعلق بقوله مالنا لا نرى رجالا لان الاستفهام أولا دل على انتفاء رؤيتهم اياهم وذلك دليل على أنهم ليسوا معه ثم جوزوا أن يكونوا معه ولكن أبصارهم لم ترهم * ان ذلك أى التفاوض الذى حكيناه عنهم لحق أى ثابت واقع لا بد أن يجرى بينهم * وقرأ الجمهور تخاصم بالرفع مضافا الى أهل * قال ابن عطية بدل من لحق * وقال الزمخشرى بين ما هو فقال تخاصم منونا أهل رفعا بالمصدر المنون ولا يجيز ذلك الفراء ويجيزه سيبويه والبصريون وقرأ ابن أبى عبلة تخاصم أهل بنصب الميم وجر أهل * قال الزمخشرى على أنه صفة لذلك لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس وفى كتاب اللوامح ولو نصب تخاصم أهل النار لجاز على البدل من ذلك وقرأ ابن السميقع تخاصم فعلا ماضيا أهل فاعلا وسمى تعالى تلك المفاوضة التى جرت بين رؤساء الكفار واتباعهم تخاصما لان قولهم لا مرحبا بهم وقول الاتباع بل أنتم لا مرحبا بكم هو من باب الخصومة فسمى التفاوض كله تخاصما لاستعماله عليه * قل يا محمد انما أنا منذر أى منذر المشركين بالعذاب وأن لا إله إلا الله لا ندله ولا شريك وهو الواحد القهار لكل شئ وأنه مالك العالم علوه وسفله

﴿قل هو نبأ عظيم﴾ وهو ماقصه الله تعالى من مناظرة أهل النار ومقاولات الأتباع مع السادات لأنه من أحوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب وهم يعرضون عن ذلك ﴿ما كان لي من علم﴾ أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بان يقول ما كان لي من علم باختصام الملأ الأعلى واختصامهم هو في آدم وذريته في جعلهم في الارض ثم قال ﴿ان يوحى الي﴾ الخ فنفى أن يكون علم ذلك من غير جهة الوحي الالهي ﴿اذ قال ربك للملائكة﴾ تقدم الكلام عليه والبشر هو آدم عليه السلام وذكر هنا أنه خلقه من طين وفي آل عمران من تراب وفي الحجر من صلصال وفي الأنبياء من عجل ولا منافاة ذكر المادة البعيدة وهو التراب ثم ما يليه وهو الطين ثم ما يليه وهو الحمأ المسنون ثم المادة الاخيرة تلي الحمأ وهو الصلصال والاستثناء في جميع هذه الآيات يدل على أنه لم يسجد فتارة أكد بالنفي المحض وتارة ذكر إبايته عن السجود وهي الانفة من ذلك وتارة نص على أن ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار ﴿أم كنت من العالين﴾ أي ممن علوت وفقت فاجاب بأنه من العالين حيث قال أنا خير منه قال ابن عطية وذكر كثير من النحويين أن أم لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك أزيد قام أم عمرو وقولك أقام زيد أم عمرو فاذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة ومعنى الآية أحدث لك الاستكبار الآن أم كنت قديما ممن لا يليق أن يكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى هذا الذي ذكره عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح قال سيبويه وتقول أضربت زيدا أم قتلته فالبدء هنا بالفعل أحسن لانك انما تسأل عن أحدهما لاتدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت أي ذلك كان انتهى فعادل بام الالف مع اختلاف الفعلين ﴿قال فالحق﴾ قرئ بالنصب وبالرفع وهو قسم جوابه لأملأن ﴿والحق أقول﴾ جملة اعتراض بين القسم وجوابه والمعنى وأقول الحق واذا رفعنا فالحق مبتدأ خبره محذوف تقديره فالحق يميني واذا نصبنا فعلى اسقاط حرف الجر تقديره أقسم بالحق قال ابن عطية أما الاول فرفع على الابتداء وخبره في قوله لأملأن لان المعنى أن أملأ انتهى هذا ليس بشيء لأن لأملأن جواب قسم ويجب ان يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وأيضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ماقدر الى المبتدأ حكم أنه خبر عنه ومنهم بدل من من في قوله ممن تبعك وأجمعين تأكيد للتبع والمتبع عليه أي على القرآن ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أي المتصنعين المتحلين بما ليسوا من أهله ﴿ان هو﴾ أي القرآن الاذكر أي من الله تعالى للعالمين الثقلين الانس والجن ﴿ولتعلمن نبأه﴾ أي عاقبة خبره وما ترتب عليه لمن آمن به ومن أعرض عنه ﴿بعد حين﴾ قال ابن عباس هو يوم القيامة

العزيز الذي لايغالب الغفار لذنوب من آمن به واتبع لدينه ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون * ان يوحى الي إلا انما أنا نذير مبين * إذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا ابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين * قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها فانك رجيم * وان عليك لعنتي الى يوم الدين * قال رب فانظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لاغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * إن هو إلا ذكر للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ الضمير في قوله قل هو نبأ يعود على ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من كونه رسولا منذرا داعيا الى الله وأنه تعالى هو المنفرد بالألوهية المتصف بتلك الأوصاف من الوحدانية والقهر وملك العالم وعزته وغفرانه وهو خبر عظيم لايعرض عن مثله إلا غافل شديد الغفلة * وقال ابن عباس النبأ العظيم القرآن * وقال الحسن يوم القيامة * وقيل قصص آدم والانبياء به من غير سماع من أحد * وقال صاحب التحرير سياق الآية وظاهرها انه يريد بقوله قل هو نبأ عظيم ماقصه الله تعالى من مناظرة أهل النار ومقاولة الاتباع مع السادات لانه من أحوال البعث وقريش كانت تنكر البعث والحساب والعقاب وهم عن ذلك معرضون وقوله ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون احتجاج على قريش بان ماجاء به من عند الله لا من قبل نفسه فان من في الأرض ماله علم بمن في السماء إلا باعلام الله تعالى وعلم المغيبات لا يوصل اليه الا

باعلام الله تعالى وعلمه بأحوال أهل النار وابتداء خلق آدم لم يكن عنده علم بذلك فاخباره بذلك هو باعلام الله والاستدلال بقصة آدم لانه أول البشر خلقا وبينه وبين الرسول عليه السلام أزمان متقادمة وقرون سالفة انتهى وفي آخره بعض اختصار ثم احتج بصحة نبوته بان ماينبئ به عن الملأ الأعلى واختصامهم أمر لم يكن له به من علم قط ثم علمه من غير الطريق الذي يسلكه المتعلمون بل ذلك مستفاد من الوحي وبالملأ متعلق بعلم وإذ منصوب به * وقال الزمخشري بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم وإذ قال بدل من إذ يختصمون على الملأ الأعلى وهم الملائكة وأبعد من قال انهم قريش واختصام الملائكة في أمر آدم وذريته في جعلهم في الارض وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها * قال ابن عباس وقال الحسن ان الله خالق خلقا كنا أكرم منه وأعلم * وقيل في الكفارات وغفر الذنوب فان العبد اذا عمل حسنة اختلفت الملائكة في قدر ثوابه في ذلك حتى يقضي الله بما شاء * وفي الحديث قال له ربه في نومه عليه السلام فيم يختصمون فقلت لا أدري فقال في الكفارات وفي اسباغ الوضوء في السرات (٣) ونقل الخطا الى الجماعات * وقال الزمخشري كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فيصح أن التقاول بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول * وقيل الملأ الأعلى الملائكة وإذ يختصمون الضمير فيه للعرب الكافرين فبعضهم يقول هي بنات الله و بعضهم آلهة تعبد وغير ذلك من أقوالهم * ان يوحى الى أي مايوحى الي إلا انما أنا نذير أي للانذار حذف اللام و وصل الفعل والمفعول الذي لم يسم فاعله يجوز أن يكون ضميرا يدل عليه المعنى أي ان يوحى الي هو أي مايوحى إلا الانذار وأقيم الى مقامه و يجوز أن يكون انما هو المفعول الذي لم يسم فاعله أي مايوحى الي إلا الانذار * وقرأ أبو جعفر إلا انما بكسر همزة انما على الحكاية أي مايوحى الي إلا هذه الجملة كأن قيل له أنت نذير مبين فحكى هو المعنى وهذا كما يقول الانسان أنا عالم فيقال له قلت إنك عالم فيحكى المعنى * وقال الزمخشري وقرئ إنما بالكسر على الحكاية أي إلا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين فلا أدعي شيأ آخر انتهى في تخريجه تعارض لانه قال أي إلا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما أنا نذير مبين ثم قال وهو أن أقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل هو أن أقول لكم وأن ومابعده في موضع نصب وعلى قوله إلا هذا القول يكون في موضع رفع فيتعارضا و تقدم أن إذ قال بدل من إذ يختصمون هذا اذا كانت الخصومة في شأن من يستخلف في الارض وعلى غيره من الاقوال يكون منصوبا باذكر ولما كانت قريش خالفوا الرسول عليه السلام بسبب الحسد والكبر ذكر حال ابليس حيث خالف أمر الله بسبب الحسد والكبر وما آل اليه من اللعنة والطرد من رحمة الله ليزدجر عن ذلك من فيه شئ منهما * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف صح أن يقول لهم اني خالق بشرا وماعرفوا ما البشر ولاعهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى والبشر هو آدم عليه السلام وذكر هنا انه خلقه من طين وفي آل عمران خلقه من تراب وفي الحجر من صلصال من حمأ مسنون وفي الانبياء من عجل ولا منافاة في تلك المادة البعيدة وهي التراب ثم مايليه وهو الطين ثم مايليه وهو الحمأ المسنون ثم المادة تلي الحمأ وهو الصلصال وأما من عجل فتقدم تفسيره فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس تقدم الكلام على هذا في الحجر وهنا استكبر وكان من

(الدر)

(ش) وقرئ الا انما بالكسر على الحكاية أي الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعي شيأ آخر انتهى (ح) في تخريجه المذكور تعارض لانه قال الا هذا القول فظاهره الجملة التي هي انما أنا نذير مبين ثم قال وهو أن أقول لكم اني نذير فالمقام مقام الفاعل هو أن أقول لكم وأن ومابعده في موضع نصب وعلى قوله الا هذا القول يكون في موضع رفع فتعارضا ووجهه أنه على الحكاية أي مايوحى الي الا هذه الجملة كأنه قيل له أنت نذير مبين فحكى هو المعنى وهذا كما قال يقول الانسان أنا عالم فيقال له قلت انك عالم فيحكى المعنى والله أعلم

الكافرين وفي البقرة أبى واستكبر وكان من الكافرين وفي الاعراف لم يكن من الساجدين وفي الحجر أبى أن يكون من الساجدين وفي الاسراء قال أأسجد لمن خلقت طينا وفي الكهف كان من الجن ففسق عن أمر ربه والاستثناء في جميع هذه الآيات يدل على انه لم يسجد فتارة أكد بالنفي المحض وتارة ذكر إبايته عن السجود وهي الأنفة من ذلك وتارة نص على أن ذلك الامتناع كان سببه الاستكبار والظاهر أن قوله وكان من الكافرين أن يريد به كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا وعطف على استكبر فقوى ذلك لان الاستكبار عن السجود انما حصل له وقت الأمر ويحتمل أن يكون اخبارا منه بسبق كفره في الأزمنة الماضية في علم الله * قال يا ابليس مامنعك أن تسجد وفي الأعراف مامنعك أن لا تسجد فدل أن تسجد هنا على أن لا في أن لا تسجد زائدة والمعنى أيضا يدل على ذلك لانه لا يستفهم الا عن المانع من السجود وهو استفهام تقرير وتوبيخ وما في لما خلقت استدل بها من يجيز اطلاق ما على آحاد من يعقل وأول بأن ما مصدرية والمصدر يراد به المخلوق لا حقيقة المصدر * وقرأ الجحدري لما بفتح اللام وتشديد الميم خلقت بيدي على الافراد والجمهور على التثنية وقرئ بيدي كقراءة بمصرخي وقال تعالى بما عملت أيدينا بالجمع وكلها عبارة عن القدرة والقوة وعبر باليد إذ كان عند البشر معتادا أن البطش والقوة باليد * وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب الى أن اليد [illegible] قال ابن عطية وهو قول مرغوب عنه * وقرأ الجمهور أستكبرت بهمزة الاستفهام فأم متصلة عادلت الهمزة * قال ابن عطية وذهب كثير من النحويين الى أن أم لا تكون معادلة للألف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك أزيد قام أم عمرو وقولك أقام زيد أم عمرو فاذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة ومعنى الآية أحدث لك الاستكبار الآن أم كنت قديما ممن لا يليق ان تكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى وهذا الذي ذكره عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح * قال سيبويه وتقول أضربت زيدا أم قتلته فالبدء هنا بالفعل أحسن لانك انما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت أي ذلك كان انتهى فعادل بأم الألف مع اختلاف الفعلين من العالين ممن علوت وفقت فأجاب بانه من العالين حيث قال أنا خير منه * وقيل استكبرت الآن أو لم تزل مذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير انتهى وقرأت فرقة منهم ابن كثير وغيره استكبرت بصله الالف وهي قراءة أهل مكة وليست في مشهور ابن كثير فاحتمل أن تكون همزة الاستفهام حذفت لدلالة أم عليها كقوله * بسبع رمين الجمر أم بثمان * واحتمل أن يكون اخبارا خاطبه بذلك على سبيل التقريع وأم تكون منقطعة والمعنى بل أنت من العالين عند نفسك استخفافا به قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تقدم الكلام على ذلك في الاعراف * قال فاخرج منها الى قوله الى يوم الوقت المعلوم تقدم الكلام على مثل ذلك في الحجر الا أن هنا لعنتي وهناك اللعنة أعم ألا ترى الى قوله أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وأما بالاضافة فالعموم في اللعنة أعم واللعنات انما تحصل من جهة أن من عليه لعنة الله كانت عليه لعنة كل لاعن هذا من جهة المعنى وأما باللفظ فيقتضي التخصيص * قال فبعزتك لأغوينهم أقسم ابليس هنا بعزة الله وقال في الاعراف فبما أغويتني لأقعدن وفي الحجر رب بما أغويتني لأزينن وتقدم الكلام عليهما في موضعهما وان من المفسرين من قال ان الباء في بما أغويتني وفي فبما أغويتني ليست باء القسم فان كانت باء لقسم فيكون ذلك في موطنين فهما لأغوينهم وفي الأعراف لاقعدن وفي الحجر لأزينن

(الدر)

(ع) وذهب كثير من النحويين الى أن أم لا تكون معادلة للالف مع اختلاف الفعلين وانما تكون معادلة اذا دخلتا على فعل واحد كقولك أزيد قام أم عمرو وقولك أقام زيد أم عمرو فاذا اختلف الفعلان كهذه الآية فليست معادلة ومعنى الآية أحدث لك الاستكبار الآن أم كنت قديما ممن لا يليق أن يكلف مثل هذا لعلو مكانك وهذا على جهة التوبيخ انتهى (ح) هذا الذي ذكره عن كثير من النحويين مذهب غير صحيح قال سيبويه ويقول أضربت زيدا أم قتلته فالبدء هنا بالقتل أحسن لأنك انما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت أي ذلك كان انتهى فعادل بأم الألف مع اختلاف الفعلين

وقرأ الجمهور فالحق والحق بنصبهما أما الأول فمقسم به حذف منه الحرف كقوله أمانة الله لأقومن والمقسم عليه لأملأن والحق أقول اعتراض بين القسم وجوابه * قال الزمخشري ومعناه ولا أقول الا الحق انتهى لان عنده تقدم المفعول يفيد الحصر والحق المقسم به اما اسمه تعالى الذي في قوله ان الله هو الحق المبين أو الذي هو نقيض الباطل وقيل فالحق منصوب على الاغراء أي فالزموا الحق ولأملأن جواب قسم محذوف * وقال الفراء هو على معنى قولك حقا لا شك ووجود الألف واللام وطرحهما سواء أي لأملأن جهنم حقا انتهى وهذا المصدر الجائي توكيد المضمون الجملة لا يجوز تقديمه عند جمهور النحاة وذلك مخصوص بالجملة التي جزآها معرفتان جامدتان جودا محضا * وقال صاحب البسيط وقد يجوز أن يكون الخبر نكرة وقل والمبتدأ يكون ضميرا نحو هو زيد معروفا وهو الحق بينا وأنا الأمير مفتخرا ويكون ظاهرا كقولك زيد أبوك عطوفا وأخوك زيد معروفا انتهى * وقالت العرب زيد قائم غير ذي شك فجاءت الحال بعد جملة والخبر نكرة وهي حال مؤكدة لمضمون الجملة وكأن الفراء لم يشترط هذا الذي ذكره أصحابنا من كون المبتدأ والخبر معرفين جامدين لانه لا فرق بين تأكيد مضمون الجملة الابتدائية وبين تأكيد الجملة الفعلية وقيل التقدير فالحق الحق أي افعله * وقرأ ابن عباس ومجاهد والاعمش بالرفع فيهما فالأول مبتدأ خبره محذوف قيل تقديره فالحق أنا وقيل فالحق مني وقيل تقديره فالحق قسمي وحذف كما حذف في لعمرك لأقومن وفي يمين الله أبرح قاعدا أي لعمرك قسمي و يمين الله قسمي وهذه الجملة هي جملة القسم وجوابه لأملأن وأما والحق أقول فمبتدأ أيضا خبره الجملة وحذف العائد كقراءة ابن عباس وكلا وعد الله الحسنى * وقال ابن عطية أما الأول فرفع على الابتداء وخبره في قوله لأملأن لأن المعنى أن أملأ انتهى وهذا ليس بشئ لأن لأملأن جواب قسم و يجب أن يكون جملة فلا يتقدر بمفرد وأيضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الى المبتدأ حكم انه خبر عنه * وقرأ الحسن وعيسى وعبد الرحمن بن أبي حماد عن أبي بكر بجرهم و يخرج على أن الأول مجرور بواو القسم محذوفة تقديره فوالحق والحق معطوف عليه كما تقول والله والله لاقومن وأقول اعتراض بين القسم وجوابه وقال الزمخشري والحق أقول أي ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتسديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع وهو وجه دقيق حسن انتهى وملخصه انه أعمل القول في لفظ المقسم به على سبيل الحكاية نصبا أو رفعا أو جرا * وقرأ مجاهد والأعمش بخلاف عنهما وابان بن تغلب وطلحة في رواية وحمزة وعاصم عن المفضل وخلف والعبسي برفع فالحق ونصب والحق وتقدم اعرابهما والظاهر أن قوله أجمعين تأكيد للمحدث عنه والمعطوف عليه وهو ضمير ابليس ومن عطف عليه أي منك ومن تابعيك أجمعين وأجاز الزمخشري أن يكون أجمعين تأكيد الضمير الذي في منهم مقدر لأملأن جهنم من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم انتهى والضمير في عليه عائد على القرآن قاله ابن عباس وقيل عائد على الوحي وقيل على الدعاء الى الله * وما أنا من المتكلفين أي المتصنعين المتحلين بما ليسوا من أهله فانتحل النبوة والقول على الله * إن هو أي القرآن الا ذكر أي من الله للعالمين الثقلين الانس والجن * ولتعلمن نبأه أي عاقبة خبره لمن آمن به ومن أعرض عنه بعد حين قال ابن عباس وعكرمة وابن زيد يعني يوم القيامة * وقال قتادة والفراء والزجاج بعد الموت وكان الحسن يقول يا ابن آدم عند الموت

(الدر)

(ع) أما الاول فرفع على الابتداء وخبره في قوله لاملأن لأن المعنى أن أملأ انتهى (ح) هذا ليس بشئ لان لاملأن جواب قسم و يجب أن يكون جملة فلا تتقدر بمفرد وأيضا ليس مصدرا مقدرا بحرف مصدري والفعل حتى ينحل اليهما ولكنه لما صح له اسناد ما قدر الى المبتدأ حكم أنه خبر عنه (ش) والحق أقول أي ولا أقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتسديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع وهو وجه دقيق حسن انتهى (ح) ملخصه أنه أعمل القول في لفظ المقسم به على سبيل الحكاية ان رفعا أو نصبا أو جرا

يأتيك الخبر اليقين وقيل المعنى ليظهرن لكم حقيقة ما أقول بعد حين أى فى المستأنف اذا أخذتكم سيوف المسلمين وذلك يوم بدر وأشار الى ذلك السدى

﴿ سورة الزمر خمس وسبعون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون * إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار * لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار * خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون * إن تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور * واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار * أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب * قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون * والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب * أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار * لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد * ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب * أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين * الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد * أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون * كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون * قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم

﴿سورة الزمر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ هذه السورة مكية الاقوله الله نزل أحسن الحديث وقل ياعبادى قاله ابن عباس ﴿والذين اتخذوا﴾ مبتدأ وهم المشركون والخبر محذوف وهو قالوا المحكى به قوله مانعبدهم أى والمشركون المتخذون من دون الله أولياء قالوا مانعبد تلك الأولياء الاليقربونا الى الله زلفى ﴿ان الله لايهدى من هو كاذب﴾ فى دعواه أن لله تعالى شريكا ﴿كفار﴾ لأنعم الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لايهدى من ختم عليه بالموافاة على الكفر فهو عام والمعنى على الخصوص فكم قدهدى من سبق منه الكذب والكفر ولما كان من كذبهم دعوى بعضهم أن الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله ﴿لوأراد الله أن يتخذ ولدا﴾ تشريفا له وتبنيا اذ يستحيل ذلك أن يكون ذلك فى حقه تعالى بالتوالد المعروف ﴿لاصطفى﴾ أى اختار من مخلوقاته ﴿مايشاء﴾ ولدا على سبيل التبنى ولكنه تعالى لم يشأ ذلك لقوله وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا وهو عام فى اتخاذ النسل واتخاذ الاصطفاء ويدل على أن الاتخاذ هو التبنى والاصطفاء قوله مما يخلق أى من الخلائق التى أنشأها واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا فقال ﴿سبحانه﴾ ثم وصف نفسه

يتقون * ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون * إنك ميت وانهم ميتون * ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ * التكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها * خوله النعمة أى أعطاه ابتداء من غير مجازاة ولايقال فى الجزاء خول * قال زهير

* هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * ويروى يستخبلوا المال يخبلوا * وقال أبو النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

* هاج الزرع ثار من منابته وقيل يبس * الحطام الفتات بعد يبسه * القشعريرة تقبض الجلد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف * الشكاسة سوء الخلق وعسره * ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين * ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون * ان الله لايهدى من هو كاذب كفار * لوأراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار * خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار * خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لاإله إلا هو فأنى تصرفون * ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولاتزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون * انه عليم

بالوحدانية وبالقهر وهما الصفتان الدالتان على انفراده بالالوهية والقهر لجميع العالم كلهم ﴿يكور الليل على النهار﴾ يطوى كلا منهما على الآخر فكان الآخر صار عليه جزء منه ووصف الانعام بالانزال مجاز والانعام الابل والبقر والضان والمعز ﴿ثمانية أزواج﴾ لان من كل منها ذكرا وأنثى والزوج ما كان معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى ومعنى خلقا رتبها خلقا من بعد خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة ﴿ذلكم﴾ اشارة الى المتصف بتلك الاوصاف السابقة من خلق السموات والارض ومابعد ذلك من الأفعال ﴿فانى تصرفون﴾ أى كيف تعدلون عن عبادته الى عبادة غيره ﴿ان تكفروا﴾ قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم وعباده هم المؤمنون ويؤيده قبل فانى تصرفون وهذا للكفار فجاء ان تكفروا خطابا لهم ﴿فان الله غنى عنكم﴾ وعن عبادتكم اذ لايرجع اليه تعالى منفعة بكم ولا بعبادتكم اذ هو الغنى المطلق وقال الزمخشرى ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى مانفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وماأراد الا عباده الذين عناهم فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون انتهى فسمى عبد الله بن عباس ترجمان القرآن وأعلام أهل السنة بعض الغواة وأطلق عليهم اسم الظالمين وذلك من سفهه وجرأته كما قلت فى القصيدة التى ذكرت فيها مايتقد عليه

ويشتم أعلام الأئمة ضلة * ولاسيما ان أولجوه المضايقا

﴿وان تشكروا يرضه لكم﴾ قال ابن عباس يضاعف

بذات الصدور * هذه السورة مكية وعن ابن عباس الا الله نزل أحسن الحديث وقل ياعبادى الذين أسرفوا * وعن مقاتل الا آيتين قل ياعبادى الذين أسرفوا وقوله ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة * وعن بعض السلف الا ياعبادى الذين أسرفوا الى قوله يشعرون ثلاث آيات * وعن بعضهم الاسبع آيات من قوله ياعبادى الذين أسرفوا * ومناسبتها لآخر ماقبلها أنه ختم السورة المتقدمة بقوله إن هو إلا ذكر للعالمين وبدأ هنا تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * وقال الفراء والزجاج تنزيل مبتدأ ومن الله الخبر أو خبر مبتدا محذوف أى هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل وأقول انه خبر والمبتدأ هو ليعود على قوله ان هو إلا ذكر للعالمين كأنه قيل وهذا الذكر ماهو فقيل هو تنزيل الكتاب * وقال الزمخشرى أو غير صلة يعنى من الله كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان وهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من تنزيل عمل فيها معنى الاشارة انتهى ولايجوز أن يكون حالا عمل فيها معنى الاشارة لان معانى الأفعال لاتعمل اذا كان ماهى فيه محذوفا ولذلك ردوا على أبى العباس قوله فى بيت الفرزدق * واذ ماءثلهم بشر * أن مثلهم منصوب بالخبر المحذوف وهو مقدر أى وان مافى الوجود فى حال مماثلتهم بشر والكتاب يظهر انه القرآن وكرر فى قوله انا أنزلنا اليك الكتاب على جهة التفخيم والتعظيم وكونه فى جملة غير السابقة ملحوظا فيه اسناده الى ضمير العظمة وتشريف من أنزل اليه بالخطاب وتخصيصه بالحق * وقرأ ابن أبى عبلة وزيد ابن على وعيسى تنزيل بالنصب أى اقرأ والزم * وقال ابن عطية قال المفسرون فى تنزيل الكتاب هو القرآن ويظهر لى انه اسم عام لجميع مانزل من عند الله من الكتب وكأنه أخبر إخبارا مجردا أن الكتب الهادية الشارعة انما تنزيلها من الله وجعل هذا الاخبار تقدمة وتوطئة لقوله انا أنزلنا اليك الكتاب والعزيز فى قدرته الحكيم فى ابتداعه والكتاب الثانى هو القرآن لايحتمل غير ذلك * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الأول انه القرآن وعلى الثانى انه السورة انتهى وبالحق فى موضع الحال أى ملتبسا بالحق وهو الصدق الثابت فيما أودعناه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد والتكاليف فهذا كله حق وصدق يجب اعتقاده والعمل به أو يكون بالحق بالدليل على انه من عند الله وهو عجز الفصحاء عن معارضته * وقال ابن عطية أى متضمنا الحق فيه وفى أحكامه وفى أخباره أو بمعنى الاستحقاق وشمول المنفعة للعالم فى هدايتهم ودعوتهم الى الله انتهى ملخصا * ولما امتن تعالى على رسوله بانزال الكتاب عليه بالحق وكان الحق اخلاص العبادة لله أمره تعالى بعبادته فقال فاعبد الله وكأن هذا الأمر ناشئ عن انزال الكتاب فالفاء فيه للربط كما تقول أحسن اليك زيد فاشكره مخلصا أى ممحضا له الدين من الشرك والرياء وسائر مايفسده * وقرأ الجمهور الدين بالنصب * وقرأ ابن أبى عبلة بالرفع فاعلا بمخلصا والراجع لذى الحال محذوف على رأى البصريين أى الدين منك أو يكون أل عوضا من الضمير أى دينك * وقال الزمخشرى وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد إلا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبر فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين أى لله الدين الخالص انتهى وقد قدمنا تخريجه على أنه فاعل بمخلصا وقدرنا مايربط الحال بصاحبها وممن ذهب الى أن له

لسكر وكأنه يريد ثواب الشكر وقرئ يرضه بصلة الهاء بواو وباختلاس الحركة وباسكان الهاء قال أبو حاتم السكون غلط لايجوز انتهى وليس بغلط بل ذلك لغة لبنى كلاب وبنى عقيل

(الدر)

* سورة الزمر *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قرأ ابن أبى عبلة مخلصا له الدين (ش) وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبر فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص انتهى (ح) وجهه أن يكون فاعلا بمخلصا والراجع لذى الحال محذوف على رأى البصريين أى الدين منك أو تكون أل عوضا من الضمير أى دينك وممن ذهب الى أن له الدين مستأنف مبتدأ وخبر الفراء

الدين مستأنف مبتدأ وخبر الفراء ألالله الدين الخالص أى من كل شائبة وكدر فهو الذى يجب أن تخلص له الطاعة لاطلاعه على الغيوب والاسرار وخلوص نعمته على عباده من غير استجرار منفعة منهم ﴿ قال الحسن الدين الخالص الاسلام وقال قتادة شهادة أن لا إله إلا الله والذين اتخذوا مبتدأ والظاهر أنهم المشركون واحتمل أن يكون الخبر قال المحذوف المحكى به قوله مانعبدهم أى والمشركون المتخذون من دون الله أولياء قالوا مانعبد تلك الأولياء الاليقربونا الى الله زلفى واحتمل أن يكون الخبر ان الله يحكم بينهم وذلك القول المحذوف فى موضع الحال أى اتخذوهم قائلين مانعبدهم وأجاز الزمخشرى أن يكون الخبر ان الله يحكم وقالوا المحذوفة بدل من اتخذوا صلة الذين فلا يكون له موضع من الاعراب وكأنه من بدل الاشتمال وفى مصحف عبد الله قالوا مانعبدهم وبه قرأ هو وابن عباس ومجاهد وابن جبير وأجاز الزمخشرى أن يكون والذين اتخذوا يعنى المتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى ونحوهم والضمير فى اتخذوا عائد على الموصول محذوف تقديره والذين اتخذهم المشركون أولياء وأولياء مفعول بان وهذا الذى أجازه خلاف الظاهر وهذه المقالة شائعة فى العرب فقال ذلك ناس منهم فى الملائكة وناس فى الأصنام والأوثان ﴿ قال مجاهد وقد قال ذلك قوم من اليهود فى عزير وقوم من النصارى فى المسيح وقرئ مانعبدهم بضم النون اتباعا لحركة الباء ان الله يحكم بينهم اقتصر فى الرد على مجرد التهديد والظاهر أن الضمير فى بينهم عائد على المتخذين والمتخذين والحكم بينهم هو بادخال الملائكة وعيسى عليه السلام الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة والخشب التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم أن من عبدوه كالملائكة وعيسى كانوا متبرئين منهم لاعنين لهم موحدين لله وقيل الضمير فى بينهم عائد على المشركين والمؤمنين اذ كانوا ياومونهم على عبادة الأصنام فيقولون مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والحكم اذ ذاك هو فى يوم القيامة بين الفريقين ﴿ إن الله لايهدى من هو كاذب كفار كاذب فى دعواه أن لله شريكا كفار لانعم الله حيث جعل مكان الشكر الكفر والمعنى لايهدى من ختم عليه بالموافاة على الكفر فهو عام والمعنى على الخصوص فكم قد هدى من سبق منه الكذب والكفر ﴿ قال ابن عطية لايهدى الكاذب الكافر فى حال كذبه وكفره ﴿ وقال الزمخشرى المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بان لا لطف لهم وأنهم فى علم الله من الهالكين انتهى وهو على طريق الاعتزال ﴿ وقرأ أنس بن مالك والجحدرى والحسن والأعرج وابن يعمر كذاب كفار ﴿ وقرأ زيد بن على كذوب وكفور ولما كان من كذبهم دعوى بعضهم أن الملائكة بنات الله وعبدوها عقبه بقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا تشريفا له وتبنيا اذ يستحيل أن يكون ذلك فى حقه تعالى بالتوالد المعروف لاصطفى أى اختار من مخلوقاته مايشاء ولدا على سبيل التبنى ولكنه تعالى لم يشأ ذلك لقوله وماينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا وهو عام فى اتخاد النسل واتخاد الاصطفاء ويدل على أن الاتخاد هو التبنى والاصطفاء قوله مما يخلق أى من التى أنشأها واخترعها ثم نزه تعالى نفسه تنزيها مطلقا فقال سبحانه ثم وصف نفسه بالوحدانية والقهر لجميع العالم ﴿ وقال الزمخشرى يعنى لو أراد اتخاد الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفى من خلقه بعضهم ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم احتصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقة المخالفه لحقائق الأجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاد الولد لم يزد على مافعل من اصطفاء ماشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم

أصطفاهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم بجعلة وهم بنات وكنتم كذابين كفارين مبالغين في الافتراء على الله وملائكته انتهى والذي يدل عليه تركيب لو وجوابها أنه كان يترتب اصطفاء الولد مما يخلق على تقدير اتخاذه لكنه لم يتخذه فلا يصطفيه وأما ما ذكره الزمخشري من قوله يعني لو أراد الى آخره وقوله بعد كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ماشاء من خلقه وهم الملائكة فليس مفهوما من قوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما شاء ولما نزه تعالى نفسه و وصف ذاته بالوحدة والقهر ذكر ما دل على ذلك من اختراع العالم العلوي والسفلي بالحق وتكوير الليل والنهار وتسخير النيرين وجريهما على نظام واحد واتساق أمرهما على ما أراد الى أجل مسمى وهو يوم القيامة حيث تخرب بنية هذا العالم فيزول جريهما أو الى وقت مغيبهما كل يوم وليلة أو وقت قوايسها كل شهر والتكوير تطويل منهما على الآخر فكان الآخر صار عليه جزء منه * قال ابن عباس يحمل الليل على النهار وقال الضحاك يدخل الزيادة في أحدهما بالنقصان من الآخر وقال أبو عبيدة يدخل هذا على هذا * وقال الزمخشري وفيه أوجه منها أن الليل والنهار خلفه يذهب هذا و يغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف على اللابس اللباس ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه في تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض انتهى * ألا هو العزيز الغفار العزيز الذي لا يغالب الغفار لمن تاب أو الحليم الذي لا يعجل سمى الحلم غفرا مجاز ولما ذكر ما دل على وحدانيته وقهره ذكر الانسان وهو الذي كلف بأعباء التكاليف فذكر أنه أوجده من نفس واحدة وهي آدم عليه السلام وذلك أن حواء على ما روى خلقت من آدم فقد صار خلقنا من نفس واحدة لوساطة حواء وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء فعلى هذا كان خلقنا من آدم بغير واسطة وجاءت على هذا القول على وضعها ثم المهلة في الزمان وعلى القول الأول ظهر أن خلق حواء كان بعد خلقنا وليس كذلك فثم جاءت للترتيب في الأخبار كأنه قيل ثم كان من أمره قبل ذلك أن جعل منها زوجها فليس الترتيب في زمان الجعل وقيل ثم معطوف على الصفة التي هي واحدة أي من نفس وحدت أي انفردت * ثم جعل قال الزمخشري (فان قلت) ما وجه قوله تعالى ثم جعل منها زوجها وما تعطيه من معنى التراخي (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التي عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا أن احداهما جعلها الله عادة مستمرة والأخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل في كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الأولى للدلالة على مباينتها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا من التراخي في الوجود انتهى وثم جعل منها زوجها فقد تقدم الكلام على هذا الجعل في أول سورة النساء ووصف لا يعد ولا يزال مجازا لأن قضاياه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن يكون وما لعيشها النبات والنبات ناشئ عن المطر والمطر نازل من السماء فكأنه تعالى أنزلها فيكون مثل قول الشاعر

* أسنمة الآبال في ربابه * أي في سحابه وقال آخر * صار الثريد في رؤس العيدان *

وقيل خلقها في الجنة ثم أنزلها فعلى هذا يكون انزال أصولها حقيقة والانعام الابل والبقر والضأن

والمعز ثمانية أزواج لان كلا منها ذكر وأنثى والزوج ما كان معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد ووتر وقال تعالى نخلق منه الزوجين الذكر والأنثى * قال ابن زيد خلقا من بعد خلق آخر من ظهر آدم وظهور الآباء * وقال عكرمة ومجاهد والسدى رتبا خلقا من بعد خلق على المضغة والعلقة وغير ذلك وأخذه الزمخشرى فقال حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف انتهى * وقرأ عيسى وطلحة يخلقكم بادغام القاف فى الكاف والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن * ذلكم اشارة الى المتصف بتلك الأوصاف السابقة من خلق السموات ومابعد ذلك من الافعال * فأنى تصرفون أى كيف تعدلون عن عبادته الى عبادة غيره * ان تكفروا قال ابن عباس خطاب للكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم وعباده هم المؤمنون ويؤيده قوله قبله فأنى تصرفون وهذا للكفار لجاء ان تكفروا خطابا لهم فان الله غنى عنكم وعن عبادتكم إذ لا يرجع اليه تعالى منفعة بكم ولا بعبادتكم اذ هو الغنى المطلق * قال ابن عطية ويحتمل أن يكون مخاطبا لجميع الناس لانه تعالى غنى عن جميعهم وهم فقراء اليه انتهى ولفظ عباده عام فقيل المراد الخصوص وهم الملائكة ومؤمنو الانس والجن والرضا بمعنى الارادة فعلى هذا هى صفة ذات وقيل المراد العموم كما دل عليه اللفظ والرضا مغاير للارادة عبر به عن الشكر والاثابة أى لا يشكره لهم دينا ولا يثيبهم به خيرا فالرضا على هذا صفة فعل بمعنى القبول والاثابة * قال ابن عطية وتأمل الارادة فان حقيقتها انما هى فيما لم يقع بعد والرضا حقيقته انما هو فيما قد وقع واعتبر هذا فى آيات القرآن تجده وان كانت العرب قد تستعمل فى أشعارهم على جهة التجوز هذا بدل هذا * وقال الزمخشرى ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد الا عباده الذين عناهم فى قولهم إن عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد المعصومين لقوله عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون انتهى فسمى عبد الله بن عباس ترجمان القرآن واعلام أهل السنة بعض الغواة وأطلق عليهم اسم الظالمين وذلك من سفهه وجرأته كما قلت فى قصيدتى التى ذكرت فيها ما ينتقد عليه

ويشتم أعلام الأئمة ضلة * ولاسيما ان أولجوه المضايقا

وان تشكروا يرضه لكم * قال ابن عباس يضاعف لكم وكأنه يريد ثواب الشكر وقيل يقبله منكم * قال صاحب التحرير قوة الكلام تدل على أن معنى تشكروا تؤمنوا حتى يصير بازاء الكفر والله تعالى قد سمى الأعمال الصالحة والطاعات شكرا فى قوله اعملوا آل داود شكرا انتهى وتقدم الكلام على هذه الآية فى سبأ * وقرأ النحويان وابن كثير يرضه بوصل ضمة الهاء بواو وابن عامر وحفص بضمة فقط وأبو بكر بسكون الهاء قال أبو حاتم وهو غلط لا يجوز انتهى وليس بغلط بل ذلك لغة لبنى كلاب وبنى عقيل وقوله ولا تزر الى بذات الصدور تقدم الكلام عليه * واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب * قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض

﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه﴾ الآية الظاهر أن الانسان هنا جنس الكافر وقيل معين كعتبة بن ربيعة نسى أى ترك والظاهر ان ما بمعنى الذى أى نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله أندادا أى أمثالا يضاد بعضها بعضا ويعارض قل تمتع أتى بصيغة الامر فقال تمتع بكفرك أى تلذذ به واصنع ماشئت قليلا أى عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله تعالى انك من أصحاب النار أى من سكانها المخلدين فيها ولما شرح تعالى شيأ من أحوال الضالين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحدين فقال ﴿أمن هو قانت﴾ والقانت المطيع والظاهر ان الهمزة لاستفهام التقرير ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله تمتع بكفرك ويدل عليه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ومن حذف المقابل قول الشاعر

دعانى اليها القلب انى لأمرها
سميع فما أدرى أرشد طلابها

تقديره ام غى ﴿قل ياعباد﴾ روى أنها

نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة الى

الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب * قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين * قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين * لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون * الظاهر أن الانسان هنا جنس الكافر وقيل معين كعتبة بن ربيعة ويدخل في الضر جميع المكاره في جسم أو أهل أو مال دعا ربه استجار به وناداه ولم يؤمل في كشف الضر سواه منيبا اليه أي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك * ثم اذا خوله أناله وأعطاه بعد كشف ذلك الضر عنه وحقيقة خوله أن يكون من قولهم هو خائل مال اذا كان متعهدا حسن القيام عليه أو من خال يخول اذا اختال وافتخر وتقول العرب * ان الغنى طويل الذيل مياس * نسي ما كان يدعو أي ترك والظاهر ان ما بمعنى الذي أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل ما بمعنى من أي نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل في كشف ضره وقيل ما مصدرية أي نسي كونه يدعو وقيل تم الكلام عند قوله نسي أي نسي ما كان فيه من الضر وما نافية نفي أن يكون دعاء هذا الكافر خالصا لله مقصورا من قبل الضرر وعلى الأقوال السابقة من قبل أي من قبل تخويل النعمة وهو زمان الضرر * وجعل لله أندادا أي أمثالا يضاد بعضها بعضا ويعارض * قال قتادة أي من الرجال يطيعونهم في المعصية وقال غيره أوثانا وهذا من سخف عقولهم حين مس الضر دعوا الله ولم يلتجئوا في كشفه الا اليه وحين كشف ذلك وخول النعمة أشركوا به فاللام لام العلة وقيل لام العاقبة * وقرأ الجمهور ليضل بضم الياء أي ما اكتفى بضلال نفسه حتى جعل غيره يضل * وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعيسى بفتحها ثم أتى بصيغة الأمر فقال تمتع بكفرك قليلا أي تلذذ واصنع ما شئت قليلا أي عمرا قليلا والخطاب للكافر جاعل الانداد لله * إنك من أصحاب النار أي من سكانها المخلدين فيها * وقال الزمخشري وقوله تمتع بكفرك أي من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له إذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى متاع قليل ثم مأواهم جهنم انتهى ولما شرح تعالى شيأ من أحوال الظالمين الضالين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحدين فقال أمن هو قانت * وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والأعمش وعيسى وشيبة والحسن في رواية أمن بتخفيف الميم والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير ومقابله محذوف لفهم المعنى والتقدير أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله قل تمتع بكفرك ويدل عليه قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون * ومن حذف المقابل قول الشاعر

دعاني اليها القلب إني لأمرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

تقديره أم غي * وقال الفراء الهمزة للنداء كأنه قيل يا من هو قانت ويكون قوله قل خطابا له وهذا القول أجنبي مما قبله وما بعده وضعف هذا القول أبو علي الفارسي ولا التفات لتضعيف الأخفش وأبي حاتم هذه القراءة وقرأ باقي السبعة والحسن وقتادة والاعرج وأبو جعفر أمن بتشديد الميم وهي أم أدغمت ميمها في ميم من فاحتملت أم أن تكون متصلة ومعادلها محذوف قبلها تقديره أهذا الكافر خير أم من هو قانت * قال معناه الأخفش ويحتاج مثل هذا التقدير

أرض الحبشة وعدهم تعالى فقال للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة والظاهر تعلق في هذه بأحسنوا وأن المحسنين في الدنيا لهم في الآخرة حسنة أي حسنة عظيمة وهي الجنة والصفة محذوفة يدل عليها المعنى لأن من أحسن في الدنيا لا يوعد أن يكون له في الآخرة مطلق حسنة ثم حض على الهجرة فقال ﴿وأرض الله واسعة﴾ أي لا عذر للمفرطين ألبتة حتى ان اعتلوا بأوطانهم وانهم لا يتمكنون فيها من أعمال الطاعات قيل لهم ان بلاد الله كثيرة واسعة فتحولوا الى الأماكن التي يمكنكم فيها الطاعات ﴿فاعبدوا ما شئتم﴾ صيغة أمر على جهة التهديد كقوله تعالى قل تمتع بكفرك ﴿قل إن الخاسرين﴾ أي هم ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ حيث صاروا من أهل النار ﴿وأهليهم﴾ حيث كانوا معهم في النار ولما ذكر خسرانهم أنفسهم وأهليهم ذكر حالهم في جهنم وانهم من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل فيظهر أن النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم وسمى ما تحتهم ظللا لمقابلة ما فوقهم كما قال تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم والاشارة بذلك الى العذاب أي ذلك العذاب يخوف الله به عباده ليعلموا ما يخلصهم منه ثم ناداهم وأمرهم فقال يا عباد فاتقون أي اتقوا عذابي

الى سماع من العرب وهو أن يحذف المعادل الأول واحتملت أم أن تكون منقطعة تتقدر ببل والهمزة والتقدير بل أم من هو قانت صفته كذا كمن ليس كذلك * وقال النحاس أم بمعنى بل ومن بمعنى الذى والتقدير بل الذى هو قانت أفضل ممن ذكر قبله انتهى ولا فضل لمن قبله حتى يجعل هذا أفضل بل يقدر الخبر من أصحاب الجنة يدل عليه مقابله إنك من أصحاب النار والقانت المطيع قاله ابن عباس وتقدم الكلام فى القنوت فى البقرة وقرأ الجهور ساجدا وقائما بالنصب على الحال والضحاك برفعهما إما على النعت لقانت واما على انه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين * يحذر الآخرة أى عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه أى حصولها وقيل نعيم الجنة وهذا المتصف بالقنوت الى سائر الأوصاف قال مقاتل عمار وصهيب وابن مسعود وأبوذر * وقال ابن عمر عثمان * وقال ابن عباس فى رواية الضحاك ابو بكر وعمر * وقال يحيى بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر أنه من اتصف بهذه الأوصاف من غير تعيين وفى الآية دليل على فضل قيام الليل وانه أرجح من قيام النهار ولما ذكر العمل ذكر العلم فقال قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فدل أن كمال الانسان محصور فى هذين المقصودين فكما لا يستوى هذان كذلك لا يستوى المطيع والعاصى والمراد بالعلم هنا ما أدى الى معرفة الله ونجاة العبد من سخطه * وقرأ يذكر بادغام تاء يتذكر فى الذال قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم * وروى انها نزلت فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه حين عزموا على الهجرة الى أرض الحبشة ووعدهم تعالى فقال للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة والظاهر تعلق فى هذه بأحسنوا وان المحسنين فى الدنيا لهم فى الآخرة حسنة أى حسنة عظيمة وهى الجنة قاله مقاتل والصفة محذوفة يدل عليها المعنى لان من أحسن فى الدنيا لا يوعد أن يكون له فى الآخرة مطلق حسنة * وقال السدى فى هذه من تمام حسنة أى ولو تأخر لكان صفة أى الذين يحسنون لهم حسنة كائنة فى الدنيا فلما تقدم انتصب على الحال والحسنة التى لهم فى الدنيا هى العافية والظهور وولاية الله تعالى ثم حض على الهجرة فقال وأرض الله واسعة كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أى لا عذر للمفرطين البتة حتى لو اعتاوا بأوطانهم وانهم لا يتمكنون فيها من أعمال الطاعات قيل لهم ان بلاد الله كثيرة واسعة فتحولوا الى الاماكن التى تمكنكم فيها الطاعات * وقال عطاء وأرض الله المدينة للهجرة قيل فعلى هذا يكون أحسنوا هاجروا وحسنة راحة من الاعداء وقال قوم أرض الله هنا الجنة * قال ابن عطية وهذا القول تحكم لا دليل عليه انتهى * وقال أبو مسلم لا يمتنع ذلك لانه تعالى أمر المؤمنين بالتقوى ثم بين أنه من اتقى له فى الآخرة الحسنة وهى الخلود فى الجنة ثم بين أن أرض الله واسعة لقوله وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقوله وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ولما كانت رتبة الاحسان منتهى الرتب كما جاء ما الاحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه وكان الصبر على ذلك من أشق الاشياء وخصوصا من فارق وطنه وعشيرته وصبر على بلاء الغربة ذكر ان الصابرين يوفون أجورهم بغير حساب أى لا يحاسبون فى الآخرة كما يحاسب غيرهم أو يوفون ما لا يحصره حساب من الكثرة * قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين أمره تعالى أن يصدع الكفار بما أمر به من عبادة الله مخلصها من الشوائب وأمرت أى أمرت بما أمرت لأكون أول من أسلم أى انقاد لله تعالى ويعنى من أهل عصره أو من قومه لانه أول من خالف عباد الأصنام أو أول من دعوتهم الى الاسلام اسلاما أو أول من دعا نفسه الى مادعا اليه غيره لأكون مقتدى بى قولا وفعلا

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ قال ابن زيد نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر وقال اسحاق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه جاؤه وقالوا له أسلمت قال نعم وذكرهم بالله تعالى فآمنوا به أجمعهم فنزلت فيهم وهي محكمة في الناس

الى يوم القيامة والطاغوت تقدم الكلام عليه ﴿أن يعبدوها﴾ أي عبادتها وهو بدل اشتمال ﴿لهم البشرى﴾ أي من الله تعالى بالثواب ﴿فبشر عبادي﴾ هم المجتنبون الطاغوت المنيبون الى الله تعالى وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على انهم هم وليترتب على الظاهر الوصف وهو الذين يستمعون القول وهو عام في جميع الاقوال ﴿فيتبعون أحسنه﴾ ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم والذين مبتدأ خبره أولئك وما بعده ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب﴾ قيل نزلت في أبي جهل أي نفذ عليه الوعيد بالعذاب والظاهر انها جملة مستقلة ومن موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره يتأسف عليه ولما ذكر حال الكفار في النار وأن الخاسرين لهم ظلل ذكر حال المؤمنين وناسب الاستدراك هنا اذ هو

لا كالملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون أوان أفعل ما أستحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب * وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالاخلاص وتكليفه شيء والامر به لتحرز به قصب السبق في الدين شيء واذا اختلف وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لان أفعل لا تزاد الامع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الاصل الى مايقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون أول من أسلم انتهى ويحتمل في أن أكون في ثلاثة المواضع أصله لان أكون فيكون قد حذفت اللام والمأمور به محذوف وهو المصرح به هنا إني أمرت أن أعبد الله * قل إني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم تقدم الكلام على هذه الجملة مقول القول في سورة يونس ولما أمره أولا أن يخبر بأنه أمر بعبادة الله أمر ثانيا أن يخبر بأنه يعبد الله وحده وتقديم الجلالة دال على الاهتمام بمن يعبد وعند الزمخشري يدل على الاختصاص قال ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الاول فالكلام أولا واقع في الفعل في نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ماشئتم من دونه والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية انتهى وقال غيره فاعبدوا ماشئتم صيغة أمر على جهة التهديد لقوله قل تمتع بكفرك * قل إن الخاسرين أي حقيقة الخسران الذين خسروا أي هم الذين خسروا أنفسهم حيث صاروا من أهل النار وأهليهم الذين كانوا معهم في الدنيا حيث كانوا معهم في النار فلم ينتفعوا بهم بشيء وان كان أهلوهم قد آمنوا فخسرانهم اياهم كونهم لا يجتمعون بهم ولا يرجعون اليهم وقال قتادة كأن الله قد أعد لهم أهلا في الجنة فخسروهم وقال معناه ميمون بن مهران * وقال الحسن هي الحور العين ثم ذكر ذلك الخسران وبالغ فيه في التنبيه عليه أولا والاشارة اليه وتأكيده الفعل وتعريفه بأل ووصفه بأنه المبين أي الواضح لمن تأمله أدنى تأمل ولما ذكر خسرانهم أنفسهم وأهليهم ذكر حالهم في جهنم وأنه من فوقهم ظلل ومن تحتهم ظلل فيظهر أن النار تغشاهم من فوقهم ومن تحتهم وسمى ما تحتهم ظللا لمقابلة مافوقهم كما قال يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقيل هي ظلل للذين هم تحتهم اذ النار طباق وقيل انما تحتهم يلتهب ويتصاعد منه شيء حتى يكون ظلة فسمى ظلة باعتبار ما آل اليه أخيرا * ذلك أي ذلك العذاب يخوف الله به عباده ليعلموا ما يخلصكم منه ثم ناداهم وأمرهم فقال ياعباد فاتقون أي اتقوا عذابي * والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب * أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار * لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد * ألم تر أن الله أنزل

واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال لكن الذين اتقوا وفي ذلك حض على التقوى لهم علالي مرتفعة فوقها علالي مبنية أي بناء المنازل التي سويت على الارض والضمير في من تحتها عائد على الجميع أي من تحت الغرف السفلى والغرف العليا لا تفاوت بين أعلاها وأسفلها وانتصب وعد الله على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اذ تضمنت معنى الوعد ﴿ألم تر﴾ خطاب للسامع

من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب * أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين * قال ابن زيد نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت فى زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبى ذر * وقال ابن اسحق الاشارة بها الى عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد والزبير وذلك انه لما أسلم أبو بكر سمعوا ذلك فجاؤه وقالوا أسلمت قال نعم وذكرهم بالله فآمنوا بأجمعهم فنزلت فيهم وهى محكمة فى الناس الى يوم القيامة والطاغوت تقدم الكلام عليها فى البقرة * وقرأ الحسن الطواغيت جمعا أن يعبدوها أى عبادتها وهو بدل اشتمال * لهم البشرى أى من الله تعالى بالثواب * فبشر عبادى هم المجتنبون الطاغوت الى الله وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على انهم هم وليترتب على الظاهر الوصف وهو الذين يستمعون القول وهو عام فى جميع الاقوال فيتبعون أحسنه ثناء عليهم بنفوذ بصائرهم وتمييزهم الاحسن فاذا سمعوا قولا تبصروه قيل وأحسن القول القرآن وما يرجع اليه وقيل القول القرآن وأحسنه ما فيه من صفح وعفو واحتمال ونحو ذلك * وقال قتادة أحسن القول طاعة الله وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عن ما سواه والذين وصف لعباد وقيل الوقف على عباد والذين مبتدأ خبره أولئك وما بعده * أفمن حق عليه كلمة العذاب قيل نزلت فى أبى جهل أى نفذ عليه الوعيد بالعذاب والظاهر أنها جملة مستقلة ومن موصولة مبتدأ والخبر محذوف فقيل تقديره يتأسف عليه وقيل يتخلص منه وقدره الزمخشرى فأنت تخلصه قال حذف لدلالة أفأنت تنقذ عليه وقدر الزمخشرى بين الهمزة والفاء جملة حتى تقر الهمزة فى مكانها والفاء فى مكانها فقال التقدير أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه كلمة العذاب وهو قول انفرد به فيما أعلمه والذى تقوله النحاة ان الفاء للعطف وموضعها التقديم على الهمزة لكن الهمزة لما كان لها صدر الكلام قدمت فالأصل عندهم فأمن حق عليه وعلى القول انها جملة مستقلة يكون قوله أفأنت تنقذ من فى النار استفهام توقيف وقدم فيه الضمير اشعارا بانك لست تقدر أن تنقذه من النار بل لا يقدر على ذلك أحد إلا الله وذهبت فرقة منهم الحوفى والزمخشرى الى أن من شرطية وجواب الشرط أفأنت فالفاء فاء الجواب دخلت على جملة الجزاء وأعيدت الهمزة لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار وهو ظاهر موضع المضمر اذ كان الأصل تنقذه وانما أظهر تشهيرا لحالهم واظهار الخسة منازلهم * قال الحوفى وجىء بألف الاستفهام لما طال الكلام توكيدا ولولا طوله لم يجز الاتيان بها لأنه لا يصلح فى العربية أن يأتى بألف الاستفهام فى الاسم وألف أخرى فى الجزاء ومعنى الكلام أفأنت تنقذه انتهى وعلى هذا القول يكون قد اجتمع استفهام وشرط على قول الجماعة ان الهمزة قدمت من تأخير فيجىء الخلاف بين سيبويه ويونس هل الجملة الاخيرة هى المستفهم عنها أو هى جواب الشرط وعلى تقدير الزمخشرى لم تدخل الهمزة على اسم الشرط فلم يجتمع استفهام وشرط لأن الاستفهام عنده دخل على الجملة المحذوفة عنده وهو أأنت مالك أمرهم ومن معطوف على تلك الجملة المحذوفة عطفت جملة الشرط على جملة الاستفهام ونزل استحقاقهم العذاب وهم فى الدنيا بمنزلة دخولهم النار ونزل اجتهاد

وتوقيف ﴿فسلكه ينابيع﴾ أى أدخله مسالك وعيونا والظاهر ان ماء العيون هو من ماء المطر تحبسه الارض ويخرجه شيأ فشيأ ﴿ثم يخرج به زرعا﴾ ذكر منته تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا ﴿مختلفا ألوانه﴾ من أحمر وأصفر وأخضر وأبيض وشمل لفظ الزرع جميع ما يزرع من مقتات وغيره ﴿ثم يهيج﴾ يقارب التمام ﴿فتراه مصفرا﴾ أى زالت خضرته ونضارته ﴿ان فى ذلك﴾ أى فيما ذكر من انزال المطر واخراج الزرع به وانقلابه الى حال الحطامية ﴿لذكرى﴾ أى لتذكيرا وتنبيها على حكمة فاعل ذلك وقدرته ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ نزلت فى حمزة وعلى رضى الله عنهما ومن مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه فويل للقاسية تقديره كالقاسى المعرض عن الاسلام وأبو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة عن قبوله للايمان والخير والنور والهداية وفى الحديث كيف انشراح الصدر قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل الموت ﴿فويل للقاسية قلوبهم﴾ اذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم ﴿أولئك﴾ أى القاسية قلوبهم ﴿فى ضلال مبين﴾ أى فى حيرة واضحة لا تخفى

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ عن ابن عباس ان قوما من الصحابة قالوا يارسول الله حدثنا بأحاديث حسان واخبار الدهر فنزل الله نزل أحسن الحديث ومتشابها مطلق فى مشابهة بعضه بعضا فمعانيه متشابهة لاتناقض فيها ولاتعارض وألفاظه فى غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث أعجزت الفصحاء والبلغاء ومثانى جمع مثنى ومعناه موضع تثنية القصص والأحكام والعقائد والوعد والوعيد والظاهر حمل القشعريرة على

الحقيقة اذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الانسان من نفسه وهو حاصل من التأثر القلبى والمعنى انه حين يسمعونه يتلى مافيه من آيات الوعيد تعتريهم خشية تنقبض منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله تعالى ورحمته لانت جلودهم أى زال عنها ذلك التقبض الناشئ عن خشية القلوب بزوال الخشية عنه وضمن تلين معنى تطمئن جلودهم لينة غير منقبضة وقلوبهم راجية أى غير خاشية ولذلك عداه بالى وكان فى ذكر القلوب فى هذه الجملة دليل على تأثرها عند السماع فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب لقيام المسبب مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرهما وفى ذكر اللين دليل على المحذوف الذى هو رحمة الله وقال العباس ابن عبد المطلب قال النبى صلى الله عليه وسلم من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما

الرسول عليه السلام فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار * ولما ذكر حال الكفار فى النار وأن الخاسرين لهم ظلل ذكر حال المؤمنين وناسب الاستدراك هنا اذ هو واقع بين الكافرين والمؤمنين فقال لكن الذين اتقوا فى ذلك حض على التقوى لهم علالى من فوقها علالى مبنية أى بناء المنازل التى سويت على الأرض والضمير فى من تحتها عائد على الجمعين أى من تحت الغرف السفلى والغرف العليا لاتفاوت بين أعلاها وأسفلها وانتصب وعد الله على المصدر المؤكد لمضمون الجملة قبله اذ تضمنت معنى الوعد * ألم تر خطاب وتوقيف للسامع على مايعتبر به من أفعال الله الدالة على فناء الدنيا واضمحلالها * فسلكه ينابيع أى أدخله مسالك وعيونا والظاهر أن ماء العيون هو من ماء المطر تحبسه الأرض ويخرج شيأ فشيأ * ثم يخرج به زرعا ذكر منته تعالى علينا بما تقوم به معيشتنا * مختلفا ألوانه من أحمر وأبيض وأصفر وشمل لفظ الزرع جميع مايزرع من مقتات وغيره أو مختلفا أصنافه من بر وشعير وسمسم وغير ذلك * ثم يهيج يقارب الثمار فتراه مصفرا أى زالت خضرته ونضارته * وقرأ أبو بشر ثم يجعله بالنصب فى اللام * قال صاحب الكامل وهو ضعيف انتهى * ان فى ذلك أى فيما ذكر من انزال المطر واخراج الزرع به وتنقلانه الى حالة الحطامية لذكرى أى لتذكرة وتنبيها على حكمة فاعل ذلك وقدرته * أفمن شرح الله صدره للاسلام نزلت فى حمزة وعلى ومن مبتدأ وخبره محذوف يدل عليه فويل للقاسية قلوبهم تقديره كالقاسى المعرض عن الاسلام وأبو لهب وابنه كانا من القاسية قلوبهم وشرح الصدر استعارة عن قبوله للايمان والخير والنور والهداية * وفى الحديث كيف انشراح الصدور قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح قلنا وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل الموت * فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أى من أجل ذكره أى اذا ذكر الله عندهم قست قلوبهم * وقال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب * أولئك أى القاسية قلوبهم فى ضلال مبين أى فى حيرة واضحة لاتخفى على من تأملها ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد * أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون * كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لايشعرون * فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون * قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون * ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا

يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها ﴿أفمن يتقى﴾ أى يستقبل والظاهر حمل بوجهه على الحقيقة لما كان يلقى فى النار مغلولة يداه الى رجليه مع عنقه لم يكن له مايتقى به النار الا وجهه قيل يجر على وجهه فى النار ويجوز أن يعبر بالوجه عن الجملة وفى قوله أفمن شرح الله حذف المذموم وهو القاسى لقلب وهنا حذف الممدوح المنعم فى الجنة * ولما ذكر تعالى انه ضرب فى القرآن من كل مثل أى محتاج اليه ضرب هنا مثلا لعابد آلهة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملاك سيئو الأخلاق فهو لابد أن يوفى كل واحد منهم مقصوده ولا تعاصى بعضهم لبعض لتشاحنهم وطلب كل منهم أن يقضى حاجته على التمام

سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * انك ميت وانهم ميتون* ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ عن ابن عباس أن قوما من الصحابة قالوا يا رسول الله حدثنا بأحاديث حسان و بأخبار الدهر فنزل الله نزل أحسن الحديث وعن ابن مسعود أن الصحابة ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت والابتداء باسم الله واسناد نزل لضميره مبنيا عليه فيه تفخيم للمنزل و رفع منه كما تقول الملك أكرم فلانا هو أفخم من أكرم الملك فلانا وحكمة ذلك البداءة بالأشرف من تذكر ما تسند اليه وهو كثير في القرآن كقوله الله يصطفي من الملائكة رسلا وكتابا بدل من أحسن الحديث * وقال الزمخشري و يحتمل أن يكون حالا انتهى وكان بناء على أن أحسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وأفعل التفضيل اذا أضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة ومتشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فمعانيه متشابهة لا تناقض فيها ولا تعارض وألفاظه في غاية الفصاحة والبلاغة والتناسب بحيث أعجزت الفصحاء والبلغاء * وقرأ الجمهور مثاني بفتح الياء وهشام وابن عامر وأبو بشر بسكون الياء فاحتمل أن يكون خبر مبتدا محذوف واحتمل أن يكون منصوبا وسكن الياء على قول من يسكن الياء في كل الأحوال لانكسار ما قبلها استثقالا للحركة عليها ومثاني يظهر أنه جمع مثنى ومعناه موضع تثنية القصص والأحكام والعقائد والوعد والوعيد* وقيل يثني في الصلاة بمعنى التكرير والاعادة انتهى ووصف المفرد بالجمع لان فيه تفاصيل وتفاصيل الشئ جملته ألا ترى انك تقول القرآن سور وآيات فكذلك تقول أحكام ومواعظ مكررات وأصله كتابا متشابها فصولا مثاني حذف الموصوف وأقيمت صفته مقامه* وأجاز الزمخشري أن يكون من باب برمة أعشار وثوب أخلاق وأن يكون تمييزا عن متشابها فيكون منقولا من الفاعل أي متشابها مثانيه كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل وفائدة تثنيته وتكرره رسوخه في النفوس اذهي أنفر شئ عن سماع الوعظ والنصيحة والظاهر حمل القشعريرة على الحقيقة اذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الانسان من نفسه وهو حاصل من التأثر القلبي * وقيل هو تمثيل تصوير لافراط خشيتهم والمعنى انه حين يسمعونه يتلى ما فيه من آيات الوعيد عرتهم خشية تنقبض منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته لانت جلودهم أي زال عنها ذلك التقبض الناشئ عن خشية القلوب بزوال الخشية عنها وضمن تلين معنى تطمئن جلودهم لينة غير منقبضة وقلوبهم راجية غير خاشية ولذلك عداه بالى وكان في ذكر القلوب في هذه الجملة دليل على تأثرها عند السماع فاكتفى بقشعريرة الجلود عن ذكر خشية القلوب لقيام المسبب مقام السبب فلما ذكر اللين ذكرها وفي ذكر اللين دليل على المحذوف الذي هو رحمة الله كما كان في قوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم دليل بقوله وجلت عن ذكر المحذوف أي اذا ذكر وعيد الله و بطشه* وقال العباس بن عبد المطلب قال النبي عليه السلام من اقشعر جلده من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها *وقال ابن عمر وقد رأى ساقطا من سماع القرآن فقال إنا لنخشى الله وما نسقط هؤلاء يدخل الشيطان في جوف أحدهم * وقالت أسماء بنت أبي بكر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن قيل لها ان قوما اليوم اذا سمعوا القرآن خر أحدهم مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم * وقال ابن سيرين بيننا وبين هؤلاء الذين يصرعون عند قراءة القرآن أن يجعل أحدهم على حائط باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن كله فان رمى بنفسه فهو صادق والاشارة بذلك الى

والكمال فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم ورجل آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معني بشغله لا يشغله عنه شئ ومالكه راض عنه اذ قد خلص لخدمته و بذل جهده في قضاء حوائجه فلا يلقى من سيده الا احسانا وتقدم الكلام عليه في ضرب المثل ومابعده ﴿ انك ﴿ميت﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم و يدخل معه أمته في ذلك ﴿وانهم﴾ عائد على الكفار ثم قال ﴿ثم انكم﴾ خطاب للجميع ﴿تختصمون﴾ بين يديه يوم القيامة وهو الحكم العدل فيتميز المحق من المبطل

(الدر)

(ش) و يحتمل أن يكون حالا منه انتهى (ح) كأنه بناه على أن أحسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وأفعل التفضيل اذا أضيف الى معرفة فيه خلاف فقيل اضافة محضة وقيل غير محضة

الكتاب أو الى ذينك الوصفين من الاقشعرار واللين أي أثر هدى الله أفمن يتقي أي يستقبل كما قال الشاعر

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

أي استقبلتنا بيدها التي بيدها وجهها أن يرى والظاهر حمل بوجهه على حقيقته لما كان يلقى في النار مغلولة يداه الى رجليه مع عنقه لم يكن له ما يتقي به النار إلا وجهه * قال مجاهد يجر على وجهه في النار ويجوز أن يعبر بالوجه عن الجملة * وقيل المعنى وصف كثرة ما ينالهم من العذاب يتقيه أولا بجوارحه فيتزيد حتى يتقيه بوجهه الذي هو أشرف جوارحه وفيه جواب وهو غاية العذاب * قال ابن عطية وهذا المعنى عندي أبين بلاغة * في هذا المضمار يجري قول الشاعر

يلقى السيوف بوجهه وبنحره * ويقيم هامته مقام المغفر

لانه انما أراد عظم جرأته عليها فهو يلقاها بكل مجن وبكل شيء عنه حتى بوجهه وبنحره انتهى وسوء العذاب أشده وخبر من محذوف قدره الزمخشري كمن أمن العذاب وابن عطية كالمنعمين في الجنة * وقيل للظالمين أي قال ذلك خزنة النار ذوقوا ما كنتم أي وبال ما كنتم تكسبون من الأعمال السيئة * كذب الذين من قبلهم تمثيل لقريش بالأمم الماضية وما آل اليه أمرهم من الهلاك * فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يشعرون أن العذاب يأتيهم من قبلها ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها كانوا في أمن وغبطة وسرور فاذاهم معذبون مخزيون ذليلون في الدنيا من ممسوخ ومقتول ومأسور ومنفي ثم أخبر أن ما أعدلهم في الآخرة أعظم وانتصب قرآنا عربيا على الحال وهي حال مؤكدة والحال في الحقيقة هو عربيا وقرآنا توطئة له * وقيل انتصب على المدح ونفى عنه العوج لانه مستقيم بريء من الاختلاف والتناقض * وقال عثمان بن عفان غير مضطرب * وقال ابن عباس غير مختلف * وقال مجاهد غير ذي لبس * وقال السدي غير مخلوق * وقيل غير ذي لحن * قال الزمخشري (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان * احداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا * والثاني أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان * وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقينا غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

انتهى ولما ذكر تعالى انه ضرب في القرآن من كل مثل أي محتاج اليه ضرب هنا مثلا لعابد آلهة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملاك سيئو الأخلاق فهو لا يقدر أن يوفي كل واحد منهم مقصوده اذ لا يتغاضى بعضهم لبعض لمشاحتهم وطلب كل منهم أن يقضي حاجته على التمام فلا يزال في عناء وتعب ولوم من كل منهم ورجل آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معنى بشغله لا يشغله عنه شيء ومالكه راض عنه ان قد خلص لخدمته وبذل جهده في قضاء حوائجه فلا يلقى من سيده إلا إحسانا وتقدم الكلام في نصب المثل وما بعده * وقال الكسائي انتصب رجلا على اسقاط الخافض أي مثلا لرجل أو في رجل فيه أي في رقه مشتركا وفيه صلة لشركاء * وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والزهري والحسن بخلاف عنه والجحدري وابن كثير وأبو عمرو سالما اسم فاعل من سلم أي خالصا من الشركة * وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو رجاء وطلحة والحسن بخلاف عنه وباقي السبعة سلما بفتح السين واللام * وقرأ ابن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام وهما مصدران وصف بهما مبالغة في الخلوص من الشركة * وقرئ ورجل

سالم برفعهما * وقال الزمخشري أي وهنالك رجل سالم لرجل انتهى فجعل الخبر هنالك ويجوز أن يكون ورجل مبتدأ لانه موضع تفصيل إذ قد تقدم ما يدل عليه فيكون كقول امرئ القيس

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول

* وقال الزمخشري وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك وانتصب مثلا على التمييز المنقول من الفاعل إذ التقدير هل يستوي مثلهما واقتصر في التمييز على الواحد لانه المقتصر عليه أولا في قوله ضرب الله مثلا ولبيان الجنس * وقرئ مثلين فطابق حال الرجلين * وقال الزمخشري ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما يقول كفى بهما رجلين انتهى والظاهر أنه يعود الضمير في يستويان الى الرجلين فأما اذا جعلته عائدا الى المثلين اللذين ذكر أن التقدير مثل رجل ورجل فان التمييز إذ ذاك يكون قد فهم من المميز الذي هو الضمير اذ يصير التقدير هل يستوي المثلان مثلين قل الحمد لله أي الثناء والمدح لله لا لغيره وهو الذي ثبتت وحدانيته فهو الذي يجب أن يحمد بل أكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره ولفظة الحمد لله تشعر بوقوع الهلاك بهم بقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ولما لم يلتفتوا الى هذه الدلائل الباهرة أخبر الجميع بأنهم ميتون وصائرون اليه وأن اختصامكم يكون بين يديه يوم القيامة وهو الحكم العدل فيتميز المحق من المبطل وهو عليه السلام واتباعه المحقون الفائزون بالظفر والغلبة والكافرون هم المبطلون فالضمير في وانك خطاب للرسول وتدخل معه أمته في ذلك والظاهر عود الضمير في وانهم على الكفار وغلب ضمير الخطاب في انك على ضمير الغيبة في انهم ولذلك جاء تختصمون بالخطاب فتحتج أنت عليهم بأنك قد بلغت وكذبوا واجتهدت في الدعوة ولجوا في العناد * وقال أبو العالية هم أهل القبلة يختصمون بينهم يوم القيامة في مظالمهم وأبعد من ذهب الى أن هذا الخصام سببه ما كان في قتل عثمان وما جرى بين علي ومعاوية بسبب ذلك رضي الله عنهم وقيل يختصم الجميع فالكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون يتلقون الكافرين بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام * وقرأ ابن الزبير وابن أبي اسحق وابن محيصن وعيسى واليماني وابن أبي غوث وابن أبي عبلة انك مائت وانهم مائتون وهي تشعر بحدوث الصفة والجمهور ميت وميتون وهي تشعر بالثبوت واللزوم كالحي * فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين * والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون * أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون * قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم * إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل * الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا

(الدر)

(ش) أي وهنالك رجل سالم لرجل انتهى (ح) جعل الخبر هنالك ويجوز أن يكون ورجل مبتدأ لانه موضع تفصيل اذ قد تقدم ما يدل عليه فيكون كقول امرئ القيس

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له

بشق وشق عندنا لم يحول

لا يملكون شيأ ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون * قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون * ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون * وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * فاذا مس الانسن ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون * قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين * أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين * ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين * وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون * الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل * له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون * قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون * وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون * ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون * وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين * وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين * اشمأزت قال أبو زيد ذعرت وقال غيره تقبض كراهة ونفورا * قال الشاعر

اذا عض الثقاف بها اشمأزت * وولته عشوزنة زبونا

* المقاليد المفاتيح قيل لا واحد لها من لفظها قاله التبريزى. وقيل واحدها مقليد وقيل مقلاد ويقال اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية * الزمر جمع زمرة قال أبو عبيدة والأخفش جماعات متفرقة

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ الآية هذا تفسير و بيان للذين يكون بينهم الخصومة وهذا يدل على ان الاختصام السابق يكون بين المؤمنين والكافرين والمعنى لا أحد فى المكذبين أظلم ممن افترى على الله الكذب فنسب اليه الولد والصاحبة والشريك وحرم وحلل من غير أمر الله تعالى ﴿وكذب بالصدق﴾ وهو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه أى وقت مجيئه فاجأه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا نظر بل وقت مجيئه كذب به ثم توعدهم توعدا فيه احتقارهم على جهة التوقيف وللكافرين مما قام فيه الظاهر مقام المضمر أى مثوى لهم وفيه تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر ﴿والذى جاء بالصدق﴾ معادل لقوله فمن أظلم ﴿وصدّق به﴾ مقابل لقوله وكذب بالصدق والذى جنس كأنه قال والفريق الذى جاء بالصدق و يدل عليه أولئك هم المتقون فجمع كما ان المراد بقوله فمن أظلم يريد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين ﴿أليس الله بكاف عبده﴾ قالت قريش لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا لنسلطها عليه فتصيبه بخبل أو تعتريه بسوء فانزل الله تعالى أليس الله بكاف عبده أى شر من يريده بشر والهمزة الداخلة على النفى للتقرير أى هو كاف عبده وفى اضافته اليه تشريف عظيم لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ وهى الاصنام ولما

بعث خالدا الى كسر العزى قال له سادنها انى أخاف عليك منها فلها قوة لا يقوم لها شئ فاخذ خالد الفاس فهشم وجهها ثم انصرف وفى قوله ويخوفونك تهكم بهم لأنهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضرر وقرئ بكافى عبده على الاضافة و يكافى عباده مضارع كافى ونصب عباده فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى فى القرآن كقوله فسيكفيكهم الله و يحتمل ان يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة أى يجزيهم أجرهم ولما كان تعالى كافى عبده كان التخويف بغيره عبثا باطلا ولما اشتملت الآية على مهتدين وضالين أخبر أن ذلك كله هو فاعله ثم قال ﴿أليس الله بعزيز﴾ أى غالب منيع ﴿ذى انتقام﴾ وفيه وعيد لقريش و وعد للمؤمنين ولما أقروا بالصانع وهو الله تعالى أخبرهم انه تعالى هو المتصرف فى بنيه بما أراد وان تلك الأصنام التى يدعونها آلهة من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة أى صحة وسعة فى الرزق ونحو ذلك وأرأيتم هنا جارية على وضعها تعدت الى مفعولها الأول وهو ما يدعون وجاء المفعول الثانى جملة استفهامية وفيها العائد على ما وهو لفظ من وأنث تحقيرا لها وتعجيزا وتضعيفا وكان فيها من سمى تسمية الاناث كالعزى ومناة واللات وأضاف ارادته الضر الى نفسه والرحمة اليها لأنهم خوفوه معرتها واستسلف منهم الاقرار بان خالق العالم هو الله ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرا أو تجلب خيرا وقرئ كاشفات وممسكات على الاضافة وعلى الاعمال ولما تقرر انه تعالى كافيه وان أصنامهم لا تضر ولا تنفع أمره تعالى ان يعلم انه هو حسبه أى كافيه والجواب فى هذا الاستخبار محذوف والتقدير فانهم سيقولون لا تقدر على شئ من ذلك ﴿قل ياقوم﴾ تقدم الكلام عليه

بعضها اثر بعض * قال * حتى احزألت زمر بعد زمر * ويقال تزمر * والحفوف الاحداق بالشئ قال الشاعر

تحفه جانبا ضيق ويتبعه * مثل الزجاجة لم يكحل من الرمد

وهذه اللفظة مأخوذة من الحفاف وهو الجانب ومنه قول الشاعر

له لحظات عن حفافى سريره * اذا كرها فيها عقاب ونائل

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس فى جهنم مثوى للكافرين * والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون * لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا و يجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون * أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد * ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون * قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إنى عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم﴾ فمن أظلم ممن كذب على الله هذا تفسير و بيان للذين يكون بينهم الخصومة وهذا يدل على أن الاختصام السابق يكون بين المؤمنين والكافرين والمعنى لا أحد فى المكذبين أظلم ممن افترى على الله فنسب اليه الولد والصاحبة

والشريك وحرّم وحلل من غير أمر الله وكذب بالصدق وهو ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أى وقت مجيئه فاجأه بالتكذيب من غير فكر ولا ارتياء ولا نظر بل وقت مجيئه كذب به ثم توعدهم توعدا فيه احتقارهم على جهة التوقيف وللكافرين مما أقام فيه الظاهر مقام المضمر أى مثوى لهم وفيه تنبيه على علة كذبهم وتكذيبهم وهو الكفر * والذى جاء بالصدق معادل لقوله فمن أظلم وصدق به مقابل لقوله وكذب بالصدق والذى جنس كأنه قال والفريق الذى جاء بالصدق ويدل عليه أولئك هم المتقون فجمع كما أن المراد بقوله فمن أظلم يراد به جمع ولذلك قال مثوى للكافرين وفى قراءة عبد الله والذى جاؤا بالصدق وصدقوا به * وقيل أراد والذين فحذفت منه النون وهذا ليس بصحيح اذ لو أريد الذين بلفظ الذى وحذفت منه النون لكان الضمير مجموعا كقوله * وأن الذى حانت بفلج دماؤهم * ألا ترى انه اذا حذفت النون فى المثنى كان الضمير مثنى كقوله

أبنى كليب أن عمىّ اللذا * قتلا الملوك وفككا الأغلالا

وقيل الذى جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل الذى جاء بالصدق جبريل والذى صدق به هو محمد صلى الله عليه وسلم * وقال علىّ وأبو العالية والكلبى وجماعة الذى جاء بالصدق هو الرسول والذى صدق به هو أبو بكر * وقال أبو الأسود ومجاهد وجماعة الذى صدق به وهو علىّ بن أبى طالب * وقال الزمخشرى والذى جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ولذلك قال أولئك هم المتقون إلا أن هذا فى الصفة وذلك فى الاسم ويجوز أن يريد والفوج والفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهو الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى وقوله وأراد به إياه ومن تبعه كما أراد بموسى إياه وقومه استعمل الضمير المنفصل فى غير موضعه وإنما هو متصل فأصلحه وأراده به ومن تبعه كما أراده بموسى وقومه أى لعل قومه يهتدون إذ موسى عليه السلام مهتد فلم ترجى هداية قومه لا هدايته إذ لا يترجى إلا ما كان مفقودا لا موجودا وقوله ويجوز الخ فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقوله جاء الفريق الذى شرف وشرّف والأظهر عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الأولى * وقرأ الجمهور وصدّق مشددا وأبو صالح وعكرمة بن سليمان ومحمد بن جحازة مخففا * قال أبو صالح وعمل به * وقيل استحق به اسم الصدق * قال ابن عطية فعلى هذا اسناد الأفعال كلها التى محمد صلى الله عليه وسلم وكأن أمته فى ضمن القول وهو الذى يحسن أولئك هم المتقون انتهى * وقال الزمخشرى أى صدق به الناس ولم يكذبهم به يعنى أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف * وقيل معناه وصار صادقا به أى بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذى لا يفعل القبيح لمن يجريها على يديه ولا يجوز أن يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة * وقرئ وصدق به انتهى يعنى مبنيا للمفعول مشددا * وقال صاحب اللوامح جاء بالصدق من عند الله وصدق به نفونه أى فى قوله أو فى مجيئه فاجتمع له الصفتان من الصدق من صدقه من عند الله وصدقه بنفسه وذلك مبالغة فى المدح انتهى * لهم ما يشاؤن عام فى كل ما تشتهيه أنفسهم وتتعلق به اراداتهم وليكفر متعلق بالمحسنين أى الذين أحسنوا ليكفر أو بمحذوف أى يسر ذلك لهم ليكفر لان التكفير لا يكون إلا بعد التيسير للخير وأسوأ الذى عملوا هو كفر أهل الجاهلية ومعاصى أهل الاسلام

بالحق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه فى قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال أولئك هم المتقون الا أن هذا فى الصفة وذلك فى الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذى جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به انتهى

(ح) قوله وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه استعمل الضمير المنفصل فى غير موضعه وانما هو متصل فاصلاحه وأراد به ومن تبعه كما أراده بموسى وقومه وقوله لعلهم يهتدون الضمير فى لعلهم لقوم موسى لا لموسى وقومه أى لعل قومه يهتدون إذ موسى عليه السلام مهتد فلا يترجى هداية قومه لا هدايته اذ لا يترجى الا ما كان مفقودا لا موجودا وقوله ويجوز الى آخره فيه توزيع الصلة والفوج هو الموصول فهو كقولك جاء الفريق الذى شرف وشرف والأصل عدم التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الأولى

والتكفير يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه والجزاء بالأحسن يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه فقيل ذلك يكون اذا صدقوا الأنبياء فبما أتوا به وقال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوى وهذا قول المرجئة يقولون لا يضر شئ من المعاصى مع الايمان واحتج بهذه الآية وقام الظاهر مقام المضمر فى المحسنين أى ذلك جزاؤهم فنبه بالظاهر على العلة المقتضية لحصول الثواب والظاهر أن أسوأ أفعل تفضيل و به قرأ الجمهور واذا كفر أسوأ أعمالهم فتكفير ماهو دونه أحرى * وقيل أفعل ليس للتفضيل وهو كقولك الأشج أعدل بنى مروان أى عادل فكذلك هذا أى سيء الذين عملوا و يدل على هذا التأويل قراءة ابن مقسم وحامد بن يحيى عن ابن كثير أسوأ هنا وفى حم السجدة بألف بين الواو والهمزة جمع سوء ولا تفضيل فيه والظاهر ان بأحسن أفعل تفضيل فقيل لينظر الى أحسن طاعاته فيجزى الباقى فى الجزاء على قياسه وان تخلف عنه بالتقصير * وقيل بأحسن ثواب أعمالهم * وقيل بأحسن من عملهم وهو الجنة وهذا ينبو عنه بأحسن الذى * وقال الزمخشرى أما التفضيل فيؤذن بان الشئ الذى يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرات هو عندهم الأسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذى يعملون هو عند الله الأحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالأسوء وحسنهم بالأحسن انتهى وهو على رأى المعتزلة و يكون قد استعمل أسوأ فى التفضيل على معتقدهم وأحسن فى التفضيل على ماهو عند الله وذلك توزيع فى أفعل التفضيل وهو خلاف الظاهر * قالت قريش لئن لم ينته محمد عن تعييب آلهتنا وتعييبنا لنسلطها عليه فتصيبه بخبل وتعتريه بسوء فأنزل الله أليس الله بكاف عبده أى شر من يريده بشر والهمزة الداخلة على النفى للتقرير أى هو كاف عبده وفى اضافته اليه تشريف عظيم لنبيه * وقرأ الجمهور عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقرأ أبو جعفر ومجاهد وابن وثاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائى عباده بالجمع أى الأنبياء والمطيعين من المؤمنين و يخوفونك بالذين من دونه وهى الأصنام * ولما بعث خالدا الى كسر العزى قال له سادنها انى أخاف عليك منها فلها قوة لا يقوم لها شئ فأخذ خالد الفأس فهشم به وجهها ثم انصرف وفى قوله و يخوفونك تهكم بهم لانهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرر ونظير هذا التخويف قول قوم هود له ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء * وقرئ بكافى عبده على الاضافة و يكافى عباده مضارع كفى ونصب عباده فاحتمل أن يكون مفاعلة من الكفاية كقولك يجازى فى يجزى وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة وهو الظاهر لكثرة تردد هذا المعنى فى القرآن كقوله فسيكفيكهم الله و يحتمل أن يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة أى يجزيهم أجرهم ولما كان تعالى كافى عبده كان التخويف بغيره عبثا باطلا ولما اشتملت الآية على مهتدين وضالين أخبر أن ذلك كله هو فاعله ثم قال أليس الله بعزيز أى غالب منيع ذى انتقام وفيه وعيد لقريش و وعد للمؤمنين ولما أقروا بالصانع وهو الله أخبرهم انه تعالى هو المتصرف فى نبيه بما أراد فان تلك الاصنام التى يدعونها آلهة من دونه لا تكشف ضرا ولا تمسك رحمة أى صحة وسعة فى الرزق ونحو ذلك وأرأيتم هنا جارية على وضعها تعدت الى مفعولها الاول وهو ما يدعون وجاء المفعول الثانى جملة استفهامية وفيها العائد على ماوهو لفظ هن وأنث تحقيرا لها وتعجيزا وتضعيفا وكان فيها من سمى تسمية الاناث كالعزى ومناة واللات وأضاف ارادة الله الضر الى نفسه والرحمة اليها لانهم خوفوه مضرتها فاستسلف منهم الاقرار بان خالق العالم هو الله ثم استخبرهم عن أصنامهم هل تدفع شرا

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾ لما ذكر تعالى انه أنزل الله الكتاب على رسوله بالحق للناس نبه على آية من آياته الكبرى تدل على وحدانيته لا يشركه في ذلك صنم ولا غيره فقال الله يتوفى الأنفس والانفس هي الأرواح قال ابن عباس الروح لها تدبير عالم الحياة والنفس لها تدبير عالم الاحساس ومعنى يتوفى الأنفس يميتها ﴿والتي﴾ أي والأنفس التي ﴿لم تمت في منامها﴾ أي يتوفاها حين تنام تشبيها للنوم بالأموات ومنه وهو الذي يتوفاكم بالليل فبين الميت والنائم قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقي فلا يردها في وقتها حية ويرسل النائمة (٤٣٠) لجسدها الى أجل ضرب به لموتها ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ فهو مالكها يأذن فيها لمن يشاء ثم أتى بعام وهو له ملك السموات والأرض فاندرج فيه ملك الشفاعة ولما كانت الشفاعة من غيره موقوفة على اذنه كانت الشفاعات كلها له تعالى ﴿واذا ذكر الله وحده﴾ أي مفردا بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم وقيل اذا قيل لا إله إلا الله ﴿واذا ذكر الذين من دونه﴾ وهي الاصنام والاشمئزاز والاستبشار متقابلان غاية لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر أثره وهو الانقباض في الوجه والاستبشار امتلاؤه سرورا فيظهر أثره وهو الانبساط والتهلل في الوجه قال الزمخشري (فان قلت) ما العامل في واذا قلت العامل في اذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار انتهى ما قاله الزمخشري لا أعلمه من قول من ينتمي للنحو وهو أن الظرفين معمولان لفاجأوا ثم اذا الأولى تنتصب على الظرف والثانية على المفعول به ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ تقدم الكلام عليه ﴿وبدا لهم من الله﴾ أي كانت ظنونهم في الدنيا متفرقة على حسب ضلالاتهم وتخيلاتهم فيما يعتقدونه فاذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون وما كان في حسابهم ﴿وحاق بهم ما كانوا﴾ أي جزاء ما كانوا وما في كسبوا يحتمل أن تكون بمعنى الذي أي سيئات أعمالهم وأن تكون مصدرية أي سيئات كسبهم والسيئات أنواع العذاب سميت سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها

وتجلب خيرا * وقرأ الجمهور كاشفات وممسكات على الاضافة وشيبة والأعرج وعمرو بن عبيد وعيسى بخلاف عنه وأبو عمرو وأبو بكر بتنوينهما ونصب ما بعدهما ولما تقرر أنه تعالى كافيه وان أصنامهم لا تضر ولا تنفع أمره تعالى أنه يعلم انه تعالى هو حسبه أي كافيه والجواب في هذا الاستخبار محذوف والتقدير فانهم سيقولون لا تقدر على شيء من ذلك * وقال مقاتل استخبرهم فسكتوا قل ياقوم اعملوا تقدم الكلام على نظيرها ﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل * الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون * قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون * واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون * قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون * ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون * وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ لما كان عليه السلام يعظم عليه عدم ايمانهم ورجوعهم الى ما أنزل الله تعالى عليه سلاه تعالى عن ذلك وأخبره انه أنزل عليه الكتاب وهو القرآن مصحوبا بالحق وهو دين الاسلام للناس أي لأجلهم إذ فيه تكاليفهم فمن اهتدى فثواب هدايته انما هو له ومن ضل فعقاب ضلاله انما هو عليه وما أنت عليهم بوكيل أي فتجبرهم على الايمان * قال قتادة بوكيل بحفيظ * وقال الزمخشري للناس لأجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية فلا حاجة لي الى ذلك فأنا الغني فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار انتهى وهو على مذهب المعتزلة ولما ذكر تعالى أنه أنزل الكتاب على رسوله بالحق للناس نبه على أنه من آياته الكبرى يدل على الوحدانية لا يشركه في ذلك صنم وعلى غيره فقال الله يتوفى الأنفس حين موتها والأنفس هي الأرواح * وقيل النفس غير الروح قاله ابن عباس فالروح لها تدبير عالم الحياة والنفس لها تدبير عالم الاحساس * وفرقت فرقة بين نفس التمييز ونفس التخييل والذي يدل عليه الحديث واللغة أن النفس والروح مترادفان وان فراق ذلك من الجسد هو الموت ومعنى يتوفى النفس يميتها والتي أي والأنفس التي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين تنام

تشبيها للنوام بالأموات * ومنه وهو الذى يتوفاكم بالليل فبين الميت والنائم قدر مشترك وهو كونهما لا يميزان ولا يتصرفان فيمسك من قضى عليها الموت الحقيقى ولا يردها فى وقتها حية ويرسل النائمة لجسدها الى أجل ضرب لموتها * وقيل يتوفى الأنفس يستوفيها ويقبضها وهى الأنفس التى يكون معها الحياة والحركة ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس وكون النفس تقبض والروح فى الجسد حالة النوم بدليل أنه يتقلب ويتنفس هو قول الأكثرين ودل على التغاير وكونهما شيأ واحدا هو قول ابن جبير وأحد قولى ابن عباس والخوض فى هذا وطلب ادراك ذلك على جليته عناء ولا يوصل الى ذلك * ان فى ذلك أى فى توفى الأنفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل لآيات لعلامات دالة على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون * وقرأ الجمهور قضى مبنيا للفاعل الموت نصبا وابن وثاب والأعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائى مبنيا للمفعول الموت رفعا أم منقطعة تقدر ببل والهمزة وهو تقرير وتوبيخ وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عندنا والشفاعة انما هى لمن ارتضاه الله وباذنه تعالى وهذا مفقود فى آلهتهم وأولو معناه أيتخذونهم شفعاء هم بهذه المثابة من كونهم لا يعقلون ولا يملكون شيأ وذلك عام النقص فكيف يشفع هؤلاء وتقدم لنا الكلام فى أولو فى سورة البقرة * وقال ابن عطية متى دخلت ألف الاستفهام على واو العطف أو فائه أحدثت معنى التقرير انتهى واذا كانوا لا يملكون شيأ فكيف يملكون الشفاعة * وقال الزمخشرى أى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم انتهى فأتى بقوله قط بعد قوله لا يملكون وليس بفعل ماض وقط ظرف يستعمل مع الماضى لا مع غيره وقد تكرر للزمخشرى هذا الاستعمال وليس باستعمال عربى * قل لله الشفاعة جميعا فهو مالكها يأذن فيها لمن يشاء ثم أتى بعام وهو له ملك السموات والأرض فاندرج فيه ملك الشفاعة ولما كانت الشفاعة من غيره موقوفة على اذنه كانت الشفاعة كلها له ولما أخبر أنه له ملك السموات والأرض هددهم بقوله ثم اليه ترجعون فيعلمون أنهم لا يشفعون ويخيب سعيكم فى عبادتهم * وقال الزمخشرى معناه له ملك السموات والأرض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم إلا له فله ملك الدنيا والآخرة * واذا ذكر الله وحده أى مفردا بالذكر ولم يذكر مع آلهتهم * وقيل اذا قيل لا إله إلا الله واذا ذكر الذين من دونه وهى الأصنام والاشمئزاز والاستبشار متقابلان غاية لان الاشمئزاز امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر أثره وهو الانقباض فى الوجه والاستبشار امتلاؤه سرورا فيظهر أثره وهو الانبساط والتهلل فى الوجه * وقال الزمخشرى (فان قلت) ما العامل فى واذا ذكر (قلت) العامل فى اذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤا الاستبشار * وقال الحوفى اذاهم يستبشرون اذا مضافة الى الابتلاء والخبر واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه والتقدير اذا كان ذلك هم يستبشرون فيكون هم يستبشرون العامل فى اذا المعنى اذا كان ذلك استبشروا انتهى أما قول الزمخشرى فلا أعلمه من قول من ينتمى للنحو وهو أن الظرفين معمولان لعامل واحد ثم اذا الأولى ينتصب على الظرف والثانية على المفعول به وأما قول الحوفى فبعيد جدا عن الصواب إذ جعل اذا مضافة الى الابتداء والخبر ثم قال واذا مكررة للتوكيد وحذف ما تضاف اليه فكيف تكون مضافة الى الابتداء والخبر الذى هم

(الدر)

(ش) فان قلت ما العامل فى واذا ذكر قلت العامل فى اذا الفجائية تقديره وقت ذكر الذين من دونه فأجاؤا وقت الاستبشار انتهى (ح) ما قاله (ش) لا أعلمه من قول من ينتمى للنحو وهو أن الظرفين معمولان لفاجأوا ثم اذا الأولى تنصب على الظرف والثانية على المفعول به

﴿ فاذامس الانسان ضردعانا ﴾ الآية تقدم فى غير آية كون الانسان اذامسه الضر التجأ الى الله تعالى مع اعتقادهم الاوثان وعبادتها فاذا أصابتهم شدة نبذوها ودعوا رب السموات والأرض وهذا يدل على تناقض آرائهم وشدة اضطرابها ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء ﴾ اشارة الى مشركى قريش ﴿ سيصيبهم سيئات ما كسبوا ﴾ جاء بسين الاستقبال التى هى أقل تنفيسا فى الزمان من سوف وهو خبر غيب أبرزه الوجود فى يوم بدر وغيره قتل رؤساؤهم وحبس عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أنه لاقابض ولاباسط الا الله وحده لاشريك له ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا ﴾ نزلت فى وحشى قاتل حمزة أو فى قوم آمنوا عياش بن أبى ربيعة

والوليد بن الوليد ونفر معهما ففتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا أن لاتوبة لهم فكتب لهم عمر بهذه الآية * ومناسبتها لما قبلها انه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب وانهم لو كان لأحدهم مافى الأرض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ذكر مافى احسانه من غفران الذنوب اذا آمن العبد ورجع الى الله تعالى وكثيرا تأتى آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف وهذه الآية عامة فى كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب تمحو التوبة ذنبه وقال عبد الله وغيره هذه أرجى آية فى كتاب الله تعالى ﴿ ان الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ عام يراد به ماسوى الشرك وفى قوله ياعبادى باضافتهم اليه وندائهم إقبال وتشريف وأسرفوا على أنفسهم أى بالمعاصى والمعنى أن ضرر تلك الذنوب انما هو عائد عليهم والنهى عن القنوط يقتضى الأمر بالرجاء واضافة الرحمة الى الله تعالى التفات من ضمير المتكلم الى الاسم الغائب لان فى اضافتها اليه سعة الرحمة اذا أضيفت الى الله تعالى الذى هو أعظم الاسماء لانه العلم المحتوى على معانى جميع الاسماء ثم أعاد الاسم الأعظم وأكد الجملة بان مبالغة فى الوعد بالغفران ثم وصف نفسه بما سبق فى الجملتين من الرحمة والغفران بصفتى مبالغة وأكد بلفظ هو المقتضى عند بعضهم الحصر ولما كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة [illegible] أتبعها بأن الانابة وهى الرجوع مطلوبة مأمور بها ثم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لايبقى المرء كالمهمل من الطاعة والمتكل على الغفران دون توبة

يستبشرون وهذا كله يوجبه عدم الاتقان لعلم النحو والتحدث فيه وقد تقدم لنا فى مواضع اذا التى للمفاجأة جوابا لاذا الشرطية وقد قررنا فى علم النحو الذى كتبناه ان اذا الشرطية ليست مضافة الى الجملة التى تليها وان كان مذهب الأكثرين وانها ليست بمعمولة للجواب وأقمنا الدليل على ذلك بل هى معمولة للفعل الذى يليها كسائر أسماء الشرطية الظرفية واذا الفجائية رابطة لجملة الجزاء بجملة الشرط كالفاء وهى معمولة لما بعدها ان قلنا انها ظرف سواء كان زمانا أو مكانا ومن قال انها حرف فلا يعمل فيها شئ فاذا الأولى معمولة لذكرهم والثانية معمولة ليستبشرون ولما أخبر عن سخافة عقولهم باشمئزازهم من ذكر الله واستبشارهم بذكر الأصنام أمره أن يدعو بأسماء الله العظمى من القدرة والعلم ونسبة الحكم اليه إذ غيره لاقدرة له ولا علم تام ولا حكم وفى ذلك وصف لحالهم السيئ ووعيد لهم وتسلية للرسول عليه السلام وتقدم الكلام فى اللهم فى سورة آل عمران * ولو أن للذين ظلموا تقدم الكلام على تشبيه فى العقود * وبدا لهم من الله أى كانت ظنونهم فى الدنيا متفرقة حسب ضلالاتهم وتخيلاتهم فيما يعتقدونه فاذا عاينوا العذاب يوم القيامة ظهر لهم خلاف ما كانوا يظنون وما كان فى حسابهم * وقال سفيان الثورى ويل لاهل الرياء من هذه الآية * وحاق بهم ما كانوا أى جزاء ما كانوا وما فيما كسبوا يحتمل أن تكون بمعنى الذى أى سيئات أعمالهم وأن تكون مصدرية أى سيئات كسبهم والسيئات أنواع العذاب سميت سيئات كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴿ فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون * قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين * أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون * قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ﴾ تقدم فى غير آية كون الانسان اذا مسه الضر التجأ الى الله مع اعتقادهم الاوثان وعبادتها فاذا أصابتهم شدة نبذوها ودعوا رب السموات والأرض وهذا يدل على تناقض آرائهم وشدة اضطرابها والانسان جنس وضر

مطلق والنعمة عامة في جميع مايسر ومن ذلك ازالة الضر وقيل الانسان معين وهو حذيفة بن المغيرة والظاهر أن ما في انما كافة مهيئة لدخول ان على الجملة الفعلية وذكر الضمير في أوتيته وان كان عائدا على النعمة لان معناها مذكر وهو الانعام أو المال على قول من شرح النعمة بالمال أو المعنى شيأ من النعمة أو لانها تشتمل على مذكر ومؤنث فغلب المذكر وقيل ما موصولة والضمير عائد على ما أي قال ان الذي أوتيته على علم مني أي بوجه المكاسب والمتاجر قاله قتادة وفيه اعجاب بالنفس وتعاظم مفرط أو على علم من الله في واستحقاق جزائه عند الله وفي هذا احتراز بالله وعجز ومن على الله أو على علم مني بأني سأعطاه لما في من فضل واستحقاق بل هي فتنة اضراب عن دعواه أنه انما أوتي على علم بل تلك النعمة فتنة وابتلاء ذكر أولا في أوتيته على المعنى اذ كانت ماهيئة ثم عاد الى اللفظ فأنث في قوله بل هي أو تكون هي عادت على الاتيان أي بل اتيانه النعمة فتنة وكان العطف هنا بالفاء في فاذا وبالواو في أول السورة لانها وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله أي يشمئزون عند ذكر الله ويستبشرون بذكر آلهتهم فاذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره ومناسبة السببية انك تقول زيد مؤمن فاذا مسه الضر التجأ الى الله فالسبب هنا ظاهر وزيد كافر فاذا مسه الضر التجأ اليه يقيم كفره مقام الايمان في جعله سببا للالتجاء يحكي عكس ما فيه الكافر يقصد بذلك الانكار والتعجب من فعله المتناقض حيث كفر بالله ثم التجأ اليه في الشدائد وأما الآية لأولى فلم تقع مسببة بل ناسبت ما قبلها فعطفت عليه بالواو واذا كانت فاذا متصلة بقوله واذا ذكر الله وحده كما قلنا فما بينهما من الآي اعتراض يؤكد به ما بين المتصلين فدعاء الرسول ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم وتعقيبه الوعيد تأكيد لاشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله في الشدائد دون آلهتهم وقوله ولو أن الذين ظلموا يتناول لهم أو لكل ظالم ان جعل مطلقا أو اياهم خاصة ان عنوا به انتهى وهو ملتقط أكثره من كلام الزمخشري وهو متكلف في ربط هذه الآية بقوله واذا ذكر الله وحده اشمأز مع بعد ما بينهما من الفواصل واذا كان أبو علي الفارسي لا يجيز الاعتراض بجملتين فكيف يجيزه بهذه الجمل الكثيرة والذي يظهر في الربط أنه لما قال ولو أن الذين ظلموا الآية كان ذلك إشعارا بما ينال الظالمين من شدة العذاب وأنه يظهر لهم يوم القيامة من العذاب ما لم يكن في حسابهم أتبع ذلك بما يدل على ظلمه وبغيه اذ كان اذا مسه ضر دعا ربه فاذا أحسن اليه لم ينسب ذلك اليه ثم انه بعد وصف تلك النعمة أنها ابتلاء وفتنة كما بدا له في الآخرة من عمله الذي كان يظنه صالحا ما لم يكن في حسابه من سوء العذاب المترتب على ذلك العمل ترتب الفتنة على تلك النعمة ولكن أكثرهم لا يعلمون أي ان ذلك استدراج وامتحان ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ أي قال مثل مقالتهم أوتيته على علم والظاهر أن قائلي ذلك جماعة من الامم الكافرة الماضية كقارون في قوله قال انما أوتيته على علم عندي وقيل الذين من قبلهم هم قارون وقومه اذ رضوا بمقالته فنسب القول اليهم جميعا وقرئ قد قاله أي قال القول أو الكلام ﴿فما أغنى عنهم﴾ يجوز أن تكون ما نافية وهو الظاهر وأن تكون استفهامية فيها معنى النفي ﴿ما كانوا يكسبون﴾ أي من الاموال ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ اشارة الى مشركي قريش ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ جاء بسين الاستقبال التي هي أقل تنفيسا في زمن من سوف وهو خبر غيب أبرزه الوجود في يوم بدر وغيره قتل رؤساءهم وحبس عنهم الرزق فلم يمطروا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم ﴿أولم يعلموا أن الله﴾ لا قابض ولا باسط الا الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا﴾ نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله عطاء أو في قوم آمنوا عياش بن

﴿ أن تقول نفس ياحسرتا ﴾ الالف منقلبة عن ياء المتكلم وأصله ياحسرتى كما قالوا فى ياغلامى ياغلاما فقلبوا الياء الفاء والجنب الجانب ومستحيل على الله تعالى الجارحة فاضافة الجنب اليه مجاز ﴿ لمن الساخرين ﴾ لم يكفه أن ضيع طاعة الله تعالى حتى سخر من أهلها ولما كان قوله لو أن الله هدانى وجوابه متضمنا نفى الهداية كأنه قال ماهدانى فقيل له بلى قد جاءتك آياتى مرشدة لك فكذبت ﴿ فأكون ﴾ يجوز أن يكون جواب لو وقد أشربت معنى التمنى كأنه قيل تمنيت أن لى كرة فأكون من المحسنين ويجوز أن يكون معطوفا على كرة كأنه قيل فلو أن لى كرة فكونا من المحسنين ويكون جواب لو محذوف تقديره لنجوت قال ابن عطية وحق بلى أن تجيء بعد نفى عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفى مقدر كان النفس قالت فعمرى فى الدنيا لم يتسع للنظر أو قالت فانى لم يتبين لى الأمر فى الدنيا ونحو هذا انتهى ليس حق بلى ماذكر بل حقها أن تكون جواب نفى ثم حمل التقرير على النفى ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب وأجابه بنعم ووقع ذلك أيضا فى كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض العرب وكذبهم على الله تعالى نسبتهم اليه البنات والصاحبة والولد وشرعهم مالم يأذن به الله والظاهر أنه عام فى الكاذبين على الله تعالى والرؤية هنا من رؤية البصر ووجوههم مسودة جملة فى موضع الحال وفيها رد على الزمخشرى اذ زعم ان حذف الواو من الجملة الاسميه المشتملة على ضمير ذى الحال شاذ وتبع فى ذلك الفراء وقد أعرب هو هذه الجملة حالا فكأنه رجع عن مذهبه ذلك وقرىء وجوههم مسودة بنصبهما فهو بدل من الذين ومسودة حال كانه قيل وترى وجوه الذين كذبوا على الله فى حال اسودادها وقرىء بمفازتهم على الافراد وبمفازاتهم على الجمع والذين كفروا معطوف على قوله وينجى وان كانت تلك جملة اسمية وينجى جملة فعلية اذ صار المعنى وينجى مع مابعده ويحشر من كفر بآيات الله

ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ففتنتهم قريش فافتتنوا وظنوا أن لا توبة لهم فكتب عمر لهم بهذه الآية قاله عمر والسدى وقتادة وابن اسحق وقيل فى قوم كفار من أهل الجاهلية قالوا وماينفعنا الاسلام وقد زنينا وقتلنا النفس وأتينا كل كبيرة * ومناسبتها لما قبلها أنه تعالى لما شدد على الكفار وذكر ما أعد لهم من العذاب وأنهم لو كان لأحدهم مافى الارض ومثله معه لافتدى به من عذاب الله ذكر مافى احسانه من غفران الذنوب اذا آمن العبد ورجع الى الله وكثيرا تأتى آيات الرحمة مع آيات النقمة ليرجو العبد ويخاف وهذه الآية عامة فى كل كافر يتوب ومؤمن عاص يتوب تمحو الذنب توبته * وقال عبد الله وعلى وابن عامر هذه أرجى آية فى كتاب الله وتقدم الخلاف فى قراءة لاتقنطوا فى الحجر * ان الله يغفر الذنوب جميعا عام يراد به ماسوى الشرك فهو مقيد أيضا بالمؤمن العاصى غير التائب بالمشيئة وفى قوله ياعبادى باضافتهم اليه وندائهم اقبال وتشريف وأسرفوا على أنفسهم أى بالمعاصى والمعنى ان ضرر تلك الذنوب انما هو عائد عليهم والنهى عن القنوط يقتضى الامر بالرجاء واضافة الرحمة الى الله التفات من ضمير المتكلم الى الاسم الغائب لأن فى اضافتها اليه سعة للرحمة اذا أضيفت الى الله الذى هو أعظم الاسماء لانه العلم المحتوى على معانى جميع الاسماء ثم أعاد الاسم الاعظم وأكد الجملة بان مبالغة فى الوعد بالغفران ثم وصف نفسه بماسبق فى الجملتين من الرحمة والغفران بصفتى المبالغة وأكد بلفظ هو المقتضى عند بعضهم الحصر * وقال الزمخشرى ان الله يغفر الذنوب جميعا بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكراله فيما لم يذكر فيه لان القرآن فى حكم كلام واحد ولايجوز فيه التناقض انتهى وهو على طريقة المعتزلة فى أن المؤمن العاصى لايغفر له الا بشرط التوبة ولما كانت هذه الآية فيها فسحة عظيمة للمسرف أتبعها بأن الانابة وهى الرجوع مطلوبة ماه ورهبائم توعد من لم يتب بالعذاب حتى لايبقى المرء كالممل من الطاعة والمتكل على الغفران دون انابة * وقال الزمخشرى وانما ذكر الانابة على إثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم لاتحصل بدونه انتهى وهو على طريقة الاعتزال * واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وهو القرآن وليس المعنى أن بعضا أحسن من بعض بل كله حسن * من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة أى فجأة وأنتم لاتشعرون أى وأنتم غافلون عن حلوله بكم فيكون ذلك أشد فى عذابكم * أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين * أوتقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين * أوتقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين * بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها

واستكبرت وكنت من الكافرين * ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين * وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون * الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل * له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون * روى أنه كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق أتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وأنفق ماله في الفجور فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان فقال ياحسرتا على مافرطت في جنب الله وذهب عمري في طاعة الشيطان وأسخطت ربي فندم حين لا ينفعه فأنزل الله خبره أن تقول مفعول من أجله فقدره ابن عطية أي أنيبوا من أجل أن تقول * وقال الزمخشري كراهة أن تقول والحسو في أنذرناكم مخافة أن تقول ونكر نفس لأنه أريد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر أو أريد الكثير كما قال الأعشى

ورب نقيع لو هتفت لنحوه * أتاني كريم ينقض الرأس مغضبا

يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا أو أريد نفس متميزة من الأنفس بالفجاج الشديد في الكفر أو بعذاب عظيم قال هذه المحتملات الزمخشري والظاهر الاول * وقرأ الجمهور ياحسرتا بابدال ياء المتكلم ألفا وأبو جعفر ياحسرتاي بياء الاضافة وعنه ياحسرتي بالألف والياء جمعا بين العوض والمعوض والياء مفتوحة أو ساكنة * وقال أبو الفضل الرازي في تصنيفه كتاب اللوامح ولو ذهب الى أنه أراد تثنية الحسرة مثل لبيك وسعديك لأن معناهما لب بعد لب وسعد بعد سعد فكذلك هذه الحسرة بعد حسرة لكثرة حسراتهم يومئذ أو أراد حسرتين فقط من فوت الجنة لدخول النار لكان مذهبا ولكان ألف التثنية في تقدير الياء على لغة بلحرث بن كعب انتهى وقرأ ابن كثير في الوقف ياحسرتاه بهاء السكت قال سيبويه ومعنى نداء الحسرة والويل هذا وقتك فاحضري والجنب الجانب ومستحيل على الله الجارحة فاضافة الجنب اليه مجاز * قال مجاهد والسدي في أمر الله * وقال الضحاك في ذكره يعني القرآن والعمل به وقيل في جهة طاعته والجنب الجهة وقال الشاعر

أفي جنب تكني قطعتني ملامة * سلمى لقد كانت ملامتها ثناء

وقال الراجز * الناس جنب والامير جنب * ويقال أنا في جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا افرط في جنبه يريدون حقه * قال سابق البربري

أما تتقين الله في جنب عاشق * له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الأمر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى الى قوله

ان السماحة والمروءة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وكذلك فعلت هذا من جهتك وما في مافرطت مصدرية أي على تفريطي في طاعة الله وان كنت لمن الساخرين * قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها * وقال الزمخشري ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أي فرطت في حال سخريتي انتهى ويظهر أنه استئناف اخبار عن نفسه بما كان عليه في الدنيا لا حال * أو تقول لو أن الله هداني أي خلق في الهداية بالالجاء وهو خارج عن الحكمة أو بالالطاف ولم يكن من أهلها فيلطف به أو بالوحي فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا تحيرا في أمره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين

ونحوه لو هداناالله لهدينا كم انتهى وهو على طريقة الاعتزال وانتصب فأكون على جواب التمني الدال عليه لو أو على كرة اذهو مصدر فيكون مثل قوله

فمالك منها غير ذكرى وحسرة * وتسأل عن ركبانها أين يمموا

﴿ وقول الآخر ﴾

للبس عباءة وتقر عينى * أحب الى من لبس الشفوف

والفرق بينهما أن الفاء اذا كانت فى جواب التمنى كانت أن واجبة الاضمار وكان الكون مترتبا على حصول المتمنى لامتمنى واذا كانت العطف على كرة جاز اظهار أن واضمارها وكان الكون متمنى * بلى هو حرف جواب لنفى أولما دخل عليه همزة التقرير ولما كان قوله لو أن الله هدانى وجوابه متضمنا نفى الهداية كأنه قال ماهدانى الله فقيل له بلى قد جاءتك آياتى مرشدة لك فكذبت * وقال الزمخشرى رد من الله عليه ومعناه بلى قد هديت بالوحى انتهى جريا على قواعد المعتزلة * وقال ابن عطية وحق بلى أن تجىء بعد نفى عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفى مقدر كان النفس قالت فعمرى فى الدنيا لم يتسع للنظر أوقالت فانى لم يتبين لى الأمر فى الدنيا ونحو هذا انتهى وليس حق بلى ماذكر بل حقها أن تكون جواب نفى ثم حمل التقرير على النفى ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب وأجابه بنعم ووقع ذلك أيضا فى كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض العرب * وقال الزمخشرى (فان قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لأنه لا يخلو إما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن وإما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب انتهى وهو كلام حسن * وقرأ الجمهور بلى قد جاءتك بفتح الكاف وفتح التاء [illegible] وابن يعمر والجحدرى وأبو حيوة والزعفرانى وابن مقسم ومسعود بن صالح والشافعى عن ابن كثير ومحمد بن عيسى فى اختياره وعن نصير والعبسى بكسر الكاف والتاء خطاب النفس وهى قراءة أبى بكر الصديق وابنته عائشة رضى الله عنهما وروتهما أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم * وقرأ الحسن والاعرج والأعمش جأتك بالهمز من غير مد بوزن بعتك وهو مقلوب من جاءتك قدمت لام الكلمة وأخرت العين فسقطت الالف كما سقطت فى رمت وعرت ولما ذكر مقالة الكافر ذكر مايعرض له يوم القيامة من الاندراس ونقلته ورق صمة وعيب لمعاصريه عليه السلام والرؤية هنا من رؤية البصر وكذبهم نسبتهم اليه تعالى البنات والصاحبة والولد وشرعهم مالم يأذن به الله والظاهر أنه عام فى المكذبين على الله وخصصه بعض بمشركى العرب وبأهل الكتابين * وقال الحسن هم القدرية يقولون ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل * وقال القاضى يجب حمل الآية على الكل من المجبرة والمشبهة وكل من وصف الله بما لا يليق به فلا وجه لما اضاف اليه مما يجب أن الإضافة [illegible] وتخصيص الآية بالمجبرة [illegible] واليهود والنصارى لا يجوز وقال الزمخشرى [illegible] لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد [illegible] وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم

(الدر)

(ع) وحق بلى أن تجىء بعد نفى عليه تقرير وقوله بلى جواب لنفى مقدر كان النفس قالت فعمرى فى الدنيا لم يتسع للنظر أو قالت فانى لم يتبين لى الأمر فى الدنيا ونحو هذا انتهى (ح) ليس حق بلى ماذكر بل حقها أن تكون جواب نفى ثم حمل التقرير على النفى ولذلك لم يحمله عليه بعض العرب وأجابه بنعم ووقع ذلك أيضا فى كلام سيبويه نفسه أن أجاب التقرير بنعم اتباعا لبعض العرب

قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوز أن يخلق خلقا لا لغرض وقوله لا لغرض ويظلمونه بتكليف مالا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا باثباتهم معه قدما انتهى وكلام من قبله على طريقة المعتزلة والظاهر أن الرؤية من رؤية البصر وان وجوههم مسودة جملة في موضع الحال وفيها رد على الزمخشري اذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية المشتملة على ضمير ذي الحال شاذ وتبع في ذلك الفراء وقد أعرب هو هذه الجملة حالا فكأنه رجع عن مذهبه ذلك وأجاز أيضا أن تكون من رؤية القلب ووجوههم مسودة جملة في موضع الحال وفيها رد على الزمخشري اذ زعم أن حذف الواو من الجملة الاسمية في موضع المفعول الثاني وهو بعيد لان تعلق البصر برؤية الاجسام وألوانها أظهر من تعلق القلب وقرئ وجوههم مسودة بنصبهما فوجوههم بدل بعض من كل * وقرأ أبي أجوههم بابدال الواو همزة والظاهر أن الاسوداد حقيقة كما مر في قوله فأما الذين اسودت وجوههم * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز وعبر بالسواد عن ارتداد وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم ولما ذكر تعالى حال الكاذبين على الله ذكر حال المتقين أي الكذب على الله وغيره مما يؤول بصاحبه الى اسوداد وجهه وفي ذلك الترغيب في هذا الوصف الجليل الذي هو التقوى * قال السدي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون كأنه قيل وما مفازتهم قيل لا يمسهم السوء أي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنه المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح بنفسه مفازة لانه سببها (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثاني فمحله النصب على الحال انتهى * وقرأ الجمهور بمفازتهم على الافراد والسلمي والحسن والاعرج والاعمش وحمزة والكسائي وأبو بكر على الجمع من حيث النجاة أنواع والاسباب مختلفة * قال أبو علي المصادر تجمع اذا اختلفت أجناسها كقوله وتظنون بالله الظنونا * وقال الفراء كلا القراءتين صواب تقول قد تبين أمر الناس وأمور الناس ولما ذكر تعالى الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فذكر أنه خالق كل شئ فدل على أعمال العباد لاندراجها في عموم كل شئ وانه على كل الاشياء قائم بحفظها وتدبيرها * له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس مفاتيح وهذه استعارة كما تقول بيد فلان مفتاح هذا الامر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المقاليد لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصاب * والذين كفروا بآيات الله وكلماته توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون * وقال الزمخشري (فان قلت) بم اتصل قوله والذين كفروا (قلت) بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأن خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها لا يخفى عليه شئ من أعمال المكلفين منها وما يستحقون عليها من الجزاء وان له مقاليد السموات والارض * قال أبو عبد الله الرازي وهذا عندي ضعيف من وجهين الاول ان وقوع الفاصل

﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ﴾ أفغير منصوب بقوله أعبد وتأمرونى جملة اعتراضية بين الفعل ومعموله كأنه قيل أعبد غير الله تأمرونى بذلك وقرئ تأمرونى بادغام نون الرفع فى نون الوقاية قال ابن عطية وهذا على حذف النون الواحدة وهى الموطئة لياء المتكلم يعنى فى قراءة من قرأ بحذف النون قال ولا يجوز حذف النون الاولى وهو لحن لانها علامة رفع الفعل انتهى فى المسئلة خلاف منهم من يقول المحذوفة نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لأن التركيب متفق عليه والخلاف جرى فى أيهما حذف والمختار انها نون الرفع و يجوز أن يكون تأمرونى فى موضع الحال أنكر عليهم ان يعبد غير الله آمريه بذلك ولما كان الاشراك مستحيلا على من عصمه الله تعالى وجب تأويل قوله لئن أشركت على حمله على ضمير السامع دون الموحى اليه أى أوحى الى الرسول عليه السلام لئن أشركت

أيها السامع ومضى الخطاب على هذا التأويل ويدل على هذا التأويل وانه ليس براجع الخطاب للرسول عليه السلام افراد الخطاب فى لئن أشركت اذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لئن أشركتم فيشمل ضميره وضمير الذين من قبله ويغلب الخطاب ﴿ بل الله فاعبد ﴾ خطاب للسامع أمره تعالى بالعبادة والشكر قال الزمخشرى فاعبد رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لاتعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقدم المفعول عوضا منه انتهى لا يكون تقدم المفعول عوضا من الشرط لجواز ان يجئ زيد فعمرا اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع بينهما ﴿ وماقدروا الله حق قدره ﴾ تقدم الكلام عليه فى الأنعام ولما أخبر انهم ما عرفوه حق معرفته نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريق التصوير والتخييل فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾ والدليل العقلى قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز ولما قرر كمال عظمته نبه أيضا أردفه بما يناسب من ذلك اذ كان فيما تقدم ذكر حال الارض والسموات يوم القيامه فقال ﴿ ونفخ فى الصور ﴾ وقرئ ﴿ وأشرقت ﴾ مبنيا للفاعل أى أضاءت وقرئ مبنيا للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله تعالى كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا ﴿ وجيء بالنبيين ﴾ ليشهدوا على أممهم ﴿ ووفيت كل نفس ﴾ أى جوزيت مكملا ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ فلا يحتاج الى كاتب ولا شاهد وفى ذلك وعيد

وزجر وتهديد

الكثير بين المعطوف والمعطوف عليه بعيد والثانى ان قوله تعالى وينجى الله الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لايجوز والاقرب عندى أن يقال انه لما وصف بصفات الالهية والجلالة وهو كونه خالق الاشياء كلها وكونه مالك المقاليد السموات والارض قال والذين كفروا بهذه الآيات الظاهرة الباهرة هم الخاسرون انتهى وليس بفاصل كثير وقوله وعطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية لايجوز كلام من لم يتأمل لسان العرب ولا نظر فى أبواب الاشتغال وأما قوله والاقرب عندى فهو مأخوذ من قول الزمخشرى وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شئ فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون ﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون * ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين * وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون * ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون * وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون * ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بما يفعلون ﴾ روى انه قال للرسول عليه السلام المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك وغير منصوب باعبد قال الاخفش تأمرونى ملغاة وعنه أيضا أفغير نصب بتأمرونى لا باعبد لان الصلة لا تعمل فيما قبلها اذ الموصول معه حذف فرفع كما فى قوله

* ألا أيهذا الزاجرى احضر الوغى * والصلة مع الموصول فى موضع النصب بدلا منه أى أفغير الله تأمرونى عبادته والمعنى أتأمرونى بعبادة غير الله وقال الزمخشرى أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه فى معنى تعبدوننى وتقولون لى اعبده وأفغير الله تقولون لى اعبد فكذلك أفغير الله تقولون لى أن اعبده وأفغير الله تأمرونى أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه

قرا آن من قرأ أعبد بالنصب يعني بنصب الدال باضمار ان * وقرأ الجمهور تأمروني بادغام النون في نون الوقاية وسكون الياء وفتحها ابن كثير وقرأ ابن عامر تأمرونني بنونين على الاصل ونافع تأمروني بنون واحدة مكسورة وفتح الياء * قال ابن عطية وهذا على حذف النون الواحدة وهي الموطئة لياء المتكلم ولا يجوز حذف النون الأولى وهو لحن لأنها علامة رفع الفعل انتهى وفي المسألة خلاف منهم من يقول المحذوفة نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لأن التركيب متفق عليه والخلاف جرى في أيهما حذف ونختار أنها نون الرفع ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر الامن غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال أيها الجاهلون ولما كان الاشراك مستحيلا على من عصمه الله وجب تأويل قوله لئن أشركت أيها السامع ومضى الخطاب على هذا التأويل و يدل على هذا التأويل انه ليس براجع الخطاب للرسول افراد الخطاب في لئن أشركت اذ لو كان هو المخاطب لكان التركيب لئن أشركتما فيشمل ضميره هو ضمير الذين من قبله و يغلب الخطاب * وقال الزمخشري (فان قلت) الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن أشركت على التوحيد (قلت) معناه لئن أوحي اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله وأوحي اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أي كل واحد منا (فان قلت) كيف يصح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا يحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها ثم ذكر كلاما يوقف عليه في كتابه و يستدل بهذه الآية على حبوط عمل المرتد من صلاة وغيرها وأوحي مبني للمفعول و يظهر أن الوحي هو هذه الجمل من قوله لئن أشركت الى من الخاسرين وهذا لا يجوز على مذهب البصريين لأن الجمل لا تكون فاعلة فلا تقوم مقام الفاعل * وقال مقاتل أوحي اليك بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لئن أشركت ليحبطن عملك والخطاب للنبي عليه السلام خاصة انتهى فيكون الذي أقيم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وهو اليك و بالتوحيد فضلة يجوز حذفها لدلالة ما قبلها عليها * وقرأ الجمهور ليحبطن مبنيا للفاعل عملك رفع به * وقرئ ليحبطن بالياء من أحبط عمله بالنصب أي ليحبطن الله عملك أو الاشراك عملك وقرئ بالنون أي لنحبطن عملك بالنصب والجلالة منصوبة بقوله فاعبد على حد قولهم زيدا فاضرب وله تقرير في النحو وكيف دخلت هذه الفاء * وقال الفراء ان شئت نصبه بفعل مضمر قبله كأنه يقدر اعبد الله فاعبده * وقال الزمخشري بل الله فاعبد رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقدم المفعول عوضا منه انتهى ولا يكون تقدم المفعول عوضا من الشرط لجواز ان يجئ زيدا فعمرا اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع بينهما وكن من الشاكرين لأنعمه التي أعظمها الهداية لدين الله * وقرأ عيسى بل الله بالرفع والجمهور بالنصب * وماقدروا الله حق قدره أي ماعرفوه حق معرفته وماقدروه في أنفسهم حق تقديره اذ أشركوا معه غيره وساووا بينه و بين الحجر والخشب في العبادة * وقرأ الاعمش حق قدره بفتح الدال وقرأ الحسن وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة وماقدروا بتشديد الدال حق قدره بفتح الدال أي ماعظموه حقيقة تعظيمه والضمير في قدروا * قال ابن عباس في كفار قريش كانت هذه الآية كلها محاورة لهم ورداً عليهم * وقيل نزلت في قوم من اليهود تكلموا في صفات الله وجلاله فألحدوا وجسموا وجاؤا بكل تخليط وهذه الجملة مذكورة في الأنعام وفي الحج وهنا ولما أخبر أنهم ماعرفوه حق معرفته نبههم على عظمته وجلالة شأنه على

(الدر)

(ع) وهذا على حذف النون الواحدة وهي الموطئة لياء المتكلم ولا يجوز حذف النون الأولى وهو لحن لانها علامة رفع الفعل انتهى (ح) في المسئلة خلاف منهم من يقول المحذوفة نون الرفع ومنهم من يقول نون الوقاية وليس بلحن لان التركيب متفق عليه والخلاف جرى في أيهما حذف ونختار انها نون الرفع (ش) بل الله فاعبد رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه انتهى (ح) لا يكون تقديم المفعول عوضا من الشرط لجواز ان يجئ زيدا فعمرا اضرب فلو كان عوضا لم يجز الجمع بينهما

طريق التصوير والتخييل فقال والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه * وقال الزمخشري والغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز انتهى ويعني أو جهة مجاز معين والاخبار التصوير والتخييل هو من المجاز * وقال غيره الأصل في الكلام حمله على حقيقته فان قام دليل منفصل على تعذر حمله عليها تعين صرفه الى المجاز فلفظ القبضة واليمين حقيقة في الجارحة والدليل العقلي قائم على امتناع ثبوت الأعضاء والجوارح لله تعالى فوجب الحمل على المجاز وذلك أنه يقال فلان في قبضة فلان اذا كان تحت تدبيره وتسخيره ومنه أو ما ملكت أيمانهم فالمراد كونه مملوكا لهم وهذه الدار في يد فلان وقبض فلان كذا وصار في قبضته يريدون خلوص ملكه وهذا كله مجاز مستفيض مستعمل * وقال ابن عطية اليمين هنا والقبضة عبارة عن القدرة وما اختلج في الصدر من غير ذلك باطل وما ذهب اليه القاضي يعني ابن الطيب من أنها صفات زائدة على صفات الذات قول ضعيف وبحسب ما يختلج في النفوس التي لم يحصها العلم قال عز وجل سبحانه وتعالى عما يشركون أي منزه عن جميع الشبه التي لا تليق به انتهى * وقال القفال هذا كقول القائل وما قدرني حق قدري وأنا الذي فعلت كذا وكذا أي لما عرفت ان حالي وصفتي هذا الذي ذكرت وجب أن لا تحطي عن قدري ومنزلتي ونظيره كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أي كيف تكفرون بمن هذه صفته وحال ملكه فكذا هنا وما قدروا الله حق قدره أي زعموا أن له شركاء وأنه لا يقدر على احياء الموتى مع أن الأرض والسموات في قبضة قدرته انتهى والأرض أي والأرضون السبع ولذلك أكد بقوله جميعا وعطف عليه والسموات وهو جمع والموضع موضع تفخيم فهو مقتض المبالغة والقبضة المرة الواحدة من القبض وبالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال في المقدار قبضته بالفتح تسمية له بالقدر فاحتمل هنا هذا المعنى واحتمل أن يراد المصدر على حذف مضاف أي ذوات قبضه أي يقبضهن قبضة واحدة فالأرضون مع سعتها وبسطها لا يبلغن إلا قبضة كف و نصب جميعا على الحال * قال الحوفي والعامل في الحال ما دل عليه قبضته انتهى ولا يجوز أن يعمل فيه قبضته سواء كان مصدرا أم أريد به المقدار * وقال الزمخشري ومع القصد الى الجمع يعني في الأرض وانه أريد بها الجمع قال وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم أول الأمر أن الخبر الذي يرد لا يقع عن أرض واحدة ولكن عن الأراضي كلهن انتهى ولم يذكر العامل في الحال ويوم القيامة معمول لقبضته * وقرأ الحسن قبضته بالنصب * قال ابن خالويه بتقدير في قبضته هذا قول الكوفيين وأما أهل البصرة فلا يجيزون ذلك كما لا يقال زيد دارا انتهى * وقال الزمخشري جعلها ظرفا مشبها بالوقت المبهم * وقرأ عيسى والجحدري مطويات بالنصب على الحال وعطف والسموات على الأرض فهي داخلة في حيز والأرض والخبر قبضته وقد استدل بهذه القراءة الأخفش على جواز زيد قائما في الدار وعرب والسموات مبتدأ وبيمينه الخبر وتقدمت الحال والمجرور ولا حجة فيه إذ يكون والسموات معطوفا على والأرض كما قلت وبيمينه متعلق بمطويات ومطويات من الطي الذي هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب وعادة طاوي السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه وبقدرته * قال الزمخشري وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لأنه أقسم أن يفنيها ثم أخذ ينحى على من تأول هذا التأويل بما

يوقف عليه فى كتابه وانما قدر عظمته بما سبق ارادفه أيضا بما يناسب من ذلك إذ كان فيما تقدم ذكر حال الارض والسموات يوم القيامة فقال ونفخ فى الصور وهل النفخ فى الصور ثلاث مرات أو نفختان قول الجمهور فنفخة الفزع هى نفخة الصعق والصعق هنا الموت أى فمات من فى السموات ومن فى الارض * قال ابن عطية والصور هنا القرن ولا يتصور هنا غير هذا ومن يقول الصور جمع صورة فانما يتوجه قوله فى نفخة البعث * وروى أن بين النفختين أربعين انتهى ولم يعين وقراءة قتادة وزيد بن على هنا فى الصور بفتح الواو جمع صورة يعكر على قول ابن عطية لانه لا يتصور هنا إلا أن يكون القرن بل يكون هذا النفخ فى الصور مجازا عن مشارفة الموت وخروج الروح وقرئ فصعق بضم الصاد والظاهر أن الاستثناء معناه إلا من شاء الله فلم يصعق أى لم يمت والمستثنون جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت أو رضوان خازن الجنة والحور ومالك والزبانية أو المستثنى الله أقوال آخرها للحسن وما قبله للضحاك * وقيل الاستثناء يرجع الى من مات قبل الصعقة الاولى أى يموت من فى السموات والارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وهذا نظير لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ثم نفخ فيه أخرى واحتمل أخرى على أن تكون فى موضع نصب والقائم مقام الفاعل الجار والمجرور كما أقيم فى الاول وأن يكون فى موضع رفع مقاما مقام الفاعل كما صرح به فى قوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة فاذاهم قيام ينظرون أى احياء قد أعيدت لهم الابدان والارواح ينظرون أى ينتظرون ما يؤمرون أو ينتظرون ماذا يفعل بهم أو يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب عظيم والظاهر قيامهم الذى هو ضد لقعود لأجل استيلاء الدهش عليهم * وقرأ زيد بن على قياما بالنصب على الحال وخبر المبتدا الظرف الذى هو اذا الفجائية وهى حال لابد منها اذ هى محط الفائدة الا أن يقدر الخبر محذوفا أى فاذاهم مبعوثون أى موجودون قياما وان نصبت قياما على الحال فالعامل فيها ذلك الخبر المحذوف ان قلنا الخبر محذوف وأن لا عامل فالعامل هو العامل فى الظرف فان كان اذا ظرف مكان على ما يقتضيه كلام سيبويه فتقديره فبالحضرة هم قياما وان كان ظرف زمان كما ذهب اليه الرياشى فتقديره ففى ذلك الزمان الذى نفخ فيه هم أى وجودهم واحتيج الى تقدير هذا المضاف لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة وان كانت اذا حرفا كما زعم الكوفيون فلابد من تقدير الخبر الا أن اعتقد أن ينظرون هو الخبر ويكون ينظرون عاملا فى الحال * وقرأ الجمهور وأشرقت مبنيا للفاعل أى أضاءت وابن عباس وعبيد بن عمير وأبو الجوزاء مبنيا للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا قاله الزمخشرى * وقال ابن عطية وهذا انما يترتب على فعل يتعدى فهذا على أن يقال أشرق البيت وأشرقه السراج فيكون الفعل مجاوزا وغير مجاوز كرجع ورجعته ووقف ووقفته والارض فى هذه الآية الارض المبدلة من الارض المعروفة ومعنى أشرقت أضاءت وعظم نورها انتهى * وقال صاحب اللوامح وجب أن يكون الاشراق على هذه القراءة منقولا من شرقت الشمس اذا طلعت فيصير متعديا بالفعل بمعنى أذهبت ظلمة الارض ولا يجوز أن يكون من أشرقت اذا أضاءت فان ذلك لازم وهذا قد تعدى الى الأرض لما لم يذكر الفاعل وأقمت الأرض مقامه وهذا على معنى ما ذهب اليه بعض المتأخرين من غير أن يتقدم فى ذلك لان من الأفعال ما يكون متعديا لازما معا على مثال واحد انتهى وفى الحديث الصحيح يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس بها علم لأحد

﴿وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا﴾ لما ذكر شيأ من أحوال يوم القيامة على سبيل الاجمال بين بعد كيفية أحوال الفريقين وما أفضى اليه كل واحد منهما فقال وسيق السوق يقتضي الحث على المسير بعنف وهو الغالب فيه وجواب اذا فتحت أبوابها ودل ذلك على أنها لاتفتح الا اذا جاءت كسائر أبواب السجون فانها لاتزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فتفتح ثم تغلق عليهم ﴿وقال لهم خزنتها﴾ على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ أى من جنسكم يقصون ما ينبئونكم به وتسهل عليكم مراجعتهم ﴿يتلون عليكم آيات ربكم﴾ أى الكتب المنزلة للتبشير

والنذارة ﴿وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ وهو يوم القيامة وما يلقى فيه المسيء من العذاب ﴿قالوا بلى﴾ أى قد جاء تناوتلوا علينا وانذروا وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ﴿ولكن حقت كلمة العذاب﴾ أى قوله تعالى لأملأن جهنم الآية ﴿على الكافرين﴾ وضع الظاهر موضع المضمر أى علينا صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب ولما فرغت محاورتهم مع الملائكة أمروا بدخول النار ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا﴾ عبر عن الاسراع الى الجنة مكرمين بالسوق واذا شرطية وجوابها قال الكوفيون وفتحت والواو زائدة وقال غيرهم محذوف تقديره لسروا بذلك ﴿وقالوا﴾ أى الداخلون الجنة ﴿الحمد لله الذى

بنور ربها قيل يخلق الله نورا يوم القيامة فيلبسه وجه الأرض فتشرق الأرض به * وقال ابن عباس النور هنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فيضيء الأرض * وروى أن الأرض يومئذ من فضة والمعنى أشرقت بنور خلقه الله تعالى أضافه اليه اضافة الملك الى المالك * وقال الزمخشرى استعار الله النور للحق والقرآن والبرهان فى مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى وأشرقت الأرض بما يقيمه فيها من الحق والعدل و بسط من القسط فى الحسنات ووزن الحسنات والسيئات و ينادى عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الأرض لانه يزينها حين ينشر فيها عدله و ينصب فيها موازين قسطه و يحكم بالحق بين أهلها ولا ترى أزين للبقاع من العدل ولا أعمر لها منه و يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما يقولون أظلمت البلاد بجور فلان * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية بأثبات العدل ختمها بنفى الظلم * ووضع الكتاب أى صحائف الاعمال ووحد لانه اسم جنس وكل أحد له كتاب على حدة وأبعد من قال الكتاب هنا اللوح المحفوظ * وروى ذلك عن ابن عباس ولعله لا يصح وقد ضعف بأن الآية سيقت مقام التهديد فى سياق الخبر * وجيء بالنبيين ليشهدوا على أممهم والشهداء قيل جمع شاهد وهم الذين يشهدون على الناس بأعمالهم * وقيل هم الرسل من الانبياء * وقيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم يشهدون للرسل * وقال عطاء ومقاتل وابن زيد الحفظة وقال ابن زيد أيضا النبيون والملائكة وأمة محمد عليه السلام والجوارح * وقال قتادة الشهداء جمع شهيد وليس فيه توعد وهو مقصود الآية * وقضى بينهم أى بين العالم ولذلك قسموا بعد الى قسمين أهل النار وأهل الجنة بالحق أى بالعدل * ووفيت كل نفس أى جوزيت مكملا * وهو أعلم بما يفعلون فلا يحتاج الى كاتب ولا شاهد وفى ذلك وعيد و زيادة تهديد * وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين * وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين * وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين * ولما ذكر أشياء من أحوال يوم القيامة على سبيل الاجمال بين بعد كيفية أحوال الفريقين وما أفضى اليه كل واحد منهما

صدقنا وعده وأورثنا الارض﴾ وهى أرض الجنة أى ملكناها نتصرف فيها كيف نشاء ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أى المخصوص بالمدح محذوف تقديره أجرنا ﴿وترى الملائكة﴾ خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ﴿حافين﴾ حال والحفوف الاحداق بالشيء من جميع جهاته أى حافين ﴿من حول العرش يسبحون﴾ حال ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ ختم للامر وقول جزم عند فصل القضاء أى ان هذا الحاكم العدل ينبغى ان يحمد عند نفوذ حكمه وكمال قضائه ومن هذه الآية جعلت الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس والمجتمعات فى العلم

فقال وسيق والسوق يقتضي الحث على المسير بعنف وهو الغالب فيه وجواب اذا فتحت أبوابها ودل ذلك على انه لا يفتح الا اذا جاءت كسائر أبواب السجون فانها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح ثم يغلق عليهم وتقدم ذكر قراءة التخفيف والتشديد في فتحت وأبوابها سبعة كما ذكر في سورة الحجر وقال لهم خزنتها على سبيل التقريع والتوبيخ ألم يأتكم رسل منكم أي من جنسكم تفهمون ما ينبؤنكم به وسهل عليكم مراجعتهم * وقرأ ابن هرمز تأتكم بتاء التأنيث والجمهور بالياء يتلون عليكم آيات ربكم أي الكتب المنزلة للتبشير والنذارة وينذرونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيامة وما يلقى فيه المسمى من العذاب قالوا بلى أي قد جاءتنا وتلوا وأنذروا وهذا اعتراف بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب أي قوله تعالى لأملأن جهنم على الكافرين وضع الظاهر موضع المضمر أي علينا صرحوا بالوصف الموجب لهم العقاب * ولما فرغت محاورتهم مع الملائكة أمروا بدخول النار * وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا عبر عن الاسراع بهم الى الجنة مكرمين بالسوق والمسوق دوابهم لانهم لا يذهبون اليها الا راكبين وللمقابلة قسميهم ساغ لفظ السوق اذ لو لم يتقدم لفظ وسيق لعبر بأسرع واذا شرطية وجوابها قال الكوفيون وفتحت والواو زائدة وقال غيره محذوف * قال الزمخشري وانما حذف لانه في صفة ثواب أهل الجنة فدل على انه شئ لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعد خالدين انتهى وقدره المبرد بعد خالدين سعدوا وقيل الجواب وقال لهم خزنتها على زيادة الواو وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها ومن جعل الجواب محذوفا أو جعله وقال لهم على زيادة الواو وجعل قوله وفتحت جملة حالية أي وقد فتحت ابوابها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وناسب كونها حالا أن أبواب الافراح تكون مفتحة لانتظار من تجيء اليها بخلاف أبواب السجون وقال لهم خزنتها سلام عليكم يحتمل أن يكون تحية منهم عند ملاقاتهم وأن يكون خبرا بمعنى السلامة والامن * طبتم أي أعمالا ومعتقدا ومستقرا وجزاء * فادخلوها خالدين أي مقدرين الخلود * وقالوا أي الداخلون الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض أي ملكناها نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وقيل ورثوها من أهل النار وهي أرض الجنة ويبعد قول من قال هي أرض الدنيا قاله قتادة وابن زيد والسدي نتبوأ منها حيث نشاء أي نتخذ أمكنة ومساكن والظاهر ان قوله فنعم أجر العاملين أي بطاعة الله هذا الاجر من كلام الداخلين * وقال مقاتل هو من كلام الله تعالى وترى الملائكة حافين الخطاب للرسول حافين قال الاخفش واحدهم حاف * وقال الفراء لا يفرد وقيل لان الواحد لا يكون حافا إذ الحفوف الاحداق بالشئ من حول العرش * قال الاخفش من زائدة أي حافين حول العرش وقيل هي لابتداء الغاية والظاهر عود الضمير من بينهم على الملائكة اذ ثوابهم وان كانوا معصومين يكون على حسب تفاضل مراتبهم فذلك هو القضاء بينهم بالحق وقيل ضمير الحمد لله رب العالمين الظاهر أن قائل ذلك هم من ذوات بينهم المخاطبة من الداخلين الجنة ومن خزنتها ومن الملائكة الحافين حول العرش اذهم في نعيم سرمدي منجاة من عذاب الله * وقال الزمخشري المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله رب العالمين على افضاله وقضائه بيننا بالحق وأنزل كل منا منزلته التي هي حقه * وقال ابن عطية وقيل الحمد لله رب العالمين خاتمة المجالس المجتمعات في العلم

﴿ سورة غافر خمس وثمانون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير * مايجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا فلايغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب * وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار * الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم * ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الايمان فتكفرون * قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل * ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير * هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب * فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون * لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب * وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور * والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير * أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا فى ضلال * وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الأرض الفساد * وقال موسى إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب * ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد * وقال الذى آمن ياقوم إنى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد * وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله

من هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وإنى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل وما كيد فرعون إلا فى تباب * وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب * وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار * تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار * لاجرم أنما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردّنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمرى الى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوّا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب * وإذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كلّ فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاؤا الكافرين إلا فى ضلال * إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار * ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب * فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار * ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم إن فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير * لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون * ومايستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ماتتذكرون * ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون * وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين * ألله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لاإله إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون * ألله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين * هو الحى لاإله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين * قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين * هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدّكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون * هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون * الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ﴾ * أزف الشئ قرب قال الشاعر

أزف الترحل غير أن ركابنا * لما تزل برحالنا وكأن قد

﴿سورة غافر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ سبع الحواميم مكيات قالوا باجماع وفي الحديث ان الحواميم ديباج القرآن وفيه من أراد ان يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم وفيه مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر وطرق الآخرة وهي قصار لاتلحق منها سآمة *ومناسبة أول هذه السورة لآخر الزمر انه تعالى لما ذكر مايؤول اليه حال الكافر وحال المؤمن ذكر تعالى هنا أنه غافر الذنب وقابل التوب ليكون ذلك استدعاء الكافر الى الايمان والاقلاع عما هو فيه وان باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم اليه ليرتدع عما هو فيه وان مرجعه الى ربه

فيجازيه بما عمل من خير أو شر ﴿شديد العقاب﴾ بدل لانه من باب الصفة المشبهة ولا يتعرف بالاضافة الى المعرفة ووقع في كلام الزمخشري في قوله شديد العقاب مانصه والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت وهذا تركيب غير عربي لانه جعل فقد آذنت جواب لما وليس من كلامهم لما جاء زيد فقد قام عمرو ﴿ذي الطول﴾ قال ابن عباس الطول السعة والغنى ﴿ما يجادل﴾ جدالهم فيها قولهم مرة سحر ومرة شعر ومرة كهانة ومرة أساطير الأولين ومرة انما يعلمه بشر فهو جدال بالباطل ولما كان جدال الكفار ناشئا عن تكذيب ماجاء به الرسول عليه السلام من آيات الله ذكر من كذب قبلهم من الأمم السالفة وماصار اليه حالهم من حلول نقمات الله تعالى بهم ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول اليهم فبدأ بقوم نوح عليه السلام اذ كان عليه السلام أول رسول في الأرض وعطف على قومه الاحزاب وهم الذين تحزبوا على الرسل ولم يقبلوا منهم ماجاؤا به من عند الله تعالى ومنهم عاد وثمود وفرعون وأتباعه وقدم الهم بالأخذ على الجدال بالباطل لان الرسل عليهم السلام لما عصمهم الله تعالى منهم أن يقتلوهم رجعوا الى الجدال بالباطل ﴿فكيف﴾ استفهام في موضع خبر كان وعقاب اسم كان حذفت منه ياء الاضافة لكونه فاصلة ﴿وكذلك حقت﴾ الكاف للتشبيه أي مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار وانهم مع مابعده بتقدير المصدر أي كونهم وهو بدل من قوله كلمة

---

* التباب الخسران * السلسلة معروفة * السحب الجر * سجرت التنور ملأته نارا ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب * ذي الطول لا إله إلا هو اليه المصير * ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد * كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب * وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار﴾ سبع الحواميم مكيات قالوا باجماع وقيل في بعض آيات هذه السور مدني * قال ابن عطية وهو ضعيف وفي الحديث ان الحواميم ديباج القرآن وفيه من أراد أن يرتع في رياض مونقة من الجنة فليقرأ الحواميم وفيه مثل الحواميم في القرآن مثل الحبرات في الثياب وهذه الحواميم مقصورة على المواعظ والزجر وطرق الآخرة وهي قصار لاتلحق فيها سآمة *ومناسبة أول هذه السورة لآخر الزمر أنه تعالى لما ذكر مايؤول اليه حال الكافرين وحال المؤمنين ذكر هنا أنه تعالى غافر الذنب وقابل التوب ليكون ذلك استدعاء للكافر الى الايمان والى الاقلاع عما هو فيه وأن باب التوبة مفتوح وذكر شدة عقابه وصيرورة العالم كلهم فيه ليرتدع عما هو فيه وأن رجوعه الى ربه فيجازيه بما يعمل من خير أو شر * وقرئ بفتح الحاء اختيار أبي القاسم بن جبارة الهذلي صاحب كتاب الكامل في القرآن وأبو السمال بكسرها على أصل التقاء الساكنين وابن أبي اسحق وعيسى بفتحها وخرج على أنها حركة التقاء الساكنين وكانت فتحة طلبا للخفة كأين وحركة اعراب على انتصابها بفعل مقدر تقديره اقرأ حم * وفي الحديث أن اعرابيا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حم ماهو فقال أسماء وفواتح سور وقال سريج بن أبي أوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

﴿وقال الكميت﴾

وجدنا لكم في آل حميم آية * تأولها منا تقي ومعرب

أعربا حاميم ومنعت الصرف للعلمية أو العلمية وشبه العجمة لان فاعيل ليس من أوزان أبنية العرب وانما وجد ذلك في العجم نحو قابيل وهابيل وتقدم فيما روى في الحديث جمع حم على الحواميم كما جمع طس على الطواسين وحكى صاحب زاد المسير عن شيخه ابن منصور اللغوي أنه قال من الخطا

 (ش) جعل الزجاج شديد العقاب بدلا وحده بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاء تفاعليها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل انتهى (ح) لا نبو في ذلك لان الجرى على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الأصل وقوله فقد آذنت بأن كلها ابدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد آذنت جواب لما وليس من كلامهم لما جاء زيد فقد قام عمرو وقوله بأن كلها ابدال فيه تكرير الابدال أما بدل البداء عند من أثبته فتكررت فيه الابدال وأما بدل كل من كل

أن تقول قرأت الحواميم وليس من كلام العرب والصواب أن يقول قرأت آل حم وفي حديث ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات انتهى فان صح من لفظ الرسول أنه قال الحواميم كان حجة على من منع ذلك وان كان نقل بالمعنى أمكن أن يكون من تحريف الأعاجم ألا ترى لفظ ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقول الكميت وجدنا لكم في آل حاميم وتقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول البقرة وقد زادوا في حاميم أقوالا هنا وهي مروية عن السلف غنينا عن ذكرها لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شئ منها فان كانت حم اسما للسورة كانت في موضع رفع على الابتداء والا فتنزيل مبتدأ ومن الله الخبر أو خبر ابتداء أي هذا تنزيل ومن الله متعلق بتنزيل والعزيز العليم صفتان دالتان على المبالغة في القدرة والغلبة والعلم وهما من صفات الذات * وقال الزجاج غافر وقابل صفتان وشديد بدل انتهى وانما جعل غافر وقابل صفتين وان كانا اسمي فاعل لانه فهم من ذلك أنه لا يراد بهما التجدد ولا التقييد بزمان بل أريد بهما الاستقرار والثبوت واضافتهما محضة فيعرف وصح أن يوصف بهما المعرفة وانما أعرب شديد العقاب بدلا لانه من باب الصفة المشبهة ولا يتعرف بالاضافة الى المعرفة وقد نص سيبويه على أن كل ما اضافته غير محضة اذا أضيف الى معرفة جاز أن ينوي باضافته التمحض فيتعرف وينعت به المعرفة الا ما كان من باب الصفة المشبهة فانه لا يتعرف وحكى صاحب المقنع عن الكوفيين أنهم أجازوا في حسن الوجه وما أشبهه أن يكون صفة للمعرفة قال وذلك خطأ عند البصريين لان حسن الوجه نكرة واذا أردت تعريفه أدخلت فيه أل وقال أبو الحجاج الاعلم لا يبعد أن يقصد بحسن الوجه التعريف لان الاضافة لا تمنع منه انتهى وهذا جنوح الى مذهب الكوفيين وقد جعل بعضهم غافر الذنب وما بعده أبدالا اعتبارا بأنها لا تتعرف بالاضافة كأنه لاحظ في غافر وقابل زمان الاستقبال وقيل غافر وقابل لا يراد بهما المضي فهما يتعرفان بالاضافة ويكونان صفتين أي ان قضاءه بالغفران وقبول التوب هو في الدنيا * قال الزمخشري جعل الزجاج شديد العقاب وحده بدلا بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هذه المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فان وقع فيها

وبدل بعض من كل وبدل الاشتمال فلا نص عن أحد من النحويين أعرفه في جواز التكرار فيها أو منعه الا أن في كلام بعض أصحابنا ما يدل على أن البدل لا يتكرر وذلك في قول الشاعر

فالى ابن أم أناس أرحل ناقتي
عمرو فتبلغ ناقتي أو تزحف
ملك اذا نزل الوفود ببابه
عرفوا موارد مزنه لا تنزف

قال فملك بدل من عمرو وبدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن أم أناس قلت لأنه قد أبدل منه عمرو فلا يجوز ان يبدل منه مرة أخرى لأنه قد طرح انتهى فدل هذا على أن البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على ان البدل من البدل جائز وقوله جاءت تفاعيلها هو جمع تفعال أو تفعول أو تفعول أو تفعيل وليس شئ من هذه الأوزان يكون معدودا في آخر العروض بل أجزاؤها منحصرة ليس منها شئ من هذه الاوزان فصوابه أن يقول جاءت أجزاؤها كلها على مستفعلن انتهى (لـ) قد وقع لفظ التفاعيل في تصانيف غير واحد من العلماء المتقدمين والمتأخرين ورأيت في صفحة من تصانيف بعض الفضلاء المتأخرين في العروض ذكرها في نحو عشرة مواضع ولا يعني الا الاجزاء كائنة ما كانت من أصل وفرع وموضع المؤاخذة في كلام (ش) ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها انها من الرجز فليس هذا بصحيح بل يجوز ان يؤتى بقصيدة كلها على مستفعلن ولا يلزم أن يحكم عليها بانها من الرجز بل يجوز ان تكون من الكامل وقد دخل أجزاءها الاضمار وهذا لا نزاع فيه

جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولا نبو في ذلك لان الجري على القواعد التي قد استقرت وصحت هو الاصل وقوله فقد آذنت بان كلها أبدال تركيب غير عربي لانه جعل فقد آذنت جواب لما وليس من كلامهم لما قام زيد فقد قام عمرو وقوله بأن كلها ابدال فيه تكرار الابدال أما بدل البداء عند من أثبته فقد تكررت فيه الابدال وأما بدل كل من كل وبدل بعض من كل وبدل اشتمال فلا نص عن أحد من النحويين أعرفه في جواز التكرار فيها أو منعه الا أن في كلام بعض أصحابنا ما يدل على أن البدل لا يكرر وذلك في قول الشاعر

فالى ابن أم أناس ارحل ناقتي * عمرو فتبلغ ناقتي أو تزحف
ملك اذا نزل الوفود ببابه * عرفوا موارد مزنه لا تنزف

* قال فملك بدل من عمرو بدل نكرة من معرفة قال فان قلت لم لا يكون بدلا من ابن أم أناس (قلت) لانه قد أبدل منه عمرو فلا يجوز أن يبدل منه مرة أخرى لانه قد طرح انتهى فدل هذا على أن البدل لا يتكرر ويتحد المبدل منه ودل على أن البدل من البدل جائز وقوله جاءت تفاعيلها هو جمع تفعال أو تفعول أو تفعول أو تفعيل وليس شيء من هذه الاوزان يكون معدولا في آخر العروض بل أجزاؤها منحصرة ليس منها شيء من هذه الاوزان فصوابه أن يقول جاءت أجزاؤها كلها على مستفعلن * وقال سيبويه أيضا ولقائل أن يقول هي صفات وانما حذفت الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على أن الخليل قال في قولهم لا يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك ويحسن بالرجل خير منك أن يفعل على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما يسهل ذلك أمن اللبس وجهالة الموصوف انتهى ولا ضرورة الى اعتقاد حذف الالف واللام من شديد العقاب وترك ما هو أصل في النحو وتشبيه بنادر مغير عن القوانين من تثنية الوتر للشفع وينزه كتاب الله عن ذلك كله * وقال الزمخشري ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شيء أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هي الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال انتهى وأجاز مكي في غافر وقابل البدل حملا على أنهما نكرتان لاستقبالهما والوصف حملا على أنهما معرفتان لمضيهما * وقال أبو عبد الله الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفة وانما كانا كذلك لانهما يفيدان معنى الدوام والاستمرار وكذلك شديد العقاب تفيد ذلك لان صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث شديد عقابه وهذا المعنى حاصل أبدا لا يوصف بانه حصل بعد أن لم يكن انتهى وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظر فيه ويلزمه أن يكون حكيم عليم من قوله من لدن حكيم عليم ومليك مقتدر من قوله عند مليك مقتدر معارف لتنزيه صفاته عن الحدوث والتجدد ولانها صفات لم تحصل بعد أن لم تكن ويكون تعريف صفات بأل وتنكيرها سواء وهذا لا يذهب اليه مبتدئ في علم النحو فضلا عمن صنف فيه وقدم على تفسير كتاب الله وتحصل من هذا الكلام المطول أن غافر الذنب وما عطف عليه وشديد العقاب أوصاف لان المعطوف على الوصف وصف والجميع معارف على ما تقرر أو أبدال لان المعطوف على البدل بدل لتنكير الجميع أو غافر وقابل وصفان وشديد بدل لمعرفة ذينك وتنكير شديد * وقال الزمخشري (فان قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة

وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول انتهى وما أكثر تلمح هذا الرجل وشقشقته والذي أفاد أن الواو للجمع وهذا معروف من ظاهر علم النحو * وقال صاحب الغنيان وانما عطف لاجتماعهما وتلازمهما وعدم انفكاك أحدهما عن الآخر وقطع شديد العقاب عنهما فلم يعطف لانفراده انتهى وهي نزغة اعتزالية ومذهب أهل السنة جواز غفران الله للعاصي وان لم يتب الا الشرك والتوب يحتمل أن يكون كالذنب اسم جنس و يحتمل أن يكون جمع توبة كبشر و بشرة وساع وساعة والظاهر من قوله وقابل التوب ان توبة العاصي بغير الكفر كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقبولها وذكروا في القطع بقبول توبة العاصي قولين لأهل السنة ولما ذكر تعالى شدة عقابه أردفه بما يطمع في رحمته وهو قوله ذي الطول فجاء ذلك وعيداً اكتنفه وعدان * قال ابن عباس الطول السعة والغنى * وقال قتادة النعم * وقال ابن زيد القدرة وقوله طوله تضعيف حسنات أوليائه وعفوه عن سيئاتهم * ولما ذكر جملة من صفاته العلا الذاتية والفعلية ذكر أنه المنفرد بالالوهية المرجوع اليه في الحشر ثم ذكر حال من جادل في الكتاب وأتبع ذلك بذكر الطائعين من ملائكته وصالحي عباده فقال ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا وجدالهم فيها قولهم مرة سحر ومرة شعر ومرة أساطير الاولين ومرة انما يعلمه بشر فهو جدال بالباطل وقد دل على ذلك بقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق * وقال السدي ما يجادل أي ما يماري * وقال ابن سلام ما يجحد وقال أبو العالية نزلت في الحرث بن قيس أحد المستهزئين وأما ما يقع بين أهل العلم من النظر فيها واستيضاح معانيها واستنباط الاحكام والعقائد منها ومقارعة أهل البدع بها فذلك فيه الثواب الجزيل ثم نهى السامع أن يغتر بتقلب هؤلاء الكفار في البلاد وتصرفاتهم فيها بما أمليت لهم من المساكن والمزارع والممالك والتجارات والمكاسب وكانت قريش تتجر في الشأم واليمن فان ذلك وبال عليهم وسبب في اهلاكهم كما هلك من كان قبلهم من مكذبي الرسل * وقرأ الجمهور فلا يغررك بالفك وهي لغة أهل الحجاز * وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير فلا يغرك بالادغام مفتوح الراء وهي لغة تميم ولما كان جدال الكفار ناشئاً عن تكذيب ما جاء به الرسول عليه السلام من آيات الله ذكر من كذب قبلهم من الأمم السالفة وما صار اليه حالهم من حلول نقمات الله بهم ليرتدع بهم كفار من بعث الرسول عليه السلام اليهم فبدأ بقوم نوح اذ كان عليه السلام أول رسول في الارض وعطف على قومه الاحزاب وهم الذين تحزبوا على الرسل ولم يقبلوا ما جاؤا به من عند الله ومنهم عاد وثمود وفرعون وأتباعه وقدم الهم بالأخذ على الجدال بالباطل لان الرسل لما عصمهم الله منهم أن يقتلوهم رجعوا الى الجدال بالباطل * وقرأ الجمهور برسولهم وقرأ عبد الله برسولها عاد الضمير الى لفظ أمة ليأخذوه ليتمكنوا منه بحبس أو تعذيب أو قتل * وقال ابن عباس ليأخذوه ليملكوه * وأنشد قطرب

فاما تأخذوني تقتلوني * فكم من آخذ يهوى خلودي

و يقال للقتيل والاسير أخيذ * وقال قتادة ليأخذوه ليقتلوه عبر عن المسبب بالسبب وجادلوا بالباطل أي بما هو مضمحل ذاهب لاثبات له وقيل الباطل الكفر وقيل الشيطان وقيل بقولهم ما أنتم الا بشر مثلنا * ليدحضوا ليزلقوا به الحق أي الثابت الصدق * فأخذتهم فأهلكتهم * فكيف كان عقاب اياهم استفهام تعجيب من استئصالهم واستعظام لما حل بهم وليس استفهاما عن كيفية

﴿الذين يحملون العرش﴾ الآية لما ذكر جدال الكفار ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه وهم حملة العرش ومن حوله وهم الحافون به من الملائكة والذين مبتدأ ومن معطوف عليه ويسبحون الخبر ويؤمنون به فائدته شرف الايمان وفضله وشرف من يحلى به ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ يدل على شرف المؤمنين حيث جعل استغفارهم معطوفا على ايمان الملائكة معطوفا على تنزيه الملائكة لله تعالى ﴿ربنا﴾ منصوب على اضمار القول وربنا منادى مضاف ورحمة وعلما تمييزان محولان من الفاعل تقديره وسعت رحمتك وعلمك كل شئ ولما سألوا ازالة العقاب سألوا ايصال الثواب وكرروا الدعاء بربنا فقالوا ربنا وأدخلهم جنات عدن ﴿وقهم السيئات﴾ أى امنعهم من الوقوع فيها حتى لا يترتب عليها جزاؤها ومن شرطية مفعول أول بتق تقديره أى شخص والسيئات مفعول ثان ﴿فقد رحمته﴾ جواب الشرط ونادوهم قيل فى النار والمنادون لهم الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع واللام فى لمقت لام الابتداء أو لام القسم ومقت مصدر مضاف الى الفاعل التقدير لمقت الله اياكم أو لمقت الله أنفسكم وحذف المفعول لدلالة ما بعده عليه فى قوله أكبر من مقتكم أنفسكم والظاهر أن مقت الله اياهم هو فى الدنيا ويضعف أن يكون فى الآخرة كما قال بعضهم لبقاء اذ تدعون مفلتا من الكلام لكونه ليس له عامل تقدم ولا مفسر لعامل فاذا كان المقت السابق فى

الدنيا أمكن أن يضمر له عامل تقديره مقتكم اذ تدعون وقال الزمخشرى واذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة ان الله مقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حيث كان الأنبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذا وقعتم فيها باتباعكم هواهن انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وأخطأ فى قوله واذ تدعون

عقابهم وكانوا يمرون على مساكنهم ويرون آثار نعمة الله فيهم واجتزأ بالكسر عن ياء الاضافة لانها فاصلة والاصل عقابى * وكذلك حقت أى مثل ذلك الوجوب من عقابهم وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار من تقدم منهم ومن تأخر وانهم بدل من كلمة ربك فهى فى موضع رفع ويجوز أن يكون التقدير لانهم وحذف لام العلة والمعنى كما وجب اهلاك أولئك الأمم وجب اهلاك هؤلاء لأن الموجب لاهلاكهم وصف جامع لهم وهو كونهم من أصحاب النار وفى مصحف عبد الله وكذلك سبقت وهو تفسير معنى لا قراءة وقرأ ابن هرمز وشيبة وابن القعقاع ونافع وابن عامر كلمات على الجمع وأبو رجاء وقتادة وباقى السبعة على الافراد ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم * ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون * قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل * ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير * هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب ﴾ لما ذكر جدال الكفار فى آيات الله وعصيانهم ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه وهم حملة العرش ومن حوله وهم

منصوب بالمقت الأول لان المقت مصدر ومعموله من صلته ولا يجوز أن يخبر عنه الا بعد استيفائه صلته وقد أخبر عنه بقوله أكبر من مقتكم أنفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التى لا تكاد تخفى على المبتدئين فضلا عمن تدعى العجم انه فى العربية شيخ العرب والعجم وليس كذلك ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين﴾ وجه اتصال هذه بما قبلها أنهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم أنفسهم هذا الانكار فلما مقتوا أنفسهم ورأوا حزنا طويلا رجعوا الى الاقرار بالبعث فأقروا انه تعالى أماتهم اثنتين وأحياهم اثنتين تعظيما لقدرته وتوسلا الى رضاه ثم أطمعوا أنفسهم بالاعتراف بالذنوب أن يردوا الى الدنيا أى ان رجعنا الى الدنيا ودعينا الى الايمان بادرنا اليه وتقدم الكلام فى الاماتة والاحياء فى البقرة ﴿ذلكم﴾ الظاهر ان الخطاب للكفار فى الآخرة والاشارة الى العذاب الذى هم فيه وذلكم مبتدأ خبره بأنكم لانه ينسبك ما بعد الباء بمصدر فيكون التقدير عذابكم كائن بسبب كفركم واشراككم المذكورين والضمير فى بانه ضمير الشأن ﴿اذا دعى الله وحده﴾ أى اذا أفرد بالالوهية ونفيت عن سواه ﴿كفرتم وان يشرك به﴾ أى ذكرت اللات والعزى وأمثالهما من الاصنام صدقتم بالوهيتها وسكنت نفوسكم اليها ﴿فالحكم﴾ بعذابكم اليوم ﴿لله﴾ تعالى لا لتلك الاصنام التى أشركتموها مع الله تعالى ﴿العلى﴾ عن الشريك ﴿الكبير﴾ العظيم الكبرياء

الحافون به من الملائكة وذكروا من وصف تلك الجلة وعظم خلقهم ووصف العرش ومن أى شئ خلق والحجب السبعينيات التى اختلفت أجناسها قالوا احتجب الله عن العرش وعن حامليه والله أعلم به على أن قدرته تعالى محتملة لكل ماذكروه مما لا يقتضى تجسيما لكنه يحتاج الى نقل صحيح * وقرأ الجمهور العرش بفتح العين وابن عباس وفرقة بضمها كأنه جمع عرش كسقف وسقف أو يكون لغة فى العرش * يسبحون بحمد ربهم أى ينزهونه عن جميع النقائص بحمد ربهم بالثناء عليه بانه المنعم على الاطلاق والتسبيح اشارة الى الاجلال والتحميد اشارة الى الاكرام فهو قريب من قوله تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ونظيره وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقولهم ونحن نسبح بحمدك * ويؤمنون أى ويصدقون بوجوده تعالى وبما وصف به نفسه من صفاته العلا وتسبيحهم اياه يتضمن الايمان * قال الزمخشرى (فان قلت) مافائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمده مؤمنون (قلت) فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء فى غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمالهم الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا فابان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهى التنبيه على أن الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب ولما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم أن ايمانهم وايمان من فى الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء فى أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا وأنه منزه عن صفات الاجرام وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على أن الاشتراك فى الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة وأبعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماء وأرض قط ثم لما جاء جامع الايمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن فى الارض انتهى وهو كلام حسن الا أن قوله ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير فيه نظر وقوله ويستغفرون للذين آمنوا تخصيص لعموم قوله ويستغفرون لمن فى الارض * وقال مطرف بن الشخير وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا هذه الآية انتهى وينبغى أن يقال أنصح العباد للعباد الانبياء والملائكة * ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما أى يقولون ربنا واحتمل هذا المحذوف بيانا ليستغفرون فيكون فى محل رفع وأن يكون حالا فيكون فى موضع نصب وكثيرا ما جاء النداء بلفظ ربنا ورب وفيه استعطاف العبد لمولاه الذى رباه وقام بمصالحه من لدن نشأته الى وقت ندائه فهو جدير بأن لا يناديه الا بلفظ الرب وانتصب رحمة وعلما على التمييز والاصل وسعت رحمتك كل شئ وعلمك كل شئ وأسند الوسع الى صاحبهما مبالغة كأن ذاته هى الرحمة والعلم وقد وسع كل شئ وقدم الرحمة لأنهم بها يستمطرون احسانه ويتوسلون بها الى حصول مطلوبهم من سؤال المغفرة * ولما حكى تعالى عنهم كيفية ثنائهم عليه وأخبر باستغفارهم وهو قولهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وطلب المغفرة نتيجة الرحمة وللذين تابوا يتضمن انك علمت توبتهم فهما راجعان الى قوله رحمة وعلما واتبعوا سبيلك وهى سبيل الحق التى نهجتها لعبادك انك أنت العزيز الذى لا تغالب الحكيم الذى يضع الاشياء مواضعها التى

تلبق بها ولما كان طلب الغفران يتضمن اسقاط العذاب أردفوه بالتضرع بوقايتهم العذاب على سبيل المبالغة والتأكيد فقالوا وقهم عذاب الجحيم وطلب المغفرة ووقاية العذاب للتائب الصالح وقد وعد بذلك الوعد الصادق بمنزلة الشفاعة في زيادة الثواب والكرامة ولما سألوا ازالة العقاب سألوا اتصال الثواب وكرر الدعاء بربنا فقالوا ربنا وأدخلهم جنات عدن * وقرأ الجمهور جنات جمعا وزيد بن علي والاعمش جنة عدن بالافراد وكذا في مصحف عبد الله وتقدم الكلام في اعراب التي في قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب في سورة مريم * وقرأ ابن أبي عبلة صلح بضم اللام يقال صلح فهو صليح وصلح فهو صالح * وقرأ عيسى وذريتهم بالافراد والجمهور بالجمع وعن ابن جبير في تفسير ذلك ان الرجل يدخل الجنة قبل قرابته فيقول أين أبي أين أمي أين ابني أين زوجتي فيلحقون به لصلاحه ولتنبيهه عليهم وطلبه اياهم وهذه دعوة الملائكة انتهى واذا كان الانسان في خير ومعه عشيرته وأهله كان أبهج عنده وأسر لقلبه والظاهر عطف ومن على الضمير في وأدخلهم اذهم المحدث عنهم والمسؤل لهم * وقال الفراء والزجاج نصبه من مكانين ان شئت على الضمير في وأدخلهم وان شئت على الضمير في وعدتهم وقهم السيئات أي امنعهم من الوقوع فيها حتى لايترتب عليها جزاؤها أو وقهم جزاء السيئات التي اجترحوها فحذف المضاف ولاتكرار في هذا وقوله وقهم عذاب الجحيم لعدم توافق المدعو لهم ان الدعاء الأول للذين تابوا والثاني أنه لهم ولمن صلح من المذكورين أو لاختلاف الدعاءين اذا أريد بالسيئات أنفسها فذلك وقاية عذاب الجحيم وهذا وقاية الوقوع في السيئات والتنوين في يومئذ تنوين العوض والمحذوف جملة عوض منها التنوين ولم تتقدم جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ أي حين اذ بلغت الحلقوم فلابد من تقدير جملة يكون التنوين عوضا منها كقوله يدل عليها معنى الكلام وهي ومن تق السيئات أي جزاءها يوم اذ يؤاخذ بها فقد رحمته ولم يتعرض أحد من المفسرين الذين وقفنا على كلامهم في الآية للجملة التي عوض منها التنوين في يومئذ وذلك اشارة الى الغفران ودخول الجنة ووقاية العذاب هو الفوز بالظفر العظيم الذي عظم خطره وجل صنعه * ولما ذكر شيأ من أحوال المؤمنين ذكر شيأ من أحوال الكافرين ومايجري لهم في الآخرة من اعترافهم بذنوبهم واستحقاقهم العذاب وسؤالهم الرجوع الى الدنيا * ونداؤهم قال السدي في النار * وقال قتادة يوم القيامة والمنادون لهم الربانية على جهة التوبيخ والتقريع واللام في لمقت لام الابتداء ولام القسم ومقت مصدر مضاف الى الفاعل التقدير لمقت الله اياكم أو لمقت الله أنفسكم وحذف المفعول لدلالة مابعده عليه في قوله أكبر من مقتكم أنفسكم والظاهر أن مقت الله اياهم هو في الدنيا ويضعف أن يكون في الآخرة كما قال بعضهم لبقاء اذ تدعون مفلتا من الكلام لكونه ليس له عامل تقدم ولامفسر لعامل فاذا كان المقت السابق في الدنيا أمكن أن يضمر له عامل تقديره مقتكم اذ تدعون * وقال الزمخشري واذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة ان الله مقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار اذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن انتهى وفيه دسيسة الاعتزال وأخطأ في قوله واذ تدعون منصوب بالمقت الأول لأن المقت مصدر ومعموله من صلته ولايجوز أن يخبر عنه الابعد استيفائه صلته وقد أخبر عنه بقوله أكبر من مقتكم أنفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التي لاتكاد تخفى على المبتدئين

(الدر)

(ش) واذ تدعون منصوب بالمقت الأول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة ان الله مقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حيث كان الانبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مماتمقتونهن اليوم وأنتم في النار اذ أوقعتكم فيها باتباعكم هواهن انتهى (ح) أخطأ في قوله واذ تدعون منصوب بالمقت الاول لان المقت مصدر ومعموله من صلته ولايجوز ان يخبر عنه الا بعد استيفائه صلته وقد أخبر عنه بقوله أكبر من مقتكم أنفسكم وهذا من ظواهر علم النحو التي لاتكاد تخفى عن المبتدئين فضلا عن من تدعي العجم انه في العربية شيخ العرب والعجم

فضلا عمن تدعى العجم أنه فى العربية شيخ العرب والعجم ولما كان الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر لا يجوز قدرنا العامل فيه مضمرا أى مقتكم اذ تدعون وشبيه قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر قدر والعامل برجعه يوم تبلى السرائر للفصل بلقادر بين المصدر ويوم واختلاف زمانى المقتين الأول فى الدنيا والآخرة هو قول مجاهد وقتادة وابن زيد والاكثرين وتقدم لنا أن منهم من قال فى الآخرة وهو قول الحسن * قال الزمخشرى وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل انتهى وكان قوله واذ تدعون تعليل من كلام الزمخشرى وقال قوم اذ تدعون معمول لاذكر محذوفة ويتجه ذلك على أن يكون مقت الله اياهم فى الآخرة على قول الحسن قيل لهم ذلك توبيخا وتقريعا وتنبيها على مافاتهم من الايمان والثواب ويحتمل أن يكون قوله من مقتكم أنفسكم أن كل واحد يمقت نفسه أو أن بعضكم يمقت بعضا كما قيل ان الاتباع يمقتون الرؤساء لما ورطوهم فيه من الكفر والرؤساء يمقتون الاتباع وقيل يمقتون أنفسهم حين قال لهم الشيطان فلا تلومونى ولوموا أنفسكم والمقت أشد البغض وهو مستحيل فى حق الله تعالى فمعناه الانكار والزجر * قالوا ربنا أمتنا اثنتين وجه اتصال هذه بما قبلها أنهم كانوا ينكرون البعث وعظم مقتهم أنفسهم هذا الانكار فلما مقتوا أنفسهم ورأوا حزنا طويلا رجعوا الى الاقرار بالبعث فأقروا وأنه تعالى أماتهم اثنتين وأحياهم اثنتين تعظيما لقدرته وتوسلا الى رضاه ثم أطمعوا أنفسهم بالاعتراف بالذنوب أن يردوا الى الدنيا أى ان رجعنا الى الدنيا ودعينا للايمان بادرنا اليه * وقال ابن عباس وقتادة والضحاك وأبو مالك موتهم كونهم ماء فى الاصلاب ثم إحياؤهم فى الدنيا ثم موتهم فيها ثم إحياؤهم يوم القيامة * وقال السدى إحياؤهم فى الدنيا ثم إماتتهم فيها ثم احياؤهم فى القبر لسؤال الملكين ثم إماتتهم فيه ثم إحياؤهم فى الحشر * وقال ابن زيد إحياؤهم نسما عند أخذ العهد عليهم من صلب آدم ثم إماتتهم بعد ثم إحياؤهم فى الدنيا ثم إماتتهم ثم إحياؤهم فعلى هذا والذى قبله تكون ثلاثة إحياآت وهو خلاف القرآن * وقال محمد بن كعب الكافر فى الدنيا حى الجسد ميت القلب فاعتبرت الحالتان ثم إماتتهم حقيقة ثم إحياؤهم فى البعث وتقدم الكلام فى أول البقرة على الاماتتين والاحياءين فى قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية وكررنا ذلك هنا لبعد مابين الموضعين * قال الزمخشرى (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا إماتة (قلت) كما صح أن يقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أردت الانشاء على تلك الصفات والسبب فى صحته أن الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجيح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع الى الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه انتهى يعنى أن خلقهم أمواتا كأنه نقل من الحياة وهو الجائز الآخر وظاهر فاعترفنا بذنوبنا أنه متسبب عن قبولهم * ربنا آمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وثم محذوف أى فعرفنا قدرتك على الاماتة والاحياء وزال انكار نا للبعث فاعترفنا بذنوبنا السابقة من انكار البعث وغيره * فهل الى خروج أى سريع أو بطىء من النار من سبيل وهذا سؤال من يئس من الخروج ولكنه تعلل وتحير * لكن الظاهر أن الخطاب للكفار فى الآخرة

والاشارة الى العذاب الذى هم فيه أو الى مقتهم أنفسهم أو الى المنع من الخروج والزجر والاهانة احتمالات مقوله * وقيل الخطاب لمحاضرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير فى فانه ضمير الشأن * اذا دعى الله وحده أى اذا أفرد بالالهية ونفيت عن سواه كفرتم وان يشرك به أى ذكرت اللات والعزى وأمثالها من الأصنام صدقتم بألوهيتها وسكنت نفوسكم اليها * فالحكم بعذا بكم لله لا لتلك الأصنام التى أشركتموها مع الله العلى عن الشرك الكبير العظيم الكبرياء * وقال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يكلمهم الله فى الاربعة فاذا كانت الخامسة سكتوا قالوا ربنا أمتنا اثنتين الآية وفى ابراهيم ربنا أخرنا الآية وفى السجدة ربنا أبصرنا الآية وفى فاطر ربنا أخرجنا الآية وفى المؤمنون ربنا غلبت علينا شقوتنا الآية فراجعهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فكان آخر كلامهم ذلك ولما ذكر تعالى ما يوجب التهديد الشديد فى حق المشركين أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته ليصير ذلك دليلا على أنه لا يجوز جعل الاحجار المنحوتة والخشب المعبودة شركاء لله فقال هو الذى يريكم آياته أيها الناس ويشمل آيات قدرته من الريح السحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها من الآثار العلوية وآيات كتابه المشتمل على الأولين والآخرين وآيات الاعجاز على أيدى رسله وهذه الآيات راجعة الى نور العقل الداعى الى توحيد الله ثم قال وينزل لكم من السماء رزقا وهو المطر الذى هو سبب قوام بنية البدن فتلك الآيات للأديان كهذا الرزق للأبدان * وما يتذكر أى يتعظ ويعتبر وجعله تذكرا لانه مركوز فى العقول دلائل التوحيد ثم قد يعرض الاشتغال بعبادة غير الله فيمنع من تجلى نور العقل فاذا تاب الى الله تذكر ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون * لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب * وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين * ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع * يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور * والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير * أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق * ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب ﴾ الأمر بقوله فادعوا الله للمنيبين المؤمنين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى اعبدوه مخلصين له الدين من الشرك على كل حال حتى فى حال غيظ أعدائكم المتمالئين عليكم وعلى استئصالكم ورفيع خبر مبتدا محذوف * وقال الزمخشرى ثلاثة أخبار مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهى أما ترتبها على قوله هو الذى يريكم فبعيد لطول الفصل وأما كونها أخبار المبتدأ محذوف فبنى على جواز تعدد الأخبار اذا لم تكن فى معنى خبر واحد والمنع اختيار أصحابنا * وقرئ رفيع بالنصب على المدح واحتمل أن يكون رفيع للمبالغة

﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾ الآية الامر للمنيبين ورفيع الدرجات خبر مبتدأ محذوف والروح النبوة وقال جبريل عليه السلام يرسله لمن يشاء والاولى الوحى استعار له الروح لحياة الاديان المرضية به وسمى يوم التلاق لالتقاء الخلائق فيه قاله ابن عباس يوم هم بارزون أى ظاهرون من قبورهم لا يسترهم شئ حفاة عراة ويوم بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل والظرف المستقبل عند سيبويه لا يجوز اضافته الى الجملة الاسمية لا يجوز أجيئك يوم زيد ذاهب إجراء له مجرى اذا فكما لا يجوز ان تقول أجيئك اذا زيد ذاهب فكذلك لا يجوز هذا وذهب أبو الحسن الى جواز ذلك قال ابن عباس اذا هلك من فى السموات ومن فى الارض فلم يبق الا الله تعالى قال لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه لله الواحد القهار ويوم الآزفة هو يوم القيامة ﴿ لدى الحناجر ﴾ تقدم الكلام عليه فى الاحزاب ﴿ خائنة الاعين ﴾ الظاهر انه من اضافة الصفة الى موصوفه أى الاعين الخائنة وخيانتها من كسر جفن وغمز ونظر يفهم منه ما يراد

(الدر)

(ش) ثلاثة أخبار مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا انتهى (ح) أما ترتبها على قوله هو الذى يريكم فبعيد لطول الفصل وأما كونها اخبار المبتدإ محذوف فبنى على جواز تعدد الاخبار اذا لم تكن فى معنى خبر واحد والمنع اختيار أصحابنا

على فعيل من رافع فيكون الدرجات مفعولة أي رافع درجات المؤمنين ومنازلهم في الجنة * وبه فسر ابن سلام أو عبر بالدرجات عن السموات أرفعها سماء فوق سماء والعرش فوقهن * وبه فسر ابن جبير واحتمل أن يكون رفيع فعيلا من رفع الشيء علا فهو رفيع فيكون من باب الصفة المشبهة والدرجات المصاعد الملائكة الى أن تبلغ العرش أضيفت اليه دلالة على عزه وسلطانه أي درجات ملائكته كما وصفه بقوله ذي المعارج أو يكون ذلك عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما ان قوله ذو العرش عبارة عن ملكه وبنحوه فسر ابن زيد قال عظيم الصفات * والروح النبوة قاله قتادة والسدي كما قال روحا من أمرنا وعن قتادة أيضا الوحي * وقال ابن عباس القرآن وقال الضحاك جبريل يرسله لمن يشاء * وقيل الرحمة * وقيل أرواح العباد وهذان القولان ضعيفان والأولى الوحي استعير له الروح لحياة الأديان المرضية به كما قال أومن كان ميتا فأحييناه * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون القاء الروح عاما لكل ماينعم الله به على عباده المهتدين في تفهيم الايمان والمعقولات الشريفة انتهى * وقال الزجاج الروح كل مابه حياة الناس وكل مهتد حي وكل ضال ميت انتهى * وقال ابن عباس من أمره من قضائه * وقال مقاتل بأمره وحكى الشعبي من قوله ويظهر أن من لابتداء الغاية * وقرأ الجمهور لينذر مبنيا للفاعل يوم بالنصب والظاهر أن الفاعل يعود على الله لانه هو المحدث عنه واحتمل يوم أن يكون مفعولا على السعة وأن يكون ظرفا والمنذر به محذوف * وقرأ أبي وجماعة كذلك إلا أنهم رفعوا يوم على الفاعلية مجازا * وقيل الفاعل في القراءة الأولى ضمير الروح * وقيل ضمير من وقرأ اليماني فيما ذكر صاحب اللوامح لينذر مبنيا للمفعول يوم التلاق برفع الميم * وقرأ الحسن واليماني فيما ذكر ابن خالويه لتنذر بالتاء فقالوا الفاعل ضمير الروح لانها تؤنث أوفيه ضمير الخطاب الموصول * وقرئ التلاق والتناد بياء وبغير ياء وسمي يوم التلاق لالتقاء الخلائق فيه قاله ابن عباس * وقال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخالق والمخلوق * وقال ميمون بن مهران يلتقي فيه الظالم والمظلوم * وحكى الثعلبي يلتقي المرء بعلمه * وقال السدي يلاقي أهل السماء أهل الأرض * وقيل يلتقي العابدون ومعبودهم * يوم هم بارزون أي ظاهرون من قبورهم لايسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء لان الارض إذ ذاك قاع صفصف ولا من ثياب لانهم يحشرون حفاة عراة ويوما بدل من يوم التلاق وكلاهما ظرف مستقبل والظرف المستقبل عند سيبويه لايجوز اضافته الى الجملة الاسمية لايجوز أجيئك يوم زيد ذاهب إجراء له مجرى اذا فكما لايجوز أن تقول أجيئك اذا زيد ذاهب فكذلك لايجوز هذا وذهب أبو الحسن الى جواز ذلك فيتخرج قوله يوم هم بارزون على هذا المذهب * وقد أجاز ذلك بعض أصحابنا على قلة والدلائل مذكورة في علم النحو * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون انتصابه على الظرف والعامل فيه قوله لايخفى وهي حركة اعراب لاحركة بناء لان الظرف لايبنى إلا اذا أضيف الى غير متمكن كيومئذ * وقال الشاعر * على حين عاتبت المشيب على الصبا * وكقوله تعالى هذا يوم ينفع وأما في هذه الآية فالجملة اسم متمكن كما تقول جئت يوم زيد أمير فلا يجوز البناء انتهى يعني أن ينتصب على الظرف قوله يوم هم بارزون وأما قوله لايبنى الا اذا أضيف الى غير متمكن فالبناء ليس متحتما بل يجوز فيه البناء والاعراب وأما تمثيله بيوم ينفع فمذهب البصريين انه لايجوز فيه إلا الاعراب ومذهب الكوفيين جواز البناء والاعراب فيه وأما اذا أضيف الى جملة اسمية كما مثل من قوله جئت يوم زيد أمير فالنقل عن البصريين تحتم الاعراب كما ذكر

حركة اعراب لاحركة بناء لان الظرف لايبنى الا اذا أضيف الى غير متمكن كيومئذ (وقال) الشاعر على حين عاتبت المشيب على الصبا * وكقوله تعالى هذا يوم ينفع وأما في هذه الآية فالجملة اسم متمكن كما تقول جئت يوم زيد أمير فلا يجوز البناء انتهى (ح) يعني ان ينتصب على الظرف قوله يوم هم بارزون وأما قوله لايبنى الا اذا أضيف الى غير متمكن فالبناء ليس متحتما بل يجوز فيه البناء والاعراب وأما تمثيله بيوم ينفع فمذهب البصريين انه لايجوز فيه الا الاعراب ومذهب الكوفيين جواز الاعراب والبناء فيه وأما اذا أضيف الى جملة اسمية نحو مامثل به من قوله جئت يوم زيد أمير فالنقل عن البصريين تحتم الاعراب كما ذكر والنقل عن الكوفيين جواز الاعراب والبناء وذهب اليه بعض أصحابنا وهو الصحيح لكثرة شواهد البناء على ذلك ووقع في بعض تصانيف بعض أصحابنا انه يتحتم فيه البناء وهذا قول لم يذهب اليه أحد فهو وهم

والنقل عن الكوفيين جواز الاعراب والبناء * وذهب اليه بعض أصحابنا وهو الصحيح لكثرة شواهد البناء على ذلك ووقع في بعض تصانيف أصحابنا انه يتحتم فيه البناء وهذا قول لم يذهب اليه أحد فهو وهم * لا يخفى على الله منهم شئ أى من سرائرهم وبواطنهم * قال ابن عباس اذا هلك من في السموات ومن في الارض فلم يبق إلا الله قال لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه لله الواحد القهار * وقال ابن مسعود يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فأول ما يتكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبوا كلهم لله الواحد القهار * روى أنه تعالى يقرر هذا التقرير ويسكت العالم هيبة وجزعا فيجيب نفسه بقوله لله الواحد القهار فيجيب الناس وانما خص التقرير باليوم وان كان الملك له تعالى في ذلك اليوم وفي غيره لظهور ذلك للكفرة والجهلة ووضوحه يوم القيامه واذا تأمل من له مسكة عقل تسخير أهل السموات والارض ونفوذ القضاء فيهم وتيقن أن لا ملك إلا لله ومن نتائج ملكه في ذلك اليوم جزاء كل نفس بما كسبت وانتفاء الظلم وسرعة الحساب ان حسابهم في وقت واحد لا يشغله حساب عن حساب * قال ابن عطية وهذه الآية نص في أن الثواب والعقاب معلق باكتساب العبد انتهى وهو على طريقة الأشعرية * وروى أن يوم القيامة لا ينتصف حتى يقيل المؤمنون في الجنة والكافرون في النار ويوم الآزفة هو يوم القيامة أمر تعالى نبيه أن ينذر العالم ويحذرهم منه ومن أهواله قاله مجاهد وابن زيد والآزفة صفة لمحذوف تقديره يوم الساعة الآزفة أو الطامة الآزفة ونحو هذا ولما عقب كل نذارة نوعا من الشدة والخوف وغيرهما حسن التكرار في الآزفة لقربة كما تقدم وهي مشارفتهم دخول النار فانه اذ ذاك ترتفع القلوب عن مقارها من شدة الخوف * وقال أبو مسلم يوم الآزفة يوم المنية وحضور الأجل يدل عليه أنه يعدل وصف يوم القيامة بأنه يوم التلاق ويوم بروزهم فوجب أن يكون هذا اليوم غيره وهذه الصفة مخصوصة في سائر الآيات يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب وأيضا فالصفات المذكورة بعد قوله يوم الآزفة لائقة بيوم حضور المنية لان الرجل عند معاينة ملائكة العذاب لعظم خوفه يكاد قلبه يبلغ حنجرته من شدة الخوف ولا يكون له حميم ولا شفيع يرفع عنه ما به من أنواع الخوف إذ القلوب لدى الحناجر قيل يجوز أن يكون ذلك يوم القيامة حقيقة ويبقون أحياء مع ذلك بخلاف حالة الدنيا فان من انتقل قلبه الى حنجرته مات ويجوز أن يكون ذلك كناية عن ما يبلغون اليه من شدة الجزع كما تقول كادت نفسي أن تخرج وانتصب كاظمين على الحال * قال الزمخشري هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى إذ المعنى إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن تكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء كما قال رأيتهم لي ساجدين * وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين ويعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله أي وانذرهم مقدرين * وقال ابن عطية كاظمين حال مما أبدل منه قوله تعالى تشخص فيه الابصار مهطعين أراد تشخص فيه أبصارهم وقال الحوفي القلوب رفع بالابتداء ولدى الحناجر الخبر متعلق بمعنى الاستقرار وقال أبو البقاء كاظمين حال من القلوب لان المراد أصحابها انتهى ما للظالمين من حميم أي محب مشفق ولا شفيع يطاع في موضع الصفة لشفيع واحتمل أن يكون في موضع خفض على اللفظ وفي موضع رفع على الموضع واحتمل أن ينسحب النفي على الوصف فقط فيكون ثم شفيع ولكنه لا يطاع أي

لاتقبل شفاعته واحتمل أن ينسحب النفي على الموصوف وصفته أي لاشفيع فيطاع وهذا هو المقصود في الآية أن الشفيع عند الله انما يكون من أوليائه تعالى ولاتكون الشفاعة الالمن ارتضاه الله وأيضا فيكون في زيادة التفضل والثواب ولا يمكن شيء من هذا في حق الكافر وعن الحسن والله لا يكون لهم شفيع البتة يعلم خائنة الاعين كقوله * وان سقيت كرام الناس فاسقينا * أي الناس الكرام وجوزوا أن تكون خائنة مصدرا كالعافية والعاقبة أي يعلم خيانة الأعين * ولما كانت الافعال التي يقصد بها التكتم بدنية فأخفاها خائنة الاعين من كسر جفن وغمز ونظر يفهم معنى و يريد صاحب معنى آخر وقلب وهو ماتحتوي عليه الضمائر قسم ماينكتم به الى هذين القسمين وذكر أن علمه متعلق بهما التعلق التام * وقال الزمخشري ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لان قوله وماتخفي الصدور لايساعد عليه انتهى يعني أنه لايناسب أن يكون مقابل المعنى الا المعنى وتقدم أن الظاهر أن يكون التقدير الاعين الخائنة والظاهر أن قوله يعلم خائنة الاعين الآية متصل بماقبله لما أمر بانكاره يوم الآزفة ومايعرض فيه من شدة الكرب والغم وان الظالم لايجد من يحميه من ذلك ولامن يشفع له ذكر اطلاعه تعالى على جميع مايصدر من العبد وانه مجازي بماعمل ليكون على حذر من ذلك اليوم اذاعلم ان الله مطلع على أعماله * وقال ابن عطية يعلم خائنة الاعين متصل بقوله سريع الحساب لان سرعة حسابه للخلق انماهي بعلمه الذي لايحتاج معه الى روية وفكر ولالشيء مما يحتاجه المحاسبون * وقالت فرقة يعلم متصل بقوله لايخفى على الله منهم شيء وهذا قول حسن يقويه تناسب المعنيين و يضعفه بعده الآية من الآية وكثرة الحائل انتهى * وقال الزمخشري فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين (قلت) هو خبر من أخبار هو في قوله هو الذي يريكم البرق مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم أسقط وتذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولاشفيع يطاع فبعد لذلك عن اخوانه انتهى وفي بعض الكتب المنزلة انا مرصاد الهمم انا العالم بحال الفكر وكسر العيون * وقال مجاهد خائنة الاعين مسارقة النظر الى مالايجوز ومثل المفسرون خائنة الأعين بالنظر الثاني الى حرمة غير الناظر وماتخفي الصدور بالنظر الأول الذي لا يمكن رفعه * والله يقضي بالحق هذا يوجب عظيم الخوف لان الحاكم اذا كان عالما بجميع الاحوال لايقضي الابالحق في مادق وجل خافه الخلق غاية * والذين يدعون من دونه لايقضون بشيء هذا قدح في أصنامهم وتهكم بهم لان مالايوصف بالقدرة لايقال فيه يقضي ولايقضي * وقرأ الجمهور يدعون بياء الغيبة لتناسب الضمائر الغائبة قبل * وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع بخلاف عنه وهشام تدعون بتاء الخطاب أي قل لهم يا محمد * إن الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور وعيد لهم بأنه يسمع مايقولون و يبصر مايعملون وتعريض بأصنامهم انها لاتسمع ولاتبصر * أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم أحال قريشا على الاعتبار بالسير و جاز أن يكون فينظروا مجزوما عطفا على يسيروا وان يكون منصوبا على جواب النفي كما قال * ألم تسأل فتخبرك الرسوم * وتقدم الكلام على مثل هذه الجملة وحمل الزمخشري هم على أن يكون فصلا ولايتعين إذ يجوز أن يكون هم توكيدا لضمير كانوا * وقرأ الجمهور منهم بضمير الغيبة وابن عامر منكم بضمير الخطاب على سبيل الالتفات * وآثارا في الارض معطوف على قوة أي مبانيهم وحصونهم وعددهم كانت في غاية الشدة وتنحتون من الجبال بيوتا وقال الزمخشري أو أرادوا أكثر آثارا لقوله * متقلدا سيفا ورمحا *

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ الآية ابتدأ تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم ووعيدا لقريش ان يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله تعالى بآياتنا أشهرها العصا واليد وقرئ أو أن وقرئ يظهر مضارع ظهر والفساد فاعل وقرئ يُظهر مضارع أظهر والفساد مفعول به والفاعل ضمير موسى ﴿وقال رجل مؤمن﴾ قيل كان قبطيا وهو ابن عم فرعون وقيل كان اسرائيليا واسمه سمعان وقيل غير ذلك ﴿من آل فرعون﴾ في موضع الصفة ورد قول من علق من آل فرعون بيكتم فانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت فلانا كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر

* كتمتك ليلا بالجومين ساهرا * ﴿أتقتلون رجلا﴾ هذا انكار منه عظيم وتبكيت لهم كانه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم علة في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه قد جاءكم بالبينات من ربكم أي من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهذا استدراج الى الاعتراف بالبينات بالدلائل على التوحيد وهي التي ذكرها في طه والشعراء حالة محاورته له في سؤاله عن ربه تعالى ولما صرح بالانكار عليهم غالطهم بعد في أن قسم أمره الى كذب وصدق وأبدى ذلك في صورة احتمال ونصيحة وبدأ في التقسيم بقوله ﴿وان يك كاذبا فعليه كذبه﴾ مداراة منه وسلوكا لطريق الانصاف في القول وخوفا اذا أنكر عليهم قتله أنه ممن يعاضده وينصره فأوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يسلم من شره ويكون ذلك أدنى الى تسليمهم ومعنى فعليه كذبه انه لا يتخطاه ضرره ﴿وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ هو يعتقد انه نبي قطعا لكنه أتى بلفظ بعض لالزام الحجة بأيسر ما في الأمر وليس فيه نفي ان يصيبهم كل ما يعدهم ﴿ان الله لا يهدي﴾ فيه اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام وان من اصطفاه الله تعالى للنبوة لا يمكن ان يقع منه اسراف ولا كذب وفيه تعريض بفرعون اذ هو في غاية الاسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين وفي غاية الكذب اذ ادعى الألهية والربوبية ومن هذا شأنه لا يهديه الله أبدا وفي الحديث الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل ياسين ومؤمن آل فرعون وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم وفي الحديث انه عليه السلام طاف بالبيت فحين فرغ أخذوا بمجامع ردائه فقالوا أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذلك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان بالدموع حتى أرسلوه ثم قال ﴿ياقوم﴾ نداء متلطف في موعظتهم ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي عالين عالين ﴿في الارض﴾ أرض مصر قد غلبتم بني اسرائيل فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم وبدأهم بالملك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلها وهو من جهة شهواتهم وانتصب ظاهرين على الحال والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور وذو الحال هو ضمير لكم ثم حذرهم أن يفسدوا على أنفسهم ما لهم ان جاءهم بأس الله لم يجدوا لهم دافعا ولا ناصرا وأدرج نفسه في ينصرنا وجاءنا لأنه منهم في القرابة وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه وأقوال هذا المؤمن هذه تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ولذلك استكان فرعون وقال ﴿ما أريكم الا ما أرى﴾ أي ما أشير عليكم الا بقتله ولا أستصوب الا ذلك وهذا قول من لا تحكم له وأتى بما والا للحصر والتأكيد ﴿وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ لا ما تقولونه من ترك قتله وقد كذب بل كان خائفا وجلا وقد علم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ولكنه كان يتجلد ويري ظاهره خلاف ما أبطن

انتهى أي ومعتقلا رمحا ولا حاجة الى ادعاء الحذف مع صحة المعنى بدونه * من واق أي وما كان لهم من عذاب الله من ساتر يمنعهم منه * ذلك أي الاخذ وتقدم تفسير نظير ذلك ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال * وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد * وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب * ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ ابتدأ تعالى قصة موسى عليه السلام مع فرعون تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام ووعيدا لقريش أن يحل بهم ما حل بفرعون وقومه من نقمات الله

و وعد للمؤمنين بالظفر والنصر وحسن العاقبة وآيات موسى عليه السلام كثيرة والذى تحدى به من المعجز العصا واليد وقرأ عيسى وسلطان بضم اللام والسلطان المبين الحجة والبرهان الواضح والظاهر أن قارون هو الذى ذكره تعالى فى قوله ان قارون كان من قوم موسى وهو من بنى اسرائيل وقيل هو غيره ونص على هامان وقارون لمكانتهما فى الكفر ولانهما أشهر اتباع فرعون فقالوا ساحر كذاب أى هذا ساحر لما ظهر على يديه من قلب العصا حية وظهور النور الساطع على يده كذاب لكونه ادعى أنه رسول من رب العالمين * فلما جاءهم بالحق من عندنا أى بالمعجزات والنبوة والدعاء الى الايمان بالله قالوا أى أولئك الثلاثة اقتلوا * قال ابن عباس أى أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا انتهى يريد أن هذا غير القتل الاول وانما أمروا بقتل أبناء المؤمنين لئلا يتقوى بهم موسى عليه السلام و باستحياء النساء للاستخدام والاسترقاق ولم يقع ما أمروا به ولا تم لهم ولا أعانهم الله عليه * وما كيد الكافرين الا فى ضلال أى فى حيرة وتخبط لم يقع منه شئ ولا أنجح سعيهم وكانوا باشروا القتل أولا فنفذ قضاء الله فى اظهار من خافوا اهلاكهم على يديه * وقيل كان فرعون قد كف عن قتل الأبناء فلما بعث موسى وأحس انه قد وقع ما كان يحذره أعاد القتل عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع فى الكرتين معا وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه * قال الزمخشرى وبعضه من كلام الحسن كان اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه هو أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاومه الا ساحر مثله و يقولون ان قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن مظاهرته بالحجة * والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو سحر ولكن الرجل كان فيه خبث وجبروت وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذى يثل عرشه و يهدم ملكه ولكنه يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله وليدع ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه كان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع * وقال ابن عطية الظاهر من أمر فرعون انه لما بهرت آيات موسى انهد ركنه واضطربت معتقدات أصحابه ولم يفقد منهم من يجادبه الخلاف فى أمره وذلك بين من غير ما موضع فى قصتهما وفى ذلك على هذا دليلان أحدهما قوله ذرونى فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من انفاذ أوامرهم والدليل الثانى فى مقالة المؤمن وما صدع به وان مكاشفته لفرعون خير من مساترته وحكمه بنبوة موسى أظهر من تقريبه فى أمره * وأما فرعون فانه نحا الى المخرقة والاضطراب والتعاطى ومن ذلك قوله ذرونى أقتل موسى وليدع ربه أى انى لا أبالى من رب موسى ثم رجع الى قومه يريهم النصحة والخيانة لهم فقال انى أخاف أن يبدل دينكم والدين السلطان ومنه قول زهير

لئن حللت بجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

انتهى وتبديل دينهم هو تغييره وكانوا يعبدونه و يعبدون الاصنام كما قال و يذرك وآلهتك * أو أن يظهر فى الارض الفساد وذلك بالتهارج الذى يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب و يهلك الناس قتلا وضياعا فأخاف فساد دينكم ودنياكم معا وبدأ فرعون بخوفه تغيير دينهم على تغيير دنياهم لان حبهم لاديانهم فوق حبهم لاموالهم وقيل ذرونى يدل على أنهم كانوا يمنعونه من قتله اما لكون بعضهم كان مصدقا له فيتحيل فى منع قتله واما المروى عن الحسن مما ذكر الزمخشرى واما الشغل

قلب فرعون بموسى حتى لا يتفرغ لهم و يأمنوا من شره كما يفعلون مع الملك اذا خرج عليه خارجي شغلوه به حتى يأمنوا من شره * وقرأ الكوفيون أوأن بترديد الخوف بين تبديل الدين أو ظهور الفساد * وقرأ باقي السبعة وأن بانتصاب الخوف عليهما معا * وقرأ أنس بن مالك وابن المسيب ومجاهد وقتادة وأبو رجاء والحسن والجحدري ونافع وأبو عمرو وحفص يظهر من أظهر مبنيا للفاعل الفساد نصبا * وقرأ باقي السبعة والأعرج والأعمش وابن وثاب وعيسى يظهر من ظهر مبنيا للفاعل الفساد رفعا * وقرأ مجاهد يظهر بشد الظاء والهاء الفساد رفعا * وقرأ زيد بن علي يظهر بضم الياء وفتح الهاء مبنيا للمفعول الفساد رفعا * ولما سمع موسى بمقالة فرعون استعاذ بالله من شر كل متكبر منكر للمعاد * وقال وربكم بعثا على الاقتداء به فيعوذون بالله و يعتصمون به ومن كل متكبر يشمل فرعون وغيره من الجبابرة وكان ذلك على طريق التعريض وكان أبلغ والتكبر تعاظم الانسان في نفسه مع حقارته لانه يفعل ولا يؤمن بيوم الحساب أي بالجزاء وكان ذلك آكد في جراءته إذ حصل له التعاظم في نفسه وعدم المبالاة بما ارتكب * وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي عدت بالادغام وباقي السبعة بالاظهار * وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وكان يجري مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة * وقيل كان قبطيا ليس من قرابته * وقيل قيل فيه من آل فرعون لانه كان في الظاهر على دينه ودين أتباعه * وقيل كان اسرائيليا وليس من آل فرعون وجعل آل فرعون متعلقا بقوله يكتم إيمانه لا في موضع الصفة لرجل كما يدل عليه الظاهر وهذا فيه بعد إذ لم يكن لأحد من بني اسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل * وقد رد قول من علق من آل فرعون بيكتم فانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت فلانا كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا * وقال الشاعر

كتمتك ليلا بالجومين ساهرا * وهمين هما مستكنا وظاهرا
أحاديث نفس تشتكي ما يريبها * وورد هموم لن يجدن مصادرا

أي كتمتك أحاديث نفس وهمين * قيل واسمه سمعان * وقيل حبيب * وقيل حزقيل * وقرأ الجمهور رجل بضم الجيم * وقرأ عيسى وعبد الوارث وعبيد بن عقيل وحمزة بن القاسم عن أبي عمرو بسكون وهي لغة تميم ونجد * أتقتلون رجلا أن يقول أي لأن يقول ربي الله وهذا انكار منه عظيم وتبكيت لهم كأنه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة وما لكم عليه في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه قد جاءكم بالبينات من ربكم أي من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهذا استدراج الى الاعتراف * وقال الزمخشري ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره انتهى * وهذا الذي أجازه من تقدير المضاف المحذوف الذي هو وقت لا يجوز تقول جئت صياح الديك أي وقت صياح الديك ولا أجيء أن يصيح الديك نص على ذلك النحاة فشرط ذلك أن يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا وأن يقول ليس مصدرا مصرحا به * بالبينات الدلائل على التوحيد وهي التي ذكرها في طه والشعراء حالة محاورته له في سؤاله عن ربه تعالى ولما صرح لانكار عليهم غالطهم بعد في ان قسم أمره الى كذب وصدق وأدى ذلك في صورة

بعد إذ لم يكن لأحد من بني اسرائيل أن يتجاسر عند فرعون بمثل ما تكلم به هذا الرجل وقد رد قول من علق من آل فرعون بيكتم فانه لا يقال كتمت من فلان كذا انما يقال كتمت فلانا كذا قال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال الشاعر

كتمتك ليلا بالجومين ساهرا * وهمين هما مستكنا وظاهرا
أحاديث نفس تشتكي ما يريبها * وورد هموم لم يجدن مصادرا *

أي كتمتك أحاديث نفس وهمين (ش) ولك أن تقدر مضافا محذوفا أي وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في أمره انتهى (ح) هذا الذي أجازه من تقدير المضاف المحذوف الذي هو وقت لا يجوز أن تقول جئت صياح الديك أي وقت صياح الديك ولا يجوز جئت أن صاح الديك ولا أجيء أن يصيح الديك نص على ذلك النحاة فشرط ذلك أن يكون المصدر مصرحا به لا مقدرا وأن يقول ليس مصدرا مصرحا به (ك) أجاز ابن جني ذلك أعني وقوع المصدر المقدر ظرفا للزمان في قول الشاعر

وتالله ما إن شهلة أم واحد * بأوجد مني أن يهان صغيرها د كر ذلك في كتاب التمام من تأليفه وقد ذكرنا عنه ذلك فيما تقدم

احتمال ونصيحة وبدأ في التقسيم بقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه مداراة منه وسالكا طريق الانصاف في القول وخوفا اذا أنكر عليهم قتله أنه ممن يعاضده ويناصره فأوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يسلم من شره ويكون ذلك أدنى لتسليمهم ومعنى فعليه كذبه أي لا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم وهو يعتقد انه نبي صادق قطعا لكنه أتى بلفظ بعض لالزام الحجة بأسرها في الأمر وليس فيه نفي أن يصيبهم كل مايعدهم * وقالت فرقة يصبكم بعض العذاب الذي يذكر وذلك كان في هلاكهم ويكون المعنى يصبكم القسم الواحد مما يعد به وذلك هو بعض ممايعد لأنه عليه السلام وعدهم ان آمنوا بالنعمة وان كفروا بالنقمة * وقالت فرقة بعض الذي يعدكم عذاب الدنيا لانه بعض عذاب الآخرة ويصيرون بعد ذلك الى النار * وقال أبو عبيدة وغيره بعض بمعنى كل * وأنشدوا قول عمرو بن شسيم القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

* وقال الزمخشري وذلك انه حين فرص صادقا فقد أثبت انه صادق في جميع مايعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه وافيا فضلا أن يتعصب له (فان قلت) وعن أبي عبيدة انه قسم البعض بالكل * وأنشد بيت لبيد وهو

تراك أمكنة اذا لم أرضها * ويريك من بعض النفوس حمامها

(قلت) ان صحت الرواية عنه فقد حق في قول المازني في مسئلة العافي كان أحفى من أن يفقه ماأقول له انتهى ويعني ان أبا عبيدة خطأه الناس في اعتقاده أن بعضا يكون بمعنى كل * وأنشدوا أيضا في كون بعض بمعنى كل قول الشاعر

ان الأمور اذا الأحداث دبرها * دون الشيوخ ترى في بعضها خللا

أي اذا رأى الأحداث ولذلك قال دبرها ولم يقل دبروها راعى المضاف المحذوف * ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب فيه اشارة الى علو شأن موسى عليه السلام وان من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن أن يقع منه اسراف ولا كذب وفيه تعريض بفرعون إذ هو غاية الاسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين وفي غاية الكذب إذ ادّعى الالهية والربوبية ومن هذا شأنه لايهديه الله * وفي الحديث الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون * وعليّ بن أبي طالب وفي الحديث انه عليه السلام طاف بالبيت فحين فرغ أخذ بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان بالدموع حتى أرسلوه * وعن جعفر الصادق أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرًّا وأبو بكر قاله ظاهرا * وقال السدي مسرف بالقتل * وقال قتادة مسرف بالكفر * وقال صاحب التحرير والتحبير هذا نوع من أنواع علم البيان تسميه علماؤنا استدراج المخاطب وذلك انه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى والقوم على تكذيبه أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب له وانه من أتباعه فجاءهم من طريق النصح والملاطفة فقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ولم يذكر اسمه بل قال رجلا يوهم انه لا يعرفه ولا يتعصب له أن يقول ربي الله ولم يقل رجلا مؤمنا بالله أو هو نبي الله إذ لو قال شيأ من ذلك لعلموا انه متعصب * ولم يقبلوا قوله ثم اتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله وان يك كاذبا موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله وان يك صادقا ولو قال هو صادق وكل

﴿وقال الذي آمن﴾ الآية الجمهور أن على هذا المؤمن هو الرجل القائل أتقتلون رجلا قص الله تعالى أقاويله الى آخر الآيات لما رأى ما لحق فرعون من الخور والخوف أتى بنوع آخر من التهديد وخوفهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السالفة من استئصال الهلاك حين كذبوا رسلهم وفويت نفسه حتى سرد عليهم ما سرد ولم يهب فرعون ويوم التناد هو يوم الحشر والتنادي مصدر تنادي القوم أي نادى بعضهم بعضا قال الشاعر

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعبد الله ذلكم الردي

وسمي يوم التناد اما لنداء بعضهم بالويل والثبور واما لتنادي أهل الجنة وأهل النار على ما ذكر في الاعراف وفي الحديث ان للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون انهم يجدون مهربا ثم تلا يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم في فراركم حتى تقذفوا في النار ولما يئس المؤمن من قبولهم قوله قال ومن يضلل الله فما له من هاد قال الزمخشري ويحتمل ان يكون ان الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أي كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف

ما يسدكم لعلموا أنه متعصب وانه يزعم انه نبي وانه يصدقه فان الأنبياء لا تخل بشيء مما يقولونه ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بصدق وهو قوله ﴿ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾ انتهى ثم قال ياقوم نداء متلطف في موعظتهم ﴿لكم الملك اليوم ظاهرين﴾ أي عالين في الأرض في أرض مصر قد غلبتم بني اسرائيل فيها وقهرتموهم واستعبدتموهم وناداهم بالملك الذي هو أعظم مراتب الدنيا وأجلها وهو من جهة شهواتهم وانتصب ظاهرين على الحال والعامل فيها هو العامل في الجار والمجرور وذو الحال هو ضمير لكم ثم حذرهم ان يفسدوا على أنفسهم بأنه ان جاءهم بأس الله لم يجدوا ناصرا لهم ولا دافعا وأدرج نفسه في قوله ينصرنا وجاءنا لانه منهم في القرابة وليعلمهم أن الذي ينصحهم به هو مشارك لهم فيه وأقوال هذا المؤمن تدل على زوال هيبة فرعون من قلبه ولذلك استكان فرعون وقال ما أريكم الا ما أرى أي ما أشير عليكم الا بقتله ولا أستصوب الا ذلك وهذا قول من لا تحكم له وأتى بما والا للحصر والتأكيد ﴿وما أهديكم الا سبيل الرشاد﴾ لا ما تقولونه من ترك قتله وقد كذب بل كان خائفا وجلا وقد علم أن ما جاء به موسى عليه السلام حق ولكنه كان يتجلد ويرى ظاهره خلاف ما أبطن وأورد الزمخشري وابن عطية وأبو القاسم الهذلي هنا أن معاذ بن جبل قرأ الرشاد بشد الشين * قال أبو الفتح وهو اسم فاعل في بنية مبالغة من الفعل الثلاثي رشد فهو كعباد من عبد * وقال الزمخشري أو من رشد كعلام من علم * وقال النحاس هو لحن وتوهمه من الفعل الرباعي ورد عليه أنه لا يتعين أن يكون من الرباعي بل هو من الثلاثي على أن بعضهم قد ذهب الى أنه من الرباعي فبنى فعالا من أفعل كدراك من أدرك وسآر من أسأر وجبار من أجبر وقصار من أقصر ولكنه ليس بقياس فلا يحمل عليه ما وجدت عنه مندوحة وفعال من الثلاثي مقيس فحمل عليه * وقال أبو حاتم كان معاذ بن جبل يفسرها بسبيل الله * قال ابن عطية ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه وهل كان فرعون الا يدعي أنه إله وتعلق بناء اللفظ على هذا التأويل انتهى * وايراد الخلاف في هذا الحرف الذي هو من قول فرعون خطأ وتركيب قول معاذ عليه خطأ والصواب أن الخلاف فيه هو قول المؤمن اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * قال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح له من شواذ القرآن مانصه معاذ بن جبل سبيل الرشاد الحرف الثاني بالتشديد وكذلك الحسن وهو سبيل الله تعالى الذي أوضح الشرائع كذلك فسره معاذ بن جبل وهو منقول من مرشد كدراك من مدرك وجبار من مجبر وقصار من مقصر عن الامر ولها نظائر معدودة فأما قصار فهو من قصر الثوب قصارة * وقال ابن خالويه بعد أن ذكر الخلاف في التناد في صدر عن السبيل مانصه سبيل الرشاد بتشديد الشين معاذ بن جبل * قال ابن خالويه يعني بالرشاد الله تعالى انتهى فهذا لم يذكر الخلاف الا في قول المؤمن أهدكم سبيل الرشاد فذكر الخلاف فيه في قول فرعون خطأ ولم يفسر معاذ بن جبل الرشاد أنه الله تعالى الا في قول المؤمن لا في قول فرعون * قال ابن عطية دلك التأويل من قول فرعون وهم ﴿وقال الذي آمن ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد * وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له

ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه انتهى وهذا الذي أجازه لا يجوز أن يكون مثله في كلام فصيح فكيف في كلام الله تعالى لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب مذهب الصحيح خلافه أما تفكيك

الكلام فالظاهر أن بغير سلطان متعلق بيجادلون ولا يتعقل جعله خبر الذين لأنه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون فى آيات الله كائنون أو مستقرون بغير سلطان أى فى غير سلطان لأن الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثة وكذلك فى قوله نطبع انه مستأنف فيه تفكيك الكلام لأن ماجاء فى القرآن من كذلك يطبع أو نطبع انما جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك هنا وأما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه فجعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش ولم يثبت فى كلام العرب أعنى نثرها جاءنى كزيد تريد مثل زيد فلم تثبت اسميتها فتكون فاعلة وأما قوله ومن قال الخ فان قائل ذلك هو الحوفى والظن به انه فسر المعنى ولم يرد الاعراب وانما تفسير الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون كما قالوا من كذب كان شراله أى كانه وأى الكذب المفهوم من كذب والاولى فى اعراب هذا الكلام أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة فى فرعون وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم الى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وابراز ذلك فى صورة تذكيرهم ولا يفجأهم بالخطاب وفى قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه عن حد أشكاله من الكبائر ﴿كذلك﴾ أى مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين ﴿يطبع الله﴾ أى يختم بالضلال ويحجب عن الهدى وقرئ قلب كل بالاضافة وبالتنوين فتكبر صفة له ﴿وقال فرعون ياهامان﴾ أقوال فرعون ذرونى أقتل موسى ما أريكم الا ما أرى ياهامان ابن لى صرحا حيدة عن محاجة موسى عليه السلام ورجوع الى أشياء لا تصح وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة والتعرف بان هلاكه وهلاك قومه على يدى موسى وان قدرته عجزت عن التأثير فى موسى هذا على كثرة سفكه الدماء وتقدم الكلام على الصرح وقرئ فأطلع بالرفع عطفا على أبلغ وقرئ بالنصب قال الزمخشرى على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى انتهى فالترجى لا يكون الا فى الممكن وبلوغ أسباب السموات غير ممكن لأن فرعون أبرز مالا يمكن فى صورة الممكن تمويها على سامعيه وأما النصب بعد الفاء فى جواب الترجى فشئ أجازه الكوفيون ومنعه البصريون واحتج الكوفيون بهذه القراءة وقرئ وصد مبنيا للفاعل وصد مبنيا للمفعول

من هاد * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب * الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار * وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب * وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد * ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب * الجمهور على أن هذا المؤمن هو الرجل القائل أتقتلون رجلا قص الله أقاويله الى آخر الآيات لما رأى ما لحق فرعون من الخور والخوف أتى بنوع آخر من التهديد وخوفهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من استئصال الهلاك حين كذبوا رسلهم وقويت نفسه حتى سرد عليهم ما سرد ولم يهب فرعون * وقالت فرقة بل كلام ذلك المؤمن قد تم وانما أراد تعالى بالذى آمن موسى عليه السلام واحتجوا بقوة كلامه وانه جمع معهم بالايمان وذكر عذاب الآخرة وغير ذلك ولم يكن كلام الأول الا علانية لهم وأفرد اليوم اما لأن المعنى مثل أيام الاحزاب أو أراد به الجمع أى مثل أيام الاحزاب لانه معلوم أن كل حزب كان له يوم والاحزاب الذين تحزبوا على أنبياء الله * ومثل دأب قال ابن عطية بدل * وقال الزمخشرى عطف بيان * وقال الزجاج مثل يوم حزب ودأب عادتهم وديدنهم فى الكفر والمعاصى * وما الله يريد ظلما للعباد أى ان اهلاكه اياهم كان عدلا منه وفيه مبالغة فى نفى الظلم حيث علقه بالارادة فاذا نفاه عن الارادة كان نفيه عن الوقوع أولى وأحرى * ولما خوفهم أن يحل بهم فى الدنيا ما حل بالاحزاب خوفهم أمر الآخرة فقال تعطفا لهم بندائهم ياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد وهو يوم الحشر والتنادى مصدر تنادى القوم أى نادى بعضهم بعضا قال الشاعر

تنادوافقالوا أردت الخيل فارسا * فقلت أعنـد الله دلكم الردى

وسمى يوم التنادى امالنداء بعضهم لبعض بالويل والثبور واماالتنادى أهل الجنة وأهـل النار على ماذكر فى سورة الاعراف واماالأن الخلق ينادون الى المحشر واماالنداء المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر ياليتنى لم أوت كتابيه * وقرأت فرقة التناد بسكون الدال فى الوصل أجراه مجرى الوقف وقرأ ابن عباس والضحاك وأبوصالح والكلبى والزعفرانى وابن مقسم التناد بتشديد الدال من ند البعيراذاهرب كما قال يفرالمرء من أخيه الآية * وقال ابن عباس وغيره فى التناد خفيفة الدال هو التنادى أى يكون بين الناس عند النفخ فى الصور ونفخة الفزع فى الدنيا وانهم يفرون على وجوههم للفزع الذى نالهم وينادى بعضهم بعضا * وروى هذا التأويل عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم * وقال ابن عطية ويحتمل أن يكون التذكر بكل نداء فى القيامة فيه مشقة على الكفار والعصاة انتهى * وقال أمية بن أبى الصلت

وبث الخلق فيهاادحاها * فهم سكانها حتى التنادى

وفى الحديث ان للناس جولة يوم القيامة يندون يظنون انهم يجدون مهربا ثم تلا يوم تولون مدبرين قال مجاهد معناه فارين * وقال السدى مالكم من الله من عاصم فى فراركم حتى تعذبوا فى النار * وقال قتادة مالكم فى الانطلاق اليها من عاصم أى مانع يمنعكم منها أوناصر ولما يئس المؤمن من قبولهم قال ومن يضلل الله فماله من هاد ثم أخذ يوبخهم على تكذيب الرسل بان يوسف قد جاءهم بالبينات والظاهر انه يوسف بن يعقوب وفرعون هو فرعون موسى * وروى أشهب عن مالك انه بلغه ان فرعون عمر أربعمائة سنة وأربعين سنة وقيل بل الجائى اليهم هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب وان فرعون هو فرعون غير فرعون موسى * وبالبينات بالمعجزات فلم يزالوا شاكين فى رسالته كافرين حتى اذا توفى قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا وليس هذا تصديقا لرسالته وكيف وماروا فى شك منه وانما المعنى لا رسول من عند الله فيبعثه الى الخلق ففيه نفى الرسول ونفى بعثته وقرئ ألن يبعث بادخال همزة الاستفهام على حرف النفى كان بعضهم يقرر بعضا على نفى البعثة كذلك أى مثل اضلال الله اياكم أى حين لم تقبلوا من يوسف يضل الله من هو مسرف مرتاب يعنيهم اذهم المسرفون المرتابون فى رسالات الانبياء وجوزوا فى الذين يجادلون أن تكون صفة لمن وبدلا منه أى معناه جمع ومبتدأ على حذف مضاف أى جدال الذين يجادلون حتى يكون الضمير فى كبر عائدا على ذلك أولا أو على حذف مضاف والفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من قوله يجادلون أوضمير يعود على من على لفظها على أن يكون الذين صفة أو بدلا أعيد أولا على لفظ من فى قوله هو مسرف كذاب ثم جمع الذين على معنى من ثم أفرد فى قوله كبر على لفظ من * وقال الزمخشرى ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لايصح حذفه انتهى وهذا الذى أجازه لايجوز أن يكون مثله فى كلام فصيح

(الدر) (ش) ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لايصح حذفه انتهى (ح) هذا الذى أجازه لايجوز أن يكون مثله فى كلام فصيح فكيف فى كلام الله لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب مذهب الصحيح خلافه أما تفكيك الكلام فالظاهر ان بغير سلطان متعلق بيجادلون ولا يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون فى آيات الله كائنون أومستقرون بغير سلطان أى فى غير سلطان لان الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثة وكذلك فى قوله يطبع انه مستأنف فيه تفكيك الكلام لأن ماجاء فى القرآن من كذلك يطبع أونطبع انما جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك هنا وأما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه فجعله الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك لايجوز على مذهب البصريين الا الأخفش ولم يثبت فى كلام العرب أعنى نثرها جاءنى كزيد تريد مثل زيد فلم تثبت اسميتها فتكون فاعلة وأما قوله ومن قال الى آخره فان قائل ذلك هو نحوى والظن به انه فسر المعنى ولم يرد الاعراب وانما تفسير الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون كما قالوا من كذب كان شراله أى كان هو أى الكذب المفهوم من كذب والاولى فى اعراب هذا الكلام ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون

فكيف في كلام الله لان فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض وارتكاب مذهب الصحيح خلافه أما تفكيك الكلام فالظاهر أن بغير سلطان متعلق بيجادلون ولا يتعقل جعله خبرا للذين لانه جار ومجرور فيصير التقدير الذين يجادلون في آيات الله كائنون أو مستقرون بغير سلطان أي في غير سلطان لأن الباء اذ ذاك ظرفية خبر عن الجثة وكذلك في قوله يطبع انه مستأنف فيه تفكيك الكلام لان ماجاء في القرآن من كذلك يطبع أو نطبع انما جاء مربوطا بعضه ببعض فكذلك هنا وأما ارتكاب مذهب الصحيح خلافه فجعل الكاف اسما فاعلا بكبر وذلك لا يجوز على مذهب البصريين الا الاخفش ولم يثبت في كلام العرب أعني نثرها جاء في كزيد تريد مثل زيد فلم تثبت اسميتها فتكون فاعلة وأما قوله ومن قال الى آخره فان قائل ذلك وهو الحوفي والظن به أنه فسر المعنى ولم يرد الاعراب وأما تفسير الاعراب ان الفاعل بكبر ضمير يعود على الجدال المفهوم من يجادلون كما قالوا من كذب كان شرا له أي كان هو أي الكذب المفهوم من كذب والأولى في اعراب هذا الكلام أن يكون الذين مبتدأ وخبره كبر والفاعل ضمير المصدر المفهوم من يجادلون وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم الى الاسم الغائب لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم وابراز ذلك في صورة تذكيرهم ولا يفجأهم بالخطاب وفي قوله كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه عن حد اشكاله من الكبائر * كذلك أي مثل ذلك الطبع على قلوب المجادلين يطبع الله أي يختم بالضلالة ويحجب عن الهدى * وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان والاعرج بخلاف عنه قلب بالتنوين وصف القلب بالتكبر والجبروت لكونه مركزهما ومنبعهما كما يقولون رأت العين وكما قال فانه آثم قلبه والاثم الجملة وأجاز الزمخشري أن يكون على حذف المضاف أي على كل ذي قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب انتهى ولا ضرورة تدعو الى اعتقاد الحذف * وقرأ باقي السبعة قلب متكبر بالاضافة والمضاف فيه العام عام فلزم عموم متكبر جبار * وقال مقاتل المتكبر المعاند في تعظيم أمر الله والجبار المسلط على خلق الله * وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا * أقوال فرعون ذروني أقتل موسى ماأريكم الا ماأرى ياهامان ابن لي صرحا حيدة عن محاجة موسى ورجوع الى أشياء لاتصح وذلك كله لما خامره من الجزع والخوف وعدم المقاومة والتعرف أن هلاكه وهلاك قومه على يد موسى وان قدرته عجزت عن التأثير في موسى هذا على كثرة سفكه الدماء وتقدم الكلام في الصرح في سورة القصص فأغنى عن اعادته * قال السدي الاسباب الطرق * وقال قتادة الابواب وقيل عنى لعله يجد مع قربه من السماء سببا يتعلق به وما أداك الى شئ فهو سبب وأبهم أولا الاسباب ثم أبدل منها ما أوضحها والايضاح بعد الابهام يفيد تفخيم الشئ اذ في الابهام تشوق للمراد وتعجب من المقصود ثم بالتوضيح يحصل المقصود ويتعين * وقرأ الجمهور فاطلع رفعا عطفا على أبلغ فكلاهما مترجى * وقرأ الاعرج وأبو حيوة وزيد بن علي والزعفراني وابن مقسم وحفص فاطلع بنصب العين * وقال أبو القاسم بن جبارة وابن عطية على جواب التمني * وقال الزمخشري على جواب الترجي تشبيها للترجي بالتمني انتهى وقد فرق النحاة بين التمني والترجي فذكروا أن التمني يكون في الممكن والممتنع والترجي يكون في الممكن وبلوغ أسباب السموات غير ممكن لكن فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويها على سامعيه وأما النصب بعد الفاء في جواب الترجي فشئ أجازه الكوفيون ومنعه البصريون واحتج

﴿ ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة ﴾ بدأ المؤمن بذكر المتسبب عن دعوتهم وأبدى التفاضل بينهما ولما ذكر المسببان ذكر سببهما وهو دعاؤهم اياه الى الكفر والشرك ودعاؤه اياهم الى الايمان والتوحيد وأتى بصفة العزيز وهو الذي لا نظير له الغفار لذنوب من رجع اليه وآمن به وأوصل سبب دعائهم بسببه وهو الكفر والنار وأخر سبب مسببه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو الى الخير وبدأ أولا بجملة اسمية وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم وختم أيضا بجملة اسمية ليكون أبلغ في توكيد الاخبار وجاء في حقهم وتدعونني بالجملة الفعلية التي لا تقتضي التوكيد اذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فلا تؤكد وما ليس لي به علم هي الأوثان أي لم يتعلق علمي بها اذ ليس لها مدخل في الألوهية ولا لفرعون وتقدم الكلام على لا جرم ولما ذكر انتفاء دعوة ما عبد من دون الله ذكر أن مرد الجميع الى الله أي الى جزائه ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ قال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه فوقاه الله سيئات ما مكروا أي شدائد مكرهم التي تسوءه وما هموا به من أنواع العذاب لمن خالفهم ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب ﴾ قال ابن عباس هو ما حاق بالألف الذين بعثهم فرعون في طلب المؤمن من أكل السباع والموت بالعطش والقتل والصلب كما تقدم والظاهر أن العرض خلاف الاحراق وقرئ كل بالرفع مبتدأ خبره فيها والجملة في موضع خبر انا وقرئ بالنصب وخرجه الزمخشري وابن عطية على التوكيد قال الزمخشري لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا فيها انتهى وخبر ان هو فيها ومن رفع كلا فعلى الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان وقال ابن مالك في تصنيفه وقد تكلم على كل ولا يستغني بنية اضافته خلافا للفراء والزمخشري انتهى وهذا المذهب منقول عن الكوفيين وقال الزمخشري وأيضا (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها (قلت) لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد انتهى وهذا الذي منعه أجازه

الكوفيون بهذه القراءة وبقراءة عاصم فتنفعه الذكرى في سورة عبس اذ هو جواب الترجي في قوله لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى وقد تأولنا ذلك على أن يكون عطفا على التوهم لأن خبر لعل كثيرا جاء مقرونا بأن في النظم كثيرا وفي النثر قليلا فمن نصب توهم أن الفعل المرفوع الواقع خبرا كان منصوبا بأن والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس لكن ان وقع شئ وأمكن تخريجه عليه خرج وأما هنا فاطلع فقد جعله بعضهم جوابا للأمر وهو قوله ابن لي صرحا كما قال الشاعر

يا ناق سيري عنقا فسيحا * الى سليمان فنستريحا

ولما قال فاطلع الى اله موسى كان ذلك اقرارا باله موسى فاستدرك هذا الاقرار بقوله واني لأظنه كاذبا أي في ادعاء الالهية كما قال في القصص لعلي أطلع الى إله موسى واني لأظنه كاذبا * وكذلك أي مثل ذلك التزيين في ايهام فرعون أنه يطلع الى إله موسى زين لفرعون سوء عمله * وقرأ الجمهور زين لفرعون مبنيا للمفعول وقرئ زين مبنيا للفاعل * وقرأ الجمهور وصد مبنيا للفاعل أي وصد فرعون والكوفيون بضم الصاد مبنيا للمفعول وابن وثاب بكسر الصاد أصله صدد نقلت الحركة الى الصاد بعد توهم حذفها وابن أبي اسحق وعبد الرحمن بن أبي بكرة بفتح الصاد وضم الطاء منونة عطفا على سوء عمله والتباب الخسران خسر ملكه في الدنيا فيها بالغرق وفي الآخرة بخلود النار وتكرر وعظ المؤمن اثر كلام فرعون بندائه قومه مرتين تبعا كل نداء بما فيه زجر واتعاظ لو وجد من يقبل وأمر هنا باتباعه لأن يهديهم سبيل الرشاد * وقرأ معاذ بن جبل بشد الشين وتقدم الكلام على ذلك والرد على من جعل هذه القراءة في كلام فرعون وأجمل أولا في قوله سبيل الرشاد وهو سبيل الايمان بالله واتباع شرعه ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وبصغر شأنها وأنها متاع زائل هي ومن تمتع بها وأن الآخرة هي دار القرار التي لا انفكاك منها إما الى جنة وإما الى نار وكذلك قال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها * وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والاخوان والصاحبان وحفص يدخلون مبنيا للفاعل وباقي السبعة والأعرج والحسن وأبو جعفر وعيسى مبنيا للمفعول ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار * لا جرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله إن الله بصير بالعباد * فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب

الأخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما فى الدار أو زيد قائما عندك والتمثيل الذى ذكره ليس مطابقا لما فى الآية لأن الآية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتأخر العامل فيها وأما تمثيله بقوله ولا نقول قائما فى الدار زيد فتأخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم أن المنع فى ذلك اجماع من النحاة والذى أختاره فى تخريج هذه القراءة أن كلا بدل من اسم ان لان كلا يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك فكأنه قال ان كلا فيها واذا كانوا قد تأولوا حولا أكتعا ويوما أجمعا على البدل مع انهما لا يليان العوامل فان يدعى فى كل البدل أولى وأيضا فتنكير كل ونصبه حالا فى غاية الشذوذ والمشهور ان كلا معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكى مررت بكل قائما وببعض جالسا فى الفصيح الكثير فى كلامهم وقد شذ نصب كل على الحال فى قولهم مررت بهم كلا أى جميعا (فان قلت) كيف تجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على مذهب جمهور البصريين (قلت) مذهب الأخفش والكوفيين هو الفصيح على أن هذا ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز أن يبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا نعلم خلافا فى ذلك كقوله تعالى تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وكذلك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون لنا عيدا كلنا فاذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الاحاطة فجوازه فيما دل على الاحاطة وهو كل أولى ولا التفات لمنع المبرد البدل فيه لأنه بدل من ضمير المتكلم لأنه لم يتحقق مناط الخلاف ولما أجاب الضعفاء المستكبرون قالوا جميعا لخزنة جهنم وأبرز ما أضيف اليه الخزنة ولم يأت ضميرا فكان يكون التركيب لخزنتها لما فى ذكر جهنم من التهويل فراجعتهم الخزنة على سبيل التوبيخ والتقريع ﴿أولم تك تأتيكم رسلكم﴾ فأجابوهم بأنهم أتتهم قالوا لهم فادعوا أنتم على سبيل الهزء بهم فانا لا نجترئ على ذلك

* النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب * واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد * وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب * قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا فى ضلال * انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴾ بدأ المؤمن بذكر المتسبب عن دعوتهم وأبدى التفاضل بينهما ولما ذكر المسببين ذكر سببيهما وهو دعاؤهم الى الكفر والشرك ودعاؤه اياهم الى الايمان والتوحيد وأتى بصيغة العزيز وهو الذى لا نظير له والغالب الذى العالم كلهم فى قبضته يتصرف فيهم كما يشاء الغفار لذنوب من رجع اليه وآمن به وأوصل سبب دعائهم بسببه وهو الكفر والنار وأخر سبب مسببه ليكون افتتاح كلامه واختتامه بما يدعو الى الخير وبدأ أولا بجملة اسمية وهو الاستفهام المتضمن التعجب من حالتهم وختم أيضا بجملة اسمية ليكون أبلغ فى توكيد الاخبار وجاء فى حقهم وتدعونني بالجملة الفعلية التى لا تقتضى توكيدا اذ دعوتهم باطلة لا ثبوت لها فتؤكد وما ليس لى به علم هى الأوثان أى لم يتعلق به علمى اذ ليس لها مدخل فى الالوهية ولا لفرعون * قال الزمخشرى (فان قلت) لم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى (قلت) لأن الثانى داخل فى كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة انتهى وتقدم الكلام على لا جرم * وقال الزمخشرى هنا وروى عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء يريد لابد وفعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم * انما أى ان الذى تدعونني اليه أى الى عبادته ليس له دعوة أى قدر وحق يجب أن يدعى اليه أو ليس له دعوة الى نفسه لأن الجماد لا يدعو والمعبود بالحق يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهار الدعوة ربهم * وقال الزجاج المعنى ليس له استجابة دعوة توجب الالوهية فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قوله كما تدين تدان * وقال الكلبى ليست له شفاعة فى الدنيا ولا فى الآخرة وكان فرعون أولا يدعو الناس الى عبادة الأصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر وكانت تعبد مادامت شابة فاذا هزلت أمر بذبحها ودعا بأخرى لتعبد فلما طال عليه الزمان قال أنا ربكم الأعلى ولما ذكر انتفاء دعوة ما عبد من دون الله وذكر أن مردا الجميع الى الله أى الى جزائه وأن المسرفين وهم المشركون

فى قول قتادة والسفا كون للدماء بغير حلها فى قول ابن مسعود ومجاهد وقيل من غلب شره خيره هو المسرف * وقال عكرمة هم الجبارون المتكبرون وختم المؤمن كلامه بخاتمة لطيفة توجب التخويف والتهديد وهى قوله فستذكرون ما أقول لكم أى اذا حل بكم عقاب الله وأفوّض أمرى الى قضاء الله وقدره لا إليكم ولا الى أصنامكم وكانوا قد توعدوه ثم ذكر ما يوجب التفويض وهو كونه تعالى بصيرا بأحوال العباد و بمقادير حاجاتهم * قال مقاتل لما قال هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه * وقيل لما أظهر إيمانه بعث فرعون فى طلبه ألف رجل فمنهم من أدركه فذب السباع عنه وأكلتهم السباع ومنهم من مات فى الجبال عطشا ومنهم من رجع الى فرعون خائبا فاتهمه وقتله وصلبه * وقيل نجا مع موسى فى البحر وفر فى جملة من فر معه * فوقاه الله سيئات ما مكروا أى شدائد مكرهم التى تسوؤه وما هموا به من أنواع العذاب لمن خالفهم * وحاق بآل فرعون سوء العذاب * قال ابن عباس هو ما حاق بالألف الذين بعثهم فرعون فى طلب المؤمن من أكل السباع والموت بالعطش والقتل والصلب كما تقدم * وقيل سوء العذاب هو الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة * النار بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأنه قيل ما سوء العذاب قيل النار أو مبتدا خبره يعرضون ويقوى هذا الوجه قراءة من نصب أى تدخلون النار يعرضون عليها * وقال الزمخشرى و يجوز أن ينصب على الاختصاص والظاهر أن عرضهم على النار مخصوص بهذين الوقتين و يجوز أن يراد بذكر الطرفين الدوام فى الدنيا والظاهر أن العرض خلاف الاحراق * وقال الزمخشرى عرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الأسارى على السيف اذا قتلهم به انتهى والظاهر أن العرض هو فى الدنيا * و روى ذلك عن الهذيل بن شرحبيل وعن ابن مسعود والسدى أن أرواحهم فى جوف طيور سود تروح بهم وتغدوا الى النار * وقال رجل للأوزاعى رأيت طيورا بيضا تغدوا من البحر ثم تروح العشى سودا مثلها فقال الأوزاعى تلك التى فى حواصلها أرواح آل فرعون يحرق رياشها وتسود بالعرض على النار * وقال محمد بن كعب وغيره أرادهم يعرضون فى الآخرة على تقدير ما بين الغدو والعشى إذ لا غدو ولا عشى فى الآخرة وانما ذلك على التقدير بأيام الدنيا * وعن ابن مسعود تعرض أرواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار على النار بالغداة والعشى يقال هذه داركم * وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة * واستدل مجاهد ومحمد بن كعب وعكرمة ومقاتل بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا أى عند موتهم على عذاب القبر فى الدنيا والظاهر تمام الجملة عند قوله وعشيا وأن يوم القيامة معمول لمحذوف على اضمار القول أى و يوم القيامة يقال لهم ادخلوا * وقيل و يوم معطوف على وعشيا فالعامل فيه يعرضون وأدخلوا على اضمار الفعل وقيل العامل فى يوم أدخلوا * وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة والأعمش وابن وثاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائى وحفص أدخلوا أمرا للخزنة من أدخل * وعلى والحسن وقتادة وابن كثير والعربيان وأبو بكر أمرا من دخل آل فرعون أشد العذاب * قيل وهو الهاوية * قال الأوزاعى بلغنا أنهم ألفا ألف وستمائة ألف * وإذ يتحاجون فى النار الظاهر أن الضمير عائد على فرعون * وقال

(ش) فان قلت هل يجوز ان تكون كلا حالا قد عمل فيها فيها * قلت لا لأن الظرف لا يعمل في الحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد انتهى (ح) هذا الذي منعه أجازه الأخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في الدار أو زيد قائما عندك والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا لما في الآية لأن الآية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتأخر العامل فيها وأما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فتأخر فيه المسند والمسند اليه وقد ذكر بعضهم أن المنع في ذلك اجماع من النحاة والذي أختاره في تخريج هذه القراءة ان كلا بدل من اسم ان لأن كلا يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك فكأنه قال ان كلا فيها واذا كانوا قد تأولوا حولا أكتعا ويوما أجمعا على البدل مع انهما لا يليان العوامل فان يدعى في كل البدل أولى وأيضا فتنكير كل ونصبه حالا في غاية الشذوذ والمشهور ان كلا معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكى مررت بكل قائما وببعض جالسا في الفصيح الكثير في كلامهم وقد شذ نصب كل على الحال في قولهم مررت بهم كلا أي جميعا * فان قلت كيف تجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على مذهب جمهور البصريين * قلت مذهب الاخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح على ان هذا ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز أن يبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا نعلم خلافا في ذلك كقوله تعالى تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وكقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون لنا عيدا كلنا فاذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الاحاطة فجوازه فيما دل على الاحاطة وهو كل أولى ولا التفات لمنع المبرد البدل فيه لانه بدل من ضمير متكلم لانه لم يتحقق مناط الخلاف

ابن عطية والضمير في قوله يتحاجون لجميع كفار الأمم وهذا ابتداء قصص لا يختص بآل فرعون والعامل في إذ فعل مضمر تقديره واذكروا * وقال الطبري وإذ هذه عطف على قوله إذ القلوب لدى الحناجر وهذا بعيد انتهى والمحاجة التحاور بالحجة والخصومة والضعفاء أي في القدر والمنزلة في الدنيا والذين استكبروا أي عن الايمان واتباع الرسل * إنا كنا لكم تبعا أي ذوي تبع فتبع مصدر أو اسم جمع لتابع كآيم وأيم وخادم وخدم وغائب وغيب * فهل أنتم مغنون عنا أي حاملون عنا فأجابوهم إنا كل فيها وأن حكم الله قد نفذ فينا وفيكم إنا مستقرون في النار * وقرأ ابن السميقع وعيسى بن عمران كلا بنصب كل * وقال الزمخشري وابن عطية على التوكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد إنا كلنا فيها انتهى وخبر ان هو فيها ومن رفع كلا فعلى الابتداء وخبره فيها والجملة خبر ان * وقال ابن مالك في تصنيفه تسهيل الفوائد وقد تكلم على كل ولا يستغني بنية اضافته خلافا للفراء والزمخشري انتهى وهذا المذهب منقول عن الكوفيين وقد رد ابن مالك على هذا المذهب بما قرره في شرحه التسهيل * وقال الزمخشري (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لا لان الظرف لا يعمل والحال متقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد انتهى وهذا الذي منعه أجازه الأخفش اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والتمثيل الذي ذكره ليس مطابقا في الآية لان الآية تقدم فيها المسند اليه الحكم وهو اسم ان وتوسطت الحال اذا قلنا انها حال وتأخر العامل فيها وأما تمثيله بقوله ولا تقول قائما في الدار زيد فتأخر فيه المسند والمسند اليه * وقد ذكر بعضهم أن المنع في ذلك اجماع من النحاة * وقال ابن مالك والقول المرضي عندي ان كلا في القراءة المذكورة منصوب على أن الضمير المرفوع المنوي في فيها وفيها هو العامل وقد تقدمت الحال عليه مع عدم تصرفه كما قدمت في قراءة من قرأ والسموات مطويات بيمينه * وفي قول النابغة الذبياني

رهط ابن كوز محقبي أدراعهم * فيهم ورهط ربيعة بن حذار

* وقال بعض الطائيين *

دعا فأجبنا وهو بادي ذلة * لديكم فكان النصر غير قريب

انتهى وهذا التخريج هو على مذهب الأخفش كما ذكرناه والذي أختاره في تخريج هذه القراءة ان كلا بدل من اسم إن لان كلا يتصرف فيها بالابتداء ونواسخه وغير ذلك فكأنه قال ان كلا بدل من اسم ان لان كلا فيها واذا كانوا قد تأولوا حولا أكتعا ويوما أجمعا على البدل مع أنهما لا يليان العوامل فان يدعى في كل البدل أولى وأيضا تنكير كل ونصبه حالا في غاية الشذوذ والمشهور

ان كلا معرفة اذا قطعت عن الاضافة حكى مررت بكل قائما وببعض جالسا فى الفصيح الكثير فى كلامهم وقد شذ نصب كل على الحال فى قولهم مررت بهم كلا أى جميعا (فان قلت) كيف يجعله بدلا وهو بدل كل من كل من ضمير المتكلم وهو لا يجوز على مذهب البصريين (قلت) مذهب الأخفش والكوفيين جوازه وهو الصحيح على أن هذا ليس مما وقع فيه الخلاف بل اذا كان البدل يفيد الاحاطة جاز أن يبدل من ضمير المتكلم وضمير المخاطب لا نعلم خلافا فى ذلك كقوله تعالى تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وكقولك مررت بكم صغيركم وكبيركم معناه مررت بكم كلكم وتكون لنا عيدا كلنا فاذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الاحاطة فجوازه فيما دل على الاحاطة وهو كل أولى ولا التفات لمنع المبرد البدل فيه لانه بدل من ضمير المتكلم لانه لم يتحقق مناط الخلاف * ولما أجاب الضعفاء المستكبرون قالوا جميعا لخزنة جهنم وأبرز ما أضيف اليه الخزنة ولم يأت ضميرا فكان يكون التركيب لخزنتها لما فى ذكر جهنم من التهويل وفيها أطغى الكفار وأعتاهم ولعل الكفار توهموا أن ملائكة جهنم الموكلين بعذاب تلك الطغاة هم أقرب منزلة عند الله من غيرهم من الملائكة الموكلين ببقية دركات النار فرجوا أن يجيبوهم و يدعوا لهم بالتخفيف فراجعتهم الخزنة على سبيل التوبيخ لهم والتقرير أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات فأجابوا بانهم أتتهم قالوا أى الخزنة فادعوا أنتم على معنى الهزء بهم أو فادعوا أنتم فانا لا نجترئ على ذلك والظاهر أن قوله وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال من كلام الخزنة أى دعاؤكم لا ينفع ولا يجدى * وقيل هو من كلام الله تعالى اخبارا منه لمحمد صلى الله عليه وسلم و جاء هذه الأخبار معبرا عنها بلفظ الماضى الواقع لتيقن وقوعها ثم ذكر تعالى أنه ينصر رسله و يظفرهم بأعدائهم كما فعل بموسى عليه السلام حيث أهلك عدوه فرعون وقومه وفيه تبشير للرسول عليه السلام بنصره على قومه فى الحياة الدنيا العاقبة الحسنة لهم و يوم يقوم الأشهاد وهو يوم القيامة * قال ابن عباس ينصرهم بالغلبة وفى الآخرة بالعذاب * وقال السدى بالانتقام من أعدائهم * وقال أبو العالية بافلاح حجتهم * وقال السدى أيضا ما قتل قوم قط نبيا أو قوما من دعاة الحق إلا بعث الله من ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا انتهى ألا ترى الى قتلة الحسين رضى الله عنه كيف سلط الله عليهم المختار بن عبيد يتبعهم واحدا واحدا حتى قتلهم و بختنصر تتبع اليهود حين قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام * وقيل والنصر خاص بمن أظهره الله تعالى على أمته كنوح وموسى ومحمد عليهم السلام لانا نجد من الأنبياء من قتله قومه كيحيى ومن لم ينصر عليهم * وقال السدى الخبر عام وذلك أن نصرة الرسل والأنبياء واقعة ولا بد إما فى حياة الرسول المنصور كنوح وموسى عليهما السلام و إما بعد موته ألا ترى الى ماصنع الله تعالى ببنى اسرائيل بعد قتلهم يحيى عليه السلام من تسليط بختنصر حتى انتصر ليحيى عليه السلام * وقرأ الجمهور يقوم بالياء وابن هرمز واسماعيل والمنقرى عن أبى عمرو بتاء التأنيث الجماعة والأشهاد جمع شهيد كشريف وأشراف أو جمع شاهد كصاحب وأصحاب كما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد * وقال لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا والظاهر أنه من الشهادة * وقيل من المشاهدة بمعنى الحضور يوم لا ينفع بدل من يوم يقوم * وقرئ تنفع بالتاء و بالياء وتقدم ذكر الخلاف فى ذلك فى آخر الروم ويحتمل أنهم يعتذرون ولا تقبل معذرتهم وأنهم لا معذرة لهم فتقبل * ولهم اللعنة والابعاد من الله * ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدار

﴿ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب ﴾

﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ أى الدلائل التى أوردها على فرعون وقومه والكتاب التوراة توارثوها خلفا عن سلف ثم أمره تعالى بتنزيهه فى هذين الوقتين اللذين الناس مشغولون فيهما بمصالحهم المهمة ثم نبه تعالى على أنه لا ينبغى أن يجادل فى آيات الله ولا يتكبر الانسان بقوله تعالى

فاصبران وعدالله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار * ان الذين يجادلون
فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع
البصير * لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون * وما
يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتذكرون * ان الساعة
لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون * وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون * ذلكم الله ربكم
خالق كل شئ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون * كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون * الله
الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين * هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين ﴾ ولما ذكر ماحل بآل فرعون واستطرد من ذلك الى ذكر شئ من أحوال الكفار
فى الآخرة عاد الى ذكر مامنح رسوله موسى عليه السلام فقال ولقد آتينا موسى الهدى تأنيسا لمحمد
عليه السلام وتذكيرا لما كانت العرب تعرفه من قصة موسى عليه السلام * والهدى يجوز أن يكون
الدلائل التى أوردها على فرعون وقومه وأن يكون النبوة وأن يكون التوراة * وأورثنا بنى
اسرائيل الكتاب الظاهر أنه التوراة توارثوها خلف عن سلف ويجوز أن يكون الكتاب أريد
به ماأنزل على بنى اسرائيل من كتب أنبيائهم كالتوراة والزبور والانجيل هدى ودلالة على الشئ
المطلوب وذكرى لما كان منسيا فذكره تعالى فى كتبه وانتصب هدى وذكرى على أنهما مفعولان
له أو على أنهما مصدران فى موضع الحال ثم أمر تعالى نبيه بالصبر فقال فاصبر ان وعد الله حق من قوله
انا لننصر رسلنا فلا بد من نصرك على أعدائك * وقال الكلبى نسخ هذا بآية السيف واستغفر
لذنبك * قال ابن عطية يحتمل أن يكون قبل اعلام الله تعالى اياه انه غفر له ماتقدم من ذنبه وما
تأخر لان آية هذه السورة مكية وآية سورة الفتح مدنية متأخرة و يحتمل أن يكون الخطاب له فى
هذه الآية والمراد أنه اذا أمر هو بهذا فغيره أحرى بامتثاله * وقال أبو عبد الله الرازى محمول على
التوبة من ترك الأفضل والأولى * وقيل المقصود منه محض تعبد كما فى قوله تعالى ربنا وآتنا
ماوعدتنا على رسلك فان إيتاء ذلك الشئ واجب ثم انه أمرنا بطلبه * وقيل لذنبك لذنب أمتك فى
حقك * قيل فأضاف المصدر للمفعول ثم أمره بتنزيهه تعالى فى هذين الوقتين اللذين الناس مشتغلون
فيهما بمصالحهم المهمة ويجوز أن يكون المراد سائر الأوقات وعبر بالظرفين عن ذلك * وقال ابن
عباس أراد بذلك الصلوات الخمس * وقال قتادة صلاة الغداة وصلاة العصر * وقال الحسن ركعتان
قبل أن تفرض الصلاة * وعنه أيضا صلاة العصر وصلاة الصبح والظاهر أن المجادلين فى آيات الله
وهى دلائله التى نصبها على توحيده وكتبه المنزلة وما أظهر على يد أنبيائه من الخوارق هم كفار قريش
والعرب بغير سلطان أى حجة و برهان فى صدورهم إلا كبر أى تكبر وتعاظم وهو ارادة التقدم
والرياسة وذلك هو الحامل على جدالهم بالباطل ودفعهم مايجب لك من تقدمك عليهم لما منحك من
النبوة وكلفك من أعباء الرسالة * ماهم ببالغيه أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه من رياستهم
وتقدمهم وفى ذلك اشارة الى أنهم لايرأسون ولايحصل لهم مايؤملونه * وقال الزجاج المعنى على
تكذيبك الا مافى صدورهم من الكبر عليك وماهم ببالغى مقتضى ذلك الكبر لان الله أذلهم

﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ أى مخلوقاته أكبر وأجل من خلق البشر فالأحدهم يجادل ويتكبر على خالقه ﴿ ادعونى ﴾ أى اعبدونى ﴿ أستجب لكم ﴾ أى أثبكم على العبادة وكثيرا جاء الدعاء فى القرآن بمعنى العبادة ويقوى هذا التأويل قوله ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتى ﴾ وما روى النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ان الذين يستكبرون عن عبادتى أى يتعاظمون عن توحيدى وقرئ ﴿ سيدخلون ﴾ مبنيا للفاعل والمفعول ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب الجاحدين بآيات الله من الأمم عن طريق الهدى والطيبات المستلذات طعما ولباسا

* وقال ابن عطية تقديره مبالغي اراداتهم فيه * وقال مقاتل هي في اليهود * قال مقاتل عظمت اليهود الدجال وقالوا ان صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان فقال تعالى ان الذين يجادلون في آيات الله لان الدجال من آياته * بغير سلطان أي حجة * فاستعذ بالله من فتنة الدجال والمراد بحلق الناس الدجال والى هذا ذهب أبو العالية وهذا القول أصح * وقال الزمخشري وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال و يبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيتهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم انتهى * وكان رئيس اليهود في زمانه في مصر موسى بن ميمون الأندلسي القرطبي قد كتب رسالته الى يهود اليمن أن صاحبهم يظهر في سنة كذا وخمسمائة وكذب عدو الله جاءت تلك السنة وسنون بعدها كثيرة ولم يظهر شيء مما قاله لعنه الله وكان هذا اليهودي قد أظهر الاسلام حتى استسلم اليهود بعض ملوك المغرب ورجل من الأندلس فيذكر أنه صلى بالناس التراويح وهم على ظهر السفينة في رمضان اذ كان يحفظ القرآن فلما قدم مصر وكان ذلك في دولة العبيديين وهم لا يتقيدون بشريعة رجع الى اليهودية وأخبر أنه كان مكرها على الاسلام فقبل منه ذلك وصنف لهم تصانيف ومنها كتاب دلالة الحائرين وانما استفاد ما استفاد من مخالطة علماء الأندلس وتودده لهم والرياسة الى الآن بمصر لليهود في كل من كان من ذريته * فاستعذ بالله أي التجيء اليه من كيد من يحسدك * انه هو السميع لما تقول ويقولون * البصير بما تعمل و يعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم ثم نبه تعالى أنه لا ينبغي أن يجادل في آيات الله ولا يتكبر الانسان بقوله لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس أي أن مخلوقاته أكبر وأجل من خلق البشر فالاحد يجادل و يتكبر على خالقه * وقال الزمخشري مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والأرض لأنهم كانوا مقرين بأن الله خالقها و بأنها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شيء قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى * وقال ابن عطية و يحتمل أن يكون الكلام في معنى البعث والاعادة فاعلم تعالى أن الذي خلق السموات والأرض قوي قادر على خلق الناس تارة أخرى فالخلق مصدر أضيف الى المفعول * وقال النقاش المعنى مما يخلق الناس اذ هم في الحقيقة لا يملكون شيأ فالخلق مضاف للفاعل ولكن أكثر الناس لا يعلمون أي لا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم ونفى العلم عن الأكثر وتخصيصه به يدل على أن القليل يعلم ولذلك ضرب مثلا للجاهل بالأعمى وللعالم بالبصير وانتفاء الاستواء بينهما هو من الجهة الدالة على العمى وعلى البصر والا فهما مستويان في غير ما شيء ولما بعد قسم الذين آمنوا بطول صلة الموصول كرر لا توكيدا وقدم والذين آمنوا لمجاورة قوله والبصير وهما طريقان أحدهما أن يجاور المناسب هكذا والآخر أن يتقدم ما يقابل الأول و يؤخر ما يقابل الآخر كقوله تعالى وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقد يتأخر المتماثلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع وكل ذلك تفنن في البلاغة وأساليب الكلام ولما كان قد تقدم ولكن أكثر الناس لا يعلمون فكان ذلك صفة ذم ناسب أن يبدأ في ذكر التساوي بصفة الذم فبدأ بالأعمى * وقرأ قتادة وطلحة وأبو عبد الرحمن وعيسى و الكوفيون تتذكرون بتاء الخطاب والجمهور والأعرج والحسن وأبو جعفر وشيبة

بالياء على الغيبة ثم أخبر بما يدل على البعث من اتيان الساعة وأنه لاريب في وقوعها وهو يوم القيامة حيث الحساب وافتراق الجمع الى الجنة طائعهم والى النار كافرهم ومن أراد الله تعذيبه من العصاة بغير الكفر والظاهر حمل الدعاء والاستجابة على ظاهرهما الا أن الاستجابة مقيدة بمشيئة الله * قال السدى اسألونى أعطكم * وقال الضحاك أطيعونى آتكم وقالت فرقة منهم مجاهد ادعونى اعبدونى وأستجب لكم آتيكم على العبادة وكثيرا جاء الدعاء فى القرآن بمعنى العبادة ويقوى هذا التأويل قوله إن الذين يستكبرون عن عبادتى وماروى النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية * وقال ابن عباس وحدونى أغفر لكم وقيل للثورى ادع الله تعالى فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء * وقال الحسن وقد سئل عن هذه الآية اعملوا وأبشروا فانه حق على الله ان يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله * وقال أنس قال النبى صلى الله عليه وسلم ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله ان الذين يستكبرون عن عبادتى أى عن دعائى * وقرأ جمهور السبعة والحسن وشيبة سيدخلون مبنيا للفاعل وزيد بن على وابن كثير وأبو جعفر مبنيا للمفعول واختلف عن عاصم وأبى عمرو داخرين دليلين * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تقدم الكلام على مثل هذه الجملة فى سورة يونس ولذو فضل أبلغ من لمفضل أولمتفضل كما قال لذو علم لما علمناه ليفق ذو سعة من سعته والله ذو الفضل العظيم لما يؤدى اليه من كونه صاحبه ومتمكنا منه بخلاف أن يؤتى بالصفة فانه قد يدل على غير الله بالاتصاف به فى وقت ما لادائما وذكر عموم فضله وسوغه على الناس ثم قال ولكن أكثر الناس فأتى به ظاهرا ولم يأت التركيب ولكن أكثرهم * قال الزمخشرى فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرون كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار انتهى * ذلكم أى المخصوص بتلك الصفات المتميز بها من استجابته لدعائكم ومن جعل الليل والنهار كما ذكر ومن تفضله عليكم * الله ربكم الجامع لهذه الأوصاف من الالهية والربوبية وانشاء الأشياء والوحدانية * فكيف تصرفون عن عبادة من هذه أوصافه الى عبادة الأوثان * وقرأ زيد بن على خالق نصب القاف وطلحة فى رواية يؤفكون بياء الغيبة والجمهور بضم القاف وتاء الخطاب * قال الزمخشرى خالق نصبا على الاختصاص كذلك أى مثل ذلك الصرف صرف الله قلوب الجاحدين بآيات الله من الأمم على طريق الهدى ولما ذكر تعالى ما امتن به من الليل والنهار ذكر أيضا ما امتن به من جعل الأرض مستقرا والسماء بناء أى قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لأن السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الأرض * وقرأ الجمهور صوركم بضم الصاد والأعمش وأبو رزين بكسرها فرارا من الضمة قبل الواو استثقالا وجمع فعلة بضم الفاء على فعل بكسرها شاذ وقالوا قوة وقوى بكسر القاف على الشذوذ أيضا وقيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله فى أحسن تقويم وقرأت فرقة صوركم بضم الصاد واسكان الواو على نحو بسرة وبسر ورزقكم من الطيبات امتن عليهم بما يقوم بأود صورهم والطيبات المستلذات طعما ولباسا ومكاسب * وقال ابن عباس من قال لا إله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين وقال نحوه سعيد ابن جبير ثم قرأ الآية * قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين * هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم

ومعنى يسجرون يطرحون فى النار فيكونون وقودا لها وقيل يصرفون ثم أخبر تعالى انهم يوقفون يوم القيامة على جهة التوبيخ والتقريع فيقال لهم أين الاصنام التى كنتم تعبدون فى الدنيا فيقولون ضلوا عنا أى تلفوا منا وغابوا واضمحلوا

طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون * هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون * الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون * ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون * ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴿ أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يخبرهم بأنه نهى ان يعبد أصنامهم لما جاءه البينات من ربه فهذا نهى بالسمع وان كان منهيا بدلائل العقل فتظافرت أدلة السمع وأدلة العقل على النهى عن عبادة الأوثان فمن أدلة السمع قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون الى غير ذلك وذكره أنه نهى بالسمع لا يدل على أنه كان منهيا بأدلة العقل ولما نهى عن عبادة الأوثان أخبر أنه أمر بالاستسلام لله تعالى ثم بين أمر الوحدانية والالوهية التى أصنامهم عارية عن شئ منهما بالاعتبار فى تدريج ابن آدم بان ذكر مبدأه الأول وهو من تراب ثم أشار الى التناسل بخلقه من نطفة والطفل اسم جنس أو يكون المعنى ثم يخرجكم أى كل واحد منكم طفلا وتقدم الكلام على بلوغ الاشد * ومن قبل قال مجاهد من قبل أن يكون شيخا وقيل ويجوز أن يكون من قبل هذه الأحوال اذا خرج سقطا وقيل عبارة بترداده فى التدريج المذكور ولا يختص عاقبل الشيخ بل منهم من يموت قبل أن يخرج طفلا وآخر قبل الاشد وآخر قبل الشيخ ولتبلغوا متعلق بمحذوف أى يبقيكم لتبلغوا أى ليبلغ كل واحد منكم أجلا مسمى لا يتعداه * قال مجاهد يعنى موت الجميع وقيل هو يوم القيامة ولعلكم تعقلون ما فى ذلك من العبرة والحجج اذا نظرتم فى ذلك وتدبرتم ولما ذكر رتب الايجاد ذكر أنه المتصف بالاحياء والاماتة وأنه متى تعلقت ارادته بايجاد شئ أوجده من غير تأخر وتقدم الكلام على مثل هذه الجمل ثم قال بعد ظهور هذه الآيات ألا تعجب الى المجادل فى آيات الله كيف يصرف عن الجدال فيها ويصير الى الايمان بها والظاهر أنها فى الكفار المجادلين فى رسالة الرسول عليه السلام والكتاب الذى جاء به بدليل قوله الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون وهذا قول الجمهور * وقال محمد بن سيرين وغيره هى اشارة الى أهل الأهواء من الامة ورووا فى نحو هذا حديثا وقالوا هى فى أهل القدر ومن جرى مجراهم ويلزم قائلى هذه المقالة أن يجعل قوله الذين كذبوا كلاما مستأنفا فى الكفار ويكون الذين كذبوا مبتدأ وخبره فسوف يعلمون وأما على الظاهر فالذين بدل من الذين أو خبر مبتدأ محذوف أو منصوب على الذم واذ ظرف للماضى فلا يعمل فيه المستقبل كما لا يقول سأقوم أمس فقيل اذا تقع موقع اذ وان موقعها على سبيل المجاز فيكون اذ هنا بمعنى اذا وحسن ذلك تيقن وقوع الأمر وأخرج فى صيغة الماضى وان كان المعنى على الاستقبال * قال النخعى لو أن غلا من اغلال جهنم وضع على جبل لارضه حتى يبلغ الى الماء الاسود * وقرأ والسلاسل عطفا على الاغلال يسحبون مبنيا للمفعول * وقرأ ابن مسعود وابن عباس وزيد بن على وابن وثاب والمسيء فى اختياره

ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون الى الكذب فيقولون بل لم نكن نعبد شيأ وهذا من أشد الاختلاط فى الذهن والنظر ﴿ ذلكم ﴾ أى الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان وفى الحديث ان الله يبغض المرحين الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التصريف المذكور فى علم البديع وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين ﴿ ادخلوا ﴾ الظاهر أنهم قيل لهم ادخلوا بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا فى النار ولكن هذا أمر مقيد بالخلود وهو الثواء الذى لا ينقطع فليس أمرا بمطلق الدخول اذ بعد الدخول فيها أمروا أن يدخلوا سبعة الأبواب التى لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك أمرا بالدخول بقيد التجزئة لكل باب وخالدين حال مقدرة ودلت على الثواء الدائم فجاء التركيب ﴿ فبئس مثوى المتكبرين ﴾ ولم يجىء التركيب فبئس مدخل المتكبرين لان نفس الدخول لا يدوم فلم يبالغ فى ذمه بخلاف الثواء الدائم الذى لا ينقطع فانه بولغ فى ذمه

والسلاسل بالنصب على المفعول يسحبون مبنيا للفاعل وهو عطف جملة فعلية على جملة اسمية * وقرأت فرقة منهم ابن عباس والسلاسل بجر اللام * قال ابن عطية على تقدير اذ أعناقهم فى الاغلال والسلاسل فعطف على المراد من الكلام لا على ترتيب اللفظ اذ ترتيبه فيه قلب وهو على حد قول العرب أدخلت القلنسوة فى رأسى وفى مصحف أبى وفى السلاسل يسحبون * وقال الزمخشرى ووجهه أنه لو قيل اذ أعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره قول الشاعر

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الابين غرابها

كأنه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل انتهى وهذا يسمى العطف على التوهم ولكن توهم ادخال حرف الجر على مصلحين أقرب من تغيير تركيب الجملة بأسرها والقراءة من تغيير تركيب الجملة السابقة بأسرها ونظير ذلك قول الشاعر

أجدك لن ترى بثعيلبات * ولا بيداء ناجية زمولا

ولا متدارك والليل طفل * ببعض نواشع الوادى حمولا

التقدير لست براء ولا متدارك وهذا الذى قاله ابن عطية والزمخشرى سبقهما اليه الفراء قال من جر السلاسل حمله على المعنى لأن المعنى أعناقهم فى الاغلال والسلاسل * وقال الزجاج من قرأ بخفض والسلاسل فالمعنى عنده وفى السلاسل يسحبون * وقال ابن الانبارى والخفض على هذا المعنى غير جائز لو قلت زيد فى الدار لم يحسن أن تضمر فى فتقول زيد الدار ثم ذكر تأويل الفراء وخرج القراءة ثم قال كما تقول خاصم عبد الله زيدا العاقلين بنصب العاقلين ورفعه لأن أحدهما اذا خاصمه صاحبه فقد خاصمه الآخر انتهى وهذه المسئلة لا تجوز عند البصريين وهى منقول جوازها عن محمد بن سعدان الكوفى قال لأن كل واحد منهما فاعل مفعول وقرئ وبالسلاسل يسحبون ولعل هذه القراءة حملت الزجاج على أن تأول الخفض على اضمار حرف الجر وهو تأويل شذوذ * وقال ابن عباس فى قراءة من نصب والسلاسل وفتح ياء يسحبون اذا كانوا يجرونها فهو أشد عليهم يكلفون ذلك وهم لا يطيقون * وقال مجاهد يسجرون يطرحون فيها فيكونون وقودا لها وقال السدى يسجرون يحرقون ثم أخبر تعالى أنهم يوقفون يوم القيامة من جهة التوبيخ والتقريع فيقال لهم أين الأصنام التى كنتم تعبدون فى الدنيا فيقولون ضلوا عنا أى تلفوا منا وغابوا واضمحلوا ثم تضطرب أقوالهم ويفزعون الى الكذب فيقولون بل لم نكن نعبد شيأ وهذا من أشد الاختلاط فى الذهن والنظر ولما تبين لهم أنهم لم يكونوا شيأ وما كانوا يعبدون بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا اختبرته فلم تر عنده جزاء وقولهم ضلوا عنا مع قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم يحتمل أن يكون ذلك عند تقريعهم فلم يكونوا معهم اذ ذاك أو لما لم ينفعوهم قالوا ضلوا عنا وان كانوا معهم كذلك أى مثل هذه الصفة وبهذا الترتيب يضل الله الكافرين * وقال الزمخشرى أى مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا * ذلكم الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الأوثان * وقال ابن عطية ذلك العذاب الذى أنتم فيه مما كنتم تفرحون فى الدنيا بالمعاصى والكفر انتهى * وتمرحون قال ابن عباس الفخر والخيلاء وقال مجاهد الاشر والبطر انتهى فقال لهم ذلك توبيخا أى اما نالكم

﴿ فاصبر ان وعد الله حق ﴾ أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ما وعده به من نصره و إعلاء كلمته حق ثابت لا بد من وقوعه ﴿منهم من قصصنا عليك﴾ أى من أخبرنا بـ به فى القرآن وهم ثمانية عشر نبيا ﴿ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول﴾ أى ليس ذلك راجعا اليهم لما اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس ذلك الى لا تأتى آية الا ان شاء الله فاذا جاء أمر الله ردوو عيد باقتراحهم الآيات وأمر الله القيامة والمبطلون المعاندون مقترحو الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا ثم ذكر تعالى آيات اعتبار وتعداد نعم فقال ﴿الله الذى جعل لكم الانعام﴾ وهى ثمانية أزواج ﴿لتركبوا منها﴾ وهى الابل اذ لم يعهد ركوب غيرها ﴿ومنها تأكلون﴾ عام فى ثمانية الازواج ولما كان المركوب منها وهى الابل أعظم منفعة اذ فيه منفعة الاكل والركوب وذكر أيضا أن فى الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك أكد منفعة الركوب بقوله ﴿ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم﴾ من بلوغ الاسفار الطويلة وحمل الانتقال الى البلاد الشاسعة وما أشبه ذلك من المنافع الدنيوية والدينية ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتب عليه قد يتوصل به الى الانتقال لأمر واجب أو مندوب كالحج وغيره دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات فجعل ذلك علة لجعل الانعام لنا ولما كان الاكل واصابة المنافع من جنس المباحات لم يجعل ذلك علة فى الجعل بل ذكر أن منها نأكل ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك كما أدخل لام التعليل فى لتركبوا ولم يدخلها على الزينة فى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ولما ذكر ما امتن به من منة الركوب للابل فى البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب فى البحر فقال ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته﴾ أى حججه وأدلته على وحدانيته ﴿فأى آيات الله تنكرون﴾ أى انها كثيرة فأيها ينكر أى لا يمكن انكار شئ منها فى العقول وأى آيات الله منصوب بتنكرون قال الزمخشرى فأى آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقوله فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه انتهى ومن قلة تأنيث أى قوله

بأى كتاب أم بأية سنة * ترى حبهم عارا على وتحسب

وقوله وهى فى أى أغرب ان عنى أيا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض فى النداء أن تؤنث فى نداء المؤنث كقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ولا يعلم من يذكرها فيه فيقول يا أيها المرأة الا صاحب كتاب البديع فى النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح يقل تأنيثها فى الاستفهام وموصولة وشرطية وما فى قوله فما أغنى نافية أو استفهامية فى معنى النفى والضمير فى جاءتهم عائد على الذين من قبلهم وجاء بقوله من العلم على جهة التهكم بهم أى فى الحقيقة لا علم لهم وانما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به

هذا بما كنتم تفرحون فى الدنيا من السرور بالمعاصى وكثرة المال والاتباع والصحة * وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وفى الحديث ان الله يبغض البذخين الفرحين ويحب كل قلب حزين وتفرحون وتمرحون من باب تجنيس التحريف المذكور فى علم البديع وهو أن يكون الحرف فرقا بين الكلمتين * ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها الظاهر انه قيل لهم ادخلوا بعد المحاورة السابقة وهم قد كانوا فى النار ولكن هذا أمر بقيد بالخلود وهو الثواء الذى لا ينقطع فليس أمرا بمطلق الدخول أو بعد الدخول فيها أمروا أن يدخلوا سبعة أبواب التى لكل باب منها جزء مقسوم من الكفار فكان ذلك أمرا بالدخول يفيد التجزئة لكل باب * وقال ابن عطية وقوله تعالى ادخلوا معناه يقال لهم قبل هذه المحاورة فى أول الأمر ادخلوا لان هذه المخاطبة انما هى بعد دخولهم وفى الوقت الذى فيه الأغلال فى أعناقهم وأبواب جهنم هى السبعة المؤدية الى طبقاتها وأدراكها السبعة انتهى وخالدين حال مقدرة ودلت على الثواء الدائم فجاء التركيب فبئس مثوى المتكبرين فبئس مدخل المتكبرين لان نفس الدخول لا يدوم فلم يبالغ فى ذمه بخلاف الثواء الدائم ﴿ فاصبر إن وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون * الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم

الرسل وكانوا يدفعون ماجاءت به الرسل بنحو قولهم ولئن رددت الى ربى أو اعتقدوا أن عندهم علما يستغنون به عن علم الانبياء عليهم السلام كما تزعم الفلاسفة والدهريون كانوا اذا سمعوا بوحى الله تعالى دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم ولما سمع سقراط لعنه الله بموسى عليه السلام قيل له لوهاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلاحاجة بنا الى من يهذبنا وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسقة عائدة على مدلول واحد ﴿بأسنا﴾ أى عذابنا الشديد حكى حال من آمن بعد تلبس العذاب به وان ذلك لم يكن نافعا وفى ذلك حض على المبادرة الى الايمان وتخويف من التأنى وايمانهم رفع بيك اسمالها أو فاعل ينفعهم وفى يك ضمير الشأن على الخلاف الذى فى كان يقوم زيد ودخل (٤٧٧) حرف النفى على الكون لا على النفع لانه يؤدى الى نفى الصحة أى لم يصح ولم يستقم كقوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد وترادف هذه الفاآت أما فى فما أغنى عنهم فلانه كان نتيجة قوله كانوا أكثر منهم ولما جاءتهم رسلهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى وفلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا به فلما رأوا بأسنا آمنوا وفلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأسنا وانتصب سنة على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة أى ان مافعل بهم هى سنة الله التى قدمضت وسبقت فى عباده من ارسال الرسل والاعذار بهم وتعذيب من كذبهم واستئصالهم بالهلاك وعدم الانتفاع بالايمان حالة تلبس العذاب

من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون ﴾ أمر تعالى نبيه بالصبر تأنيسا له وإلا فهو عليه السلام فى غاية الصبر وأخبر بان ماوعده من النصر والظفر واعلاء كلمته واظهار دينه حق * قيل وجواب فاما نرينك محذوف لدلالة المعنى عليه أى فيقر عينك ولا يصح أن يكون فالينا يرجعون جوابا للمعطوف عليه والمعطوف لان تركيب فاما نرينك بعض الموعود فى حياتك فالينا يرجعون ليس بظاهر وهو يصح أن يكون جواب أو نتوفينك أى فالينا يرجعون فننتقم منهم ونعذبهم لكونهم لم يتبعوك ونظير هذه الآية قوله فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون الا أنه هنا صرح بجواب الشرطين * وقال الزمخشرى فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام * وقد تقدم للزمخشرى نحو هذا البحث فى سورة يونس فى قوله وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ورددنا عليه فيطالع هنالك * وقال الزمخشرى أيضا فاما نرينك أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمنى أكرمك ولكن اما تكرمنى أكرمك انتهى وما ذهب اليه من تلازم ما المزيدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية هو مذهب المبرد والزجاج وذهب سيبويه الى أنك ان شئت أتيت بما دون النون وان شئت أتيت بالنون دون ما قال سيبويه فى هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما نك اذا جئت لم تجئ بما يعنى لم تقحم النون مع مجيئك بما ولم تجئ بما مع مجيئك بالنون * وقرأ الجمهور يرجعون بياء الغيبة مبنيا للمفعول وأبو عبد الرحمن ويعقوب بفتح الياء وطلحة بن مطرف ويعقوب فى رواية الوليد بن حسان بفتح تاء الخطاب ثم رد تعالى على العرب فى انكارهم بعثة الرسل وفى عدد الرسل اختلاف روى انه ثمانية آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم * وروى بعث الله أربعة آلاف نبى منهم من قصصنا عليك أى من أخبرناك به أما فى القرآن فثمانية عشر * ومنهم من لم نقصص عليك * وعن على وابن عباس ان

(الدر) (ش) فالينا يرجعون متعلق بقوله نتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذى نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذلك أو أن نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام انتهى (ح) قد تقدم للزمخشرى نحو هذا البحث فى سورة يونس فى قوله واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم ورددنا عليه فيطالع هنالك (ش) فاما نرينك أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا ترى لا تقول ان تكرمنى أكرمك ولكن اما تكرمنى أكرمك انتهى (ح) ما ذهب اليه من تلازم ما المزيدة ونون التوكيد بعد ان الشرطية هو مذهب المبرد والزجاج وذهب سيبويه الى انك ان شئت أتيت بما دون النون وان شئت أتيت بالنون دون ما قال سيبويه فى هذه المسئلة وان شئت لم تقحم النون كما انك ان شئت لم تجئ بما يعنى ولم تقحم النون مع مجيئك بما ولم تجئ بما مع مجيئك بالنون

الله بعث نبيا أسود فى الحبش فهو ممن لم يقصص عليه * وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا باذن الله أى ليس ذلك راجعا اليهم لما اقترحوا على الرسل قال ليس ذلك الى لا تأتى آية الا ان شاء الله فاذا جاء أمر الله رد ووعيد بإثر اقتراحهم الآيات وأمر الله القيامة والمبطلون المعاندون مقترحون الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا أو فاذا جاء أمر الله أى أراد ارسال رسول وبعثة نبى قضى ذلك وأنفذه بالحق وخسر كل مبطل وحصل على فساد آخرته أو فاذا جاء أمر الله وهو القتل ببدر ثم ذكر تعالى آيات اعتبار وتعداد نعم فقال الله الذى جعل لكم الأنعام وهى ثمانية الأزواج ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم وقول من خصها بالابل وهو الزجاج * لتركبوا منها وهى الابل اذ لم يعهد ركوب غيرها * ومنها تأكلون عام فى ثمانية الأزواج ومن الأولى للتبعيض * وقال ابن عطية ومن الثانية لبيان الجنس لان الجمل منها يؤكل انتهى ولا يظهر كونها لبيان الجنس ويجوز أن تكون فيه للتبعيض ولابتداء الغاية ولما كان الركوب منها هو أعظم منفعة اذ فيه منفعة الأكل والركوب * وذكر أيضا أن فى الجميع منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك أكد منفعة الركوب بقوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم من بلوغ الأسفار الطويلة وحمل الأثقال الى البلاد الشاسعة وقضاء فريضة الحج والغزو وما أشبه ذلك من المنافع الدينية والدنيوية ولما كان الركوب وبلوغ الحاجة المترتبة عليه قد يتوصل به الى الانتقال لأمر واجب أو مندوب كالحج وطلب العلم دخل حرف التعليل على الركوب وعلى المترتب عليه من بلوغ الحاجات فجعل ذلك علة لجعل الأنعام لنا ولما كان الأكل واصابة المنافع من جنس المباحات لم يجعل ذلك علة فى الجعل بل ذكر ان منها نأكل ولنا فيها منافع من شرب لبن واتخاذ دثار وغير ذلك كما أدخل لام التعليل فى لتركبوها ولم يدخلها على الزينة فى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ولما ذكر تعالى ما امتن به من منة الركوب للابل فى البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب فى البحر فقال وعليها وعلى الفلك تحملون ولما كان الفلك يصح أن يقال فيه حمل فى الفلك كقوله فاحمل فيها ويصح أن يقال فيه حمل على الفلك اعتبر لفظ على لمناسبة قوله وعليها وان كان معنى فى صحيحا ويريكم آياته أى حججه وأدلته على وحدانيته * فأى آيات الله تنكرون أى انها كثيرة فأيها ينكر أى لا يمكن انكار شئ منها فى العقول فأى آيات الله منصوب بتنكرون * قال الزمخشرى فأى آيات جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه انتهى ومن قلة تأنيث أى قوله

بأى كتاب أم بأية سنة * ترى حبهم عارا على وتحسب

وقوله وهى فى أى أغرب ان عنى أيا على الاطلاق فليس بصحيح لان المستفيض فى النداء أن يؤنث نداء المؤنث لقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ولا يعلم من يذكرها فيه فيقول يا أيها المرأة الا صاحب كتاب البديع فى النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح فقل تأنيثها فى الاستفهام وموصولة و ما فى قوله فما أغنى نافية أو استفهامية فى معنى النفى وما فيما كانوا مصدرية أو بمعنى الذى وهى فى موضع رفع والضمير فى جاءتهم عائد على الذين من قبلهم وجاء قوله من العلم على جهة التهكم بهم أى فى الحقيقة لا علم لهم وانما لهم خيالات واستبعادات لما جاءت به الرسل وكانوا يدفعون ما جاءت به الرسل بنحو قولهم ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا أو اعتقدوا ان عندهم

بهم حالة ظرف مكان مستعار للزمان أى وخسر فى ذلك الوقت الكافرون

(الدر)

(ش) فأى آيات الله جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث فى الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهى فى أى أغرب لابهامه انتهى (ح) من قلة تأنيث أى قوله

بأى كتاب أم بأية سنة * ترى حبهم عارا على وتحسب

وقوله وهى فى أى أغرب ان عنى أيا على الاطلاق فليس بصحيح لأن المستفيض فى النداء ان يؤنث فى نداء المؤنث كقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ولا نعلم من يذكرها فيه فيقول يا أيها المرأة الا صاحب كتاب البديع فى النحو وان عنى غير المناداة فكلامه صحيح فقل تأنيثها فى الاستفهام وموصولة وشرطية

علما يستغنون به عن علم الانبياء كما زعم الفلاسفة والدهريون كانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء الى علمهم ولما سمع سقراط لعنه الله بموسى صلوات الله على نبينا وعليه قيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا وعلى هذين القولين تكون الضمائر متناسقة عائدة على مدلول واحد وقيل الضمير في فرحوا وفي بما عندهم عائد على الرسل أي فرحت الرسل بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه لما رأوا جهل من أرسلوا اليهم واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وقيل الضمير في فرحوا عائد على الأمم وفي بما عندهم عائد على الرسل أي فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء * وقال الزمخشري ومنها أي من الوجوه التي في الآية في قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والسرور في تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم انتهى ولا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو قولهم شر أهر ذا ناب على خلاف فيه ولما آل أمره الى الاثبات المحصور جاز وأما في الآية فينبغي أن لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليط المعاني الجمل المتباينة فلا يوثق بشيء منها * وقال الزمخشري ويجوز أن يراد فرحوا بما عندهم من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءتهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاد والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به انتهى وهو توجيه حسن لكن فيه اكثار وشقشقة بأسنا أي عذابنا الشديد حكى حال من آمن بعد تلبس العذاب به وان ذلك لم يك نافعا وفي ذلك حض على المبادرة الى الايمان وتخويف من التأني فأما قوم يونس فانهم رأوا العذاب لم يلتبس بهم وتقدمت قصتهم وايمانهم مرفوع بيك اسمها أو فاعل ينفعهم وفي يك ضمير الشأن على الخلاف الذي في كان يقوم زيد ودخل حرف النفي على الكون لا على النفي لانه يؤدي الى نفي الصحة أي لم يصح ولم يستقم لقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد وترادف هذه الفاآت أما في فما أغنى فلانه كان نتيجة قوله كانوا أكثر منهم ولما جاءتهم رسلهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى عنهم وفلما رأوا بأسنا تبع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا به فلما رأوا بأسنا آمنوا ولم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله وانتصب سنة على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة السابقة أي ان ما فعل بهم هي سنة الله التي قد مضت وسبقت في عباده من ارسال الرسل والاعزاز بهم وتعذيب من كذبهم واستهانتهم واستئصالهم بالهلاك وعدم الانتفاع بالايمان حالة تلبس العذاب بهم وهنالك ظرف مكان استعير للزمان أي وخسر في ذلك الوقت الكافرون وقيل سنة منصوب على التحذير أي احذروا سنة الله يا أهل مكة في اعداد الرسل

﴿ سورة فصلت أربع وخمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا

(الدر)

(ش) ومنها أي من الوجوه التي في الآية في قوله فرحوا بما عندهم من العلم ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلم انتهى (ع) لا يعبر بالجملة الظاهر كونها مثبتة عن الجملة المنفية الا في قليل من الكلام نحو قولهم شر أهر ذا ناب على خلاف فيه ولما آل أمره الى الاثبات المحصور جاز وأما في الآية فينبغي ان لا يحمل على القليل لان في ذلك تخليط المعاني الجمل المتباينة ولا يوثق بشيء منها

إليه واستغفروه وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون * إن الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في
أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها
قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء
الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم * فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة
فانا بما أرسلتم به كافرون * فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم
يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في
أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون * وأما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون *
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون * ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا
ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن
يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم
ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين * وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد
خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين * وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن
والغوا فيه لعلكم تغلبون * فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون
ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا
ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين * إن الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون *
نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من
غفور رحيم * ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين * ولا تستوي
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها
إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو
السميع العليم * ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا
لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون * فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار
وهم لا يسأمون * ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي
أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير * إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار
خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير * إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد * ما يقال لك
إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته ءأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر

﴿سورة فصلت﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لآخر ما قبلها انه قال أفلم يسيروا الخ فتضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش فاتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر فذكر انه نزّل كتابا مفصلا آياته بشيرا لمن اتبعه نذيرا لمن أعرض عنه وان أكثر قريش أعرضوا عنه ثم ذكر قدرة الاله تعالى على ايجاد العالم العلوي والسفلي ثم قال فان أعرضوا وهذا كله مناسب لآخر سورة المؤمن تنزيل مبتدأ خبره كتاب فصلت أي بينت وفسرت معانيه فصل بين حرامه وحلاله وزجره وأمره ونهيه ووعده ووعيده وانتصب بشيرا ونذيرا على النعت لقرآنا عربيا ﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي أكثر أولئك القوم أي كانوا من أهل العلم ولكن لم ينظروا النظر التام بل أعرضوا ﴿فهم لا يسمعون﴾ لاعراضهم عما احتوى عليه من الحجج والبراهين روى أن عتبة بن ربيعة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه وليقبح عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جاء به فلما تكلم عتبة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم ومرّ من صدرها حتى انتهى الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة فأرعد الشيخ ووقف شعره وأمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم أن يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيأ ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت أن صاعقة العذاب على رأسي

وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد * ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب * من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد * إليه يردّ علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد * وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص * لا يسأم الانسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤس قنوط * ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ * وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض * قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد * سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد * ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط ﴾

* الصرصر الريح الباردة المحرقة كما تحرق النار قاله الفراء والزجاج ويأتي أقوال المفسرين فيه النحس المشؤم نقيض السعد قال الشاعر

سواء عليه أيّ حين أتيته * أساعة نحس تتقي أم بأسعد

﴿وأنشد الفراء﴾

أبلغ جذاما ولخما أن اخوتهم * طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

التقييض تهيئة الشيء وتيسيره وهذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين في الثمن وقايضني بهذا الثوب أي خذه وأعطني به بدله والمقايضة المعاوضة * الاكمام واحدها كم * قال الزمخشري بكسر الكاف وقال ابن هو ما يغطي الثمرة جف الطلعة ومن قال في الجمع أكمة فالواحد كمام * الآفاق النواحي واحدها أفق قال الشاعر

لو نال حي من الدنيا بمنزلة * أفق السماء لنالت كفه الأفقا

﴿حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن

﴿وفي آذاننا وقر﴾ تقدم الكلام عليه قال الزمخشري * فان قلت هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد * قلت هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل على ذلك قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني انتهى نقول ان في أبلغ في هذا الموضع من على لأنهم قصدوا افراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف فلا يمكن أن يصل اليها شيء كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعاء وأما في قوله انا جعلنا فهو من اخبار الله تعالى لا يحتاج الى مبالغة بخلاف قولهم وقول الزمخشري وترى المطابيع منهم يعني من

العرب وشعرائهم ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه قالوا وأحسنه ما جاء من غير تكلف والحجاب الستر المانع من الاجابة وهو خلاف في الدين لأنه يعبد الله وهم يعبدون الأصنام وروى ان أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه * فاعمل قال مقاتل اعمل لالهك الذى أرسلك فاننا عاملون لآلهتنا التى نعبدها وضمن استقيموا معنى التوجه فلذلك تعدى بالى أى وجهوا استقامتكم اليه ولما كان العقل ناطقا بأن السعادة مربوطة بأمرين التعظيم لله تعالى والشفقة على خلقه ذكر ان الويل والثبور والخزى للمشركين الذين لم يعظموا الله بتوحيده ونفى الشريك عنه ولم يشفقوا على خلقه بايصال الخير اليهم وأضافوا الى ذلك انكار البعث * ان الذين آمنوا قال السدى نزلت فى المرضى والزمنى اذا عجزوا عن اكمال الطاعات كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون والممنون المنقوص قاله ابن عباس * قل أئنكم تقدم الكلام عليه * ومعنى فى يومين أى فى مقدار يومين (٤٨٢) * وبارك فيها أكثر من خيرها * وقدر فيها أقواتها أى أرزاق ساكنيها ومعائشهم * فى أربعة أيام أى فى تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين وقرئ سواء بالجر صفة لأربعة وبالنصب على الحال وبالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره هى سواء * ثم استوى الى السماء أى قصد اليها والظاهر ان المادة التى خلقت منها السماء كانت دخانا وفى أول الكتاب الذى تزعم اليهود انه التوراة ان عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق السموات والارض فاحدث الله تعالى فى ذلك سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله تعالى منه

بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين * فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم * هذه السورة مكية بلا خلاف ومناسبتها لما قبلها انه قال فى آخر ما قبلها أفلم يسيروا فى الأرض الى آخرها فضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش فاتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر فذكر أنه نزل كتابا مفصلا آياته بشيرا لمن اتبعه ونذيرا لمن أعرض عنه وان أكثر قريش أعرضوا عنه ثم ذكر قدرة الاله على ايجاد العالم العلوى والسفلى ثم قال فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة فكان هذا كله مناسبا لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبى الرسل حين التبس بهم العذاب وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبى واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استئصالهم * روى أن عتبة بن ربيعة ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعظم عليه أمر مخالفته لقومه وليقبح عليه فيما بينه وبينه وليبعد ما جاء به فلما تكلم عتبة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حم ومر فى صدرها حتى انتهى الى قوله فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأرعد الشيخ ووقف شعره فأمسك على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وناشده بالرحم أن يمسك وقال حين فارقه والله لقد سمعت شيأ ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ولقد ظننت

اليبوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعلا وخلق الله منه السموات وفيه أيضا انه خلق السموات من أجزاء مظلمة انتهى * (فقال لها وللارض) * هذا القول مجاز وهو كناية عن انفعال هذه الاجرام العظيمة لما يريد الله تعالى منها ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد سل من يدقنى قال ابن عطية وقوله قالتا أراد الفرقتين جعل السموات سماء والارضين أرضا وهذا نحو قول الشاعر ألم يحزنك ان حبال قومى * وقومك قد تباينتا انقطاعا جعلها فرقتين وعبر عنها بتباينتا انتهى وهذا ليس كما ذكر لأنه انما تقدم ذكر الارض مفردة والسماء مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت هو من وضع الجمع موضع التثنية كأنه قال ألم يحزنك ان حبلى قومى وقومك ولذلك ثنى فى قوله قد تباينتا وأنث على معنى الحبل لأنه لا يريد الحبل حقيقة انما عنى به الذمة والمودة التى كانت بين قوميهما * (فقضاهن سبع سموات) * أى صنعهن وأوجدهن قال الشاعر وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع وعلى هذا انتصب سبع على الحال * وحفظا أى حفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب * ذلك اشارة الى جميع ما ذكر أى أوجده بقدرته وعزه وعلمه

أن صاعقة العذاب على رأسي * تنزيل رفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هذا تنزيل عند الفراء أو مبتدأ خبره كتاب فصلت عند الزجاج والحوفي وخبر حم اذا كانت اسما للسورة وكتاب على قول الزجاج بدل من تنزيل قيل أو خبر بعد خبر * فصلت آياته قال السدي بينت آياته أي فسرت معانيه ففصل بين حرامه وحلاله وزجره وأمره ووعده ووعيده وقيل فصلت في التنزيل أي لم تنزل جملة واحدة * قال الحسن بالوعد والوعيد * وقال سفيان بالثواب والعقاب * وقال ابن زيد بين محمد صلى الله عليه وسلم ومن خالفه وقيل فصلت بالمواقف وأنواع أواخر الآي ولم يكن يرجع الى قافية ولا نحوها كالشعر والسجع * وقال أبو عبد الله الرازي ميزت آياته وجعل تفاصيل معان مختلفة فبعضها في وصف ذات الله تعالى وشرح صفات التنزيه والتقديس وشرح كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وعجائب أحوال خلقه السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار وعجائب أحوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في أحوال التكاليف المتوجهة نحو القلب ونحو الجوارح وبعضها في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ودرجات أهل الجنة ودركات أهل النار وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الأولين وتواريخ الماضين وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم والمباحث المتباينة مثل ما في القرآن انتهى * وقرئ فصلت بفتح الفاء والصاد مخففة أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قوله فصلت العير أي انفصلت وفصل من البلد أي انفصل منه وانتصب قرآنا على أنه حال بنفسه وهي مؤكدة لأنها لا تنتقل أو توطئة للحال بعده وهي عربيا أو على المصدر أي يقرؤه قرآنا عربيا أو على الاختصاص والمدح ومن جعله حالا فقيل ذو الحال آياته وقيل كتاب لأنه وصف بقوله فصلت آياته أو على اضمار فعل تقديره فصلناه قرآنا أو مفعول ثان لفصلت أقوال ستة آخرها للاخفش ولقوم متعلق بفصلت أي يعلمون الأشياء ويعقلون الدلائل فكأنه فصل لهؤلاء اذ هم ينتفعون به فخصوا بالذكر تشريفا ومن لم ينتفع بالتفصيل فكأنه لم يفصل له ويبعد أن يتعلق بتنزيل لكونه وصف في أحد متعلقيه ان كان من الرحمن في موضع الصفة أو بدل منه كتاب أو كان خبر التنزيل فيكون في ذلك البدل من الموصول والاخبار عنه قبل أخذه متعلقه وهو لا يجوز وقيل لقوم في موضع الصفة لقوله عربيا أي كائنا لقوم يعلمون ألفاظه ويتحققون أنه لم يخرج عن نمط كلامهم وكأنه رد على من زعم أن في القرآن ما ليس من كلام العرب وانتصب بشيرا ونذيرا على النعت لقرآنا عربيا وقيل حال من آياته وقرأ زيد بن علي بشير ونذير برفعهما على الصفة لكتاب أو على خبر مبتدأ محذوف وبشارته بالجنة لمن آمن ونذارته بالنار لمن كفر * فأعرض أكثرهم أي أكثر أولئك القوم أي كانوا من أهل العلم ولكن لم ينظروا النظر التام بل أعرضوا فهم لا يسمعون لاعراضهم عن ما احتوى عليه من الحجج والبراهين أو لما لم ينتفع به ولم يقبله جعل كأنه لم يسمعه ثم أخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على امتناع قلوبهم والناس من رجوعهم اليه ومن سماعهم لما يتلوه وهو قوله تعالى حكاية عنهم * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر تقدم الكلام على شبه ذلك في الانعام * وقرأ طلحة وقر بكسر الواو وهذه تمثيلات لامتناع قبول الحق كأن قلوبهم في غلاف كما قالوا وقالوا قلوبنا غلف وكأن أسماعهم عند ذكر كلام الله بها صمم والحجاب الستر المانع من الاجابة وهو خلاف في الدين لانه يعبد الله وهم يعبدون الأصنام قال معناه الفراء وغيره وروي أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء

منه وقيل تمثيل بعدم الاجابة وقيل عبارة عن العداوة ومن في مما تدعونا اليه لابتداء الغاية وكذا في ومن بيننا فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها ولو لم يأت بمن لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين والمقصود المبالغة بالتباين المفرط فلذلك جيء بمن * وقال الزمخشري (فان قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة والدليل عليه قوله تعالى إنا جعلنا على قلوبهم ولو قيل إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني وتقول ان في أبلغ في هذا الموضع من على لأنهم قصدوا افراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف فلا يمكن أن يصل اليها شيء كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعاء وأما في قوله إنا جعلنا فهو من اخبار الله تعالى لا يحتاج الى مبالغة بخلاف قولهم وقول الزمخشري وترى المطابيع يعني من العرب وشعرائهم ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه قالوا وأحسنه ما جاء من غير تكلف * فاعمل اننا عاملون قال الكلبي في هلاكنا إنا عاملون في هلاكك * وقال مقاتل اعمل لالهك الذي أرسلك فانا عاملون لآلهتنا التي نعبدها * وقال الفراء اعمل على مقتضى دينك ونحن نعمل على مقتضى ديننا وذكر الماوردي اعمل لآخرتك فانا نعمل لدنيانا ولما كان القلب محل المعرفة والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ذكروا أن هذه الثلاثة محجوبة عن أن يصل اليها مما يلقيه الرسول شيء واحتمل قولهم فاعمل اننا عاملون أي تكون متاركة محضة وأن يكون استخفافا * قل إنما يوحى الي * وقرأ الجمهور قل على الامر وابن وثاب والأعمش قال فعلا ماضيا وهذا اصدع بالتوحيد والرسالة * وقرأ النخعي والأعمش يوحى بكسر الحاء والجمهور بفتحها وأخبر أنه بشر مثلهم لا ملك لكنه أوحي اليه دونهم * وقال الحسن علمه تعالى التواضع وأنه ما أوحي اليه توحيد الله ورفض آلهتكم * فاستقيموا اليه أي بالتوحيد الذي هو رأس الدين والعمل واستغفروه وانشؤه المغفرة ادهى رأس العمل الذي بحصوله تزول التبعات وضمن استقيموا معنى التوجه فلذلك تعدى بالى أي وجهوا استقامتكم اليه ولما كان العقل ناطقا بأن السعادة مربوطة بأمرين التعظيم لله والشفقة على خلقه ذكر أن الويل والثبور والحزن للمشركين الذين لم يعظموا الله في توحيده ونفي الشريك ولم يشفقوا على خلقه بايصال الخير اليهم وأضافوا الى ذلك انكار البعث والظاهر أن الزكاة على ظاهرها من زكاة الاموال قاله ابن السائب قال كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون * وقال الحسن وقتادة وقيل كانت قريش تطعم الحاج وتحرم من آمن منهم * وقال الحسن وقتادة أيضا المعنى لا يؤمنون بالزكاة ولا يقرون بها وقال مجاهد والربيع لا يزكون أعمالهم * وقال ابن عباس والجمهور الزكاة هنا لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى عليه السلام لفرعون هل لك الى أن تزكى ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي وزكاة المال انما نزلت بالمدينة قاله ابن عطيه قال وانما هذه زكاة القلب والبدن أي تطهيرهما من الشرك والمعاصي وقاله مجاهد والربيع * وقال الضحاك ومقاتل الزكاة هنا النفقة في الطاعة انتهى واذا كانت الزكاة المراد بها اخراج المال فانما قرن بالكفر لكونها شاقة لاخراج المال الذي هو محبوب الطباع وتشقيق الارواح حثا عليها * قال بعض الادباء

وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد قلت هو على نمط واحد لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني انتهى (ح) تقول ان في أبلغ في هذا الموضع من على لأنهم قصدوا افراط عدم القبول لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف فلا يمكن ان يصل اليها شيء كما تقول المال في الكيس بخلاف قولك على المال كيس فانه لا يدل على الحصر وعدم الحصول دلالة الوعاء وأما في قوله انا جعلنا فهي من اخبار الله تعالى لا يحتاج الى مبالغة بخلاف قولهم وقول (ش) وترى المطابيع منهم يعني من العرب وشعرائهم ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه وأحسنه ما جاء من غير تكلف

وقالوا تشكو الزوج مالك فاحتفظا * به فأجبت المال خير من الزوج
أرى حفظه يقضي بتحسين حالتي * وتضييعه يقضي لتسآل مفوح

إن الذين آمنوا قال السدي نزلت في المرضى والزمنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات كتب لهم من الأجر كأصح ما كانوا يعملون والممنون المنقوص قاله ابن عباس رضي الله عنه * قال ذو الأصبع العدواني

إني لعمرك لا ما بابي بذي غلق * على الصديق ولا خيري بممنون

وقال مجاهد غير محسوب * وقيل غير مقطوع * قال الشاعر

فضل الجواد على الخيل البطاء فلا * يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا

وقيل لا يمن به لأن أعطيات الله تشريف والامتنان إنما يدخل أعطيات البشر * وقيل لا يمن به لأنه إنما يمن التفضيل فأما الأجر فحق أداؤه نقله الزمخشري وفيه دسيسة الاعتزال * قل أئنكم لتكفرون استفهام توبيخ وتشنيع عليهم بكفرهم من أوجد العالم سفليه وعلويه ووصف صورة خلق ذلك ومدته والحكمة في الخلق في مدة هو قادر على أن يوجد ذلك دفعة واحدة فذكر تعالى إيجاد ذلك مرتبا وتقديم الكلام في أول ما ابتدئ فيه الخلق وما خلق مرتبا وتعني في يومين في مقدار يومين وتجعلون له أندادا أي أشباها وأمثالا من الملائكة والجن والأصنام يعبدونها دونه * وقال السدي أكفاء من الرجال يطيعونهم وتجعلون معطوف على لتكفرون فهو داخل في حيز الاستفهام المقتضي الإنكار والتوبيخ ذلك أي موجد الأرض ومخترعها رب العالمين من الأنداد التي جعلتم له وغيرهم * وجعل فيها رواسي إخبار مستأنف وليس من الصلة في شيء بل هو معطوف على قوله لتكفرون * وبارك فيها أكثر فيها خيرها * وقدر فيها أقواتها أي أرزاق ساكنيها ومعايشهم وأضافهما إلى الأرض من حيث هي فيها وعنها برزت قاله السدي وقال قتادة أقواتها من الجبال والأنهار والأشجار والصخور والمعادن والأشياء التي بها قوام الأرض ومصالحها * وقال مجاهد أقواتها من المطر والمياه * وقال عكرمة والضحاك ومجاهد أيضا خصائصها التي قسمها في البلاد مما خص به كل إقليم فيحتاج بعضها إلى بعض في التقوت من الملابس والمطاعم والنبات * في أربعة أيام أي في تمام أربعة أيام باليومين المتقدمين * وقال الزمخشري في أربعة أيام فذلكة لمدة خلق الله وما فيها كأنه قال كل ذلك في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان * وقال الزجاج في تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين انتهى وهذا كما تقول بنيت جدار بيتي في يوم وأكملت جميعه في يومين أي بالأول * وقال أبو عبد الله الرازي وتبقعه من كلام الزمخشري في أربعة أيام فائدة زائدة على قوله في يومين لأن قوله في يومين لا يقتضي الاستغراق لذلك العمل أما لما ذكر خلق الأرض وخلق هذه الأشياء ثم قال في أربعة أيام سواء دل على أن هذه الأيام مستغرقة في تلك الأعمال من غير زيادة ونقصان انتهى ولا فرق بين يومين وأربعة أيام بالنسبة إلى الاستغراق فإن كانت أربعة تقتضي الاستغراق وكذلك اليومين يقتضيانه ومتى كان الظرف معدودا كان العمل في جميعه إما على سبيل التعميم نحو سرت يومين وقد يكون في بعض كل يوم منها نحو تهجدت ليلتين فاحتمل الاستغراق واحتمل في بعض كل واحد من الليلتين وإذا كان كذلك احتمل أن يكون وقع الخلق للأرض في بعض كل واحد من اليومين واحتمل أن يكون اليومين مستغرقين لخلقها فكذلك في أربعة أيام يحتمل الاستغراق وأن يكون خلق الأرض والجبال والبركة وتقدير الأقوات وقع في بعض كل يوم من

الاربعة فقاله أبو عبد الله الرازي لم تظهر به فائدة زائدة * وقرأ الجمهور سواء بالنصب على الحال وأبو جعفر بالرفع أي هو سواء وزيد بن علي والحسن وابن أبي اسحق وعمرو بن عبيد وعيسى ويعقوب بالخفض نعتا لاربعة أيام * قال قتادة والسدي معناه سواء لمن سأل عن الامر واستفهم عن حقيقة ووقوعه وأراد العبرة منه فانه يجده كما قال تعالى * وقال ابن زيد وجماعة معناه مستو مهيأ أمر هذه المخلوقات ونفعها للمحتاجين اليها من البشر فعبر بالسائلين عن الطالبين لانهم من شأنهم ولا بد طلب ما ينتفعون به إذهم بحال حاجة * وقال الزمخشري (فان قلت) بم تعلق قوله للسائلين (قلت) بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر لأجل من سأل في كم خلقت الارض وما فيها أو يقدر أو قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين لها المحتاجين المقتاتين انتهى وهو راجع لقول المفسرين المتقدمين ولما شرح تخليق الارض وما فيها أتبعه بتخليق السماء فقال ثم استوى الى السماء أي قصد اليها وتوجه دون ارادة تأثير في غيرها والمعنى الى خلق السماء والظاهر أن المادة التي خلقت منها السماء كانت دخانا وفي أول الكتاب الذي يزعم اليهود انه التوراة ان عرشه تعالى كان على الماء قبل خلق السموات والارض فأحدث الله في ذلك سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق الله منه اليبوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعاد فخلق الله منه السموات وفيه أيضا انه خلق السماء من أجزاء مظلمة انتهى * وروى انها كانت جسما رخوا كالدخان أو البخار * قال ابن عطية هنا لفظ متروك يدل عليه الظاهر وتقديره فأوجدها وأتقنها وأكمل أمورها وحينئذ قال لها وللأرض ائتيا انتهى فجعل ابن عطية هذه المحاورة بين الباري تعالى والارض والسماء بعد خلق الارض والسماء ورجح قول من ذهب الى انهما نطقتا نطقا حقيقيا وجعل الله لهما حياة وادراكا يقتضي نطقهما بعد أن ذكر أن المفسرين منهم من ذهب الى أن ذلك مجاز وانه ظهر منهما عن اختيار الطاعة والتذلل والخضوع ما هو بمنزلة القول قال والقول الاول أحسن لانه لا شئ يدفعه وأن العبرة فيه أتم والقدرة فيه أظهر انتهى * وقال الزمخشري ويعني أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وجاءتا في ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتما فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل * قال الجدار للوتد لم تشقني قال الوتد سل من يدقني فلم يتركني وراءي الحجر الذي ورائي (فان قلت) لم ذكر السماء مع الارض وانتظمهما في الأمر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائت يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لأهلك وائت يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقول أتى عمله مرضيا مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة صاحبتها الاتيان الذي أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للأرض ويصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة أي لتوات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمري ومشيئتي ولا تمتنعا (فان قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن يحت بلوه لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها

وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فان قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعتان على المعنى لانهما سموات وأرضون (قلت) لما جعلت مخاطبات ومجيبات ووصفت بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات نحو قوله ساجدين انتهى * وقرأ الجمهور ائتيا من الاتيان أي ائتيا أمري وارادتي * وقرأ ابن عباس وابن جبير ومجاهد آتيا على وزن فعلا قالتا أتينا على وزن فعلنا من آتي يؤتي كذا قال ابن عطية قال وذلك بمعنى أعطيا من أنفسكما من الطاعة ما أردته منكما والاشارة بهذا كله الى تسخيرها وماقدره الله من أعمالها انتهى وتقدم في كلام الزمخشري أنه جعل هذه القراءة من المواتاة وهي الموافقة فيكون وزن آتيا فاعلا وآتينا فاعلنا وتقدمه الى ذلك أبو الفضل الرازي قال آتينا بالمد على فاعلنا من المواتاة ومعناه سارعنا على حذف المفعول منه ولا يجوز أن يكون من الايتاء الذي هو الاعطاء لبعد حذف مفعوله انتهى * وقرأ الاعمش أو كرها بضم الكاف والاصح أنه لغة في الاكراه على الشيء الموقوع التخيير بينه وبين الطواعية والاكثر أن الكره بالضم معناه المشقة * قال ابن عطية وقوله قالتا أراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والارضين أرضا وهذا نحو قول الشاعر

ألم يحزنك أن حبال قومي * وقومك قد تباينتا انقطاعا

وعبر عنها بتباينتا انتهى هذا وليس كما ذكر لانه انما تقدم ذكر الأرض مفردة والسماء مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت هو من وضع الجمع موضع التثنية كأنه قال ألم يحزنك أن حبلي قومي وقومك ولذلك ثنى في قوله تباينتا وأنث على معنى الحبل لانه لا يريد به الحبل حقيقة انما عنى به الذمة والمودة التي كانت بين قومهما والظاهر من هذه الآية أنه خلق الأرض وجعل فيها الرواسي وبارك فيها ثم أوجد السماء من الدخان فسواها سبع سموات فيكون خلق الارض متقدما على خلق السماء ودحو الارض غير خلقها وقد تأخر عن خلق السماء وقد أورد على هذا ان جعل الرواسي فيها والبركة وتقدير الاقوات لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد أن صارت الأرض موجودة وقوله وبارك فيها وقدر فيها أقواتها مفسر بخلق الاشجار والنبات والحيوان فيها ولا يمكن ذلك الا بعد صيرورتها منبسطة ثم قال بعد ثم استوى الى السماء فاقتضى خلق السماء بعد خلق الأرض ودحوها * وأورد أيضا أن قوله تعالى للسماء وللارض ائتيا طوعا أو كرها كناية عن ايجادهما فلو سبق ايجاد الأرض على ايجاد السماء لاقتضى ايجاد الموجود بأمره للارض بالايجاد وهو محال وقد انتهى هذا الايراد ونقل الواحدي في البسيط عن مقاتل أنه قال خلق الله السماء قبل الأرض وتأول قوله ثم استوى الى السماء وهي دخان قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان كما قال تعالى ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل معناه ان يكن سرق انتهى * وقال أبو عبد الله الرازي فقدر ثم كان قد استوى جمع بين ضدين لان ثم تقتضي التأخر وكان تقتضي التقدم فالجمع بينهما يفيد التناقض ونظيره ضربت زيدا اليوم ثم ضربت عمرا أمس فكما أن هذا باطل فكذلك ما ذكر يعني من تأويل ثم كان قد استوى قال والمختار عندي أن يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض وتأويل الآية أن الخلق ليس عبارة عن التكوين والايجاد يدل عليه قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لا يقال للشيء الذي وجد كن بل الخلق عبارة عن التقدير وهو في حقه تعالى حكمه أن سيوجد وقضاؤه بذلك بمعنى خلق الأرض في يومين وقضاؤه بأن سيحدث كذا أي مدة كذا لا يقتضي حدوثه ذلك في الحال فلا يلزم تقديم احداث

(الدر)

(ع) وقوله قالتا أراد الفرقتين المذكورتين جعل السموات سماء والأرضين أرضا وهذا نحو قول الشاعر

ألم يحزنك ان حبال قومي * وقومك قد تباينتا انقطاعا

وعبر عنها بتباينتا انتهى (ح) هذا ليس كما ذكر لأنه انما تقدم ذكر الارض مفردة والسماء مفردة فحسن التعبير عنهما بالتثنية والبيت هو من وضع التثنية كأنه قال ألم يحزنك أن حبلي قومي وقومك فلذلك ثنى في قوله تباينتا وأنث على معنى الحبل لانه لا يريد الحبل حقيقة انما عنى به الذمة والمودة التي كانت بين قوميهما

﴿فان أعرضوا﴾ التفات خرج من ضمير الخطاب في قوله قل أئنكم لتكفرون الى ضمير الغيبة اعراضا عن خطابهم اذ كانوا قد ذكروا بما يقتضي اقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة ﴿فقل أنذرتكم﴾

الأرض على احداث السماء انتهى والذي نقوله ان الكفار وبخوا وقرعوا بكفرهم بمن صدرت عنه هذه الأشياء جميعها من غير ترتيب زماني وان ثم لترتيب الاخبار لا لترتيب الزمان والمهلة كأنه قال فالذي أخبركم أنه خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ثم أخبركم أنه استوى الى السماء فلا تعرض في الآية لترتيب أي ذلك وقع الترتيب الزماني له ولما كان خلق السماء أبدع في القدرة من خلق الارض ألف الاخبار فيه بثم فصار كقوله ثم كان من الذين آمنوا بعد قوله فلا اقتحم العقبة ومن ترتيب الأخبار ثم آتينا موسى الكتاب بعد قوله قل تعالوا أتل ويكون قوله تعالى فقال لها وللارض بعد اخباره بما أخبر به تصويرا لخلقهما على وفق ارادته تعالى كقولك أرأيت الذي أثنيت عليه فقلت انك عالم صالح فهذا تصوير لما أثنيت به وتفسير له وكذلك أخبر أنه خلق كذا وكذا ثم حدد ذلك ايجاد الم يتخلف عن ارادته ويدل على أنه المقصود الاخبار وقوع هذه الاشياء من غير ترتيب زماني قوله في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم [illegible] وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا الآية وظاهر الآية التي نحن فيها [illegible] الاستواء الى السماء وخلقها ولكن المقصود في الآيتين الاخبار [illegible] من ذلك مقصورا على يومين أو أربعة أو [illegible] ذلك [illegible] لأنه كان وقت يحاد ذلك زمانا ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي صنعهن وأوجدهن كقول ابن أبي ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما ۞ داود أو صنع السوابغ تبع

[illegible] سبع على الحال وقال الحوفي مفعول ثان كأنه ضمن فقضاهن معنى صيرهن فعداه [illegible] قال الزمخشري ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات على التمييز [illegible] حيث المعنى يحتمل الحال أو [illegible] قتادة

[illegible] لا [illegible] التي في قومه

[illegible] مستهما [illegible] لبرد ونحوه

[illegible] وقال الزمخشري أمرها ما أمر به فيها ودبره من خلق [illegible] وحفظا أي وحفظناها حفظا من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون [illegible] وحفظ انتهى ولا حاجة الى هذا التقدير الثاني [illegible] كرأي أوجده بقدرته وعزه وعلمه [illegible] جاءتهم الرسل من بين أيديهم [illegible] لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون ﴿ فأما [illegible] ما قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد [illegible] نحسات لنذيقهم عذاب [illegible] ينصرون ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا

[illegible] لامتناع من ارسال البشر [illegible] أي بينا لهم وأرشدناهم ﴿فاستحبوا

أي أعلمتكم ﴿صاعقة﴾ أي حلول صاعقة فالواو ضمير غيبة انتقل منه الى ضمير الخطاب في قوله انا وما في قوله بما موصولة بمعنى الذي والعائد عليه قوله به وبما متعلق بكافرون قال الزمخشري ومفعول شاء محذوف تقديره لو شاء [illegible] الرسل لأنزل الملائكة [illegible] [illegible] في القرآن وكلام العرب من هذا التركيب [illegible] لا يكون [illegible] محذوف لا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شاء لجمعهم على الهدى أي لو شاء جمعهم [illegible]

[illegible]

ابن [illegible]

[illegible]

العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ﴿ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فان أعرضوا التفات خرج من ضمير الخطاب فى قوله قل أئنكم لتكفرون الى ضمير الغيبة اعراضا عن خطابهم إذ كانوا قد ذكروا بما يقتضى اقبالهم وإيمانهم من الحجج الدالة على الوحدانية والقدرة الباهرة فقل أنذرتكم أى أعلمتكم صاعقة أى حلول صاعقة * قال قتادة عذابا مثل عذاب عاد وثمود * وقال الزمخشرى عذابا شديد الوقع كأنه صاعقة * وقرأ الجمهور صاعقة مثل صاعقة وابن الزبير والسلمى والنخعى وابن محيصن بغير ألف فيهما وسكون العين وتقدم تفسيرها فى أوائل البقرة والصعقة المرة يقال صعقته الصاعقة فصعق وهو من باب فعلت بفتح العين فعل بكسرها نحو خدعته فخدع وإذ معمولة لصاعقة لأن معناها العذاب * من بين أيديهم ومن خلفهم قال ابن عباس أى قبلهم وبعدهم أى قبل هود وصالح وبعدهما وقيل من أرسل الى آبائهم ومن أرسل اليهم فيكون من بين أيديهم معناه من قبلهم ومن خلفهم معناه الرسل الذين بحضرتهم فالضمير فى من خلفهم عائد على الرسل قاله الضحاك وتبعه الفراء وسيأتى عن الطبرى نحو من هذا القول * وقال ابن عطية من بين أيديهم أى تقدموا فى الزمن واتصلت نذارتهم الى أعمار عاد وثمود وبهذا الاتصال قامت الحجة ومن خلفهم أى جاءهم رسول بعد تقدم وجودهم فى الزمن وجاء من مجموع العبارة اقامة الحجة عليهم فى ان الرسالة والنذارة عمتهم خبرا ومباشرة انتهى وهو شرح كلام ابن عباس * وقال الزمخشرى من بين أيديهم ومن خلفهم أى أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أى لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب الآخرة لأنهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضى وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم انتهى * وقال الطبرى الضمير فى قوله ومن خلفهم عائد على الرسل وفى من بين أيديهم عائد على الأمم وفيه خروج عن الظاهر فى تفريق الضمائر وتعمية المعنى إذ يصير التقدير جاءتهم الرسل من بين أيديهم وجاءتهم من خلف الرسل أى من خلف أنفسهم وهذا معنى لا يتعقل إلا ان كان الضمير يعود فى خلفهم على الرسل لفظا وهو يعود على رسل أخرى معنى فكأنه قال جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلف رسل آخرين فيكون كقولهم عندى درهم ونصفه أى ونصف درهم آخر وهذا فيه بعد وخص بالذكر من الأمم المهلكة عاد وثمود لعلم قريش بحالهما ولوقوعهم على بلادهم فى اليمن وفى الحجر وقال الأفوه الأودى

أضحوا كقيل بن عتر فى عشيرته * إذ أهلكت بالذى سدى لها عاد
أو بعده كقدار حين تابعه * على الغواية أقوام فقد بادوا

أن لا تعبدوا يصح أن تكون أن تفسيرية لأن مجىء الرسل اليهم يتضمن معنى القول أى جاءتهم مخاطبة وأن تكون مخففة من الثقيلة أى بانه لا تعبدوا والناصبة للمضارع ووصلت بالنهى كما توصل بالأمر نحو أن طهرا وكتبت اليه بأن قم ولا فى هذه الأوجه للنهى وجوز على بعد أن تكون لا نافية وان ناصبة للفعل وقاله الحوفى ولم يذكر غيره ومفعول شاء محذوف وقدره الزمخشرى لو شاء ربنا

وصف العذاب بالمصدر أو أبدل منه ثم ذكر قريشا بنجاة من آمن واتقى قيل وكان من نجا من المؤمنين ممن استجاب لهود وصالح مائة وعشرة أنفس

(الدر)

(ش) ومفعول شاء محذوف تقديره لو شاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة انتهى (ح) تتبعت ماجاء فى القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا الا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أى لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه وكذلك لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعلناه أجاجا ولو شاء ربك لآمن ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وقال الشاعر

فلو شاء ربى كنت قيس ابن خالد *
ولو شاء ربى كنت عمرو ابن مرثد *

﴿ وقال آخر ﴾

والله لو شاء لكنت صخرا
أو جبلا أشم مشمخرا

فعلى هذا الذى تقرر لا يكون تقدير المحذوف ماقاله (ش)

وإنما التقدير لو شاء ربنا ارسال ملائكة بالرسالة منا الى الانس لانزلهم بها اليهم وهذا أبلغ فى الامتناع من ارسال البشر اذ علقوا ذلك بارسال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك فى البشر

إرسال الرسل لأنزل ملائكة انتهى وتتبعت ما جاء فى القرآن وكلام العرب من هذا التركيب فوجدته لا يكون محذوفا الا من جنس الجواب نحو قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أى لو شاء جمعهم على الهدى لجمعهم عليه وكذلك لو نشاء لجعلناه حطاما لو نشاء جعلناه أجاجا ولو شاء ربك لآمن ولو شاء ربك مافعلوه ولو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ قال الشاعر

فلو شاء ربى كنت قيس بن خالد ✽ ولو شاء ربى كنت عمرو بن مرثد

﴿ وقال الراجز ﴾

والله لو شاء لكنت صخرا ✽ أو جبلا أشم مشمخرا

فعلى هذا الذى تقرر لا يكون تقدير المحذوف ما قاله الزمخشرى وانما التقدير لو شاء ربنا انزال ملائكة بالرسالة منه الى الانس لأنزلهم بها اليهم وهذا أبلغ فى الامتناع من إرسال البشر إذ علقوا ذلك بأقوال الملائكة وهو لم يشأ ذلك فكيف يشاء ذلك فى البشر ✽ فانا بما أرسلتم به كافرون خطاب لهود وصالح ومن دعا من الأنبياء الى الايمان وغلب الخطاب على الغيبة نحو قولك أنت وزيد تقومان وما مصدرية أى بارسالكم وبه توكيد لذلك ويجوز أن يكون ما بمعنى الذى والضمير فى به عائد عليه وإذا كفروا بما تضمنه الارسال كان كفرا بالارسال وليس قوله بما أرسلتم إقرارا بالارسال بل هو على سبيل التهكم أى بما أرسلتم على زعمكم كما قال فرعون إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ولما بين تعالى كفر عاد وثمود على الاجمال فصل بعد ذلك فذكر خاصيه كل واحدة من الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا أى تعاظموا عن امتثال أمر الله وعن مجاء تهم به الرسل بغير الحق أى بغير ما يستحقون ولما ذكر لهم هذا الذنب العظيم وهو الاستكبار وكان فعلا قلبيا ذكر ما ظهر عليهم من الفعل اللسانى المعبر عن ما فى القلب ✽ وقالوا من أشد منا قوة أى لا أحد أشد منا وذلك لما أعطاهم الله من عظم الخلق وشدة البطش فرد الله تعالى عليهم بأن الذى أعطاهم ذلك هو أشد منهم قوة ومع [illegible] كانوا [illegible] بعد لم يردع [illegible] مع معرفة [illegible] كان [illegible] الله أقدر منهم يقال الله أقوى [illegible] منها من الخاصة كما يوصف الله تعالى بالعلم ويوصف [illegible] ثم ذكر تعالى ما أصابهم فقال فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى الحديث أنه تعالى أمر خزنة الريح ففتحوا عليهم قدر حلقة الخاتم ولو فتحوا قدر منخر الثور لهلكت الدنيا وروى أنها كانت تحمل العير بأوقادها فترميهم فى البحر ✽ والصرصر قال مجاهد شديدة السموم ✽ وقال ابن عباس والضحاك وقتادة والسدى من الصر أى باردة ✽ وقال السدى أيضا وأبو عبيدة وابن قتيبة والطبرى وجماعة من صرصر إذ صوت ✽ وقال ابن السكيت صرصر يجوز أن يكون من الصرة وهى الصيحة ومنه فأقبلت امرأته فى صرة ✽ وصرصر نهر بالعراق ✽ وقرأ الحرميان وأبو عمرو والنخعى وعيسى والأعرج نحسات بسكون الحاء فاحتمل أن يكون مصدرا وصف به وتارة يضاف اليه واحتمل أن يكون مخففا من فعل ✽ وقال الطبرى نحس ونحس مقت ✽ وقال الزمخشرى مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر انتهى وتتبعت ما ذكره التصريفيون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين قالوا يأتى على فعل كفرح فهو فرح وعلى أفعل حور فهو أحور وعلى فعلان كشبع فهو شبعان وقد يجىء على فاعل سلم فهو سالم وبلى فهو بال ✽ وقرأ قتادة وأبو رجاء والجحدرى

(الدر)

(ش) مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف لمصدر انتهى (ح) تتبعت ما ذكره التصريفيون مما جاء صفة من فعل اللازم فلم يذكروا فيه فعلا بسكون العين قالوا يأتى على فعل كفرح فهو فرح وعلى أفعل حور فهو أحور وعلى فعلان كشبع فهو شبعان وقد يجىء على فاعل سلم فهو سالم وبلى فهو بال

وشيبة وأبو جعفر والأعمش وباقي السبعة بكسر الحاء وهو القياس وفعله نحس على فعل بكسر العين ونحسات صفة لأيام جمع بألف وتاء لانه جمع صفة لما لا يعقل * قال مجاهد وقتادة والسدي مشائيم من النحس المعروف * وقال الضحاك شديدة البرد وحتى كان البرد عذابا لهم * وأنشد الأصمعي في النحس بمعنى البرد

كأن سلافة عرضت بنحس * يحيل شفيقها الماء الزلالا

وقيل سميت بذلك لانهادات غبار * ومنه قول الراجز

قد اغتدى قبل طلوع الشمس * للصيد في يوم قليل النحس

يريد قليل الغبار * وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة متتابعات كانت آخر شوال من أربعاء الى أربعاء * وقال السدي أولها غداة يوم الأحد * وقال الربيع بن أنس يوم الجمعة * وقال يحيى بن سلام يوم الأحد لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وهو الهلاك * وقرئ لتذيقهم بالتاء * وقال الزمخشري على الاداقة للريح أو للأيام النحسات وأضاف العذاب الى الخزي اضافة الموصوف الى صفته لم يأت بلفظة أخرى التي تقتضي المشاركة والتفضيل خبرا عن قوله ولعذاب الآخرة وهو اسناد مجازي أو وصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى تفاوت ما بين قولك هو شاعر وقوله له شعر شاعر وقابل استكبارهم بعذاب الخزي وهو الذل والهوان وبدأ بقصة عاد لانها أقدم زمانا ثم ذكر ثمود فقال وأما ثمود * وقرأ الجمهور بالرفع ممنوع من الصرف وابن وثاب والأعمش وبكر بن حبيب مصروفا وهي قراءة ابن وثاب والأعمش في ثمود بالتنوين في جميع القرآن إلا قوله وآتينا ثمود الناقة لانه في المصحف بغير ألف * وقرئ ثمود بالنصب ممنوعا من الصرف والحسن وابن أبي اسحق والأعمش ثمودا ممنونة منصوبة * وروى المفضل عن عاصم الوجهين انتهى فهديناهم * قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد بينا لهم * قال ابن عطية وليس الهدى هنا بمعنى الارشاد * وقال الفراء وتبعه الزمخشري فهديناهم فدللناهم على طريق الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين * فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد (فان قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع وكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة (قلت) للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذر ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها انتهى وهو على طريقة الاعتزال * وقال سفيان دعوناهم * وقال ابن زيد أعلمناهم الهدى من الضلال * وقال ابن عطية فاستحبوا عبارة عن تكسبهم في العمى وإلا فهو بالاختراع لله وبذلك على انها اشارة الى تكسبهم قرينه بما كانوا يكسبون انتهى والهون الهوان وصف العذاب بالمصدر [illegible] وقرأ ابن مقسم عذاب الهوان بفتح الهاء وألف بعد الواو * وقال الزمخشري ولو لم يكن [illegible] القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه لكفى [illegible] على عدته في [illegible] ثم ذكر قريشا بعاد من آمن [illegible] هود وصالح [illegible] وعشرة أنفس ﴿ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم

﴿ويوم يحشر أعداء الله الى النار﴾ يوم منصوب باذكر فهم يوزعون تقدم الكلام عليه وحتى غاية ليحشر وأعداء الله هم الكفار من الأولين والآخرين وما بعد اذا زائدة للتأكيد والظاهر ان الجلود هي المعروفة وقيل كنى به عن الفروج وعليه أكثر المفسرين منهم ابن عباس ثم سألوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم فلم تذكر سببا غير ان الله تعالى أنطقها ولما صدر منها ما صدر من العقلاء وهي الشهادة خاطبوها بقولهم لم شهدتم مخاطبة العقلاء والظاهر ان قوله وما كنتم تستترون من كلام الله تعالى توبيخا لهم

﴿ ولكن ظننتم ان الله لايعلم ﴾ الخفيات من أعمالكم ﴿ وذلكم ﴾ اشارة الى ظنهم ان الله تعالى لايعلم كثيرا من أعمالهم وهو مبتدأ خبره أرداكم وظنكم بدل من ذلكم وقال الزمخشري وظنكم وأرداكم خبران وقال ابن عطية أرداكم يصلح أن يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح أن يكون ظنكم الذي ظننتم بربكم خبرا الا ان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بأن ربكم لايعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لايجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها ﴿ وان يستعتبوا ﴾ أي يعتذروا فما هم من المعذورين ولما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفرة أردفه بذكر السبب الذي أوقعهم

في الكفر فقال ﴿ وقيضنا لهم قرناء ﴾ أي سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقرناء جمع قرين أي قرناء سوء من غواة الجن والانس ﴿ فزينوا لهم ﴾ أي حسنوا وقرروا في أنفسهم ﴿ ما بين أيديهم ﴾ قال ابن عباس من أمر الآخرة انه لاجنة ولانار ولا بعث ﴿ وما خلفهم ﴾ من أمر الدنيا من الضلالة والكفر ولذات الدنيا ﴿ وحق عليهم القول ﴾ أي كلمة العذاب وهو القضاء المحتم انهم معذبون ﴿ في أمم ﴾ أي في جملة أمم ﴿ وقال الذين كفروا لاتسمعوا ﴾ أي لاتصغوا لهذا القرآن والغوا فيه قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ في المسجد أصغى اليه الناس من مؤمن وكافر فخشي الكفار استمالته القلوب بذلك فقالوا متى قرأ محمد فلنلغط نحن بالمكاء والصفير والصياح وانشاد الشعر والارجاز حتى يخفى صوته وهذا الفعل هو اللغو ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ بتشويشكم عليه على قراءته فلا يصغي اليها ﴿ ذلك ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاء مبتدأ والنار خبره ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ أي موضع البقاء الدائم الذي لاينقطع والنار هي دار الخلد فكيف قيل فيها ثم محذوف تقديره في عذابها

ولكن ظننتم ان الله لايعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين * فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين * وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين * وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون * فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون * ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ﴾ لما بين تعالى كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أردفه بكيفية عقوبة الكفار أولئك وغيرهم وانتصب يوم باذكر * وقرأ الجمهور يحشر مبنيا للمفعول وأعداء رفعا وزيد بن علي ونافع والاعرج وأهل المدينة بالنون أعداء نصبا وكسر الشين الاعرج وتقدم معنى يوزعون في النمل وحتى غاية ليحشروا وأعداء الله هم الكفار من الاولين والآخرين وما بعد اذا زائدة للتأكيد * وقال الزمخشري ومعنى التأكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله أثم اذا ما وقع آمنتم به أي لابد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به انتهى ولا أدري ان معنى زيادة ما بعد إذا التوكيد فيها ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شك حصول الشرط من غير تأخر لان أداة الشرط ظرف فالشهادة واقعة فيه لامحالة وفي الكلام حذف التقدير حتى اذا ما جاؤها أي النار وسئلوا عما أجرموا فأنكروا شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كسبوا من الجرائم وكانوا حسبوا أن لا شاهد عليهم * في الحديث ان أول ما ينطق من الانسان فخذه اليسرى ثم تنطق الجوارح فيقول تبا لك وعنك كنت أدافع ولما كانت الحواس خمسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس وكان الذوق مندرجا في اللمس إذ بمماسة جلدة اللسان والحنك للذوق يحصل ادراك المذوق وكان حس الشم ليس فيه تكليف ولا أمر ولا نهي وهو ضعيف اقتصر من الحواس على السمع والبصر واللمس اذ هذه هي التي جاء فيها التكليف ولم يذكر حاسة الشم لانه لاتكليف فيه فهذه والله أعلم حكمة الاقتصار على هذه الثلاثة والظاهر أن الجلود هي المعروفة * وقيل هي الجوارح كنى بها عنها * وقيل كنى بها عن الفروج * قيل وعليه أكثر المفسرين منهم ابن عباس كما

(الدر) (ش) ومعنى التوكيد فيها ان وقت مجيئهم النار لامحالة أن يكون وقت الشهادة ولا وجه لأن يخلو منها ومثله قوله أثم اذا ما وقع آمنتم به أي لابد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به انتهى (ح) لا أدري ان معنى زيادة ما بعد اذا للتوكيد ماذكر ولا أن نحو ماذكر هذا الذي ذكره من معنى التوكيد فيها ولو كان التركيب بغير ما كان بلا شك حصول الجواب عند

كنى عن النكاح بالسر * بما كانوا يعملون من الجرائم ثم سألوا جلودهم عن سبب شهادتها عليهم فلم تذكر سببا غير أن الله تعالى أنطقها ولما صدر منها ما صدر من العقلاء وهي الشهادة خاطبوها بقولهم لم شهدتم مخاطبة العقلاء * وقرأ زيد بن علي لم شهدتن بضمير المؤنثات وكل شيء لا يراد به العموم بل المعنى كل ناطق بما ذلك له عادة أو كان ذلك فيه خرق عادة * وقال الزمخشري أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله والله على كل شيء قدير من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم * وقال الزمخشري أيضا فان قلت) كيف تشهد عليهم أبصارهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما انتهى وهذا الرجل مولع بمذهبه الاعتزالي يدخله في كل ما يقدر أنه يدخل وانما أشار بقوله كما أنطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما الى أن الله تعالى لم يكلم موسى حقيقة وانما الشجرة هي التي سمع منها الكلام ان يخلق الله فيها كلاما خاطبته به عن الله تعالى والظاهر أن قوله وما كنتم تستترون من كلام الجوارح قيل ويحتمل أن يكون من كلام الله تعالى توبيخا لهم أو من كلام ملك بأمره تعالى وأن يشهد يحتمل أن يكون معناه خيفة أو لاجل أن يشهد ان كنتم غير عالمين بأنها تشهد ولكن ظننتم أن الله لا يعلم فانهمكتم وجاهدتم والى هذا نحا مجاهد والستر يأتي في هذا المعنى كما قال الشاعر

والستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

ويحتمل أن يكون معناه عن أن يشهد أي وما كنتم تمتنعون ولا يمكنكم الاختفاء عن أعضائكم والاستتار عنها بكفركم ومعاصيكم ولا تظنون أنها تصل بكم الى هذا الحد من الشهادة عليكم والى هذا نحا السدي أو وما كنتم تتوقعون بالاختفاء والستر أن يشهد عليكم لان الجوارح لازمة لكم وعبر قتادة عن تستترون بتظنون أي وما كنتم تظنون أن يشهد وهذا تفسير من حيث المعنى لا من حيث مرادفة اللفظ ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا وهو الخفيات من أعمالكم وهذا الظن كفر وجهل بالله وسوء معتقد يؤدي الى تكذيب الرسل والشك في علم الاله وذلكم اشارة الى ظنهم أن الله لا يعلم كثيرا من أعمالهم وهو مبتدأ خبره أرداكم وظنكم بدل من ذلكم أي وظنكم بربكم أرداكم * وقال الزمخشري وظنكم وأرداكم خبران وقال ابن عطية أرداكم يصلح أن يكون خبرا بعد خبر انتهى ولا يصح أن يكون ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير وظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهو لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها * وقال ابن عطية وجوز الكوفيون أن يكون معنى أرداكم في موضع الحال والبصريون لا يجيزون وقوع الماضي حالا الا اذا اقترن بقد وقد يجوز تقديرها عندهم ان لم يظهر انتهى وقد أجاز الاخفش من البصريين وقوع الماضي حالا بغير تقدير قد وهو الصحيح اذ كثر ذلك في لسان العرب كثرة توجب القياس ويبعد فيها التأويل وقد ذكرنا كثرة الشواهد على ذلك في كتابنا المسمى بالتذييل والتكميل في شرح التسهيل فان يصبروا خطاب للنبي عليه السلام قيل وفي الكلام حذف تقديره أو لا يصبروا كقوله اصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم وذلك في يوم القيامة وقيل التقدير فان يصبروا على ترك دينك واتباع أهوائهم فالنار مثوى لهم أي مكان اقامة * وقرأ الجمهور وان يستعتبوا مبنيا للفاعل فما هم من

(الدر)

حصول الشرط من غير تأخير لأن أداة الشرط طرف فالشهادة واقعة فيه لا محالة (ش) وظنكم وأرداكم خبران انتهى (ع) أرداكم يصلح أن يكون خبرا بعد خبر انتهى (ح) لا يصح أن يكون ظنكم بربكم خبرا لان قوله وذلكم اشارة الى ظنهم السابق فيصير التقدير فظنكم بأن ربكم لا يعلم ظنكم بربكم فاستفيد من الخبر ما استفيد من المبتدأ وهذا لا يجوز وصار نظير ما منعه النحاة من قولك سيد الجارية مالكها

المعتبين اسم مفعول * قال الضحاك ان يعتذروا فماهم من المعذورين وقيل وان طلبوا العتبى وهي الرضا فماهم ممن يعطاها ويستوجبها * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وموسى الاسوارى وان يستعتبوا مبنيا للمفعول فماهم من المعتبين اسم فاعل أى طلب منهم أن يرضوا ربهم فماهم فاعلون ولا يكون ذلك لأنهم قد فارقوا الدنيا دار الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم ليس بعد الموت مستعتب وقال أبو ذؤيب

أمن المنون وريبة تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

ويحتمل أن تكون هذه القراءة بمعنى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما ذكر تعالى الوعيد الشديد فى الدنيا والآخرة على كفر أولئك الكفرة أردفه بذكر السبب الذى أوقعهم فى الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء أى سببنا لهم من حيث لم يحتسبوا وقيل سلطنا ووكلنا عليهم وقيل قدرنا لهم وقرناء جمع قرين أى قرناء سوء من غواة الجن والانس فزينوا لهم أى حسنوا وقدروا فى أنفسهم مابين أيديهم قال ابن عباس من أمر الآخرة أنه لا جنة ولا نار ولا بعث * وما خلفهم قال ابن عباس من أمر الدنيا من الضلالة والكفر ولذات الدنيا * وقال الكلبى مابين أيديهم أعمالهم التى يشاهدونها وما خلفهم ماهم عاملوه فى المستقبل * وقال ابن عطية مابين أيديهم من معتقدات السوء فى الرسل والنبوات ومدح عبادة الأصنام واتباع فعل الآباء وما خلفهم ما يأتى بعدهم من أمر القيامة والمعاد انتهى ملخصا وهو شرح قول الحسن قال مابين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة * وقال الزمخشرى (فان قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا انتهى وهو على طريقة الاعتزال وحق عليهم القول أى كلمة العذاب وهو القضاء المحتم بأنهم معذبون فى أمم أى فى جملة أمم وعلى هذا قول الشاعر

ان تك عن أحسن الصنيعة مأفو * كا ففى آخرين قد أفكوا

أى فأنت فى جملة آخرين أو فأنت فى عدد آخرين لست فى ذلك بأوحد وقيل فى بمعنى مع ولا حاجة للتضمين مع صحة معنى فى وموضع فى أمم نصب على الحال أى كائنين فى جملة أمم وذو الحال الضمير فى عليهم * انهم كانوا خاسرين الضمير لهم وللامم وهذا تعليل لاستحقاقهم العذاب * وقال الذين كفروا لا تسمعوا أى لا تصغوا لهذا القرآن والغوا فيه اذا تلاه محمد صلى الله عليه وسلم * قال أبو العالية وقعوا فيه وعيبوه وقال غيره كان الرسول عليه السلام اذا قرأ فى المسجد أصغى اليه الناس من مؤمن وكافر فخشى الكفار استمالة القلوب بذلك فقالوا متى قرأ محمد صلى الله عليه وسلم فلنلغط نحن بالمكاء والصفير والصياح وانشاد الشعر والأرجاز حتى يخفى صوته وهذا الفعل هو اللغو * وقرأ الجمهور والغوا بفتح الغين مضارع لغى بكسرها وبكر بن حبيب السهمى كذا فى كتاب ابن عطية وفى كتاب اللوامح وابن خالويه عبد الله بن بكر السهمى وقتادة وأبو حيوة والزعفرانى وابن أبى اسحق وعيسى بخلاف عنهما بضم الغين مضارع لغا بفتحها وهما لغتان أى ادخلوا فيه اللغو وهو اختلاط القول بما لا فائدة فيه * وقال الأخفش يقال لغا يلغى بفتح الغين وقياسه الضم لكنه فتح لأجل حرف الحلق والقراءة الأولى من لغى يلغى والثانية من لغا يلغو * وقال صاحب اللوامح ويجوز أن يكون الفتح من لغى بالشئ يلغى به اذا رمى به فيكون فيه بمعنى به أى ارموا به وانبذوه لعلكم

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ الآية قال ابن عباس نزلت في الصديق قال المشركون ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عنده واليهود قالوا ربنا الله وعزير ابنه ومحمد ليس بنبي فلم يستقيموا والصديق قال ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم فاستقام ولما أطنب تعالى في وعيد الكفار أردفه بوعد المؤمنين وليس المراد التلفظ بالقول فقط بل لابد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني وبدأ أولا بالذي هو أمكن في الاسلام وهو العالم بربوبية الله تعالى ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت (٤٩٥) لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرني بأمر أعتصم به قال قل ربي

تغلبون أي تطمسون أمره وتميتون ذكره * فلنذيقن الذين كفروا وعيد شديد لقريش والعذاب الشديد في الدنيا كوقعة بدر وغيرها والاسوأ يوم القيامة أقسم تعالى على الجلتين وشمل الذين كفروا القائلين والمخاطبين في قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا * ذلك أي جزاؤهم في الآخرة فالنار بدل أو خبر مبتدأ محذوف وجوز أن يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك وجزاء مبتدأ أو النار خبره * لكم فيها دار الخلد أي فكيف قيل فيها والمعنى انها دار الخلد كما قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة والرسول نفسه هو الاسوة وقال الشاعر

* وفي الله ان لم ينصفوا حكم عدل * والمعنى أن الله هو الحكم العدل ومجاز ذلك أنه قد يجعل الشئ طرفا لنفسه باعتبار متعلقه على سبيل المبالغة كأن ذلك المتعلق صار الشئ مستقرا له وهو أبلغ من نسبة ذلك المتعلق اليه على سبيل الاخبار به عنه جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * قال الزمخشري ان جزاءهم بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي هو سبب اللغو ولما رأى الكفار عظم ما حل بهم من عذاب النار سألوا من الله تعالى أن يريهم من كان سبب اغوائهم واضلالهم والظاهر أن اللذين يراد بهما الجنس أي كل مغو من هذين النوعين وعن علي وقتادة أنهما ابليس وقابيل ابليس سن الكفر وقابيل سن القتل بغير حق قيل وهل يصح هذا القول عن علي وقابيل مؤمن عاص وانما طلبوا المضلين بالكفر المؤدي الى الخلود وقد أصلح هذا القول بان قال طلب قابيل كل عاص من أهل الكبائر وطلب ابليس كل كافر ولفظ الآية ينبو عن هذا القول وعن اصلاحه وتقدم الخلاف في قراءة أرنا في قوله وأرنا مناسكنا * وقال الزمخشري حكوا عن الخليل انك اذا قلت أرني ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في معنى الاعطاء وأصله الاحضار انتهى * نجعلهما تحت أقدامنا يريدون في أسفل طبقة من النار وهي أشد عذابا وهي درك المنافقين وتشديد النون في اللذين واللتين وهذين وهاتين حالة كونهما بالياء لا تجيزه البصريون والقراءة بذلك في السبعة حجة عليهم ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم * ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم * وإما

الله ثم استقم قال قلت ما أخوف ما تخاف علي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا وقال ابن عطية نزلا نصب على المصدر والمحفوظ ان مصدر نزل نزولا لا نزلا ولما تقدم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ذكر من دعا الى ذلك فقال ﴿ومن أحسن﴾ أي لا أحد أحسن قولا ممن يدعوا الى توحيد الله ويعمل العمل الصالح ويصرح انه من المسلمين المنقادين له ذكر أنه يجوز أن يكون ثم محذوف تقديره قولا وعملا حتى يكون مقابله العمل والقول ويجوز أن لا يكون ثم محذوف ويكون قوله وعمل صالحا جملة حالية أي لا أحد أحسن قولا ممن دعا الى الله وقد عمل صالحا ولما تفاوتت الحسنة والسيئة أمر أن يدفع السيئة بالأحسن وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيئة لان من هان عليه الدفع بالاحسن هان عليه الدفع بالحسن أي فاذا فعلت ذلك إذا الذي بينك وبينه عداوة صار لك كالولي الصديق الخالص الصداقة ولا في قوله ولا السيئة زائدة للتوكيد كهي في قوله ولا الظل ولا الحرور لان استوى لا يكتفي بمفرد واحد فان أخذت الحسنة والسيئة جنسا لم تك زيادتها كزيادتها في الوجه الذي قبل هذا إذ يصير المعنى ولا تستوي الحسنات اذ هي متفاوتة في أنفسها ولا السيئات لتفاوتها أيضا ﴿وما يلقاها﴾ الضمير عائد على الفعلة والسجية التي هي الدفع بالأحسن وكرر وما يلقاها تأكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة وذو حظ عظيم هو ثواب الآخرة ﴿ وإما

بنزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم * ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم اياه تعبدون * فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون * ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى انه على كل شئ قدير ﴾ قال ابن عباس نزلت فى الصديق قال المشركون ربنا الله والملائكة بناته وهؤلاء شفعاؤنا عنده واليهود ربنا الله والعزير ابنه ومحمد ليس بنبي فلم يستقيما والصديق قال ربنا الله وحده لاشريك له ومحمد عبده ورسوله فاستقام ولما أطنب تعالى فى وعيد الكفار أردفه بوعيد المؤمنين وليس المراد التلفظ بالقول فقط بل لابد من الاعتقاد المطابق للقول اللساني وبدأ أولا بالذى هو أمكن فى الاسلام وهو العلم بربوبية الله ثم أتبعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة * وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قلت ما أخوف ماتخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه وقال هذا وعن الصديق ثم استقاموا على التوحيد لم يضطرب ايمانهم وعن عمر استقاموا لله بطاعته لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان أخلصوا العمل وعن على أدوا الفرائض * وقال أبو العالية والسدى استقاموا على الاخلاص والعمل الى الموت * وقال الثورى عملوا على وفاق ما قالوا * وقال الفضل زهدوا فى الفانية ورغبوا فى الباقية * وقال الربيع أعرضوا عن ماسوى الله تعالى وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعن الحسن وقتادة وجماعة استقاموا بالطاعات واجتناب المعاصى * قال الزمخشرى وثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار فى المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن الصديق رضى الله عنه انه تلاها ثم قال ماتقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الأمر [illegible] تنزل عليهم الملائكة قال مجاهد [illegible] وفى القبر وعند البعث وأن ناصبة [illegible] أى بسبب خوفكم وحزنكم قال معناه الحوفى وأبو البقاء * وقال الزمخشرى بمعنى أى أو المخففة من الثقيلة وأصله انه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن انتهى وعلى هذين التقديرين يكون الفعل مجزوما بلا الناهية وهذه آية عامة فى كل هم مستأنف وتسلية تامة عن كل فائت ماض ولذلك قال مجاهد لاتخافوا ماتقدمون عليه ولاتحزنوا على ماخلفتم من دنياكم * وقال عطاء بن أبى رباح لاتخافوا ردذنوبكم فانه مقبول ولاتحزنوا على ذنوبكم فانى أغفرها لكم وفى قراءة عبد الله لاتخافوا باسقاط أن أى تتنزل عليهم الملائكة قائلين لاتخافوا ولاتحزنوا ولما كان الخوف مما يتوقع من المكروه أعظم من الحزن على الفائت قدمه ثم لما وقع الأمن لهم بشروا بما يؤولون اليه من دخول الجنة فحصل لهم الأمن التام والسرور العظيم بما سيفعلون من الخير * نحن أولياؤكم الظاهر [illegible] الملائكة أى يقولون لهم وفى قراءة عبد الله يكون من جملة المقول قبل أى نحن كنا [illegible] فى الدنيا ونحن أولياؤكم فى الآخرة لما كان أولياء الكفار قرناؤهم من الشياطين كان [illegible] وقال السدى نحن حفظتكم فى الدنيا وأولياؤكم فى الآخرة وقيل نحن [illegible] تعالى وأيدوكم بالكفاية والهداية ولكم فيها الضمير عائد على الآخرة قاله [illegible] على الجنة ماتشتهى أنفسكم من الملاذ ولكم فيها ماتدعون * قال مقاتل

ينزغنك ﴾ تقدم الكلام عليه ﴿ فان استكبروا ﴾ فيه انتقال من خطاب فى قوله لاتسجدوا واسجدوا الى ضمير الغائب فى قوله فان استكبروا ومعنى عند ربك يعنى الملائكة وعند ظرف مكان وهو مجاز ﴿ وهم لا يسأمون ﴾ أى لايملون ذلك ولما ذكر شيأ من الدلائل العلوية ذكر شيأ من الدلائل السفلية فقال ﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة ﴾ أى غبر داثرة

مانتمنون وقيل ما تريدون * وقال ابن عيسى ما تدعي انه لك فهو لك بحكم ربك * قال ابن عطية ما تطلبون * نزلا من غفور رحيم النزل الرزق المقدم للنزيل وهو الضيف قال معناه ابن عطاء فيكون نزلا حالا أي تعطون ذلك في حال كونه نزلا ولا نزلا وجعله بعضهم مصدرا لأنزل وقيل نزل جمع نازل كشارف وشرف فينتصب على الحال أي نازلين وذو الحال الضمير المرفوع في يدعون * وقال الحسن معنى نزلا منا وقيل ثوابا * وقرأ أبو حيوة نزلا باسكان الزاي ولما تقدم قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ذكر من دعا الى ذلك فقال ومن أحسن قولا أي لا أحد أحسن قولا ممن يدعو الى توحيد الله ويعمل العمل الصالح ويصرح انه من المستسلمين لأمر الله المنقادين له والظاهر العموم في كل داع الى الله والى العموم ذهب الحسن ومقاتل وجماعة وقيل بالخصوص فقال ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة وعنه أيضا هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة وقيس بن أبي حازم وعكرمة ومجاهد نزلت في المؤذنين وينبغي أن يتأول قولهم على أنهم داخلون في الآية والا فالسورة بكمالها مكية بلا خلاف ولم يكن الأذان بمكة انما شرع بالمدينة والدعاء الى الله يكون بالدعاء الى الاسلام وبجهاد الكفار وكف الظلمة * وقال زيد بن علي دعا الى الله بالسيف وهذا والله أعلم هو الذي حمله على الخروج بالسيف على بعض الظلمة من ملوك بني أمية وكان زيد هذا عالما بكتاب الله وقد وقفت على جملة من تفسيره كتاب الله وإلقائه اياه على بعض النقلة عنه وهو في حبس هشام بن عبد الملك وفيه من العلم والاستشهاد بكلام العرب حظ وافر يقال انه كان اذا تناظر هو وأخوه محمد الباقر اجتمع الناس بالمحابر يكتبون ما يصدر عنهما من العلم رحمهما الله ورضي عنهما * وقال أبو العالية وعمل صالحا صلى بين الأذان والاقامة * وقال عكرمة صلى وصام * وقال الكلبي أدى الفرائض * وقال مجاهد هي عامة في كل من جمع بين هذه الثلاثة أن يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما لهم الى طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الاسلام انتهى ويعني بذلك المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويوجد ذلك في أشعارهم كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي صاحب كتاب الفلك الدائر في الرد على كتاب المثل السائر قال من كلامه أنشدنا عنه الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي رحمه الله تعالى

لولا ثلاث لم أخف صرعتي * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل في * كل مقام باذلا جهدي
وأن أناجي الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وأن أصول الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذي ميعة نهد

وقال إنني من المسلمين ليس المعنى انه تكلم بهذا بل جعل الاسلام معتقده كما تقول هذا قول الشافعي أي مذهبه * وقرأ ابن أبي عبلة وابراهيم بن نوح عن قتيبة الميال وقال انى بنون مشددة واحدة والجمهور انني بها وبنون الوقاية * وقال أبو بكر بن العربي لم يشترط الان شاء الله ففيه رد على من يقول أنا مسلم إن شاء الله ولما ذكر تعالى انه لا أحد أحسن ممن دعا الى الله ذكر ما يترتب على ذلك من حسن الاخلاق وأن الداعي الى الله قد يجافيه المدعو فينبغي أن يرفق به ويتلطف في ايصال الخير

فيه قيل ونزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا وقال ابن عباس الحسنة لا إله إلا الله والسيئة الشرك * وقال الكلبى الدعوتان اليهما * وقال الضحاك الحلم والفحش وعن على حب الرسول وآله وبغضهم وقيل الصبر والنفور وقيل المداراة والغلظة وقيل العفو والاقتصاد وهذه أمثلة للحسنة والسيئة لا على طريق الحصر ولما تفاوتت الحسنة والسيئة أمر أن يدفع السيئة بالأحسن وذلك مبالغة ولم يقل ادفع بالحسنة السيئة لان من هان عليه الدفع بالأحسن هان عليه الدفع بالحسن أى واذا فعلت ذلك فاذا الذى بينك وبينه عداوة صار لك كالولى الصديق الخالص الصداقة ولا فى قوله ولا السيئة زائدة للتوكيد كهى فى قوله ولا الظل ولا الحرور لان استوى لا يكتفى بمفرد فان احدى الحسنة والسيئة جنس لم تكن زيادتها كزيادتها فى الوجه الذى قبل هذا إذ يصير المعنى ولا تستوى الحسنات إذ هى متفاوتات فى أنفسها ولا السيئات لتفاوتها أيضا * قال ابن عطية دخلت كأن للتشبيه لان الذى عنده عداوة لا يعود وليا حميما انما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولى الحميم وعن ابن عباس بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة * وقال مجاهد وعطاء السلام عند اللقاء انتهى أى هو مبدأ الدفع بالأحسن لانه محصور فيه وعن مجاهد أيضا أعرض عن أذاهم * وقال أبو فراس الحمدانى

يجنى على وأجنو صافحا أبدا * لاشئ أحسن من جان على جان

وما يلقاها الضمير عائد على الفعلة والسجية التى هى الدفع بالأحسن * وقرأ طلحة بن مصرف وابن كثير فى رواية وما يلاقاها من الملاقاة * وقرأ الجمهور من التلقى وكأن هذه الخصلة الشريفة غائبة فما يصادفها ويلقيها الا لمن كان صابرا على الطاعات صارفا عن الشهوات ذا حظ عظيم من خصال الخير قاله ابن عباس فيكون مدحا أو ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة فيكون وعدا وقيل الا ذو عقل وقيل ذو خلق حسن وكرر وما يلقاها تأكيدا لهذه الفعلة الجميلة الجليلة وقيل الضمير فى يلقاها عائد على الجنة * وحكى مكى وما يلقاها أى شهادة أن لا إله إلا الله وفيه بعد ولما أمر تعالى بدفع السيئة بالأحسن كان قد يعرض للمسلم فى بعض الأوقات مقابلة من أساء بالسيئة فأمره ان عرض له ذلك أن يستعيذ بالله فان ذلك من نزغ الشيطان وتقدم تفسير نظير هذه الآية فى أواخر الأعراف ولما بين تعالى ان أحسن الأعمال والأقوال هو نظير هذه الآية الدعوة إلى الله أردفه بذكر الدلائل العلوية والسفلية وعلى قدرته الباهرة وحكمته البالغة وحجته القاطعة فبدأ بذكر الفلكيات الليل والنهار وقدم ذكر الليل قيل تنبيها على أن الظلمة عدم والنور وجود وناسب ذكر الشمس بعد النهار لانها سبب لتنويره ويظهر العالم فيه ولانها أبلغ فى التنوير من القمر ولان القمر فيما يقولون مستفاد نوره من نور الشمس ثم نهى تعالى عن السجود لهما وأمر بالسجود للخالق تعالى وكان ناس يعبدون الشمس كما جاء فى قصة بلقيس وقومها والضمير فى خلقهن عائد على الليل والنهار والشمس والقمر * قال الزمخشرى لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أى الاناث يقال الأقلام بريتها وبريتهن انتهى يريد ما لا يعقل من الذكر وكان ينبغى أن يفرق بين جمع القلة من ذلك فان الأفصح أن يكون كضمير الواحدة تقول الاجذاع انكسرت على الأفصح والجذوع انكسرن على الأفصح والذى تقدم فى الآية ليس بجمع قلة أعنى بلفظ واحد ولكنه ذكر أربعة متعاطفة فتنزلت منزلة الجمع المعبر عنها بلفظ واحد * وقال الزمخشرى ولما قال ومن آياته كن فى معنى الآيات فقيل خلقهن انتهى يعنى ان التقدير والليل والنهار والشمس والقمر آيات من آياته فعاد

(الدر)

(ش) لأن حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن انتهى (ح) يريد مالا يعقل من المذكر وكان ينبغى ان يفرق بين جمع القلة من ذلك فان الأفصح أن يكون كضمير جمع المؤنث وبين جمع الكثرة فان الافصح أن يكون كضمير الواحدة تقول الأجذاع انكسرت على الافصح والجذوع انكسرن على الافصح والذى تقدم فى الآية ليس بجمع قلة أعنى بلفظ واحد ولكنه ذكر أربعة متعاطفة فنزلت منزلة الجمع المعبر به عنها بلفظ واحد

﴿ إن الذين يلحدون ﴾ تقدم الكلام عليه وذكر تعالى انهم لا يخفون عليه وفى ذلك تهديد لهم ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ وعيد وتهديد
بصيغة الأمر ولما جاء انه بما تعملون بصير فيجازيكم بأعمالكم ﴿ إن الذين كفروا ﴾ هم قريش ومن تابعهم من الكفار غيرهم
والذكر القرآن هنا باجماع وخبر ان اختلفوا فيه أمذكور هو أم محذوف فقيل مذكور وهو قوله أولئك ينادون وهو قول أبى
عمرو بن العلاء فى حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبى بردة سئل بلال فى مجلسه عن هذا فقال لم أجد لها نفادا فقال له أبو عمرو انه
منك لقريب أولئك ينادون وقاله الحوفى ويرد على ذلك القول كثرة الفصل وانه ذكر هناك من
تكون الاشارة اليهم وهو
قوله والذين لا يؤمنون فى
آذانهم وقر وهو عليهم عمى
أولئك ينادون وقيل
محذوف وخبر ان يحذف
لفهم المعنى وسأل عيسى
ابن عمر عمرو بن عبيد عن
ذلك فقال عمرو معناه فى
التفسير ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم كفروا به
وانه لكتاب فقال له عيسى
أجدت يا أبا عثمان وقال
قوم تقديره معاندون أو
هالكون وقال الكسائى
قد سد مسده ما تقدم من
الكلام قبل ان وهو قوله
أفمن يلقى فى النار انتهى
كأنه يريد دل عليه ما قبله
فيمكن أن يقدر مخلدون
فى النار ويجوز أن يكون
خبر ان قوله لا يأتيه
الباطل تكون الألف
واللام نابت عن الضمير
أى لا يأتيه باطلهم ولما
ذكر تعالى الملحدين فى
آياته وانهم لا يخفون عليه والكافرين بالقرآن ذكر ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم وقولهم هلا نزل بلغة العجم فقال ﴿ ولو
جعلناه قرآنا أعجميا ﴾ أى لا يفصح ولا تتبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم أو بلغة غير العرب لم يتركوا الاعتراض والتعنت
ولقالوا لولا فصلت آياته أى بينت لنا وأوضحت حتى نفهمها وقرىء آعجمى بهمزة الاستفهام بعدها مدة هى همزة أعجمى وقرىء
أعجمى على الخبر وهما بدل من قوله آياته ﴿ قل هو ﴾ أى القرآن ﴿ هدى ﴾ أى ارشاد الى الحق وشفاء لما فى الصدور من الظن
والشك والظاهر أن والذين لا يؤمنون مبتدأ وفى آذانهم وقر فى موضع الخبر وهو عليهم عمى خبر ثان والظاهر أن الضمير
فى وهو عائد على القرآن وقيل يعود على الوقر ﴿ أولئك ﴾ اشارة للذين لا يؤمنون

الضمير على آيات الجمع المقدر فى المجرور وقيل يعود على الآيات المتقدم ذكرها وقيل على
الشمس والقمر والاثنان جمع وجمع ما لا يعقل يؤنث ومن حيث يقال شموس وأقمار لاختلافهما
بالأيام والليالى ساغ أن يعود الضمير مجموعا ان كنتم إياه تعبدون أى ان كنتم موحدين غير
مشركين والسجدة عند الشافعى عند قوله تعبدون وهى رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ
السجدة قبلها وعند أبى حنيفة عند قوله لا يسأمون لانها تمام المعنى وفى التحرير كان على وابن
مسعود يسجدان عند تعبدون وقال ابن وهب والشافعى عند يسأمون وبه قال أبو حنيفة وسجد
عندها ابن عباس وابن عمر وأبو وائل وبكر بن عبد الله وكذلك روى عن مسروق والسلمى
والنخعى وأبى صالح وابن سيرين انتهى ملخصا * فان استكبروا أى تعاظموا على اجتناب ما
نهيت من السجود لهذين المحدثين المربوبين وامتثال ما أمرت به من السجود للخالق لهن فان
الملائكة الذين هم عند الله بالمكانة والرتبة الشريفة ينزهونه عن ما لا يليق بكبريائه وهم لا يسأمون
أى لا يملون ذلك وهم خير منكم مع أنه تعالى غنى عن عبادتكم وعبادتهم * ولما ذكر شيأ من الدلائل
العلوية ذكر شيأ من الدلائل السفلية فقال ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة أى غبراء دارسة
كما قال * ونؤى كجذم الحوض أبلم خاشع * استعير الخشوع لها وهو التذلل لما ظهر بها من
القحط وعدم النبات وسوء العيش عنها بخلاف أن تكون معشبة وأشجارا مزهرة ومثمرة فذلك
هو حياتها * وقال السدى خاشعة ميتة يابسة وتقدم الكلام على قوله فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت تفسيرا وقراءة فى أوائل سورة الحج * ان الذى أحياها لمحيى الموتى يرد الأرواح الى الأجساد
انه على كل شئ قدير لا يعجزه شئ تعلقت به ارادته ﴿ ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا
أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير * ان الذين كفروا
بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد * ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * ولو جعلناه
قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد * ولقد آتينا موسى
الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب * من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ لما بين تعالى أن الدعاء الى دين الله أعظم

القربات وأنه يحصل ذلك بذكر دلائل التوحيد والعدل والبعث عاد الى تهديد من ينازع فى تلك الآيات ويجادل فقال ان الذين يلحدون فى آياتنا وتقدم الكلام على الالحاد فى قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه وذكرتعالى انهم لايخفون عليه وفى ذلك تهديد لهم * وقال قتادة هنا الالحاد التكذيب وقال مجاهد المكاء والصفير واللغو * وقال ابن عباس وضع الكلام غير موضعه * وقال أبو مالك يميلون عن آياتنا * وقال السدى يعاندون رسلنا فيما جاؤا فيه من البينات والآيات ثم استفهم تقريرا أفمن يلقى فى النار بالحاده فى آياتنا خير أم من يأتى آمنا ولا اشتراك بين الالقاء فى النار والاتيان آمنا لكنه كما قلنا استفهام تقرير كما يقرر المناظر خصمه على وجهين * أحدهما فاسد يرجو أن يقع فى الفاسد فيتضح جهله ونبه بقوله يلقى فى النار على مستقر الأمر وهو الجنة وبقوله آمنا على خوف الكافر وطول وجله وهذه الآية قال ابن بحر عامة فى كل كافر ومؤمن * وقال مقاتل نزلت فى أبى جهل وعثمان بن عفان * وقيل فيه وفى عمار بن ياسر * وقيل فيه وفى عمر * وقيل فى أبى جهل وحمزة ابن عبد المطلب * وقال الكلبى وأبو جهل والرسول صلى الله عليه وسلم ولما تقدم ذكر الالحاد ناسب أن يتصل به من التقرير من اتصف به ولم يكن التركيب أم من يأتى آمنا يوم القيامة كمن يلقى فى النار كما قدم ما يشبه فى قوله أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى وكما جاء فى سورة القتال أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله * اعملوا ما شئتم وعيد وتهديد بصيغة الأمر ولذا جاء انه بما تعملون بصير فيجازيكم بأعمالكم * ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هم قريش ومن تابعهم من الكفار غيرهم والذكر القرآن هو باجماع وخبر ان اختلفوا فيه أمذكور هو أو محذوف فقيل مذكور وهو قوله أولئك ينادون من مكان بعيد وهو قول أبى عمرو بن العلاء فى حكاية جرت بينه وبين بلال بن أبى بردة سئل بلال فى مجلسه عن هذا فقال لم أجد لها نفاذا فقال له أبو عمرو انه منك لقريب أولئك ينادون * وقال الحوفى ويرد على هذا القول كثرة الفصل وانه ذكر هنالك من تكون الاشارة اليهم وهو قوله والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون * وقيل محذوف وخبر ان يحذف لفهم المعنى * وسأل عيسى بن عمر عمرو بن عبيد عن ذلك فقال عمرو معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب فقال عيسى أجدت يا أبا عثمان * وقال قوم تقديره معاندون أو هالكون * وقال الكسائى قد سد مسده ما تقدم من الكلام قبل ان وهو قوله أفمن يلقى فى النار انتهى كأنه يريد دل عليه ما قبله فيمكن أن يقدر يخلدون فى النار * وقال الزمخشرى (فان قلت) بم اتصل قوله ان الذين كفروا بالذكر (قلت) هو بدل من قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا انتهى ولم يتعرض بصريح الكلام فى خبران أمذكور هو أو محذوف لكن قد ينتزع من كلامه هذا انه تكلم فيه بطريق الاشارة اليه لانه ادعى أن قوله ان الذين كفروا بالذكر بدل من قوله ان الذين يلحدون فالمحكوم به على المبدل منه هو المحكوم به على البدل فيكون التقدير ان الذين يلحدون فى آياتنا ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لايخفون علينا * وقال ابن عطية والذى يحسن فى هذا هو اضمار الخبر بعد حكيم حميد وهو أشد اظهارا لان قوله وانه لكتاب عزيز داخل فى صفة الذكر المكذب به فلم يتم ذكر المخبر عنه إلا بعد استيفاء وصفه انتهى وهو كلام حسن والذى أذهب اليه أن الخبر مذكور لكنه حذف منه عائد يعود على اسم ان وذلك فى قوله لايأتيه الباطل أى الباطل منهم أى الكافرون به وحالة هذه لايأتيه باطلهم أى متى راموا فيه أن يكون ليس حقا ثابتا من عند الله وابطالا له لم يصلوا اليه أو تكون أل عوضا من الضمير على قول

المكذبين أي لا يأتيه باطلهم أو يكون الخبر قوله ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك أي أوحي إليك في شأن هؤلاء المكذبين لك ولما جئت به مثل ما أوحي إلى من قبلك من الرسل وهو أنهم عاقبتهم سيئة في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بالعذاب الدائم وغاية ما في هذين التوجيهين حذف الضمير العائد على اسم ان وهو موجود نحو قوله السمن منوان بدرهم أي منوان منه والبر كر بدرهم أي كر منه * وعن بعض نحاة الكوفة الخبر في قوله وانه لكتاب عزيز وهذا لا يتعقل وانه لكتاب عزيز جملة حالية كما تقول جاء زيد وأن يده على رأسه أي كفروا به وهذه حاله وعزته كونه عديم النظير لما احتوى عليه من الاعجاز الذي لا يوجد في غيره من الكتب أو غالب ناسخ لسائر الكتب والشرائع * وقال ابن عباس عزيز كريم على الله تعالى * وقال مقاتل ممتنع من الشيطان * وقال السدي غير مخلوق * وقيل وصف بالعزة لأنه لصحة معانيه ممتنع الطعن فيه والازراء عليه وهو محفوظ من الله لا يأتيه الباطل من جعل خبر ان محذوفاً أو قوله أولئك ينادون كانت هذه الجملة في موضع الصفة على ما اخترناه من أحد الوجهين تكون الجملة في موضع خبر ان والمعنى أن الباطل لا يتطرق إليه من بين يديه ولا من خلفه تمثيل أي لا يجد الطعن سبيلاً إليه من جهة من الجهات فيتعلق به وأما ما ظهر من بعض الحمقى من الطعن فيه على زعمهم ومن تأويل بعضهم له كالباطنية فقد رد عليهم ذلك علماء الاسلام وأظهروا حماقتهم * وقال قتادة الباطل الشيطان واللفظ لا يخص الشيطان * وقال ابن جبير والضحاك من بين يديه أي كتاب من قبله فيبطله ولا من بعده فيكون على هذا الباطل في معنى المبطل نحو أورس الباب فهو وارس أي مورس أو يكون الباطل بمعنى المبطل مصدراً فيكون كالعافية * وقيل من بين يديه أي قبل أن يتم نزوله ولا من خلفه من بعد نزوله * وقيل عكس هذا * وقيل من بين يديه قبل أن ينزل لان الانبياء بشرت به فلم يقدر الشيطان أن يدحض ذلك ولا من خلفه بعد أن أنزل * وقال الطبري من بين يديه لا يقدر ذو باطل أن يكيده بتغيير ولا تبديل ولا من خلفه لا يستطيع ذو باطل ان يلحد فيه تنزيل أي هو تنزيل من حكيم أي حاكم أو محكم لمعانيه حميد محمود على ما أسدى لعباده من تنزيل هذا الكتاب وغيره من النعم * ما يقال لك يقال مبني للمفعول فاحتمل أن يكون القائل الله تعالى كما تقدم تأويله فيه أي ما يوحي إليك الله إلا مثل ما أوحي إلى الرسل في شأن الكفار كما تأولناه على أحد الوجهين أو في الشرائع وجوزوا على أن القائل هو الله أن يكون ان ربك تفسيراً لقوله ما قد قيل فالمقول ان ربك لذو مغفرة للطائعين وذو عقاب أليم للعاصين وهذا التأويل فيه بعد لأنه حصر ما أوحي الله إليه وإلى الرسل في قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم وهو تعالى قد أوحي إليه وإليهم أشياء كثيرة فاذا أخذناه على الشرائع أو على عاقبة المكذبين كان الحصر صحيحاً وكان قوله تعالى ان ربك استئناف اخبار عنه تعالى لا تفسيراً لما قد قيل ويحتمل أن يكون القائل الكفار أي ما يقول لك كفار قومك إلا ما قد قال كفار الرسل لهم من الكلام المؤذي والطعن فيما أنزل الله عليهم من الكتب ثم أخبر تعالى أنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم وفيه الترجئة بالغفران والزجر بالعقاب وهو وعظ وتهديد * وقال قتادة عزى الله نبيه وسلاه بقوله ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ومثله كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * ولما ذكر تعالى الملحدين في آياته وأنهم لا يخفون عليه والكافرين بالقرآن ما دل على تعنتهم وما ظهر من تكذيبهم وقولهم هلا أنزل بلغة العجم فقال ولو جعلناه قرآناً أعجمياً أي لا يفصح ولا تتبين معانيه لهم لكونه بلغة العجم أو بلغة غير العرب لم يتركوا

الاعتراض ولقالوا لولا فصلت آياته أي بينت لنا وأوضحت حتى نفهمها * وقرأ الجمهور آعجمي بهمزة الاستفهام بعدها مدة هي همزة أعجمي وقياسها في التخفيف التسهيل بين بين * وقرأ الاخوان والأعمش وحفص بهمزتين أي وقالوا أمنكرين أقرآن أعجمي ورسول عربي أومرسل اليه عربي وتأوله ابن جبير أن معنى قوله أعجمي ونحن عرب ما لنا وللعجمة * وقال ابن عطية لانهم ينكرون ذلك فيقولون لولا بين أعجمي وعربي مختلط هذا لا يحسن انتهى ولا يصح هذا التقسيم لأنه بالنسبة للقرآن وهم انما قالوا ما دل عليه قوله تعالى ولو جعلناه قرآنا أعجميا من اقتراحهم أن يكون أعجميا ولم يقترحوا أن يكون القرآن أعجميا وعربيا وقرأ الحسن وأبو الاسود والجحدري وسلام والضحاك وابن عباس وابن عامر بخلاف عنهما أعجمي وعربي دون استفهام وسكون العين فقيل معناه أنهم قالوا أعجمة واعراب ان هذا لشاذ * وقال ابن جبير معناه لولا فصل فصلين فكان بعضه أعجميا يفهمه العجم وبعضه عربيا يفهمه العرب * وقال صاحب اللوامح لانهم لما قالوا لولا فصلت آياته أعادوا القول ثانيا فقالوا أعجمي وأضمر المبتدأ أي هو أعجمي والقرآن أو الكلام أو نحوها والذي أتى به أو الرسول عربي كأنهم كانوا ينكرون ذلك * وقرأ عمرو بن ميمون أعجمي بهمزة استفهام وفتح العين والمعنى أن القرآن لو جاء على طريقة كائنة ما كانوا تعنتوا لانهم لا يطلبون الحق * وقال صاحب اللوامح والعجمي المنسوب الى العجم والياء للنسب على الحقيقة وأما اذا سكنت العين فهو الذي لا يفصح والياء فيه بلفظ النسب دون معناه فهو بمنزلة ياء كرسي وبختي والله أعلم انتهى وليست كياء كرسي بنيت الكلمة عليها وياء أعجمي لم تبن الكلمة عليها تقول العرب رجل أعجم ورجل أعجمي فالياء للنسبة الدالة على المبالغة في الصفة نحو أحمري ودواري مبالغة في أحمر ودوار * وقال الزمخشري (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل اليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا أعجميا كتب الى قوم من العرب يقول أكتاب أعجمي والمكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب اليه لا على أن المكتوب اليه واحد وجماعة فوجب أن يجرد لما سيق له من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لأن الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وأنوثته انما وقع في غرض وراءهما انتهى وهو حسن الا أن فيه تكثيرا على عادته في حب الشقشقة والتفيهق * قل هو أي القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء هدى أي ارشاد الى الحق وشفاء أي لما في الصدور من الظن والشك والظاهر أن والذين لا يؤمنون مبتدأ وفي آذانهم وقر هو موضع الخبر * وقال الزمخشري هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ لما أخبر أنه هدى وشفاء للمؤمنين أخبر أنه وقر وصمم في آذانهم أي الكافرين ولا يضطر الى اضمار هو فالكلام تام دونه أخبر أن في آذانهم صمما عن سماعهم ثم أخبر أنه عليهم عمى يمنعهم من إبصار حكمته والنظر في معانيه والتفكر في آياته وجاء بلفظ عليهم الدالة على استيلاء العمى عليهم وجاء في حق المؤمنين باللام الدالة على الاختصاص وكون والذين في موضع جر عطفا على قوله للذين آمنوا والتقدير والذين لا يؤمنون وقر في آذانهم اعراب متكلف وهو من العطف على عاملين وفيه مذاهب كثيرة في النحو والمشهور منع ذلك * وقرأ الجمهور عمى بفتح الميم منونا مصدر عمى * وقرأ ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص

﴿ إليه يرد علم الساعة ﴾ لما ذكر تعالى من عمل صالحا ما كان فى ذلك دلالة على الجزاء يوم القيامة فكأن سائلا قال متى ذلك فقيل لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج ما نافية ومن ثمرات من زائدة وثمرات فاعل من أكمامها فى موضع الصفة الا بعلمه استثناء بعد النفى وبعلمه فى موضع الحال أى لا تخرج ولا تحمل ولا تضع الا ملتبسا ذلك بعلمه فالباء فى بعلمه للحال ﴿ وظنوا ﴾ أى أيقنوا ﴿ مالهم من محيص ﴾ أى من حيدة ورواغ عن العذاب ﴿ لا يسأم الانسان ﴾ هذه الآيات نزلت فى كفار قريش قيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عتبة بن ربيعة ﴿ وان مسه الشر ﴾ أى الفقر والضيقة ﴿ فيؤس ﴾ أى فهو يؤس ﴿ قنوط ﴾ وأتى بهما صيغتى مبالغة واليأس من صفة القلب وهو ان يقطع رجاءه من الخير والقنوط ان تظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل وينكسر وبدأ بصفة القلب لانها هى المؤثرة فيما يظهر على الصورة من (٥٠٣) الانكسار ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا ﴾ سمى النعمة رحمة اذ هى من آثار رحمة الله تعالى ﴿ من بعد ضراء ﴾ أى ضر ﴿ مسته ليقولن هذا لى ﴾ أى بسعيى واجتهادى ﴿ ولئن رجعت الى ربى ﴾ أى ولئن كان كما أخبرت الرسل ﴿ ان لى عنده ﴾ أى عند الله تعالى ﴿ للحسنى ﴾ أى الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة كما أنعم الله على فى الدنيا وأكد واذلك باليمين وبتقديم لى وعنده على اسم ان وبدخول لام التأكيد عليه أيضا وبصيغة الحسنى مؤنث الاحسن الذى هو أفعل التفضيل ولم يقولوا للحسنة أى للحالة الحسنة ﴿ واذا أنعمنا ﴾ تقدم الكلام عليه فى سبحان الآن فى آخر تلك كان يؤسا وآخر هذه فذو دعاء عريض أى فهو ذو دعاء بازالة الشر عنه وكشف ضره والعرب تكنى بالطول والعرض عن الكثرة يقال أطال فلان فى الكلام وأعرض فى الدعاء اذا أكثر أى مد وتضرع واستغاث وذكر تعالى فى هذه الآية نوعا من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمته أبطرته النعمة واذا مسه الشر ابتهل الى الله تعالى وتضرع ﴿ قل أرأيتم ان كان ﴾ أى القرآن ﴿ من عند الله ﴾ أبرزه فى صورة الاحتمال وهو من عند الله بلا شك ولكنه تنزل معهم فى الخطاب والضمير فى أرأيتم لكفار قريش من أضل من مبتدأ وأضل خبره والمعنى لا أحد أضل وهو من موضع المفعول الثانى لأرأيتم ثم توعدهم بما هو كائن لا محالة فقال ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق ﴾ فقيل هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الأقطار حول مكة وفى غير ذلك من الارض كخيبر ﴿ وفى أنفسهم ﴾ أراد به فتح مكة وتضمن ذلك الاخبار بالغيب ووقع كما أخبر وبربك الباء زائدة التقدير أولم يكفك أو يكفهم ربك ﴿ وانه على كل شئ شهيد ﴾ بدل من ربك أما حالة كونه مجرورا بالباء فيكون بدلا على اللفظ وأما حالة مراعاة الموضع فيكون بدلا على الموضع ﴿ فى مرية ﴾

وابن هرمز عم بكسر الميم وتنوينه * وقال يعقوب القارئ وأبو حاتم لا ندرى نونوا أم قصوا الياء على أنه فعل ماض وبغير تنوين رواها عمرو بن دينار وسليمان بن قتيبة عن ابن عباس والظاهر أن الضمير فى وهو عليهم عائد على القرآن وقيل يعود على الوقر أولئك اشارة الى الذين لا يؤمنون ومن جعله خبر الان الذين كفروا كانت الاشارة اليهم ينادون من مكان بعيد قيل هو حقيقة * قال الضحاك ينادون بكفرهم وقبح أعمالهم بأقبح أسمائهم من بعد حتى يسمع ذلك أهل الموقف فتعظم السمعة عليهم ويحل المصاب * وقال على ومجاهد استعارة لقلة فهمهم شبههم بالرجل ينادى من بعد فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه * وحكى أهل اللغة أنه يقال للذى لا يفهم أنت تنادى من بعيد أى كأنه ينادى من موضع بعيد فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه * وحكى النقاش كأنما ينادون من السماء * ولقد آتينا موسى الكتاب تسلية للرسول فى كون قومه اضطربوا فيما جاء به من الذكر فذكر أن موسى عليه السلام أوتى الكتاب وهو التوراة فاختلف فيه وتقدم شرح هذه الآية فى أواخر سورة هود عليه السلام والكلام على نظير وما ربك بظلام للعبيد فى قوله فى سورة الحج وان الله ليس بظلام للعبيد ﴿ إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد * وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص * لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس قنوط * ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ * واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض * قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد * سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد * ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط ﴾ لما ذكر تعالى من عمل صالحا الآية كان فى ذلك

دلالة على الجزاء يوم القيامة وكأن سائلا قال ومتى ذلك فقيل لا يعلمها الا الله ومن سئل عنها فليس عنده علم بتعين وقتها وانما رد ذلك الى الله ثم ذكر سعة علمه وتعلقه بما لا يعلمه إلا هو تعالى وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحسن بخلاف عنه ونافع وابن عامر فى غير رواية أى جلية والمفضل وحفص وابن مقسم من ثمرات على الجمع * وقرأ باقى السبعة والحسن فى رواية طلحة والأعمش بالافراد ولما كان ما يخرج من أكمام الشجرة وما تحمل الاناث وتضعه هو ايجاد أشياء بعد العدم ناسب أن يذكر مع علم الساعة إذ فى ذلك دليل على البعث إذ هو إعادة بعد إعدام وناسب ذكر أحوال المشركين فى ذلك اليوم وسؤالهم سؤال التوبيخ فقال ويوم يناديهم أين شركائى أى الذين نسبتموهم الى وزعمتم أنهم شركائى وفى ذلك تهكم بهم وتقريع والضمير فى يناديهم عام فى كل من عبد غير الله فيندرج فيه عباد الأوثان * قالوا آذناك أى أعلمناك قال الشاعر

آذنتنا ببينها أسماء * رب ثاو يمل منه الثواء

وقال ابن عباس أسمعناك كأنه استبعد الاعلام لله لان أهل القيامة يعلمون أن الله يعلم الأشياء علما واجبا فالاعلام فى حقه محال والظاهر أن الضمير فى قالوا عائد على المنادين لانهم المحدث معهم ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا وسمعنا يشهد أن لك شريكا بل نحن موحدون لك وما منا أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها فى ساعة التوبيخ وقيل الضمير فى قالوا عائد على الشركاء أى قالت الشركاء ما منا من شهيد بما أضافوا الينا من الشرك وآذناك معلق لانه بمعنى الاعلام والجملة من قوله ما منا من شهيد فى موضع المفعول وفى تعليق باب أعلم رأيا خلافه والصحيح انه مسموع من كلام العرب والظاهر أن قولهم آذناك انشاء كقولك أقسمت لأضربن زيدا وان كان اخبارا سابقا فتكون اعادة السؤال توبيخا لهم * وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل أى نسوا ما كانوا يقولون فى الدنيا ويدعون من الآلهة أو وضل عنهم أى تلفت أصنامهم وتلاشت فلم يجدوا منها نصرا ولا شفاعة وظنوا أى أيقنوا * قال السدى مالهم من محيص أى من حيدة وروغ من العذاب والظاهر أن ظنوا معلقة والجملة المنفية فى موضع مفعولى ظنوا وقيل تم الكلام عند قوله وظنوا أى وترجح عندهم أن قولهم ما منا من شهيد منجاة لهم أو أمر يموهون به والجملة بعد ذلك مستأنفة أى يكون لهم منجا أو موضع روغان * لا يسأم الانسان من دعاء الخير هذه الآيات نزلت فى كفار قيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عتبة بن ربيعة وكثير من المسلمين يتصفون بوصف أولها من دعاء الخير أى من طلب السعة والنعمة ودعاء مصدر مضاف للمفعول * وقرأ عبد الله من دعاء بالخير بباء داخلة على الخير وفاعل المصدر محذوف تقديره من دعائه الخير وهو وان مسه الشر أى الفقر والضيق * فيؤس أى فهو يؤوس قنوط وأتى بهما صيغتى مبالغة واليأس من صفة القلب وهو أن يقطع رجاءه من الخير والقنوط أن يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل وينكسر وبدأ بصيغة القلب لأنها هى المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار * ولئن أذقناه رحمة منا سمى النعمة رحمة إذ هى من آثار رحمة الله * من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى أى بسعيى واجتهادى ولا يراها أنها من الله أو هذا لى لا يزول عنى * وما أظن الساعة قائمة أى طماعية لنا لا انبعث وأن ما جاءت به الرسل من ذلك ليس بواقع كما قال تعالى حكاية عنهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين * ولئن رجعت إلى ربى ولئن كان كما أخبرت الرسل ان لى عنده أى عند الله للحسنى أى الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة كما أنعم على فى الدنيا وأكد ذلك باليمين وبتقديم لى عنده على اسم ان وتدخل لام التأكيد

أى فى شك وقرئ بضم الميم وكسرها واحاطته تعالى بالاشياء علمه بها جملة وتفصيلا فهو يجازيهم على كفرهم

عليه أيضا و بصيغة الحسنى يؤنث الأحسن الذى هو أفعل التفضيل ولم يقولوا المحسنة أى الحالة الحسنة * وقال الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم للكافر أمنيتان أما فى الدنيا فهذه ان لى عنده للحسنى وأما فى الآخرة فياليتنى كنت ترابا * فلننبئن الذين كفروا بما عملوا من الافعال السيئة وذلك كناية عن جزائهم بأعمالهم السيئة * ولنذيقنهم من عذاب غليظ فى مقابلة إن لى عنده للحسنى وكنى بغليظ العذاب عن شدته * واذا أنعمنا تقدم الكلام على نظير هذه الجملة فى سبحان إلا أن فى أواخر تلك كان يؤوسا وآخر هذه فذو دعاء عريض أى فهو ذو دعاء بازالة الشر عنه وكشف ضره والعرب تستعمل الطول والعرض فى الكثرة يقال أطال فلان فى الظلم وأعرض فى الدعاء اذا كثر أى فذو تضرع واستغاثة وذكر تعالى فى هذه الآية نوعا من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة واذا مسه الشر ابتهل الى الله وتضرع * قل أرأيتم ان كان أى القرآن من عند الله أبرزه فى صورة الاحتمال وهو من عند الله بلاشك ولكنه تنزل معهم فى الخطاب والضمير فى أرأيتم لكفار قريش وتقدم أن معنى أرأيتم أخبرونى عن حالكم ان كان هذا القرآن من عند الله وكفرتم به وشاققتم فى اتباعه من أضل منكم اذ أنتم المشاقون فيه والمعرضون عنه والمستهزؤن بآيات الله وتقدم أن أرأيتم هذه تتعدى الى مفعول مذكور أو محذوف والى ثان الغالب فيه أن يكون جملة استفهامية فالمفعول الاول محذوف تقديره أرأيتم أنفسكم والثانى هو جملة الاستفهام اذ معناه من أضل منكم أيها الكفار اذ ما لكم الى الهلاك فى الدنيا والآخرة ثم توعدهم بما هو كائن لا محالة فقال سنريهم آياتنا فى الآفاق * قال ابو المنهال والسدى وجماعة هو وعيد للكفار بما يفتحه الله على رسوله من الاقطار حول مكة وفى غير ذلك من الأرض كخيبر * وفى أنفسهم أراد به فتح مكة وتضمن ذلك الاخبار بالغيب ووقع كما أخبر * وقال الضحاك وقتادة فى الآفاق ما أصاب الأمم المكذبة فى أقطار الأرض قديما وفى أنفسهم يوم بدر * وقال عطاء وابن زيد فى آفاق السماء وأراد الآيات فى الشمس والقمر والرياح وغير ذلك وفى أنفسهم عبرة الانسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته وتدريجه فى البطن ونحو ذلك ونبوا بهذين القولين عن لفظ سنريهم لان هلاك الأمم المكذبة قديما وآيات الشمس والقمر وغير ذلك قد كان ذلك كله مرئيا لهم فالقول الأول أرجح وأخذ الزمخشرى هذا القول وذيله فقال يعنى ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده وأنصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفى ناحية العرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر أمثالها لأحد من خلق الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة عن المعهود خارقة للعادة ونشر دعوة الاسلام فى الاقطار المعمورة وبسط دولته فى أقاصيها والاستقراء يطلعك فى التواريخ والكتب المدونة فى مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لاترى وقعة من وقائعهم الا علما من أعلام الله وآية من آياته تقوى معها النفس ويزداد بها الايمان ويتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر خبيث مغالط نفسه انتهى ما كتبناه مقتصرا عليه * حتى يتبين لهم أنه أى القرآن وما تضمنه من الشرع هو الحق إذ وقع وفق ما أخبر به من الغيب و بربك الباء زائدة التقدير أولم يكفك أو يكفهم ربك وانه على كل شئ شهيد بدل من ربك أما حالة كونه مجرورا بالباء فيكون بدلا على اللفظ وأما حالة مراعاة الموضع فيكون بدلا على الموضع وقيل إنه على اضمار الحرف أى أو لم يكف ربك بشهادته فحذف الحرف وموضع

أن على الخلاف أهو في موضع نصب أو في موضع جر ويبعد قول من جعل بربك في موضع نصب وفاعل يكف أنه على كل شيء شهيد والتقدير أولم يكف ربك شهادته وقرئ إن بكسر الهمزة على إضمار القول وألا استفتاح تنبه السامع على ما يقال * وقرأ السلمي والحسن في مرية بضم الميم وإحاطته تعالى بالأشياء علمه بها جملة وتفصيلا فهو يجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم

﴿ سورة الشورى ثلاث وخمسون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حمعسق كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم * له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم * تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل * وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير * أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب * فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم * شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب * وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير * والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد * الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد * الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز * من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب * أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم * ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور * أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون * ويستجيب

﴿سورة الشورى﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿حمعسق﴾ الآية قال ابن عباس هذه السورة مكية الا أربع آيات من قوله قل لا أسألكم الى آخر الأربع الآيات * ومناسبتها لآخر ماقبلها انه قال قل أرأيتم وكان فى ذلك الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا ﴿كذلك﴾ أى مثل الايحاء السابق فى القرآن الذى كفر به هؤلاء ﴿يوحى اليك﴾ أى ان وحيه تعالى اليك متصل غير منقطع يتعهدك به وقتا بعد وقت وقرئ يوحى مبنيا للفاعل والجلالة فاعل وقرئ يوحى مبنيا للمفعول والجار والمجرور فى موضع المفعول الذى لم يسم فاعله والجلالة فاعل بفعل محذوف تقديره يوحى الله ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أى أصناما وأوثانا ﴿الله حفيظ عليهم﴾ أعمالهم فيجازيهم عليها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أى بمفوض اليك أمرهم ولا قائما وما فى هذا من الموادعة منسوخ بآية السيف ﴿وكذلك﴾ أى مثل هذا الايحاء والقضاء انك لست بوكيل عليهم ﴿أوحينا اليك قرآنا عربيا﴾ والظاهر أن قرآنا مفعول أوحينا وقال الزمخشرى الكاف مفعول به لأوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى لا لبس فيه عليك اذ نزل بلسانك انتهى فاستعمل الكاف اسما فى الكلام وهو مذهب الأخفش لتنذر أم القرى أى بسبب ايحائنا اليك هو الانذار ولا تكلف غيره وأم القرى مكة ولذلك عطف عليها ومن حولها والمفعول الثانى محذوف ﴿ومن حولها﴾ هم العرب ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ والمفعول الأول محذوف والثانى هو يوم الجمع أى اجتماع الخلائق والمنذر به هو مايقع فى يوم الجمع من الجزاء وانقسام الجمع الى الفريقين واجتماع الأرواح بالأجساد وأهل الأرض بأهل السماء والناس بأعمالهم ﴿يذرؤكم﴾ يقال ذرأ الله الخلق أى بثهم وكثرهم وقال ابن عباس يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها والضمير فى فيه عائد على الجعل أى يبثكم ويكثركم فى الجعل ﴿ليس كمثله شئ﴾ تقول العرب مثلك لا يفعل هذا بمعنى أنت لا تفعل هذا فيكون المعنى فى الآية ليس كهو أى كالله شئ وخرج على ان الكاف زائدة فكأنه قيل ليس شئ يماثل الله تعالى

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير * وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد * ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير * وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير * وما أنتم بمعجزين فى الأرض ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير * ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ * ركد الشئ ثبت فى مكانه وقد قال الشاعر

وقد ركدت وسط السماء نجومها * ركودا بوارى الربرب المتفرق

﴿حمعسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم * له مافى السموات ومافى الأرض وهو العلى العظيم * تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل * وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون مالهم من ولى ولا نصير * أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير * وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب * فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شئ عليم﴾ هذه السورة مكية فى قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر * وقال ابن عباس مكية الا أربع آيات من قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى الى آخر الأربع آيات فانها نزلت بالمدينة * وقال مقاتل فيها مدنى قوله ذلك الذى يبشر الله عباده الى الصدور * ومناسبة أول السورة لآخر ماقبلها أنه قال قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية وكان فى ذلك الحكم عليهم بالضلال لما كفروا به قال هنا كذلك أى مثل الايحاء السابق فى القرآن الذى كفر به هؤلاء يوحى اليك أى ان وحيه تعالى اليك متصل غير منقطع يتعهدك وقتا بعد وقت وذكر المفسرون فى حمعسق أقوالا مضطربة لا يصح منها شئ كعادتهم فى هذه الفواتح ضربنا عن ذكرها صفحا * وقرأ الجمهور يوحى مبنيا للفاعل وأبو حيوة والأعشى عن أبى بكر وابان نوحى

بنون العظمة ومجاهد وابن وكثير وعباس ومحبوب كلاهما عن أبي عمرو يوحي مبنيا للمفعول والله مرفوع بمضمر تقديره أوحي أو بالابتداء التقدير الله العزيز الحكيم الموحي وعلى قراءة نوحي بالنون يكون الله العزيز الحكيم مبتدأ وخبرا ويوحي إما في معنى أوجب حتى ينتظم قوله والى الذين من قبلك أو يقر أعلى موضوعه ويضمر عامل يتعلق به الى الذين تقديره وأوحى الى الذين من قبلك وتقدم الكلام على تكاد السموات يتفطرن في سورة مريم قراءة وتفسيرا * وقال الزمخشري وروى يونس عن أبي عمرو وقراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن انتهى والظاهر أن هذا وهم من الزمخشري في النقل لان ابن خالويه ذكر في شواذ القراآت له مانصه تفطرن بالتاء والنون يونس عن أبي عمرو * وقال ابن خالويه هذا حرف نادر لان العرب لاتجمع بين علامتي التأنيث لايقال النساء تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن قد كان أبو عمر الزاهد روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن فأنكرناه فقد قواه لان هذا كلام ابن خالويه فان كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم وان كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ وكذلك كتبهم تتفطرن وتتشممن بتاءين والظاهر عود الضمير في فوقهن على السموات * قال ابن عطية من أعلاهن * وقال الزمخشري ينفطرن من علو شأن الله تعالى وعظمته ويدل عليه مجيئه بعد العلي العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه (فان قلت) لم قال من فوقهن (قلت) لان أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش ومالا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال ينفطرن من فوقهن أي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية * وقال جماعة منهم الحوفي في قال من فوقهن والهاء والنون كناية عن الارضين انتهى من فوقهن متعلق بيتفطرن ويدل على هذا القول ذكر الارض قبل * وقال علي بن سليمان الاخفش الضمير للكفار والمعنى من فوق الفرق والجماعات الملحدة أي من أجل أقوالها انتهى فهذه الآية كالذي في سورة مريم واستبعد مكي هذا القول قال لايجوز في الذكور من بني آدم يعني ضمير المؤنث والاستشعار ماذكره مكي * قال علي بن سليمان من فوق الفرق والجماعات وظاهر الملائكة العموم * وقال مقاتل حملة العرش والتسبيح قيل قولهم سبحان الله وقيل بحمده والظاهر في يستغفرون طلب الغفران ولاهل الارض عام مخصوص بقوله ويستغفرون للذين آمنوا قاله السدي وقيل عام ومعنى الاستغفار طلب الهداية المؤدية الى المغفرة كأنهم يقولون اللهم اهد أهل الارض فاغفر لهم ويدل عليه وصفه بالغفران والرحمة والاستفتاح * وقال الزمخشري ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار لهم طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الى أن قال انه كان حليما غفورا وقوله وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لايعاجلهم بالانتقام فيكون عاما انتهى وتكلم أبو عبد الله الرازي في قوله تكاد السموات كلاما خارجا عن مناحي مفهومات العرب منتزعا من كلام الفلاسفة ومن جرى مجراهم يوقف على ذلك في كتابه * والذين اتخذوا من دونه أولياء أي أصناما وأوثانا الله حفيظ عليهم أي على أعمالهم ومجازيهم عليها وما أنت عليهم بوكيل أي بمفوض اليك أمرهم ولاقائم وما في هذا من الموادعة منسوخ بآية السيف * وكذلك أي ومثل هذا الايحاء والقضاء انك لست بوكيل عليهم أوحينا اليك قرآنا عربيا

ويجوز أن يكون مثل بمعنى الصفة فتكون الكاف باقية على تشبيها أي ليس كصفته شئ من الصفات *

(الدر)

﴿ سورة حم عسق ﴾

(ش) وروى يونس عن أبي عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن انتهى (ح) الظاهر ان هذا وهم من (ش) في النقل لان ابن خالويه ذكر في كتاب شواذ القراآت له مانصه تفطرن بالتاء والنون يونس عن أبي عمرو وقال ابن خالويه هذا حرف نادر لان العرب لاتجمع بين علامتي التأنيث لايقال النساء تقمن ولكن يقمن والوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن وقد كان أبو عمر الزاهد روى في نوادر ابن الاعرابي الابل تتشممن فأنكرناه فقد قواه الآن هذا انتهى كلام ابن خالويه فان كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم وان كان في بعضها بتاء مع النون كان موافقا لقول ابن خالويه وكان بتاءين تحريفا من النساخ وكذلك تتفطرن وتتشممن بتاءين

والظاهر أن قرآنا مفعول أوحينا * وقال الزمخشري الكاف مفعول به أي أوحيناه اليك وهو قرآن عربي لا لبس فيه عليك إذ نزل بلسانك انتهى فاستعمل الكاف اسما في الكلام وهو مذهب الأخفش * لتنذر أم القرى مكة أي أهل أم القرى وكذلك المفعول الاول محذوف والثاني هو يوم الجمع أي اجتماع الخلائق والمنذر به هو ما يقع في يوم الجمع من الجزاء وانقسام الجمع الى الفريقين أو اجتماع الأرواح بالأجساد أو أهل الأرض بأهل السماء أو الناس بأعمالهم أقوال أربعة لينذر بياء الغيبة أي لينذر القرآن لا ريب فيه أي لا شك في وقوعه * وقال الزمخشري لا ريب فيه اعتراض لا محالة انتهى ولا يظهر انه اعتراض أعني صناعيا لانه لم يقع بين طالب ومطلوب * وقرأ الجمهور فريق بالرفع فيهما أي هم فريق أو منهم فريق * وقرأ زيد بن علي بنصبهما أي افترقوا فريقا في كذا وفريقا في كذا ويدل على الافتراق الاجتماع المفهوم من يوم الجمع * ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة يعني من إيمان أو كفر قال معناه الضحاك وهو قول أهل السنة وذلك تسلية للرسول كما كان يقاسيه من كفر قومه وتوقيف على أن ذلك راجع الى مشيئته ولكن من سبقت له السعادة أدخله في رحمته * وقال الزمخشري لجعلهم أمة واحدة أي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وذكر ما طنه استدلالا على ذلك وهو على طريق الاعتزال * وقال أنس بن مالك في رحمته في دين الاسلام * أم اتخذوا من دونه أولياء أم بمعنى بل للانتقال من كلام الى كلام والهمزة للانكار عليهم اتخاذ أولياء من دون الله * وقيل أم بمعنى الهمزة فقط وتقدم الكلام على مثل هذا حيث جاءت أم المنقطعة والمعنى اتخذوا أولياء دون الله وليسوا بأولياء حقيقة فالله هو الولي والذي يجب أن يتولى وحده لا ما لا يضر ولا ينفع من أوليائهم ولما أخبر أنه هو الولي عطف عليه هذا الفعل الغريب الذي لا يقدر عليه غيره وهو احياء الموتى ولما ذكر هذا الوصف ذكر قدرته على كل شئ تتعلق ارادته به * وقال الزمخشري في قوله فالله هو الولي والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه وان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه انتهى ولا حاجة الى تقدير شرط محذوف والكلام يتم بدونه * وما اختلفتم فيه من شئ هذا حكاية لقول الرسول أي ما اختلفتم فيه أيها الناس من تكذيب أو تصديق وايمان وكفر وغير ذلك فالحكم فيه والمجازاة عليه ليس ذلك إلا الى الله لا إليّ ولفظة من شئ تدل على العموم * وقيل من شئ من الخصومات فتحا كموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله وان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول * وقيل من شئ من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى آي المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقيل ما وقع منكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح * وقال الزمخشري أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين * ذلكم الحاكم بينكم هو ربي عليه توكلت في رد كيد أعداء الدين واليه أرجع في كفاية شرهم انتهى * وقرأ الجمهور فاطر بالرفع أي هو فاطر أو خبر بعد خبر كقوله ذلكم * وقرأ زيد بن علي فاطر بالجر صفة لقوله الى الله والجملة بعدها اعتراض بين الصفة والموصوف * جعل لكم من أنفسكم أي من جنس أنفسكم أي

(الدر)

(ش) لا ريب فيه اعتراض لا محل له انتهى (ح) لا يظهر أنه اعتراض أعني صناعيا لانه لم يقع بين طالب ومطلوب انتهى (ش) والفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه انتهى (ح) لا حاجة الى اعتقاد شرط محذوف والكلام يتم بدونه

آدميات أزواجا اناثا أوجعل الخلق لأبينا آدم من ضلعه حواء زوجا له خلقا الناو من الأنعام أزواجا أي أنواعا كثيرة ذكورا واناثا أو أزواجا اناثا * يذرؤكم فيه قال ابن عباس أي يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها * وقال ابن زيد يرزقكم فيه وهو قريب من القول قبله * وقال مجاهد يخلقكم في بطون الاناث * وقال ابن زيد أيضا يذرأكم فيما خلق من السموات والأرض * وقال الزجاج يكثركم به أي فيه أي يكثركم في خلقكم أزواجا * وقال علي بن سليمان ينقلكم من حال الى حال * وقال ابن عطية الضمير في فيه للجعل أي يخلقكم ويكثركم في الجعل كما تقول كلمت زيدا كلاما أكرمته فيه قال ولفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان * وقال الزمخشري يذرؤكم يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذرء والذرو والذرواء أخوات في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والأنعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والأنعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغير مما لا يعقل وهي من الأحكام ذات العلتين انتهى وقوله وهي من الاحكام ذات العلتين اصطلاح غريب ويعني أن الخطاب يغلب على الغيبة اذا اجتمعا فتقول أنت وزيد تقومان والعاقل يغلب على غير العاقل اذا اجتمعا فتقول الحيوان وغيرهم يسبحون خالقهم * قال الزمخشري (فان قلت) ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير ألا ترى لك تقول للحيوان في خلق الارواح تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة انتهى * ليس كمثله شئ تقول العرب مثلك لا يفعل كذا يريدون به المخاطب كأنهم اذا نفوا الوصف عن مثل الشخص كان نفيا عن الشخص وهو من باب المبالغة ومثل الآية قول أوس بن حجر

ليس كمثل الفتى زهير * خلق يواريه في الفضائل

﴿ وقال آخر ﴾

وقتلى كمثل جذوع النخيل تغشاهم مسبل منهمر

﴿ وقال آخر ﴾

سعد بن زيد اذا أبصرت فضلهم * ما إن كمثلهم في الناس من أحد

فجرت الآية في ذلك على نهج كلام العرب من اطلاق المثل على نفس الشئ وما ذهب اليه الطبري وغيره من أن مثلا زائدة للتوكيد كالكاف في قوله * فأصبحت مثل كعصف مأكول * وقوله * وصاليات ككما يؤثفين * ليس بجيد لان مثلا اسم والاسماء لا تراد بخلاف الكاف فانها حرف فتصلح للزيادة ونظير نسبة المثل الى من لا مثل له قولك فلان يده مبسوطة تريد انه جواد ولا نظير له في الحقيقة الى اليد حتى تقول ذلك لمن لا يد له كقوله بل يداه مبسوطتان فكما جعلت ذلك كناية عن الجود فيمن لا يد له فكذلك جعلت المثل كناية عن الذات في من لا مثل له ويحتمل أيضا أن يراد بالمثل الصفة وذلك سائغ يطلق المثل بمعنى المثل وهو الصفة فيكون المعنى ليس مثل صفته تعالى شئ من الصفات التي لغيره وهذا محمل سهل والوجه الاول أعوص * قال ابن قتيبة العرب تقيم المثل مقام النفس فيقول مثلي لا يقال له هذا أي أنا لا يقال لي هذا انتهى فقد صار ذلك كناية عن الذات فلا فرق بين قولك ليس كالله شئ أو ليس كمثل الله شئ وقد أجمع المفسرون على أن الكاف والمثل يراد بهما موضوعهما الحقيقي من أن كلا منهما يراد به التشبيه وذلك محال لان فيه اثبات مثل لله

﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ﴾ الآية لما كان نوح عليه السلام أول الرسل وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ثم اتبع ذلك ماوصى به ابراهيم اذ كان أبا العرب وفى ذلك هزلهم وبعث على اتباع طريقته وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين لانهما اللذان كان أتباعهما موجودين فى زمان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشرائع متفقة فى العقائد وفى كثير من الأحكام كتحريم الزنا والقتل بغير حق والشرائع مشتملة على عقائد وأحكام ويقال ان نوحا عليه السلام أول من أتى بتحريم البنات والامهات وذوات المحارم ومعنى شرع اختار ويحتمل أن تكون أن مفسرة لأن ماقبلها هو بمعنى القول فلاموضع لها من الاعراب وأن تكون مصدرية فتكون فى موضع نصب على البدل من ما وماعطف عليها ثم نهى عن التفرق فيه لأن التفرق سبب الهلاك والاجتماع والألفة سبب النجاة ﴿ كبر على المشركين ﴾ أى عظم وشق وما على بكبر ﴿ وماتفرقوا ﴾ قال ابن عباس يعنى قريشا والعلم محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون أن يبعث اليهم نبى كما قال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير يريدون نبيا وقيل الضمير يعود على أمم الأنبياء جاءهم العلم فطال عليهم الامد فا من قوم وكفر قوم ﴿ ولولا كلمة ﴾ أى عدة التأخير الى يوم القيامة فحينئذ يقع الجزاء ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى لجوزوا بأعمالهم فى الدنيا ﴿ وان الذين أورثوا الكتاب ﴾ هم بقية أهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من بعدهم ﴾ أى من بعد أسلافهم أوهم المشركون أورثوا القرآن من بعدما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل ﴿ وأمرت لاعدل بينكم ﴾ فى ايصال ماأمرت به اليكم لاأخص شخصا بشئ دون شخص الشريعة واحدة والاحكام مشترك فيها ﴿ لاحجة بيننا وبينكم ﴾ أى قد وضحت الحجج وقامت البراهين وأنتم محجوجون فلاحاجة الى اظهار حجة بعد ذلك ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ أى يوم القيامة فيفصل بيننا ومايظهر فى هذه الآية من الموادعة منسوخ بآية السيف ﴿ والذين يحاجون فى الله ﴾ أى يخاصمون فى دينه قال ابن عباس ومجاهد نزلت فى طائفة من بنى اسرائيل همت برد الناس عن الاسلام واضلالهم ومحاجتهم بان قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فديننا أفضل فنزلت الآية فى ذلك ﴿ حجتهم داحضة ﴾ أى باطلة لاثبوت لها * ولماذكر تعالى لرزق ذكر حديث الكسب ولما كان الحرث فى الارض أصلا من أصول المكاسب استعير لكل مكسب أريد به النماء والفائدة فى قوله ﴿ من كان يريد حرث الآخرة ﴾ أى من كان يريد عمل الآخرة ويسعى لها سعيها ﴿ نزد له فى حرثه ﴾ أى فى جزاء حرثه من تضعيف الحسنات ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ﴾ لأنه لم يعمل للآخرة شيأ فالجملة الاولى وعد منجز والثانية مقيدة بمشيئته تعالى لمن يشاء وجاء فعل الشرط ماضيا والجواب مجزوما كقوله من كان يريد الحياة الدنيا ولا نعلم خلافا فى جواز الجزم وانه فصيح مختار الاماذكره صاحب كتاب الاعراب وهو أبو الحكم بن عذرة عن بعض النحويين أنه لايجئ فى الكلام الفصيح وانما يجئ مع ما كان لأنها أصل الأفعال ولايجئ مع غيرها من الافعال ونص كلام سيبويه والجماعة انه لايختص ذلك بكان بل سائر الأفعال فى ذلك مثلها وأنشد سيبويه قول الفرزدق *

تعالى وهو محال وهو السميع لأقوال الخلق البصير لأعمالهم وتقدم تفسير له مقاليد السموات والأرض فى سورة الزمر وقرئ ويقدر أى يضيق * إنه بكل شئ عليم أى يوسع لمن يشاء ويضيق على من يشاء * وقال الزمخشرى فاذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه والا أفقره انتهى وفيه دسيسة الاعتزال ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب * وماتفرقوا الامن بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب * فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولاتتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لاعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لاحجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير * والذين يحاجون فى الله من بعد مااستجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد * الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ومايدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لايؤمنون والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق الاإن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد * الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز * من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب ﴾ لما عدد تعالى نعمه عليهم

الخاصة أتبعه بذكر نعمه العامة وهو ماشرع لهم من العقائد المتفق عليها من توحيد الله وطاعته والايمان برسله وبكتبه وباليوم الآخر والجزاء فيه ولما كان أول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك ثم أتبع ذلك ماوصى به ابراهيم اذ كان أبا العرب ففى ذلك هز لهم وبعث على اتباع طريقته وموسى وعيسى صلوات الله عليهم لأنهما هما اللذان كان أتباعهما موجودين زمان بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشرائع متفقة فيما ذكرنا من العقائد وفى كثير من الأحكام كتحريم الزنا والقتل بغير حق والشرائع مشتملة على عقائد وأحكام ويقال ان نوحا أول من أتى بتحريم البنات والأمهات وذوات المحارم * وقال ابن عباس اختار ويحتمل أن تكون أن مفسرة لان قبلها ماهو بمعنى القول فلا موضع لها من الاعراب وأن تكون أن المصدرية فتكون فى موضع نصب على البدل من ما وماعطف عليها أوفى موضع رفع أى ذلك أوهو اقامة الدين وهو توحيد الله ومايتبعه ممالابد من اعتقاده ثم نهى عن التفرقة فيه لان التفرق سبب للهلاك والاجتماع والألفة سبب للنجاة * كبر عن المشركين أى عظم وشق ماتدعوهم اليه من توحيد الله وترك عبادة الأصنام واقامة الدين * الله يجتبى يجتلب ويجمع اليه من يشاء هدايته وهذا تسلية للرسول وقيل يجتبى فيجعله رسولا الى عباده ويهدى اليه من ينيب يرجع الى طاعته عن كفره * وقال الزمخشرى من يشاء من ينفع فيهم توفيقه ويجرى عليهم لطفه انتهى وفيه دسيسة الاعتزال * وقال الحافظ أبو بكر بن العربى لم يكن مع آدم عليه السلام الا بنوه ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم وانما كان منبها على بعض الأمور مقتصرا على ضرورات المعاش واستمر المدى الى نوح فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الأدب فى الديانات ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالانبياء واحدا بعد واحد وشريعة إثر شريعة حتى ختمه الله بخير الملل على لسان أكرم الرسل فكان المعنى أوصيناك يامحمد ونوحا دينا واحدا فى الأصول التى لاتختلف فيها الشرائع وهى التوحيد والصلاة والزكاة والحج والتقرب بصالح الأعمال والصدق والوفاء بالعهد وأداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكبر والزنا والاذاية للخلق كيفما تصرفت والاعتداء على الحيوان واقتحام الدناآت ومايعود بخرم المروآت فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم يختلف على ألسنة الأنبياء وان اختلفت أعدادهم وذلك قوله أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه أى اجعلوه قائما يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب انتهى * وقال مجاهد لم يبعث نبى الا أمر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار بالله وطاعته فهو اقامة الدين * وقال أبو العالية اقامة الدين الاخلاص لله وعبادته ولاتتفرقوا فيه قال أبو العالية لاتتعادوا فيه * وقال مقاتل معناه لاتختلفوا فان كل نبى مصدق وقيل لاتتفرقوا فيه فتؤمنوا ببعض الرسل وتكفروا ببعض * وماتفرقوا قال ابن عباس يعنى قريشا والعلم محمد عليه الصلاة والسلام وكانوا يتمنون أن يبعث اليهم نبى كما قال وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير يريدون نبيا وقيل الضمير يعود على أمم الأنبياء جاءهم العلم فطال عليهم الامد فآمن قوم وكفر قوم * وقال ابن عباس أيضا عائد على أهل الكتاب والمشركين دليله وماتفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة قال المشركون لم خص بالنبوة واليهود والنصارى حسدوه * ولولا كلمة أى عدة التأخر الى يوم القيامة فحينئذ يقع الجزاء لقضى بينهم لجوزوا بأعمالهم فى الدنيا لكنه قضى أن ذلك لايكون الا فى الآخرة * وقال الزجاج الكلمة قوله بل الساعة موعدهم * وان الذين أورثوا

دست رسولا بان القوم
ان قدروا
عليك يشغوا صدوراذات
توغير

لك السفن رواكد أو يهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف و يعف على هذا لان المعنى يصيران شاء يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الاخبار عن الغيوب عن شرط المشيئة فهو اذن عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم و يعفو بالرفع وهي جيدة في المعنى انتهى وما قاله ليس بجيد اذلم يفهم مدلول التركيب والمعنى انه تعالى ان يشأ أهلك ناسا وأنجى ناسا على طريق العفو عنهم * وقال الزمخشري (فان قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها انتهى ولا يتعين أن يكون التقدير أو يعصفها فيغرقن لان إهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل أو انكسار اللوح يكون سببا لاهلاكها أو يعرض عدو يهلك أهلها *وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة ونافع وابن عامر وزيد بن علي ويعلم بالرفع على القطع *وقرأ الجمهور و يعلم بالنصب قال أبو علي وحسن النصب اذا كان قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب *وقال الزجاج على اضمار أن لان قبلها جزاء تقول ماتصنع اصنع مثله وأكرمك وان أشئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما * قال الزمخشري فيه نظر لما أورده سيبويه في كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو في قوله ان تأتني آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله * وألحق بالحجاز فاستريحا * فهذا لا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء صار أقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا أن يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه * قال الزمخشري ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة انتهى وخرج الزمخشري النصب على أنه معطوف على تعليل محذوف قال تقديره لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون يكره في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعلك آية للناس وقوله خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت انتهى و يبعد تقديره لينتقم منهم لانه ترتب على الشرط اهلاك قوم فلا يحسن لينتقم منهم وأما الآيتان فيمكن أن تكون اللام متعلقة بفعل محذوف أي ولنجعله آية للناس ولتجزى كل نفس بما كسبت فعلنا ذلك وكثيرا مايقدر هذا الفعل محذوفا قبل لام العلة اذا لم يكن فعل ظاهر يتعلق به * وذكر الزمخشري أن قوله تعالى ويعلم قرئ بالجزم (فان قلت) فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم (قلت) كأنه قال أو ان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين لان قوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص يتضمن تحذيرهم من عقاب الله ومالهم من محيص في موضع نصب لان يعلم معلقة كقولك علمت مازيد قائم * وقال ابن عطية في قراءة النصب وهذه الواو ونحوها التي تسميها الكوفيون واو الصرف لان حقيقة واو الصرف التي يريدونها عطف فعل على اسم مقدر فيقدر أن ليكون مع الفعل بتأويل المصدر فيحسن عطفه على الاسم انتهى وليس قوله تعليلا لقولهم واو الصرف انما هو تقرير لمذهب البصريين وأما الكوفيون فان واو الصرف ناصبة بنفسها لا باضمار أن بعدها * وقال أبو عبيد على الصرف كالذي في آل عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومعنى الصرف انه كان على جهة فصرف الى غيرها فتغير الاعراب لأجل الصرف والعطف لا يعين الاقتران في الوجود كالعطف في الاسم نحو جاء زيد وعمرو ولو نصب وعمرو اقتضى الاقتران

(ش) فان قلت علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن الريح لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها انتهى (ح) لا يتعين أن يكون التقدير أو يعصفن فيغرقن لان اهلاك السفن لا يتعين أن يكون بعصف الريح بل قد يهلكها تعالى بسبب غير الريح كنزول سطحها بكثرة الثقل أو انكسار لوح يكون سببا لاهلاكها أو تعرض عدو يهلك أهلها (ك) ماذكره (ش) فيه مناسبة ظاهرة تكاد تعينه وان كان اهلاكها قد يكون بغيره كما ذكره (ش) الا أن نجاة السفن لما كانت باجراء الريح طيبة وكان اسكانها سببا لركودها كان المناسب لتقدير سبب الهلاك هو العصف كما قدره (ش) لا غيره فاعرفه (ش) تقديره لينتقم منهم و يعلم الذين يجادلون ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن ومنه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله خلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت انتهى (ح) و يبعد تقديره لينتقم

وكذلك واو الصرف ليفيد معنى الاقتران ويعين معنى الاجتماع ولذلك أجمع على النصب في قوله ويعلم الصابرين أي ويعلم المجاهدين والصابرين معا * عن علي رضي الله عنه اجتمع لأبي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت فما أوتيتم من شيء والظاهر أنه خطاب الناس * وقيل للمشركين وما شرطية مفعول ثان لأوتيتم ومن شيء بيان لما والمعنى من شيء من رياش الدنيا ومالها والسعة فيها والفاء جواب الشرط أي فهو متاع أي يستمتع في الحياة وما عند الله أي من ثوابه وما أعد لأوليائه خير وأبقى مما أوتيتم لانه لا انقطاع له وتقدم الكلام في الكبائر في قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه في النساء * وقرأ الجمهور كبائر جمعا هنا وفي النجم وحمزة والكسائي بالافراد والذين يجتنبون عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ووقع لأبي البقاء وهم في التلاوة اعتقد أنها الذين يجتنبون بغير واو فبنى عليه الاعراب فقال الذين يجتنبون في موضع جر بدلا من الذين آمنوا ويجوز أن يكون في موضع نصب باضمار أعني وفي موضع رفع على تقديرهم انتهى والعامل في اذا يغفرون وهي جملة من مبتدا وخبر معطوفة على يجتنبون ويجوز أن يكون هم توكيدا للفاعل في غضبوا * وقال أبو البقاء هم مبتدا ويغفرون الخبر والجملة جواب اذا انتهى وهذا لا يجوز لان الجملة لو كانت جواب اذا لكانت بالفاء تقول اذا جاء زيد فعمرو منطلق ولا يجوز حذف الفاء الا ان ورد في شعر * وقيل هم مرفوع بفعل محذوف يفسره يغفرون ولما حذف انفصل الضمير وهذا القول فيه نظر وهو أن جواب اذا يفسر كما يفسر فعل الشرط بعدها نحو اذا السماء انشقت ولا يبعد جواز ذلك على مذهب سيبويه اذ جاء ذلك في أداة الشرط الجازمة نحو ان ينطلق زيد ينطلق فزيد عنده فاعل بفعل محذوف يفسره الجواب أي ينطلق زيد ومنع ذلك الكسائي والفراء * وقال الزمخشري هم يغفرون أي هم الأخصاء بالغفران في حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة انتهى وفيه حض على كسر الغضب * وفي الحديث أوصني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب قال زدني قال لا تغضب * والذين استجابوا لربهم * قيل نزلت في الأنصار دعاهم الله للايمان به وطاعته فاستجابوا له وكانوا قبل الاسلام وقبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا نابهم أمر تشاوروا فأثنى الله عليهم لا ينفردون بأمر حتى يجتمعوا عليه * وعن الحسن ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم انتهى وفي الشورى اجتماع الكلمة والتحاب والتعاضد على الخير * وقد شاور الرسول عليه السلام فيما يتعلق بمصالح الحروب والصحابة بعده في ذلك كمشاورة عمر الهرمزان * وفي الأحكام كقتال أهل الردة وميراث الجد وعدد حد الخمر وغير ذلك والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور على حذف مضاف أي وأمرهم ذو شورى بينهم وهم ينتصرون صلة للذين واذا معمولة لينتصرون ولا يجوز أن يكون هم ينتصرون جوابا لاذا والجملة الشرطية وجوابها صلة لما ذكرناه من لزوم الفاء ويجوز هنا أن يكون هم فاعلا بفعل محذوف على ذلك القول الذي قيل في هم يغفرون * وقال الحوفي وان شئت جعلت هم توكيدا للهاء والميم يعني في أصابهم وهو ضمير رفع وفي هذا نظر وفيه الفصل بين المؤكد والتوكيد بالفاعل وهو فصل الظاهر انه لا يمتنع والانتصار أن يقتصر على ما حده الله ولا يعتدي * وقال النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا أنفسهم فتجترئ عليهم الفساق ومن انتصر غير متعد فهو مطيع محمود * وقال مقاتل وهشام بن عروة الآية في المجروح ينتصف من الجارح بالقصاص * وقال

(الدر)

منهم لانه ترتب على الشرط اهلاك قوم ونجاة قوم فلا يحسن ليتنقم منهم وأما الآيتان فيمكن أن تكون اللام متعلقة بفعل محذوف أي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك ولتجزى كل نفس بما كسبت فعلنا ذلك وكثيرا يقدر هذا الفعل محذوفا قبل لام العلة اذا لم يكن فعل ظاهر يتعلق به

ابن عباس تعدى المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأخرجوهم من مكة فأذن الله لهم بالخروج في الأرض ونصرهم على من بغى عليهم * وقال الكيا الطبري ظاهره أن الانتصار في هذا الموضع أفضل ألا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله ولرسوله واقامة الصلاة فهذا على ماذكره الضحى وهذا فيمن تعدى وأصر والمأمور فيه بالعفو اذا كان الجاني نادما مقلعا * وقد قال عقيب هذه الآية ولمن انتصر بعد ظلمه الآية فيقتضي إباحة الانتصار وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر وهذا محمول على القرآن عند غير المصر فأما المصر على البغي فالأفضل الانتصار منه بدليل الآية قبلها * وقال ابن بحر المعنى تناصروا عليه فأزالوه عنهم * وقال أبو بكر بن العربي نحوا من قول الكيا * قال الجمهور اذا بغى مؤمن على مؤمن فلا يجوز له أن ينتصر منه بنفسه بل يرفع ذلك الى الامام أو نائبه * وقالت فرقة له ذلك * وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا بيان للانتصار أي لا يتعدى فيما يجازى به من بغى عليه * قال ابن أبي نجيح والسدي اذا شتم فله أن يرد مثل ما شتم به دون أن يتعدى وسمى القصاص سيئة على سبيل المقابلة أولانها تسوء من اقتص منه كما ساءت الحيض وظاهر قوله مثلها المماثلة مطلقا في كل الأحوال لا فيما خصه الدليل والفقهاء أدخلوا التخصيص في صور كثيرة بناء على القياس *قال مجاهد والسدي اذا قال له أخزاك الله فليقل أخزاك الله واذا قذفه قذفا يوجب الحد بل الحد الذي أمره الله به * فمن عفا وأصلح أي بينه وبين خصمه بالعفو فأجره على الله عدة مبهمة لا يقاس عظمها إذ هي على الله * انه لا يحب الظالمين أي الخائنين واذا كان لا يحبه وقد ندب الى العفو عنه فالعفو الذي يحبه الله أولى أن يعفى عنه أو لا يحب الظالمين من تجاوز واعتدى من المجني عليهم اذا انتصر وخصوصا في حالة الحرب والتهاب الحمية فربما يظلم وهو لا يشعر * وفي الحديث اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له أجر على الله فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله واللام في ولمن انتصر لام توكيد *قال الحوفي وفيها معنى القسم *وقال ابن عطية لام التقاء القسم يعني انها اللام التي يتلقى بها القسم فالقسم قبلها محذوف ومن شرطية وحمل انتصر بعد ظلمه على لفظ من وفأولئك على معنى من والفاء جواب الشرط وظلمه مصدر مضاف الى المفعول * قال الزمخشري ويفسره قراءة من قرأ بعدما ظلم ما عليهم من سبيل قيل أي من طريق الى الحرج وقيل من سبيل للعاقب ولا المعاتب والعاتب وهذه مبالغة في اباحة الانتصار *إنما السبيل أي سبيل الاثم والحرج على الذين يظلمون أي يبتدئون بالظلم ويبغون في الأرض أي يتكبرون فيها ويعلون ويفسدون وقيل ويظلمون الناس أي يضعون الأشياء غير مواضعها من القتل وأخذ المال والأذى باليد واللسان والبغي بغير الحق فهو نوع من أنواع الظلم خصه بالذكر تنبيها على شدته وسوء حال صاحبه انتهى *ولمن صبر أي على الظلم والأذى وغفر ولم ينتصر واللام في ولمن يجوز أن تكون اللام الموطئة القسم المحذوف ومن شرطية وجواب القسم قوله ان ذلك وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه ويجوز أن تكون اللام لام الابتداء ومن موصولة مبتدأ والجملة المؤكدة بان في موضع الخبر وقال الحوفي من رفع بالابتداء وأضمر الخبر وجواب الشرط ان وما تعلقت به على حذف الفاء كما قال الشاعر * من يفعل الحسنات الله يشكرها * أي فالله يشكرها انتهى وهذا ليس بجيد لان حذف الفاء مخصوص بالشعر عند سيبويه والاشارة بذلك الى ما يفهم من مصدر صبر وغفر والعائد على الموصول المبتدا من الخبر محذوف أي ان ذلك منه لدلالة المعنى عليه لمن عزم الأمور ان كان ذلك

﴿وقال الذين آمنوا﴾ الظاهر أن وقال ماض لفظا ومعنى أى وقال الذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا وقدم تعالى هبة الاناث تأنيسا بهن وتشريفا لهن ليهتم بصونهن والاحسان اليهن وفى الحديث من ابتلى بشئ من هذه البنات فاحسن اليهن كن له سترا من النار ولما كان العقم ليس بمحمود قال ﴿ويجعل من يشاء عقيما﴾ وهو قسيم لمن يولد له ولما كان الخنثى يحزن بوجوده لم يذكره تعالى قالوا وكانت الخلقة مستمرة ذكرا وأنثى الى ان وقع فى الجاهلية الاولى الخنثى فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه فلم يدر مايقول فيه وأرجأهم فلما جن عليه الليل جعل يتقلب وتذهب به الافكار وأنكرت خادمه عليه الحالة التى هو فيها فسألته فقال لها سهرت لامر لاأدرى ماأقول فيه فقالت له ماهو فقال شخص له ذكر وفرج كيف حاله فى الميراث قالت له الامة ورثه من حيث يبول فعقلها وأصبح يعرضها عليهم فرضوا بها وجاء الاسلام على ذلك وقضى بذلك على كرم الله وجهه ﴿انه عليم﴾ أى بمصالح العباد ﴿قدير﴾ على تكوين مايشاء ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله﴾ بيانا لصورة تكليم الله تعالى عباده أى ماينبغى ولا يمكن الا بأن يوحى اليه أحد وجوه الوحى من الالهام قال مجاهد أو النفث فى القلب وقال النقاش أو وحى فى المنام وقال النخعى كان فى الانبياء من يخط له فى الارض أو بان يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب أى من خفاء عن المتكلم لايحده ولايتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب فى المشاهد أو بان يرسل اليه ملكا يشافهه بوحى الله تعالى ﴿انه على﴾ عن صفات المخلوقين ﴿حكيم﴾ تجرى أفعاله على مقتضيه الحكمة يكلم بواسطة وبغير واسطة ﴿وكذلك أوحينا﴾ أى مثل ذلك الايحاء المفصل أوحينا اليك اذ كان عليه السلام اجتمعت له الطرق الثلاث النفث فى الروع والمنام وتكليم الله له حقيقة ليلة الاسراء وارسال رسول الله وهو جبريل عليه السلام

إشارة الى المصدر المفهوم من قوله ولمن صبر وغفر لم يكن فى عزم الأمور حذف وان كان ذلك اشارة الى المبتدإ كان هو الرابط ولا يحتاج الى تقدير منه وكان فى عزم الأمور أى انه لمن ذوى عزم الأمور وسب رجل آخر فى مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق ويمسح العرق ثم قام فتلا الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها لم هذه ضيعها الجاهلون والجملة من قوله إنما السبيل اعتراض بين قوله ولمن انتصر وقوله ولمن صبر * ومن يضلل الله فماله من ولى من بعده أى من ناصر يتولاه من بعده أى من بعد اضلاله وهذا تحقير لأمر الكفرة * وترى الظالمين الخطاب للرسول والمعنى وترى حالهم وماهم فيه من الحيرة لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل هل سبيل الى الرد الى الدنيا وذلك من فظيع مااطلعوا عليه وسوء مايحل بهم * وتراهم يعرضون عليها أى على النار دل عليها ذكر العذاب خاشعين متضائلين صاغرين مما يلحقهم من الذل * وقرأ طلحة من الذل بكسر الذال والجمهور بالضم والخشوع الاستكانة وهو محمود وانما أخرجه الى الذم اقترانه بالعذاب وقيل من الذل متعلق بينظرون من طرف خفى * قال ابن عباس ذليل انتهى قيل ووصف بالخفاء لان نظرهم ضعيف ولحظهم نهاية قال الشاعر * فغض الطرف انك من نمير * وقيل يحشرون عميا ولما كان نظرهم بعيون قلوبهم جعله طرفا خفيا أى لايبدو نظرهم وهذا التأويل فيه تكلف وقال السدى وقتادة المعنى يسارقون النظر لما كانوا فيه من الهم وسوء الحال لايستطيعون النظر بجميع العين وانما ينظرون من بعضها فيجوز على هذا التأويل أن يكون الطرف مصدرا أى من نظر خفى * وقال الزمخشرى من طرف خفى أى يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره ولا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينه منها كما يفعل فى نظره الى المحاب ﴿وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فماله من سبيل * استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله مالكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير * فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور * لله ملك السموات والأرض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور * أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير * وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء إنه على حكيم * وكذلك أوحينا إليك روحا من

أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ الظاهر أن وقال ماض لفظا ومعنى أى وقال الذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويكون يوم القيامة معمولا لخسروا ويحتمل أن يكون معنى وقال ويقول ويوم القيامة معمول ليقولوا أى ويقولوا فى ذلك اليوم لما عاينوا ما حل بالكفار وأهليهم الظاهر أنهم الذين كانوا أهليهم فى الدنيا فان كانوا معهم فى النار فقد خسروهم أى لا ينتفعون بهم وان كانوا فى الجنة لكونهم كانوا مؤمنين كآسية امرأة فرعون فهم لا ينتفعون بهم أيضا وقيل أهلوهم ما كان أعد لهم من الحور لو كانوا آمنوا والظاهر أن قوله الا ان الظالمين فى عذاب مقيم من كلام المؤمنين وقيل استئناف إخبار من الله تعالى من قبل أن يأتى يوم قيل هو يوم ورود الموت والظاهر أنه يوم القيامة ومن الله متعلق بمحذوف يدل عليه مامر أى لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه * وقال الزمخشرى من الله من صلة لا مرد انتهى وليس الجيد اذ لو كان من صلته لكان معمولا له فكان يكون معربا منونا وقيل من الله يتعلق بقوله يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده ما لكم من ملجأ تلجأون اليه فتتخلصون من العذاب وما لكم من انكار شئ من أعمالكم التى توردكم النار والنكير مصدر أنكر على غير قياس قيل ويحتمل أن يكون اسم فاعل للمبالغة وفيه بعد لأن نكر معناه لم يميز * فان أعرضوا الآية تسلية للرسول وتأنيس له وازالة لهمه بهم والانسان يراد به الجنس ولذلك جاء وان تصبهم سيئة وجاء جواب الشرط فان الانسان ولم يأت فانه ولا فانهم ليدل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود ولما ذكر أنه يكفر النعم أتبع ذلك بأن له ملك العالم العلوى والسفلى وأنه يفعل ما يريد ونبه على عظيم قدرته وأن الكائنات ناشئة عن ارادته فذكر أنه يهب لبعض اناثا ولبعض ذكورا ولبعض الصنفين ويعقم بعضا فلا يولد له * وقال اسحق بن بشر نزلت هذه الآية فى الأنبياء ثم عمت فلوط أبو بنات لم يولد له ذكور وابراهيم ضده ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهما ولد له الصنفان ويحيى عقيم انتهى وذكر أيضا مع لوط شعيب ومع يحيى عيسى وقدم تعالى هبة البنات تأنيسا لهن وتشريفا لهن ليهتم بصونهن والاحسان اليهن * وفى الحديث من ابتلى بشئ من هذه البنات فأحسن اليهن كن له سترا من النار * وقال واثلة بن الاسقع من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالاناث * وقال الزمخشرى (فان قلت) لم قدم الاناث على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث (قلت) لأنه ذكر البلاء فى آخر الآية الأولى وكفران الانسان نسيانه الرحمة السابقة عنده ثم ذكره بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الأولاد فقدم الاناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث اللاتى من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم أوجب التقديم والبلاء الجنس الذى كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وآخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيره وهم أحق بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفريقين الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حظه من التقديم والتأخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتضى آخر فقال ذكرانا وإناثا كما قال إنا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى انتهى وقيل بدأ بالانثى ثم ثنى بالذكر لتنقله من الغم الى الفرح وقيل ليعلم أنه لا اعتراض على الله فرضى

﴿ما كنت تدرى﴾ قبل الوحى ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان ﴿ ولكن جعلناه نورا ﴾ يحتمل أن يعود الى قوله روحا والى الكتاب والى الايمان وهو أقرب مذكور ﴿ألا الى الله تصير الامور ﴾ أخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقولك زيد يعطى ويمنع أى من شأنه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل اذ جميع الامور صائرة اليه على الدوام

(الدر)

(ح) من الله متعلق بمحذوف يدل عليه لا مرد أى لا يرد ذلك اليوم من ما حكم الله به فيه (ش) من الله من صلة لا مرد انتهى (ح) ليس هذا بجيد اذ لو كان من صلته لكان معمولا له فكان يكون اسم لا من قبيل المطول فكان يكون معربا منونا

فاذا وهب له الذكر علم أنه زيادة وفضل من الله واحسان اليه وقيل قدمها تنبيها على أنه اذا كان العجز والحاجة لهم كانت عناية الله أكثر * وقال مجاهد هو أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية * وقال محمد بن الحنفية ان تلد توأما غلاما وجارية * وقال أبو بكر بن العربي أو يزوجهم ذكرانا وإناثا * قال علماؤنا يعني آدم كانت حواء تلد له في كل بطن توأمين ذكرا وأنثى تزوج ذكر هذا البطن أنثى البطن الآخر انتهى ولما ذكر الهبة في الاناث والهبة في الذكور اكتفى عن ذكرها في قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ولما كان العقم ليس بمحمود قال ويجعل من يشاء عقيما وهو قسيم لمن يولد له ولما كانت الخنثى مما يحزن بوجوده لم يذكره تعالى قالوا وكانت الخلقة مستقرة ذكرا وأنثى الى أن وقع في الجاهلية الأولى الخنثى فسئل فارض العرب ومعمرها عامر بن الظرب عن ميراثه فلم يدر مايقوله وأرجأهم فلما جن عليه الليل جعل يتقلب وتذهب به الافكار وأنكرت خادمه حاله فسألته فقال بهرت لامر لا أدري ما أقول فيه فقالت له ماهو فقال شخص له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الامة ورثه من حيث يبول فعقلها وأصبح فعرضها عليهم فرضوا بها وجاء الاسلام على ذلك وقضى بذلك علي كرم الله وجهه انه عليم بمصالح العباد قدير على تكوين مايشاء كان من الكفار خوض في معنى تكليم الله موسى فذهبت قريش واليهود في ذلك الى التجسيم فنزلت وقيل كانت قريش تقول ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا صادقا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لهم الرسول عليه السلام لم ينظر موسى الى الله فنزلت وما كان لبشر أن يكلمه الله نبيا بالصورة تكليم الله عباده أي ماينبغي ولا يمكن لبشر الا يوحى اليه أحد وجوه الوحي من الالهام * قال مجاهد أو النفث في القلب * وقال النقاش أو وحي في المنام * وقال الحسن كان في الأنبياء من يخط له في الأرض أو بأن يسمعه كلامه دون أن يعرف هو للمتكلم جهة ولا حيزا كموسى عليه السلام وهذا معنى من وراء حجاب أي من خفاء عن المتكلم لايحده ولا يتصور بذهنه عليه وليس كالحجاب في المشاهد أو بأن يرسل اليه ملكا يشافهه بوحي الله تعالى قاله ابن عطية * وقال الزمخشري وماصح لاحد من البشر أن يكلمه الله الا على ثلاثة أوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب والمنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد ابن الابرص

وأوحى الى الله ان قد تأمروا * بابن أبي أوفى فقمت على رجل

أي ألهمني وقذف في قلبي وإما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله من وراء حجاب مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء حجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم الله موسى ويكلم الملائكة وإما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الأنبياء غير موسى انتهى وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفي الكلام الحقيقي عن الله وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها انها وحي وخص الاول باسم الوحي هنا لان مايقع في القلب على سبيل الالهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص لفظ الوحي به أولى وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كما كلم أمم الأنبياء على ألسنتهم حكاه الزمخشري وترك تفسير أو من وراء حجاب ومعناه في هذا القول كما كلم محمدا وموسى صلى الله عليه وسلم

* وقرأ الجمهور حجاب مفرداوابن أبي عبلة حجب جمعا والجمهور أو يرسل رسولا فيوحي الملك كما كلم الأنبياء غير موسى انتهى وهو على طريق المعتزلة في استحالة رؤية الله تعالى ونفى الكلام الحقيقي عن الله وكل هذه الأقسام الثلاثة يصدق عليها انها يوحي وخص الاول باسم الوحي هنا لان مايقع في القلب على سبيل الالهام يقع دفعة واحدة فكان تخصيص الوحي به أولى وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة أو يرسل رسولا أي نبيا كلم على ألسنتهم * وقرأ الجمهور بنصب الفعلين عطف أو يرسل على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب تقديره أو يكلمه من وراء حجاب وهذا المضمر معطوف على وحيا والمعنى الا بوحي أوسماع من وراء حجاب أوارسال رسول فيوحي ذلك الرسول الى النبي الذي أرسل عنه باذن الله مايشاء ولا يجوز أن يعطف أو يرسل على أن يكلمه الله لفساد المعنى * وقال الزمخشري و وحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وماصح أن يكلم أحدا الا موحيا أومسمعا من وراء حجاب أو مرسلا انتهى أما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وانما قالته العرب وكذلك لا يجوز جاء زيد بكاء تريد باكيا وقاس منه المبرد ما كان منه نوعا للفعل نحو جاء زيد مشيا أوسرعة ومنع سيبويه ان يقع أن والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز نحو جاء زيد أن يضحك في معنى ضحكا الواقع موقع ضاحكا فجعله وحيا مصدرا في موضع الحال مما لا ينقاس وأن يرسل في معنى ارسالا الواقع موقع مرسلا ممنوع بنص سيبويه * وقرأ نافع وأهل المدينة أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع فيهما نخرج على اضمار هو يرسل أو على مايتعلق به من وراء اذ تقديره أو يسمع من وراء حجاب و وحيا مصدر في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الا موحيا أومسمعا من وراء حجاب أو مرسلا واسناد التكلم الى الله بكونه أرسل رسولا مجاز كما تقول نادى الملك في الناس بكذا وانما نادى الريح الدائر في الاسواق نزل ما كان بواسطة منزلة ما كان بغير واسطة * قال ابن عطية وفي هذه الآية دليل على ان الرسالة من أنواع التكلم وان الحالف الرسل كانت اذا حلف أن لا يكلم انسانا فأرسل اليه وهو لم ينو المشافهة وقت يمينه انتهى انه علي أي علي عن صفات المخلوقين حكيم تجري أفعاله على ماتقتضيه الحكمة يكلم بواسطة و بغير واسطة * وكذلك أوحينا أي مثل ذلك الايحاء الفصل أوحينا اليك اذ كان عليه الصلاة والسلام اجتمعت له الطرق الثلاث النفث في الروع والمنام وتكليم الله له حقيقة ليلة الاسراء وارسال رسول اليه وهو جبريل وقيل كما أوحينا الى الأنبياء قبلك أوحينا اليك روحا من أمرنا * قال ابن عباس النبوة * وقال السدي الوحي وقال قتادة رحمة * وقال الكلبي كتابا * وقال الربيع جبريل وقيل القرآن وسمى ماأوحى اليه روحا لان به الحياة من الجهل * وقال مالك بن دينار ياأهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فان القرآن ربيع القلوب كما أن العشب ربيع الارض * ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان توقيف على عظم المنة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بها وعطف ولا الايمان على ما الكتاب وانما معناه الايمان الذي يدركه السمع لان لنا أشياء من الايمان لا تعلم الا بالوحي أما توحيد الله وبراءته عن النقائص ومعرفة صفاته العلا لجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عالمون ذلك معصومون أن يقع منهم زلل في شيء من ذلك سابق لهم علم ذلك قبل أن يوحي اليهم وقد أطلق الايمان على الصلاة في قوله وما كان الله ليضيع إيمانكم إذ هي بعض مايتناوله الايمان ومن طالع سير الانبياء من

(الدر)

(ش) ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وماصح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا انتهى (ح) اما وقوع المصدر موقع الحال فلا ينقاس وانما يقال منه ماقالته العرب ولذلك لايجوز جاء زيد بكاء تريد باكيا وقاس منه المبرد ما كان نوعا للفعل نحو مشيا أوسرعة ومنع سيبويه أن يقع ان والفعل المقدر بالمصدر موقع الحال فلا يجوز جاء زيد أن يضحك في معنى ضحكا الواقع موقع ضاحكا فجعله وحيا مصدرا في موضع الحال مما لا ينقاس وأن يرسل في معنى ارسالا الواقع موقع مرسلا ممنوع بنص سيبويه

نشأتهم الى مبعثهم تحقق عنده أنهم معصومون من كل نقيصة موحدون لله منذ نشئوا قال الله تعالى في حق يحيى عليه السلام وآتيناه الحكم صبيا * قال معمر كان ابن سنتين أو ثلاث وعن أبي العالية ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان * وقال القاضي ولا الايمان الفرائض والأحكام قال وكان قبل مؤمنا بتوحيد الله ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا * وقال القشيري يجوز اطلاق الايمان على تفاصيل الشرع * وقال الحسين بن الفضل هو على حذف مضاف أي ولا أهل الايمان من الذي يؤمن أبو طالب أو العباس أو غيرهما * وقال علي بن عيسى اذ كنت في المهد وقيل ما الكتاب لولا انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك وقيل أي كنت من قوم أميين لا يعرفون الايمان ولا الكتاب فتكون أخذت ما جئتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم ما الكتاب جملة استفهامية مبتدا وخبر وهي في موضع نصب بتدري وهي معلقة * ولكن جعلناه نورا يحتمل أن يعود الى قوله روحا والى كتاب والى الايمان وهو أقرب مذكور * وقال ابن عطية عائد على الكتاب انتهى وقيل يعود الى الكتاب والايمان معا لان مقصدهما واحد فهو نظير والله ورسوله أحق أن يرضوه * وقرأ الجمهور لتهدي مضارع هدى مبنيا للفاعل وحوشب مبنيا للمفعول اجابة سؤاله عليه الصلاة والسلام اهدنا الصراط المستقيم * وقرأ ابن السميقع لتهدي بضم التاء وكسر الدال وعن الجحدري مثلها ومثل قراءة حوشب * صراط مستقيم قال علي هو القرآن وقيل الاسلام * ألا الى الله تصير الأمور أخبر بالمضارع والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطي ويمنع أي من شأنه ذلك ولا يراد به حقيقة المستقبل أي ترد جميع أمور الخلق اليه تعالى يوم القيامة فيقضي بينهم بالعدل وخص ذلك بيوم القيامة لانه لا يمكن لأحد أن يدعي فيه لنفسه شيأ قاله الفراء

﴿ تم الجزء السادس ويليه الجزء الثامن وأوله سورة الزخرف ﴾